لتمسك بيدي
إسراء يسري
رواية

لتمسك بيدي

الجزء الأول من سلسلة :

والتقت القلوب

إسراء يسري

بقلم :_

إسراء يسري

تصميم غلاف وداخلي :_ فاطمة الزهراء سعداوي

تعبئة وتدقيق : _ إيمان الدسوقي

إهداء

إلي تلك التي أحبتني ودعمتني قدر استطاعتها الى أمي

ولمن لا يهدأ قلبي إلا في سعادتهما إلى سارة وآلاء إخوتي

وإلى تلك التى احتضنتني وقت الحاجة وواستني عند حزني وشجعتني دون أحد

إلى نفسي

وإلى كل من ضاقت عليه دنياه وظن أن ليس هناك فرصة أخرى

إليك / أنا أهديها لك

عشت لا أدري هل ظلموني أم أنا من جنيت على نفسي؟!

عشتها أنتظرك أن تأتي إلي وقتها

وقتها فقط سأنظر بعينيك وأناديك بقوة

لتمسك بيدي

الخاطرة إهداء من الكاتبة

حنين أحمد

المقدمة

منذ بضع سنوات

أرهفت السمع وهي ترى جدها يتحدث على الهاتف مع والدتها يحايلها أن تتصل وتطمئن عليها فهي مهما حدث ابنتها وليس بذنبها شيء.

لم تُرِد أن تسمع أكثر

دخلت الغرفة وأغلقت على نفسها ثم جلست على الفراش وهي تبكي لقد كَرهتُها والدتها بسبب والدها ولكن ما ذنبها هي أنه طلقها وهي في الشهور الأولى من زواجها ،حتى والدها لا يسأل إلا لماماً ،تراه بالمناسبات و يرمي لها الأموال بحسابها بالبنك كل شهر ،لا يكلف نفسه عناء رفع سماعة الهاتف والاطمئنان عليها إلا كل شهر مثلا !

لقد كبرت على أن عبدالحميد جدها هو والدها ،ونعمات زوجته والدتها

وحمزة الحبيب .

آه حمزة هو من يحلي مرارة حياتها

أطرقت في شرود ثم قامت وأغلقت عليها باب الغرفة بالمفتاح ،أطفأت الأنوار ثم اندست تحت الغطاء وأمسكت هاتفها لتهرب للعالم الذي يُنسيها كل شيء وإن كان خاطئ !!!

منذ سنوات قليلة

أبي أنا لا أريد الزواج

وهل ستظل هكذا تُبكي ابنة عمتك

انتفض غاضبا وقال :_

"أبي لا تفتح هذا الموضوع رجاءً "

اقترب منه والده وربت على كتفه قائلاً:

_ "يا حبيبي أنت ولدي الكبير أريد أن أفرح بك وأطمئن عليك "

تنهد قائلاً بهم يحاول إقناعه:-

_ "يا أبي عمي شهاب يكبرني بأعوام وإلى الآن لم يتزوج وجدي يتركه على راحته "

رفع والده حاجبيه قائلا بحدة :

_ "ليس لي شأن بعمك هو حر في نفسه أنا أريد أن أطمئن عليك وعروسك اخترتها لك وستظل عمرك تشكرني على اختياري"

ابتسم بسخرية قائلاً:-

"أبي لقد خططت لكل شيء ونسيت أن العروس تلك لا تعرف بمرضي والذي كان سبب انفصالي الرئيسي عن "هنا " ابنة عمتي وأردف بغضب وحرقة مازالت لم تهدأ بقلبه:

_" لقد كانت تحبني ولم تتحمله فماذا عن تلك التي لا تعرف عني شيء !؟"

قال والده بحزم منهيا الحوار :_

"هي تعرف وموافقة "

_____&&_____

كان يقف في الحرم الجامعي هو وخالد صديقه الذي تعرف عليه منذ شهرين منذ دخولهما للجامعة

سأله خالد :-

"أنت يا رجل أنا أريد أن أعلم لماذا لا تريد أن آتي إليك وأزورك هل لتلك الدرجة أنت بخيل؟ ثم أردف بمزاح

" أم أنك ليس لك بيت تستقبلني به .."

رد عليه حسن بجدية :_

"نعم يا خالد أنا ليس لدي بيت أستقبلك به "

ضحك خالد قائلاً:_

"يا أخي لقد مسكت بالكلمة وكأن ليس لك بيت بصحيح

ابتسم حسن قائلا بسخرية :_

"لا يا خالد هذه هي الحقيقة أنا ليس لدي بيت استقبلك به "

انتبه خالد من تعبيرات وجهه أنه يتكلم بجدية

فسأله بوجل :_

"كيف ؟"

فرد حسن كفيه قائلاً بمرارة :_

_ "فقط لأني لقيط وأعيش بدار للأيتام ثم تركه وغادر مسرعا"

_____&_____

عادت من الخارج فوجدت البيت ممتلئ بالنساء وصوت القران يعم المكان، عمها ربيع يقف مع عدة رجال بالخارج ، أمها تبكي وأختيها كذلك حركت رأسها وهي لا تصدق ثم شقت صرختها الجدران وهي تقول

"أبي"

الفصل الأول

اليوم الجمعة

استيقظت ريم في التاسعة كان هو مازال نائما

توضأت وصلت الضحى ثم ذهبت لتتفقد صغيرها وجدته

لا يزال نائما

ذهبت إلى المطبخ لتعد الإفطار حتى يتناولونه سريعا
وينزلوا للأسفل فيوم الجمعة يقضوه جميعا سويا

انتهت من تحضير الإفطار ، وذهبت لتوقظه ،فجلست
على حافة الفراش وهي تربت على وجنته بخفه
وتناديه:_

"عبدالرحمن"

فتح عينيه وأغمضهما عندما غشى عليهما الضوء وسأل
ببحة :-

"كم الساعة الآن؟"

قالت وهي تنهض:-

"إنها العاشرة والربع قم وتوضأ لتصلي الضحى إلى أن أُوقِظ تميم "

أومأ لها برأسه ،فخرجت وذهبت لصغيرها ، أخذت تداعبه إلى أن أيقظته

قبلته من وجنتيه وهي تحمله قائلة:-

"لا حرمني الله من نور صباحك يا قلب أمك "

أدخلته الحمام وجعلته يغسل أسنانه ويديه ووجهه ثم حملته مرة أخرى وهي تشاكسه :_

"يا كسول أفق"

ثم لوت فمها ببؤس حزين مما جعله ينتبه لها وهي تقول :_

"إن ماما غاضبة منك لأنك لم تُقبلها "

كانت قد وصلت للمطبخ حيث الطعام
فقال تميم بطفولية ومازالت آثار النوم عالقة به :_

"حبيبتي يا ريمي"
ثم اتبع قوله بقبلتين لذيذتين مثله على وجنتيها
أنزلته أرضا وهي تضحك قائلة :_

"يا (بكاش) هيا لنحول الأطباق للصالة "

وضعوا الأطباق على السفرة ،وفتحت له التلفاز على قناة الكارتون التي يحبها ، ثم نادت على زوجها فجاء
وقَبل صغيره وجلس يتناول إفطاره بجانبهم ثم سألها :-

" هل قالت لكِ جدتي أمس أن شهاب سيحضر اليوم؟"

أومأت ريم برأسها وهي تطعم صغيرها قائلة :_

"نعم ولكن كيف عرفت ؟"

بدأ عبدالرحمن في تناول طعامه قائلاً:_

"لقد أخبرني تميم أمس "

صفق تميم بفرحة وهو يقول :-

"نعم العم شهاب سيحضر اليوم "

قرصته من وجنته وهي تقول :_

"أكمل فطورك يا شقي كي تأخذ حماما وتذهب مع والدك للصلاة "

بعد فترة نزلوا جميعا إلى الأسفل ، سلموا على الجد والجدة والجالسين كان خالد أخوه بالأسفل ووالديهم

سألهم عبدالرحمن :_

"هل سيحضر شهاب اليوم ؟!"

أومأ الجد قائلاً:-

"نعم لقد هاتفنا أمس ليلا وقال أنه في مصر ، وسيأتي اليوم ثم نهض واقفا وهو يقول :_

""هيا بنا للصلاة فقد اقتربت "

بعد أن ذهبوا للصلاة جميعا ، قامت هناء والدة زوجها وهي تقول:_

" أنا سأدخل لأبدل ملابسي"

أومأوا لها ولكن صمت ريم آثار ريبة الجدة فنادتها متسائلة :_

"ريم حبيبتي ما بكِ منذ أن هبطتم وأنتِ لم تتحدثِ "

ابتسمت ريم وهي تقول:_

"لا تقلقي يا جدتي أنا فقط لم أنم جيدًا منذ الأمس ثم ابتسمت وسألت:_

" هل سيحضر الجميع اليوم لرؤية دكتور شهاب ؟"

أومأت الجدة قائلة:_

"نعم يا حبيبتي ستحضر هناء ابنتي وأسرتها وكذلك ابني عامر وزوجته ثريا "

أومأت ريم في شرود ثم قالت :_

"إذا هيا بنا لنصلي كي نبدأ في تحضير الغداء"

أومأت الجدة وقامت معها حتى يؤدوا فرضهم

بعد فترة عاد الرجال من الصلاة وجلسوا يتحدثوا وكانت هناء وريم والجدة بالمطبخ

نادى تميم والده :_

" أبي "

"نعم يا تميم"

غمغم عبد الرحمن دون أن يلتفت إليه

فتذمر تميم قائلا:_

"انا أريد ماما أين هي؟"

حمله متجها به للخارج وهو يقول:_

"هيا لنبحث عنها ؟!"

وهو في طريقه سمع أصوات آتية من الخارج وأبواق سيارات عالية ففطن أن شهاب قد وصل

ابتسم وهو يغير وجهته للباب الخارجي وفتحه فوجد عمته هناء وزوجها راضي وهنا ابنتها وأخيها الصغير ياسين .

ظل واقفا متسمرا مكانه

يا الله منذ متى لم يراهم منذ أن سافر شهاب منذ عامين لقد كانت تأتي عمته وياسين فقط .

التقت عيناهم في حديث أوله حنين

وآخره عتاب !

استدرك نفسه سريعا كي لا يثير ريبتهم واقترب ليُحييهم ثم دعاهم للدخول .

تابعت هنا أبويها وهم يدخلوا للداخل فأخرت نفسها عنهم ونادته بحنين :_

تسمر مكانه ثم استدار لها قائلا باقتضاب:_

"نعم يا هنا "

ابتلعت ريقها بتوتر ثم حولت نظرها عنه لصغيره الذي كان ينظر لها بوجل طفولي

فقالت برقة:-

"لقد كَبُر تميم"

أومأ برأسه دون رد وهو يتقدمها و يدعوها للدخول فهو لا يتحمل أن يقف معها دقيقة أخرى .

لقد دفن ما بقلبه منذ سنوات وليس بصدد إخراجه الآن وصغيره بين يديه وزوجته يفصلها عنهم أمتار صغيرة

صادف دخولهم سويا خروج ريم من المطبخ وهي تجفف يديها بالمنشفة، والتي رفعت رأسها فوجدتهم يدخلان سويا

يا الله نار حارقة شبت بين ضلوعها هذا ما كانت تخافه منذ أن أخبرتها الجدة بقدوم شهاب وهي تعلم أن مجيئها حتمي بعد عودتها من السفر ، رغم كل شيء هي لا تتحمل رؤيتها أمامها رغما عنها ....

طالت وقفتها أمامهم فناداها عبدالرحمن بتوتر قائلا:_

"ريم ما بكِ؟!"

انتبهت له وهي لا تعلم بمَا تنطق حتى حكمتها وتريثها لم يساعدوا على إطفاء الحريق بداخلها

أنقذها من الموقف صياح الصغير وهو يتخلص من ذراعي والده قائلا بفرح طفولي :_

"العم شهاب "

فالتفت الجميع إلى شهاب الذي وصل لتوه

حمله شهاب وهو يقبله ويقول :_

"اشتقت إليك أيها الشقي لقد جلبت لك معي ألعاب ستعجبك كثيرا "

صاح تميم في فرحة

فتقدم عبدالرحمن ليعانق شهاب في اشتياق ثم تقدمت هنا بفرحة وهي تدفع عبدالرحمن من كتفه بعفوية

مما أثار ضيق الأخرى من تلك الحميمية في التعامل وهي تسمعها تقول دافعة إياه :_

" اتركه لي لقد اشتقتُ إليه "

ضحك شهاب وهو يضمها إليه ويقول :_

"وأنا اشتقت إليكِ أكثر يا شقية"

ثم انتبه لتلك الواقفة مكانها على مقربة منهم فحياها قائلا بود :_

"كيف حالك يا دكتورة ؟!"

ابتسمت ريم وقالت:

_"الحمدلله كيف حالك يا دكتور حمدا لله على سلامتك "

تململ عبدالرحمن في وقفته قائلاً:-

"لقد أطلت الوقوف هنا يا دكتور وبالتأكيد الجدة والجد والجميع يتوعدك بالداخل "

دخلوا جميعا

سلم على والديه وإخوته ...

ثم نادته والدته وأخذته بين أحضانها مرة أخرى وهي تقول:_

"اشتقت إليك يا ولدي اشتقت إليك "

قبل شهاب رأسها ويدها وهو يقول بحنان :

_ "وأنا أيضاً يا أمي"

شاكسهم خالد قائلاً :-

"والآن بدأت أولى حلقات العشق الممنوع "

وكزه الجد بعصاه في ركبته معنفًا:_

" تأدب يا ولد صحيح عديم الحياء"

ضحك الجميع وجلسوا يتحدثون سويا فاستأذنت ريم منهم وخرجت .

مرت على حماتها بالمطبخ لتسألها:-

"تحتاجين شيئا يا أمي ؟"

هزت حماتها رأسها نفيا وقالت:-

"سلامتك حبيبتي أنا سأنادي على خالد وعبدالرحمن ليحولوا الطعام "

أومات ريم وهي تقول:_

"حسنا سأصعد أنا للأعلى"

سألتها هناء في دهشة:-

"ولم ؟! الطعام سيوضع الآن "

ابتسمت ريم قائلة بهدوء:_

"سأبدل ملابسي سريعا وأنزل"

أومأت حماتها فتركتها وصعدت سريعا للأعلى وهي تحدث نفسها:_

"اصمدي يا ريم لم يحدث شيء، لقد صادف دخولهم سويا معا بالتأكيد"

هدأت نفسها قليلا، ثم بدلت ثيابها سريعا وهبطت. كانوا قد جلسوا جميعا على الطعام بانتظارها فاعتذرت منهم وجلست بجانب زوجها وصغيرهم .

مر الغداء والذي لم يخلوا من الحديث والضحك ثم جلس الجميع يتحدث في أمور شتى

إلى أن انتبه محمد أن حفيده قد نام بعد أن شعر بثقل رأسه على صدره فقال :_

"ريم يا ابنتي لقد نام تميم "

أومأت برأسها وقامت وحملته ثم استأذنت منهم لتضعه على الفراش في الغرفة المجاورة وتمددت بجانبه فهي قد أُرهقت اليوم بما يكفي ورغما عنها سقطت بالنوم

★★★★

كان حسن جالسا بمحل عمله وانتبه أن خالد تأخر عليه اليوم فهاتفه.

اعتذر منه خالد أنه لن يستطيع الحضور لأن شهاب عمه قد حضر اليوم من الخارج..

تفهم حسن وأخبره أنه سيتولى العمل بأكمله اليوم فخالد وحسن إخوة منذ دخولهما كلية الفنون التطبيقية معا

وقد عمل حسن بإحدى معارض السيراميك الخاصة بعائلة خالد وكان خالد يشاركه العمل بنفس المعرض بجانب تجهيز كل منهم لعمله الخاص ....

على الجانب الآخر

خرج عبد الرحمن بعد ريم قاصدا حديقة البيت ليُجري بعض المكالمات التي تخص العمل فانتهزت هنا الفرصة وخرجت وراءه دون أن يلاحظها أحد .

أنهى عبدالرحمن مكالمته واستدار ليجدها بوجهه فسألها بدهشة :_

"هنا ؟خيرًا أتُريدين شيء "

هزت رأسها بتوتر ثم سألته بخفوت حزين:_

" عبدالرحمن أنت سعيد؟"

حرك رأسه بلا معنى وهو لا يدرك إلى أين تريد أن تصل

فأردفت وهي تحترق داخليا:_

" سعيد معها يا عبد الرحمن ؟!!"

يا إلهي هو ليس بغبي كي لا يدرك مقصدها ،

محاولاتها منذ أن وصلت ونظراتها لكن كل هذا خطأ!

خطأ لقد لجم مشاعره منذ أن رآها.

لم يعد من حقه لكن هي لا تساعده أبدا وبالتأكيد ريم ربما لاحظت ذلك ....

أغمض عينيه وفتحها ثم قال باقتضاب وهو يهم بالسير:-

"ليس من حقك السؤال "

"ليس من حقي!؟"

صرختها مستنكرة فالتفت إليها قائلا من بين أسنانه:_

"اخفضي صوتك ولا تنسي أن الجميع بالداخل "

لم تهتم لما يقول وهي تقترب منه مواصلة برعونة :

_"كيف ليس من حقي هل نسيت كل ما بيننا بسهولة هل أحببتها ؟"

صرخت باكية وأردفت بحرقة:_

" كله من حقي أنت الذي ليس من حقك ، كيف سمحت لامرأة غيري أن تقترب منك هكذا كما لم يقترب منك أحد؟!

أن تتزوجها وتنجب منها كل هذا كان حقي أنا

ألم نحلم بذلك سويا حتى اسم ولدك سميته كما اتفقنا على تسمية أول طفل ننجبه "

زفر أنفاسه بقوة قائلا بغضب محاولا ألا يرتفع صوته :_

"نعم يا هنا ليس من حقك حتى أن تذكريني بذلك ، لم يعد من حقك منذ اللحظة التي رفضني بها والدك وأهانني أنا الذي حتى الآن لم أنسى كلامك لي وقتها "

لم يشعر بنفسه وهو يجذبها من ذراعها مواصلاً بقسوة :_

" أنسيتي حين قلتي؟!

أنا آسفة أنت تعلم أني أحبكَ لكن والدي معه حق وهو أكثر الناس فهمًا لي ويعلم أني لن أتحملك أنت تعلم ظروف مرضك كما أنك حين تغضب لا ترى أمامك وأنا لن أتحمل ذلك فكر بعقلك وستدرك أن معي حق"

انتبه من سواد ذكرياته على دموعها التي طالما كانت أصعب شيء عليه فكاد يرق لها، لكنه دفعها ببعض العنف وتركها ودخل مسرعا .

فتحت عينيها وهي بجانب صغيرها فقد غفت قليلاً

أدركت أن هاتفها ليس معها فصعدت لتجلبه ثم تعود سريعا

لكن

وهي عائدة وجدته يفتح باب الشقة ويبدو على وجهه أنه ليس طبيعي.

اقتربت منه وهي تسأله بقلق :-

"عبدالرحمن ما بك؟"

نظر لها ثم ما لبث وضع يديه على رأسه وبدأت أعراض التعب تظهر عليه وقبل أن تتفوه بحرف كان قد وقع أمام قدميها!!!!

على الجانب الآخر

كانت تجلس في النادي تنتظره لقد استأذنت جدها و نعمات زوجته أنها ستتقابل هي و زوجها والذي مازال في حكم خطيبها في النادي لا تعلم لم حَدثَها يُخبرها أن ثمة شيء سيء سيحدث فعمر لم يتحدث معها منذ وفاة والده إلا مرات قليلة

رفعت رأسها فوجدته قادم ،تأهبت واقفة وسلمت عليه ثم جلسوا

ظل صامتا فترة فحثته رنا على الحديث قائلة بتوتر:_

"لقد أقلقتني يا عمر ماذا حدث ؟"

ابتلع ريقه وهو لا يعلم ماذا يقول ثم تنحنح قائلاً:-

"أرجوا أن تفهميني يا رنا فيما أقوله "

أومأت برأسها بتوجس ودقات قلبها تقرع كالطبول قلقاً

فأردف قائلا بلطف :_

"رنا أنتِ فتاة جميلة وابنة عائلة ومهذبة يشهد الله أن جميع الرجال تتمناكِ لكن"

صمت دقيقة ثم أردف بأسف

"أنا آسف يا رنا "

شبك كفيهِ ببعضهم وهو يقول بتردد:_

"لقد كنت مجبر على الزواج منكِ، لقد أقسم أبي إن لم أتزوجك سيغضب علي إلى أن أموت والآن "

صمت قليلا ثم واصل :_

"أبي توفى وأنا أخاف أن أظلمك معي فأنتِ تستحقين الأفضل "

أطرقت برأسها وهي تحدث نفسها بقوة

"لا تبكي يا رنا لا تبكي"

سنبكي سويا دون أن يعلم أحد ليست أول مرة يتخلى عنكِ أحدهم لقد فعلها أبواگِ من قبل

أخيراً رفعت رأسها وهي تبتسم باهتزاز قائلة :_

"لقد وصلت الرسالة يا باشمهندس وأنا أنتظر أن تَتِم إجراءات الطلاق"

أنهت حديثها وهي تأخذ حقيبتها وذهبت مسرعة

ومجرد أن التفتت انهمرت دموعها بلا هوادة

هي لا تبكيه وحده ،لا..لا..لا..لا، المسألة ليست في جرحه فقط الأمر أكبر من ذلك

غشت الدموع عينيها فحولت مسارها إلى الحمام ورفعت هاتفها لتهاتفه نعم ومن غيره حمزة الحبيب !!!

حمزة التوأم بلغة الروح، الصديق بلغة الحياة ، والأخ بلغة الواجب ، الحبيب بلغة القلب ،

والخال بلغة الدم

الفصل الثاني

انتبهت وهي بجانب صغيرها أن هاتفها ليس معها فصعدت لتجلبه، وهي عائدة وجدته يفتح باب الشقة ويبدو على وجهه أنه ليس طبيعي فاقتربت منه سائلة بقلق :-

"عبدالرحمن ما بك؟"

نظر لها ثم ما لبث وضع يديه على رأسه وبدأت أعراض التعب تظهر عليه وقبل أن تتفوه بحرف كان قد وقع أمام قدميها وبدأ جسده في الاهتزاز والارتعاش .

تداركت نفسها سريعا وجرت تجلب وسادة وضعتها تحت رأسه ثم أبعدت تلك المنضدة الصغيرة التي على مقربه منه ،

عادت إليه بتوتر ، وفتحت أزرار قميصه كي تساعده على التنفس أكثر .

ابتلت ملابسه من أسفله فعندما تكون النوبة شديدة يفقد السيطرة على مخارج الإفراز !

كانت تبتهل بداخلها في ألم أن يخفف الله عنه ، خبرتها الطبية تحتم عليها ألا تبكي على مريض لكنه زوجها ، وحبيبها كيف لا تحزن ؟!

همست لنفسها وهي ترى بلولة ملابسه:

"لا تبكِ اصمدي من أجله يجب أن يراكِ قوية كي يستمد قوته منكِ لا تدعيه يفهمك خطأ"

كانت أعراض النوبة بدأت أن تخف تدريجيا فانتبهت له بتركيز، أغمض عينيه ثم فتحها ،تلفت حوله في ارتباك حتى لا ينظر بعينيها ، فتنحنحت وهي تقول بحنانها المعهود:-

"حبيبي كنت تريد شيئا لما صعدت؟"

لم يرد عليها وهي تعلم أنه لن يرد فأردفت وهي تضحك باصطناع:-

"تعلم فعلت خير هيا بنا نهرب منهم وننام "

اعتدل جالسا فتصلب جسده وهو يشعر بالبلولة أسفله

أطرق برأسه وهو يضعها بين كفيه بعجز..

يا الله لن تبگِ ستصمد ليست المرة الأولى لن تبگِ

ربتت على كتفه وهي تقول :_

"هيا يا عبدالرحمن قم خُذ حماما حتى يساعدك على النوم وأنا أيضاً سأنام "

ساعدته على الوقوف فقام معها دون أن يتفوه بحرف ...

اصطحبته إلى الحمام وقالت :_

"ادخل وأنا سأجلب لك الثياب "

أومأ ولم يرد ثم دخل وأغلق الباب خلفه

واضعاً رأسه عليه ونزلت دموعه ، يا الله هو لا يعترض لكنه ليس بهين ،ليس بهين عليه كرجل أن تراه امرأته في وضع مذل كهذا !

أهو تذكير له من الله كي يصونها أنها بعد كل ما عانته معه لا تستحق منه حتى أن ينظر للأخرى ولو نظرة حنين خائنة..

أهو تذكير من الله أن الأخرى أخبرته أنها لن تتحمل غضبه فكيف كانت ستتحمل موقف كهذا ؟!

هز رأسه وهو يبتسم في سخرية ، ثم أدرك أنه مازال واقفا مكانه فتحرك كي يغتسل...

تركته لتجلب له ملابسه وبمجرد أن دخلت الغرفة ، جلست على الفراش ودخلت في نوبة بكاء عنيفة

كممت فمها بيدها حتى لا يصله صوتها، لقد كانت تُبكيه وتُبكي نفسها ، هي لم تتحمل أن تراه هكذا فكيف به هو قلبها يتمزق من أجله تعلم أنه ليس بهين عليه ما حدث تعلم لكنها أيضا

تُبكي نفسها قلبها ممزق نصفين نصف ينزف ألما من أجله والآخر ينزف جرحا وخوفا ،،هل رؤيته لابنة عمته هي ما جعلته يغضب؟!

هل تَذكر ما كان بينهم أم أنه ورغم تلك السنوات لم ينس من الأساس !؟

انتبهت على حالها أنها تأخرت عليه ،فهبت مسرعة للحمام الآخر غسلت وجهها ثم أخذت ثياب له من الغرفة سريعا وذهبت إليه ، طرقت الباب وقالت :_

"عبدالرحمن لقد وضعت لك الملابس على كرسي أمام الباب ثم ذهبت للمطبخ سكبت له كوب من العصير وعادت به للغرفة، وضعته على الكومودينو وبدلت ثيابها وأطفأت إنارة الغرفة حتى لا تزعجه ، جلست على الفراش ثم ما لبثت أن خبطت جبهتها بيدها ..

يا الله لقد نسيت صغيرها ،حمدت الله سرا أنه نائما بالأسفل

فاتصلت على حماتها وطلبت منها أن ينام الصغير معها اليوم وطمأنتها عليهم

بعد دقائق دخل الغرفة وهو يتحاشى النظر لها.

أخذ سجادة الصلاة وصلى ركعتين ثم تمدد على الفراش واضعا ساعده على عينيه ولم يتحدث

شعر بها تقوم من جواره فرفع يده من على عينيه وسألها بخفوت مُرهَق:-

"إلى أين ؟"

أعطته ريم كوب العصير قائلة:_

"سأتركك لتنام"

مسك يدها وصمت دقائق ثم همس :-

_ هل لي بطلب ؟!

ربتت على يده و أومأت له، فتناول العصير سريعا ثم همس بخفوت:_

"أريد أن أنام بين ذراعيكِ"

يا الله كيف لهذا الرجل أن يفجر كل مشاعر أمومتها من بضع كلمات هكذا !!

جاوبته فعليا وهي تقترب منه وتأخذه بين ذراعيها كصغيرها حاوطها هو الآخر بذراعيه فأخذت تمرر يدها عليه وتقرأ آيات الذكر الحكيم بخفوت حتى شعرت بانتظام أنفاسه

بالأسفل بعدما أغلقت هناء مع كنتها سألها الجميع عن سبب اختفائهم فقالت:_

"لقد هاتفتني ريم وقالت إنها متعبة بعض الشيء وستنام وعبدالرحمن سيظل بجوارها لأنه هو الآخر لدية عمل باكراً وطلبت مني أن ينام الصغير معي اليوم "

أومأ لها جميعاً، لكن تلك الجالسة على مقربة من جدتها كانت تشتعل ناراً .

غيرتها عليه تصور لها الأمر أنهم استغلوا وجود الكبار كي يتخلصوا من الصغير ويخلوا لهم الجو

يا الله كيف تُطفئ هذا الحريق المندلع بداخلها ؟

ليتها لم تأتِ بل ليتها لم تُحبه من الأساس كل تلك الانفعالات كانت تمر على وجهها ولم تخفى على ذلك المتابع لها منذ أن عادت بعد فترة من خروجها و اتباعها أخيه بالخارج وهي ليست على ما يرام

انتهز فرصة انشغال الجميع بالأحاديث ولفت انتباهها أن تتبعه للخارج فأومأت برأسها واتبعته للحديقة الخارجية للبيت

سألته بحيرة :-

"ماذا هناك يا خالد تريد شيء ؟"

حك رأسه بيده ثم استجمع شجاعته قائلاً بحزم:_

"ابتعدي عن أخي وزوجته يا هنا "

اتسعت عينيها في رعب وسقط قلبها بين قدميها.

أتراه سمعها مع أخيه!!

يا الله لو علم أبيها لن يرحمها!

ابتلعت ريقها وهي تقول بتردد :_

"خالد أنا.."

أشار لها بيده أن تصمت وأردف :

"أنا لا أقول ذلك يا هنا من أجل أخي فقط بل من أجلك أيضاً ،

حتى لو بداخل أخي بقايا من مشاعر دُفِنت مع الزمن تجعله لا يتصدى لكِ فستجديني أنا من أقف أمامكِ.."

ابتلع ريقه وواصل بحدة :_

" أنا لن أسمح لكِ بأي شكل أن تهدمي بيت أخي حتى لو كانت مشاعرك صادقة وحقيقة كما تزعمين يا صغيرة كل شيء مباح في الحرب والحب كما تُسكنين ضميرك هناك بالروايات والأفلام "

حاولت أن تتحدث

أن تردعه

لكن لم تقدر لا تعلم لِم فقط دموعها تنزل وهو لم يرحم ذلك

بل صمت برهة ثم قال بهدوء بعض الشيء:_

" أنا لستُ ضدك يا هنا يشهد الله أني أتمنى لكِ كل الخير ولكن بعيد عن أخي وزوجته "

"لكني أحبه"

همستها بصدق باكية وهي تنظر له من بين دموعها...

يا إلهي كيف يشرح لتلك الغبية !

تمالك نفسه حتى لا يعلوا صوته أكثر ثم قال بحدة من بين أسنانه :_

"أي حُبٍ يا غبية لقد كان أمامك وأنتِ من رفضتيه، أنا لن أنسى تلك الفترة يا هنا لقد حُجِز عبدالرحمن بالمشفى لشهرين ، ثم تأخرت حالته بعد ذلك كثيراً ، أنتِ لستِ فقط رفضتيه بعدما كان بانياً مستقبله كله عليكِ، أنتِ جعلتِ مرضه عائقاً، أين الحب في ذلك!؟

عبد الرحمن لم تتحسن حالته إلا بعد زواجه من ريم حتى نوباته مع اهتمامها به وحرصها على علاجه أخذت تقل.."

شد علي شعره بغضب ثم أردف قائلاً :_

"أنا لا أفهم أي حُبٍ هذا، الذي تدعيه وأخرى تحملت منه ما لم يتحمله بشر وإلى الآن تتحمل..

اقترب منها مُشدِداً عليها وهو يقول بلهجة لا تقبل النقاش :_

"ريم ليست مجرد زوجة أخي يا هنا، ريم أختي التي لم تُنجبها أمي وأنا أبداً لن أسمح لها بضرر بأي شكل من الأشكال "

زفر بحنق ثم أردف بتحذير قبل أن يتركها ويذهب دون انتظار ردها :_

"أتمنى أن تتحلي بالعقل وتُنصتي إلي"

دخلت بنوبة بكاء عنيفة بمجرد دخوله!

يا الله!!

لِم لا أحد يشعر بها حتى أمها رأيها من رأي خالد ابن خالها !

هل كل من يخطئ مرة سيظل عمره يعاقب عليها مثلها هكذا؟

تعلم أنها استمعت لكلام أبيها وتركته لكنها تقسم أنها تعض على أصابعها ندماً!

هي تحبه تعشقه وتحترق غيرة كلما ترى الأخرى فهو عبد الرحمن حب الطفولة وعشق الصبى لقد كانت العائلة تتغني بحبهم لِم لا يشعروا بها جميعا جففت دموعها وهي تهمس لنفسها بإصرار :_

"لا لن أتركه هو حقي ،ليس من حقها أقسم لن أكون هنا ابنة راضي إن لم أُعيده لي كاملاً"

جففت دموعها سريعا وهي تشعر بأصوات قادمة من الداخل .

التفتت فوجدتهم جميعاً ،،يبدوا أن أبويها سيرحلوا الآن وبالتأكيد خالها شهاب سيسافر هو الآخر ابتلعت ريقها وذهبت إليهم

فسألتها والدتها بحيرة:_

"هنا أين كنتِ كل ذلك الوقت !؟"

تقدمت منها قائلة ببحة :_

"لقد كنت أتحدث مع صديقتي على الهاتف "

أومأت أمها وانشغلت بالحديث معهم جميعاً.. .

سلم الجميع على بعضهم وكانت الجدة تتمسك بخالها أن يظل معهم لكنه اعتذر أنه سيُنهي عمله بالقاهرة ويأتي ليمكث معهم فترة إجازته

توجه الجميع لركوب سياراتهم وعندما همت بالركوب شعرت أن عين أحدهم مسلطة عليها ،،رفعت رأسها فوجدته ينظر لها نظرة تحذيرية لا جدل فيها وقد وصلتها جيدا !

تستيقظ في الصباح، فتح عينيه وأغمضها عدة مرات ،رفع رأسه وجدها تنام بوضعية غير مريحة يبدو أنها غفت بالأمس كما هي حتى لا تُزعجه

رفع جسده على ذراعه ،وعدل من وضعية نومها ،ثم انقلب على ظهره واضعا ذراعيه أسفل رأسه ، وتوالت عليه أحداث الأمس ...

حمد الله سرا على السراء والضراء وعليها!

ريم العزيزة لقد تحملت معه مالم يتحمله بشر قط .

لطالما تطاول عليها عند غضبه وقد كانت حليمة معه صبورة عليه ولم تُعايره يوماً بما هو فيه

انقلب على جانبه.

وهو يُفكر بأخرى كانت له كل شيء لقد كان حبهم جنوني كما كانوا... يقولون ، لقد صُدم بها صدمة عمره ، لم يكن يتوقع في أسوأ كوابيسه أن تتخلى عنه!

هي لم تخدعه يعلم ذلك لقد كانت تحبه صِدقاً،، لكن يبدوا أن حبها لم يكن بالقدر الكافي للصمود من أجله .

نفض رأسه من أفكاره وهو يتوجه بعينيه لتلك الجميلة بجواره .

جميلة الروح والوجه

اقترب منها وطبع قبلة طويلة على جبهتها ثم انتقل إلى وجنتها فتململت في نومها فظل كما هو على وضعيته لكنه توقف عما يفعل .

فتحت عينيها ببطء ،ونظرت له ثم أغمضتهم مرة أخرى وفتحتهم سريعا فسمح لها بالكاد أن تعتدل ،وهي تهمس ببحة:-

"عبدالرحمن أنت بخير؟"

أومأ برأسه وأخذ يدها لثمها ببطء ثم همس :-

"شكرا يا ريمية شكرا على كل شيء "

وضعت يدها على صدره لتبعده قليلا كي تعتدل فسمح لها .

جلست نصف جلسة وهي تلتفت له قاطبة بين حاجبيها تسأله بحيرة :-

"على ماذا الشكر ؟!"

ابتسم بارتباك وهو يقول :-

"على ماذا !؟على ما حدث أمس بالطبع "

أومات برأسها وشردت بعيدا :_

عبدالرحمن لا يشكرها علي اعتنائها به بالأمس ليست المرة الأولى ولن تكن الأخيرة

تعلم أنه يقدر صنيعها لكنه ولأول مرة يشكرها تشعر أن قريب مواراته شكر لاعتنائها به أمس

وبعيدها أعمق من ذلك أعمق إلي نقطة تصل لزائرة الأمس !أخرجها من شرودها سؤاله وهو يقول :_

"ريم فيما شردتِ ؟!"

"لا تشغل بالك فقط أريد أن أطمئن على تميم "

اقترب منها وهو يقول :_

"لا انسى تميم الآن بالتأكيد أمي تعتني به ، الآن لنا فقط واتبع قوله بالفعل ليذهبوا بعالمهم الخاص سويا "

في الصباح

هاَتف حسن خالد صديقه ليخبره أنه سيذهب للجامعة اليوم لإنهاء بعض الإجراءات الخاصة بمشروع التخرج خاصته بالإضافة أنه سيذهب ليلا للاتفاق لتصوير إحدى الأفراح فطمأنه خالد أنه سيتولى شؤون المعرض عنه اليوم

أغلق مع صديقه ثم هاتفها ليخبرها أنه سيقابلها بالجامعة اليوم في الحادية عشر .

بعد فترة وصل الجامعة وأنهى متطلباته ثم ذهب لها في مكانهم المعتاد ووجدها جالسة أتي من ورائها قائلاً :-

"صباح الخير يا وجه الخير"

هبت نهى واقفة وهي تقول :_

"حسن لقد تأخرت "

نظر بالساعة ثم قال:-

"إنها وخمسة عشر دقيقة الآن فقط ، ربع ساعة تأخير يا نهى"

سألها وهو يجلس أمامها :_

"هل أنهيتِ محاضراتك ؟!"

أومأت نهى وهي تبتسم قائلة :_

٥٥

"عندي لك خبر سعيد "

نظر لها بعينيه في تساؤل فابتسمت قائلة بابتهاج:_

"سيأتي أبي غداً من الخارج وسأحدثه عنك كي تأتي وتتقدم لي"

توتر وابتسم باهتزاز، دارت عينيه بأرجاء المكان عداها

لا يعلم ماذا يقول؟!

هو يخاف لقد كان ببر الأمان،، لكنها الآن تنقله لخطوة بقدر ما يريدها بقدر ما يخشاها...

لاحظت صمته فسألته بقلق:_

"حسن ماذا بك ؟!"

نقر بإصبعه على المنضدة قائلاً بجدية :_

"نهى ظروفي !!

صمت قليلاً وابتلع ريقه ثم واصل بقلق يسألها:_

" هل أنتِ متأكدة أن والدك سيتفهم ظروفي ويوافق "

أومأت برأسها سريعاً وهي تقول:_

"لقد أخبرتك أن أبي تفكيره متفتح لقد قضى معظم حياته بالخارج لا تخف "

أومأ برأسه في توتر ثم غير مسار الحوار عن الدراسة وأحاديث أخرى....

كان حمزة بعمله حينما آتاه هاتف رنا ،لكنه بمجرد أن سمعها تبكي ، اعتذر وذهب إليها مسرعاً..

صف سيارته وبحث بعينيه عن سيارتها حتى وجدها اقترب و نقر على الزجاج ففتحت له

وبمجرد أن جلس لم تستطع أن تصمد، كل حديثها لنفسها عن الصمود ذهب هباءًا ، دفنت رأسها بين كفيها ودخلت في موجة بكاء عنيفة مما جعله يصرخ بها هادراً :_

اهدئي وأخبريني ماذا حدث؟

و لم تهدأ بل ازدادت وتيرة بكائها ،فاستغفر الله سراً واقترب ليأخذها بين ذراعيه ، يربت عليها إلى أن بدأ بكاؤها يهدأ تدريجياً إلا من بعض شهقات تخرج بين الفنية.. والأخرى .

مسح وجهه بكفيه وأخذ زجاجة مياه من أمامه أعطاها لها كي تشرب ثم قال بهدوء وحزم :_

"اهدئي وأخبريني ماذا حدث؟!"

صمت دقيقة وسألها بوجل :_

"هل تعرض لكي أحدهم ؟"

هزت رأسها نفيا فسأل بصبر:_

" هل هاتفك أحد من والديكِ ؟"

هزت أيضاً رأسها نفيا ولم ترد...

لا إله إلا الله يا ولي الصابرين ألهمني الصبر

همسها سراً ثم قال بتريث :_

"حبيبتي أخبريني ماذا حدث؟!"

ابتلعت ريقها وهي تقول بصوتٍ باكي :_

"لقد اتفق معي عمر على الطلاق "

ثم دخلت في نوبة بكاء مرة أخرى ..

شعر أن عقله لم يستوعب ما قالت فسألها ببطيء:_

"هل قلتِ إنكِ وعمر ستطلقون أم أنني فهمت خطأ ؟!

أومأت برأسها وهي مازالت تبكي فأخذ يربت عليها ويهدهدها ولسان حاله يقول بمرارة:_

"ياربي لك حكمتك ، ما حظ تلك الفتاة، لقد شبت على الدنيا كل من أبويها لا يهتمون بها، ووحدك من قدرت

ولا اعتراض ويأتي ذلك الذي قلنا أنه عوضك لها وسيُطلقها يا ربي أقسم أنه لا اعتراض ، فقط ما بها ؟!"

يُقسم أنها أطيب فتاة رآها بخبرات عمره ليس لأنها ابنة أخته لكنها رنا الحبيبة الفطرية ،الطفلة وإن كبُرت ، والبريئة وإن أخطأت ...

شعر بثقل رأسها على كتفه فعلم أنها هربت من آلامها بالنوم ، قام بحملها ووضعها بالكنبة الخلفية ثم ركب يحرك سيارتها وهو لا يعلم كيف سيزف لوالديه الخبر هو حتى إلى الآن لا يعلم أسباب

كان عبدالحميد جدها وزوجته نعمات والدة حمزة جالسين يحتسون الشاي مع بعض الأحاديث فقاطعت نعمات حديثهم وهي تقول :_

"يا حاج لقد طالت فترة خِطبة رنا ألم يتحدث معك عمر

في تحديد ميعاد للزفاف!؟"

هز عبد الحميد رأسه نفيا وقال:_

"بالتأكيد الرجل مازال حزين على وفاة والده رحمه الله لقد كان نعم الصديق "

لوت نعمات شفتيها وهي تقول بضيق:_

_لا تؤاخذني يا حاج، لقد مر على وفاته قرابة الأربعة أشهر وكما يقولون بالأمثال" الحي أبقى من الميت"

كما أني لا أقول أن الزفاف صباحاً تلك الأمور تأخذ وقتها كم... "

قاطع حديثها صوت الباب يُفتح

فهبوا واقفين وهم يروا رنا تدخل بصحبة حمزة يبدو على وجهها إمارات البكاء والحزن...

كان عبد الحميد أول من تحدث وهو يقترب منهم معها سائلاً بقلق :_

_ماذا بكم ما الذي حدث ؟! ولم أتيتم معاً"

نظر إليه حمزة ولم يعرف ماذا يقول!

أما نعمات فاقتربت من رنا وأخذتها بين ذراعيها وهي تسألها بقلق :_

"ماذا بكِ يا حبيبتي ؟!"

تحدث حمزة أخيراً وهو يتجه نحو الداخل قائلاً:_

"دعونا نجلس أولاً فأنا لا أقدر على الوقوف"

تحركوا وجلسوا جميعاً وظلت رنا بأحضان نعمات

فسأل عبدالحميد في نفاذ صبر:_

"جلوس وجلسنا ماذا حدث أخبروني أكاد أجن ،حرك حمزة كفيه وهو يقول بخفوت:_

"عمر سيطلق رنا "

كانت ردت الفعل الأولى لنعمات وهي تخبط بيدها على مقدمة صدرها قائلة بهلع:_

"يا مصيبتي"

ثم احتضنت رنا أكثر وهي تبكي قائلة بحزن :_

"حبيبتي يا ابنتي حبيبتي لم كل ذلك ؟!"

قاطعها عبدالحميد الذي يبدو أنه للتو استوعب ما قال ابنه فسأل بحكمة ورثها من خبرته العسكرية :_

"وما الأسباب هل حدث خلاف بينهما ؟!"

هز حمزة رأسه نفيا في أسف فقد علم منها قبل صعودهم الأسباب كاملة

وهو

جزء ضئيل بداخله رغم نقمته على عمر أنه أستمر في ذلك الهزل طويلاً إلا أن جزءًا آخر يقدر أنه أنسحب قبل فوات الأوان ..

ابتلع ريقه وقال:_

" لقد اعتذر لها أن والده هو من أجبره على هذه الزيجة وأنه لا يريد أن يظلمها معه أكثر من ذلك "

قالت نعمات بغضب:_

"وهل هكذا لم يظلمها خائب الرجا أهو امرأة ليجبر ؟!"

قام عبد الحميد من مكانة ليجلس جوار حفيدته وسحبها من أحضان زوجته إلى أحضانه ،مقبلاً رأسها وهو يقول بحزن:_

"آسف أنا حقاً آسف يا ابنتي لقد سررت بتقدم ابن صديقي لكِ،ولم يطرق على فكري أنه ربما هو من أجبره أنا حقاً آسف"

دمعت عين نعمات تأثراً بحالة زوجها وانهارت رنا في بكاء عنيف بأحضانه

يا الله فقط لو لم تحبه لقد تعلقت به على غفلة منها وها هو يتركها

أما حمزة فتركهم وغادر الشقة في غضب وضغط أرقام هاتفه ليتصل برقم ما وحين فُتِح الخط لم يقل غير..

"إذا كنت رجلاً أريد أن أُقابلك في النادي بعد ساعة من الآن "

لم ينتظر سماع الرد وأغلق بوجهه..

بعد ساعة كان عمر يقف في النادي بانتظار حمزة الذي هاتفه هادراً فيه بغضب أنه يريد مقابلته

دقائق وكان حمزة يدخل النادي ،يبحث عنه وبمجرد أن رآه هجم عليه وهو يلكمه في وجهه..

تصدي له عمر قائلا بغضب :_

"حمزة كف عن التهور و اهدأ واستمع إلي "

سدد له حمزة لكمة أخرى أسقطته أرضا دون مقاومة من عمر وقال :_

"أتذكر؟! أتذكر يوم خطبتكم ماذا قلت لك ؟!
لقد قلت لك ضعها في عينيك فهي ليست بصدد جرح جديد"

ابتلع حمزة ريقه بصعوبة ،ثم هدر فيه بعنف قائلاً:_

"لِمَ يا عمر لم ؟! "

تركه عمر يخرج ما بجعبته دون مقاطعة ثم قال بهدوء:_

"دعنا نجلس أولاً"

اتبع قوله بالفعل وهو يصطحبه للجلوس رغما عنه ثم تحدث قائلاً:_

"أنت لست شخص غريب يا حمزة وبالتأكيد أنت تعرف أبي رحمه الله جيداً، لقد كان أبي يحب والدك جداً ويريد أن يفعل له أي معروف ، يشهد الله أني رفضت ليس لعيباً فيها

لكن قلبي ليس بيدي يشهد الله أني حاولت معه مراراً، ألا تتم هذه الخطبة لكنني فوجئت به ذات يوم يقول أنه فاتح والدك وأتفق معه على موعد للخطبة دون حتى أن يخبرني ،وحين أردت التمرد أقسم على أنني لن أكون ولده !

ولن يعرفني مجدداً وأنه سيحرمني من عملي ولن يجعلني أخطوا باب منزلنا طيلة عمره ،لقد ظلت أمي ليلة كاملة تبكي محايلة لي أن أفعل

فرضخت بالإضافة أني لم أحب أن أكسر كلمته أمام والدك"

ابتلع ريقه وأردف بصدق:_

يشهد الله أني طوال فترة الخطبة حاولت أن أحبها وإذا سألتها ستقول لك أني لم أسيء معاملتها يوماً وحين شعر أبي أني لست سعيداً أصر على أن نعقد القران متحججاً ستكون زوجتك وستقترب منها أكثر وتحبها وأقسم أني حاولت لكن لم أقدر ،حتى بعد وفاة أبي أيضاً حاولت مع نفسي كثيراً وصليت استخارة مراراً وعندما لم أجد بداخلي رجاءً لم أُرِد أن أظلمها أكثر وأظلم نفسي معها "...

أطرق حمزة برأسه ولسان حاله يقول في مرارة:_

" يا الله ماذا يفعل"

رغما عنه جزءاً ضئيلاً بداخله يصدقه ويقدر صنيعه ..

هز رأسه بأسف وهب واقفا يأخذ هاتفه ومفاتيحه وتركه وغادر دون حتى أن يستأذنه .....

استيقظ حسن صباحا على صوت أخيه بالدار يُخبره أن خالد صديقه اتصل على هاتفه حين وجد هاتف حسن مغلق يطلب منه أن يُقظه ويجعله يهاتفه

قام حسن وتوضأ وصلى ثم اتبع صلاته بركعتين اعتاد أن يداوم عليهم منذ أن شب حمداً لله على ما هو فيه، فهو أفضل من غيره الذين في نفس ظروفه كثيراً .

لقد كان نصيبه أن نشأ في دار للأيتام خاصة يتولى الصرف عليها رجل ثري من أغنى أغنياء البلد كما سمعوا عنه .

وهم بالدار يتولون شؤن الطفل منذ مجيئه حتى تخرجه من الجامعة.

يتمتع بأفضل الطعام والشراب والملبس ، ومن أراد منهم الزواج دون مواصلة دراسته يساعدوه ومن أراد مواصلة دراسته يسمحوا له ويساعدوهم في إيجاد عمل أو فتح مشاريع صغيرة خاصة بهم ويظلوا ورائهم إلى أن يقفوا على أقدامهم ،وهم أيضاً من ساعدوه في دخول الجامعة وشراء كاميرا تصوير تُدِر عليه دخلاً والعيش عيشةً كريمة عن غيره إلى حدٍ ما ..

سلم من صلاته وتناول إفطاره مع إخوته بالدار ثم ارتدى ملابسه ونزل للأسفل وحين خرج للشارع هاتف خالد أنه في طريقه إلى المعرض ...

مركز

(Hold My hand)

لتمسك بيدي

"صاحبه الدكتور شهاب البرعي للأمراض النفسية والعصبية والتنمية البشرية"

كان شهاب جالساً بمكتبه ينهي بعض التقارير الخاصة ببعض الحالات المتابعة معه ، ضغط الجرس فدخلت عليه ملك مساعدته الخاصة وتقدمت منه قائلة:_

"نعم يا دكتور"

رفع رأسه عن الأوراق وهو يمسد بين عينيه في إرهاق ثم أشار لها بالجلوس قائلاً:_

" أخبريني يا ملك كيف كان حال العمل بالمركز الفترة الماضية "

جلست على المقعد أمام مكتبه قائلة :_

"لا تقلق يا دكتور لقد كان يقوم كل طبيب بعمله على أكمل وجه وقد تحسنت كثير من الحالات الخاصة بالمركز الفترة الماضية "

"جيد"

قالها مبتسما ًثم شبك كفيه يسألها باهتمام :_

" وكيف حال العمل بالمكتبة "

"جيد لقد كنت أهاتفهم يومياً لأُتابع سير العمل هناك كما أمرتني وقد كانوا يقومون بواجبهم أيضا على أكمل وجه "

"ممتاز"

قالها بامتنان ثم أردف:_

"من فضلك يا ملك هاتفي طلابي وأخبريهم أن اجتماعنا سيكون غداً بالمكتبة لأنني سأسافر البلدة بعد الغد صباحا "

أومأت برأسها وهي تستقيم واقفة ثم سألته :_

"أتريد شيئاً آخر يا دكتور ؟! "

هو رأسه نفياً ثم ابتسم يسألها ً :_

" وأنتِ كيف حال دراستك يا ملك ؟!"

"بخير الحمدلله يا دكتور "

سألها باهتمام :_

"ووالدتك وإخوتك "

أومأت برأسها وهي تقول مبتسمة:_

" جميعنا بأفضل حال الحمدلله"

هز رأسه قائلاً بعملية :_

"حسنا يا ملك تفضلي لمتابعة عملك"

خرجت من عنده وأغلقت الباب خلفها ثم قالت بحالمية :_

" يا إلهي ما هذا الرجل أمازال هناك رجال بكل تلك الجاذبية والروعة "

بعد وصول والدها بيومين

طرقت عليه غرفة المكتب فسمح لها بالدخول

دخلت وأغلقت الباب خلفها وظلت متسمرة مكانها فابتسم قائلاً :_

"يبدو أن الأميرة تريد شيئا "

ضحكت نهى وهي تتقدم منه قائلة :_

"المصيبة أنك تفهمني"

ثم اتبعت قولها وأرفت بدلال :_

"ياسين حبيبي هل لي بطلب "

ضحك قائلاً بحنان :_

"أميرة ياسين تطلب ما تريد"

ابتهجت وتقدمت لتجلس على سطح المكتب أمامه ثم قالت بخجل :_

"لا أعرف من أين أبدأ"

"ابدئي من حيث تريدين "

أغمضت عينيها وهي تقول مسرعة :_

"أبي أحد زملائي يريد التقدم لي "

اعتدل ياسين وهو يقول في جدية :_

"وما المشكلة في ذلك اجعليه يهاتفني وأنا سأحدد موعد معه ليأتي هو وأسرته ويفعل الله ما يشاء "

" أه.. أسرته المشكلة في أسرته تلك أنت بذلك تصعبها علي يا ياسين"

همست بداخلها ثم استجمعت شجاعتها وقالت :_

" المشكلة أنه ليس لديه أسرة يا أبي"

قطب بين حاجبيه بحيرة وهو يقول بتساؤل:_

"كيف ؟أتعني أنهم متوفيون!!"

هز كتفيه وأردف:_

"أيضا ليس هناك مشكلة،، ليأتي بأحد من أهله المهم أن يكون شخصا جيداً"

أسرعت تقول بلهفة:_

"جيد جداً يا أبي"

ثم عضت على شفتها وهي تقول بخفوت وتوتر:___

"لكن "

قاطعها والدها يسألها بحيرة :_

"لكن؟"

أومأت برأسها في أسف و قالت مسرعة قبل أن تخونها شجاعتها :_

" أبي هو لقيط وتربي بدارٍ للأيتام "

"ماذا؟!"

قالها والدها بحدة وهو يهب واقفاً

فوقفت أمامه وهي تقول بلهفة وتوسل :_

"أبي افهمني "

أشاح بكفه قائلاً ببوادر غضب:_

"أفهم ماذا وهل تركتي فرصة للفهم ؟!"

تغضن جبينها قائلة برجاء:_

"أبي فقط استمع لي ثم احكم "

"ليس عندي مجال لأسمع لأنه لن يكون هناك مجال للنقاش الأمر مرفوض يا نهى تفضلي الآن "

لم يعطيها فرصة أخرى للحديث فتركته وخرجت مسرعة وهي تبكي..!

الفصل الثالث

بعد عدة أيام

جالسة بغرفتها ، لا تشعر بطعمٍ للحياة لقد اتخذت عمر قشة النجاة التي ستنقذها من براثن الحياة المؤلمة ، لا تعلم لم حتى لا تستطيع الكلام مع أحد ولا تريد ...

حاول معها جدها مراراً وكذلك نعمات وأيضاً نهي لا تمر ساعة دون أن تُهاتفهم تريد أن تحدثها لكنها ترفض، حتي حمزة الحبيب تشعر أنها لا تريد الحديث معه .

انكمشت علي نفسها وهي تفكر أن حتي وحدتها تلك تخاف منها فهي تخاف أن تعود لذنبها القديم بل مرعوبة من ذلك..

لقد رزقها الله التوبة وتخشي أن تعود ، لكن يعود شيطان نفسها يوسوس لها أن ذاك العالم الذي تركته كان ملاذاً لها للهرب كي تنسى كل ما هو حولها وبلحظة ضعف بشري خالص سحبت هاتفها من جوارها وغطت نفسها من رأسها لأخمص قدميها

وخطت أول خطوة نحو غَيها القديم ،ولا تعلم أن الخطيئة هوة سحيقة إذا ذلت بها أقدامنا أخذتنا لبئرٍ سحيق من الأخطاء!!!

_____&_____&_____

_

تجلس بغرفتها تبكي حظين !!

حظها العثر الذي جعل والدها ولأول مرة يرفض لها أمر وأي أمر!!!

وحظ توأم روحها رنا الجميلة ،لقد صُدِمت حين علمت الخبر من نعمات زوجة جد رنا

فهي أكثر الناس علماً كيف كانت رنا تعلق الآمال علي ذاك الُعمر وكأنه طوق النجاة لها لتعيش عالمها الخاص،

زفرت بحنق وهي تمسح دموعها وتنظر لهاتفها منذ أن أخبرت حسن بعودة والدها وهو متوتر فماذا لو علم رأي والدها ؟!

هي لم تكن تتوقع من والدها أبداً الرفض وهذا الذي شجعها علي أن تقترب منه أكثر

حسن الحبيب والذي جذبها إليه شهامته ورجولته ، غضه لبصره، وتفوقه الدراسي، كل هذا شجعها أن تقترب منه ،نعم فكانت هي أول من اقتربت، أول من اعترف بالحب ، وأول من تمسك بالعلاقة ، أمسكت هاتفها وحاولت الاتصال به لكنه كالعادة مؤخرا وجدت هاتفه مغلق..

_____&_____&_____

عادت من المشفى وجدت ، صغيرها يلعب مع عمه بجوار الجدة

ألقت السلام عليهم فهب تميم جريا علي والدته مجرد أن سمع صوتها ،،ضحكت وهي ترفعه علي ذراعها وتقبله بحنان

رد لها الصغير قبلتيها وهو يقول:_

"اشتقت لكِ يا ريمي"

أنزلته أرضاً قائلة بحنان :_

"وأنا اشتقت لك أكثر منك "

اقتربت وقبلت الجدة وألقت التحية على خالد وجلست معهم

فسألتها الجدة:_

" ألم يذهب زوجك للعمل اليوم يا صغيرتي؟"

قطبت بين حاجبيها في دهشة وقالت:_
"لم يا جدتي لقد نزل عبدالرحمن عمله اليوم من السابعة"

هزت الجدة رأسها نفيا وقالت :_
"كيف يا حبيبتي لقد ألقى علي زوجك تحية الصباح في العاشرة كما أنه شرب قهوته وجلس ليتحدث معي برهة ثم استأذن مني وصعد ليرتاح "

توترت ريم فابتسمت باهتزاز وهي تهب واقفة قائلة :_
_ إذاً سأصعد له فيبدو أنه غير رأيه ولم يذهب للعمل "
أومأت الجدة برأسها فالتفتت لصغيرها قائلة :_
"هيا يا تميم اصعد معي "

"اتركيه يا ريم لقد كنا نلعب سويا " قالها خالد وهو يتقدم منهم

فابتسمت وهي تلتفت إليه قائلة:_

"معذرة يا خالد لو تركته لن يتناول طعامه وكذلك عليه اتمام واجباته "

اومأ برأسه وقبل الصغير وهو يقول :_

"إذاً اذهب يا بطل وليلاً سنلعب "

_____&_____&_____

دخلت الشقة هي وصغيرها ثم التفتت له وقالت :_

"اذهب يا حبيبي لغرفتك وبدل ملابسك فقد اتسخت،إلي أن أبدل ملابسي أنا الأخرى"

صفق تميم وهو يركض إلي غرفته قائلاً بحلاوة:_

"حسنا يا ريمي"

تابعت صغيرها بعينيها إلي أن دخل غرفته ، ثم دخلت غرفتهم هي الأخرى فوجدته جالساً علي الفراش ،

رفع رأسه بمجرد دخولها وقال:_

"حمدلله علي سلامتك "

"سلمك الله " قالتها وهي تخلع حجابها أمام المرأة ثم سألته بحيرة:_

" ألم تنزل صباحا للعمل ؟"

والرد لم يأتي سوي مقتضباً لا يُسمِن ولا يغني من فضول

"نعم "

أومأت يرأسها وشرعت في تبديل ملابسها وهي تسأله:_

"إذاً لم عدت لقد قالت الجدة أنك أخذت القهوة معها في العاشرة !؟"

وخير وسيلة للدفاع الهجوم وهو يهب واقفاً قائلاً بغضب

"أهو تحقيق؟!"

كانت قد فرغت من تبديل ملابسها فالتفتت إليه قائلة بهدوء :_

"ليس تحقيق يا عبدالرحمن وأنت تعلم لكني لا أحب المراوغة لِم لَم تذهب للمكتب ؟!"

توتر وهو يحك أذنيه قائلاً بارتباكٍ جلي :_

"فقط شعرت أن مزاجي ليس علي ما يرام "

"ومنذ متي؟!"

نظر لها بتساؤل عن قصدها فأردفت بجدية :_
"منذ متي تربط مزاجك بالعمل ؟!"

أشاح برأسه قائلاً بحدة كي يغلق عليها باب الحوار:_
"منذ الآن يا ريم "

قبل أن ترد عليه كان تميم يطرق الباب ثم فتحه ودخل واقفاً بجوارها وهو يقول ببراءة :_
"أمي أنا أريدك بموضوع "
عاتبته وهي تقول بعتاب حنون مُشيرة لوالده:_
"ألن تلقي التحية علي بابا اولاً"

اقترب من والده يقبله وهو يقول ببراءة طفولية :_
"آسف يا أمي"
ابتسمت وهي تجلس علي حافة الفراش قائلة بحلاوة :_
" وما هو الموضوع المهم يا سيدي الصغير "

جلس الصغير أمامها وهو يضع يديه علي ذقنه وكأنه يفكر ثم لوي شفتيه ببؤس حزين وقال :_
"انا أشتهي كعكة الشوكولاتة "

قبل أن ترد عليه كان عبدالرحمن يرد بحدة خرجت رغما عنه :_

" أنسيت أن الطبيب منعك منها كيف تطلبها ،ليس هناك كعك ولا غيره قم واذهب لأداء واجباتك هيا"

"اصبري يا ريم لا تنفجري اصبري"

همست لنفسها ثم استدارت بابتسامة متعاطفة لصغيرها الذي تعلم تمام العلم أن حزنه الآن ليس علي الكعكة بل علي والده الذي كسر بخاطره ،لذا أخذته بأحضانها وهي تقول بحنان :_

"ألم نتفق أن الشوكولاتة مرة واحدة كل فترة كبيرة كي لا تتعب "

اومأ الصغير بحزن وهو يدفن رأسه بأحضانها ،فقالت بمهادنه:_

"أتريد أن تبكي ريم وتحزن لمرضك"

هز رأسه نفيا في حزن فشددت من احتضانها له وقالت :_

"وريم أيضاً لا تريد لحبيبها أن يبكي ثم رفعت عينيها في تحذير لذاك الواقف يراقبهم في غيظ وأردفت:_

" لذا سأصنع لك كعكة الشوكولاتة بيدي لأنك تستمع إلي حديثي ولا تجلبها من ورائي "

صفق الصغير بيديه وهو ينقض عليها يقبلها ،فضحكت وهي تقلبه علي ظهره وتقبله قائلة بشقاوة تشبهه:_

" يا إلهي لا أعلم كيف لا أصبر عليك ولا ألتهمك لقد رزقني الله بقطعة من القشطة "

ظلت تداعبه ويضحك إلي أن صمت الاثنين علي صوته وهو يقول بحدة :_

"كفى"

شددت علي الصغير بأحضانها واستدارت إليه رافعة أحد حاجبيها في استفهام فقال بارتباك:_

"أقصد "

"نعم أقصد أني أشعر بالجوع ألن نتناول الغداء"

صمتت لدقائق ثم قالت بهدوء:_

"لقد طلبت طعام من الخارج وأعتقد أنه سيصل قريبا "

اومأ برأسه وأخذ الصغير بين ذراعيه وقبله في اعتذار صامت منه فرد له الصغير قبلتيه ببراءة ثم فر جاريا وهو يقول:_
" سأذهب يا أمي لألون بألواني إلي أن يأتي الطعام "
أومأت برأسها فخرج مُغلقاً الباب خلفه، واستقامت هي دون أن توجه له حديث متجهة للمرأة تمشط شعرها
فأسرع ورائها ، يعبث بشعره مرتبكاً ثم أدارها إليه وهو يقول بندم :_
"آسف لو أغضبتك "

تنهدت ثم قالت بقنوط:_
" لا بأس لكن تميم يا عبدالرحمن أنت تعلم تميم شديد الحساسية، وهو يحبك كثيراً لا أريده أن يبتعد عنك "

اومأ برأسه واحتضنها ثم دفن وجهه بعنقها وهو يشدد من احتضانه لها، لقد بدأ يندهش من نفسه في الآونة الأخيرة أصبح شديد الأنانية في كل ما يخصها وكأن إفراطها في دلاله جعلها ملكية حصرية ، طبع عدة قبلات علي عنقها وهو يعترف لنفسه أنه يغار عليها يغار وبشده حتي من صغيره...

_____&_____&_____

كانت تجلس علي سطح منزلهم وهي تبكي ،لا تعلم ماذا تفعل تشعر أنها ممزقة لنصفين ، لكن الغالب حبها له لقد كبرت منذ الصغر علي حبه،
ابتسمت بمرارة وهي تتذكر حينما كانوا يتجمعون جميعا للعب
كانت هي وهو يتسللون خفيه ليظلوا معا وكأن خيطا رفيعاً يربط بين روحيهما...
قبل حتي أن يُدركا أنه الحب، هبطت دموعها وهي تتذكر الشوكولاتة التي كان يهديها لها عقب كل نجاح ، كيف كان يدللها وينظر لها وكأنها الفتاة الوحيدة بالعالم ،

نار... نار حارقة بين أحشائها كلما تذكرت أنه أصبح ملكا لأخري حظت منه اكثر حتى مما حظت هي فيه !!

أصبح لها أكثر منها فيه،،ابتسمت بسخرية ولسان حالها يقول:_

"وهل ظل لي به شيء !!"

حتي أنه رد علي اتصالها صباحاً لأنه لا يعرف الرقم وحين علم أنها هي أخبرها بلهجة حادة قاسية ألا تُعيد الاتصال به أبداً ،

لكن عاد شيطان نفسها يسول لها من جديد أنه حقها وإن أضاعته مره لن تُعيدها ثانية ولن تجعل الأخرى تفوز به وإن كانت زوجته بل وإن كانت أم طفله !

&

كان حسن وخالد بالمعرض سوياً فلاحظ الأخير شرود صديقه وتوتره وأن ثمة شيء به فاقترب منه يسأله باهتمام:_

"حسن ماذا بك؟!"

رفع حسن رأسه وهو يقول :_

"عفوا يا خالد ماذا قلت؟!"
"أقول ماذا بك منذ يومين وأنت شارداً ولست هنا "

هو رأسه قائلاً :_
"لا تقلق ليس بشيء مهم"

"حسن لا تلف وتدور قل مباشرة ماذا بك ؟"

تنهد حسن في هم ثم قال:_
"نهي "
رفع خالد حاجبيه باستهجان قائلاً بسخرية :_
"أفادكم الله "
ثم جز علي أسنانه وهو يقول بغيظ :_
"يابني آدم قل ماذا بك ؟!"

تمتم حسن أخيراً قائلاً:_
"لقد أخبرتني نهي بقدوم والدها وأنها ستتحدث معه
في تقدمي لخطبتها "

قال خالد بغباء منقطع النظير بالنسبة لحسن :_
"وماذا في ذلك فمن المفترض أن تفرح "

" من المفترض تلك لأي شخص"
نقر بسبابته علي سطح المكتب ثم أردف ببؤس وقلة حيلة :_

" أما أنا فماذا سأقول له ،أنا لقيط وأتقدم لخطبة ابنتك!"

تأثر لحال صديقه لكنه لم يظهر ذلك وربت علي كتفه قائلاً بدعم :_

" أنا لا أجد شيئا يعيبك أنت لم تخلق نفسك ،وضعك هذا شيء ليس لك يداً فيه بل أنت فخراً لأي أحد بما وصلت له بنفسك"

حديثه رفع روح حسن المعنوية، لطالما كان خالد الأخ والسند له فربت علي كتفه وهو يقول بامتنان:_
"أدامك الله لي يا خالد "

نفض خالد شيئا وهميا من علي سترته وهو يعدل ياقته في غرور مصطنع قائلاً بمشاكسة :_

"لا أعلم من غيري ماذا كنت فعلت حقا أنا نجدة الله لك من السماء "

_____&_____

دار أصدقاء الكتب

كان طلاب شهاب أو أصدقائه كما يطلق عليهم جالسين في انتظاره ،يتخلل جلستهم الأحاديث والمرح فعندما تدخل ذلك المكان ينشرح قلبك فوراً، تجده بابٍ من الزجاج ،يستقبلك هواء المكيف مع الموسيقي الهادئة ،وتجد علي يسارك مطبخ علي الطراز الأمريكي المطل علي داخل المكتبة يُحضر به جميع أنواع
المشروبات الساخنة بل والمثلجة ،
أمامه استراحة تتكون من أريكة ومقعدين من الجلد ، ثم علي يمينك تجد أرفف مختلفة الألوان للكتب المختلفة الإنجليزية والعربية تحيط بك إلي نهاية المكتبة

تتقدم للداخل فتجد عدد من الطاولات الصغيرة الملونة المرصوصة بعناية كما تجذبك أيضاً بهجة

الألوان وتصطدم في الأمام بباب مغلق يبدو أنه الصومعة الخاصة بصاحبها...

_____&_____&_____

عاد إلي المنزل ليلاً فوجدهم جميعاً يجلسون سوياً أخيه وزوجته ،والده ووالدته والجد والجدة وكذلك شهاب ،ألقي التحية وجلس معهم يتحدثوا جميعاً وبعد انتهاء السهرة جلس هو وشهاب بالحديقة ابتسم كلاً منهم بحنين وكان خالد أول من تحدث قائلاً:_

"تذكر لطالما اجتمعنا سوياً هنا أنا وأنت وعبدالرحمن وأنس وهنا وغدي "
ضحك شهاب وهو يومأ برأسه ، فأردف خالد بابتسامة:_

" حتي ياسين الصغير أخو هنا منذ أن وعى وتعلق بك هو الآخر وأصبح يصر علي السهر معنا"
هز رأسه مبتسما للذكري ثم أردف بغيظ:_
" لم تسمح لأحد منا يوما أن يناديك بالعم "

حرك شهاب حاجبيه وهو يقول بمشاكسة :_
"أشم رائحة غيرة هُنا هل تغار لأني أكبُرك عمراً
لكني أصبي منك صحيح ؟"
ضحك خالد قائلاً :_
"بحق الله أنت تكبر عبدالرحمن بثلاثة أعوام فقط "
أردف بشقاوة وهو يحرك حاجبيه :_

"لا أعلم حقا كيف فعلها الجد والجدة لقد كنت خطأ
لا يمكن إصلاحه يا شهاب "
ضحك شهاب بشدة قائلا بتعنيف:_
"أصمت يا وقح"

ضحك خالد هو الآخر فسأله شهاب :_

"هل أنهيت إجراءات التخرج الخاصة بك ؟!"

اومأ خالد برأسه وهو يقول :_
"في طورها للانتهاء "
هز رأسه في تفهم ثم سأله
"وعلي ماذا تنوي ؟!"
فرد كفيه قائلاً بحيرة :_

"لا أعلم حتي أن المبلغ الذي بحوزتي لا يكفي
لافتتاح شركة صغيرة "
رفع شهاب حاجبه وهو يقول باهتمام :_
"تريد فتح شركة للإعلان فكرة ممتازة أستطيع أن
أشاركك إذا أردت"

التفت إليه خالد بحماس قائلاً بابتهاج:_
"حقا يا شهاب؟!"

اومأ برأسه وهو يقول بجدية :_
"نعم لكن يجب أن ندرس الموضوع جيداً أولا كما
أني أقترح لو تتدرب في إحدى الشركات حتي
تكتسب الخبرة"

مط شفتيه قائلاً بحيرة :_

"فكرت بذلك لكن ليس برأسي شركة بعينها "

"اترك لي الأمر "

اومأ خالد برأسه وأطرق لثواني ثم استجمع شجاعته
وقال :_

"كنت أريد أن أصارحك بشيء "

قال شهاب وهو يقف فوقف خالد معه :_

" أنا جائع دعنا نذهب لنشتري طعام ونتحدث في الطريق"

كانوا قد وصلوا للبوابة الخارجية فقال شهاب:_
"أريد أن أسير علي قدمي لا داعي للسيارة "

اومأ خالد وهو يسير بجواره فسأله :_
" إذا ما الأمر ؟!"

"هَنا يا شهاب"
قالها باقتضاب وهو يركل إحدى الحصى بقدميه
فالتفت إليه شهاب وهو يسأله بحيرة:_
"ما بها هنا؟!"

"في اليوم الذي أتيت أنت فيه من السفر ،طوال اليوم عينيها لم تغفل عن عبد الرحمن ،لقد ظلت تتابعه حتي سنحت لها الفرصة حين خرج للحديقة وخرجت وراءه فتتبعتها دون أن تشعر واستمعت

إلي الحديث الذي دار بينهم لقد كانت تطلب وصاله
من جديد حتي أنها بكت تستعطفه .."

نظر إليه شهاب في اهتمام يريد منه مواصلة حديثه
لكن قبلا سأله :_
" وماذا كانت ردة فعل أخيك"

ابتسم خالد بسخرية وهو يقول:_
"لقد كان يصدها ظاهرياً حتي أنه حين شعر
بضعف نفسه احتد عليها وتركها وغادر "

هز شهاب كتفيه قائلاً بحيرة :_

"لا أعلم يا خالد لقد ظننتها اختفت الفترة الماضية
وسافرت لترتيب حياتها من جديد وبالأخص أنها
هي التي أخرجته من حياتها ولم تستمع إلى أحدٍ
منا، حتي أنا لم تعد معي كالسابق"

أومأ خالد برأسه قائلاً بسخرية :_

" من الظاهر لي أنها تريد إعادة الوصل بينهم وبقوة حتي أنني وبختها لكنها "هنا" كما تعرف لا تستمع إلا لنفسها "

هز شهاب رأسه نافياً وهو يقول:_

" المشكلة الحقيقية أن ابنة عمتك ذكية ولا أحد يتوقع خطوتها القادمة، دعنا ننتظر إلي أن يظهر الله شيء يجعلنا نتدخل فأنا لا أريد تضخيم الأمور من الآن حتي لا تصل إلي زوجته "

هز خالد رأسه وهو يسير بجواره لكن قلبه يخبره أن القادم أسوأ

_____&_____&_____

—

منزل اللواء عبد الحميد

كان حمزة يجلس بصحبة والدته يتحدثون ، فقالت نعمات بحزن:

"يا بني أنا قلقة بشأن رنا كثيراً ، البنت أصبحت كثيرة الشرود والانطواء لم لا تحاول معها؟ "

"أمي علي يدك لقد حاولت معها مرارا أن تتحدث لكنها لا تفعل ،أتظني أنه من السهل علي أن أراها هكذا إنها رنا يا أمي رنا الصغيرة ،لقد كبرت على أنها أختي الصغيرة وليس أنها ابنة أختي، لطالما كنا أصدقاء قبل أن نكون إخوة .."

أصدرت نعمات صوتا بلسانها قائلة بحسرة:_

"صدقت يا قلب أمك لقد كنتم كالتوأم لا تفترقوا إلا عند النوم لكنها ومنذ أن طُلِقت من ذلك المدعو عمر وهي وكأنها تبدلت بأخري "

هز رأسه قائلاً:_
"لقد علمت أن ياسر الجوهري مستقر بمصر هذه الايام "

انتبهت إليه قائلة بأمل:_

" ولما لا تتحدث معه يا حمزة هو بالأخير والدها وربما يحن قلبه عليها إذا علم بما حدث "

ابتسم حمزة بسخرية وقال :_

"أتظني أن ياسر الجوهري تخفي عليه خافية ثم من الذي يحن قلبه ؟!
وإذا كان له قلب من الأساس هل كان تركها كل تلك السنوات!!"

اومأت برأسها في حسرة وهي تقول:_

"صدقت يا حبيبي أنا لا أعلم مما خلق هذا الرجل لقد كان متزوج من امرأة قبل أختك وأنجب منها طفل وطلقها ثم مات الطفل وهو ابن شهور قليلة وبعدها تقدم و تزوج أختك ثم أقل من العام وطلقها دون أسباب ولم يتزوج بعدها حتي إلي الآن "
قطب بين حاجبيه وهو يسألها باهتمام :_

" أنا لأول مرة أستمع لقصة زواجه الأولي تلك وكيف يوافق أبي علي رجل بهذه السمعة !"

عندما سألت والدك نفس السؤال قال أنه لم يذكر له شيء سيء فكثير من الرجال يتزوجون ولم يُوفقوا

مع زوجاتهم ويرزقهم الله بأخريات يقضوا معهم
بقية العمر دون مشاكل "

مط شفتيه قائلاً بسخرية:_

"يبدوا أنه يعاني من رهاب الزواج "

صمت لدقائق ثم أردف بدهشة :_

"الغريب يا أمي أنه يُضرب به المثل في النزاهة
والخُلق رغم ثرائه الفاحش "
خبطت باطن أحد كفيها بظهر الآخر قائلة :_

" يهدي من يشاء يا حبيبي لكن ما يثير حيرتي حقا
أن زياراته لابنته نادرة وحتي سؤاله عنها"

"وما يزيد الأمر سوءاً نجلاء يا أمي إنها لا تهتم
لأمرها، فقط أسئلة روتينية لا تسمن من اهتمام ولا
تغني من عاطفة، لو لم أري بعيني كيف تعتني بنور
وعمار أولادها من رأفت لقُلت أنها تُعاني من قسوة
بالقلب أو أنها ليس لها قلب من الأساس"

تنهدت قائلة بهم :_

"يعلم الله أني أدعوه في كل سجده أن يهديها لها ثم قل..."

قطعت حديثها وهي تجد رنا تطرق الباب وتدخل عليهم في هدوء
فابتهجت وهي تقول:_

"يا قلب أمك تعالي اجلسي بجواري "

جلست رنا بجوارها ثم قالت وهي توجه حديثها لخالها:_

"كيف حالك يا حمزة لم أراك ليومين ؟!"

قال بحزن مصطنع:_
"لو كنتِ اهتممتِ لأمري لرأيتني ،،لكن شكراً فالاهتمام لا يُطلب"
ابتسمت بشحوب قائلة:_

"وهل أقدر يا رجل ولأُثبت لك قل لي أي أمر تريده مني وسأنفذه دون مناقشة"

قال وهو يلاعب حاجبية:_

" أنا أفكر منذ فترة أن أجعلك ذراعي اليمين في العمل "

ردت عليه بحنق مفتعل تجاريه:_

"وكيف يا عيني هل سأُغير الحفاضات للأطفال الذين يُولدوا علي يديك أم سأغلي لك الماء الساخن "

قال بجدية مصطنعة:_

" لا يا خفيفة الظل بل ستقومين بالتنظيف عقب كل عملية أقوم بها "

رمت عليه الوسادة بجانبها بغيظ فصدها بيده وهو ضاحكاً وهو يقول :_

"اهدئي يا مجنونة حسناً سأطلب بجدية ما رأيك بأن ندخل للمطبخ سويا ونقوم بعمل وجبة كريب مثل ما كنا نفعل دوماً"

ردت بابتهاج حقيقي أرضاه :_

" موافقة هيا بنا "

ابتسمت نعمات من ولدها الذي تعلم تمام العلم كم يريد أن يُخرج رنا من جو الحزن الذي دخلت به ثم التفتت على صوته يقول:_

فقط سنبحث علي الإنترنت عن بعض المقادير التي تجعلها أشهى واتبع قوله بسحب هاتفها من أمامها لكنه وجده لا يفتح معه ،فرفع رأسه قائلاً بدهشة:

"هل غيرتي كلمة السر ؟!"

توترت رنا وابتسمت باهتزاز وهي تقول :_

"نعم لقد غيرتها "

مد لها الهاتف قائلاً :_

"افتحيه إذاً"

قالت بتوتر وهي تأخذ الهاتف منه:_

"ليس بالمهم لقد تعلمت طريقة جديدة للتومية "

قالتها وحمدت الله سرا أنها تعلم طريقة مختلفة لها

فنظر لها بتعجب لكنه حرك كتفيه قائلاً وهو يتجه للخارج :_

"إذا هيا لنبدأ المعركة !"

_____&_____&_____

صباحا

استيقظت وأدت فرضها ثم جهزت الإفطار لصغيرها وأيقظته وجهزته ليذهب للروضة ، ثم هاتفت خالد كي يقابله علي السُلَم ليقوده حيث الحافلة ويطمئن علي ركوبه

أغلقت مع خالد وسكبت كوب من اللبن وضعت به التمر ثم ذهبت للغرفة وبدلت ملابسها ثم أيقظته وتركته كي يؤدي فرضه ويبدل ملابسه وذهبت هي لإحضار الإفطار

بعد برهة كان قد انتهي دخل عليها المطبخ يلقي عليها تحية الصباح :_

"صباح الخير "

رفعت رأسها إليه وابتسمت ترد عليه تحيته ثم سألته باهتمام :-

"هل تناولت أدويتك ؟!"

أومأ برأسه وهو يسحب مقعداً ويجلس أمامها ثم سألها وهو يبدأ في تناول إفطاره:_
"هل ذهب تميم للروضة؟!"

أومأت برأسها وناولته كوب الحليب بالتمر وهي تقول:_

"أنا سأذهب عند أمي اليوم يا عبدالرحمن وسآخذ تميم أيضاً"
ابتلع طعامه ثم سألها:_
"هل أمر عليكِ وأنا عائد من المكتب لآخذكم "
هزت رأسها نفياً وقالت:_
"لا مُر علينا ليلاً فمصطفي وزوجته سيقضون اليوم هناك وأنا سأقضيه معهم "
انتابه الضيق لكنه أخفاه وهو يسألها ببرود:_

"ألم تقضي يوما كاملا أنتِ ومصطفي منذ أيام قليلة "

رفعت أحد حاجبيها تسأله بجدية :_
"ماذا تقصد يا عبدالرحمن؟!"

"لم أقصد شيء فقط ... "
وقبل أن يواصل حديثة قاطعه صوت وصول رسالة علي هاتفه
فتحها ظنا أنها تخص العمل لكنه وجد
"صباح الخير يا حبيبي حتي وإن لم ترد على يكفيني أنك رأيتها فقد افتقدت صباحي بدونك "

لاحظت ريم توتره وأنه أطال النظر بالهاتف
فشبكت كفيها تسأله :_
"ماذا بك هل من شيء سيء ؟"
هز رأسه نفياً قائلاً وهو يقف ويضع الهاتف بجيب سترته مما أثار ريبتها:_

"لا ليس بشيء مهم سأسبقك للسيارة"

لم يمهلها ثم تركها وخرج
زفرت ريم بخفوت وهي تحدث نفسها:_
"وماذا بعد يا عبد الرحمن أخاف عليك وأخاف منك وخوفي عليك أكبر"

___&&_____&&_____

سبقها إلي الأسفل ودخل سيارته
أدار المقود مستنداً برأسه عليه ولسان حاله يقول:_

"يا الله إلي أين تريد أن تصل تلك المجنونة ، هو بالكاد كان في طريقه للتعافي من ذكراها "
خبط برأسه علي المقود في غيظ لقد سأم نفسه ولم يعد يفهمها ، ضميره يستحلفه ليصمد ويتصدى لها يؤنبه حتي من مجرد التفكير في أخرى وقد وهبه الله ذلك الملاك الذي ينتظره ،جزء من قلبه منتشي بندم الأخرى وكأنه بهذا يثأر لكرامته يريدها أن تندم أكثر أن تذوق مرارة فراقه .
لكن إلي أي مدى سيأخذه انتشائه بندمها!!!!.

___&&_____&&_____

___

دخل حسن كليته وهو يبحث عن خالد بعينيه حتى وجده يقف مع مجموعة من البنات يتحدثون فأشار له فاستأذن منهم خالد وذهب إليه
سلم عليه حسن ثم وكزه في كتفه قائلاً بمشاكسة:_
"ألن تكف عن عبثك ؟"

"وماذا فعلت أنا ؟!" قالها ضاحكاً وهو يحرك كتفيه فابتسم حسن وهو يقول:_

"يا أخي أريد مرة قبل أن أموت أن أجد من بصحبتك شباب"
عدل من ياقة قميصه قائلاً بغرور مصطنع:_

"إذاً اعترف أنك تغار من حبهم لي ولخفة ظلي ولذكائي في الشرح لهم"

"تقصد لثقل ظلك" قالها حسن بعبث ثم هز رأسه بيأس وأردف:_

"اليوم الذي كنت لا تأتي فيه الي الكلية كان يتسبب بحالة من النكد لي حين تراني نهي ، وذلك من كثرة البنات الذين كانوا يستوقفوني للسؤال عنك وعن أحوالك ولماذا تغيبت يا باشا"
انفجر ضاحكاً من استياء حسن ثم سأله:_

"بمناسبة نهي ألم تحدد لك ميعاد مع والدها ؟"

مط شفتيه قائلا بحيرة :_

"إلي الأمس لم تكن حددت، لكني فوجئت بها صباحا تهاتفني وأخبرتني أن والدها يريد مقابلتي غدا "

ربت خالد علي كتفه بدعم قائلاً:_
"أتمني لك التوفيق "

_____&_____

توضأت ودخلت غرفتها ليلاً بعد انتهاء اليوم المبهج الذي حاول فيه حمزة بكل الطرق إسعادها ،
أسندت رأسها علي الباب وهي تعاهد الله ألا تعود لضلالها القديم
شرعت في أداء ركعتين توبة وبكت ندما علي ذنبها واقسمت في نفسها ألا تعود ولكن هل ستثبت علي ذلكْ؟!

_____&_____

كانت جالسة مع والدتها يشاهدون التلفاز وسط بعض الأحاديث فوجدت صوت رسالة علي هاتفها

علي أحد مواقع التواصل الاجتماعي فتحتها لتجد شهاب يراسلها..

دكتور شهاب:_
"السلام عليكم كيف حالك يا ملك ؟!
أريدك أن تقومي بإعلان أني بحاجة لمترجم لترجمة بعض الكتب والروايات "

"وعليكم السلام
الحمدلله بخير
كيف حالك يا دكتور؟
عُلِم وينفذ سأقوم بذلك لا تقلق "

دكتور شهاب:_

"بخير حال الحمدلله
ممتاز حسنا تصبحين علي خير "

" وأنت من أهل الخير"

بعد أن أغلقت معه أخذت تعبث في هاتفها حتي انتبهت علي صوت والدتها قائلة:_

"ملك لقد تحدث معي عمك اليوم علي الهاتف
وشعرت من حديثة أنه يريدك تنتبهي لدراستك
وتتركي العمل "

رفعت ملك عينيها بملل وهي تقول :_
"وهل سيعطيني النقود التي آخذها وتساعدنا علي
العيش أم هو تسلط فقط ؟"

نهرتها والدتها بحزم :_

"تكلمي باحترام ولا تنسي أنه عمك ويخاف عليكِ
فما لنا هو الظاهر فقط"

"يا أمي بالله عليكي هل أنا صغيرة ؟!" قالتها
بضجر من طيبة والدتها المفرطة والتي ردت عليها
بحنان قائلة:_

_"يا حبيبتي لا تنسي أننا هنا بالبلدة لا أحد يترك
الآخر بحاله وأنتِ تسافرين مسافة ساعتين يوميا "

"سأفكر سأفكر يا أمي"

_____&_____&_____

يقف أمام المنزل يشعر أن قلبه سينفجر من كثرة دقاته ، التوتر والخوف يسيطران عليه ،أخذ نفس عميق وأخرجة ثم استجمع شجاعته أخيراً وضغط الجرس..

بعد دقائق فتحت له الخادمة تناظره بحيرة فابتسم بتوتر وقال :_
" الباشمهندس ياسين موجود ؟"

أومأت برأسها في تهذيب وسألته :_
"نعم هل حضرتك الباشمهندس حسن؟ "

أومأ برأسه فدعته للدخول :_

"تفضل هو بانتظارك"

الفصل الرابع

أحبته وأحبها تعلم مرضه لكنها لم تكن تُدرك أبعاده وبجنون عاشقة في طور المراهقة لم يثنيها شيء عن حبه ، كبُرت وكبُر ولا شيء يتغير غير جنونها به ،

الجميع يعلم بقصتهم فهنا لعبد الرحمن وعبد الرحمن لهنا، ولكن لا تأتي الرياح بما تشتهي السفن

ففي فترة ما كانت تحججت بعطلة الصيف لتقضيها بمنزل الجد، والمراد قربه ولسوء أو لحسن حظه لا يعلم كانت حالته متأخرة بتلك الفترة ورأت أكثر من مرة نوباته وكانت تهرع خوفاً وحزناً تختبئ، خلف الباب تراقبهم من بعيد يحملونه إلى غرفته

لقد كانت فترة عصيبة وقد كان يعاني من مرضه فأصبحت أعصابه على المحك يغضب من أقل الأشياء وهو ما تعرضت له

فبعد تحسن حالته وإعادة الوصل أصبحت المشاكل في أوجها هو يغضب عليها وهي لا تتحمل وتغضب

وهو يحنو ويراضي وتعاد الكارة مرة أخرى إلى أن جاءت القشة التي قصمت ظهر البعير

فقد تقدم فرحا لخطبتها وقبلها كان والدها يواجهها بحقيقة أنها لن تتحمله وأنها ليست بصدد تحمل مرضه وأبعاده وبلحظة تهور غبي أغلقت القلب وأحكمت العقل فهنا عاشقة الرياضيات أدركت أن الحياة تعني

واحد إضافةً لواحد تكون المحصلة اثنين
(١+١=٢)

والدها محق !

هم طرقهم لن تتلاقى وإن كانت تحبه وإن كان يحبها وأسكتت ضميرها بأن جرح اليوم أهون من جرح الغد وواجهته بذلك بعد رفض والدها وابتعدت تقنع نفسها أن الأمر عادي لطالما كانت هنا القوية أو لنقل هربت فهي بعدما حدث لم تزر جدها بوجوده أبداً وعندما شعرت بالحنين جبُنت فانقطعت زياراتها تماما وسافرت مع والدها ،حتى زواجه لم تسمح لنفسها مجرد التفكير به وغمست نفسها بدراسة وعمل إلى أن سأمت وأقنعت نفسها أن الأمر بالعادي وأن هنا القوية ستذهب معهم للجدة ،واهمة نفسها أنها ليست ذاهبة، لأنها اشتاقته لا بل هي اشتاقت خالها الحبيب شهاب وذاهبة لرؤيته

ولم تعُد حساب أن رؤيته هو وابنه ستُربِكها ورؤية زوجته ستُزلزلها

وأضحت الحقيقة نصب عينيها أنتِ لم تنسيه يوماً وإلا ما هذه النار الحارقة التي تنهش بأحشائك لرؤية تلك أو لنقل غريمتها كما أطلقت عليها بداخلها

وتحينت الفرصة لتتحدث معه فصدمها رده وإن رأت بقايا عشق يتوارى خلف قسوة عينيه ،وروح المقاتلة بداخلها نشبت

وبدون ضمير قررت هي لن تتركه للأخرى هي حبيبته منذ الأبد وستظل وإن تزوج وإن أخطأت فلن تكون هنا إن لم تُعيده لحياتها عاشقاً كما كان

وأول دروب جنونها كان صباحاً وهي ترتدي فستان نهاري محتشم بأكمام ويصل لكاحلها واختارته بلون الكناري كما كان يحب

عقصت شعرها بتسريحة بسيطة وفقط رسمت عينيها فجمالها الطبيعي لا يحتاج ،وعندما سألتها والدتها عن أين ذاهبة

كان الرد زيارة صديقة والوجهة مكتبه !!

★★★★★

وبعد فترة كانت تجلس أمام مساعدته التي ترمقها بريبة منذ أن طلبت مقابلته وقالت لها أنه باجتماع ،وردت بتحدي أنها ستنتظره

وبعد دقائق كانت مساعدته معه بالمكتب يعطيها بعض الأوراق فقالت :_

"سيد عبدالرحمن توجد آنسة بالخارج تريد مقابلتك"

انتبه إليها سائلاً بدهشة:_

" من ؟ "

هزت رأسها نفياً قائلة :_

"لا أعلم عندما سألتها قالت أن أخبرك فقط أنها قريبتك "

هز كتفيه بحيرة ثم قال:_

" حسنا دعيها تدخل "

أومأت برأسها وخرجت لها تخبرها أن :_

"السيد عبدالرحمن بانتظارك تفضلي"

هبت واقفة وهي تأخذ نفسها والأخرى تنظر لها بدهشة لم تبالي بها ، دقات قلبها مرتفعة وكادت تجبن لكنها قوت نفسها وطرقت الباب ودخلت

رفع رأسه عن أوراقه وصُعق فهو لم يتوقع أبداً زيارتها لماذا أتت لِم تُصر على زلزلة عالمه؟!

بعد أن كان في طوره للاستقرار لكنها كانت أمامه تقرأ خلف عينيه ما هو أبعد من ذلك تري حنيناً يسعي لمواراته لكنها لن تسمح له فقد تقدمت وجلست مقابلته قائلة بغنج :_

"عبدالرحمن كيف حالك ؟"

ويبدو أنه استوعب وجودها لتو فقد هب واقفاً ودار حول مكتبه يواجهها :_

"أجُننتِ ما الذي أتي بكِ إلى هنا ؟"

وبجرأة وقفت لتوازيه وهمست بسحر حواء:_

" اشتقت إليك"

وسحرها هي قصة أخرى فطالما أضعفه!!

حرك رأسه بذهول من جرأتها قائلاً:_

"خطأ يا هنا خطأ لم يعد بيننا اشتياق "

"لا تحاول يا عبد الرحمن أنا أرى ما تحاول اخفاؤه بعينيك أنت مازلت تعشقني وأكثر "

فتح عينيه على اتساعهم لغرورها ولعن قلبه الذي اشتاق لأيام مضت لكنه تماسك قائلاً بجمود:_

"هنا تعقلي أنا إلى الآن أراعي أنكِ ابنة عمتي قبل أي شيء لكن لا تنسي أنني متزوج ولدي طفل "

وحديثه أوصلها لحافة الجنون فقد اقتربت منه بخطوة جريئة وصرخت والدموع تتلألأ في عينيها:_

"لا لا لا أنت ليس حقها ،قلبك ليس حقها أنت حقي أنا "

وهو لا ينقصه صوتٍ عال بالطبع فنهرها بحدة:_

"هنا اخفضي صوتك "

وانتابها الضعف فاقتربت أكثر وهو يتراجع إلى أن استند على حافة مكتبه "

وبمشهد آخر لكان ضحك فالسيد عبدالرحمن يُغرر به بمكتبه ،

لكن دموعها أو لنقل دموع النساء دوماً قصة ضعفه،

لكنها لم تهتم بمحاولة دفعه لها فقد اقتربت حد اللا مشروع وعينيها سحر برسمتهم تلك فاستندت بكفيها على صدره وهو أمامها متجمد

كل هذا خطأ ناقوس الإنذار يدق برأسه لكن اقترابها أكثر حد اختلاط الأنفاس جعل من غرقه بعينيها رأي آخر وعقله يتوارى متذكراً ما كان بينهم من عشق قديم

فلوهلة كاد يقترب لكن رنين هاتفه نفضهما معاً فابتعد كالملسوع وهو يشعر أنه مازال متخبطا أما هي فاتسعت عينيها من هول ما أقبلت عليه وخرجت جرياً وكأن شياطين العالم تطاردها !!!

أغلق هاتفه على الاتصال والذي لم يكن سوى من ريم زوجته وكأنها تشعر وكأن بكل مرة يضعها الله نصب عينيه ليحترس ويتعظ

وضع وجهه بين كفيه وهو يستغفر غير مصدق إلى الآن ما حدث!!

أما هي فخرجت راكضة من عنده لا تصدق ما أقبلت عليه ، حتى أنها اصطدمت بأحدهم فدفعته عنها ولم تلتفت حتى بل ظلت

تسير في الشارع بلا هوادة ودموعها تنزل لا تصدق ما كان سيحدث ،فالخطأ خطأها هي تعلم لقد تعاملت بقذارة

،جففت دموعها وهي تري اسم والدتها على هاتفها فاستقلت سيارة أجرة وهي ترد عليها وتخبرها أنها بالطريق ...

★★★★★★

"آسف يابني ، هي ابنتي الوحيدة قد تظن كلامي جارحاً أو ما شابه لكن لن تدرك قيمته وتشعر بي إلا حين تتزوج وتنجب وتتذوق معني الأبوة عن حق أتمني لك التوفيق مع زوجة أخرى تصونك"

لم ينم منذ الأمس ومازال حديث الرجل يتردد في أذنيه ،

نار حارقة بداخله من أجل كرامته فهو لا يضع الخطأ على الرجل وحده هو أيضاً أخطأ حين ظن أنه سينعم بحياة مثل بقية البشر، لقد بنى لنفسه قصراً من الرمال فهُدِم فوق رأسه

أخذ يدور حول نفسه مُتسائلاً، هل هو ذنبه أنه ولد دون أهل؟

نعم لقد تربي في دار للأيتام، لكنه هو من ذاكر
واجتهد ليجتاز مراحله الدراسية بتفوق إلى أن نال
أعلى الشهادات الجامعية والآن يعمل ليُكَوِن مستقبله

ماذا ينقصه بحق الله؟ ليكون زوج يرقي لمكانة ابنته

ابتسم بسخرية وهو يتذكر كلام الرجل

"اتمني لك التوفيق مع زوجة أخرى تصونك"

أخرى؟ حقاً؟! بعد كل تلك المعاناة لكي يفوز بها
يقول له أخرى ثم أي أخرى تلك وبالطبع كلهم آباء
ولن يفرطوا في بناتهم من أجل لقيط !!!

★★★★★

أما حالها فحدث ولا حرج تبكي منذ الأمس فوالدها خدعها بموافقته ،أخيراً بعد إلحاحها على قدومه لكنه كان يدبر ذلك كي يجرحه ويضمن يقيناً قطع تلك العلاقة ،وأمامها كانت والدتها وصديقتها أو لتقل أختها من رحم الصداقة

"رنا "

يتألمن لحالها لكن، والدتها بداخلها رغما عنها لا تلوم زوجها هي أكثر الناس علما أنه لم يفعل ذلك إلا حباً في ابنته لطالما كانت مدللته وحبيبته التي لم يرفض لها طلب قط

انتبهت على صوت رنا تستأذنها أن تظل مع نهي بمفردهم فربتت على كتفها بحنان وخرجت وتركتهم..

اعتدلت رنا بجلستها قائلة بحزم:_

"نهي استمعي إلي وكفي عن البكاء"

نظرت لها نهي بعتاب فلم تتأثر وقالت:_

"نهي أنتٌ لا تُبكي حسن أنتِ تُبكي نفسك "

فتحت نهي عينيها على اتساعهم تسألها ببحة :_

"رنا بما تهذي؟!"

ابتسمت وهى تربت على كتفها قائلة بحنان:_

"أنا أقرب الناس إليكِ يا نهي نحن لسنا أصدقاء الأمس أنا حتى أفهمك من نظرة عينيكِ ولطالما عارضت علاقتك بحسن"

حاولت نهي أن تقاطعها فمنعتها وهى وتقول:_

"استمعي لي إلى النهاية"

"أنا آسفة حقاً، حين تركتك لشيطان نفسك لكني أيضاً لن أتركك لتعيشي بالوهم أكثر"

صمتت ثوان ثم أردفت:_

" لقد اخترتِ حسن دون البقية من أجلك، وليس من أجله حين علمتِ بقصته التي انتشرت بالجامعة ،اقتربتِ منه بدافع الشفقة والانبهار ببنائه لنفسه لا أنكر رغم أن ذلك ليس من شيمك ،لكن أنتِ من قررتِ التمادي وشيطان نفسك يسول لكِ أنه إذا كان ، أملك بالإنجاب ضئيل وشبه مستحيل فهو لقيط وعِلتك أمام نقصُه، من وجهة نظرك بالرغم أني والله يشهد لا أري به نقص بل أراه رجلاً، يُفتخر به كما أنكِ نسيتِ أو تناسيتِ أن بظروفه تلك أدعي بحقه في أسرة كاملة بيت وزوجة وأطفال "

وحتى نقطة الأطفال تلك الله أعلم بها فأنتِ تقولي أن طبيبتك أخبرتك أن فرصتك بالإنجاب نادرة بل الأفضل لصحتك عدم الإنجاب"

كانت ترتعد أمام صديقتها وهي تُعري الحقيقة التي لطالما أنكرتها هي على نفسها فقالت بمحاولة للدفاع :_

"رنا أنا لقد تعلقت به "

قاطعتها رنا وقالت بحزم :_

"أفيقي يا نهي وإن كنتِ فليس تعلقك بالتعلق المشروع أنتِ أكننتِ له احتراما كصديق ،كأخ وبالأخص مع شخص بأخلاق حسن التي تحكيها لي، وليس تعلق امرأة برجلها"

رمشت بعينيها وهي لا تعرف بماذا ترد فانهمرت دموعها

فأشفقت عليها رنا واقتربت تحتويها بين ذراعيها تقول:_

"ابكي يا نهي لكن ليس عليه ولا على حالك لأنكِ تستحقين رجلا يهيم على وجهه بالطرقات يبغي وصالك لكن ابكِ على ما آلت له روحك البريئة كي تعود كما كانت !"

★★★★★

"قال أحد المتزوجين المرأة كالحذاء يستطيع الرجل أن يبدله ويغير متي وجد القياس المناسب له فنظر الجالسين إلى رجل حكيم يجلس بينهم وسألوه عن ما رأيه بهذا الحديث "

فقال:_

"ما يقوله هذا الرجل صحيح

فالمرأة كالحذاء في نظر من يريد نفسه قدماً وهى كالتاج في نظر من يريد نفسه ملكاً فعلى قدر ما تري نفسك ستكون امرأتك"

عاد ليلاً إلى المنزل لم يمر على والديه ولا الجد والجدة فبالتأكيد نام الجميع

صعد إلى شقته فوجد الهدوء يعمها و الأنوار مطفأة إلا من بصيص نور يأتي من غرفة المعيشة

دخل بهدوء فوجدها نائمة على الأرض شبه جالسه فنصفها يرتكن للأريكة خلفها ترتدي منامة من اللون الجنزاري تصل إلى ما بعد ركبتيها لكنها ارتفعت قليلاً بفعل وضعيتها

اقترب وجلس على الأريكة ومازالت عينيه عليها كأجمل ما تكون يراها، وكأحقر ما يكون يرى نفسه بعين ضميره الذي يجلده الآن؟؟ وهو يراها نائمة هكذا في انتظاره ولا تدري عن الأخطاء التي ارتكبها بحقها اليوم !

استجمع شتات نفسه واقترب يربت على كتفها لكنه تراجع وهو ينحني ليحملها بين يديه فتعلقت برقبته كرد فعل تلقائي وبداخلها امرأة تتوق لدلال زوجها وإن كانت في عالم اللاوعي

دخل بها إلى الغرفة ووضعها على الفراش ثم بدل ملابسه وذهب ليطمئن على صغيره وجده نائماً فقبله وخرج ثم توضأ وصلى فرضه وأضاف ركعتين

يدعو بهم الله أن يريحه من شتات قلبه ويغفر له ضعفه اليوم

بعد دقائق تمدد بجوارها على الفراش ،فوجدها تتململ ثم دون أن تستيقظ وضعت رأسها على صدره وهى تتشبث به ،ضمها إليه

"والظاهر عناق والمغزى اعتذار عن ما لا تعلمه...!"

★★★★★

وصلت إلى باب المنزل ووقفت أمامه تعبث بحقيبتها لتُخرِج المفتاح ،فسمعت الباب يُفتح وبلمح البصر كانت طائرة في الهواء وسمة أحدهم يدور بها

أنزلها أرضاً وهو يأخذها بين أحضانه قائلاً:_

"اشتقت إليكِ، اشتقت اليكِ يا روني"

دفعته بيدها برفق وهي تقول:_

"يا مجنون لقد أفزعتني ثم تعلقت بعنقه وكأنها استوعبت وجوده للتو قائلة:_"

"وأنا أيضاً يا عمار اشتقت إليك أكثر"

قبل رأسها ثم حثها للدخول معه وهو يقول:_

"دعينا ندخل أريد أن أعلم كل شيء حدث بالفترة الماضية"

لكزته في كتفة وهي تقول :_

"يا نذل وهل كنت تس..."

وتوقفت الكلمات بحلقها وهي تري من بالداخل وقد نسيت أن وجوده يعني وجودهم

وجدها توقفت فسألها بحيرة :_

"رنا ما بكِ ؟"

انتبه عليهم حمزة الذي يأكله الغيظ منذ عودتهم فهب واقفاً واقترب منها يحتويها بين ذراعيه في إشارة صامتة أنه لن يسمح لأحد المساس بها ولو بكلمة ،اقتربت معه حتى كانوا أمامهم

فانسلت من تحت ذراعه وهى تقترب من والدتها بقلب طفلة ترجوا الوصل وابتسمت باهتزاز قائلة :_

"حمداً لله على سلامتكم يا أمي كيف حالك ؟"

وإن كانت تطمع في أكثر من قبلتين باردتين أخذتهم على وجنتيها وتمتمة خافتة برد السلام فهي واهمة،

استقامت واقفة وهى تبتلع غِصة مسننة بحلقها وسلمت على ذاك القابع بجوار والدتها

والد إخوتها العم رأفت الذي احتوى كفها بين كفيه كتقدير ثم اقتربت من أختها الصغيرة نور لتُسلم عليها والتي لم يكن سلامها يفرق شيئا عن والدتها

غير أنها بخلت عليها حتى بالقبلتين وأكتفت بسلامٍ بارد بكف اليد

وكل ذلك وثلاثة قلوب تحترق من أجل تلك التي لم تنصفها الدنيا منذ أن خرجت لنورها

قطع ذلك الموقف المهيب نعمات وهي تقول:_

" إذن طالما رنا جاءت تفضلوا للغداء "

هزت رنا رأسها نفيا وهي تقترب منها تقبل رأسها قائلة:_

"المعذرة يا أمي فأنا تناولت طعامي مع نهي "

ثم استأذنتهم وهربت لغرفتها ...

"أمي !!!"

والكلمة اخترقت سمع تلك القابعة بالخلف وإن كانت لا تبالي..

دخلت الغرفة واستندت بظهرها للباب ونزلت دموعها

تشعر وكأن قلبها يتفتت ثم يعود ويندمل ويعود ليتفتت مرة أخرى وهكذا كأنه يعاقبها على كل هذا الألم

سمعت أحدهم يطرق على الباب فمسحت دموعها وفتحت ولم يكن سوي الجد الذي تحجج بمرضه أنه لن يتناول الطعام وجاء إليها

رنا ليست حفيدته فقط رنا ابنته الصغيرة ، ربيبته وروحه

ابتسم بإشفاق وهو يري آثار دموعها

فأغلق الباب واصطحبها معه إلى الأريكة بداخل الغرفة ، أجلسها بجواره وأخذها بين أحضانه وشرع في فك حجابها وهو يقول بحنان :_

"ابكي يا ابنتي ابكي"

وكأنها كانت تنتظر كلامه فشهقت باكية

وهى تتمسك به وتدفن رأسها في صدره تضم نفسها إليه بألم والظاهر عناق باطنه احتياج

أخذ يربت عليها وهو يشدد من احتضانه لها إلى أن خفتت وتيرة بكاءها وهي تقول من بين شهقاتها :_

"لم يا جدي لم يكرهوني كل هذا الكره ماذا فعلت لهم

بل لما ولدت من الأساس ليتني،أموت يا جدي ليتني أموت "

تجمعت الدموع بعينيه وأحدهم فرت هاربة فهو بسنوات عمره كلها لم يذق وجعاً كوجع قلبه عليها

يشهد الله لقد حاول مراراً مع ابنته كي تصلح علاقتها بابنتها لكن لم يجد نفعا !!

أخذ يربت عليها وهو يقول كمحاولة للتسرية عنها :_

"أُخبركُ شيئاً يا رنا في يوم ،اشتريت بذلة جديدة لأحضر بها زفاف أحد أقاربي ودخلت لأجربها ،كي تراها جدتك نعمات فتعلقتي بسترتي حين خرجت من باب الغرفة فحملتك على ذراعي وأنا أرفعك للأعلى لأُلاعبك ولم ألحظ أن نعمات تركتك دون حفاض، فقد كنتِ ترتدين فستان حينها وكنتِ في الثانية من عمرك

ثم فجأة وأنا أرفعك شعرت وكأن أحدهم رش بالماء على وجهي وملابسي لكنه كان ماء ساخن وتيقنت من الذي فعل ذلك حين شعرت بلولة ملابسك على يدي "

أخذت تضحك وهي تمسح دموعها فضحك معها براحة ثم رفعت رأسها وهي تسأله بلهفة :_

"وماذل فعلت حينها يا جدي هل غضِبت على؟"

ابتسم مقبلاً وجنتها وقال :_

"ولا أي شيء أخذت أقبلك وأنا أُحدثك وأنتِ كنتِ تُهللين ولا تدرين بما فعلتِ"

ابتسمت وأخذت كف يده بين كفيها وأخذت تقبله وهي تقول بحب:_

"أدامك الله لي يا جدي" ثم همست بما جعل قلبه يعتصر ألماً

"أدامك الله لي يا أبي"

قبل رأسها ثم سألها :_

"صغيرتي أتخرجين معي أم...."

قاطعته وهى تقول :_

"اعذرني يا جدي فقط أريد أن أرتاح ساعةً
وسأخرج لكم "

أومأ برأسه وقبل رأسها مرة أخرى وخرج لكن
وتبقى بالقلب غصة ،تحركت بآليه بدلت ملابسها ثم
دخلت في فراشها تود النوم وشيطانها يسول لها
الهرب من آلامها إلى عالمها السري

واتخذت خطوة، فأخذت هاتفها وهى تبرر لنفسها
أنه لن يحاسبها الله على ذلك فهم آلموها ونست من
أرسله الله ليخفف عنها وخرج لتوه...

هي تريد أن تنساهم فنست توبتها الحديثة ورفعت
غطائها وهربت إلى عالمها

★★★★★

كانت ملك تجلس بالمركز حيث عملها تذاكر فخرج عليها شهاب وناداها :_

"ملك؟!"

رفعت رأسها ووقفت وهي تبتسم ترد عليه:_

"نعم يا دكتور "

وقف أمامها يسألها باهتمام:_

"هل تقدم أحد للترجمة بالمكتبة؟"

هزت رأسها نفيا وهي تقول :_

"إلى الآن لم يتقدم سوى اثنين وقامت مريم باختبارهم فوجدتهم لم يصلحن"

أومأ برأسه منبهاً عليها :_

"حسنا لا تعودي اليوم بالمواصلات فأنا عائد إلي البلدة وسآخذك بطريقي"

ابتسمت بامتنان قائلة :_

"سلمك الله يا دكتور لكن معذرةً سأعود بالمواصلات "

ابتسم قائلاً بصوته الرخيم:_

"يا ملك لا تقلقي غدي ابنة أختي ستكون معي "

"أعلم يا دكتور أنك لن تعرض على ذلك إلا إذا كانت هنا أو غدي معك لكن سمة ظروف تمنعني "

ضحك وهو يشير لها بسبابته قائلاً:_

"عنيدة "

ابتسمت قائلة:_

"تلميذتك يا دكتور"

ابتسم هو الآخر قائلاً:_

"حسنا يا تلميذة هل ستأتين اجتماع الغد بالمكتبة ؟"

هزت رأسها نفيا وهي تقول :_

"كنت أود حقاً لكنني سأشاهده ليلاً بعد رفعه على الإنترنت"

اومأ برأسه وقال قبل أن يخرج :_

حسنا سأنزل أنا لصلاة العصر بالمسجد تريدين شيء؟!"

"سلمك الله يا دكتور"

★★★★★

عادت إلى منزلها قرابة المغرب وبشقاوتها المعتادة
دخلت وهي تنادي:_

"صافي يا صفصف أم.. وتوقفت الكلمات وهي
تري عمها وزوجته يجلسون مع والدتها ،

رسمت ابتسامة زائفة على وجهها واقتربت منهم ،
سلمت عليهم وجلست بجوار والدتها

فسألها عمها بغلظة:_

"أين كنتِ يا ملك ؟!""

وبكل هدوء كانت ترد عليه:_

" كنت بالعمل "

"وهل تستطيعين الجمع بين دراستك والعمل معا ؟"

سألها بفظاظة وسخرية فتنهدت وهي تعض باطن خدها غيظا قائلة :_

"نعم يا عمي لا تقلق "

وبالطبع زوجته الطيبة يجب أن تضع لمستها قائلة :_

" حبيبتي ماذا لو تقدم لكِ أحدهم ؟"

"أحبكِ البرص ثم ماذا أنتِ لو ابتلعتِ لسانكِ وأنعمتِ علينا بعدم حديثك"

حدثت نفسها غيظا لكنها ردت عوضاً عن ذلك :_

"لكل حادثٍ حديث يا خالتي "

والأب الروحي أو لتقل عملها السيء المتمثل في عمها يخبط كفيه ببعضهم قائلاً:_

"حسنا يا ابنتي لكني هنا اليوم لأمنعك عن العمل "

"منعك الله من الجنة قل آمين "

همستها بينها وبين نفسها لكنها تحولت لأقصي درجات البرود وقالت :_

"وما الذي يجعلك تمنعني يا عمي ؟! على ما أذكر أن والدي قد مات منذ سنوات "

وانتفض غاضبا وهو يقول:_

"أنا عمك وبمثابة والدك"

واجهته هي الأخرى قائلة ببوادر غضب وقد بدأ صوتها يعلو:_

"وأين كنت يا والدي ،و والدتي تعمل لسنوات من أجلنا أم أن عرق الأبوة ظهر اليوم"

أقترب منها ليصفعها وتصدت له تلك التي تستمع بصبر فهي تعلم شره :_

"لا يا ربيع لا عاش ولا كان من يمد يديه على ابنة حُسين ،رحمه الله لم يفعلها مع واحدة منهم إلى موته "

تراجع وهو يقول بحدة :_

"أنتِ تُدللين بناتك يا صفية وستجنين ذلك شوكاً"

قالت بحدة تماثله:_

"بناتي يُضرب بهم المثل في حُسن الخلق يا ربيع وأنت تعلم ذلك"

"يبدوا أنه لا فائدة من الحديث معكم لقد أخطأت بخوفي عليكم "

نظرت له بتهكم فاستشاط غضبا والتفت لزوجته قائلاً:_

"يا سعاد لنخرج من هذا البيت هيا"

وخرج غاضبا تتبعه زوجته العقربة بعد خروجهم التفتت إلى ابنتها وهي تضربها في كتفها قائلة بغيظ :_

ألا يوجد ذرة احترام لي يا ابنة حُسين "

قالت بحنق وهي تمسد كتفها:_

" وماذا فعلت يا أمي أنتِ تعلمين أني على حق "

"وإن كنتِ يا روحَ أُمك لا تنسي حالك وترفعي صوتك على كبير ، بالأخير هو عمك "

قالت ودموعها بدأت تنهمر:_

"لكنني أكرهه ... أكرهه
يا أمي هو لم يحب أبي يوماً حتي بعد وفاته لم ينتظر
أن يُقدر كوننا فتيات وأخذ ميراثه، أنا أكرهه يا أمي "

أخذتها بين أحضانها وقالت:_

" يا قلب أمك أنا أفعل ذلك من أجلك ،عمك يتحين
أي فرصة للتحكم بكِ مستعيناً بسُلطة أنه عمك ولن
نجد من ينصفنا وأنا لن أعيش لك طوال العمر
وإخوتك كل واحدة منهم بالخارج مع زوجها "

قبلت ملك يدها وقالت وهي تجفف دموعها :_

"أدامك الله لي يا أمي"

★★★★★

ليلاً ببيت العائلة كان يجلس كل من خالد
وعبدالرحمن وغدي وشهاب

فسألت غدي عبدالرحمن :_

" أين ريم وتميم يا عبدالرحمن؟"

التفت إليها قائلاً:_

"إنها بالأعلى تُذاكر له دروسه "

أومأت برأسها وهي تقول:_

"حسنا سأهاتفها لتقضي السهرة معنا "

ورده خرج بالرفض حاداً دون تفكير:_

" لا "

رفعت حاجبيها في دهشة تنظر له، فاستدرك نفسه وهو يقول بتلعثم:_

"أعني ليس بالمهم فهي أُرهِقتْ اليوم "

لم تعيره اهتماما وهي تتناول هاتفها قائلة :_

"لا غداً الجمعة أجازة وسترتاح ،وأنا اشتقت إليها سأُهاتفها كي تنزل لنا "

زفر بغيظ فغدي العنيدة بطبيعتها لن تتنازل ،أما خالد فابتسم وهو يغمز لشهاب بخبث ومال عليه هامسا :_

"تعلم لولا حبي لريم لكنت زوجت عبدالرحمن لغدي غصباً"

ضحك شهاب وهمس له بتواطؤ :_

"حقا فغدي الوحيدة المؤهلة لإعادة تربيته من جديد "

ضحك الإثنين سوياً

وبعد نصف ساعة كانت ريم تنزل إليهم، ببعض المشروبات

فاقتربت من زوجها وهي تُعطيه عصير الفراولة كما يُحب وأعطت لغدي عصير النعناع بالليمون وقالت:_

"عصيرك المفضل يا حبيبتي"

أخذته منها غدي مبتسمة وهي تقول :_

"سلمك الله يا ريمية، أجمل نعناع بالليمون أتذوقه من يديك "

"بالعافية"

اتجهت لخالد مبتسمة تناوله الكوب خاصته قائلة :_

" وهذا اللبن بالموز كما تحب يا خالد "

والقابع بجواره يُستشاط غيظاً وما جعله يحترق تقدمها من عمه وهي تقول:_

" وهذا كوب من اللبن المحلي بالڤانيليا كما تحب يا دكتور "

أخذه شهاب منها قائلاً بلباقة :_

"سلمت يداكِ"

جلست بجانب غدي ،وأمامه فلاحظت أنه يرميها بعينيه بغضب لكن لا تعلم لم؟!

انتبهت على صوت غدي وهي تقول بحماس :_

"أما أنا ربحت قضية بالأمس كان منافسي بها من أكبر المحامين بالمدينة "

ابتسم شهاب بفخر يسألها :_

"وما هي القضية "

ابتسمت بشر قائلة :_

"قضية طلاق "

خبط خالد كفيه ببعضهم قائلاً:_

"لا فائدة تعشقين المصائب كعينيكِ "

كشرت بوجهها قائلة بمشاكسة:_

"من بعض ما عندكم يا هندسه"

تناولت من مشروبها ،واعتدلت في جلستها قائلة بحماس:_

"سأحكي لكم القصة، كانت خيانة زوجية"

وصمتت تُثير فضولهم ،فرفت عيني عبدالرحمن وتوتر بداخله فسألها :_

" ثم ماذا كيف... كيف خانها ؟!"

"الحقير المتصابي بعد خمسة عشر عاماً، زواج يعيش قصة حب مع مساعدته الحسناء ،والقضية

هنا ليست بالطرف الآخر ولا بسنوات الزواج بل المبدأ ،بالنخوة والرجولة "

وحديثها يجلده وهو يتذكر ما كاد يحدث وأخرى بجانبها تشعر بخوفٍ مجهول المصدر ولا تفهم!

ابتسم خالد بحماس مصطنع قائلاً :_

" ثم ماذا فعلتم بعد ذلك هل فصلتِ رأس الرجل عن جسده أم ماذا ؟!"

جزت على أسنانها بغيظ قائلة :_

"لا وأنت الصادق بل سأفصل رأسك أنت عن جسدك"

ضحك الجميع وقال شهاب وهو يخبط كفيه ببعضهم:_

"لا فائدة ستظلون طوال العمر كالقط والفأر إذا اجتمعتم"

★★★★★

كانت تجلس بجوار والدها تتدلل عليه وتقول:_

"أبي يا أبي من فضلك أريد أن نذهب إلى الساحل من فضلك يا أبي"

تناول هاتفه وهو يتجه نحو الخارج قائلاً:_

" أنا سأخرج الآن يا نور، لدي موعد مع صديق وعندما أعود نتحدث"

علىَ صوت عمار قائلا بحماس :_

"فكرة رائعة ونأخذ رنا معنا "

أومأ رأفت قائلاً :_

"ليس لدي مانع اتفقوا معاً وعندما أعود نتحدث"

بعد خروجه التفتت إليه نور قائلة بغيظ :_

"لا تقل لها شيء يا عمار هي لن تأتي معنا "

وقف أمامها قائلاً:_

"أولاً يا نور هي أختك الكبيرة ولها اسم وليس هي،
ثانياً هي حقها الخروج والتنزه معنا "

لوت شفتيها قائلة:_

"لا لديها أبيها الثري ،لكن لم تخرج في نزهة أبي لنا ؟!"

تنهد عمار قائلاً بتروي:_

" أنا لا أفهم حقا لما لا تُحبيها ،اقتربي منها يا نور أنا أتعجب لطالما الفتيات يتمنين وجود أختٍ لهن "

أعرضت عنه قائلة بحدة:_

"الفتيات ليس أنا، أنا لا أحبها "

زفر بغضب وهو يتركها قائلاً

"حقاً أنت لا فائدة من الحديث معك أنا سأتركك وأذهب إلى النادي أفضل "

★★★★★

كان قلِق على حسن فهاتفه مغلق طوال اليوم ،حتى أنه لم يأتي إلى المعرض حسم أمره وذهب إليه

فوجد أحد أبناء الدار فسأله عنه وطلب منه أن يخبره أنه بالأسفل

بعد دقائق كان حسن يقف أمام خالد فسأله بقلق :_

"حسن أين أنت منذ الأمس حتى أن هاتفك مغلق "

جلس على أحد أرصفة الشارع دون مبالاة بملابسه قائلاً بملل:_

"موجود أين سأكون ؟"

نظر إليه بحيرة ثم جلس جواره وهو يسأله:_

"ما الذي حدث هل ذهبت لوالد نهي؟"

أومأ برأسه ولم يرد فسأله بصبر:_

"وما الذي حدث ؟"

ابتسم بسخرية قائلاً:_

"وماذا تتوقع أنت يعني بالتأكيد رُفِضت ؟"

ابتلع خالد ريقه وهو يتألم لحال صديقه يسأله :_

" ولما لما؟ رفضك "

لوي شفتيه قائلا بتهكم:_

"ولا شيء فقط ثمة لقيط ماذا تظن والدها بفاعل غير أقل واجب أنه رفضني بمنتهي الكياسة"

أطرق خالد برأسه لا يعلم، ماذا يقول ثم استجمع شجاعته أخيراً قائلاً:_

"حسن دعنا نتحدث أخٍ لأخ، أنت بالأساس لم تكن تحب نهي أو لنقل مشاعرك نحوها لم تتعدي مشاعرك نحوي "

نظر له بحدة قائلاً :_

"إلى أين تُريد أن تصل يا خالد ما هذا الكلام ؟"

"حسن دعنا نكون واقعيين، حزنك الآن لا يتعدى صدمة رفض الرجل وذلك لأنها أكدت لك أن الموافقة حتمية أقصد أنت لم تحب نهي يا حسن أنت أحببت المكانة التي وضعتك بها "

هب حسن واقفاً بغضب وهو يهم بتركه قائلاً:_

"يبدو أنك جُنِنت هل كنت أعبث بها ؟!من الأفضل لي ألا أواصل حديثي معك "

هب خالد واقفاً هو الآخر يعترض طريقة قائلاً بتروي:_

"اسمعني يا صديق أنا لم أقل ذلك أعلم أنك لم تعبث بها ولم تكن تنوي غدراً، بل إذا كانت تمت هذه الزيجة كنت لتضعها بعينيك لكن لا تغضب مني وفكر بحديثي، ستقتنع أنه صحيح لقد أحببت المكانة التي وضعتك بها نهي وأنا لا ألومك كما أنك...."

تردد في أن يواصل فحثه حسن بعينيه:_

لذا تنهد خالد قائلاً ببعض التردد :_

"كما أنك كنت وكأنك تريد أن تُثبت للعالم ها هو اللقيط ينال الابنة الوحيدة لياسين الدرملي "

لكمة حسن في وجهه وكاد أن يتركه فتمالك خالد نفسه سريعاً وهو يعترض طريقه مرة أخري ويضع يده على كتفه قائلاً:_

"أقسم عليك يا حسن ألا تغضب مني وأقسم لك أنا لم أقل ذلك إلا من أجلك "

أطرق حسن برأسه ولم يرد فحثه خالد على السير معه مغيراً دفة الحوار :_

"إلى أين وصلت في مشروعك الخاص الذي تحضر له "

مط شفتيه قائلاً بملل:_

"يبدو أنني لن أصل"

التفت إليه يسأله بحيرة:_

ولم؟!

"ولم!! تظل أيام وسأستلم شهادة تخرجي من
الجامعة وأضف إليها تخرجي من الدار أيضاً
للاعتماد على نفسي فبعد التخرج يخلون
مسؤولياتهم منا"

صمت خالد برهة ثم قال:_

"وما المعضلة يا رجل أنت تعلم أن شقتي بالعمارة
خاصتنا التي نُأجرها فارغة "

رمقه حسن بطرف عينيه قائلاً بتهكم:_

" جيد وهل أصبحت أهلا للصدقة الآن !!"

ضربه على كتفه قائلاً بحدة:_

" لا تُضيق عقلك يا حسن أنت تعلم أنك بمثابة أكثر
من أخ لي وتعلم أن والدي ووالدتي حتي الجد
والجدة يعتبرونك من أهل البيت "

ربت حسن على كتفه بامتنان وقال:_

" أعلم لكن إذا كنت تريدني أن أوافق لي شرط "

"وما هو "

تقدم خطوة وهو يقول بجدية:_

"أن أدفع لك إيجاراً كأي مستأجر "

التفت له خالد قائلاً بعتاب:_

" هل هذه ضريبة الأخوة بيننا يا حسن ؟"

"خالد يشهد الله أني أشكره في كل سجدة على أنه
رزقني بك لكن اعذرني ،نفسي لن تقبلها "

تجاهل خالد حديثه وسأله باهتمام:_

"ومشروعك الذي كنت تجهز له!"

ابتسم حسن بسخرية قائلاً:_

"أي مشروع يا خالد لقد كنت أُحاول أن أكون رجلاً يعتمد عليه أمام والدها لكنه وضع الحقيقة نصب عيني من الذي سيُسلم ابنته للقيط"

أطرق برأسه ثم واصل بمرارة :_

"تعلم يا خالد أنا أعذرهم ،رؤية مجتمعنا لمن مثلي أننا كالوباء"

واصل بحرقه وهو ينظر إلى السماء:_

" نحن أبناء زنا يا خالد أبناء زنا "

وأمامه كان يتألم لحاله، هو بداخله يعلم كل ذلك لقد عارضته العائلة بأكملها في بداية صداقتهم إلا

شهاب ولم يقتنعوا إلا بعد مساعدة شهاب له وتأكيده على أن حسن ذو أخلاق حسنة وشخصية لن تعوض"

انتبه على صوت حسن يواصل بمرارة :_

بربك هل الرجل يقضي حياته يربي ابنته ويدللها وبالأخير يعطيها لابن زنا إذا كنت أنا حالفني الحظ بالدار التي نشأت بها ما الذي يضمن له أن جيناتي القذرة لن تظهر بيوم من الأيام مع ابنته"

ابتسم بسخرية وقال:_

"تعلم أنا نفسي أخاف يوماً أن تظهر جيناتي وتؤذي من حولي "

هزه خالد قائلاً بحدة:_

"أفق يا حسن ،أفق أقسم لو كانت لي أخت لم أكن لأعزها عليك أبداً"

ربت حسن على كتفه بامتنان قائلاً:_

"هيا هيا بنا كي لا نتأخر "

★★★★★

جالسة بصحبة حمزة ونعمات يتحدثون ،فصدح صوت حمزة فجأة قائلاً:_

" أنا أجازة اليوم ما رأيك بنزهة للخارج "

صفقت بحماس وهي تقول :_

"بالتأكيد موافقة لكن إلى أين سنذهب "

لعب حاجبيه قائلاً بشقاوة:_

"نتناول الغداء بالخارج ثم نذهب إلى المول أريد أن أشتري ملابس وأيضا نذهب إلى السينما، الفيلم الكرتوني "الملك الأسد" النسخة الجديدة له اليوم في السادسة أو التاسعة "

هبت من مكانها جواره تقبله واستقامت تقول:_

" أنت أجمل حمزة بالعالم "

ضحكت نعمات وقالت:_

" ما رأيكم أن تهاتفهوا نور وعمار لقضاء اليوم معكم "

نظر حمز لرنا ليعرف رأيها فوجدها تقهقرت لتجلس بجواره ولم ترد فسألها :_

"ما رأيك يا رنا ؟!"

هزت رأسها نفياً قائلة:_

"بالتأكيد أنا لا أرفض لكن نور لا تحبني "

ربتت نعمات على كتفها قائلة بحكمة:_

"من قال أنها لا تحبك يا حبيبتي نور مازالت صغيرة توها تخرجت من الثانوية هي تغار فقط منكِ "

ابتسم حمزة وهو يهز رأسه تأكيداً على حديث والدته فسألت رنا بدهشة:_

"تغار مني أنا ولما ؟!"

ابتسمت نعمات وقالت:_

"أبسط شيء لتعلق عمار الملحوظ بكِ عندما يأتوا، دعينا من هذا تغار على حمزة مثلاً، اقتربي منها يا حبيبتي فالأمر لا يتعدى غيرة حمقاء "

هزت رنا رأسها بتفهم وقالت :_

"إذاً هاتفهم يا حمزة إلى أن أصلي وأبدل ملابسي "

أومأ حمزة برأسه وأخرج هاتفه ليتصل بهم

★★★★★

بعد مرور أشهر من الأحداث السابقة

كانت في طريقها للعودة للمنزل ،تزفر بضجر فقد نسيت هاتفها ومحفظتها الشخصية اليوم

تناولت حقيبتها تبحث بها مرة أخري وواصلت سيرها لتعبر الطريق ،وكانت إحدى السيارات تأتي سريعة من الطريق الجانبي

رفعت رأسها في فزع وبلمح البصر كانت السيارة تصطدم بها وقذفتها على الجانب الآخر ،

فر السائق هارباً واجتمع الناس على بركة الدماء التي انتشرت أمامهم على قارعة الطريق

انتهى

الفصل الخامس

أغلقت مع شهاب البرعي، الذي يهاتفها كل نصف ساعة تقريباً ليطمئن على ابنتها ويُطمئنها أنه يبحث عنها هو الآخر ،مسحت دموعها بقهر وهي ترفع يديها داعية:_

"اللهم إني استودعتها في ودائعك التي لا تضيع أبداً اللهم ردها إليّ سالمة ،يارب وليتك أمرنا فلا تجعلني أرى بها أي سوء ..."
قطعت دعائها وهي تسمع طرق شديد على باب بيتها، فهبت راكضة تفتحه بلهفة علها تكون ابنتها ،لكنها وجدت من يدفعها للداخل بحدة ولم يكن غيره ربيع عم ابنتها ، علامات الكره مرسومة على وجهه وهو يقول بغلظة:_

" لقد مرت عدة أيام يا صفية ولم نرى وجه ابنتك العفيفة ،لقد أصبح كل من بالبلدة يأكل وجهي ، البلد بأكملها تتحدث عن هروب ابنتك مع أحدهم

"اخرس يا ربيع ولا تتطاول لو كنت رجلاً حقاً، لقطعت البلاد بحثاً عنها"
قالتها بغضب ثم واصلت بحرقة أم قلبها مكلوم على ابنتها :_
"حسبي الله ونعم الوكيل ،حسبي الله ونعم الوكيل في كل من يتحدث عنكِ بسوء يا ابنتي "

مسحت دموعها وأردفت بوهن :_
"الله حسيبك يا ابنتي الله حسيبك وسينصرك "

نظر لها بسخرية قائلاً بشماتة:_

"هذا صنيعك يا صفية لطالما كنتِ تتغني بحسن خلقها وتركتها تعمل عند رجل غريب وقد أعمتنا جميعاً وهربت والله أعلم فربما تكون معه الآن من يدري!"

حديثه المسموم أوصلها إلى حافة الجنون، فدفعته بغضب أعمى وهي تقول:_
"اخرج من بيتي، اخرج ولا تدخله مرة أخرى طهارة بيت حُسين لن أجعلها تتنجس بقدمك أبداً اخرج "

أغلقت الباب خلفه وانهارت جالسة على الأرض
تشعر أن نار العالم بداخلها هي حتي لم تخبر
إخوتها فماذا سيفعلن وهم بالخارج ،تشعر أن نار
حارقة تنهش بصدرها وقلبها ،
رفعت يديها مرة أخرى وهي تدعو بتضرع:_
"يارب احفظها لي يا رب"

★★★★★

منذ عدة أيام وهو على نفس الوقفة
ابتسم بسخرية بعدما كان جرثومة لا يصح لأي فتاة
الاقتراب منه أصبح خطيب لإحداهن والأجمل هي
بالغرفة المجاورة له وفي غيبوبة أيضاً.
هز رأسه في ذهول إلى الآن لا يعلم كيف حدث ذلك
،لقد كان لديه بعض المهام فطلب من خالد سيارته
ليقضيها بها وبعدما وصل لوجهته سمع صرخة
نسائية أفزعته ولم تكن سوي منها فقد صدمتها
سيارة ولم يلحق بصاحبها أحد ، وعندما اجتمع
الناس ،وأخذوا يتشاورون من يأخذها للمشفى ومن
يطلب الإسعاف ولم يطرق ببالهم أنهم بصدد وقت
ليلحقوا تلك المسكينة الغارقة بدمائها فأخذته العزة

،وحملها للسيارة ثم استدار وجلس بمقعد القيادة
وذهب بأقصى سرعته دون أن يبالي بأحدهم ،
وعندما وصل إلى المشفى التي ساقه الله إليها قابلته
ريم زوجة عبدالرحمن البرعي فظن أنها تعمل بها
وهي من اقترحت عليه أن يقول أنها خطيبته عندما
لم يجدوا معها أي هوية ولا هاتف
ومن حظه الحسن أو حظ تلك المسكينة كانت
المشفى لعائلة ريم فسهلت له جميع الإجراءات
وتأتي يومياً للاطمئنان عليها

انتبه من أفكاره على صوت ريم الخافت وهي تلقي
السلام فرده عليها وسمعها تسأله:_
" باشمهندس حسن كيف حالك؟"
فرد كفيه قائلا بامتنان:_

"الحمدلله يا دكتور لا أعلم كيف أشكرك ، على
صنيعك معي"
هزت رأسها نفيا قائلة:_

"لا شكر على واجب احمد الله على مصادفتي يومها
،كانوا سيتهمونك بفعلها ولولا معرفتي الوثيقة بك لم
أكن لألومهم لكن ماذا ستفعل ؟"

قال حسن بحيرة:_
"أنا حقا لا أعلم ،ليس معها أية هوية أو هاتف حتى أنني أجلب الجريدة يوميا ،ولم أجد أي خبر عنها كما أنني أعلم دون مساعدتك لي بتكاليف المشفى التي دفعتها لم أكن اقدر عليها ،حتى أنني لا أعلم ماذا سأفعل لو طالت فترة غيبوبتها ،
وأقول لنفسي لو كان لي ابنة وحدث لها ذلك فلم أكن أتمنى سوى وجودها بأيد أمينة حتى يردها الله لي آمنة "

ابتسمت ريم وهي تقول بإعجاب أخوي:_
"أنت حقا انسان نبيل يا باشمهندس"
ثم أكملت:_
" وبالنسبة لتكاليف المشفى سنتحملها أنا وأنت وأخي لا تقلق لكن ما يدهشني لما أصررت على ألا أخبر خالد فهو يكاد يجن من اختفائك ومحادثتك له على الهاتف فقط "
ابتسم حسن وقال:_
"بعد اطمئناني عليها ،أخذت سيارته وتركتها أمام المعرض وتركت المفاتيح هناك ثم عدت مرة أخري ،

أنا أعلم أن خالد يحميني بنفسه ولا أعلم إلى أين سأصل مع تلك الغريبة ولا أريده أن يتأذى بسببي"

قالت ريم بهدوء قبل أن تنصرف :_

"لن يكون هناك أذى بإذن الله كما أنها بخير، نحمد الله أن النزيف كان خارجيا كما أن مؤشراتها الحيوية في تحسن وأخي يتوقع أنها ستعود للوعي في غضون أيام قليلة "

قال حسن وهو يرتكن برأسه على الحائط ورائه :_
"أتمنى!"

★★★★★

كان بمكتبه في المكتبة بعدما أنهى مع والدة ملك المكالمة مطرقا رأسه لا يعلم ماذا يفعل ،ملك الصغيرة مختفية منذ أيام ،لقد بحث عنها كثيراً ولم يصل لشيء!!
ما يكبله حقا والدتها التي استحلفته ألا ينزل عنها أي خبر بالجريدة من أجل سمعتهم

وهذا يؤدي لعدم نشر أي شيء عنها علي مواقع التواصل الاجتماعي ،يدعو الله كل ليلة أن يردها سالمة، ملك المشاكسة الصغيرة
لم يعاملها يوما كرب عمل لها بل كانت العلاقة وكأنهم زملاء يتشاركون نفس العمل
تنهد بخفوت وهو يستغفر سرا ثم خرج لطلابه مرة أخرى ..

★★★★★★

تجلس في غرفتها لا تعلم ماذا تفعل ترتب لخطوتها التالية

منذ أيام لكن لا تعلم كيف هي تريد أن تتحجج بإحدى المواد التي تدرسها بالدبلومة
أنها لا تفهمها وتريده أن يشرحها لها، فذلك سيقربها منه أكثر،
تنهدت بخفوت فبعد هروبها من مكتبه ومحاسبتها لنفسها لأيام
رأت أنها بذلك ستضيعه من يدها أكثر لذا ذهبت إليه واعتذرت منه

أنها كانت مشتتة وطلبت منه أن يكونوا على الأقل أصدقاء وبعد محاولات عديدة منها وصد منه بالأخير استجاب وأصبح بينهم محادثة يومية إما على أحد مواقع التواصل الاجتماعي أو هاتفيا وتكون هي البادئة
تناولت هاتفها أخيراً وهي تبعث له رسالةً مفادها أنها تريد مقابلته .

★★★★★

تجلس ريم بالمطبخ و تميم يبكي بجوارها وهو يحايلها

"أمي أرجوكِ أنا أحبك لا تغضبي مني"

لم ترد عليه وهي تتابع تقطيع الخضروات ،قلبها يتألم لأجله لكن من أجل مصلحته
ازدادت وتيرة بكاءه فالتفتت إليه وقالت بحزم:_
"تميم اخفض صوتك ،والدك نائم ،كما أنك معاقب تفضل اخرج وقم بعمل واجبك "

أخذ بكاءه يزداد وتركها وخرج غاضبا مما أيقظ عبدالرحمن

زفر وهو يستدير للناحية الأخرى فأكثر ما يضايقه الصوت العالي ،
انتبه أن صوت بكاء صغيره يزاد ويقترب ،فقام حانقا وخرج إليه
صارخاً بغضب:_
"تميم اخفض صوتك ولا تبكي "

ازداد بكاء الصغير فاقترب منه وهو يقول بحدة :_
"تميم أقسم لو لم تصمت وتدخل غرفتك الآن سيكون لي تصرف أدعى لبكائك"

قبل أن يَزيد كلمة إضافية وجدها تتجاوزه وهي ترمقه لحظة بجانب عينيها
ثم حملت الصغير الذي تعلق برقبتها وهو يدفن وجهه بعنقها ويبكي مما زاد من غضبه لكنها لم تعيره انتباها وأخذت الصغير إلى غرفته "
جلست على حافة الفراش تُهدهده وتربت عليه بيدها وهي تتنهد بتعب ،

الحمل أصبح يفوقها ،تشعر أن أمور حياتها تفلت من زمامها ،
كما أنه ليس بالطبيعي منذ فترة لا بأس بها حتى أن نوباته تكررت عليه،
يشرد كثيرا
يغضب من أقل شيء ضعف العادة
وما يؤلمها أكثر أنه يتباعد عن صغيره أكثر !
حتى أن تميم أتت إليها شكوى من روضته اليوم
بضرب أحد زملائه!!
تميم الرقيق يضرب بشكل عدواني أحد زملائه لأنه قال له أننا لم نرى والدك يوما يأتي لأخذك ...
انتبهت لتوقفه عن البكاء فضمته إليها أكثر
وهي تقول بحنان:_
"تميم يكفي حبيبي والدك لم يقصد "
قال بعدوانية :_
"أنا لا أحبه يا أمي هو لا يحبني أعلم"
أكمل بخوف طفولي :_
" كما أنه لا يريدك معي "
قالت ريم بخوف من أفكار الصغير :_
"يا قلب أمك لما تقول ذلك؟"
فقط والدك متعب من العمل ولم تقول أنه لا يريدني معك أنا دائما بجانبك"

هز رأسه بنفي وقال :_

"لا هو لا يأخذني من الروضة ولا يلعب معي ولا يأخذني معه بالخارج مثلك كما أنه دائماً يغضب علي ، ودائما يناديكِ حين تلعبين معي "

قالت بمهادنة:_

"تميم والدك يحبك هو فقط مشغول بالعمل "

لم يرد عليها فسألته بحنان:_

"ألا تثق أني أحبك ؟!"

هز رأسه نفيا وقال :_

" أنتِ تحبينني أنا أعلم"

ضمته إليها قائلة:_

"إذا ثق أن والدك يحبك مثلي وأكثر"

ثم أكملت وهي تلوي فمها ببؤس حزين لتُصرفه عن تفكيره :_

" كما أني مازلت غاضبة منك "

وجدته سيبدأ بنوبة بكاء مرة أخرى فأمرته بحزم حنون:_

"تميم لا تبكِ وتكلم معي كرجل "

أومأ برأسه وهو يرمقها ببراءة فقالت:_

"هل يصح ما فعلته اليوم منذ متي وتميم يقوم بضرب أصدقائه هل ترضى أن يقوم أحدهم بضربك "

هز رأسه نفيا ،فأمالت رأسها قائلة:_
"إذا هل ستعيدها مرة أخرى ؟"
هز رأسه نفيا مرة أخرى وقال بخفوت:_
"أنا آسف يا ريم لا تغضبي مني أنا أحبك "
ضمته إليها وهي تقبله وتقول:_
"يا قلب ريم وأنا أحبكِ"
تنهدت وهي تحاول أن تجاري عقله وسألته:_

"هل تريد أن أرفع عقابي ونلعب سويا ونأكل المثلجات ؟"

أومأ برأسه في فرح فقبلته وقالت بحماس وهي تقف :_

"حسنا قم بأداء واجبك أولا إلى أن أنهي تحضير الطعام "

أومأ فرحا بطاعة قائلاً:_

"حاضر يا أمي"

قبلته وتركته وخرجت ،أسندت رأسها للحائط خلفها وهي تدلك بين عينيها في إرهاق ثم ذهبت لتنهي باقي الغداء .

أما في الغرفة كان يجلس غاضباً من نفسه لقد أتت إليه هنا اليوم في العمل بعدما طلبت مقابلته ووجدها تطلب منه أن يشرح لها إحدى المواد وعندما حاول التملص منها بالعمل ،لم يستطع حيث أخبرته أنها ستأتيه في وقت الراحة لا أكثر وهو أكثر من كافي بالنسبة إليها ،لا يعلم لم يشعر أن حياته هو وريم أصبحت مهددة ،فهي لم تعد مثل السابق معه، زفر بحنق وهو يشعر أن ضميره يجلده منذ أن وافق على صداقة هنا ،بعد بكائها له !!

لم يجد مانع في أن يصبحوا أصدقاء طالما لم يتجاوزوا حدودهم لا يعلم لم لا يشعر بالراحة أو بالنقص شيء من هذا القبيل.

انتبه من أفكاره على ريم التي دخلت وأغلقت الباب بحدة

ثم قالت بغضب لأول مرة يراهُ عليها :_

"فقط أعطني سببا واحدا يجعلني أظل هنا "

توتر واهتزت حدقتيه وقال:_
"ماذا تقصدين ؟!"

انفجرت فيه قائلة:_
"لقد سأمت أنا أتحمل كل شيء صامتة يا عبدالرحمن وأنت تعلم ،أتحمل لامبالاتك وغضبك ،تباعدك متى شئت واقترابك متى أردت ،تقلباتك الأخيرة والتي لا أفهم لها سببا لكن إلى الآن وكفى"
أكملت وهي تقترب من خزانة الثياب باكية :_
"إلى تميم وكفى يا عبدالرحمن "
هب واقفا وهو يراها تهم بإخراج ثيابها فأدارها إليه بغضب قائلاً :_
"ماذا تظنين نفسك فاعلة ؟"
دفعته بحدة وهي تقول:_
"ماذا تظن أنت ها؟! ،ولا شيء فقط سآخذ طفلي وأذهب عند أمي"
قال عبدالرحمن بمهادنة وهو يري جديتها:_
"ريم تعقلي ماذا حدث لكل ذلك أنتِ تعلمين أن الصوت العالي لا أتحمله"

قالت بغضب وهي تمسح دموعها بعنف :_
"يا أخي اشعر قليلاً. أتسأل ماذا حدث؟ بل قل ماذا
لم يحدث!! حتى طفلك الذي بسببك تبدل حاله"

زفر بغضب وهو يقول:_

"ريم تكلمي بوضوح إن كان على الفترة الماضية
فأنا أعترف بانشغالي ،وأعدك ألا يتكرر وبالنسبة
لتميم فأكرر أنت تعلمين أني لا أتحمل الصوت
المرتفع والصراخ"

ابتسمت بسخرية وهي تقول:_
"الفترة الماضية هل أنت في حياتنا من الأساس ،قل
لي يا عبدالرحمن ماذا تعرف عن تميم ؟!"

كانت تحافظ جاهدة ألا يصل صوتها إلا إليه من
أجل الصغير فأكملت بحدة خافتة :_

"قل لي هل تعلم ماذا يحب؟
وماذا لا يحب ؟
منذ متى وأنت لم تجلس معه ؟

منذ متى لم تلعب معه والأكثر غضبك عليه في الكبيرة والصغيرة في الآونة الاخيرة.
هنيئا لك لقد نجحت في تحطيم نفسية الصغير فقد استدعتني معلمته اليوم تشتكي من عنفه الزائد منذ فترة وبالأخير ضرب زميله "

كان يقف أمامها مذهولا لا يعلم بما يرد عليها أو يبرر لها فاقتربت منه ساخرة
" وتعلم لم؟ لأن زميله كان يسأله أين والده لما لا يأتي ليقله مثلهم؟!"

حاول أن يتكلم فقاطعته بقسوة وهي تقول:_
"وبدلا من أن تسأله عن سبب بكاءه غضبت عليه ولكني أهنئك أكثر لتعلم أن ولدك يعتقد أنك لا تحبه وقال أنه أيضاً لم يعد يحبك "

تجاوزته وهي تتجه للخزانة مرة أخرى وتقول:_
"والآن قل سببا يجعلني أظل هنا !؟"

اقترب منها ببطء وهو يقول بترجي:_
"ريم اجلسي لنتحدث "

ابتعدت عنه بحدة وهي تقول:_

"وفيما سنتحدث ؟!"

أخذها من ذراعها حتى أجلسها جواره على الفراش وقال بهدوء:_

"أعلم أنني أغضبتك لكن الأمور لا تُحل هكذا "

زمت شفتيها تسأله ببرود:_

"وكيف ستحل إذا؟!"

"اهدئي أنتِ تعلمين أنني أحب تميم هو طفلي "

سألته بحزن:_

"وبما يفيده حبك إن لم تعبر له عنه ؟!"

قال بمهادنة:_

"أعدك يا ريم ومن الآن سأذهب لأراضيه وأفعل له كل ما يحب "

أومات له برأسها دون أن ترد ،وهي تتمدد على الفراش تعطيه ظهرها ،تعض باطن وجنتها وهي تدعو الله سرا أن يلهمها الصبر هامسة:_

"حسنا لنرى، أنا متعبة ،الغداء بالمطبخ أذهب إليه وراضيه واجعله يتناول غذاءه ثم اطمئن أنه قد أدى واجبه وبعدها العب معه وراضيه"

تمدد بجوارها ودفن وجهه بعنقها هامساً:_
"وأنتِ ألن تأكلي ؟"

قالت بحدة خرجت رغما عنها:_
"لا أريد إلا أن أنام الآن "

طبع على وجنتها عدة قبلات ثم همس :_
"حسنا "
لم ترد عليه فتركها على مضض وخرج فهو يعلم أنها لن تتنازل عن رأيها وهي بهذه الحالة.

★★★★★

كان خالد يقف في الجامعة مع بعض زملائه ،لكن عقله شاردا في حسن المختفي منذ أيام وعندما يسأله يرد أنه يقضي بعض المهام وسيخبره حين يعود!!
،زفر بغيظ فحتى شهاب لم ينزل البلدة منذ أن سافر بسبب اختفاء مساعدته

انتبه من أفكاره على صوت مها زميلته وهي تقول:_

"خالد أنت لست معنا!.

نظر إليها منتبها وقال باعتذار :_

"آسف شردت قليلاً ماذا كنتِ تقولين ؟"

"كنا نقترح عليك بأن نتفق جميعاً على الغداء معاً وقضاء يوم سويا احتفالا بتخرجنا "

أومأ برأسه قائلاً:_

"حسنا ليس عندي مانع لكن انتظروا قليلاً"

سألت ميرنا زميلته الأخرى

"ولم "

التفت إليها موضحاً:_

"إن تقديم الدفعة الجديدة اقترب ويجب أن نتواجد كي نساعدهم كعادتنا كل عام "

أومأوا موافقين فاستأذنهم وهو يقول قبل أن ينصرف:_

"حسنا سنتواصل إلى اللقاء الآن"

★★★★★

كانت تجلس بغرفتها تضم ساقيها إلي صدرها بذراعيها وتسند رأسها إلى ركبتيها، وهي تهز جسدها في حركة رتيبة تشعر أن حياتها أصبحت بلا طعم سياط من الندم يأكلها ،تشعر أن قلبها أصبح كقطعة من الرخام حتى أن توبتها بعد كل مرة تُذنب بها أصبحت لا تداوم عليها وهي تشعر أن
اليأس يتسلل إليها كمرض خبيث لا خلاص منه سوى الموت!!
تيأس من نفسها أكثر من أي شيء آخر.
هي لا تبرر خطأها
تعلم أنها أصبحت تتخذ من ظروفها حُجة للعودة إلى إثمها وكأنها أدمنته!! نزلت دموعها بقهر تشعر باشتياق شديد إلى علاقتها بخالقها ،لا تعلم ما الذي دهاها للعودة إلى هذا الذنب مرة أخرى ؟!
من قبل عذرها أنها كانت طفلة لا تفهم والآن وهي ناضجة تعاود عليه! .

الفتور بقلبها أصبح يؤرقها وأصبحت وساوس شيطانها بعدم قبول توبتها تلازمها بالليل والنهار ،نفسيتها ممزقة أشلاء

الجزء الأكبر بسبب نفسها الشاردة منها والآخر بسبب ما حولها من ظروف نزلت دموعها وهي تتذكر الحفلة التي أقامها العم رأفت منذ يومين احتفالا بدخول نور إلى الجامعة

لقد كانت أمها سعيدة كما لم تراها من قبل، كانت تدور بين ضيوفها وهي آخذة نور بين يديها تعرفها عليهم ،

ابتسمت بحزن وهي تتذكر أحد الحضور حين سأل جدها من تلك الجميلة!!

فأجابه جدها بفخر أنها ابنته..

تناولت هاتفها تعبث به ثم هاتفت نهى لتأتي إليها فهي تحتاجها

بعد ساعة كانت نهى معها بالغرفة تسألها بقلق :_

"رنا حبيبتي ما بكِ ؟!"

رفعت رنا عينيها التي تتجمع بها الدموع ثم ما لبثت أن شهقت باكية وهي تتشبث بأحضان نهى التي احتوتها بين ذراعيها وهي تقول بحنان :_

"رنا حبيبتي ما بكِ ؟"

قالت من بين بكاءها بحزن :_

"ليس بشيء جديد يا نهى ،،أنا أحتاج لأم.."
شهقت باكية وواصلت :_
" أحتاجها يا نهى أحتاجها "

بكت نهى وهي تسمعها ترثي نفسها :_

"لم أنا يا نهى ،أتعلمينَ أنها ستظل مقيمة هنا في مصر مع نور لأنها ستضطر إلى وجودها هنا بجانبها نظرا لدخولها الجامعة؟ هي تكرهني يا نهى هي تكرهني ،أشعر بنفورها مني أنا أريد أن أغيب عن الحياة ،أغيب عن العالم أتعلمين؟ أحياناً يراودني هاجس غبطة للذين يعيشون في غيبوبة ،أتمنى أن أذهب إلى عالم اللاوعي "
أكملت بحزن:_
" لا أتمنى الموت يا نهى فأنا لست جاهزة أبداً"
صمتت تشعر بالاختناق، ودموعها الحزينة تجري على وجنتيها ثم انتبهت علي صوت نهى تقول بحماس:_
"رنا ما رأيك بالعمل"
سألتها بحيرة:_
"عمل! وأين أعمل؟"
رمقتها نهى بغيظ قائلة :_

" بالله عليكِ يا رنا شركات والدك في معظم المحافظات والمدن وتسألين"
انتفضت رنا قائلة بحدة :_
"لا أنا لا أريد شيء منهم "

أومأت نهى برأسها دون أن تخبوا روح الحماس بداخلها وهي تقول بتشجيع:_
"حسنا وليكن نبحث عن آخر ،أنا متأكدة أن العمل سيخرجك من شرنقة الحزن هذه سأبدأ. من الآن سأبحث لكِ عن إعلانات للعمل تخص مجالك "
أومأت رنا ولم تجادلها علها تكون على حق..!!

★★★★

كان أنس يجلس مع والدته يشعر بالضجر لقد سأم جدال كل يوم
انتبه علي دخول غدي أخته وهي تقول :_
"السلام عليكم ماذا بكم ؟!"

رد هو ووالدته السلام ثم أكملت والدته حديثها وهي تقول بغضب لها :_
"جدي لي حلاً لأخاكِ لقد سأمت "

سألتها غدي بحيرة وهي تفك حجابها:_

"ما به أنس يا أمي؟!"
"لا يريد أن يتزوج!" قالتها والدتها بحنق مما جعلها تقول بغباء :_

"أمي أنس بالفعل متزوج !"

أخيراً تحدث وهو يلتفت إليها قائلا بغضب:_

"اقنعيها بذلك، لقد سأمت من الجدال معها، أنني لن أتزوج على روضة أبداً يا أمي، أنا أكتفي بها "

كورت والدتها قبضتيها تضغط بهم على فخذيها وهي تواجهه بغضب يماثله:_

"أنت ولدي الوحيد وأريد أن أحمل ذريتك "

تنهدت غدي قائلة بمهادنة:_

"يا أمي هي حياته، وهو حرٌ بها المهم هو أنه سعيد مع زوجته، كما أنكِ يا أمي لا ترضي بخراب البيوت أبداً"

لم تقتنع والدتها وهي تقول بعند:_
"أنا لم أقل له يطلقها !؟"
تحلت بالصبر في محاولة لإقناعها وهي تقول:_

"لكنكِ تعلمين أن زواجه بأخرى سيؤدي إلى طلاقها حتماً،
بالله عليكِ يا أمي أترضيها عليِ لو كنت أنا مكان روضة هل ترضين لزوجي أن يتزوج علي ؟!"

أشاحت ثريا بوجهها قائلة بسرعة:_
"أبعد الله الشر عنكِ يا غدي لا تقولي ذلك"

رمقهم أنس بغضب فصدقا لا يستطيع أن يتحمل ذلك الجدال العقيم كل يوم، لذا هب واقفاً وهو يتناول مفاتيحه ويقول :_
"أنا سأصعد لشقتي، تصبحون على خير "

بعد دقائق كان يدخل من باب شقته، فوجد الهدوء يعم المكان ،تنهد بإحباط ظنا منه أنها نامت لكن عندما دخل إلى غرفته وجدها تنتظره كأجمل ما تكون لقلبه وعينيه

انتبهت لدخوله فرفعت رأسها إليه والتقت عيناهم !!..

يا إلهي أمه تريده أن يتزوج بأخرى !!

كيف؟! يقسم أنه يفتدي نظرتها تلك له بالعالم أجمع.

جلس جوارها على الأريكة وقبل وجنتها وقال:_

"مساء الخير لم لازلتِ مستيقظة إلى الآن؟!"

ابتسمت برقة وهي تقول:_

"ومنذ متي وأنا لا أنتظرك ؟!

التهمها بعينيه وهو يقول بعبث:_

"أشعر أن نوياكِ وقحة مثلي تماماً "

ثم غمز بعينيه يشاكسها:_

" لا لالا لم أعهدك بهذه الوقاحة يا روضتي!"

لكزته في كتفه وهي تقول :_
"أنس كف عن العبث ولا تُخجلني "
أخذها بين ذراعيه وهو يقول:_
" يا روضة بالله عليكِ أي خجل نحن متزوجان منذ ثلاثة أعوام "
شعر بها تتوتر بين ذراعيه فرفع رأسها إليه وهو ينظر لها باستفهام
ابتلعت ريقها وقالت بخفوت وكأنها تلفظ ما تقول :_
"أنا موافقة يا أنس"
قطب بين حاجبيه وهي يعدل من وضعيتهم كي تواجهه وسألها بحيرة :_
"موافقة على ماذا ؟"

صمتت برهة ثم استجمعت شجاعتها وابتلعت غصة مؤلمة بحلقها وقالت وهي تضع سبابتها على شفتيه كي لا يقاطعها :_
"أنا موافقة على زواجك يا حبيبي ، حتى أني لا أريدك أن تُكلف نفسك عناء شيء تزوج هنا بشقتنا وأنا سأذهب لأعيش عند أبي لكن لا تطلقني يا أنس"

ثم شهقت باكية عند الأخيرة وهي تتمسك بسترته وكأنها لا تتحمل أكثر من ذلك!!

مسكها من ذراعيها بحدة وهو يقول:_

"روضة من وضع بعقلك تلك الخرافات ما الذي تهذين به؟"

مسحت دموعها وهي تقول:_

"أقسم لك لم يقل لي أحد أي شيء أنا فقط أرى أن من حقك أن تحمل طفلا لك بين ذراعيك "

أشاح بوجهه وهو يتركها قائلا بغضب:_

"وأنا لم أشتكِ لكِ .وفري اقتراحاتك الثمينة من أجل نفسك"

لم يمهلها الرد وهو يدفعها بحدة وخرج إلى الغرفة الأخرى

جلس على الفراش وهو يتنهد بغضب لقد سأم ضغط أمه عليه كل ليلة ولا يعرف تلك المجنونة ما الذي طرق على عقلها بتلك الخرافات.

تمدد علي الفراش على جانبه وهو يزفر بغضب فبالتأكيد الغبية تبكي الآن يعلم أن مجرد حديثها هذا يجعلها تحترق غيرة وقهراً!!

لكنه سيعاقبها حتى لا تكرر ما قالته مرة أخرى تلك الغبية فهي تستحق..

بعد دقائق شعر بها تدخل الغرفة وتجاوره على الفراش وبكت ..!!

تنهد بصبر واستدار إليها وأخذها بين ذراعيه وهو يهمس:_

"غبية أقسم أنكِ أكثر أهل الأرض غباءاً"

سمعها تتمتم بين دموعها:_

"أنا آسفة يا أنس فقط أردت أن أسعدك "

رفع رأسها إليه وهو يقول بحزم:_

"روضة إذا أردتِ أن تسعديننى حقا لا تعيدي ذلك الكلام الأحمق مرة أخرى..!"

أومأت برأسها فابتسم وهو يضمها لصدره، يمسح دموعها قائلا بحنان:_

"أنا أحبكِ يا روضة ولن أفكر يوما بامرأة أخرى أبداً ،
ثم أني لست بمجنون كي أهدم بيتنا بيدي ألا تذكرين يا روضة "
أكمل بغيظ وهو ينظر لعينيها الجميلتين:_
"لقد رفضني والدك خمس مرات "
ضحكت فواصل :_
"حتى عندما وافق علي بالمرة السادسة كان يعاملني بتكبر وكأنني لست أرقى لنيل شرف أخذ ابنته !"

قالت وهي تضحك من طريقته الحانقة:_
"لا تظلمه يا أنس إنه طيب القلب "
لوي شفتيه قائلا بحنق:_

"بالله عليكِ والدك يهاتفني في اليوم آلاف المرات ليطمئن عليكِ وكأنه لا يكلمك أضعافهم وبنهاية كل مكالمة يبعث لي تحذير مبطن ألا أُحزِن طفلته..!!"

ابتسمت فاقترب منها قائلاً:_
"دعينا منهم الآن"
ثم غمز بعينيه هامسا بعبث:_

" ودعينا نعود للوقاحة التي أموت شوقا لها منذ أن أتيت"

لكزته في كتفه وابتسمت بدلال وهي تحاوط عنقه بذراعيها فاقترب أكثر حتى اختلطت أنفاسهم هامسا بحرارة :_

"أنا أحبك يا روضتي"

ثم أخذها لعالم ليس به إلا هو وهي وثالثهم الحب ..

★★★★★

صباحا

استيقظ على صوت الممرضة وهي تقول :_

"يا أستاذ. .. يا سيد !"

فتح عينيه بصعوبة هامسا دون تركيز :_

"نعم "

والهبلاء التي أمامه قالت وهي تضحك:_

"لقد فاقت خطيبتك والطبيب عندها بالداخل "

رفع خالد حاجبيه يسألها ببلاهة

"أي خطيبة؟!"

نظرت له بدهشة ، فهب واقفا وقد تذكر يسألها بأمل:_

"صدقا؟!"

أومأت برأسها وقبل أن يتحدث ،التفت على صوت الطبيب وهو يهنئه بسلامتها فسأله :_

"هل ممكن أن أدخل لها ؟!"

ابتسم الطبيب وقال :_

"فقط سيتم نقلها إلى غرفة عادية ثم يمكنك الدخول والاطمئنان عليها لكن لا تُجهدها"

بعد نصف ساعة كانت الممرضة معها بالداخل وهي تقول بثرثرة النساء المعهودة:_

"حمدا لله على سلامتك يا جميلة "

ابتلعت ريقها تسألها بتعب:_

"أين أمي وماذا حدث بالضبط ؟"

نظرت لها الممرضة بدهشة قائلة :_

"إن خطيبك بالخارج لم يفارقك من يوم الحادث"

تسمرت ملك مكانها وهي تنظر لتلك المعتوهة التي تحدثها وقبل أن ترد عليها سمعوا طرقا على الباب ثم دخل شاب مبتسم وينظر أرضا ،وتلك الهبلاء تلتفت إليها مبتسمة وهي تقول:_

"ها لقد جاء خطيبك سأترككم سويا "

نقلت ملك بصرها من تلك المعتوهة التي تركتها وخرجت وذلك الذي اقترب منها وقال:_

"حمدا لله على سلامتك "

لم تبالي بألم جسدها وهي ترفعه قليلا بحدة تسأله بقلق وربما خوف!!:_

"من أنت وما قصة خطيبي تلك ؟!"

تنهد حسن جالساً أمامها ، وقص عليها كل شيء ،فوضعت يدها على رأسها وهي تقول:_

"أمي يا إلهي كل تلك المدة وأنا هنا ، وأمي لا تعلم عني شيء ؟"

هز رأسه قائلاً بأسف :_

"صدقا لم نجد بحقيبتك أي شيء يدل عليكِ"

نظرت له برجاء وهي تقول ببوادر بكاء:_

"أحضر لي أمي بالله عليك، هي امرأة كبيرة ولن تقدر علي المجيء وحدها "

يا إلهي هل تقول يجلب والدتها ؟!
لقد ظن أنه بإفاقتها سيهاتف أهلها ويُخلي مسؤوليته والآن تطلب منه إحضار والدتها !!

انتبه على صوت بكاءها المتزايد فسألها :_
"يا آنسة لما تبكي الآن"
لم يخف بكاؤها وهي تنظر له من بين دموعها قائلة :_

"أخاف، أخاف أن يكون حدث شيء لأمي ،أنت تقول أني هنا منذ فترة"
صمت دقائق حاسما أمره وهو يقول:_

"إن شاء الله ستكون بخير، أعطني العنوان وسأذهب لإحضارها "
أملته العنوان واسم والدها ثم سألته بحيرة :_
"ما اسمك؟ "
ابتسم قائلاً:_

"حسن وأنتِ؟!"

"ملك"

همستها بخفوت فأومأ برأسه وتركها وغادر ...
أعادت رأسها إلى الوسادة خلفها وهي تبكي خوفا على والدتها.

★★★★

خرج من الغرفة وهو يزفر بغضب متمتما :_
"يبدو أن المشاكل تبحث عني بحثا "

رفع هاتفه وأبلغ ريم بإفاقتها، ثم ذهب لخالد المعرض ليأخذ سيارته
وصل إلى المعرض ثم دخل وألقى السلام ،التفت إليه خالد من فوراً ثم سرعان ما تقدم منه ولكمه في صدره بغيظ ..
تمالك حسن نفسه وهو يمسد مكان ضربة خالد قائلاً بحنق:_
"ما بكِ يا أخي هل هذا سلامك ؟!"

قال خالد بغضب:_
"أين كنت بالله عليك، أين كنت كل الفترة الماضية وما هي تلك الأشياء المهمة يا سيد مهم ؟!"

نفض حسن شيئاً وهميا من على سترته، وهو يقول بغرور مصطنع وسخرية مبطنة:_
"احم لقد خطبت "
انذهل خالد لثوانٍ مما أضحكه لكن سرعان ما كان يمسكه من ياقته وهو يقول:_
"نعم يا رَوْحَ خَالَتْكْ؟!"

ضحك حسن بقوة وهو ينزل يديه وقال بمهادنة:_
"فقط أعطني مفاتيح سيارتك، وعندما آتي سيكون لكل حادث حديث"
زم خالد شفتيه قائلاً :_
"أقسم لن تأخذ المفاتيح، ولن تتحرك قبل أن أتي معك وأفهم!"
زفر أنفاسه قائلاً باستسلام :_
"حسنا تعالي معي"

في الطريق بعدما قص عليه حسن كل شيء وجد خالد ينظر له بوجل ويسأل:_

"حسن هل عرفت، اسم تلك البنت بعدما فاقت؟"

أومأ حسن برأسه في دهشة وهو يقول:_

"نعم اسمها ملك "

تدارك حسن نفسه بيديه قبل أن يصطدم بمقدمة السيارة أمامه بعد توقف خالد السريع فنظر له بغيظ قائلا:_

"ماذا بك يا أخي ماذا لو اصطدمت بأحدهم الآن؟!"

لم يعيره خالد اهتمام وهو يتناول هاتفه ليتصل بأحدهم والذي عرف أنه شهاب حين قال خالد بلهفة :_

"شهاب لقد وجدتها"

علي الجانب الآخر رد شهاب بحيرة:_

"من هي التي وجدتها؟!"

"ركز معي يا شهاب لقد وجدت مساعدتك المفقودة بنسبة تسعين بالمائة هي"
على الجهة الأخرى سأله شهاب بلهفة:_

"حقا وأين وكيف ومتى؟! "

كان حسن في تلك الأثناء ينظر له بدهشة وهو لا يصدق
أما خالد رد على شهاب وهو يضحك:_
"فقط خذ نفسك أنا سأرسل لك عنوان المشفى التي هي بها ونتقابل هناك بعدما أجلب والدتها "

على الجانب الآخر رد شهاب الذي يتناول سترته ومفاتيحه:_
"كيف عرفت وأين عثرت عليها ثم كيف عرفت والدتها ؟"

أتاه صوت خالد قائلا لكي يُنهي المكالمة:_

"على رُسلك شهاب فقط أذهب للمشفى ، وعندما نأتي سأشرح لك كل شيء إلى اللقاء "

بالسيارة التفت لحسن الذي يرمقه بغيظ قائلاً:_
"هل لي أن أفهم؟!
ابتسم خالد وهو يعيد إدارة سيارته وقال:_
"سأقص عليك كل شيء بالطريق "
بعدما حكي له خالد كل شيء اختتم قوله وهو يقول:_
أي أنه لو كنت قصصت علي منذ البداية لوفرت على نفسك عناء الفترة الماضية "
تمتم حسن بهدوء:_
"إنه القدر "
ثم أكمل وهو ينظر من النافذة :_
"أوقف السيارة بأي جنب ودعنا ننزل نسأل عن بيتها "

أومأ خالد وبالفعل صف السيارة جانبا ثم ترجل كل منهم وهم يتلفتون حولهم حتى انتبه حسن على صوت خالد وهو يشير لآخر الشارع ويقول:_
"دعنا نسأل ذلك البقال"
أومأ حسن وسار جواره حتى وصلوا إليه دلف الاثنان ملقين التحية :_
التفت إليهم رجل قصير بعض الشيء قائلاً وهو يعدل من وضع طاقيته فوق رأسه:_

"وعليكم السلام أي خدمة يا أساتذة؟!"

قال حسن وهو يحك ذقنه:_
"نعم نريد أن نعرف بيت الحج حسين "

ضيق الرجل عينيه يسألهم :_
"أي حسين هل تقصد المرحوم ؟"
قبل أن يرد عليه كان خالد يقول بغباء :_
"لا نعرف مرحوم أم لا لكن ابنته تكون الآنسة ملك"

لمعة الخبث التي ظهرت بعين الرجل التقطها حسن على الفور خاصةً حين قال بسخرية:_

"الآنسة ملك ومن أين تعرفوا الآنسة ملك ؟"
تأفف حسن قائلاً بنفاذ صبر:_
"هل لك أن تدلنا على البيت أم نذهب لغيرك ؟!"

ضحك الرجل ضحكة سخيفة وقال:_

"لا تغضب هكذا يا أستاذ ثم نادي بعلو صوته على صبي القهوة المقابلة فالتفت كل من حسن وخالد على صوت صبي صغير يتقدم منهم قائلاً:_

"نعم يا عم مصطفي"

ابتسم الرجل بسماجة وهو يشير إليهم قائلاً:_

"خذ الرجال لبيت المرحوم حسين "

أومأ الصبي برأسه وأشار لهم أن يتبعوه فتبعهم البقال بعينه ثم أخرج هاتفه ليقوم بمكالمة ما...!!

بعد دقائق وصل بهم الصبي للبيت وأشار لهم وقال:_

"هذا هو بيت العم حسين المنشاوي "

ثم تركهم وركض سريعا على صوت سيده يناديه ، نظر كل منهم للأخر ثم تقدموا ليطرقوا الباب كانت متمددة على الفراش وهي تبكي وتبتهل أن ينجي الله ابنتها..

طرقا على الباب جعلها تنتفض مسرعة ترتدي حجابها متجهة إلى الخارج حيث الباب لتفتحه ، فور أن فتحته وجدت شابين يقف كل منهما بخجل ويبتسم

فقالت بدهشة :_

" أهلا وسهلا خير من أنتم ؟"

كان خالد أول من تحدث قائلاً بأدب:_

"هل حضرتك والدة الآنسة ملك ؟"

شهقت باكية وهي تقول بلهفة:_

"ملك ابنتي نعم يا ولدي رد على هل هي بخير؟!"

تأثر حسن فابتسم قائلا بحنان :_

"نعم يا أمي هي بخير فقط نحن سننتظرك إلا أن ترتدي ملابسك ونأخذك لها "

رمقتهم بخوف قائلة بقلق:_

"أين هي يا بني هل هي بخير ؟"

ابتسم خالد قائلاً:_

"اطمئني يا حاجة هي بخير حال"

اومأت برأسها في طيبة وقالت بلهفة :_

"إذا انتظراني هنا يا بني سأرتدي ملابسي وأتي "

ثم أكملت باعتذار:_

"عذرا سأغلق الباب ودقائق وأعود إليكم"

أومأوا لها وظلوا يتحدثوا سويا حتى انتفض الاثنان على صوت غليظ يقول :_

" من أنتم ؟"

استدار كل من خالد وحسن بحدة فوجدوا رجل كبير وبجواره ذلك البقال السمج الذي التقياه قبل دقائق

همس حسن في نفسه بغيظ:_،

"الواشي الخبيث "

انتبه على صوت صديقه يقول بغلظه:_

"ومن حضرتك ؟!"

هدر الرجل بقوة:_

"أنا صاحب ذلك البيت "

قال حسن بغباء وهو يبتسم:_

"الحج حسين ؟!"

لكزه خالد في كتفه وهو ينظر إلى البقال بغيظ ويقول:_

"ألم يكن المرحوم؟!"

تنحنح البقال فقال الرجل الآخر:_

"أنا ربيع أخاه "

أومأوا في احترام فسأل :_

"من انتم وما علاقتكم بملك؟!"

أكمل بغضب دون أن يمهلهم فرصة الرد :_

"وأين هي ؟"

قص عليه خالد ما حدث باختصار فقال البقال بسخرية :_

"وهل تريدنا أن نصدق تلك الخرافات ؟"

كاد حسن أن يرد عندما سمع صوت المرأة خلفه تخرج لهم من البيت قائلة بلوم للرجل الذي أمامهم:_

"هل هذا ترحيبك بالضيوف يا ربيع ؟"

قال ربيع بغضب :_

"أي ضيوف يا امرأة ،أفيقي ابنتك الهاربة يأتي من ورائها رجلان ليخبروكِ أين هي !"

انتفض حسن قائلاً بغضب:_

"أي هاربة يا عم ألم تفهم ما قلناه إنها كانت بحادث "

شهقت صفية بخوف وهي تبكي وتقول:_

"أي حادث يا ولدي ألم تقل أنها بخير؟!"

أومأ حسن وهو يلتفت إليها قائلاً بهدوء:_

"اطمئني يا حاجة ،أقسم أنها بخير "

شعر خالد بتجمع بعض المارة فقال بجدية :_

"يا عم هل ستأتي معنا لتطمئن على ابنة أخيك أم نذهب ؟!"

رد عليه ربيع بغضب:_

"نعم سآتي هيا بنا يا حج مصطفي "

جز حسن على أسنانه قائلاً بغيظ :_

"ولما يأتي الحج مصطفي تفضل يا حج لمتابعة عملك يكفي والدتها وعمها إنها بالمشفى بحق الله"

انصرف الرجل المدعو بالحاج مصطفى بغيظ

ثم ذهبوا جميعا وركبوا بسيارة خالد الذي أدارها
ليذهب بهم إلى المشفى ...

وفي تلك الأثناء كان خالد يحاول أن يهاتف شهاب
حتى، يخبره بطريقة غير مباشرة ألا يكون متواجد
مع تلك الفتاة وذلك بسبب الثور الجالس في الخلف
المدعو عمها
بعد برهة كانوا قد وصلوا لغرفتها في المشفى وقبل
أن يدخلوا خرجت لهم الممرضة وهي تبتسم
كالبلهاء ثم نظرت لحسن وقالت:_
"أين كنت يا باشمهندس خطيبتك بالداخل ومعها
الد..."

وقبل أن تكمل حديثها انتفضت على صوت زمجرة
غاضبة من أحدهم بالخلف قائلاً باستنكار :_
"خطيبته !"
ضرب حسن بيده على جبهته وهو يركل قدمه في
الحائط
جواره فأكملت بغباء وهي تهزر رأسها بفرحة :_

"ومعها الدكتور شهاب البرعي بنفسه هنا بالمشفى
"

أومأ حسن برأسه بغيظ وهو يشكرها كي تنصرف ،ثم التفت على قبضة الرجل وهو يقول بغلظة:_

"أي خطيب ما الذي تقوله تلك المرأة ومن هذا الشهاب "

أنقذه خالد قائلاً بغيظ :_

"يا حاج دعنا ندخل أولاً"

ثم أسرع بطرق الباب وفتحه مطمئنا أن عمه بالداخل دخلوا جميعا وكان شهاب معها، وبمجرد أن رأت أمها هبت من مكانها باكية وهي تقول :_

"أمي !"

جرت المرأة عليها وهي تحتضنها وتبكي ووقف شهاب بأدب وهو يقول للرجل الذي استنتج أنه أحد أقاربها :_

"مرحبا يا حج تفضل !"

تجاوزه الرجل بقلة تهذيب وهو يقترب من ابنة أخيه ويقول :_

"لا مرحبا ولا غيره "

ثم قام بانتزاع ابنة أخيه من أحضان أمها وهو يهزها بين كفيه ويقول:_

"أين كنتِ كل تلك الفترة يا عديمة الحياء ؟!"

أبعده كل من شهاب وحسن بغضب ثم قال شهاب:_
"اهدأ يا حاج وتريث ما تفعله لا يصح"

انتبهوا جميعا على صوت صفية تقول بغضب:_
" لا تتحدث عن ابنتي هكذا يا ربيع "
كشر بوجهه قائلاً بغضب أكبر:_
"أهذه ابنتك العفيفة بحق الله لقد جاء رجلان يسألان عنها في الحارة!
وبالأخير أجد ثالثهم هنا يجالسها وتلك المرأة التي تقول على أحدهم خطيبها هل هذا العمل الذي كانت تعمل به !!"
صمتت المرأة بقهر ولا تعلم بما ترد فابنتها بموقف لا تحسد عليه ،مع ذلك العم الذي تدرك جيدا أنه يصطاد بالماء العكِر
انتبهوا جميعا على صوت طرق الباب تبعه دخول تلك الممرضة البلهاء والتي تجولت بنظرها عليهم جميعا وبالأخير استقرت على والدتها وهي تقترب منها وتقول بطيبة :_
"أنتِ والدتها يا حاجة؟!"
أومأت صفية برأسها ،فابتسمت الهبلاء وهي تقول بطيبة :_

"أين كنتِ كل تلك الفترة يا حاجة "
وضعت يدها على ذقنها وهي تقول باستدراك:_
"بالتأكيد زوج ابنتك كان يطمئنك عليها"
التفتت علي زمجرة غاضبة لرجل يقول بخشونة :_
"أي زوج يا امرأة ؟!"
ضحكت ببلاهة وهي تقترب من حسن وتقول :_
"باعتبار ما سيكون يا حاج قل إن شاء الله إن الباشمهندس لم يترك ابنتكم ثانية واحدة منذ دخولها للمشفى"

جز حسن علي أسنانه بغيظ من تلك الغبية وهمس:_
" يا مثبت العقل في الرأس من تلك المصيبة"
ثم اغتصب ابتسامة ينظر لها وهو يقول من بين أسنانه :_
"تفضلي أنتِ الآن"
ابتسمت كالبلهاء وتركتهم وخرجت فعاد حسن بنظره إلى الرجل وقال:_
"يا حج لقد اضطررت لقول ذلك لأنها كانت بغيبوبة وتقارير المشفى تثبت ذلك "
أشاح الرجل بغضب قائلاً:_

"لا تقارير ولا غيره يا هذا كل شيء من الممكن تزويره لقد غطت رأسنا بالوحل عديمة الحياء "

على صوت خالد قائلا بحمية وقد استفذه غباء الرجل:_

"ألا تفهم يا حاج نقول لك إنها كانت غائبة عن الوعي وليس معها أي هوية "
لوي ربيع شفتيه قائلاً بتهكم:_

"وتريدني أن أصدق تلك التراهات "

خرج صوت شهاب أخيراً قائلاً بنفاذ صبر وقد سأم مما يحدث :_
_"بالنهاية ماذا يرضيك يا حاج "
قال ربيع بخبث وهو ينظر لزوجة أخيه :_
"سيكتب عليها ولدي أحمد وتخرج من هنا وهي زوجته "
انتفضت صفية بغضب قائلة:_
"اتقِ الله يا ربيع، أحمد متزوج ولديه أبنائه"
خرج صوت ملك اخيرا قائلة بحدة:_

"أنا لن أتزوج ولدك ولا غيره وسأعود إلى منزلي وليس لك شأن "

وكزتها أمها في ركبتها خفية بغيظ فاندفع إليها وهو يقول:_

"ولك عين يا عديمة الحياء !"

قال شهاب وهو يدفعه بعيدا عنها :_

"وإذا كانت عديمة الحياء لم تزوجها لابنك وتُلطخ سمعته"

قال الرجل بعند:_

"هي عِرضه وسيتستر عليها"

قال شهاب وهو يقلب فكرة ما برأسه، يدعو أن تكون صائبة:_

"إذا أنا عندي رأي آخر يا حاج "

التفت إليه الرجل سائلا بسخرية:_

"وما هو ؟"

قال شهاب بعد فترة من الصمت:_

"الآن البلدة بأكملها بالتأكيد علمت بأمر المشفى والحادث ومن المؤكد سيطلبون زيارتها كي يتأكدوا "

صمت دقائق ثم نظر لحسن وقال :_

"إذا أفضل حل هو أن يكتب عليها حسن "

عم الصمت والتفتت إليه ثمانٍ أزواج من العيون
وكادت ملك أن تتحدث فأشار لها بالصمت
ثم سأله
"ما رأيك يا حاج ؟"
أشاح بوجهة قائلاً بغضب:_
"لا ولد عمها أولي بسترها"
ردت عليه صفية بغضب:_
"أي ستر يا رجل ؟!"
تنحنح شهاب قائلاً بهدوء:_

"هكذا أنت لا تحِل الأمر يا حاج بل تزيد من الوضع سوءا وليس من صالحكم ألا تفكر على الأقل"

أومأ ربيع على مضض وهو يتجاوزهم خارجا ويقول:_
"سأفكر"

بعدما خرج كانت ملك أول من تحدث بإرهاق وحزن :_

"ما الذي قلته يا دكتور بحق الله؟!"

اتبعها حسن يقول بتأنيب:_

"بالله عليك يا شهاب كيف تفعل ذلك وأنت على علم بكل شيء!؟"

قال شهاب وهو ينظر لخالد بحزم:_

" خذ حسن وانتظراني بالخارج "

اندفع حسن للخارج غاضبا فاتبعه خالد واعترض طريقه وهو يقول بترجي:_

"انتظر يا حسن واهدأ!

قال حسن بغضب :_

"كيف لشهاب أن يفعل ذلك يا خالد؟!"

هز خالد رأسه قائلا بحيرة:_

"صدقا لا أعلم لكن ما أنا على ثقه به أنه لا يريد لك إلا كل الخير "

لمعت عيناه بالغضب وقال بحدة:_

"أي خير يا خالد هل لك أن تقول لي ما رد فعلهم عند علمهم بكوني لقيط؟!"

أكمل بغضب:_

" اترك هذا
ما رد فعل من حول تلك المسكينة بالداخل ، نحن
بذلك نثبت عليها التهمة وليس العكس يا خالد"
هز خالد رأسه مصدقا وهو لا يعلم لما فعل شهاب
ذلك لكن وقبل أن يتحدث كان حسن تركه وذهب..

أما بالداخل بعد خروجهم التفتت ملك لشهاب وهي
تنظر له بتأنيب وقالت:_
" لم فعلت ذلك يا دكتور؟"
جلس شهاب على الكرسي أمامها وقال بأسف :_

"ملك أنتِ تعرفين أنكِ كأختٍ لي لكن الموقف في
وضع لا يحسد عليه إذا أقنعتي الناس بأنها حادثة
وتقارير الكشف تثبت ذلك ،اقنعيهم بأنكِ نسيتي
الهاتف وأي هوية تثبت شخصك !!كما أن عمك بعد
غيابك الفترة الماضية والتي ليست بالقصيرة
بسهولة سيقنع جميع من ببلدكم والذين هم بالمناسبة
نفس تفكيره بضرورة زواجك من ولده وإذا حاول
أحدهم اثنائه عن قراره ستجدين آخر يتبرع بطلب
الزواج وكأنكِ سلعة بينهم كما أن حسن شخص
يتمناه الجميع فقط هناك مشكلة واحدة "

سألت الأم بوهن وقد أرهقها التفكير إضافةً إلى أحداث الفترة الماضية:_

"وما هي يا بني ؟"

صمت يفكر ثم حسم أمره وقال بصدق:_

"أقسم لو تقدم حسن لإحدى أبناء إخوتي لن أتردد لحظة للموافقة عليه ،

"ولو كان خالد بن أخي مكانه لقلت نفس الحل وبشرفي أنه أفضل مني ومن خالد ولا أتمني لملك أفضل منه لكنه للأسف وهو ما ليس بيديه..

لقيط

استدرك حديثه بعدما سمع شهقة أمها :_

"لكن من حظه أنه تربى بدارٍ للأيتام خاصة أفضل تربية على خلاف من هم بظروفه ونعتبره أحد من عائلتنا منذ صداقته بابن أخي"

حين سيطر الصمت عليهم ،استقام واقفا وقال :_

"سأترككم لتفكروا وسأمر عليكم ليلا "

خرج فوجد خالد فقط من ينتظر لم يعلق فهو توقع ردة فعل حسن وقال لخالد :_

"هيا بنا للمنزل ثم نعود إليهم ليلا حتى لا يظلوا وحدهم"

أومأ خالد وهو يسير بجواره ولم يزد بحرف

★★★★★

انتهى من شرح الجزء الذي طلبته وسألها باهتمام:_

"هل فهمتِ ؟"

ابتسمت هنا وقالت برقة :_

"جدا يا عبدالرحمن لقد حاولت فيها مرارا ولم أفهمها إلا الآن"

أومأ برأسه وهو يقول باختصار:_

" جيد "

استقام واقفا ليتناول سترته ينظر إليها قائلاً :_

"أنا سأذهب الآن هل معك سيارتك أم ،آخذك في طريقي "

هبت واقفة تقول بلهفة:_

"أشعر بالجوع ألن تتناول الغداء معي ؟!"

هز رأسه نفيا وقال بحزم:_

"هنا لقد اتفقنا أننا سنكون أصدقاء وفقط!"

زمت شفتيها ثم قالت:_
"أعلم لكن الأصدقاء يتناولون الطعام سويا يا عبدالرحمن"
ثم استدركت وهي تتجاوزه:_
"لن أضغط عليك اليوم ليكن مرة أخرى إلى اللقاء"

تابعها بعينيه حتى وصلت إلى الباب واستدارت إليه
ثم ابتسمت قائلة بدلال :_
"سأراسلك ليلاً"
اومأ برأسه بتشوش ولم يرد بعد خروجها جلس على الأريكة ورائه وهو يزفر بخفوت مفكراً..!!

لا يعلم لم صحبتها أصبحت ثقيلة عليه حتى أنه يجاريها كي لا يكسر بخاطرها لكن ثمة ثقل على قلبه يجعله حائر والأكيد أنه ليس بسعيد! نظر بساعته وقام كي يذهب إلى البيت

★★★★★

تقابل كل من عبدالرحمن وشهاب وخالد عند البوابة الخارجية للمنزل كل منهم بسياراتهم دخلوا بالترتيب إلى الحديقة كي يصفوها

وفي تلك الأثناء كانت ريم تجلس مع تميم بالحديقة وصلوا إليهم وألقوا السلام ثم جلسوا

وكان أول من تحدث شهاب وهو يوجه حديثه لريم يسألها

"هل كنتِ تعلمين يا دكتورة؟!"

ردت ريم بحيرة:_

"أعلم ماذا ؟"

حسن والفتاة بالمشفى عندكم!!"

وكأن خالد انتبه للتو أنهم كانوا بمشفى عائلة ريم فنظر لها بعتاب جعلها تبتسم قائلة :_

"أنا لا أجد خطأ في ما فعلت لقد استأمني حسن على سره وجعلني أقسم ألا أخبر خالد "

سألها خالد باهتمام:_

"هل كنتِ تعلمي أنها مساعدة شهاب بالمركز ؟"

هزت رأسها نفيا في دهشة فواصل يسألها:_

"ألم يقل لكِ عبدالرحمن عن اختفاء مساعدة شهاب؟ "

هزت ريم رأسها نفيا مرة أخرى وسألت:_

"من أين علمتم؟ هل من حسن ؟"
قص عليها خالد سريعا كل شيء فهب عبدالرحمن بغضب دون السيطرة على أعصابه وهو يوجه لها الحديث:_
"ومنذ متي ولكِ صداقة مع حسن ؟!"

سبقها شهاب بالرد وهو يأمره بحدة:_
"اجلس وتكلم باحترام مع زوجتك "
لم يعيره عبدالرحمن اهتمام وهو يتركهم آمرها بحدة:_
"اتبعيني إلى الشقة "
ناولت تميم الذي كان نام بين ذراعيها لخالد في صمت ، وأومأت لهم باعتذار وحرج ثم ذهبت خلفه

تابعها خالد بعينيه حتى ذهبت ثم التفت إلى شهاب قائلاً:_
"لا تعضب منه يا شهاب هو متغير ومشوش كثيرا منذ فترة "
أومأ شهاب برأسه وقال بأسف:_
"لم أغضب منه بالطبع ، فقط أنا حزين عليه فهو غبي لا يقدر النعمة التي بين يديه ،ويبدو أنه لن يفعل إلا بعد فوات الآوان "

حك جبهته وأكمل بشرود وهو ينظر حيث ذهبوا :_
"شخصية كريمة تعطي بلا حساب وعندما تترك
فهي لا تعود "

★★★★★

في الشقة بمجرد دخولها ورائه التفت إليها ومسكها
من ذراعها بغضب أعمي قائلا من بين أسنانه :_

"هل لي أن أفهم كيف تسمحي لنفسك أن تقفي مع
رجل غريب وتتحدثي معه ويستأمنك على سر له
وكأنكم أصدقاء؟!"
نفضت ذراعه بغضب مماثل وهي تقول :_
"أفق لنفسك يا عبدالرحمن واعرف كيف تتكلم معي
،وقبل أن تقل كلمة تذكر أني طبيبة بتلك المشفى
ومن الطبيعي حين أرى أحد ممن أعرفه أساعدهم "

لمعت عيناه بالشرر سائلا بحدة :_
"وما الداعي ليقول لكِ ألا تُخبري خالد ها؟!"
رفعت حاجبيها بذهول قائلة :_
"وما شأني أنا عيب على رجولتك أن تشك بي"

مسك فكها بكفه يضغط عليه وهو يهزها بكفه الآخر
ويقول ضاغطا على حروفه :_
"اخفضي صوتك ولا تتعدي حدودك معي يا
دكتورة"

لم تتحمل الشجار معه أكثر وقد خنقها البكاء فدفعته
بحدة وتركته ودخلت الغرفة وأغلقت على نفسها
بالمفتاح وبكت !!
أما هو فنفض رأسه بغضب وهو لا يصدق ما صدر
منه ؟!
جلس على الأريكة وهو يدلك رأسه بإنهاك وسياط
من الندم يأكله إن كان من بضع كلمات مع رجل
غريب فعل هذا فما حُجته هو في علاقته بهنا ؟
حقا لقد سأم كل شيء ولم يعد يفهم نفسه ولا يعلم
ماذا يريد!!

انتهى

الفصل السادس

مجتمعين على الغداء في جو هادئ لا يخلو من الأحاديث والمرح ولكن أحاديث القلوب لها رأي آخر

فقد كان يجلس متوترا لم تقل له هنا أنها ستأتي اليوم مع غدي لا يعلم لم؟!

لكنه حين شاهدها توتر و ارتبك مما آثار ريبة زوجتهُ

وقد لاحظ ذلك بشدة

ألا يكفي أنها لا تحدثه إلا باقتضاب منذ أن غضب على تميم

ورغم أنه قام بإرضاء صغيره وتحسنت العلاقة إلا أنها متباعدة، حتى بروحها لا تحدثه إلا لماما وها هي الآن تجلس تطعم صغيرها ووجهها يبدوا عليه امارات الغضب المكبوت

هل تشعر بثمة شيء بينه وبين هنا؟!

ولكن كيف؟!

حتى أنه تعمد ألا يزد عن القاء السلام على هنا منذ أن جاءت

حتى لا يثير رَيبتها

كما أن علاقته بها بريئة لقد اتفقا على الصداقة و فقط ... ولا شيء غير ذلك ..

انتبه من أفكاره على صوت صغيره يسأل والدته ببراءة :_

"أمي أريد أن أعلم شيء"

ردت عليه ريم وهي تضع الملعقة بفمها:_

"نعم يا حبيبي ماذا تريد؟"

قال تميم ببراءة وحماس:_

"أريد أن أعلم من أين وكيف جلبتماني أنتِ وأبي؟"

غصت ريم بالطعام ،واحمرت أذني عبدالرحمن وهو يهز قدمه بتوتر متظاهراً أنه منشغل بطعامه

أما خالد وغدي فكانت وجوههم حمراء من كتم ضحكهم والخجل في آن واحد

كانت هنا تشعر بالغضب والإحراج وهي ترمق عبدالرحمن بنظرات نارية أما البقية فكانوا يكتمون ابتساماتهم منعا للإحراج

لذا كان من أنقذهم هو الجد الكبير يلتفت إلى طفل حفيده مبتسما ويقول:_

"لم تسأل يا صغيري؟ لماذا طرأ على خاطرك هذا السؤال "

قلب الصغير عينيه بينهم بدهشة وبراءة وقال بحيرة:_

"لقد كانت معلمتي تقبلني اليوم وهي تشير لبطنها وتقول" «أريد أن يكون طفلي القادم يشبهك يا تميم»

" وعندما سألتها وكيف ستجلبيهُ هل ستطلبين من والدايّ أن يعطونك واحدا مثلي ابتسمت ولم ترد !"

أومأ الجد برأسه وهو يبتسم يجاريه قائلا :_

"يا صغيري بعد الغداء سأجلس معك وأجعلك تعرف كل ما تريد "

أومأ الصغير برأسه وهو يبتسم فرحا والتهى في طعامه،

أما ريم في تلك الأثناء كانت تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعها من الإحراج تشعر أن وجنتيها سَتنفجران من سخونتهما

انتبهت على صوت طفلها قائلا ببراءة :_

"أمي لكني أريد منكِ أنتِ وأبي أن تجلبوا لي طفل آخر مثلي "

يا إلهي ستقتل طفلها الآن بضمير مرتاح..!

قبل أن تتمكن هي أو أحدهم من الرد عليه بأي شيء يلهيه

كانت هنا تهب واقفة وهي تقول للصغير بغضب وصراخ:_

"احترم نفسك يا ولد وكف عن الوقاحة "

امتقع وجه الصغير وبدأ في البكاء ،فوجدت الأوجه كلها تنظر إليها وخيم الصمت على المكان بعد ما قالت فجلست ببطء تبتلع ريقها بصعوبة وهي تتحاشى النظر إليهم

أما ريم فقد تبخر الإحراج والخجل ولم تعد تشعر سوى بالغضب لكنها لم تتحرك من مكانها وهي تنظر لها وتقول بلهجة حادة شديدة الحزم:_

"ومن سمح لكِ أنتِ لتردي عليه هو يسألني أنا والدته واحذري أن تنسي أو تتناسي نفسك هُنا ويعلو صوتك على صغيري وتصرخي عليه "

هبت واقفة وأكملت:_

"نعم هُنا البيت بيتك لكن هو طفلي أنا صوتك لا يعلو عليه"

أنهت حديثها وأخذت كف صغيرها وهي تعتذر منهم بجمود وحملته وخرجت مسرعة لتصعد لشقتها فيكفي ما لاقته إلى الآن

لم يستطع أحدهم أن يُلقي الخطأ على ريم حتى هو لقد غضب من فعلتها مع صغيرهُ لكنه لم يستطع أن يرد عليها وهو يرى اندفاع ريم بالرد

أما خالد فرمق هنا بنظرة ازدراء وصلتها جيدا وقام وتبعته غدي التي نظرت لها قائلة بغيظ:_

"تعلمي يا هنا أنتِ لا تستحقين فقط ما قالته ريم لو كان ابني لقطعت لسانك "

لكزه والده في كتفه هامسا بحزم:_

" اصعَد لزَوجتك وابنك الآن"

أومأ برأسه وهو يرمي نظرة لتلك التي تجلس لا تعلم ماذا تفعل وخرج ...

أخيرا خرج صوت الجد قائلاً بغموض :_

"تركتهم جميعا يخرجون ما عندهم وأنا لن اقول لكِ شيء سوى ليس هناك خاسر غيرك يا ابنتي"

ثم أكمل بحزم وهو ينظر للجميع:_

"اغلِقوا هذا الموضوع الآن فقد تعكر دمي"

ثم نظر للجدة وقال:_

"وأنتِ يا حاجة من فضلك اتركي ريم لتهدأ ثم هاتفيها لتهبط لكِ وراضها واعتذري لها عن وقاحة ابنتنا"

لم يُزِد أكثر تركهم وخرج ..

أما هي فظلت جالسة مكانها مطرقة برأسها

لا تعلم كيف تهورت وفعلت ذلك لكنها أحست بنار حارقة نشبت بداخلها من حديث الصغير ،

قامت من مكانها وهي تخرج من الغرفة فصادفته يخرج من المرحاض يبدو أنه لم يصعد بعد

اقتربت منه ووقفت أمامه لا تعلم ماذا تقول أما فهو فنزعة شيطانية بداخله تلبسته جعلته يشعر بالانتشاء من غيرتها ليس حبا وإنما انتقاما أليست هي من تركته؟ فَلتذق ما صنعت يداها.

انتبه من أفكاره على صوتها وهي تقول بتردد :_

"عبدالرحمن أنا أنا... أنا لم أقصد اغضاب الصغير لكنها هي أ..."

قاطعها قائلاً بقسوة من بين أسنانه :_

"هي والدته يا هنا وأنتِ ليس لكِ أدنى حق بما فعلتي"

عضت على شفتها السفلى بغيظ وقالت :_

"آسفة لكن هل سيؤثر ذلك على صداقتنا الوليدة ؟"

ابتسم بسخرية مبطنة وهو يضع إحدى كفيه في جيب سرواله وقال:_

"لا فقط احذري أن تُكرري ذلك مرة أخرى"

ثم أكمل بلهجة لاذعة :_

"ولا تأملين أن ترقى لمكانة تركتها بنفسك يا هنا"

قبل أن تتمكن حتى من الرد عليه كان تركها واتجه للخارج منتظرا هبوط خالد وغدي ليصعد لها فهو قد شاهدهم صاعدين عند خروجهُ من غرفة الطعام..

★★★★

بالأعلى تشعر بأن الغضب بداخلها قادر على حرق الأخضر واليابس

طاقتها تنفذ بمجرد رؤية تلك الهنا تنهدت وهي تضم تميم إليها مراضية له و لم تكد تفعل حتى سمعت صوت الجرس

اتجهت إلى الباب وفتحته فوجدت خالد وغدي أمامها مبتسمين .

كانت غدي أول من تحدثت وقالت بمشاكسة :_

"وجدنا الحرارة اشتدت بالأسفل فقررنا أن نجلس معك بالمكيف "

ابتسمت ودعتهم للدخول ثم استأذنتهم وتركتهم مع تميم ودخلت لتجلب لهم عصير ومسليات وهي ممتنة لنيتهُما فَخالد وغدي إخوة لها منذ أن تزوجت عبدالرحمن

بعد دقائق خرجت لهم ووضعت المشروبات والفاكهة أمامهم وجلست سائلة خالد:_

"ألا توجد أي أخبار جديدة عن حسن ؟"

هز خالد رأسه نفيا وهو يتناول ثمرة خوخ من أمامه وقال:_

"لا يرد على اتصالاتي ولا حتى على شهاب وعندما ذهبت إليه أقسم على ألا أتحدث"

شاركتهم غدي الحوار قائلة:_

"ولما كل ذلك أنا أرى أنه هو المخطئ وليس أنتم "

سألتها ريم بتعقل :_

"ولم وفيما أخطأ يا غدي ؟"

التفتت غدي إليها موضحة:_

"يا ريم حسن ليس بالغريب من يوم صداقته بخالد وقد قال جدي أنه فرد من أفراد العائلة ومن يومها ومن المفترض أنه يعتبرنا أسرته"

"لِم لم يلجأ للجد أو شهاب وخالد ؟!
كانوا قد تصرفوا من البداية !"

أومأ خالد موافقا غدي في رأيها وقال:_

"نعم معها حق كما أنه وللصدفة كانت هي مساعدة شهاب أي أنه لو أخبرنا لم يكن ليدخل بكل تلك الطرق"

رمقت ريم صغيرها الذي التهى في مشاهدة التلفاز ثم عادت بنظرها إليهم قائلة:_

"معكم حق لكن لا تنسى لقد خاف أن يقحمك معه بالمشاكل يا خالد وبالأخص أن الفتاة كانت غائبة عن الوعي في غيبوبة"

اومأ خالد برأسه وقال:_

"يبدوا أنه القدر كما قال شهاب"

التفت إلى غدي وسألها:_

"وأنتِ يا غدي متى ستسافرين ؟"

"اليوم أبي سيمر علي مساءً ليأخذني لدي عمل بالصباح"

أومأ برأسه وظلوا يتحدثون في أمور عديدة في محاولةٍ ضمنيهٍ لتَهوين ما حدث على ريم.

★★★★

بشقته التي استأجرها حديثا من خالد لا يعلم ماذا يفعل حتى أنه يدعو الله أن يرفض هذا العم التعس

هذا الزيجة ويزوجها لابنه المتزوج أو لآخر وما شأنه هو ؟!.

حتى عندما زاره خالد أقسم عليه ألا يفتح ذلك الموضوع معه.

انتبه على طرق الباب فزفر بغيظ ظناً أنه خالد لكنه تفاجأ بشهاب البرعي يقف أمامه ويقول بلوم:_

"كيف حالك يا حسن؟"

نظر إليه حسن بدهشة من زيارته الغير متوقعه وقال وهو يفسح له مجالاً للدخول:_

"بخير يا دكتور تفضل "

دخل شهاب وجلس على أريكة جانبية وقال بسخرية :_

"هل أصبحت الآن دكتور يا حسن ؟ "

هز رأسه ثم قال بقنوط:_

"ممتاز لن أدخل معك في جدال لا جدوى منه"

اقترب منه حسن قائلاً بخجل:_

"شهاب أنت تعلم أنني لم أقصد"

تنهد شهاب قائلاً :_

"حسنا يا حسن لقد أتيت من سفري عليك لنتحدث سويا و لأدخُل في الموضوع مباشرة ما الذي تعترض عليه ؟"

رمقه حسن بدهشة من سؤاله المستفز له ثم قال بغضب:_

"شهاب أتسأل لو كنت أنت في موقفي هل ستقبل عليك هكذا ؟"

ثم أكمل بلوم وهو يجلس مقابلاً له :_

" أم لأنني لقيط قلت فرصة لن يحظى بها ثانية "

قال شهاب بحزم:_

"حسن لم أعهدك بتلك العقلية الصغيرة كما كف عن قول لقيط... لقيط أصبحت مثيرا للشفقة حقاً!"

كاد حسن يقاطعه باندفاع فسبقه شهاب وهو يقول:_

" نعم يا حسن المرء ليس بوالديه ؛ المرء ببنائه لنفسه وذاته وأقسم لك يا حسن وليس من شيمي القسم على أي شيء أنني لو متزوج ولدي ابنة وطلبتها أنت للزواج لم أكن لأتَردد ثانية في الموافقة عليك.

انفض عن نفسك رداء الخجل يا رجل وثق بذاتك "

انتابه الخجل من حديث الرجل له يعلم أن شهاب البرعي لا ينطق إلا بالحق لكن تبقى هناك ندبة نقص بالقلب لا يستطيع مواربتها

بعد برهة من الصمت قال:_

"يا شهاب لكن ليس هكذا الموضوع مربك نحن لسنا بفيلم عربي ليتزوج كل من البطل والبطلة إجباراً ثم تُتوج حكايتهم بالحب في النهاية ويُسدل الستار"

ابتسم شهاب قائلاً بهدوء:_

"ولما لا تقول أنه القدر يا حسن كما أن ملك فتاة يتمناها كل رجل لتعلم أن أكثر من طبيب معي بالمركز طلبوا التقدم إليها ورفضت متحججة أنها تريد أن تبني نفسها لكن كما قلت لك أنه القدر كما أني أناشد فيك رجولتك يا حسن"

نظر إليه حسن باستفهام فأردف:_

"أنت بالتأكيد تعلم بلدة الفتاة فالمَسافة بينها وبين البلدة هنا أقل من نصف ساعة وتعلم عاداتهم هناك إن لم تتزوجها سَيزوجها عمها لابنه غصبا وإذ لم يحدث فسَيزوجها لأَول رجل يطرق بابهم وإن كان كهلا وبالأخص بعد تغيبها لفترة .

لقد هاتفت والدتها صباحا وكانت تبكي فبعد عودة ملك للمنزل مرة أخرى هاجت وكثرت الأقاويل أنها كانت هاربة مع أحدهم وهناك من قال إنها كانت بالمشفى لتجهض جنينا.. "

هب واقفا في جزع وهو يشعر بخَلايا جسده كلها تحرقه على تلك التي تُلوث الألسن سمعتها ظلما دار حول نفسه عدة مرات في عجز ثم التفت لشهاب وقال بتردد:_

"وهل زواجها من لقيط هو ما سُيبرأ سمعتها يا شهاب ؟"

هز شهاب رأسه نفيا وقال:_

"أنا لا أسعى لتبريء سمعتها فهي أعلى من ذلك يا حسن والناس مهما حدث ستظل ألسنتهم تتحدث إلى أن تُلهيهم حكاية أخرى أنا أسعى لكي لا تُظلم الفتاه مع شبيه رجل كعمها "

تنهد ثم ابتسم قائلاً:_

" يا حسن ملك كأخت لي تماما لذا أنا سأطمئنُ عليها مع رجل كحسن"

اومأ حسن شاردا وهو يشعر أنه مكبل لا يقوى على الرفض بعد حديث شهاب ثم سأله:_

"هل هاتفت عمها ؟"

أومأ شهاب قائلاً:_

"نعم لكنه رافض رفضا قاطعا إلا أن تتزوج ولده

لكن والدتها بعد حديثي معها وافقت دون النظر لرأي ذلك المدعو عمها كي تنقذ ابنتها من شره"

سأله حسن بتردد وأذنيه تحمر خجلا:_

"وهي هل تعلم ظروفي وهل وافقت ؟"

ابتسم شهاب قائلاً:_

"نعم لقد أخبرتهم من البداية كل شيء وبالنسبة لموافقتها فَيؤسفني أن أقول أنها مجبرة مثلك ولا تجد فرصة للقبول أو الرفض لكنها قوية و سَتتعايش مع الأمر أنا أثق في ذلك"

هب واقفا وهو يتابع :_

"أنا سأذهب الآن وأراك صباحاً"

سلم عليه حسن وأوصله إلى باب الشقة ثم عاد وجلس مكانه وهو يفكر بتلك الزيجة التي ستقلب حياته رأساً على عقِب !!!

★★★★★

جالسة بغرفتها في منزل والدتها ،تشعر بالضجر ما الذي جاء بها إلى هنا؟.

تعلم جيدا أن من أجبر والدتها على تلك الدعوة هو عمَّار أخيها والعم رأفت وذلك ما اكتشفته بعد قضاء

يومين معهم يعاملها فيهم العم رأفت بكل احترام وحنان

وكذلك عمَّار يدللها أما أمها فلا توجه لها أي حديث إلا للضرورة القصوى وفقط.

حاولت حتى أن تتقرب من نور لكن الأخيرة تصدها تارة وتتجاوب معها تارة أخرى

ما يُسري عنها أكثر هو زيارة حمزة الحبيب لها وأيضاً أن منزل نهى بالجوار فقط دقائق من السير وتكون أمام منزلها وتلك الحديقة في التجمع السكني والتي يتقابلون بها بشكل يومي .

نفضت عن رأسها الأفكار ودخلت الحمام بغرفتها توضأت ثم أغلقت الأنوار وأصبحت الغرفة معتمة إلا من بصيص ضوء بجانبها يأتي من الشرفة.

صلت ركعتين توبة عاهدت الله عليهم منذ آخر مرة وقعت بذاك الذنب وندمت .

سلمت من الصلاة ورفعت يدها لخالقها وهي تشهق باكية تدعوه :_

"اللهم إني تبت لك توبة صادقة فثبتني عليها اللهم لا تجعلني أعود لذلك الذنب طوال عمري اللهم اجعل بقلبي الحب لطاعتك والنفور من هذا الذنب يارب ارزقني زوجا صالحاً يعوضني عن كل ما لاقيته بحياتي"

سمعت طرقات متتالية على الباب فأمنت على دعائها ومسحت دموعها وقامت لتفتح لكنها تفاجأت بنور أمامها

نفضت عنها الدهشة تسألها برقة :_

" خير يا نور تعالي حبيبتي "

قالت نور بتردد:_

"ألا تخافي الظلام ؟"

انتبهت أن الجو معتم حولهم يبدوا أن الكهرباء قُطعت وهي لم تشعر لكنها ردت على نور وهي تبتسم :_

"لم أشعر بأن الكهرباء قُطعت"

سألتها بفضول:_

" هل تخافين أنتِ"

تأففت نور وقالت بضجر:_

"نعم بالتأكيد أخاف كما أن أمي وأبي لم يأتوا من الخارج وكذلك عمَّار عِنده مباراة اليوم ولن يأتي الآن"

أفسحت رنا لها المجال للدخول وقالت وهي تدعوها:_

"إن لم يضايقك فَتعالي واجلسي معي "

دخلت نور على مضض وهي تقول بتكلف:_

"آسفة لو أزعجتك لكن حتى أن شحن هاتفي فرغ ولم أستطع إنارة الكشاف "

أومأت رنا برأسها في تفهم وهي تخلع عنها رداء الصلاة ثم أنارت الهاتف خاصتها وجلست على الأريكة بجوار نور والتي سألتها بفضول وانبهار :_

"إن هاتفك آيفون الحديث ،إصدار هذا العام"

ابتسمت رنا وقالت:_

"نعم "

قالت نور بغيرة طفولية :_

"إن هاتفي آيفون هو الآخر لكنه أقل من هاتفك في الحداثة"

ابتسمت رنا ولم ترد فسألتها نور بفضول وغيرة ظاهرة :_

"هل الجد عبدالحميد هو من جلبه لكِ؟"

هزت رنا رأسها نفيا وقالت :_

"لا أنا من جلبتهُ لنَفسي"

قطبت نور بين حاجبيها وسألتها :_

"كيف؟ أنتِ لا تعملين "

تنهدت رنا وقالت باقتضاب:_

"من مالي الخاص "

ابتلعت غصة مريرة بحلقها وأكملت:_

"مالي من أبي"

اعتدلت نور في جلستها تسألها بفضول أكبر:_

"لما تَقطني مع الجد ولا تَقطني مع والدك إذن؟"

أطرقت برأسها محاولة ألا تبكي فَتبتلع ريقها بصعوبة محاولة تجاوز مر علقم يقف بحلقها، تشعر وكأنها ستموت من كثرة الوجع .

ظلت برهة على حالها ثم استجمعت شتات نفسها ورفعت رأسها لنوُر بابتسامة شاحبة تسألها مغيرة الموضوع:_

"نور حبيبتي بأي جامعة سَتلتحقين؟"

رمقتها نور بعدم رضا لأنها غيرت الموضوع ولم تجاوب لكنها قالت بتفكير:_

"لم أقرر إلى الآن"

هزت رنا رأسَها بلا معنى وقبل أن تتحدث وجدت أحدهم يفتح الباب ويدخل وما كانت إلا والدتها والتي دخلت مسرعة وهي تقول بلهفة :_

"نور حبيبتي هل أنتِ هنا لقد قلقت عليكِ عندما وجدت الكهرباء منقطعة فأنا أعلم مدي خوفك "

أومأت نور برأسها وهي تهب واقفة تقول بدلال :_

"نعم يا أمي لقد خفت بالفعل لكني وجدت رنا مستيقظة وجلست معها "

ابتسمت نجلاء ابتسامة صغيرة وهي تقول لرنا :_

"تصبحين على خير يا رنا "

وقبل أن تسمع ردها كانت تأخذ نور أسفل ذراعها وهي تضمها إليها وخرجوا وأغلقوا الباب خلفهم

ظلت أنظارها معلقة بالباب وهي تشعر بسياط من الوجع تجلدها ،فتحركت بآلية إلى الفراش وتكورت على نفسها في وضع الجنين وتركت لدموعها العنان متسائلة

"أليست ابنتها هي الأخرى لم لا تحبها؟"

همست لنفسها بحزن

«يا ربي أتتوق لضمة حنان واحدة منها ثم أموت عقبها يارب فقط ضمة واحدة»

شعرت أن صوت بكاءها بدأ يعلو فكمّمت فمها بيدها حتى لا يصلهم صوت شهقاتها وهي تحاول أن تهدأ نفسها وتواسيها كما اعتادت أن تفعل وهي تحدث نفسها قائلة بمواساة

«اهدئي يا رنا اهدئي لا بأس حبيبتي لا بأس»

ظلت تستغفر برهة وهي خائفة أن تعود لضلالها القديم وبالأخص أن كل ما يُدينوها على هاتفها حاولت حذفه عدة مرات وفشلت .

أمسكت هاتفها وبعثت رسالة لحمزة مفادها أن يهاتفها بعد انتهاء عمله لشعورها بالضجر ثم بعثت أخرى لنهى تطلب منها أن تبحث لها عن عمل سريعا كما اتفقا...

★★★★

منزل ملك

كانت صفية تصلي وتبكي وهي تدعو الله أن يرفع عن ابنتها الظلم وإن تمت تلك الزيجة أن يوفق بينهم ويسعدهم

لكن رغما عنها قلقة وحزينة رغم ثقتها بشهاب البرعي

إلا أن ذلك لا يمنع أن تخاف على ابنتها

الأمر ليس بالهين هو زواج بالإجبار وهي لا تعرف عن ذلك الشاب شيء وليس أبداً ما كانت تتمناه لابنتها

ملك الصغيرة التي طالما تمنت لها أفضل وأعتى الرجال بالأخير تكون زواجها هكذا !!

حمدت الله وهي تستغفر من شيطانها

لكن يبقى جانب بقلبها يؤلمها على ابنتها.

ما الذي ينقصها لتَقترن بشخص مجهول النسب والله أعلم من أي نُطفةٍ خُلِق ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم أن العرق دساس ؟

تعاود وتتذكر حديث شهاب البرعي عنه وتحاول أن تطمئن نفسها وبالأخص بعد تصميم ربيع على تزويجها لابنه ثم تَفَضُل مصطفى البقال بعرض الزواج!

المتصابي ذو الخمسون عاما يريد أن يأخذ صغيرتها

والله لن يحدث

نفضت الأفكار عن رأسها وهي تهب واقفة ،تذهب لتعد الطعام لصغيرتها قبل أن تستيقظ.

لكنها لو دخلت عليها لوجدَتها مستيقظة ولو ظننتها تبكي فهي لا تبكي ولن تبكي

انقلبت على ظهرها ببطىء وهي تحدث نفسها بسخرية :_

"ليس هناك ما يُحزن يا ملك فقط تمت فضيحتك
وقيل عنكِ هاربة مع أحدهم"

"فارس الأحلام الذي طالما تَمنيتيه ذهب كما تذهب
الأحلام وذهب معه الزفاف الأسطوري والفستان
الذي ستصممينه بنفسك وأتي إليكِ الواقع بزواج
إجباري وشخص مجهول النسب !"

"لا بمجرد أن اقترح شهاب الزواج فر غاضبا!"

"كتب كتاب تقليدي اليوم قبل الغد وإلا سيتزوجك
ابن العم الشهم أو الحج مصطفى البقال !!"

ابتسمت ساخرة وأردفت :_

"وما الضير؟ فقط دقيقتين وسأجد علي صبي
الميكانيكي والذي يصغرني بعامين يدق الباب طالبا
التستر على فضيحتي "

فرت دمعة من عينيها فمسحتها بسرعة وهي تقول
لنفسها بقوة :_

"تعايشي يا ملك وما الجديد منذ وفاة والدك وأنتِ تتعايشين مع كل شيء "

"زواج إخوتك وسفرهم ،رؤيتهم مرة في العام ،فقد النقود والتعايش مع الفقر ثم العمل"

تنهدت أخيراً بهم وهي تفوض أمرها إلى الله كما اعتادت أن تنتظر القادم برضا.....

★★★★

تجلس بسيارة الأجرة وهي تتأفف فأكثر ما تكرهه في عملها هو الذهاب لذلك القِسم حتى وإن كان لاستخلاص أوراق عاجلة خاصة بعملها ، طلبت من السائق أن يوقف السيارة جانباً وهبطت ثم دخلت وهي متعمدة أن تنظر أمامها لا تحيد بعينيها يمينا أو يسارا كما اعتادت تجنباً

لما تتعرض له هنا وكأن كل الرجال في ذلك المكان لم يروا امرأة بحياتهم ..!!

اصطدمت بأحدهم فسقطت حقيبتها أرضا ،اعتذرت وقبل أن تنحني لتجلبها وجدت من يسبقها والذي بمجرد أن رفع عينيه لها تسمر بمكانه أمام أية من الفتنة والإغواء مجسدة أمام عينيه

مرت عينيه عليها بتمهل وهو يشعر بتململها أمامه حيث أن حقيبتها مازالت في يده

يا إلهي ألا يوجد بها خطأ تلك المرأة ثم وكيف تدخل هنا من الأساس؟!

انتفض مكانه وهو يسمع صوت حاد حازم من الضابط المنقول حديثا يقول بحدة:_

"ماذا تفعل عِندَك يا بهاء ؟"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يلقي التحية قائلاً بتقطع :_

" سيادة الرائد فقط فقط"

قبل أن يكمل كلامه سمع صوت أنثوي حاد يقول ساخرا:_

"هل ستظل هكذا مُمسك بحقيبتي وكأنك أمسكت حِرزا ؟"

أعطاها حقيبتها مسرعا واستدار إلى الآخر وقال:_

"هل تأمر سيادتك بشيء ؟"

هز عمر رأسه نفيا وقال بحزم :_

"عد إلى عملك "

صرفه ثم استدار لتلك الواقفة بغضب والتي حالفها حظها أن تصطدم بأحدهم في ركن جانبي ضيق.

وضع يده في جيب سرواله وسألها بخشونة :_

" أية خدمة يا آنسة ؟"

قالت غدي وهي تجز على أسنانها :_

"فقط أريدك أن تجعلني أمُر لأقضي شؤوني في هذا اليوم الذي لا آخر له"

ابتسم من طريقتها وقال :_

"فقط أخبريني من أنتِ؟"

أعطته الكارت الخاص بها دون أن ترد فأومأ برأسه وقال :_

"هناك ترحيلات اليوم وحركة كثيرة تعم المركز فقط تفضلي بمكتبي وسأبعث أحدهم لينهي لكِ ما تريدين"

قلبت عينيها في المكان بتردد وهي لا تعرف ماذا تفعل هو يبدو عليه الكياسة والذوق كما أنه لا يحيد بعينيه عن عينيها وهو يتحدث لكن كيف تأمن أحد هنا؟

شعر بتردُدها وخوفها الغريزي فأشار لباب مقفول بنهاية الرواق بسبابته وقال :_

"الرائد عمر الشاذلي وهذا مكتبي تفضلي ولا تقلقي صدقيني أنا أفعل ذلك لصالحك "

حسمت أمرها أخيراً وذهبت معه على مضض وهي تدعوا الله سرا أن يمر اليوم على خير حتى لا تُغضِب والدها.

★★★★

دخل وجد تميم يشاهد التلفاز ، قبَّلهُ على وجنته ثم سأله :_

"أين والدتك ؟"

رد عليه تميم وهو منهمك في المشاهدة قائلا :_

" ريم بحجرة النوم"

اومأ برأسه وتركه وقام ودخل الغرفة وجدها
تتحدث بالهاتف مع والدتها

بدل ملابسه وتمدد على الفراش جوارها وهو يتنهد
بضيق منذ ما فعلته هنا مع تميم وهي لا تُعيره
اهتمام أكثر من ذي قبل

فقط تقوم بواجباتها على أكمل وجه وذلك ما يستفزه
أكثر فهي لا تترك ورائها شيء يأخذه ضدها .

انتبه أنها أنهت مكالمتها لكنها ظلت تعبث بهاتفها
دون أن تعيره أي اهتمام

زفر بضجر ثم هب جالسا وهو يسألها بضيق :_

"هل ستظلين هكذا ؟"

ردت ببرود دون أن ترفع عينيها عن الهاتف:_

"هكذا كيف؟ "

اختطف الهاتف من يدها بغيظ ووضعه على الجارور المجاور للفراش فشبَّكت كفيها ببعضهم ولم تتحدث

رمقها بغيظ قائلاً :_

"ريم حَديثني كما أحدثك"

مطت شفتيها قائلة ببرود:_

"أنت لم تتحدث في شيء من الأساس"

تنهد واستغفر بصوت مسموع وقال:_

"أريد أن أعلم ما الضروري فيما تفعلينه وما حدث لكل ذلك وإذا تحَججتي بعلاقتي بتميم فلن أسمح لكِ لقد فعلت ما تريدين يومها وراضيته "

ابتسمت بسخرية قائلة باستخفاف:_

"يومها لقد جئت على نفسك حقا"

حك ذقنه قائلاً بنزق:_

"لم أغضب عليه بعد ذلك اليوم كما أنني جلبت له الحلوى وبعض الألعاب"

اعتدلت في جلستها تواجههُ وقالت بحدة:_

"حقا لقد أتحفتني حلوى وبعض الألعاب

هل تظن أن هذا ما سوف يصلح علاقتك بطفلك ؟

هل تلاحظ أن تميم لم يعد يسأل عنك ؟

هل تلاحظ أنه عندما تأتي متأخرا يكون نائما وليس كالمعتاد ينتظرك؟

هل تلاحظ أنه لم يعد يدخل لإيقاظك صباحا كما المعتاد؟"

تلجلج رغما عنه في الرد وقد أضعفت حجته وهو يشعر بتأنيب الضمير.

الدوامة التي دخل بها الفترة الماضية تجعله متخبطاً ولا يركز في ما يحدث حوله

دلك جبهته بيده ثم أمسك يدها وهو يقول كي يستميلها :_

"ريم لم أعهدك قاسية هكذا لطالما كنتِ تُعاتبني بود ورحمة وتُساعدينني في ما أتعثر به "

نزعت يدها من يده بحدة تبتلع غصة مؤلمة في حلقها وقالت بلهجة ذات معزي :_

"علك تجد ود ورحمة في مكان آخر لذا أجدك لا تستحقهم أو ربما وجدتهم ومن يدري ؟!"

توتر وابتلع ريقه يسألها بحذر:_

"ريم ماذا تقصدين ؟"

قالت بحدة وحزم:_

"أنا لا أقصد شيء فقط لقد طفح الكيل عند ريم

لكن رأفةً بصغيرك وليس بي

لك فرصة أخيرة يا عبدالرحمن عندي فإذا أضعتها لا تلوم إلا نفسك حينها "

ضاق ذرعاً بحديثها المبهم فقال بغضب:_

"أنا لا أفهم كلامك إذا كان بداخلك شيء أخرجيه علنا نصل لنقطة تفاهم"

هبت واقفة في نية للخروج وقالت بلهجة قاطعة :_

"صدقا يا عبدالرحمن حين يخرج ما بداخلي ستكون نقطة النهاية لا التفاهم "

ثم تركته وخرجت تَاركه إياه يتخبط من الحيرة لا يعلم ما عليه فعله .

★★★★

بالمؤسسة الخاصة به دخلت عليه مديرة مكتبه وقالت وهي تمد يدها له :_

"سيد ياسر لقد وصل هذا الظرف لك اليوم وشدد عامل التوصيل على أن تتسلمه بنفسك "

أخذ الظرف من يدها يرمقه بدهشة وهو يقلبه بين يديه ثم وضعه على المكتب باستهانة وقال :_

"حسنا يا أميرة تفضلي أنتِ وابعثي لي وائل في الحال"

أومأت برأسها وخرجت ثم بعد دقائق ،دخل وائل ذراعه الأيمن رغم صِغر سنه

وقف وائل أمامه وقال:_

"لقد قالت لي أميرة أنك تريدني يا باشا "

أومأ ياسر برأسه يشير له بالجلوس قائلاً :_

"نعم يا وائل اجلس"

انتظر إلى أن جلس ثم قال :_

"أنا أريدك أن تستمع إلي جيدا يا وائل سأضطر للسفر إلى الخارج فترة لابأس بها و أريدك أن تكون بدلا مني هنا "

قال وائل بدهشة:_

"وما الجديد سيادتك تسافر باستمرار وتتابع عملك من الخارج "

صمت ياسر برهة ثم قال بخفوت:_

"أنا سأخضع لعملية جراحية و سَيتطلب ذلك مني فترة بعيدا عن العمل "

هب وائل من مقعده وكأنه استوعب للتو ما يقول

من الذي سيخضع لعملية جراحية؟!

ثم من هذا الذي يتخلل حديثه نبرة الضعف تلك هل هو ياسر الجوهري كيف ومتى ؟!

يشعر بألم في صدره فهو يحب ذلك الرجل رغم كل عيوبه لطالما عطف عليه وعامله كَابن له

هو أساس المكانة التي وصل إليها في هذا السن الصغير بل هو أساس وائل حجاج بل وائل حجاج بدون فضله بعد الله لم يكن ليكون شيئاً.

انتبه على صوت الرجل الذي يبدو أنه يناديه منذ أن هب واقفا وهو يقول بحزم:_

" اجلس يا وائل ماذا دهاك "

قال وائل باستفهام:_

" كيف ومتى ثم لم تُخبرني سيادتك أنك مريض "؟

ابتسم ياسر وقال بسماحة:_

"لا عليك من هذه الأمور ليست بالمهمة. أنا أريدك أن تستعد لأن مسؤوليتك ستكون كبيرة كما أني أوصيك برنا ابنتي إلى أن أعود ،تحرص على أن المال يتم وضعه بحسابها شهريا وعينك تكن عليها إذا احتاجت أي شيء"

هز وائل رأسه موافقاً وهو إلى الآن لا يستوعب ما يحدث

حتى قال له ياسر بصلابة :_

"عد إلى عملك الآن يا وائل "

بعد دقائق من خروج وائل قام من مقعده متناولا سترته ثم لفت انتباهه ذاك الظرف ففتحه بيده ومر بعينيه على السطور سريعا وهو يعقد حاجبيه إلى أن توقف عند نهاية السطور بصدمه جاحظ العينين .

تراجع يجلس على مقعده مرة أخرى وهو يفك أزرار قميصه من الاختناق ثم تناول هاتفه سريعا

طالبا رقم وائل الذي للتو غادره وهو لا يصدق ما قرأه.

★★★★

تجلس جوار نهى في سيارتها تنظر من النافذة شاردة بذلك الإعلان الذي عثرت عليه نهى لوظَيفة تُناسبها كما أنها ستُلهيها

ما يقلق فقط أن الإعلان تاريخه منذ فترة ومن المحتمل أن يكونوا عثروا على غايتهم لكن نهى تقول أنه طالما لم يتم حذفه إذن لازال البحث قائم

انتبهت من شرودها على صوت نهى وهي تصف سيارتها وتقول :_

"حبيبتي لقد وصلنا "

نزلت كلتا الفتاتين من السيارة وأخذت رنا حقيبتها وودعت نهى.

التفتت تدخل العمارة وقبل أن تخطو خطوة واحدة وجدت من يدخل معها يصادفها قائلاً بمرح:_

"أوه مرحى لقد تنازلت الجميلة رنا أخيرا وأتت إلينا "

ابتسمت رنا وقالت:_

"فقط لقد رأفت بحالك لذا هاتفت نهى كي تقلني إلى هنا" أخذ حمزة منها حقيبتها وسألها :_

"ها أخبريني كيف قضيتِ أيامك ؟"

ابتسمت بمرارة حاولت مداراتها وهي تمتم أن ليس بشيء جديد لكنه التقطها على الفور عازما أن يعلم ما بها

_ بعد فترة قصيرة _

كان حمزة يجلس معها بغرفته بعدما قصت عليه ما حدث بعد أن أصر عليها

أتى صوتها تقول بمرارة

"أتعلم ؟

شعور أن أحدهم يكسر بك شيئاً مختلفاً في كل مرة مُخلفا إثر ذاك الكسر طعما مراً كالعلقم لا تقدر على إزالته حلوى العالم

أشعر أنني أختنق يا حمزة كلما أراها ، وأرى مدى جفائها لي

هي أمي يا حمزة ، أنا لستُ لا أُقدر وجودك أنت وجدي وعمَّار وأمي نعمات حولي "

مسحت دموعها وابتلعت ريقها وأردفت :_

"الأمر ليس هكذا يا حمزة ، أمي لن يعوضها أي أحد لن يروي ظمأ اشتياقي لها أي عناق "

ألمه قلبه عليها وسحبها لحضنه وهو يرى اختناقها بالبكاء حتى أنها لم تستطع مواصلة حديثها .

ظل يربت عليها ويُهدهدها حتى هدأت وتيرة بكائها ورفعت رأسها إليه تقول بطفولية جلبت الدموع لعينيه

"تعلم يا حمزة أكره نفسي حين أتمنى أنها لو كانت ميتة ،متخيلة نفسي أجلس جوار قبرها أشكو لها ظلم الحياة ومرها وأهمه أنها تحبني وتشعر بي ، على الأقل كنت سأسُد جوع نفسي لعاطفتها وحبها .

أكثر ما يجلدني يا حمزة أنها حتى لا تكرهني "

هزت رأسها نفيا وابتسمت بسخرية وأردفت :_

"أختك لا تكن لي أي نوع من أنواع العاطفة سوى الجمود

أنا مجرد هواء بالنسبة إليها "

تحشرجت بالبكاء وهي تقول:_

"أتخيل نفسي إذا مت ، أن حزنها علي لن يتعدى حزنها على وفاة فتاة في ريعان شبابها سمعت عنه مصادفة

وبعدها ستستقيم حياتها وكأن شيء لم يكن "

ضحكت وسط دموعها وهي تقول بلهفة :_

"أتعلم ما الذي أتمناه حقا ؟"

مسح دمعه فرت من عينيه عنوة وهو يهز رأسه باستفهام

فقالت :_

"أتمني أن أُرزق بفتاة حتى أحبها كما لم تحب أم ابنتها من قبل

كي أعوض فيها ما لاقيته أنا ...."

ربت عليها بحنان وهو يشدد من احتضانها مؤكدا أن الله سيُعوضها عن كل شيء

هو واثق أن رنا الصغيرة تستحق جمع العالم بين يديها ولا يكفيها.

★★★

«إذا أردت أن تصمد للحياة فلا تأخذها على أنها مأساة»

توفيق الحكيم

تجلس على فراشها بغرفتها تنتظر المحتوم.

ابتسمت بسخرية فمنذ دقائق أرسل المأذون عمها ليأخذ موافقتها والذي أخذها بكل سخرية وغضب فهو لم يأتي إلا خوفا من حديث الناس عليه!

انتبهت على دخول والدتها الحجرة مبتسمة وهي تقول:_

"ما شاء الله عليكِ يا ابنتي قمر "

هزت رأسها بلا معنى ولم ترد فقالت والدتها بفرحة مصطنعة:_

"ما شاء الله عريسك كالبدر ليلة تمامه الله أكبر أخاف عليه من عين الحاسدين"

ابتسمت لأمها التي تحاول مواساتها بطرق شتى ودموعها بدأت في الجريان مما جعل والدتها تأخذها بين أحضانها وتبكي هي الأخرى وتقول :_

"الله سينصرك يا بنيتي ثقي بكلامي والله لن يضيعك"

قالت ببكاء وخوف:_

" أنا لا أريد أن أتركك يا أمي لا أريد أن أذهب معه أريد أن أظل معك "

قبل أن ترد عليها وجدت من يدفع باب الحجرة عليهم في غلظة فانتفضت الاثنتين على صوت ربيع يقول بسخرية:_

"هيا يا عروس عريسك ينتظرك هو وضيوفه"

نظرت إليه صفية باحتقار وقالت بحزم خافت:_

"أخرج وسنأتي وراءك"

تركهم وخرج فمسحت دموع ابنتها وهي تربت عليها بحنان وتقول:_

"هيا يا ابنتي ولا تخافي، أنا سأسبقك إلى الخارج "

أومأت برأسها ثم ذهبت للمرآة تعدل من هيئتها ثم تبعت والدتها إلى الخارج حيث الجميع .

شهاب البرعي وذلك المدعو عمها والحج مصطفي البقال ثم شابين أحدهم ذلك المدعو حسن والآخر لا تذكر اسمه لكنها رأته بالمشفى.

تقبلت مباركاتهم بصمت ثم انتبهت على صوت يقول بتجهم ولم يكن سوى المدعو حسن :_

"حسنا إذا انتهينا فهيا بنا "

احتضنت والدتها باكية وهمست في أذنها بخوف :_

"ادعِ لي يا أمي ولا تخافي "

أومأت أمها برأسها وهي تبتسم باهتزاز والدموع تغشى عينيها

لم تنتظر أكثر وخرجت مسرعة ورائه فلو ظلت ثانية أخرى لن تذهب معه وليحدث ما يحدث .

بالخارج فور أن خرجت وجدت شهاب يقول لها:_

"لطالما كنتِ تثقين بي يا ملك وأنا أعطيكِ وعد بشرفي أن حسن لن يؤذيكِ "

أومأت برأسها ثم انتبهت لتلك السيارة التي اصطفت بجانبهم ونزل منها ذلك المدعو حسن فاتحا لها الباب الآخر وهو قائلاً باقتضاب:_

"تفضلي "

نظرت لشهاب البرعي فأومأ لها باطمئنان في وعد صامت ألا تخف.

أومأت برأسها وركبت وركب هو الآخر مديرا سيارة خالد إلى الخلف ثم اندفع بها إلى أول الطريق .

يشعر بالتوتر يشل جسده لا يعلم ماذا عليه أن يفعل أو يقول هو إلى الآن يشعر أنه يقوم بأداء دور هزلي بجدارة في أحد المسلسلات الشهيرة ،دور لا يمت له بصلة من الأساس!.

زفر بضجر هو لا ينكر أن جزء بداخله راضي عما يحدث ولا يعلم سبب ذلك فقط ذلك الجزء يشعر براحة تغيظه والجزء الآخر يشعر بالعطف على تلك الجميلة بجواره.

جميلة هل قال جميلة ومن الآن !!!!

يبدو أن خياله لا يريد أن يتركه بحاله هو حتى لم ينظر لها إلا نظرة خاطفة كانت بها بهجة للعين.

تأفف دون صوت وهو يبعد رأسه عن تلك الأفكار وصف السيارة جانبا ،ثم خرج منها وتبعته هي كذلك

فقال بخفوت :_

"اتبعيني "

نظرت لظهره بغيظ وهي تسير ورائه تحدث نفسها:_

"الجلف عديم الذوق أتم برمجة لسانه على كلمة واحدة؟ "

صعدوا السلم سويا حيث الطابق الرابع ثم قام بفتح أحد الشقق ومد يده فتح الأنوار ثم قال أيضاً كلمة واحدة ألا وهي

"تفضلي"

أغلق الباب ومعه سقط قلبها بين قدميها كما يقولون لم تلتفت له بل ظلت متسمرة مكانها لا تعرف ما الذي عليها فعله

أما هو فكان ممتن لخالد والذي حين استأجر منه الشقة تفاجأ أنها مفروشة وجاهزة من كل شيء وعلاوة على ذلك أقسم ألا يأخذ إلا أجرا رمزيا حين صمم هو على ألا يأخذها دون أن يدفع ايجاراً لها

فقط المعضلة الحقيقة أنها تتكون من غرفة واحدة !!

تنحنح بصوت مما جذب انتباهها لكنها لم تلتفت له بل ظلت كما هي كفأر مذعور مما جلب الابتسامة على وجهه فقال متقدما منها وهو يشير على إحدى الغرف:_

"هذه غرفة النوم "

ثم اتبع قوله بأن أمسك ذراعها ببرود وهو يجرها خلفه حتى وصلوا للغرفة فقال بحيادية وهو يتجه للخزانة:_ "أنا سأبدل ملابسي بالخارج وسأتركك تبدلين ملابسك"

ثم واصل باعتذار مشيرا لأحد الأركان :_

"هذه حقيبة ملابسك التي جلبتها أمس آسف لقد خجلت أن أعبث بأغراضك لذا رتبيها كما تحبي"

لم يضف حرف أكثر ثم تركها وخرج مغلقا الباب خلفه

نظرت في إثره بذهول محدثة نفسها:_

"ما هذا الكائن إما أن يتحدث كلمة واحدة وإما أن يلصق آلاف الكلمات ببعضها ويخرج ثم ماذا يعني غرفة النوم ألا توجد واحدة أخرى؟"

نفضت رأسها وهي تفتح حقيبتها وتأخذ عباءة منزلية مريحة فحتما هي لن ترتدي إحدى مناماتها الأحباء ،بدلت ملابسها وهي تنظر للفستان الراقي الذي خلعته بحسرة والتي أصرت والدتها على شرائهُ لها .

علقته في الخزانة ثم ذهبت للمرآة لتزيل زينتها الخفيفة وقبل أن تتمكن من تفريغ حقيبتها وجدت باب الغرفة يُطرق

فقالت بغباء

" من ؟"

أتى له صوته من الخارج يقول بسخرية :_

"من بحق الله "

تأففت بضيق وذهبت وفتحت له الباب فوجدته يدخل وقد بدل ملابسه والتي لم تنتبه لها جيدا إلى منامة بيتية من اللون الكحلي لا تعلم لم تذكرت كلام والدتها وهي تصفه حقا هو وسيم ببشرته البيضاء وشعره المرتفع الناعم والذي آثار غيظها فيبدو أنه أنعم من شعرها

ذقنه الخفيفة والتي تزيد من وسامته وعينيه!

آه تسمرت مكانها وهي تنظر لعينيه هل تلك ما يسمونها بعيون المها؟

أم تلك ما يسمونها بالعين الكحيلة برموشه الطويلة ولون عينيه الأسمر يا إلهي هذا الرجل خطر عليها !

أما هو الآخر فكان يقيمها من بين أهدابه بعباءتها المنزلية البسيطة والأنيقة ثم ابتسم بسخرية حين انتبه إلى أنها لم تخلع حجابها

وماذا يظن يعني ؟!

انتبه إلى أنها تنظر داخل عينيه بتركيز فقال بسرعة وهو يتركها ويخرج مسرعا :_

"سأجهز الطعام بالتأكيد أنتِ جائعة "

نظرت في أثره بذهول مرة أخرى وهي تقول ضاربة كفيها ببعضهم:_

"يا إلهي ما هذا المجنون بحق الله؟!"

تجمعت الدموع في عينيها متذكرة والدتها فتحركت من مكانها مسرعة وتناولت هاتفها تتصل عليها لكنها وجدت الهاتف مغلق مما جعلها تجلس على الفراش دافنة وجهها بين كفيها وتدخل في نوبة بكاء عنيفة سمرته مكانه فهو قد أتى ليُناديها للطعام

دخل ببطء وجلس جوارها على الفراش وناداها بخفوت:_

"ملك؟"

لم ترفع رأسها إليه بل زادت وتيرة بكائها مما جعله في حيرة من أمره ،نفض عنه تردده وطبعه الحنون يغلبه فاقترب منها دون وعي مشفقا عليها فما مرت به ليس بالهين على أنثى

سحبها بين أحضانه وأخذ يربت عليها بحنان متمتما أن لا بأس و كل شيء سيمر.

أما هي فشعرت أنها دخلت عالم آخر ،موجة من الحنان ضربتها مجرد أن سحبها إلى أحضانه ولا

تعلم كيف لم تفر منه بل ظلت كما هي فمنذ سنوات لم يأخذها أحدهم بأحضانه بعد وفاة والدها لأول مرة تجرب حضن ذكوري يشع منه ذلك الدفء والحنان وهو يربت عليها بخفة وكأنها ابنته

أما هو بعد برهة شاردا في أفكاره شعر بانتظام أنفاسها مما جلب الابتسامة على وجهه يشعر أنه كطفلٍ يخطو أولى خطواته لباب مدرسته الجديدة عدل من وضعيتها على الفراش مريحا رأسها على الوسادة ثم بتردد خلع عنها حجابها وابتسم وهو يراها تلف شعرها في ذلك الشيء الذي يطلقون عليه الكعكة .

وضع حجابها جانبا واتكأ على جانبه متأملاً لها فهي جميلة جمال الأنثى الطبيعي الهادئ ببشرتِها الخمرية وشعرها الأسود، لكن ملامحها هادئة تبعث الراحة بالنفس ظلت أفكاره تأخذه يمينا ويسارا إلى أن سقط نائما بجوارها في بادرة لم يرتب لها أي منهم بل دبرها القدر!!!

الفصل السابع

تتقلب على الفراش وهي تشعر بعدم الراحة

لِم تشعر وكأن أحدهم بجانبها على الفراش يقلق راحتها ؟

تأففت بين اليقظة والنوم ومازالت مغمضة عينيها بالتأكيد سمر جارتهم تشاجرت مع والدتها وأتت لتنام عندهم ،

ألم تقل لوالدتها مرارا أنها لا تحب أن ينام جوارها أحد على الفراش لم لا تأخذها بجانبها هي بدلا عنها.

انقلبت على جانبها وفتحت احدى عينيها في محاولة لطرد النعاس المسيطر عليها

ظلت على حالها دقيقة وهي مُسمرة مكانها تحاول أن تتذكر كيف تغير شكل غرفتها هكذا ثم ما لبثت أن هبت جالسة وهي تتذكر كل شيء وخاصة موقفها المخزي الأخير !

جحظت عينيها وهي تستوعب أن الأكيد مَن ورائها على الفراش الآن ليست سمر جارتها .

التفتت في حدة وهي تراه نائما على ظهره أحد ذراعيهِ على صدره والأخر بجانبه.

ارتفعت بعينيها إلي وجهه وتسمرت هناك يا إلهي لطالما كانت تتغنى أنها ستأخذ الرجل الاسمر الوسيم ليأتي ذلك المخلوق ويقلب حياتها رأسا على عقب.

هي لا تحب الرجل الأبيض لكن تقسم انها لم ترى بوسامة ذلك المخلوق الذي جوارها بملامحه الذكورية الجذابة ،

ورموشه! هل هذه رموش تقسم لو وصلت رموشها بأخرى صناعية لن تكون طويلة كتلك ثم هل يُكحِل عينيه هذا ؟

اعتدلت في جلستها وهي تقترب منه بحذر مُتناسية تماما أمر أنه نام جوارها أمس !

مدت كفيها في محاولة غبية لشد رموش عينيه في محاولة استكشاف هل هي صناعية أم لا

استيقظ وهو يشعر أن ثمة شيء على عينيه .

أما هو من بين غياب نومه يشعر بشيء غريب وكأن أحدهم يشد رموشه فلا يستطيع أن يفتحها

مع زيادة ما يحدث رفع يديه بحدة إلى عينيه ليرى ما الذي عليهم لتحط كفه على هاتين الكفين الرقيقتين

والذي ما كاد أن يفعل ذلك إلا وجلس مفزوعا على صرخة أنثوية لجسد هب ملسوعا من جانبه.

ظل جامدا مكانه دقائق في محاولة استيعاب ما حدث وهي واقفة بجانب الفراش لا تعرف كيف تتصرف وتخرج من ذلك المأزق التي وضعت نفسها به بكل غباء.

دعك بين عينيه وهز رأسه نافضا النعاس عنه ثم نظر لها وقال بسخرية:_

"هل لي أن اعلم ماذا كنتِ تفعلين بحق الله ؟"

دارت بعينيها في الغرفة عداه بتوتر وهي لا تدري ماذا تقول هي إلى الآن تشعر بانتفاضتها الداخلية فهي حقا كانت شاردة كعادتها اللعينة وفُزِعت بمجرد أن مد يديه عليها

انتفضت من شرودها علي صوته الحائر بجوارها يسألها :_

"ما بكِ ؟"

نظرت إليه ثم قالت بهدوء معاكس لضربات قلبها المنتفضة :_

"لا شيء"

اتبعت قولها بالجلوس على الفراش في إحباط واضح .

حك رأسه بيديه وهو لا يعلم ماذا يفعل ولا يريد أن يحرجها أكثر

بعد دقائق لا يعلم ماذا يفعل أخبرها بسذاجة :_

"أنا سأذهب إلى المرحاض لأتوضأ وأصلي "

أومأت برأسها دون رد فتركها وخرج

زفرت بمجرد خروجه وتناولت هاتفها لكي تتصل بوالدتها لكنها وجدت الهاتف مغلقاً.

تأففت بقلق وهبت مسرعة في تصميم خارجة من الغرفة دارت بعينيها لتكتشف أين الحمام فوجدت باب مغلق وصوت الماء بالداخل علمت من خلالها أنه الحمام

اقتربت من الباب ودون تفكير طرقته فسمعته يتنحنح من الداخل

قطبت بين حاجبيها و قالت حانقة تحدث نفسها واضعة يديها بخصرها:_

"ما هذه "الإحم" بحق الله ماذا فهمت أنا بذلك"

ثم طرقت الباب مرة أخرى وفي الثالثة وجدت الباب يُفتح بحدة فَتراجعت للخلف على صوته وهو يسألها بنزق :_

"ماذا تريدين ، ألا تستطيعين انتظار خروجي؟"

توترت وقالت بخفوت:_

"أريد أن أذهب لأمي "

استغفر الله بصوت مسموع وقال بهدوء:_

"يا ابنَة الحلال هل تعلمين أن الساعة لم تتعدى الثامنة بعد وأن اليوم هو صباحيتك بالمصادفة "

نظرت إليه بغباء تسأله:_

"وما دخل هذه بتلك ؟"

جزَّ على أسنانه بغيظ وتركها ودخل إلى المرحاض مرة أخرى ووقف يتوضأ

أما هي فظلت واقفة تهز ساقيها بغضب وهي تراه لا يعيرها اهتمام وقد انتهى من وضوئه وعاد للغرفة مرة أخرى

تحركت من مكانها وذهبت وراءه وجدته يصلي فتنهدت وهي تأخذ ملابس من حقيبتها وأخرجت اسدالها وذهبت لتؤدي فرضها هي الأخرى ثم لكل حادث حديث.

★★★★

«إني أحبكِ رغم أنف قبيلتي ومدينتي وسلاسل العادات »

محمود درويش

عاد من عمله ومر على والديه أولا سلم عليهم ثم صعد للأعلى.

أغلق باب الشقة وراءه ونادى عليها باحثا عن مكان وجودها

"روضة حبيبتي أين أنتِ؟"

أتاه صوتها من غرفة المعيشة تخبره أنها بها فذهب اليها

ومجرد أن دخل شهق متعوذا بالله من الشيطان الرجيم وهو يراها تتمدد على أحد الأرائك رافعة رأسها للأعلى على حافتها ووجهها بأكمله ملطخ بالسواد عدا عينيها وشفتيها وفتحتي أنفها

قطبت بين حاجبيها في ضيق وقالت بحنق أنثوي لذيذ:_

"أنس ما بك هل رأيت عفريتاً؟"

اقترب منها مبتسما وهو يقول بتَسليه :_

"روضة ألا تنظرين لوجهك في المرآة؟ ما هذا الشيء الذي تضعينه عليه "

رمقته بغيظ وهي تقول بدلال

"إنه قناع الفحم يا أنس "

فتح عينيه على اتساعهُم يسألها بدهشة:_

"فحم؟!!! ولما تضعين فحم على وجهك يا روحي من الأساس"

اعتدلت في جلستها وقالت بضجر:_

"يا إلهي أنس أي فحم الذي سأضعه على وجهي إنه قناع تجميلي من الفحم "

اقترب منها وجلس جوارها يسألها هامساً وهو يمرر عينيه بتمهل على منامتها القصيرة والتي تبرز أنوثتها برقة

ولم يا حبيبتي ؟"

قالت بجدية :_

"كي أكون كعكة"

فور أن نطقت لم يستطع السيطرة على نفسه ودخل في نوبة عالية من الضحك جعلتها تضربه بقبضتها على كتفه في غيظ

كبح ضحكاته وسألها مبتسما

"كيف تكونين كعكة حبيبتي ؟"

قطبت بين حاجبيها في تفكير وقالت:_

"لا أعلم لكنهم يقولون هكذا كلما كانت بشرتك أكثر نعومة كلما كنتِ كعكة"

لم تنتبه في غمرة حديثها على تغير نظراته و اقترابه منها حتى أسند جبهته على خاصتها غير مباليا بما عليها

وهمس بجدية مصطنعة وقد علت وتيرة أنفاسه:_

"اي انكِ أصبحتِ كيكة الآن حبيبتي!"

أومأت برأسها في توتر من اقترابه هكذا فقال بتحايل جلب الابتسامة لشفتيها:_

"إذا روضتي أَلن تعطي لأنسك حِصته كعكتي الجميلة؟!"

هزت كتفيها متذمرة بدلال:_

"أنس كف عن الوقاحة "

ابتعد برأسه قليلا وقال ببراءة مصطنعة

"وقاحة ؟ أي وقاحة ماذا فعلت أنا الآن ؟"

لم ترد عليه وهي تغرق في مَوجه من الضحك أسرته وجعلته ناظرا إليها بوله

يا إلهي هو غارق في عشق تلك القصيرة حتى النخاع!

انتبه ع صوتها وهي ترفع سبابتها على جبهته تقول بتفكه

"لقد تلوثت جبهتك من القناع"

شهقت وهو يحملها بين ذراعيه فسألته

"أنس ماذا تفعل "

قال بجدية وهو متجها إلى الحمام :_

"سننظف ذلك الفحم حبيبتي"

سألته بشك وهي تتعلق بذراعيها في عنقه:_

"و؟"

غمزها بعبث هامسا:_

"وأتناول الكعكة حبيبتي "

أكمل بجدية مصطنعة دون أن يبالي باحمرار وجنتيها :_

"بأي طعم ستكون يا ترى ؟"

غمزها بوقاحة وهمس:_

"آمل أن تكون بالفراولة حبيبتي "

★★★★

جالسا بمكتبه يراجع الملفات التي أمامه وعقله مع أخرى انقلبت حياته معها رأسا علي عقب.

انتبه على طرق الباب ودخول مساعدته عليه تضع أمامه علبة صغيرة أنيقة وتقول :_

"سيد عبدالرحمن لقد وصلت هذه اليوم باسمك"

نظر إلي تلك العلبة بدهشة ثم أومأ لها وصرفها وتناول العلبة يفتحها قاطبا حاجبيه في حيرة

فتح عينيه على اتساعهما وهو يرى أمامه ساعة فخمة أنيقة للغاية وذات علامة معروفة

رفع أحد حاجبيه وهو يرى بجانبها دبلة ذكورية

رفعها بأصبعه وابتسم بسخرية فهو يعلم جيداً لِمَنْ ؟؟

أدارها بين أصبعيه وهو يرى اسمه واسمها بجانبه لقد اشترى تلك الدبلة يوما واعطاها لها على وعد أنه سيجعلها تضعها بإصبعه يوم خطبتهم وأنه لن يتركها أبدا
،

وضعها على المكتب منتبها لذلك الكارت أسفل الساعة والتقطه بيده يقرأه

«اذا التزمت أنت بعهد الصداقة فحقك لكن أنا مازلت ملتزمة بعهد الحب»

جعد الكارت بين يديه وهو يشعر بالاختناق وبانتفَاضة حنين داخل قلبه .

هنا تجيد الضرب تحت الحزام جيدا هو يشتاق لا ينكر يشتاق لِم كان بينهم يوما يشتاق لنفسه قديما وما كان عليه معها .

لا يعلم ما الذي تريد أن تصل له وما يُزهق روحه حقا الحيرة التي أصبح بها كلا من عقله وقلبه معا و كأنهم اتفقا على ألا يُريحاه

★★★★

ليلا تجلس بالغرفة التي قضت بها معظم النهار بعد أن ودعت والدتها فبعد أن أدت صلاتها صباحا وكادت تدخل لتطالبهُ بالذهاب لوالدتها مرة أخرى وجدته يتحدث مع والدتها بالهاتف ويعطيه لها لتحدثها

وبعد ثلاث ساعات على الأقرب وجدت والدتها عِندهم وعلمت أن من جلبها صديقه كما طلب منه .

زفرت بضيق لا تعلم ماذا تفعل ؟

حتى الطعام حين ناداها إليه رفضت بتعنت وهو بالطبع لم يجادلها !

انتبهت على الطرق على باب الغرفة وصوتهُ يقول :_

"ملك أعلم انكِ مستيقظة أنا انتظرك بالرُدهة لنتحدث "

ثم اختفى صوته سريعا عقدت حاجبيها بدهشة وهي تحدث نفسها بحيرة :_

"ماذا يريد هذا ؟"

زفرت بخفوت وهي تتناول حجابها ووضعته على رأسها حيثما اتفق وخرجت وجدته جالسا على الأريكة نظره للأسفل ويبدو أنه يفكر في أمر ما ؟!

تنحنحت بخفوت فانتبه إليها وأشار لها لتجلس أمامه .

جلست تفرك كفيها ببعضهم وهي تشعر بالتوتر

صمت قليلا ثم نظر لها وقال :_

"ملك ماهي رؤيتك لذلك الزواج ؟"

عقدت حاجبيها بحيرة وسألته:_

"لا أفهم ماذا تقصد ؟"

قال بهدوء :_

"اقصد أننا زوجين بالفعل الآن فهل فكرتِ أن هذا الزواج سيستمر؟ "

قالت باستنكار، وكأنها للتو انتبهت لزواجها من ذلك الشخص الذي تتحدث معه:_

"يستمر!؟"

لم تعجبه طريقتها في الرد فقال بسخرية قاسية :_

"لا تخبريني أنكِ تظنين كالأفلام سأتفق معكِ على فترة نعيش خلالها كالإخوة، ثم بعد ذلك نتفق علّة الطلاق ونزعم أننا لم نتفاهم!"

شمخت بأنفها قائلة بتأكيد:_

"بالطبع هذا ما سيحدث!"

هدر بحدة وقد استفذته:_

" لا بالتأكيد لن يحدث، و لا تقنعيني أنكِ بالشجاعة الكافية لتَذهبين بعدما حدث لوالدتكِ و أنتِ مطلقة!

لا في أحلامك يا آنسة ملك!

هذا الزواج سأسعى بجهدي لاستمراره باكتمال جميع أركانه.. "

نوبة الخوف التى سببها كلامه جعلتها تهذي بغضب دون إدراك

"بالطبع وماذا أظن فيك غير ذلك يعني؟

فَبالنسبة لك هي زيجة العمر التي جَاءتك على طبق من ذهب!"

ثم واصلت بتهور :_

"و إلا من كانت سَترتضى بك إلا تلك المرغمة صاحبة الفضيحة!"

شهقت بخفوت وهي تضع كف يدها على فمها بعدما انتبهت لما قالته ، لم تقصد تقسم أنها لم تقصد ذلك !

رفعت عينيها إليه بخوف، لترى احمرار وجهه وقد نفرت عروقه من الغضب، وتلك العضلة في صدغه التي تختلج لا إراديا !

تراجعت بخوف غريزي وهي تراه يقترب منها و علامات الشرر تفوح من وجهه..

وصل إليها و أمسكها من ذراعها بحدة، و قال من بين أسنانه:_

"إذا هي زيجة العمر بالنسبة لي، ولم يكن أحد سيرضى بي!؟!"

أكمل بخفوت خطر وهو يسحبها من ذراعها متجها بها إلى غرفة النوم، وهي تحاول أن تتخلص منه:_

"حسنا لم لا أكمل استغلالي و آخذ حقوقي لتكتمل الصورة القذرة عني قلبا و قالبا!"

صرخت بخوف وهو يدفعها على الفراش بحدة وعينيه قد تحولت إلى سواد مرعب

فانكَمشت على نفسها وهي تنفجر ببكاء هيستيري سمره مكانه وتقول من بين شهقاتها:_

"أرجوك يا حسن لا تفعل اقسم عليك برب العباد ألا تفعل أُقسم لك

أنا لم اقصد ما خرج مني ولم أفكر في ذلك الأمر"

أخذت وتيرة بكاءها تزداد فاستغفر ربه ومسح وجههُ بكفيه ثم اقترب منه يهزها من كتفيها برفق ويقول:_

"ملك لم أفعل شيء كفى بكاءا ؟"

اتسعت عينيه وهو يراها تأخذ كف يده سريعا تقبله وتقول :_

"أسفة والله أسفة لم اقصد ما قلت هي عادة سيئة بي أن أتفوه بما لا أدري "

سيطر على ذهوله وسحب كف يده منها سريعا ثم تركها وخرج

دفنت وجهها بالوسادة و أخذت تبكي ، لا تعلم كيف تفوهت بتلك الكلمات لن تنسى طيلة حياتها نظرة الألم المذبوحة التي شعت من عينيه حينها !!

بعد عدة ساعات لم تسمع صوته ولم تخرج من الغرفة وهي تفكر ما عليها فعله وتتذكر كلمات والدتها صباحا وهي توصيها عليه

ولم تتطرق لأمر طريقة زواجهم بل شكرت به ونَبهتها على إرضائهُ وتعويضه عما لقاه فهي أصبحت عائلته ولعل الله اختارها لتكون عوضا له كما أنه النصيب !

هبت من على الفراش وهي تخرج من الغرفة في عزم حتى أنها نسيت حجابها

خرجت بحذر على أطراف أصابعها ظنا منها أنه نائم مع تلك الانوار المطفأة.

وصلت للرُدهة الخارجية فوجدته جالسا على حافة أريكة جانبية بجوارها نافذة كبيرة بعرض الحائط ،ينظر منها بشرود إلى الخارج

اقتربت منه وجلست على الأريكة مواجهة له وهمست اسمه بخجل

في البداية لم ينتبه لها و يبدو أنه شاردا منذ وقت لكن مع تكرار همسها انتبه إليها وهو يسألها بتجهم:_

" ألا زلتِ مستيقظة ؟"

أومأت براسها وقالت بخفوت وندم :_

"نعم أريد أن أتحدث معك"

نزل من حافة الأريكة وجلس جوارها وهو ينظر لها باستفهام

فاستَجمعت شجاعتها وقالت دون أن تنظر له وهي تفرك يديها ببعضهم قائلة بندم صادق :_

"حسن أنا أسفة حقا انا أسفة لم أقصد ما قلت لقد خرج رغما عني وتلك عادة سيئة بي للأسف اتفوه بالحماقات ثم أعود و أندم حتى أنني كثيرا من الأحيان كنت أتطاول على أمي دون وعي ثم أعود وأندم"

ابتسم بسخرية قائلا بجمود:_

"بالنهاية قلتِ ما بقلبك تجاهي أنتِ لن تكملي حياتك مع شخص .."

صمت دقيقة ثم أكمل بتهكم:_

" مثلي أو لنكن أصدق مع شخص لقيط "

انفجرت باكية وهي تضع وجهها بين كفيها وتقول:_

" لما لا تفهمني أنا حائرة ، فجأة وجدتني عالقة بفضيحة ثم يومين ومتزوجة من شخص لا أعرفه وكل أحلامي تطير هباءً "

رفعت وجهها إليه وواصلت :_

"أقسم لك لو كان أي أحد أخر مكانك لتَفوهت بأي حماقة تجعل مَنْ أمامي يريد قتلي دون ندم "

عندما لم تجد منه رد قالت بألم مس قلبه:_

"حسن أقسم أنني لم اقصد بل إنني لم أفكر بذلك الأمر حتى من قبل."

" اشعر بي قليلا ما حدث الفترة الماضية جعلني أشعر بضغط يفوق احتمالي "

رمقها لدقائق ثم زفر بخفوت وقال :_

"حسنا لا عليكِ ماذا تريدين الآن بالنهاية وبعد كل ذلك لم نصل لحل ولم نتحدث "

قالت بهمس ووجهها يحتقن من الخجل:_

"حسن افهمني أنا لست مستعدة لتفعيل الزواج انا بالكاد عرفتك منذ ايام "

قطب بين حاجبيه بضيق من تفكيرها قائلا بدهشة وغيظ :_

"من ذكر تفعيل الزواج بالأساس؟"

رفعت أحد حاجبيها وهي تقول: _

"أنت بالطبع من ذكرت ذلك"

ثم أكملت بحدة :_

"وفعلت أيضا"

فتح عينيه على اتساعهُم قائلا بسخرية :_

"فعلت أنا حتى لم اقبلك يا فتاة كما أني قلت استمرار الزواج وليس تفعيله !!"

احمر وجهها خجلا وسألته بحنق :_

"وماذا يعني باستمرار الزواج تلك؟ "

لوي شفتيه قائلا:_

"ألا يستمر الزواج بدون هذا؟ أنا قصدت نعم إن ذلك سيحدث لكني لم اتطرق لحدوثه الآن

الزواج ليس هذا الجانب فقط يا ملك بالعكس هذا الجانب هو ما يزيده توثيقا فقط أنا قصدت أن نتعامل معا كزوجين طبيعيين في أمور الحياة ، أن نعطي الفرصة لنعتاد بعضا "

"أن نقضي فترة في التعرف على شخصياتنا واندماجها لا أن نبتعد وكلا منا يأخذ جانبا واضعا برأسهُ انه زواج مؤقت ، فقط فكرت أن ما حدث حدث وأنها إرادة الله ولا أخفيكِ أشعر أنكِ هبة من الله لي مبدئيا أنا معجب بكِ واشعر بالراحة النفسية تجاهك وليس هناك ما يجعلني اظلمك وأفكر بأمر انفصالنا بعد فترة "

أحمرت خجلا أو ضيقا من كلامه لا تعلم السبب تحديدا وهي لا تعرف ماذا ترد فهي حتى لم تتوقع ذلك الحديث منه

انتبهت على صوته يأتي قلقا وكأنه انتبه للتو لشيء غاب عن تفكيره يسألها :_

"ملك هل قلبك معلق بأحدهم ؟"

هزت رأسها نفيا وقالت مسرعة :_

"لا من قال ذلك أنا حتى لم أرتبط من قبل"

زفر بارتياح واحتوي كفيها بين يديه وقال برجاء وأمل:_

" فقط اعطينا فرصة لنتعرف على بعضنا البعض وأعدك اذا لم يتحرك قلبك تجاهي أو شعرتي بعدم راحتك معي سأُحِلك مني نهائيا دون أن أمس شعرة منكِ "

ابتلع ريقه ثم رفع ذقنها بيديهِ ليجبرها على النظر له وهو يسألها بهمس :_

"ها ماذا قلتِ؟"

شعرت أنها غارقة في ليل عينيه وهي لا تعي ما يحدث حولها فحديثهُ أشعرها بالراحة وشيء آخر لا تعلم كنهه ثم حين رفع عينيها لعينيه شعرت أنها تاهت بهما يا إلهي

"ما بكِ يا ملك لطالما سمعتِ أن الرجل هو من يتغزل بعين امرأته وليس الفتاة يا وقحة "

انتبهت من حديث نفسها علي صوته وهو يسألها بدهشة:_

"ملك أين ذهبتِ؟"

رمشت بعينيها وقالت:_

"ها لا شيء"

تنحنحت ثم أردفت بخفوت:_

"أنا موافقة "

ابتسم وهو يقترب منها بعبث قائلا :_

"إذا لنوثق الاتفاق"

ابتعدت للخلف وبرقت عينيها بشر وهي تشير له بسبابتها وتقول بتحذير:_

"كيف ستوثقهُ ثم لماذا اقتربت هكذا ؟"

ضحك بمرح وثبتها بيديه جيدا وقال:_

"يا مجنونة لن أفعل شيء"

اقترب منها وقبل راسها بحنان ثم قال :_

"فقط هذا ما أردت"

أومأت برأسها في خجل وتنحنحت فابتعد عنها بإدراك وهو يقول :_

"إذا هيا ادخلي لتنامي "

ابتسمت بتوتر واومأت برأسها وهي تمتم بتحية المساء سريعا وتتركه

زفر بخفوت وهو يضع وجهه بين راحتيه ويقول:_

"ترى إلى أين سنصل يا ملك إلى أين ؟"

عاد إلى ما كان يُفكر به قبل مقاطعتها له

"هل سيظل طوال عمره بنظرها الرجل الذي استغل فضيحتها ليتزوجها ؟!"

نعم هو تحدث معها في استمرار زواجهم لكن لحساسية الموضوع بالنسبة له لم يتطرق لنقطة نسبهُ وأهميتها بالنسبة له !!

ابتسم بسخرية وهو يحدث حاله :_

"ولماذا أسألها هي قالتها صريحة لقد أتت له زيجتها على طبق من ذهب "

"الغبية لا تدرك أنه لو طلقها الآن أو حتى بعد فترة لن يرحمها أحدهم "

دلك جبهته في إرهاق ناويا ترك الأمور للقدر كما كل شيء من البداية

أما هي دخلت للغرفة وهي تشعر بالراحة تغمر قلبها وتتمتم بالحمد دَاعية الله أن يسعدها

اتجهت للخزانة وتناولت منامة مريحة فبالتأكيد هو سينام خارجا !!!

بدلت ملابسها سريعا وتمددت بالفراش وأفكارها سارحة فيما حدث وسيحدث الى أن غطت في نوم عميق

★★★★

حممت صغيرها وأطعمته ثم جعلته يخلد للنوم

وها هي الأن تجلس على الفراش واضعة حاسُبوها المحمول على ركبتيها ،تدخل إلى بعض الملفات وبالخطأ دَخلت أحدهم والمخطوط أسفله

«زفافي»

،كانت ستخرج من الملف سريعا لكنها فتحت أحد الصور واستمرت في التقليب بينهم .

فتلك الصورة كانت تحتضنه وتنظر إلي عينيه البنيتين وكأنه العالم أجمع !

وأخرى يقبل وجنتها وهي تضحك لكنها تعلم الآن تمام العلم كم كانت قبلة باردة هزلية فقط تلبية لأوامر المصور .

وأخرى ترتكن برأسها على كتفه وأخرى وأخرى وجميعهم كانت بهم العروس السعيدة بجدارة !

خرجت من الصور وهي تفتح فيديو مصور لرَقصتهم معا وكأنها تريد أن تؤلم نفسها أكثر وأكثر.

"كيف كانت متعلقة به وتنظر له بذلك الوله وكأنه الرجل الأوحد في العالم؟"

" يا الله كيف لم تلاحظ جموده هكذا أنه حتى لم يَبستم في وجهها "

عينيه كانت شاردة وكأنه ليس معها أبدا !

أكانت غارقة به هكذا حد العمى ؟!

لم تشعر أن دموعها تنزل إلا عندما صدح صوت شهقاتها عاليا وهي تشعر بانهيارها داخليا يزداد

هي ليست بغَبية كي لا تشعر بتغيرهُ ،كي لا تشعر بذبذبات التوتر بينه وبين الأخرى كلما حضرت

ليست بغَبية حتى لا تشعر بعصبيتهُ وتوتره تلك الأيام دون داعي لذلك !

كفكفت دموعها سريعا وهي تسمع صوت باب الشقة الخارجي الدال على وصوله .

أغلقت الملفات سريعا وهي تتظاهر بانشغالها بالحاسوب أمامها .

وبعد دقائق دخل الغرفة فيبدو أنه مر على الصغير أولا

ألقى عليها السلام فردت بتمتمة خافتة دون أن تنظر له .

بدل ملابسه سريعا واستلقى جوارها عندما لم تعيره أي اهتمام

زفر بغضب وسحب منها الحاسوب بحدة أغلقه ووضعه على الجارور المجاور للفراش جواره

لكنها أيضا لم تنظر له فقط اندست تحت الغطاء وأعطته ظهرها متأهبة للنوم

أدارها إليه يسألها بحدة وقد ضايقته فعلتها:_

"ريم ما بكِ؟"

سيطرت علي أعصابها وقالت ببرود:_

"لا شيء فقط متعبة وأريد النوم "

رمش بعينيه قليلا وهو يقترب منها وقال بهمس:_

"ريم انا أحتاجك "

ابتعدت بحدة لا إرادية وهي تراه يقترب منها أكثر وهي تحمد الله علي تلك الزائرة التي حضرتها اليوم

ردة فعلها النافرة أغضبته فكرر سؤاله :_

"ريم ما بكِ؟"

ابتلعت ريقها وقالت بتوتر :_

" لا شيء فقط الوقت ليس مناسب "

قطب بين حاجبيهِ في استفسار فَأردفت :_

"أنا لا أُصلي "

أومأ برأسه في إحباط واضح قائلا

" حسنا "

ثم دفن رأسه بين أحضانها هامسا بحاجة :_

"لكن ذلك لا يمنع أن أنام بين ذراعيكِ"

تغلبت عاطفتها عليها وهي تسمع نبرة صوته المرهقة وضمته إليها ولسان حالها يتساءل :_

"إلى أين سنصل يا عبد الرحمن إلى أين ؟"

★★★★

بعد مرور شهرين

تجلس على الفراش ،ناثرة كتبها حولها وفاتحة أحدهم أمامها تذاكر به لكنها شاردة

تفكر في هذا الذي تأخر اليوم على غير عادته .

حسن يا الله لم تكن تتخيل أن يكون ذو أخلاق رفيعة دسمة هكذا فهو بعد مرور يومين على اتفاقهم

أصبح يسحبها للكلام معه تدريجيا إلى أن تعودت على ذلك ، تحررت من حجابها واحتشامها تدريجيا مع تعودها عليه .

صوته الهادئ على عكس صوتها العالي الذي يزعجه دائما ،

مغازلته لها والتي تجعلها تتهرب منه وهي تحمر خجلا،

رقته وحنانه،

جلوسه جوارها عند المذاكرة بعد ما رآها تبكي خوفا لاقتراب اختباراتها وقد فاتها الكثير .

وقوفهم سويا لإعداد الطعام وهو يقص عليها أحداث يومه .

زياراتهم المستمرة لوالدتها التي تعلقت به ومروره عليها باستمرار حتى من دونها .

ابتسمت وهي تتذكر صبيحة اتفاقهم عندما استيقظت وجدت نفسها نائمة على ذراعه

فصرخت به:_

«ما الذي جعله ينام جوارها»

إلا أنه رد عليها بكل برود:_

« أنه لم يتفق معها على غير ذلك بل اتفق أنه سيسعى لنجاح زواجهم ونومه جوارها من الطبيعي»

دخل إلى الشقة وهو يجد الهدوء يعم المكان ،خلع حذائهُ واقترب من الغرفة

استند على بابها مبتسما وهو يرى شرودها وجلستها الفوضوية على الفراش التي اعتادها بمَنامتها المحتشمة وشعرها ذو الكعكة المستفزة له!

ابتسم وهو يتذكر تذمرها لأن شعره أنعم من شعرها .

تنهد في راحة وهو يعترف لنفسه أنه اعتاد عليها بطريقة لم يكن يتخيلها

بل أصبح يضجر من عمله حين يتأخر به لإرادته في العودة إليها والتونس بها

ابتسم بخبث وهو يري أزرار منامتها مفتوحة ظاهرة بشرة جسدها من أسفلها ويبدو أنها فُتِحت دون أن تنتبه لها

فاقترب منها ببطء إلى أن وقف أمامها يسألها قاصداً بصوت عالي نسبيا :_

"ماذا تفعلين ؟"

هبت جالسة على ركبتيها في فزع وهي ترمي الورق من يديها صارخة بخوف

فدوي صوت ضحكاته عاليا مما جعلها تنظر له بحنق وتقول:_

"بالله عليك ما دخلة المخبرين تلك ألم تسمع عن طرق الباب أو التنبيه قبل دخولك على أحدهم ثم على ماذا تضحك أنت"

جلس جوارها بعدما هدأت ضحكاته وقال مبتسما ببرود :_

"عليكِ كما أنكِ كنت شاردة "

أرجعت خصلة شاردة من شعرها ،عادة قصيرة عن المتبقي منه فلا تدخل في كعكتها الأثيرة وقالت بتوتر:_

"لقد كنت أذاكر "

أومأ برأسه وهو يرفع الكتاب أمامها قائلا بسخرية :_

"نعم كنتِ تذاكرين والكتاب مقلوب "

احمرت وجنتيها فأسرت نظراته لهم وقال بهمس:_

"لقد جلبت لكِ المسليات"

لمعت عينيها بفرحة غافلة عن نظراته وقالت :_

"حقا يا حسن؟"

اومأ برأسه وقال:_

"نعم لقد جلبت لكِ ما يكفيكِ طوال فترة مذاكرتك ويزيد"

صفقت بيدها فرحا وهي تبتسم بسعادة لكن ابتسامتها انحسرت وهي تنتبه لصمتهُ وابتسامته الخبيثة فتابعت بعينيها اتجاه نظراته مما جعلها تشهق بخجل وهي ترى ازرار منامتها مفتوحه فأعطتهُ ظهرها وهي تغلقهُم سريعا مما جعل صوت ضحكاته تدوي من خلفها عاليا

استدارت بعدما انتهت تنظر إليه بغضب ووجنتيها تحمر خجلا !

ضربته في كتفه بقبضتها الصغيرة وعينيها تهرب من عينيه اللامعتين

تأوه قائلا ببراءة مصطنعة:_

"يا مفترية ماذا فعلت انا ؟"

رفعت أحد حاجبيها وهي تنظر له بشر وتقول:_

"حسن كف عن الوقاحة"

ثم أكملت بتهور غاضبة:_

"علاما كنت تنظر أنت ؟"

رفع حاجبيه يسألها بامتعاض:_

"وقاحة أين الوقاحة هنا"

ثم اقترب غامزا يسألها بعبث:_

"تريدين أن أقول علاما كنت أنظر ؟"

أسبلت أهدابها وهي تشعر أن وجنتيها تكادا تنفجران من الخجل فقالت مغايرة الموضوع:_

"أين المسليات ؟"

صمت دقائق وفكرة متهورة تلمع في عقله حتى قال بخبث مبطن:_

"اعطني حقها "

سحبت حقيبتها سريعا وهي تقول ببراءة:_

"حسنا كم حقها ؟"

أبعد حقيبتها عن متناول يدها وهو يقول بهدوء :_

"ليس هذا"

نظرت له في تساؤل فتناول وجهها بين كفيه وهو يقترب منها وغايته أنفاسها وقال هامسا:_

"فقط هذا ولم يعطها ثانية أخرى للرد أو الاعتراض ".

★★★★

تملصت كثيرا من دعوة عمار لها على العشاء معهم بالخارج اليوم لكنه أقسم عليها أن تأتي وإلا سيغضب منها وها هي جالسة تؤنب نفسها مرارا على قبولها الدعوة فَبالأخير لم يكن سيغضب منها فهو لا يقدر، يبدو أنها تحب أن تذيق نفسها جرعات متتالية من الألم على يد والدتها التي تدلل شقيقتها وتُهامسها دون أن تَعير لها أدنى اهتمام

"يا الله "

همستها بداخلها بوجع آنت له روحها وهي تغمض عينيها حتي لا تنزل دموعها أمامهم بل تتمسك بابتسامتها الباهتة وكأنها نجاتها في هذه الجلسة

انتبهت علي صوت عمار يشاكسها ويقول :_

"هل دعوتك اليوم لتجلسي صامتة هكذا ؟"

رفعت له رأسها بعد دقائق بابتسامة مرتعشة قائلة :_

"كان بمقدوري ألا أتى ولكن أتي..."

قاطعها صوت والدتها الحاد وهي تقول بصفاقة:_

"وما الذي جعلكِ تأتين بما أنكِ لا تريدين؟"

لوت شفتيها بتهكم واكملت :_

"السهرة لم يكن سينقُصها شيء "

جاءت كلمات والدتها كسهم حاد مصوب إلى روحها ينهشها نهشاً فأغمضت عينيها بقوة ثم استأذنت مسرعة وهي تتعلق بالدخول إلى الحمام

تابعها عمار بعينيه إلى أن اختفت ثم التفت إلى والدته هامسا بحدة:_

"ما الذي تفوهتِ به يا أمي بحق الله ؟"

ردت عليه نجلاء بغضب :_

"لا تتدخل فيما لا يعنيك "

هز رأسه قائلا بعدم رضا

"لو كان أبي هنا لم يكن ليسمح لكِ بهذا الحديث ابدا "

رفعت إحدى حاجبيها وقالت بحزم :_

"قلت اصمت ولا دخل لك "

قبل أن يرد عليها انتبه على وصول رسالة إلى هاتفه ولم تكن إلا منها تعتذر له بأنها غادرت لأنها شعرت ببعض التوعك!

ضرب الطاولة بقبضته بغضب وهو يرمق والدته وشقيقته الملتهيتين بحديث جانبي وهن يتناولن الطعام وكأن التي ذهبت ولم تعد إلى الأن لا تعنيهم !

★★★★

صباحا بعد ليلة كاملة من الأرق والبكاء لما حدث من والدتها وجعلها تعود إلى ذنبها وكأنه:_

« ترياق مُسكر تنسى به ألم الحياة»

« لكنه ترياق فاسد سام إذا تغلغل للنفس يُفسدها وكأنه إدمان لمُخدر وإن لم يكن بإدمان »

تبكي بعنف وهي تقسم لنفسها بندمها وأنها لن تعود لذلك الذنب ، نعم هي ستذهب لمقابلة العمل التي بحثت لها نهي عنه اليوم و إن كانت قد قررت الرفض سابقا لأنه ليس له علاقة بمؤهلها لكنها ستذهب عله يكون النجاة !!

بعد ساعتين

تجلس في مكتب صاحب العمل لتؤدي المقابلة الشخصية معه

رجل كبير في الخمسين من عمره وإن كان يبدوا أصغر من ذلك بوسامته الواضحة وبنيته الرياضية

انتبهت من أفكارها علي صوته يقول:_

"إذا أنتِ ابنة الملياردير ياسر الجوهري أم أنه تشابه أسماء ؟!"

ابتلعت ريقها في توتر وقالت :_

"لا ليس تشابه أسماء انا ابنته "

رفع حاجبيه وهو يقول بتعجب:_

"والدك يملك نصف شركات ومصانع البلد بالإضافة لاستثماره بالخارج ما الذي يجعلك تلجئين للعمل كمساعدة بمكتب بسيط كهذا "

حين لم ترد أكمل بمرح سمج:_

"أم لعلكِ الابن الخارج من جلباب أبيه "

ابتسمت بمجاملة وقالت باقتضاب :_

"نعم شيء كهذا "

حك جبهته بيده لدقائق ثم قال:_

"وما يدريني أن والدك لن يضرني إذا علم بعملك معي ياسر الجوهري بإشارة من أحد أصابعه يستطيع أن يغلق لي المكتب نهائيا "

قالت بحمية دون أن تشعر :_

"نعم ياسر الجوهري يقدر على ذلك لكنه لم يضر أحد من قبل ولن يفعلها "

أومأ برأسه ثم سألها :_

"ولما لا تعملين معه ؟"

صمتت برهة ثم قالت :_

"لسنا على وفاق ولتطمئن هو لن يعلم بعملي معك أبدا"

ابتسم حين طمأنته وقال:_

"إذا اتفقنا و ستبدئين عملك معي من الغد إذا أردت لكن راتبك سيكون قليلا بالبداية "

رمقته بطرف عينها قائلة باقتضاب:_

"لا يهم "

"إذا عملك سيبدأ من الثامنة حتى الثانية ظهرا ،هل أنتِ متزوجة أم آنسة؟"

"آنسة"

هز رأسه برضا وأردف بمرح :_

"حسنا لنتعرف أنا لن اعاملك كموظفة عندي لا نحن سنعمل معا ولكي أزيد معلوماتك عني أنا لدي من الأبناء أربعة

أحمد الكبير مهندس والذي يليه رامي وهو يعمل محاسب ولدي بنتين توأم بالصف الثالث الثانوي وهما ماهي وماهيتاب سَتتعرفين عليهم بالتأكيد أما زوجتي فأنا منفصل عنها "

أومأت برأسها دون اهتمام وهي لا تعلم لما يخبرها بكل تلك المعلومات والتي لا تهمها لكن يبدو أنه ثرثار

هبت واقفة وهي تقول بعملية :_

"حسنا سأكون هنا غدا بالثامنة "

اومأ برأسه وقال مبتسما:_

"حسنا يا رنا سأنتظرك"

ألقت السلام وتركته وخرجت دَاعية الله أن يوفقها

★★★★

استيقظت من النوم على صوت المنبه الخاص به ،لكن يبدو أنه استيقظ مبكرا اليوم فهو ليس جوارها !

مدت يدها تأخُذ الهاتف لتغلق المنبه .

تفرك احدىَ عينيها بكسل لكنها فتحتهُم على اتساعهُم
وهي تجد تلك الرسالة المبعوثة له على أحد برامج
التواصل الاجتماعي

«صباح الخير يا حبيبي ،اشتقت إليك »

الفصل الثامن

بمحل عمله يجلس شاردا في تلك التي دخلت حياته عنوة فأدفأت شتاء أيامه وبرودتها.

ابتسم وهو يتذكر خجلها المثير بعدما قبلها حيث فرت هاربة من أمامه وظلت ليومين تتحاشاه وتتحاشى النظر إليه متعللة بمذكراتها واختباراتها الوشيكة.

هو لا يتعجلها ويقسم ألا يفعل تلك الشرارة الوليدة بينهم تستحق ،لن يقول عشقا بل حتى لن يبالغ ويقول حب

فهم مازالوا في طور بناء علاقتهم لكنه ود ودفء يحيى به ، فحياته بنكهة كائن الملك أصبحت أكثر حلاوة أكثر دفئا وأكثر لذة والأهم أكثر قيمة .

"حبيت؟"

أجفل على صوت خالد الذي أخرجه من شروده فسأله :_

"هل تحدثني ؟"

"لا الجيران "

قالها خالد ساخرا وهو يجلس أمامه فنظر له بغيظ من سماجته وسأله:_

"ماذا كنت تقول ؟"

"لقد كنت أسأل هل وقع أبو علي ولم يسمي أحدا ً عليه ؟"

قالها خالد غامزا بمشاكسة فاحمرت أذنيه وهو يقول بارتباك :_

"أنا لا أفهمك كف عن المراوغة والحديث الذي لا معنى له"

ابتسم خالد برضا وربت على كتفه وقال:_

"بل كف أنت عن المراوغة وقل لي هل دق قلبك يا صديق؟"

تنهد حسن قائلا بحيرة وهو يبتسم:_

"لا أعلم لكني راضي مرتاح وسعيد "

رمقه خالد من بين أهدابه لثوانٍ ثم قال بفطنة:_

"لكن قلبك في بداية الطريق ثق بي "

سأله حسن بمشاكسة:_

"وما أدراك يا طبيب القلوب ؟"

ضحك خالد وقال:_

"لمعة عينيك ،شرودك الهائم وليس المهموم ابتسامتك الدائمة كل هذا لم ألاحظه فيك من قبل حتى أثناء علاقتك بنهى"

لمحة من الألم مرت بعينيه عند ذكر نهى سرعان ما أخفاها وهو يهب واقفا يقول بمرح مصطنع:_

"حسنا يا طبيب القلوب أنا سأذهب لا تنسى إغلاق المعرض جيدا "

اومأ خالد برأسه وتابعه حتى اختفى عن مرمى بصره فعاد للعمل

★★★★

منذ أن ترك خالد وهو يشعر بثمة ثقل ما على صدره ، لن ينسى في حياته حديث والد نهى له والذي سيظل يذكره دائما أنه لولا ما حدث مع ملك وظروف زيجاتهم المقدرة لم يكن ليرضاه أحد أبدا ً لابنته .

ابتسم ساخرا فحتى تلك التي اقترن بها بفعل القدر لم تكن لترتضيه لنفسها أبدا ً!

أولم تقل له أنها فرصته الآتية على طبق من ذهب ؟!

هل حقا كانت تعنيها أم هي كما قالت متهورة وتتفوه بالحماقات ؟!

هل مازالت في نفسها وتخفيها عنه؟ .

لمعت عيناه بغضب أهوج عند هذه الفكرة وهو يقسم بداخله إن تكرر ما قالت فلن يبقيها على ذمته ثانية أخرى وليحدث ما يحدث!

زفر بضيق وقد وصل أخيراً لشقته وقد تبدل حاله من النقيض إلى النقيض تماماً.

دخل إلى الشقة وأغلق الباب خلفه ،وجدها تجلس على الأريكة بالصالة فألقى عليها تحية باهتة واتجه إلى غرفة النوم مباشرة .

وبمكانها رفعت حاجبيها بدهشة من تصرفه فهو لأول مرة يفعلها ويدخل هكذا دون أن يعيرها أي اهتمام

هبت ذاهبة إليه كي تسأله ما به .

دخلت الغرفة وجدته جالسا نصف جلسة على الفراش واضعا أحد ذراعيه أسفل رأسه ويبدو شاردا وعلى وجهة علامات الضيق.

اقتربت في وجل وجلست على الناحية الأخرى من الفراش هامسة باسمه .

عندما لم يرد عليها كررت النداء فالتفت إليها في حدة أجفلتها دون أن يرد.

اضطربت رغما عنها لكنها سألته بخفوت:_

"حسن ما بك ما الذي يضايقك

أجابها بضيق لم يستطع إخفاءه :_

"لا شيء فقط أريد النوم "

قبل أن تتمكن من الرد عليه أجفلها وهو يعطيها ظهره قائلا بجفاء:_

"اخرجي واطفئي الأنوار واغلقي الباب خلفك"

رفعت حاجبيها في دهشة مستنكرة ردة فعله وهي تسأله بتوتر:_

"هل ستنام بملابسك ودون أن تأكل ؟"

"ليس لكِ شأن لقد قلت اتركيني"

زاغت حدقتها وامتلأت عيناها بالدموع من نبرته المهينة فخرجت وتركته مسرعة دون حتى أن تنفذ ما أراد .

★★★★

استيقظت من النوم على صوت المنبه الخاص به ،لكن يبدو أنه استيقظ مبكرا اليوم فهو ليس جوارها

مدت يدها تأخذ الهاتف لتغلق المنبه

تفرك أحد عينيها بكسل لكنها فتحتهما على اتساعهما وهي تجد تلك الرسالة المبعوثة له على أحد برامج التواصل الاجتماعي

«صباح الخير يا حبيبي ،اشتقت إليك »

شهقت وهي تهب جالسة تعيد قراءة الاسم أمامها مرات وكأنها تتأكد مما تقرأ !

بأصابع مرتجفة حاولت فتح هاتفه ولكن يبدو أنه غير الرقم السري له

لم تدرك أنها كانت تبكي إلا على صوته القلق يسألها

"ريم ما بكِ لما تبكين ؟"

رفعت عينيها له وظلت تنظر إليه بصدمة وصوت شهقاتها يعلو دون أن تشعر.

مما جعله يقترب منها وهو ينظر لهاتفه بين يديها في وجل

قطب بين حاجبيه وسألها بحذر:_

"لم تمسكي بالهاتف هكذا ؟"

مدت الهاتف له في صمت وعينيها تروي سطورا من الألم

أخذ الهاتف بتردد وهو ينظر لشاشته بصدمة مما قرأه .

هل جُنت الغبية لتبعث له رسالة كهذه ؟

ما الذي دهاها لتفعل ذلك ؟

شتم بغيظ وهو لا يعرف كيف يتصرف الآن !!

زفر أنفاسه بغضب ورفع عينيه إليها وهو يقول بتوتر:_

"ريم لا تفهمي خطأ أنا وهنا لسنا إلا مجرد أصدقاء حتى أنها لأول مرة تبعث رسالة كهذه "

"أصدقاء؟!"

قالتها باستنكار وهي تنظر له من بين دموعها بعدم تصديق

وأكملت بحدة ساخرة :_

"أي أصدقاء ما الذي تقنع نفسك به إنها حبيبتك القديمة يا ابن البرعي"

نبرتها المهينة لم تعجبه فقال بغضب وهو يهب واقفاً يشير لها بسبابته:_

"ريم اخفضي صوتك وانتبهي لحديثك "

ثم اشاح بيده وهو يواصل بتبجح :_

"أشعر وكأنكِ ضبطتينا بغرفة النوم متلبسين"

اتسعت عينيها بذهول من وقاحته وتبريره الساذج وهي تشعر وكأن نار حارقة دبت بجسدها وليس قلبها فقط

ما الذي يتفوه به بحق الله ألا يشعر هذا الرجل!!!

اقتربت منه بغضب وهي تلكزه بسبابتها في صدره وتقول:_

"ألا تشعر بما تقول ؟!"

ابتسمت بألم ودموعها تسيل على وجنتيها وقالت:_

"ولم تتخذ صديقة يا عبدالرحمن ها ؟"

ارتفع صوتها وهي تشهق بالبكاء وتقول:_

"بم قصرت أنا لتبحث عن صديقة خارجا ؟

لقد أعطيتك كل شيء كل شيء قلبي وروحي وجسدي كل شيء"

تهدج صوتها وسألته بصوتها المبحوح إثر بكائها

"قل لي سببا واحدا فقط يبيح لك ذلك؟ "

حين لم يرد أكملت بألم:_

"لقد اتخذتك طفلي قبل أن تكون زوجي ماذا فعلت ماذا فعلت قل لي فيما قصرت ؟!"

وجملتها الأخيرة صرختها بحزن وليد من حرقة قلبها

مما جعله يضغط بين حاجبيه بغضب أججه ارتفاع صوتها

فحذرها قائلا بحدة من بين أسنانه:_

"لا ترفعي صوتك لا ترفعي صوتك "

ضربته بقبضتيها في صدره بغضب وهي تقول:_

"يا إلهي أنت حقا عديم الشعور ألا تسمع ما أقول؟!"

نفض يديها بحدة وقال:_

"أنا لا أرى داعي لكل ذلك الغضب حتى أنها هي من أرسلت وليس أنا"

أشاح بوجهه عنها وهو يقول بغضب عاجز وكأنه يقنع نفسه قبلها :_

"كما أني قلت لكِ ما بيننا لا يتعدى إطار الصداقة"

"صداقة مرة ثانية صداقة ؟!"

صرخت بغضب مستنكرة حجته الحقيرة وهي لا تدري ماذا تفعل معه

اقتربت منه وهي تقول بتهكم قاسي :_

"إذا أنا من اليوم أصادق الرجال مبررة مثلك أنها صداقة "

التفت إليها بغضب وعينيه تطلق شررا وقال:_

"اخرسي لا تجرُئين حتى كما أني أنا الرجل وأنتِ المرأة لا وجه للمقارنة "

أكمل بتبجح غبي لا يدري أنه يصب به الزيت على النار المشتعلة صبا :_

"حتى وإن تزوجتها فأنا رجل وهو حقي "

"رجل؟"

صرخت باستنكار وهي تفرد كفيها ثم نظرت له نظرة انتقاص لم تستطع ردعها وهي تصرخ قائلة :_

"أي رجل أنا لا أرى رجلا بل أرى نموذج حي أمامي لانعدام الرجولة الآن"

"اخرسي يا ريم "

صفعة قوية شق صوتها جدران الغرفة أمالت رأسها جانباً رفعت عينيها إليه بصدمة وكأنها لا تدرك ما فعل للتو

نظرة عينيها الكسيرة نغزت قلبه رغما عنه

نظرتها أنبأته دون كلام بما فعل للتو في لحظة تهور أحمق منه

«هو لم يلطم وجهاً فحسب هو صفع روحاً شق قلباً»

الصمت المشحون في الغرفة قاطعه صوت طرقات قوية على الباب فتركها مسرعا وشياطين العالم تتقافز أمام عينيه .

فتح الباب في حدة فوجد أمامه والديه وأخيه

قبل أن يتحدث أزاحته والدته جانبا بحدة وهي تتخطاه للداخل ووجهتها الغرفة وكذلك دخل والده وأخيه وعلى وجوههم علامات الغضب .

أما بالداخل

كانت مسمرة مكانها ودموعها متحجرة بعينيها وكأنها تحولت إلى تمثال شمعي لا يشعر !

هل حقا صفعها ؟!

يعني ذلك الخُدر الذي تشعر به في وجنتها اليمنى أثر صفعته لها !!

ريم حكيم التي عاش والدها إلى مماته يعاملها كسلطانة لم يُهينها حتى بمقدار كَلِمة تُصفع؟

التفتت بحدة على صوت حماتها تقول:_

"ريم يا ابنتي ماذا يحدث هل ا...."

قطعت حديثها تشهق بصدمة وهي ترى آثار صفعة قوية على وجنة كنتها مما جعلها تضرب بكفيها على صدرها وهي تسألها بقلق:_

"يا إلهي هل صفعك عبدالرحمن؟!"

وكأنها نبهتها للتو لما حدث !

أغمضت عينيها بقوة وهي ترفع رأسها للأعلى وتبتلع الأشواك المسننة في حلقها بصعوبة

لا لن تبكي

تقسم بداخلها ألا تفعلها

لن تدع أحد يرى هزيمتها هُنا.

لن تحني هامة والدها التي باتت مرفوعة إلى مماته وتبكي هو لا يستحق أن يرى دموعها بل لا أحد يستحق

ستتجرع كأس خسارتها معه رشفة رشفة حتى تنهيه

لكن دون أن يشعر أحد بذلك .

نظرت لحماتها نظرة سريعة ثم تخطتها وهي تتوجه لخزانة ملابسها تفتحها بعزم ، ثم تسحب إحدى الحقائب من فوقها وتشرع في جمع ثيابها بآليه وهي تشعر بأن أطنان من الألم مجمعة بقلبها لإزهاق روحها لكنها لن تبكي !

هنا ليس مكان للبكاء ، هنا مكانٍ لا يليق به أبدا شرف دموعها

فقط لا يليق به سوى نظرة خاوية تبصقها قبل أن ترحل!

اقتربت منها حماتها وهي تسألها بوجل وكأنها لم تتخطى صدمة صفع ابنها لزوجته إلى الآن:_

"يا ابنتي ماذا تفعلين؟"

ابتلعت ريقها بصعوبة وردت ببحة فيها أثر حشرجة بكاء مكتومة دون أن تنظر لها :_

"كما ترين يا أمي أنا سأذهب لبيت أبي

خرجت حماتها مسرعة وتركتها

فأكملت هي ما تفعل

ورغما عنها خانتها دموعها وتجمعت بعينيها فأغمضتهما بقوة، ترفع رأسها عاليا لكبحهم ما استطاعت....

«بالخارج»

كان أول من تحدث والده وهو يقول بغضب :_

"ماذا يحدث يا عبدالرحمن أصواتكم وصلتنا للأسفل كما أن طفلك هبط إلينا وهو يبكي دون أن تشعروا به "

ابتلع ريقه في توتر وهي يضغط على قبضتيه بقوة ولا يدري ماذا يقول فالتزم الصمت .

انتبه على والدته تخرج مسرعة من غرفتهم ويبدو على وجهها إمارات الغضب

اقتربت والدته ووقفت أمامه وهي تضربه بقبضتها في صدره وتقول:_

"صفعتها ؟ صفعتها يا بكري هل هذا ما تربيت عليه أنت وأخيك ؟"

قال والده بغضب وهو يقف أمامه:_

"هل حقا ما تقول والدتك صفعت زوجتك يا ولد ؟"

لم ينطق بكلمة حتى واقترب خالد بحدة وهو يمسكه من ياقته قائلاً من بين أسنانه:_

"صفعتها ؟!هل حقا صفعتها يا عديم الرجولة ترفع يدك على زوجتك "

نفض يد أخيه وهو يدفعه بجنون ويقول باندفاع دون تفكير:_

"وما دخلك أنت ما الذي يجعلك تغضب كل ذلك الغضب
"

هز خالد رأسه بذهول وهو يقول:_

"يا غبي إنها ريم زوجتك أي بمثابة أختٍ لي "

قاطعهم صوت والدهم وهو يقول بحدة :_

"ما شاء الله هل ستتشاجرون و يعلو صوتكم أمامي ونعم تربيتكم والله"

لم يعير والده اهتماما وهو يقول لخالد بحنق وعينيه تطلق شررا :_

"حقا أختك يا خالد ألا تظن أني لا أرى اهتمامك بها ؟!"

فتح خالد عينيه علي اتساعهم وهو يقول برهبة :_

"ماذا تقصد ؟"

أشاح بوجهه وقال بغضب:_

"أقصد اهتمامك بها ، التصاقك لها كظلها، مناصرتها دائما

هل كل ذلك عاطفة أخ؟"

أكمل بتهكم وكأنه لا يستمع للجنون الذي يهذي به:_

"أم عاطفة محب حقير ينظر لزوجة أخيه ؟!"

صفعه قوية هبطت على وجنته شقت جدران المنزل ووالده يشير له بسبابته ويقول بغضب :_

"أقسم لا يوجد هنا حقير غيرك"

دفعه بحدة للخارج وهو يواصل هادرا:_

"اخرج من هنا أنت لست ولدي ، أقسم ألا تطأ قدمك عتبة هذا المنزل مرة أخرى طالما أنت هكذا عديم الحياء"

ترجته زوجته وهي تبكي وكذلك خالد الذي استعاد شتات نفسه سريعا في محاولة أن يُهدأ والده

"اخرسوا لا أريد أن أسمع صوت أحد منكم "

قالها بغضب وهو يدفعه خارج الشقة ويغلق الباب خلفه بحدة

صوت بكاء والدته ارتفع وهي تلوم والده قائلة :_

"لم يا مُحمد لم؟! أهان عليك !!"

تناول كرسي وجلس عليه بإرهاق وهو يقول بأسي:_

"علام تلوميني ألم تسمعي المجنون ماذا قال

أيشك في أخيه؟ ورفع يده على امرأته أيضا "

وكأنها انتبهت للتو لتلك الأخرى التي تركتها بالداخل تجمع ثيابها فتركتهم وذهبت إليها وهي تبكي على حال بكرها .

اتجه خالد إلى والده واتكئ على ركبتيه وهو يقول بتهدج محاولا أن يخفي مشاعره عن أبيه قدر المستطاع:_

"لم فعلت ذلك يا أبي، أنت تعلم أنه لطالما تفوه بالحماقات عند غضبه "

رد عليه والده بغضب:_

"اخرس أنت الآخر لا تظن أن نعتك لأخيك بعديم الرجولة أمامي سيمر مرور الكرام لكن ليس وقته الآن"

أكمل بحزن وهو يخبط بكفيه على فخذيه :_

"الخطأ خطئي ما حدث كان يجب أن يحدث منذ زمن
فقد كنت أراعي مرضه فأفسدته دلالا وأنا أتغاضى عن أخطائه
وانظر أخيراً ماذا حدث !!"

حوقل بأسى ثم واصل :_

"هل تدرك إذا علم أعمامها وأخوها بما فعله ما الذي سيحدث لن يُبقوها على ذمته ثانية أخرى ومن يلومهم"

هز خالد رأسه وهو يستقيم واقفا ويقول:_

"أنا سأذهب الآن يا أبي حتى تستطيع أنت وأمي أن تتحدثوا مع ريم دون أن تخجل من وجودي"

سأله والده بقلق :_

"هل شَعُر جدك وجدتك بشيء ؟"

هز خالد رأسه نفيا وهو يقول:_

"لا لحسن الحظ لقد كانوا في الباحة الخلفية للمنزل وعندما تركت تميم معهم أوصيته بعد أن هدأته ألا يقول شيء ثم أتيت أُخبركم "

صمت قليلا ثم استأذن والده مرة أخرى فأومأ له والده دون رد

فتركه وذهب حزينا شاردا ليس بالسهل

ليس سهلا عليه أبدا ما اتهمه به أخاه

★★★★

منذ أن خرجت حماتها وانهارت وهي تسمع صوت شجارهم بالخارج يصم الآذان

لكن ما شق قلبها نصفين اتهامه لأخيه

يا إلهي هل كان يشك بها هي الأخرى ؟

هل بعد كل تلك السنوات يشك أن أخيه يُكن عاطفة لها بقلبه ؟!

خالد!؟

خالد لطالما عاملها كشقيقته

لم يرفع عينيه لها أبدا بنظرة جارحة

انتفض قلبها رغما عنها وهي تسمع صوت صفعة أبيه وطرده له

يا إلهي هل العم محمد فعل ذلك حقا ؟!

كبتت شعورها فعلى كل حال هو يستحق بعدما قاله!

التفتت تُكمل وضع ثيابها بالحقيبة بعزم فهي لم يعد لها مكان معه على كل حال ليهنأ بحبيبته الأثيرة

وعند ذلك الخاطر الأخير تجمعت الدموع بعينيها مرة أخرى

التفتت على حماتها تدخل لها مسرعة وهي تبكي

وجثت على ركبتيها جوارها وهي تقول :_

"ماذا تفعلي يا ريم أنه بيتك يا ابنتي"

ردت بحزم دون أن تتنازل عن قرارها:_

"كما تري يا أمي أنا لم يعد لي مكان هُنا "

" حقك علينا يا ابنتي بالتأكيد لم يقصد " قالتها والدته بدفاع واهي ثم أكملت ووتيرة بكاءها تزداد:_

"لقد طرده عمك محمد وهذه شقتك "

ابتسمت ريم باهتزاز لتلك المرأة الطيبة فالنهاية هي والدته

أطرقت برأسها لدقائق وقالت :_

"عذرا يا أمي أنا أخذت قراري "

نهضت واقفة وهي تتناول يد حماتها وتربت على كتفها ثم تسحب ملابسها وتتجه إلى الحمام بصمت تحت أنظار حماتها الحزينة

★★★

عندما خرج من المنزل بحث عن أخيه فلم يجده وكذلك لم يجد سيارته

أخذ يسير هائما على وجهه ولم يشعر بنفسه إلا وهو أسفل العمارة التي يقطن بها حسن

فهاتفه يخبره أنه ينتظره بالأسفل

بعد دقائق كان حسن يقف أمامه وهو يسأله بقلق:_

"خالد ما بك هل أنت بخير وأهلك هل الجميع بخير ؟"

جلس خالد بتعب على إحدى درجات السُلم خلفه ولا يدري ما يقول !

اقترب منه حسن وهو يهزه بحنق كي يعرف ما به

لكن ما صدمه تلك الدموع الحبيسة بعيني صديقه وعلامات الحزن المرسومة على وجهه.

جلس بجواره وهو يسأله بوجل :_

"خالد ماذا حدث؟ "

ابتلع غصة مريرة بحلقه وهو يسأل صديقه:_

"حسن هل أنا حقير ؟"

رفع حسن حاجبيه بذهول وهو يقول بضيق:_

"ما الذي تقوله بحق الله أنا لا أفهم شيء من قال ذلك؟ "

قال خالد بوجوم مطرقا برأسه :_

"هو من قال "

ضرب حسن كفيه ببعضهم وهو يقول :_

"يا مُثبت العقل في الرأس يا الله "

استغفر سرا يمسح وجهه بكفيه وهو يقول بهدوء مصطنع:_

"اهدأ وقص عليا ماذا حدث"

صمت خالد لدقائق ثم قص عليه اتهام أخيه له دون أن يتطرق لضربه لزوجته

اتسعت عينيه مما سمع وسأله بذهول :_

"هل حقا عبدالرحمن يظن أنك تنظر لزوجته "

أومأ خالد برأسه وهو يقول. بتهكم:_

"لقد قالها بثقة جعلتني أشك بنفسي وأبحث داخل عقلي عن أي موقف جعله يشك بذلك لكنني لم أجد سوى كل ود واحترام وأخوة "

ربت حسن على كتفه وهو يقول :_

"هدأ نفسك يا خالد بالتأكيد عبدالرحمن قالها وقت غضب أنت تعلمه حين يغضب لا يستطيع السيطرة على حاله "

أومأ برأسه وقال بحزن:_

"ما يؤلمني أكثر يا حسن هو أنها استمعت لما قال

فكيف سأنظر بوجهها مرة أخرى ؟"

مَن اتهمني بذلك يكون أخي يا حسن أخي"

ربت حسن على كتفه وهو لا يعلم ماذا يقول

صمت دقائق ثم قال محاولا صرف تفكيره عن الأمر

"هل اتصلوا عليك من الجامعة يدعونك للحفل "

أومأ خالد برأسه واستقام واقفا وقال:_

"نعم لقد اتصلوا بي صباحا "

"أنا سأذهب الآن "

حاول حسن أن يبقيه معه لكنه أصر وتركه وذهب .

بعدما ترك حسن

أخذ يسير في طريقه دون وجهة محددة يحاول كل دقيقة مهاتفة أخيه لكنه لا يرد

القلق ينهش قلبه بالنهاية هو أخيه ومريض

ماذا لو أتته إحدى نوباته وهو يقود السيارة ؟

ماذا لو أتته خارجا وليس معه أحد ؟

يشعر أن قلبه مقسوم نصفين

نصف حزينا غاضب من أخيه والآخر يكاد القلق يفتك به عليه

رغم كل شيء ميثاق الدم بينهم أعلى من كل شيء

رفع رأسه للسماء وهو يشعر بقلة الحيلة يدعو الله أن يسلمه من كل شر...

★★★★

قبل قليل

خرج غاضبا من المنزل شياطين العالم تتقافز أمام عينيه

غاضب من نفسه ومن وتلك الحمقاء المتهورة التي أرسلت رسالتها الغبية مثلها

من والده وأخيه بل ومنها !

برقت عينيه بغضب وهو يتذكر نعتها له بعديم الرجولة

حسنا سيُريها من هو عديم الرجولة حقا

أخرج هاتفه من جيبه سريعا طالبا رقم ما وقد قرر ألا يعبأ سوى بنفسه بعد الآن.

★★★★

هل حقا ما حدث اليوم أمامه

تشاجر ولديه

وذلك الغبي بِكْره اتهم أخيه بخيانته ؟!

لا وتبجح أيضاً وصفع زوجته !

ريم الخلوقة والتي برغم فِعلة ابنه حين تأسف لها عن ما صدر من ولده طالبا منها ألا تتعجل وتظل ببيتها

لكنه فوجئ بها تترجاه أن يتركها تذهب ولا يضغط عليها وأصرت ألا تخرج هي وابنها إلا وهو راضيا عنها

انتبه من أفكاره على صوت بكاء زوجته والذي لم يجف منذ أن طرد ولدها .

فالتفت إليها قال بغضب:_

"هل سنظل بتلك المناحة طوال الليل ؟"

التفتت له بوجهها المحمر من كثرة البكاء وهي تشهق وتقول:_

"ابنك يا مُحمد كيف هان عليك ؟"

أين هو الآن كيف حاله؟

هل أتت له نوبته ؟ هل استيقظ منها وحده ؟

هل هو بالمشفى؟ الآن

قل لي كيف لا أبكي وقلبي مفطورٌ عليه وأنت جالس هكذا ولا تكلف نفسك عناء السؤال عنه حتى"

تأفف غاضبا وهو يترك لها الغرفة ويخرج فكل كلمة قالتها كان لها صداها بداخله وأكثر

هو ليس قلق عليه فحسب

يشعر أن روحه معلقة خارج جسده بالأخير هو ابنه قطعة من روحه

دمعت عيناه قهرا وهو يستشعر فداحة فعلته الآن

لو كان آخر غير عبد الرحمن لم يكن ليقلق هكذا

استغفر الله وهو يتناول هاتفه طالبا رقم ما متمنيا من الله تعالى أن يطمئنه عليه ولا يرده خائبا..

★★★

للتو أغلق مع ياسر الجوهري الهاتف

إلى الآن لم يتم إجراء الجراحة له

دلك بين جبهته في ضيق وهو يتذكر ذلك الأمر الذي كلفه به ياسر الجوهري قبل سفره حين استدعاه لمكتبه مرة أخرى وجعله يقرأ المكتوب في الظرف الذي أُرسِل له

هو صدم حقا مما قرأ فكيف بصاحب الشأن ؟

لم يكف عن البحث في ذلك الأمر من يومها لكنه لم يصل لشيء

كل الطرق التي وصل لها تؤدي أن الكلام في تلك الرسالة كاذب

لكن ياسر الجوهري يُلح عليه كل يوم ألا يُهمل الموضوع

لعله يجد جديد .

يسأله يوميا عن رنا ابنته وكذلك أحوال العمل

رنا تلك الفتاة التي صادفها ذات مرة بأحد المطاعم لكنها بالتأكيد لا تعرفه

ابتسم وهو يتذكر كم تبدو رقيقة وحزينة في آن واحد

لا يعلم لما لم يخبر ياسر الجوهري بعملها!!

لكن حدسه أكد له أنه لو فعل ذلك سيجلب لها المشاكل فهو يعلم والدها جيدا لن يرضى لها بذلك العمل البسيط

لقد سأل في منطقة عملها ولم يجد شائبة على ذلك المكتب الهندسي البسيط الذي تعمل به

لكنه لم يكتفي بذلك و كلف أيضاً أحد رجاله بالبحث وراء صاحب العمل جيدا

نقر على المكتب أمامه بخفوت وهو يعود لذلك الموضوع الذي يؤرق ياسر الجوهري يفكر كيف يصل لحله..

★★★★

لقد أوصلها حمزة اليوم للعمل لتعطل سيارتها

لم تجد رب عملها ولكن وجدت ابنه ذاك المدعو أحمد لا تعلم لم لكنه أصبح يتردد كثيرا عليهم !

ألقت عليه السلام وجلست على مكتبها لتؤدي عملها دون أن تعيره اهتمام

لا تنكر أنها تشعر بالتحسن فالعمل يشغل معظم وقتها

وصاحب العمل لا يعاملها كموظفه بل يعاملها كابنة له

يحكي معها كثيرا ، يجلب الطعام إذا تأخروا في العمل

يُسلي وقتها ويشغله

انتبهت من أفكارها لصوت ذاك المدعو أحمد يقول:_

"هل أخبركِ والدي أنه لن يأتي اليوم؟ "

هزت رأسها نفيا وهي تسأله:_

"ألن يأتي اليوم ؟"

"احتمال "

رد باقتضاب فأومأت برأسها وعادت لعملها دون اهتمام لكنه عاد وسألها:_

"عذرا لا أقصد تطفل ولكن لم لا تعملين بمؤهلك "

نظرت له بدهشة

فتنحنح وقال:_

"لا أقصد شيئا سيئا، فقط فضول"

"حسنا ليس عندي إجابة "

ردت عليه ببرود وعادت لعملها وقد بدأت تتضايق من فكرة وجوده

★★★★

للتو أنهى آخر حالة عنده واستدعى مساعدته الجديدة

دخلت عليه فسألها :_

"هل وصلت تأشيرة السفر يا مريم "

ردت عليه مريم بتعذيب قائلة:_

"لا يا دكتور لم تصل بعد ربما تصل غدا "

أومأ برأسه وقال:_

"حسنا تفضلي"

كانت ستخرج لكنها تذكرت شيء وهي تخبره قائلة:_

"هناك إحداهن بالخارج تريد مقابلتك"

قطب بين حاجبيه وسألها:_

"من؟"

"هزت رأسها بحيرة وقالت:_

"لا أعلم تقول اسمها "دكتورة مدلين نصار " "

هز كتفيه بحيرة وقال:_

"حسنا دقائق و دعيها تدخل "

أومأت برأسها وتركته وخرجت تبتسم باصطناع لتلك المستفزة أمامها !

يا إلهي ما تلك الفتاة بحق الله

بشعرها القصير وصفحة وجهها المزينة بدقة رقيقة

ثيابها المنمقة والتي تُظهر مفاتنها دون ابتذال

عضت على خدها في غيظ وهي تسمع صوتها المغناج بطبيعته تسألها:_

"ألن أقابل الدكتور ؟"

أشارت لها بيدها وهي تقول بابتسامة صفراء :_

"تفضلي"

لم تكلف نفسها عناء توصيلها حتى فهي لم تطيقها ولا تعلم لم...

طرقت الباب ودخلت عليه مبتسمة بثقة هي جزأ لا يتجزأ منها

رفع رأسه عند دخولها ، وأجبر نفسه على عدم النظر بعيدا عن عينيها كما اعتاد مع النساء

دعاها للجلوس

فجلست على المكتب أمامه وابتسمت

رحب بها ثم سألها :_

"أي خدمة يمكن أن أقدمها لكِ ؟"

قالت بصوتها المغناج الذي جذب انتباهه رغما عنه فهو رجل بالنهاية :_

"أريد أن ألتحق بالعمل والتدرب بالمركز "

رفع حاجبيه بدهشة وسألها :_

"عمل؟ "

أومأ برأسه ثم واصل :_

"حسنا لكن هل لي أن أسأل لم؟

أقصد لم يُعلن المركز عن حاجته لأطباء أو أخصائي تنمية بشرية منذ فترة لا بأس بها "

أومأت برأسها وقالت باختصار:_

"أعلم "

ابتسمت برقة ثم أكملت:_

"اسم شهاب البرعي فقط يجعل الجميع يتمنى فرصة كهذه

كما أني كنت طالبة لك حين انتدبوك للجامعة "

لتدرس لنا مادة " "

ولا أعتقد أن دكتور شهاب البرعي سيردني وإلا ما أتيت"

أكملت بثقة وهي تناوله الملف بيدها :_

"أيضاً سيرتي الذاتية لا تُرفض "

أخذ منها الملف ينظر به ،حك جبهته بيده يُقَلب بين أوراقه

ثم لمعت عينيه بإعجاب وهو يقول :_

"هل تدربت بمركز " " بألمانيا "

أومأت برأسها وهي تبتسم دون رد

فابتسم وقال:_

"حسنا لن أستطيع ردك بالطبع سيتشرف المركز باستقبالك

للعمل به"

اتسعت ابتسامتها وتألقت عينيها بانتصار فهي امرأة أجادت تحقيق كافة أحلامها

والعمل مع شهاب البرعي كان أحدهم وليس الأخير.

سألته بحماس :_

"هل أستطيع أن أبدأ العمل من الغد ؟"

ضحك ضحكة خفيفة وقال:_

"يبدو أنكِ متحمسة كثيرا "

ردت عليه بغنجها الفِطري :_

"كثيرا أكثر مما تتخيل يا دكتور"

ابتسم وأومأ برأسه فاستقامت واقفه ومدت يدها لتسلم عليه

احمرت أذنيه خجلا و ابتسم بإحراج وهو يشبك كفيه ببعضهما ويحركهما معا في علامة للسلام

وقال بحرج:_

"أنا آسف لكنني لا أصافح النساء "

أعادت يدها جوارها ببطء وهي تبتسم وعينيها تلمع بإعجاب لم تخطُأه عيناه

ترفع إحدى حاجبيها قائلة بصوتها المغناج :_

"أووووو لم أتوقع منك ذلك "

ابتسم وسألها :_

"لم؟"

هزت كتفيها بحيرة وهي تقول:_

"ليس لشيء فقط

طبيب مشهور ، عقليه متفتحة ، درست بأوروبا يعني وأشياء كثيرة من هذه"

ابتسم شهاب ورد عليها ببساطة:_

"ليس ضيق عقل

فقط مبدأ والتزام قدر ما أستطيع"

اتسعت ابتسامتها وهي تومئ برأسها في فهم واستأذنته وخرجت

حرك رأسه في حيرة وهو ينظر أثرها وعلى وجهه ابتسامة لا يعلم سببها .

★★★

تشعر بالحيرة لقد اتصل عليها الاتحاد من الجامعة الآن يدعوها لحضور حفل استقبال الدفعة الجديدة وإلقاء كلمة بسيطة نظراً لتفوقها .

لكن تخاف من مقابلته فمن المؤكد مدعو هو الآخر وصديقه

فبعدما رفضه والدها ولم يعد بينهم حديث

هل أصبح يكرهها الآن ؟

تنهدت بحيرة وهي تتذكر حديث رنا لها

هل حقا لم تعُد تُحبه ؟

لكن لم تشعر بافتقادها له ؟

هي تفتقده لا تُنكِر ذلك أبدا ً

زفرت بضيق وهي تشعر أنها ما عادت تفهم نفسها

حكت رأسها وهي تشعر برطوبة أسفلها

اعتدلت في جلستها وهي تشهق

من بقعة الدماء الكبيرة موضع جلوسها

دمعت عينيها حسنا ليست أول مرة !

دخلت المرحاض اغتسلت وخرجت بدلت فرش فراشها

ووضعت الآخر بالمغسلة الكهربائية ثم ذهبت لوالدتها

طرقت الباب فسمح لها والدها بالدخول

دخلت الى الغرفة

ففتح لها والدها ذراعيه وهو يقول:_

"أميرة ياسين"

ابتسمت بشحوب واختبأت بين ذراعيه ثم سألته :_

"أين أمي يا أبي"

جاء الرد من خلفها قبل أن يتحدث والدها بصوت أمها تقول:_

"لقد كنت أصلي حبيبتي ماذا تريدين؟"

انسلت من بين ذراعي والدها تقترب منها وهي ترمش بعينيها وتقول بتوتر:_

"أمي أريدك معي بغرفتي قليلاً"

قطب ياسين بين حاجبيه وهو يسأل بقلق:_

"ما بكِ حبيبتي ؟"

التفتت إليه تطمئنه وهي تقول مبتسمة :_

"لا شيء يا أبي اطمئن "

اقتربت منها والدتها دون حديث وأخذتها من يدها خارجا فقد قلقت من شحوب وجهها الواضح

دخلوا غرفتها فسألت عبير بقلق:_

"حبيبتي ما بكِ ؟!"

قالت نهى بحزن:_

"أمي لقد عاودني النزيف "

شهقت أمها وهي تقول بخوف:_

أرأيتِ يا نهى ألم أقل لكِ مرارا أن نغير تلك الطبيبة؟ أنا لا أثق بها أبدا ً ولست مقتنعة بتشخيصها لكنك تُصرين على رأيك"

تنهدت بتعب ثم قالت بخفوت:_

"أمي إن الأمر مخجل "

قالت عبير بحزم وقد تغلب عليها قلقها :_

"أنا لن أستمع لكِ مرة أخرى بل سأحجز لكِ عند طبيب أعرفه جيدا وأثق به "

عضت نهى شفتها السفلى وهي تقول بخجل:_

"لا يا أمي أرجوك طبيب لا "

لم تستمع لها أمها وهي تتجاوزها وتجلس على الفراش

ثم تناولت الهاتف بين يديها وهي تطلب رقم ما

شهقت نهى وهي تسمع صوت والدتها تحجز لها كما قالت

فاقتربت منها بعدما انتهت وقالت بعناد:_

"أمي أنا لن أذهب للطبيب "

رفعت عبير إحدى حاجبيها وقالت بحزم:_

"قلت لن أستمع لكِ لقد حجزت لكِ غدا للأسف هو بمؤتمر لكن هناك طبيب آخر بمثل كفاءته ينوب عنه "

تأففت بنزق وعدم رضى فتركتها والدتها وذهبت ولم تعيرها اهتمام...

★★★

منامة من اللون النبيذي الذي يحب عارية الكتفين والظهر تصل إلى ركبتيها

اكتفت من أدوات التجميل بأن رسمت عينيها بالكحل العربي ووضعت ملمع شفاه

رشت من العطر المفضل له وجلست على الفراش تنتظره

تأهبت وهي تسمع صوت إغلاق الباب

لكن دقيقة والثانية ثم العاشرة ولم يأتي

قطبت بين حاجبيها في دهشة وأسرعت تخرج من الغرفة لتبحث عنه لكنها وقفتْ على باب الغرفة وهي تراه يجلس على الأريكة ظهره لها وهو يُحدث أحدهم بصوت منخفض

رمشت في توتر وهي تتقدم إلى الخارج قليلاً تحرص أن تقترب برأسها ببطء وترهف السمع

قبضة جليدية اعتصرت قلبها وهي تسمعه يقول بنبرة متوترة :_

"حسنا يا رؤى فهمت لا تقلقي "

صمت دقائق يستمع لمحدثته ثم خرج صوته قائلا بهمس غاضب:_

"قلت لكِ حسنا لنتقابل غدا ونتحدث أنا سأغلق الخط الآن"

أغلق معها وهو يزفر بغضب ثم استقام واقفا قاصدا غرفتهم .

لكنه مجرد أن استدار لمعت عينيه بشغف واقترب ببطء وهو يراها كأجمل ما تكون لقلبه وعينيه

قطب بين حاجبيه وهو يرى علامات الحزن مرسومة على وجهها

خطين من الدموع كللوا وجنتيها

وبخطوة واحدة وجهها كان بين كفيه وهو يقول بجزع:_

"روضة حبيبتي ما بكِ؟"

عندما لم ترد عليه فقط الدموع تجري علي وجنتيها استبد القلق منها وهزها بذراعيه قائلا بغضب :_

"روضة تكلمي ماذا حدث هل أنتِ بخير؟"

سألته بتهدج:_

"من هي؟"

أجفل ورمش بعينيه يسألها بوجل:_

"من؟"

قالت بخفوت:_

"تلك الرؤى من تكون "

دلك جبهته وبوادر الغضب تظهر عليه وسألها باستنكار :_

"هل كنتِ تسترقين علي السمع يا روضة؟"

صرخت بغضب باكية وقالت:_

"أنس لا تُغير الموضوع كي لا ترد على من هي "

رد بحدة وهو يرفع سبابته يحذرها:_

"لا ترفعي صوتك علي وتحدثي بأدب "

تجاوزها غاضبا للداخل ليبدل ملابسه ولم يمهلها فرصة الرد

ظلت مسمرة مكانها دقائق ثم حثت خطاها إلى الحمام

دخلت وأغلقت الباب خلفها تبكي

اتكأت على الحوض أمامها ورفعت عينيها للمرآة فهالها منظرها المريع

غضب؟ بكاء؟ وغيرة !

غيرة حارقة مندلعة بين قلبها وروحها على السواء

يا إلهي كل ذلك فقط من مجرد مكالمة هاتفية

شهقت باكية وهي تفكر ماذا لو كانت زوجته ؟!

تشعر أن روحها تُنزع منها فقط لمجرد الفكرة هل حقاً جنت من قبل وحثته ليفعلها أين كان عقلها؟

الفكرة زادت من جنونها فمسحت دموعها وغسلت وجهها وجففته سريعا وخرجت عائدة إليه عند دخولها أدار وجهه بغضب جلست بجانبه وقالت برجاء وهي تعاود البكاء

دخلت الغرفة فوجدته متكأ على الفراش وبمجر مرة أخرى:_

"اقتُلني يا أنس اقتلني ولا تخبرني أنك فعلتها "

التفت لها بحدة وهو يقول بغضب:_

"يا مجنونة ما الذي فعلته "

مسحت دموعها الجارية قالت بتهدج:_

"هل تلك الرؤى زوجتك؟"

ضرب جبهته بكف يده وهو يقول غاضبا:_

"يا الله يا ولي الصابرين يا روضة هل كل امرأة تستمع إلى زوجها يحدث امرأة بالهاتف تتهمه أنه تزوج عليها؟!"

صرخت بحزن:_

"ليست كل امرأة مثلي يا أنس ، ليست كل امرأة عقيم "

تهدج صوتها بعبارتها الأخيرة وعلى صوت شهقاتها فآلمه قلبه عليها.

هو لا يحب أن يراها بكل هذا الضعف حتى لو أمامه

تغلب عشقه على غضبه وشدها بين أحضانه وهو يربت عليها بحنان يهدئها .

رغبة داخلية أن يزرعها بين ضلوعه فقط ليُخفف عنها أو حتى لينتقل ألمها له لا يَهُم

ظل يربت عليها وهو يشدد من احتضانه لها حتى هدأت وتيرة بكاءها تدريجيا إلى شهقات خفيفة متتالية

بعد دقائق هدأت تماما فسمعها تسأله بحزن وإصرار أنثي عاشقة تغار بجنون :_

"إذا من هي يا أنس ؟"

سحب أنفاسه و أخرجها بصعوبة مفكرا ً

"يا الله ماذا يقول لها ؟"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول:_

"حسنا إنها إحدى عملاء الشركة "

برقت عينيها بغضب وهي تنزع نفسها منه بحدة وتقول:_

"وهل كل عملاء الشركة تتحدث إليهم دون ألقاب هكذا ؟"

سيطر على هدوئه قال بثقة مصطنعة :_

"لا فقط هي أخت صديق لي "

حسنا على الأقل لم يكذب عليها في هذا

رأها تنظر له بعدم تصديق فقال بصدق كي يطمئنها:_

"قسم لكِ يا روضة أنها كما أقول"

غير دفة الحوار سريعا كي يشتت انتباهها وقال بخبث :_

"هل تعلمين أن شكلك الآن بعد وصلة البكاء مريع "

حقا

قالتها بخوف أنثوي لذيذ وهي تتحرك مسرعة ناوية على النزول من الفراش

شدها من معصمها فشهقت وهي تسقط جانبه

اتكأ على مرفقه يشرف عليها وهمس:_

"يا مجنونة إلى أين كنتِ ذاهبة؟"

ببراءتها المغوية كانت ترد عليه سريعا:_

"أعدل من مظهري "

مرر عينيه عليها بتمهل حتى وصل إلى عينيها وهمس بصدقٍ وحرارة :_

"أنتِ لا تحتاجين لذلك معي ، أنتِ بعيني أجمل النساء يا روضتي "

"حقا يا أنس ؟ "

سألتها بتلهف فأومأ برأسه وقبل وجنتيها ببطء ثم رفع عينيه لخاصتها مرة أخرى وهمس :_

"أتسألي؟!"

اقترب ببطء حتي لم يعد يفصل بينهم شيء سوى أنفاسهم وأكمل وعينيه تلمعان:_

"تتدللي؟! إنكِ مني وإني بكِ لَمُتَيَمٌ روضتي"

وبين شفتيها يُباح العشق والضياع ، التلاشي حد اتحاد الأرواح.

★★★

عادت من العمل متأخرة ولم تلبث أن بدلت ملابسها وأخبرتها والدتها أن والدها ينتظرها بغرفة المعيشة

دخلت عليه وجدته جالسا يحتسي قهوته شاردا فقبلت وجنته ثم جلست جواره وهي تقول بشقاوة :_

"فيما أنت شاردا يا عامريِ ؟!"

التفت لها وهو يبتسم ويقول :_

"في سيدة الحسن الصغيرة والمدعوة غدي "

وضعت يدها على قلبها وهي تقول بتمثيل مصطنع :_

"أووووو أخجلت تواضعي يا أبي"

ضحك حتى دمعت عيناه ثم قال بجدية :_

"إذا لندخل في الموضوع "

أومأت برأسها وهي تستمع إليه فسألها:_

"هل حدثكِ أحدهم أنه يريد التقدم لطلب يدك "

قطبت بين حاجبيها وهي تسأله باهتمام :_

"لماذا يا أبي؟"

"فقط أجيبني "

هزت رأسها نفيا في حيرة وقالت :_

"لا يا أبي لم يحدث هذا منذ فترة طويلة

لا أُخفي عليك لقد حدث كثيرا من قبل أن يحاول أحدهم معي لكني لم أجد للشخص صدى داخلي فأعتذر له فقط ويُغلق الموضوع تماما "

"أومأ برأسه وهو يقول بهدوء :_

"حسنا "

صمت دقيقة يثير فضولها ثم سأل مرة ثانية :_

"هل تعرفي ضابط بالشرطة يُدعي "عمر الشاذلي" "

بحثت داخل عقلها كثيرا كي تتذكر هذا الاسم فهي تشعر أنه ليس أول مرة يمر عليها لكنها لا تتذكر

لذا قالت بعد فترة من التفكير:_

"صدقا لا أذكُر لكني أشعر أن الاسم ليس بالغريب "

رفعت إحدى حاجبيها وهي تسأل باهتمام :_

"لكن لم؟! "

ابتسم والدها وهو يقول:_

"لقد زارني وطلب يدك مني وقال أنه تمت مصادفتكم مرة بالمركز وأخرى رآكِ مع أنس بالنادي "

هزت رأسها بحيرة وهي تقول بشرود :_

"لا أعلم يا أبي

"حسنا يا ابنتي لقد سألت عنه ولم أجد عليه شائبة كما أني نفسيا تقبلته فما رأيك حبيبتي؟"

كررت كلمتها بحيرة ذكرته بغدي ذات الخمس أعوام :_

"لا أعلم يا أبي "

احتوى كفيها بين راحتيه في حنان وهو يقول بدعم أبوي:_

"يا ابنتي أنا لا أقول لكِ تزوجيه أنا أسألك عن المبدأ وإذا وافقتي سأجعله يزورنا مساء الجمعة بمشيئة الله"

صمتت لدقائق ثم قالت بحزن:_

"لكن يا أبي شهاب سيسافر يوم الجمعة "

ابتسم وقال:_

"حبيبيتي فقط ستكون جلسة تعارف وإذا حدث نصيب سيكون شهاب معك بالتأكيد فهو سيعود الجمعة التالية لسفره "

أومأت براسها وهي تنهض وقالت:_

"حسنا يا أبي سأستخير وأرد عليك "

★★★★

تجلس تؤدي عملها في راحة فاليوم لم يأتي ذاك المدعو أحمد

لقد جاءت صباحا وتناولت فطورها

وها هي تجلس مع ذلك الرجل الحنون منذ الصباح يعملوا ويتحدثوا سويا وقت الراحة

رغم أنها تستشعر أن مزاجه نزق اليوم على غير العادة!

انتبهت من أفكارها على صوته يقول:_

"رنا هل لي أن أتحدث معك؟"

ابتسمت وقالت:_

"بالطبع كما أني انتهيت من عملي على كلٍ"

أومأ برأسه وقال وهو يشير لها كي تجلس امامه على الكرسي أمام مكتبه:_

"جيد اقتربي هنا "

نهضت في خفة وجلست حيث أراد ثم ابتسمت قائلة بمرح :_

" لعله خير !"

دون مقدمات سأل بفضول :_

"هل أنتِ مرتبطة؟"

قطبت بين حاجبيها وهي تسأله باهتمام:_

"كيف؟"

قال بنزق وصوت خرج حاد رغما عنه:_

"ما هو الكيف سؤالي يفسر حالة أقصد هل هناك أحدهم مرتبطة به عاطفيا ؟"

هزت رأسها نفيا وعينيها تلمع بالحيرة فابتسم قائلا بإيجاز:_

"جيد "

صمت دقائق ثم قال بصوت محايد :_

"حسنا ما رأيك أن نسافر سويا مدينة " الساحلية " يوم الجمعة "

سألته بفضول وبراءة :_

"هل لدينا عمل مهم هناك؟"

قال باقتضاب:_

"شيء من هذا القبيل أو لنقُل سيكون المسمى عمل أمام أهلك وأولادي "

لحظة لحظة لم تشعر بالتوتر؟ ، تشعر بشيء سيء أم أنها يهيء لها قالت بوجل :_

"أنا لا أفهم"

نهض بخفه وظل عينه معلقة بعينها وهو يدور حول مكتبه حتى وصل إليها وجلس على ركبتيه أمامها وقال بخفوت:_

"لا تقولي أنكِ كل تلك المدة لم تشعري بحبي رنا "

انتهى

الفصل التاسع

منذ أن زعق بها آخر مرة وهي لا تحدثه إلا لماماً وبالأخص في وجود والدتها وهو بدوره يتجاهلها

لم تعد تنام معه ، لا يعلم هي تقصد ذلك أم لعلها ظروف اختباراتها فهي منذ أن بدأت اختباراتها تنام بعد عودتها من الاختبار وتستيقظ طوال الليل تذاكر كما الآن

فغدا آخر أيام اختباراتها ، زفر بضجر وهو لا يدري ماذا يفعل

لقد أخبرته من قبل أن مادة الغد هي أصعب مادة مرت عليها هذا العام

حزم أمره وخرج من الغرفة متجها لها حيث الردهة الخارجية

تباطئ في مشيته وهو يسمع صوت نهنهات خافتة ومن المؤكد أنها لها

مشى على أطراف أصابعه ، ووقف جانبا وهو يراها تجلس على الأرض أمامها مذكراتها وكتبها تحاوط ركبتيها بذراعيها دافنة رأسها بينهم وتبكي.

تقدم منها في توتر وجثى على ركبتيه جوارها هامسا باسمها في قلق

رفعت وجهها بسرعة وكأنها لم تتوقع وجوده لكنها عادت كما كانت مرة أخرى ولم تبالي به إلا أن وتيرة بكاءها زادت

رفع وجهها بيديه ، ماسحا دموعها بكفيه في حنان مس قلبها وسألها هامسا:_

"لم تبكي ؟"

أسبلت أهدابها ولم ترد فكرر سؤاله ملحاً

ردت عليه أخيراً بصوت متحشرج خجول:_

"لقد ذاكرت المادة جيدا لكنني لم أتذكر أي شيء حين بدأت مراجعتها "

وختمت كلامها بوصلة جديدة من البكاء جلبت الابتسام لشفتيه في غير وقته

سحبها من ذراعها وأجلسها على الأريكة قائلا بجدية

"ملك اهدئي ، البكاء لن يفيدك بشيء "

حين نظرت له بعجز أكمل بحزم:_

"انتظريني دقائق وسآتي إليكِ وإياكِ أن تواصلي البكاء "

تركها وذهب إلى المطبخ ثم عاد بعد فترة قصيرة حاملا بعض الشطائر والعصير ووضعهم على الطاولة وجلس جوارها

قال آمراً:_

"هيا تناولي طعامك "

هزت رأسها نفيا وقالت :_

"لا أشعر بالجوع "

"حسنا لنعاملك كالصغار إذا يا ملك"

قالها وهو يقترب منها أخذا إياها تحت أحد ذراعيه متناولا بالآخر شطيرتها يقربها من فمها

تجمدت مكانها ،عينيها معلقة بخاصته وهي تشعر أن الخجل يتآكلها من رأسها إلى أخمص قدميها

حثها بنظراته ألا ترد يده فأخذت قضمة صغيرة وهي تشعر نفسها كالمغيبة بعينيه، ويبدو أن لعينيه معها برموشه تلك ستكون حكاية أخرى

ظل هكذا إلى أن جعلها تتناول طعامها كاملا دون أن تشعر

انتبهت على صوته يقول:_

"ملك أين شردتِ؟"

أخفضت رأسها سريعا وهي تقول بتلعثم:_

"ها .... يعني ...فقط لقد كنت أفكر بالاختبار"

أومأ برأسه واعتدل بجلسته يناولها العصير وسألها باهتمام

"هل تشعرين بالتحسن؟"

أومأت برأسها وقد عاد الدم يجري بوجهها فاتجه إلي الأرض وجمع كتبها ثم عاد إليها قائلا بحماس :_

"حسنا لنبدأ "

ضيقت عينيها وسألته ببلاهة وقد أمالت رأسها جانباً :_

"نبدأ؟!!"

أومأ برأسه قائلاً بجدية:_

"نعم سأُراجع لكِ المادة الآن "

"حقا ؟" سألت دون تصديق فأومأ برأسه وبدأ فعليا في مراجعة المادة معها وأوضح لها بعض الجزئيات الغامضة إلى أن انتهوا فقال:_

"لتُصدقي أنكِ لم تنسي شيئاً فقط كنتِ متوترة "

أومأت برأسها في راحة وقد اطمئنت أخيراً وسألته في فضول:_

"كيف استطعت أن توضح لي تلك الجزئيات ، أقصد أنت خريج فنون تطبيقية وأنا كلية التجارة "

استحال وجهه إلى صفحة بيضاء ورد باقتضاب:_

"صحيح لكن أصدقائي في الغرفة بالدار كانوا بكلية التجارة وكنت أدرُس معهم كثيرا "

أومأت برأسها وهي تشعر أنه لا يحب الخوض في الحديث عند تلك المنطقة وصمتت حتى سمعته يقول:_

"إذا هيا لتنامي "

ردت بفزع:_

"أنام وليلة الاختبار لا لن يحدث "

جز على أسنانه وسألها بغيظ:_

"ولم؟! "

"إذا نمت لن أستطيع تذكر كلمة واحدة في الاختبار غدا " الطريقة الفلسفية التي نطقت بها جملتها وكأن نظريتها التي لا وجود لها صحيحة استفزته فنظر لها بحنق ودون أن تشعر وضع أحد ذراعيه أسفل رأسها والآخر تحت ركبتيها وحملها

شهقت متفاجئة وحاوطت عنقه بذراعيها في خوف

وسألت بخجل :_

"حسن ماذا فعلت ؟"

رد بجدية حتى يُبعد عنها ذلك الخجل وهو متجها بها إلى الغرفة:_

"ماذا أفعل فقط سأُجبرك على النوم توتر هانم "

ابتسمت بخجل وسألت:_

"توتر؟!"

كان قد وصل بها إلى الغرفة وضعها على الفراش ببطء وهو يرد عليها ضاحكاً:_

"نعم كما سمعتِ تماما يا إلهي يا فتاة إنك كتلة من التوتر "

اعتدلت مكانها وقالت بعفوية :_

"فقط أنا شديدة الخوف من الاختبارات لذا كانت تأخذني أمي بين أحضانها كل ليلة اختبار ُتهدهدني كالطفلة الصغيرة"

أغلق الأنوار ثم أخذ مكانه جوارها وقال بمشاكسة:_

"يا إلهي يا فتاة ولم لم تقولي من البداية ؟"

قطبت وسألته بحيرة :_

"أقول ماذا ؟"

رد بجدية مصطنعة :_

"أنكِ تحتاجين لحضن "

غمز بعينيه وأكمل بعبث:_

"كنت سأغرقِك أحضان تكفيك لاختبارات العام القادم"

شهقت بخجل وضربته بقبضتها في كتفه وقالت بحدة مصطنعة :_

"نم يا حسن واجعل ليلتك تمر بخير "

لوي شفتيه بطفولية وقال:_

"ليس لكِ بالطيب نصيب "

ابتسمت ولم ترد فقال بجدية :_

"حسنا اقرئي الأذكار ستساعدك على النوم "

أومأت برأسها وأخذت وضعية النوم معطية له ظهرها تاركة مسافة كبيرة بينهم كما كانت تفعل

انقلب على ظهره مشبكا يديه أسفل رأسه سارحا بأفكاره منها وإليها

حتى انتبه من شروده على حركتها جواره فعلم أنها لم تنم بعد

تلكأ بنظراته عليها لدقائق ثم حزم أمره واقترب منها هامسا:_

"ملك هل مازلتِ مستيقظة؟"

أومأت برأسها في توتر وهي تشعر به خلفها تماما

همس مرة أخرى وهو يبتعد مسافة قصيرة:_

"استديري"

استدارت إليه في خجل مسبلة اهدابها فابتسم وسألها بحنان:_

"هل مازلت خائفة ؟"

هزت رأسها مرة أخرى وهي تعيد خصلة فالتة من شعرها وراء أذنها دون أن تتحدث

صمت لثواني ثم سحبها بحزم من ذراعها لأحضانه واحتواها بحنان

تجمدت بين ذراعيه وحاولت أن تبعده عنها في خجل ، إلا أنه شدد من ذراعيه حولها وهمس برقة استحوذت عليها:_

"اششششش ملك اهدئي أنا لن أفعل شيئاً فقط أساعدك لتنامي"

همست بخجل متوتر :_

"حسن أنا.. أنا.. أنا.. أشعر بالخجل "

ابتسم وقال بمرح محاولا تخفيف خجلها:_

"ملك أعلم أنا وأنتِ والشيطان ثالثنا أعلم لكن لا تخافي ليس لدي نية وقحة اليوم ربما في وقت آخر ، فقط الآن أسحب منكِ الشحنات السلبية ليس إلا"

لكزته بقبضتها في كتفه وابتسمت

فهمس وهو يربت على ظهرها بيديه وكأنه يهدهد طفله:_

"حسنا هيا نامي "

وكيف ألا تنام؟ في حضن كهذا!!!!

حضن رجل تشعر أنه جمع حنان العالم أجمع فقط لأجلها واحتوها به بين ذراعيه ...

□□□□

قبلت ابنتها بعد أن نامت واستدارت تنظر للسقف في شرود، الجاحد ألم يشتاقها ؟

دمعت عينيها من كثرة حنينها له

يا إلهي هي اشتاقت ، اشتاقت حد اللامعقول ، حد اللاممكن ،بل حد اللا مشروع !!!!

كل يوم تسترق السمع على مكالمته الهاتفية مع ابنتهم

متعمدة أن تفتح السماعة الخارجية كي يصلها صوته وصوت أنفاسه الحبيبة

القاسي لم يُخطأ مرة ويسأل عنها أو حتى يذكُر اسمها سهوا

فقط يوصي ابنته في جملة باردة مثله

«لا تُرهقي والدتك حبيبتي ، واستمعي إلى حديثها»

تحولت دموعها إلى شهقات باكية وهي تعترف لنفسها أنه لم يُخطأ معها بل هي من كانت السبب المؤدي إلى فراقهم

لكنها أيضاً تلومه

منذ متى كان لا يتحمل جنونها ، وأخطائها المتعددة بل الكثيرة !

التفتت تحتضن ابنتها ، تتشمم فيها بقايا رائحته فقد قضت معه اليوم .

زمت شفتيها بغيرة طفولية وهي تتذكر ابتهاج ابنتها بالدمية الكبيرة الجديدة والتي منذ فراقهم لم يجلب لها واحدة هي الأخرى كما كان يفعل

ثلاث سنوات على فراقهم بأربع وعشرين دمية كبيرة لابنتها فقط دونها !

هل نساها حقا؟

هل لم يعد يتذكر أيامهم ولياليهم سويا؟

ألا يتشمم رائحتها في ابنته مثلها هكذا ؟

هل من الممكن أن يفعلها ويتزوج يوما ؟

بل هل سيستمع إلى كلام والدته ويتزوجها؟

وعند الفكرة الأخيرة شعرت أن نار حارقة اندلعت من رأسها إلى أخمص قدميها

تقسم لو فعلها ستقتله وتقتلها دون ذرة ضمير .

برقت عينيها بشر وهي تفكر أنها ستهدده بذلك حتى لا يتطرق عقله حتى للأمر .

فهو يعلم مدى جنونها جيدا !

ابتسمت بسخرية وهي تفكر

ولم لا يفعل والأخرى أمام عينيه كل يوم ؟

هي حتى تمهد نفسها لسماع الخبر من ابنتها يوميا بقلب مرتجف متنهدة براحة عند عدم سماعه في نهاية اليوم

دمعت عينيها وهي تفكر

ثلاث سنوات تتلظى بنار غيرتها وهو كلوح الثلج لم يبرد نارها ولو بمكالمة واحدة حتى...

□□□□

تنتظر دورها عند ذلك الطبيب الذي أصرت عليه والدتها

تهز ساقيها في توتر وهي تشعر أن الخجل يحرقها حرقا

انتبهت على صوت المساعدة تدعوهم للدخول

فتصلبت مكانها ومسكت كف والدتها تنظر لها برجاء أن ترحم خجلها ويغادروا.

لكنها لم تعيرها اهتمام وهي تمسك بيدها تحثها على الدخول

أخفضت رأسها بخجل وهي تسمع صوت ذلك الطبيب يرد على والدتها التحية وهو يدعوهم للجلوس

لما تشعر وكأنها سمعت صوته من قبل ؟

جلست وهي على حالها تنظر أرضاً لكنها اضطرت أن ترفع رأسها إليه حين سألها عن شكواها

ويا ليتها ما رفعت، يا إلهي حمزة ؟

من بين جميع الأطباء يكون الطبيب المنتدب هو حمزة ؟

ليتها لم تستمع إلى حديث والدتها ، بل ليتها لم تخبرها من الأساس

تشعر أن وجنتيها سينفجران من شدة سخونتهم خجلا وإحراجا

وأمامها هو لم يكن أقل دهشة منها حين دخلت عليه، لكن طبيعته العملية الذي يتحكم عليه فرضها الآن جعلته يكبح جميع أفكاره مركزا في نقطة أنها مريضة وفقط

إلا أن حالها ذاك جلب ابتسامة تسلية لعينيه وهو يشعر بها كالفأر المبتل الذي وقع في المصيدة .

تنحنح وسألها مرة أخرى كي يعيد انتباهها إليه:_

"آنسة نهى أنا أنتظر سماعك "

نهى؟ وهل تبقى منها نهى ؟ تشعر أنها تلاشت وذهبت أدراج الرياح

أسبلت أهدابها ولم ترد

فرحمت والدتها خجلها البين والذي أرجحته لصغر الطبيب الشاب الذي صدمها هي أيضاً فقد كانت تتوقع شخص كبير بالعمر .

أخذت تشرح له حالتها بتوضيح حتى انتهت ثم سألته باهتمام:_

"هل ما شرحته لك يا دكتور يجعلها لا تقدر على الإنجاب"

فتح عينيه على اتساعهم وهو يقول باستنكار:_

"من قال ذلك؟"

ردت والدتها:_

"طبيبتها"

أومأ برأسه ورد بعمليه:_

"حسناً تفضلي آنسة نهى إلى غرفة الفحص"

نهى ولم نهى؟! وأين ستذهب ألم يندمج في الحوار مع والدتها لم لا يتركها بحالها حتى تهرب من هنا ولا تعود مرة أخرى!

تصلبت مكانها وهي لا تعرف من أين تفر هاربة

هي تعرف كيف يكون الفحص فقد جربت ذلك لكن من قبل كانت طبيبة لكن كيف سيفحصها هذا ؟

سمعت والدتها تحثها بنبرة تحذيرية أن تتجه لغرفة الكشف مع مساعدته كي تُجهزها

نقلت نظرها بينهم كالأرنب المذعور ، لكنها بالأخير امتثلت للأمر وذهبت مع المساعدة إلى غرفة جانبية والتي جهزتها لفحصها.

دمعت عينيها خجلاً وأدارت وجهها للناحية الأخرى حين دخل عليها وجلس على الكرسي جوار الفراش أمام الجهاز الطبي

فسمعته يقول بحزم وعملية وهو يحرك الجهاز عليها الذي استدعى الممرضة أن تضع لها على منطقة أسفل البطن مادة طبية لزجة حتى يعمل :_

"آنسة نهى انتبهي معي من فضلك "

أدارت وجهها ببطيء فوجدت عينيه على الشاشة أمامه بتركيز وسمعته يسألها

"متى كانت آخر مرة لدورتك الشهرية ؟"

احتقنت وجنتيها وردت هامسة :_

"منذ أسبوعين لكنها كما قلت قليلة ومتقطعة "

أومأ برأسه ورفع الجهاز عنها وأشار لمساعدته أن تساعدها وتركهم وخرج

جلس وراء مكتبه مبتسما لوالدتها القلقة باطمئنان حتى جاءت هي الأخرى وجلست مكانها فتحدث بعملية قائلاً:_

"حسنا تشخيص طبيبتها ليس خاطئ كليا لكن هذا لا يعني عدم إنجابها أو حتى قلة نسبة حدوثه للدرجة"

سألته والدتها بقلق :_

"لكن يا دكتور كما قلت لك أنها تعاني روماتيزم القلب أيضاً"

أومأ برأسه وقال:_

"حسنا لكن هذا كان قديما لكن مع التقدم العلمي لم يعد روماتيزم القلب يُقلق هكذا بل أصبح من الأمراض الشائعة التي يمكن التغلب عليها بالعلاج مع الزواج

والإنجاب ومسايرة الحياة معها بالشكل الطبيعي، فقط أريد أن أرى جميع التحاليل والأشعة الخاصة بحالتها المرة القادمة"

أومأت برأسها مبتسمة وقد طمأنها حديثه بعض الشيء

فبدأ بتدوين بعض الأدوية والتحاليل المطلوبة وقال :_

"لقد كتبت لكِ بعض الأدوية والتحاليل اللازمة

أول دواء ستوقفينه بعد أسبوع من أخذه وستأتيك الدورة باليوم الثاني منها أريد منكِ عمل التحاليل المدونة وأراكِ بعدها إن شاء الله"

قبل أن تأخذ منه الورقة أدارها ودون عليها رقم ما ثم قال:_

"هذا رقمي الخاص إذا حدث أي شيء لا قدر الله اتصلوا بي فورا "

نظر لها وأكمل مبتسما برقة :_

"أنتِ لستِ غريبة نهى ، أنتِ أختاً لرنا"

هزت رأسها خجلا وأخذت الورقة منه وشكرته والدتها التي لمعت عينيها بالحيرة من معرفتهم ببعض لكنها أجلت سؤالها حين خروجهم...

□□□□

ها هي الآن تجلس أمامه بعد أن تركوهم معا ليتعرفوا على بعضهم البعض بحرية..

ترتدي سترة حريرة من اللون السماوي تبرز جمال قدها ،تصل إلى ركبتيها وبأسفلها جينز ضيق وحذاء أنثوي بلون السترة أما حجابها ملفوف حول وجهها برقة يبرز مدى جمال بشرتها وكأنها ينقصها ذلك!!!!

سمح لعينيه بالتجول عليها مرة أخرى بتمهل جبهتها العريضة ،حاجبيها شديدي السواد .

عينيها المرسومتان بدقة أبرزت جمال عسلهم، وجنتيها المكتنزتان بعض الشيء والمشربتان بالحمرة، أنفها الملائم لوجهها ، شفتيها الممتلئتان بإغراء وقد زينتهم بالأحمر القاني وأخيرا طابع الحسن أسفل ذقنها

تنحنح بخفوت مبتسما ابتسامة حلوة وقال :_

"ألن نتحدث ؟"

وعكس ما توقع من خجل ورغم الاحمرار الذي يغزو وجنتيها بشدة الان وجدها ترد بقوة :_

"وهل من المفترض أن أبدأ أنا بالحديث؟!"

لمعت عينيه بإعجاب رافعا أحد حاجبيه من جرأتها وقال:_

"حسنا هل تتذكرينني؟"

رفعت عينيها إليه لدقائق ثم هزت رأسها وقالت:_

"نعم لقد تذكرتك اليوم لكن حين ذكر والدي اسمك وأنك تعرفني لم أتذكرك حينها "

أومأ برأسه متفهما وقال:_

"حسنا لأكون صريح لقد أعجبت بكِ حين رأيتك أول مرة ثم تعزز إعجابي وقد رأيتكِ مع أخيكِ بالنادي "

سألته بدهشة:_

"هل تعرف أنس لكن لم يبدو ذلك عليكم ؟"

هز رأسه نفيا وابتسم قائلا :_

"لا لكني أعرف صديقه "

أومأت برأسها فسألها :_

"أليس لديكِ أي أسئلة؟"

ابتسمت وقالت:_

"حسنا كم سنك "

قال بمشاكسة:_

"كم تعطيني؟"

ضيقت عينيها في تفكير مبتسمة ثم قالت:_

"حسنا سبع وعشرون؟"

ضحك وقال بغرور مصطنع:_

" بل ثلاثون ولكن حسنا هذا يدل على أني أبدو أصغر من عمري "

ابتسمت ولم ترد وبدوره ابتسم لابتسامتها وظلت جلستهم كما هي يتخللها بعض الأحاديث الهادئة وشعور بالراحة يغزو قلبيهم معا ..

□□□□

عادت من الاختبار مرهقة وهي تزفر في غضب من شدة حرارة الجو اليوم

فتحت المروحة على أعلى درجة وخلعت ملابسها ثم نظرت إلى خزانة ملابسها في حيرة .

تناولت منامة قطنية بدون أكمام تصل إلى قبل ركبتيها بقليل وارتدتها على مضض وهي تحدث نفسها قائلة :_

"حسنا الجو حار وأنا لا أطيق الملابس وهو لن يأتي بالتأكيد قبل أن أستيقظ ، سأنام هكذا ثم أبدل ملابسي قبل مجيئه"

تمددت على الفراش وسقطت بنوم عميق دون أن تشعر بشيء حولها

بعد عدة ساعات عاد من العمل وجد الهدوء يعم المكان والأنوار مغلقة

مط شفتيه في حيرة ثم دخل إلى الغرفة فوجدها نائمة ، فتح النور كي يبدل ملابسه وتسمر مكانه

"بحق الله ما هذا الذي ترتديه هذا إن صح القول إنها ترتدي من الأساس !"

ابتلع ريقه وهو يرتفع بنظره إلى وجهها فوجدها نائمة كالغريق

تحرك من مكانه بصعوبة يأخذ ملابسه ثم خرج من الغرفة غاضبا وكأن شياطين العالم تطارده

بعد فترة كان قد بدل ملابسه وأدى فرضه

فعاد إلى الغرفة كي ينام فهو مرهق اليوم ولن ينام على الأريكة أبداً

وقف أمام الفراش يزفر بغضب ، كيف سينام جوارها وهي هكذا ؟ بحق الله

تحرك من مكانه وأغلق النور بغضب ثم أسقط نفسه جوارها على الفراش بحدة علها تستيقظ وترحمه

حدث نفسه بحنق :_

"وكأن إغلاق النور سيمحي ما رأيت يا حسن أفندي"

تحرك على الفراش بغضب لعلها تستيقظ!

كيف ترتدي ذلك بحق الله لا والأدهى تنام بعمق لوح الثلج التي ورائه هذه

تجمد مكانه وجحظت عينيه حين ركلته بساقها لكنه هب كالملسوع حين ركلته الركلة الثانية

فتح النور ثم عاد إليها يوكزها في حدة وهو يقول بغضب :_

"ملك استيقظي "

فتحت عينيها ببطء تنظر له بدهشة ثم اتكأت على مرفقها وهي تقول بخفوت ولم تزل آثار النوم بعد:_

"ماذا حدث يا حسن؟"

قال بحدة:_

"ملك استيقظي أنتِ تركلين بساقيكِ وأنتِ نائمة وأنا لا أستطيع النوم "

هبت جالسة على ركبتيها وقد طار النُعاس منها وقالت بغضب:_

"حسن ما الذي تقوله أنا لا أركل بساقي بالتأكيد"

نظر لها بغيظ وقال:_

"وكيف تشعري وأنتِ كنت نائمة كالدب جواري "

ارتفع حاجبيها حتى كادوا يصلوا إلى منابت شعرها وقالت بغيظ:_

"أنا كالدب يا حسن؟"

توترت من تغير نظراته وهو يقترب منها ببطء حتى وصل إليها وهمس بخفوت :_

"حسنا ليس كالدب حرفيا بل ك..."

قطع حديثه وهو يمرر نظراته عليها بمهلٍ وكأنه يقيمها كي يعطيها وصف يليق بها

عقدت حاجبيها تنظر له بتعجب ثم سرعان ما شهقت بفزع وهي تهب كالملسوعة حين تذكرت ما ترتدي

قبل أن تصل إلى الباب سبقتها كفيه تغلقه

فتسمرت مكانها في توتر وهي تشعر به خلفها تماما وقالت بخفوت راجي:_

"حسن أتوسل إليك أن تتركني "

وصوتها الراجي أسر قلبه رغما عنه فجلب الابتسامة لشفتيه وهمس بمشاكسة :_

"وهل أمسكتكِ الآن يا ابنتي ؟

صحيح «قال يا جالسين يكفيكم شر القادمين» "

استدارت ببطء واستندت بظهرها على الباب فأصبحت مقابلة له

اثنى ذراعه مشيرا بإبهامه للخلف غامزا بعينيه

فأحمر وجهها خجلا وقالت بحدة خرجت مبحوحة رغما عنها

"ماذا لِم تفعل هكذا ؟"

ابتسم ابتسامته الحلوة تلك مائلاً عليها غامزا مرة أخرى مصطحبا غمزته بقوله المشاكس:_

"هكذا؟"

ازداد احمرار وجنتيها وتوترت مكانها فرحم خجلها وهو يتنحى جانبا قائلا بجدية لا تخلوا من المرح :_

"الخزانة هنا وليست بالخارج إذا خرجتي هكذا فستضطرين للعودة إليّ مرة اخرى ثم أكمل بخفوت ذات مغزى جلب الابتسامة لشفتيها رغما عنها:_

"هكذا "

تحرك من مكانه ينوي الخروج لكنه تلكأ وعينيه تلمع بخبث ثم اقترب منها طابعا على وجنتها قبلة مُفاجأة وخرج مسرعا تاركا إياها مسمرة مكانها...

□□□□

منذ أن جاءت وهي تبكي بأحضان والدتها

تلك التي تضمها إليها، تسقيها من عاطفتها ما تحتاج دون أن تسألها حتى ماذا حدث

بعد فترة كانت هدأت قليلاً فانتفضت بفزع قائلة:_

"تميم يا أمي أين هو؟"

ربتت والدتها على وجنتها في حنو وقالت:_

"لا تقلقي حبيبتي أنه مع زوجة أخيكِ بالداخل ويبدو أنه نام"

أومأت برأسها وهي تشهق شهقات خافتة وأمها بجانبها تنتظر سماعها بصبر لكن رغما عنها قلبها يتآكل عليها فريم القوية لا يهزها أي شيء إذا هناك أمراً جلل

انتظرت حتى هدأت وتيرة بكائها نهائيا وسألتها:_

"ماذا حدث يا ابنتي ، قلبي يأكلني من القلق عليكِ منذ أن أتيتِ وارتميت بأحضاني وأنتِ على حالك هذا "

مسحت ريم دموعها وقالت بصوت متحشرج من بين شهقاتها:_

"أمي أنا ... أنا أريد الطلاق "

"يا مُصيبِتي "

قالتها والدتها شاهقة وهي تضرب بكفيها على صدرها في فزع ثم سألت بقلق:_

"لم ماذا حدث؟"

من بين دموعها نظرت لأمها بصمت وهي تحدث نفسها بحيرة

"ماذا تقولي يا ريم؟"

هل تقولي أنه يعيد وصال الود مع حبيبته القديمة ؟ لكن هكذا إذا علِم أعمامك ستكون فضيحة لا تستحقها عائلته أبداً

هل ستقولين أنه صفعك؟

لو بظروف أخرى غير ظروفه لقالت بكل شجاعة منتشية بانتقام أهلها منه لكنها تعلم عائلتها جيدا من

الممكن لا بل من المؤكد أن مصطفى أخاها سيعايره بعِلته وأنها تحملته بما فيه وما إلى ذلك من تجريح

وهي لن ترضى له على كل حال بذلك ف بالأخير هو والد تميم حتى لو دهست قلبها تحت قدميها لن تكون سببا في كسره من أجل طفلها على الأقل

انتبهت إلى صوت والدتها تقول بفزع:_

"ريم يا ابنتي أخبريني ماذا حدث"

ابتلعت ريقها في صعوبة وقالت :_

"أمي أنا وعبد الرحمن لسنا على وفاق منذ فترة كبيرة لذا أنا أريد الطلاق "

قالت والدتها بحدة :_

"ما هذا لستم على وفاق ما الذي فهمته أنا ، هل جننتِ؟ يا ريم ، هل كل امرأة وزوجها يحدث بينهم خلاف تطلب الطلاق "

صرخت بحدة دون وعي وهي تهب واقفة:_

"لا ليس كل امرأة وزوجها يا أمي مثلنا ، أمي هي حياتي وقراري أنا لن أعود ذلك البيت مرة أخرى ما بيني وبينه انتهي "

ثم تركتها وذهبت إلى غرفتها حيث طفلها تنام غاضبة

□□□

نهض بخفه وظل عينه معلقه بعينها وهو يدور حول مكتبه حتى وصل إليها وجلس على ركبتيه أمامها

وقال بخفوت :_

"لا تقولي أنكِ كل تلك المدة لم تشعري بحبي رنا"

هبت من مقعدها كالملسوعة وقالت بحدة:_

"أنت ماذا تقول لقد اعتبرتك كوالدي "

استقام يوازيها في وقفتها متحدثا بإبتسامة سَمِجة محاولا استمالتها :_

"أي أب يا رنا لم تُكبرِنني بهذا الشكل أنا لازلت بشبابي "

حاولت أن تتجاوزه لكنه تخطاها يقف أمامها وهو يقول بتلهف مقزز:_

"رنا أنا أحبك منذ أن وقعت عليكِ عيناي ،

أنا حتى لا أطالبك بزواج ومسؤوليات سنكون معا دون رابط يقيدنا"

"يا حقير .... يا كلب"

والسبة لم تكن منها ولكن من ذلك الغريب الذي اندفع كالمجنون يضرب ذلك المتصابي الآن بقوة وغضب

سمعته يهدر بغضب:_

"أتلعب بعداد عمرك أنت ألا تعرف من هي يا حقير وابنة من أقسم أن أجعلك تندم على كل ما تفوهت به الآن "

ارتفع عنه وبصق عليه بغضب ثم سحبها من ذراعها واندفع بها حتى خرجوا من المبنى بأكمله ووصلوا إلى سيارته

التفت اليها ليصرخ عليها لكنه صمت حين ترآى له نظرة الضياع والتشتت بعينيها ودموعها تُغرق وجنتيها

زفر بغضب وهو يركل السيارة بحذائه بقوة منذ أن جاءته المعلومات عن ذلك الحقير المتصابي البارحة

وهو لم يستطع النوم ، الرجل ترك ابنته أمانة لديه وهي تعمل عند ذلك الحقير

أول ما فعله عند الصبح ، مر على المؤسسة سريعا ثم ذهب إليها مباشرة ليحالفه حظه السيء ويسمع تلك القاذورات التي ألقاها الرجل على مسمع تلك المجاورة له .

انتبه من أفكاره على صوتها المتحشرج تهمس بضياع:_

"من أنت؟"

التفت إليها ينظر لها بقوة ثم فتح باب السيارة قائلا بحزم

"اركبي السيارة"

هزت رأسها نفيا وقالت باكية :_

"أنا لا أعلم من أنت يا هذا كيف لي أن أركب معك؟"

تنهد بخفوت ورد قائلا:_

"أنا وائل حجاج من طرف والدك "

رفت عينيها بحيرة فقال:_

"لا تخافي أنا مساعد والدك وذراعه الأيمن وأعلم من أنتِ جيدا و..."

قطع حديثه وهو ينتبه لشحوب وجهها ، ورفع عينيها المتواصلة

فاقترب منها يسألها بقلق:_

"أنتِ بخير؟"

لكنها سقطت كالخِرقة البالية بين ذراعيه دون رد

"اللعنة"

همسها بغضب وهو يساعدها بذراعيه ويُدخلها السيارة ببطء

ثم جثى على ركبتيه أمامها ، يربت على وجنتيها بخفة لكنها لم تستجب له .

أغلق باب السيارة بغضب ولف يجلس أمام المقود متجها بها إلى المشفى

بعد فترة من الوقت

طرق باب غرفتها بالمشفى بعد أن طمأنه الطبيب ودخل عليها

اعتدلت في مكانها وهي تنظر له بحيرة وسألت بخفوت:_

"من أنت ؟"

جلس على الكرسي أمامها وقال ببساطة:_

"وائل حجاج من طرف والدك لقد قلت لكِ من قبل "

هزت رأسها بلا معنى وسألت :_

"كيف علِمت مكاني؟"

ابتسم وقال:_

"لقد كلفني والدك قبل سفره ا.."

قاطعته وهي تقول باستنكار:_

"سفره؟"

هز رأسه قائلاً:_

"نعم والدك مسافر خارج البلاد "

صمتت فسألها بحذر:_

"ألا تعلمين عن سفره شيئا ؟"

لمعت عينيها بالدموع وهزت رأسها نفيا فأكمل:_

"كما قلت لقد كلفني قبل سفره بمتابعتك والاطمئنان عليكِ ، حينها كانت بداية عملك مع ذلك الحقير

فأرسلت من يتحرى عنه "

ضرب بقبضته على حافة مقعده وأكمل بغضب:_

"ووصلني أمس فقط معلومات عن سمعته الحقيرة "

هزت رأسها بألم وكأنها لم تصدق ما حدث للتو

قبل أن يتحدث أياً منهم كان حمزة يدخل الغرفة عليهم مسرعاً ويبدو على وجهه علامات الفزع يسأل بقلق وهو يجلس جوار رنا :_

"رنا حبيبتي أنتِ بخير؟"

أومأت برأسها دون أن ترد، فتنهد وهو يزفر براحة

ضيق وائل عينيه على لهفة خالها العجيبة فهو بالطبع يعرفه لكنه آثر الصمت ثم بعد دقائق قال :_

"مرحبا سيد حمزة "

التفت إليه حمزة وكأنه انتبه لوجوده للتو وسأل بصوت خرج حاداً رغما عنه:_

"من أنت ولم تجلس هنا؟!"

ابتسم وائل بحرج وهو يقف كي يوضح له الأمر لكن صوتها هي خرج مبحوحا وهي تقول:_

"حمزة هو يدعى الأستاذ وائل لا أعلم من أين يعرفني لكنه يقول إنه يعمل لدى أبي"

نظرت له وأكملت:_

"وهذا حمزة خالي "

أومأ برأسه في احترام واقترب منه ليحييه فحياه حمزة على مضض ثم التفتت لرنا وسأل:_

"حسنا متأكدة أنكِ بخير "

أومأت برأسها دون رد فقال:_

"إذا هيا معي لأطمئن عليكِ من الطبيب ونرحل"

"هي بخير لكن الطبيب يقول أن حالتها النفسية سيئة"

قالها وائل بجدية وهو ينظر بحنق لذلك الذي يتجاهله ، حتى أنه لم يشكره .

التفت إليها حمزة بقلق ويبدوا أنه نسى من تشتته سؤالها عن سبب وجودها هنا فبمجرد أن هاتفته ترك عمله فورا وأتى إليها !

عاد بنظره لذلك الغريب وسأل:_

"لم هي هنا من الأساس ولم أنت معها ؟ كيف حدث ذلك ؟"

هز وائل رأسه بتفهم وقال:_

"لنخرج من هنا أولا وأُجيبك على أسألتك"

وافقه حمزة على مضض وهو يحُث رنا للخروج جواره ساناً إياها بين ذراعيه

وركبوا جميعا بسيارة حمزة الذي سأل بمجرد جلوسه أمام المقود:_

"حسنا يمكنك الشرح الآن"

صمت وائل لدقائق ثم قال بصوت قوي واثق:_

" أنا أُدعى وائل حجاج ذراع ياسر الجوهري الأيمن في كل شيء وقد كلفني بتتبع أخبار ابنته أثناء سفره "

لف حمزة بالسيارة جهة اليسار ليخرج للطريق العمومي وهو ينظر في المرآة الأمامية لتلك الشاردة بالخلف يطمئن عليها ثم سأله بجدية :_

"حسنا لازالت لم أعلم سبب ما حدث اليوم؟"

تنحنح وائل وقال:_

"فقط كنت أُنهي بعض الأعمال في نفس العمارة التي تعمل بها رنا وقابلتها بالأسفل وحينها فقدت وعيها "

نظر له حمزة بشك وأومأ برأسه وهو يصف السيارة جانبا فالمشفى كانت قريبة من منطقتهم نوعا ما .

نزل كل منهم من السيارة والتف حمزة يساعد رنا على الخروج

ثم التفت بكامل هيئته لذلك الوائل يدعوه للدخول بأدب

شكره وائل وقال:_

"شكرا لك لكن هل لي أن أخذ رقم هاتفك؟"

أومأ حمزة وأملاه له ثم شكر كل منهم الآخر وتركه

حيث ذهب وائل لعمله وصعد حمزة لشقتهم مصطحباً رنا معه

□□□□

منذ أن صرخت على والدتها ودخلت غرفتها إلى الفراش هاربة للنوم لم تستيقظ إلا الآن

هبت مفزوعة خوفا على تميم لكنها وجدته جوارها منقلبا على ظهره وهو مستيقظ يحدق بالسقف أمامه في شرود وكأنه ليس هنا

اقتربت منه وأمطرت وجهه بالقبلات وهي تقول بخفوت:_

"منذ متى وأنت مستيقظ حبيبي؟"

ظل على حاله ولم يرد عليها فاحتضنته بذراعيها وهي تقول بحزن:_

"حسنا أنت غاضب مني لأني نمت وتركتك مستيقظ معك حق لكن أتهون عليك ريم؟"

دقائق ولم تتلقى منه أي رد فنظرت إليه ببطء وهي تبتسم باهتزاز تناديه برجاء

لكنه لم يرد عليها

صرخت بخوف تنادي على والدتها التى دخلت عليها مسرعة إثر صرختها وهي تقول بخوف:_

"ماذا حدث يا ريم "

قالت بخوف باكية :_

"أمي تميم مستيقظ ولا يرد علي "

قطبت والدتها بين حاجبيها وفتحت النور ثم اقتربت منها وهي تسأل بقلق:_

"كيف يعني"

اقتربت من حفيدها وهي تقول بحنان:_

"تميم حبيبي تعالى معي إلى الخارج نلعب سويا "

ظل على حاله ولم يعير أي منهما اهتمام ولو بنظرة

فبدأت ريم بالبكاء .

نهرتها والدتها بعينيها وهي تشير لها أن تتبعها إلى الخارج

ومجرد أن خرجوا من الغرفة ، مالت ريم إلى والدتها وهي تنفجر بحضنها باكية وهي تقول بخوف:_

"تميم يا أمي تميم"

ابتعدت عن أمها وهي تتناول الهاتف مسرعة طالبة رقم ما ومجرد أن رد عليها قالت ببكاء:_

"دكتور شهاب ، تميم يا دكتور أنجدني...

□□□□

بمطعم " " القريب من عمله

يجلس ينتظر تلك المجنونة التي لا تكف عن الاتصال به في الآونة الأخيرة

نظر إلى ساعته في ضجر وقبل أن يرفع رأسه وجد ظلها يشرف عليه وهي تقول بغيظ :_

"لما جعلتنا نتقابل هُنا ماذا لو رآنا أحدهم الآن"

أشار لها ببرود أن تجلس وقال:_

"رؤى أنا لا أفعل شيء خاطئ كي أتوارى من أحد"

أومأت برأسها وهي تتلفت حولها في توتر فقال بغضب :_

"رؤي أنتِ هكذا تُلفتي الأنظار حولنا وكأننا نفعل خطأ ،

قولي ما عندك مباشرة "

نقرت بأصابعها بتوتر على الطاولة أمامها وقالت بصوت خجول:_

"أنس لي عندك رجاء "

أومأ برأسه منتظراً حديثها فقالت بخجل :_

"أريدك أن تقنع أخي أن يتحدث معه كي يردني إليه مرة أخرى"

فتح عينيه على اتساعهم وقال :_

"رؤى هل حقا طلبتي من أخاكِ أن يذهب لزوجك السابق يجعله يعيدك إلى عصمته "

أومأت برأسها في حزن ولم ترد فقال بغيظ:_

"رؤى أنا لا أصدق ، إلحاحك عليِ اليومين الماضيين في الاتصال والرجاء على مقابلتي في موضوع هام وضروري يخص أخاكِ ورجاءك الأخير على ألا يعلم أخاكِ باتصالك جعلني أظن أن هناك شيء جلل يخص "علي" وليس يخُصك إطلاقا"

تأففت وقالت بحنق:_

"أنس أنت صديقه ، تكاد أنت وعلي لا تفترقان منذ صغركما حتى هو الآخر صديقكما كما أني أريدك أن تذهب مع علي له "

نظر لها بعدم تصديق وقال :_

"رؤي أنا لا أصدق ما تقولي حقا ، مهما بلغت صداقته هو وأخوكِ لا تظني أن علي من الممكن أن يحط من كرامته وكرامتك ويطلب منه طلب كهذا كما لا تنسين أنه ابن خالتك وذلك يجعل الموضوع أكثر حساسية "

وضعت كفها على وجنتها وقالت بقنوط:_

"ماذا لو تُحدثه أنت ؟"

"ماذا؟ هل من عقلك تطلبين ذلك رؤى ؟"

قالت برجاء:_

"أنس لطالما اعتبرتني كأختاً لك ، لقد كبرت على أنك كعلي تماماً لم لا تساعدني "

ابتسم وقال بحنان:_

"صغيرتي أنا لست أعتبِرك هكذا ، أنتِ أختي بالفعل كغدي تماماً ولذا لن أفعل ذلك "

دمعت عينيها وسألته بحزن :_

"ولم إذاً؟"

رد أنس بهدوء :_

"رؤى ليس لشيء إلا لكرامتك ، أنا أعلم جيدا أنكِ تفعلين ذلك لإدراكك لخطئك الكبير لكن أيضا أنتِ حاولت معه كثيراً حتى أقسم عليكِ "علي" ألا تفعليها مرة أخرى"

صمت دقائق وهو يريد أن يقسو عليها أكثر ف بالأخير هو لا يعلم ما برأس الآخر إن كان مازال يريدها أم لا فهو يرفض التحدث بالأمر لذا قال بحيادية:_

"رؤى أنا أرى أنكِ فعلتِ ما عليكِ لذا إن كان مازال يريدك فسيأتيكِ بنفسه "

أومأت بحزن فاستقام واقفا وقال :_

"حسنا أنا سأذهب الآن"

نظر لها واكمل بلوم:_

"لأن تلك المقابلة لم تكن تصح من الأساس يا رؤى"

استوقفته و قالت برجاء :_

"حسنا هل يمكن ألا تُخبر علي بما دار بيننا ؟"

أومأ برأسه وتركها وذهب تنظر في أثره بشرود وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل...

□□□□□

عاد من العمل مرهق ، إضافةً لضيقه الشديد من حالة روضة الغريبة فمنذ سمعته يتحدث مع رؤى وهي صامتة، مسالمة كعادتها لكنها ترمي إليه نظرة شك لائمة تخرج رغما عنها من فنية لأخرى

جلس بغرفة المعيشة في شقة أسرته بالأسفل عازما على أن يخبرها بموضوع رؤى كاملاً كي تطمئن ويهدأ بالها

زفر بغضب وهو يتذكر مكالمة والدها له اليوم ، الرجل ظل يصب على مسمعه توبيخ شديد لإصابة روضة بتوعك في بطنها بالأمس ،لائما أنه لا يهتم بها وما إلى ذلك من تأنيب.

انتبه على صوت والدته تدخل عليه مبتهجة وهي تدعو له بالسلامة وتربت على كتفه في حنو زائد آثار ريبته

حتى سمعها تتنحنح وتقول بفرحة غريبة :_

"بني أريد ان أخبرك بشيء "

التفتت أنس لها مبتسما وقال بهدوء :_

"تفضلي حبيبتي "

رمشت بعينيها وهي تلمس فخذها بكفها وقالت:_

"ما رأيك بعمر عريس أختك؟"

حسنا والدته تراوغ ويبدو أن القادم أسوأ

أومأ برأسه في هدوء يحثها بعينيه على جلب ما عِندها فهو يفهمها جيداً

ربتت على كتفه مرة أخرى وقالت مسرعة :_

"لقد تحدثت لك عن فتاة بالأمس مع أهلها"

قطب بين حاحبيه وهو يسألها بقلق:_

"كيف ؟ أقصد لا أفهم!!!"

ابتسمت بتوتر وقالت :_

"حسنا لقد تقدمت لطلب فتاة للزواج بك بالأمس"

"ماذا ؟!"

قالها بحدة وهو يهب من جوارها في غضب لا يدري بما تهذي والدته هل تظنه طفلا صغيرا؟

دار حول نفسه عدة مرات يخبط كفيه ببعضهم ثم التفت إليها قائلاً من بين أسنانه :_

"أمي بالله عليكِ قولي أنكي تقولين ذلك فقط كي تحثيني على فعلها "

هزت رأسها نفيا في صمت وهي تنظر له بقلق فشد على شعره بغضب وقال:_

"لم يا أمي لم ؟"

انتفضت من مكانها قائلة بغضب مماثل لغضبه :_

"أنس أنت ابني الوحيد وأنا من حقي أن أرى لك أطفال قبل موتي "

نوبة الجنون التى نشبت بداخله جعلته يخرج من الغرفة مسرعا دون أن يرد عليها يتأكد من كون باب الشقة الخارجي مغلقا حتى لا تنزل روضة وتسمعهم

ثم عاد إليها وأغلق عليهم باب الغرفة وصرخ بغضب :_

"أمي لآخر مرة سأقولها لكِ فقد سئمت

انهي تلك المهزلة فورا فأنا لن أتزوج على روضة ما حييت"

ردت عليه بتجبر لأول مرة يراه منها

"اسمع يا أنس أنا لن أُنهي شيئا ، لقد اتفقت مع أهل الفتاة وستذهب معي لهم "

شد شعره غاضبا وهو يقول بيأس وقد احمر وجهه غضباً

"يا الله يا الله"

ألمها قلبها عليه رغما عنها لكنها لم تُظهر ذلك ، هي تريد مصلحته

انتبهت له يقترب منها بحدة وقال:_

"أمي لا تظني أنكِ ستلوين ذراعي هكذا ، أقسم أنه لن يحدث أبدا و..."

قطع كلامه وهو ينظر بهلع لباب الغرفة الذي فُتِح ودخلتا منه غدي وروضة معاً

غدي التي نقلت نظرها بينهم في دهشة وسألت:_

"ما بكم ؟"

التفت إلى والدته بحدة ينظر لها نظرة ذات مغزى وصلتها جيدا

وما لبث أن سحب تلك التي تقف تنظر إليهم بتوتر دون أن تتحدث وخرج مسرعا

بعد دقائق كان يُغلق عليهم باب الشقة خلفهم عقب دخولهم

نظرت إليه روضة بدهشة وسألت بقلق:_

" أنس ما بك؟"

نظر لها بعجز ولم يرد

اقتربت منه ، وضعت يديها على كتفيه وهمست:_

"أنس أنت تُقلقني هكذا ماذا حدث؟"

احتوي وجهها بين كفيه، وهو يتأمل ملامحها الحبيبة وجهها الصغير ، عينيها الواسعتان ، أنفها الصغير، شفتيها الرفيعتان

مال بجبهته إلى خاصتها ، يغمض عينيه وهو يزفر بخفوت

ألا تعلم والدته أنه يفتدي نظرة من عينيها بعمره كله

فتح عينيه مرة أخرى على صوتها تناديه بقلق

لكنه لم يرد فقط مال إليها وخطف أنفاسها يغرق بها حاملا لها بين ذراعيه ووجهته غرفتهم .

وهي بفطرتها لم تضغط عليه أكثر ، سلمت له راضية

غامرا إياها في سرب وردي من العشق لم يُخلق لغيرهم

وبعد فترة

كان يتكأ علي مرفقه ساندا رأسه إلى راحته يتأملها وهي نائمة ملامحها تحمل شجن يألم قلبه لأجلها

خلل يديه في شعرها ودمعت عيناه عجزا وهو يفكر ماذا لو علمت بما فعلت والدته ؟

أغمض عينيه بيأس ولسان حاله يقول:_

"بل ماذا لو علم والدها يا أنس، لن يبقيها على ذمتك ساعة واحدة حتى وإن أقسمت له بأغلظ الأيمان أنك لم ولن تفعلها...

□□□□

حسنا إذاً هو عديم الرجولة!!!

هو المخطئ من الأساس حين داس على قلبه وفكر بها فليُحرر قلبه إذاً لتلك التي تنتظر فقط إشارة منه

نعم هنا أخطأت به، لكن ومن لا يخطئ هي أخطأت بحقه وحق علاقتهم صحيح لكن يبدو أنها تعلمت درسها جيداً وإلا لم فعلت كل ما فعلته يعني؟

ابتسم بسعادة حين تذكر نبرة صوتها السعيدة وهو يخبرها بحبه هو الأخر وأنه لن يأبه بشيء بعد الآن سوى سعادتهم سوياً

قطب بين حاجبيه وقلبه ينغزه حين تذكر عينان جميلتان تركهما وهما يحملان أكيالاً من الألم بسببه هو

نفض الضعف عنه سريعاً، هو لن يضعف هي من أهانته واخترعت المشكلة بينهم من الأساس

ماذا يعني لو رأت تلك الرسالة؟

بل ماذا حتى لو تزوج من هنا طالما سيظل معها ولن يفرط بها

نعم هو لن يُطلقها هو يحب هنا صحيح لكنه يدرك تمام الإدراك أن ريم لا تستحق أن يفرط بها أبداً كما أنها أم طفله .!

زفر بغضب من نفسه وهو يتذكر حديثه لخالد

هو لا يعلم كيف خرجت هذه الكلمات منه ،لا يُنكر أنه يغار من قرب خالد منها لكنه لا يشك به أبدا فقط جنون شيطانه تلبسه وجعله يتفوه بما تفوه به

غيرته ليست شك أبدا ، حتى أنه لطالما غار من شهاب أيضاً ومن تقاربهم الفكري لكن هذا لا يعني أنه يشك بأي منهم

أليست امرأته ومن حقه أن يغار عليها!!!!

آه عميقة خرجت منها وهو يسند رأسه على ظهر المقعد خلفه مغمضاً عينيه بألم حين تذكر مكالمة والده له وهو يأمره برجاء خفي أن يعود للمنزل

وحين رفض لأنه يعلم جيدا أن والده لم يفعل ذلك إلا من خوفه عليه بسبب مرضه

أعطاه والدته التي أخذت تبكي وترجوه أن يعود فلم يستطع أن يخذلها ووعدها أن تتركه يومين وسيعود

هو لا يريد شفقتهم تلك ، جميعهم يشفقون عليه وهو لا يريد ذلك وهو يريد من يتعامل مع مرضه وكأنه ليس موجود، لقد سأم حقا من التعامل معه بحذر واشفاق ...

□□□

متقوقعة على فراشها تحتضن وسادتها باكية دون صوت

ما حدث معها اليوم لم يكن هيناً أبدا فهي لم تتوقع أن يكون ذاك المتصابي حقير هكذا

كتمت صوت شهقاتها بالوسادة حتى لا يصل إليهم بالخارج فهي قد تملصت من حمزة بصعوبة

ازدادت وتيرة بكاءها تفكر بالتأكيد ما يحدث معها غضب من الله عليها مما تفعله !

لكنها أقسمت ألا تعود حتى وإن كانت نفسها مازالت ضعيفة وتجابهها قدر ما استطاعت لكنها تحاول وتنجح كثيرا أيضاً هي ليست هكذا ولا تود أبدا أن تكون هكذا

تناولت هاتفها تفتح صفحتها الشخصية بملل فظهر لها صورة امرأة جميلة يبدو أنها كإعلان ومكتوب فوقها

« لقد تشرف مركز °°Hold my hand°°»

للاستشارات النفسية والعصبية بانضمام الطبيبة

«د. مادلين نصار"

معاً جميعا لمساعدتكم للعيش حياة أفضل

للحجز اتصل بنا على الأرقام التالية

******٠١٢

********٠١

٢٠********

دخلت سريعا لصفحة ذلك المركز فوجدت عدة صور وملايين التقييمات للمركز والتي تشيد بتميزه

أخذت رقم الهاتف مسرعة وهي تهاتفهم دون تفكير تحجز لها موعد...

□□□□

تحدثه على الهاتف منذ نصف ساعة ، متذمر كالطفل لا يريد أن يُغلق معها

قالت برقة:_

"أنس هل ستقضي وقت راحتك بأكمله تتحدث معي؟"

أتاها صوته المحب يقول بهمس :_

"وهل هناك أجمل من ذلك "

صمت دقائق ثم أكمل بتذمر :_

"كما أنكِ أنتِ التي تطيلين الأمر "

قالت بحنق مستنكرة:_

"أنا ؟"

هز رأسه مبتسما وكأنها تراه وهمس:_

"نعم لما لا تقولين ماذا ترتدين الآن؟"

ردت بخجل :_

"أنس كف عن الوقاحة "

ضحك عاليا فابتسمت وقالت مغيرة الموضوع

"حسنا اغلق الآن لتتناول وجبة الغداء"

اصطنع الجدية وقال:_

"لم يصنع المطعم الطعام الذي أريده لذا لم أتناول الغداء
"

قطبت وتسآلت بحيرة

"أي طعام هذا؟"

رد عليها بلهجة حميمية خافتة دغدغتها وقال:_

"كعكة بالفراولة "

شهقت بخجل وأغلقت بوجهه وظلت تسبه بخفوت لكن رغما عنها بالأخير ابتسمت بحب

رن الهاتف مرة أخرى في يدها

فردت مسرعة دون أن تنظر إلى المتصل تظن أنه هو وقالت متذمرة بخجل:_

"أنس كف عن الوقاحة "

اتسعت عينيها واحتقنت وجنتيها وهي تسمع صوت حماتها تقول بحدة :_

"أي أنس يا روضة ؟ "

شهقت دون صوت وهي تخبط بكفها على وجنتها وقالت متلعثمة :_

"المعذرة أمي لقد كنت أظنك أنس "

سمعت حماتها تقول بحزم:_

"حسنا يا ابنتي أنزلي لي فأنا أريدك"

ردت روضة بحيرة:_

"حسنا أمي سأبدل ثيابي وأنزل "

أغلقت مع حماتها وبدلت ثيابها سريعا وأخذت هاتفها ونزلت

ألقت السلام على حماتها التي أجلستها جوارها بودٍ زائد وقالت :_

"أخبارك حبيبتي؟"

أصابها التوتر لكنها ردت بهدوء:_

"بأفضل حال أمي الحمدلله"

أومأت المرأة برأسها وابتسمت وقالت:_

"حبيبتي هل ممكن أن تتصلي لي بأنس "

أخذت هاتفها وفتحته بطيبة وقبل أن تبدأ في الاتصال وجدت حماتها تأخذ منها الهاتف وهي تبتسم وتقول:_

"حبيبتي سأهاتفه أنا ريثما تحضرين لي فنجانا من القهوة"

اومأت روضة برأسها في أدب وقامت لتحضر القهوة وهي لا تفهم شيئاً

مجرد أن ذهبت روضة بحثت ثريا سريعا في هاتفها عن رقم والدها

ومجرد أن دخلت روضة عليها وضعت الهاتف سريعا بالناحية الأخرى بعد أن أجرت الاتصال

قبل أن تتحدث روضة سألتها حماتها سريعا بطيبة مزيفة:_

"حبيبتي هل اخترت مع أنس ثيابه"

ضمت روضة حاجبيها وسألت بحيرة:_

"أي ثياب أمي "

ابتسمت حماتها وقالت:_

"الثياب الذي سيرتديها في المساء "

ألقت نظرة سريعة نحو الهاتف وابتسمت بانتصار حين وجدت المكالمة جارية

ابتلعت ريقها وأردفت:_

"البذلة التي سيرتديها اليوم لنخطب له الفتاة "

هبت روضة من مكانها كالملسوعة وهي تقول بحدة :_

"أي فتاة "

أدعت ثريا التوتر وقالت:_

"ألم يخبرك ؟ لقد قال لي أنه أخبرك و أنكِ موافقة "

زاغت حدقتيها وتجمعت الدموع بهم وقالت بتهدج:_

"هل حقا؟ أقصد ...يعني ... أنس سيخطب فتاة أخرى اليوم "

أومأت ثريا ولم ترد وهي تنظر لها بحزن مصطنع تداري به فرحة انتصارها

تحركت روضة مسرعة قاصدة الخروج من الغرفة فنادتها ثريا تعطيها الهاتف بعد أن أغلقته

سحبته بحدة وخرجت مسرعة حتى وصلت إلي شقتها

أغلقت الباب واستندت عليه وهي تشهق في البكاء ، انزلقت عليه حتى جثت على الأرض منهارة

الخائن ، الخائن.. الخائن كيف يفعل بها هذا ؟ كيف هانت عليه؟

أكان يُنيمها ويجعلها تغرق بالعسل وهو يدُس به السم دساً

كيف يحرق قلبها هكذا؟

أخذت تبكي بانهيار لا تعلم كم مرة عليها من الوقت حتى سمعت صوت والدها يناديها من خارج الشقة بقوة

رفعت يديها ببطء وفتحت مقبض الباب دون أن تتحرك

دخل إليها والدها

جثى على ركبتيه أمامها واحتوى وجهها بين كفيه يقول بجزع وقد هاله مرآي دموعها:_

"حبيبتي ما بكِ ؟ ما بكِ يا ابنتي "

احتضنته وهي تبكي وتقول بقهر:_

"لقد حرقني يا أبي حرقني ، آه يا أبي سيتزوج

أنس سيتزوج يا أبي ولم يكن سيخبرني ، آه يا أبي لقد قهرني "

سحبها والدها من ذراعها بقوة يقف بها وقد آلمه قلبه عليها وقال بصوت خرج مرتجفا رغما عنه:_

"لم يعش ولم يكن بعد يا ابنتي من يقهرك وأنا على قيد الحياة ، أقسم سأجعله يعض على أصابعه ندما "

تمالك نفسه وربت علي كتفها وهو يقول :_

"بدلي ملابسك حبيبتي واجمعي ثيابك وهيا بنا"

رفعت عينيها لوالدها بضياع فحثها بنظراته أن تفعل

تحركت ببطء ودخلت غرفتهم ومن هنا بدأ انهيارها الحقيقي

أخذت تحرك عينيها في الغرفة ودموعها تنهمر دون رادع تمر أمام عينيها كل ذكرى جمعتهم سويا

تنظر يميناً حيث هنا كان يعبث معها وهو يحتجزها بينه وبين الخزانة كل صباح

يساراً حيث هنا كان يقف بها أمام المرآة يمشط لها شعرها

وهنا على المقعد كان يُجلسها علي ساقيه ويدللها بطريقته

وهنا وهنا وهنا.... بكل ركن في هذه الغرفة لهم ذكرى سعيدة ينشطر لها قلبها الآن

عادت عينيها إلى الفراش ببطء حيث كان يبثها عشقه ، لطالما شهد لياليهم سويا

لقد كانت تقسم مع نفسها ليس هناك رجل يدلل امرأته كما فعل معها

كل هذا كذب ؟

أكان يخدعها ؟

ألم يقل لها أنه لا يريد أطفالاً وأنها تكفيه عن العالم أجمع؟

أكان سيفعلها حقا دون علمها ؟ هل هانت عليه كل هذا الهوان

آه عميقه خرجت من صدرها شقت جدران الشقة وهي تندفع كالمجنونة تحطم كل ما طالته يداها

حتى شعرت بوالدها يكبلها من الخلف في محاولة لتهدئتها حتى سكنت بين يديه تماما وهي تبكي

تركها بحذر وعينيه تدور بالغرفة المقلوبة رأسا على عقب

تحرك ناحية الخزانة يفتش بها عن اي شيء ترتديه حتى يخرجها من هنا بسرعة

وجد عباءة نسائية سمراء تخصها ساعدها في ارتدائها سريعا وهو يحكم عليها حجابها كيفما يشاء وأخذها وخرج..

انتهى

الفصل العاشر

فتح شهاب باب شقته فوجد خالد أمامه مستعداً لطرق الباب

قطب بين حاجبيه وسأله وهو يفسح له المجال للدخول

"ماذا يحدث يا خالد ؟"

دخل خالد بوجوم وجلس على أول مقعد قابله وسأله بقنوط:_

"هل كنت خارجاً؟"

جلس شهاب على المقعد أمامه وهو يقول بقلق :_

"نعم كنت سأقضي بعض المشاوير الضرورية قبل سفري ،لكن هاتفتني للتو ريم تبكي أن تميم ليس بخير وأن أذهب لها ببيت والدها لذا كنت ذاهب الآن"

قطب بين حاجبيه وأكمل :_

"اتصلت على أخيك عدة مرات لكنه لم يرد علي"

وقف خالد يقول بقلق :_

"ما به تميم يا شهاب ؟"

مط شهاب شفتيه مشبكاً أصابعه وهو يقول:_

"لا أعلم تقول أنه مستيقظاً ولا يرد عليهم "

استقام واقفاً متجها لباب الشقة وهو يقول:_

"هيا بنا نذهب إليهم وقص علي بالطريق "

أومأ خالد وخرجوا من الشقة سويا

"بالسيارة"

بعد خروجهم للطريق الرئيسي ،نقر شهاب بيده على المقود وهو يسأل خالد

"ها ألن تقص علي ما بك وماذا حدث ؟"

صمت خالد دقائق ثم تنهد وقص عليه كل شيء ،بدايةً من نزول تميم له وهو يبكي إلى شجاره هو وأخيه وطرد والدهم له

ضرب شهاب بقبضته على المقود متمتماً بحنق:_

"الغبي "

التفت إلى خالد وسأله باهتمام :_

"ألا تعرف سبب شجارهم ؟"

هز خالد رأسه نفيا وهو مازال على وجومه فقال شهاب وعينيه على الطريق أمامه:_

"لا تخبرني أنك صدقت أنه يشُك بِك حقاً؟"

التفت إليه خالد سائلا باستنكار :_

"وهل لكلامه معناً آخر يا شهاب ؟"

أومأ شهاب برأسه وهو يقول بقوة:_

"نعم أنت مخطأ يا خالد هو لتوه كان خارجاً من شجار مع زوجته كيف تقول له أنت عديم الرجولة ؟"

رد خالد بحدة:_

"وكيف تراه أنت بعد صفعه لزوجته بعد كل ما عانته وفعلته معه "

صمت شهاب لدقائق مركزا على ازدحام الطريق أمامه ثم أخيرا تحدث بحزم قائلا:_

"خالد أنت أخطأت أنا لا أتحدث بنظرتي ونظرتك الآن أنا أتحدث في أنه لم يكن يصح أن تقول له ذلك وخصوصا وقتها كأنك ألقيت البنزين جوار النار ،

يبدو أن شجارهم لم يكن بالهين وليس عادي وأنت استفززته ، الكلمة ليست سهلة "

أدار شهاب المقود واكمل :_

"كما أنه لا يشك بك يا غبي هو يغار يغار "

نظر إليه خالد باستنكار قائلا:_

"يغار؟!"

أومأ شهاب برأسه وقال مبتسماً:_

"هو حتى يغار مني يا خالد ، أنا لا أدري كيف لم تنتبه لكني دوما ألتقط غيرته عليها من عينيه "

التفت خالد إلي النافذة وهو يقلب حديث شهاب برأسه دون أن يقتنع به تماماً

بعد فترة وصلوا إلى منزل والد ريم

قبل أن يدخلوا إلى مدخل البيت وقف خالد مكانه فالتفت إليه شهاب يسأله بدهشة :_

"لما وقفت ؟"

احمرت أذنيه وحك شعره بيده وهو يقول بإحراج :_

"لا أعلم كيف سأرفع عيني بعينها بالتأكيد هي سمعت ما قاله "

دفعه شهاب وهو يقول بثقه:_

"هيا يا خالد ولا ترفع ضغطي ، ريم ليست ذات عقل صغير كي تلتفت لحديث أخيك الغبي "

أومأ خالد على مضض ودخل معه ،، دقائق وفتح لهم مصطفى أخوها يرحب بهم ويدعوهم لغرفة الجلوس

قبل أن يجلسوا كانت ريم تدخل عليهم باكيه وهي تحدث شهاب:_

"لا أعلم ما به يا دكتور لا يرد علي ولا ينظر لي ، ماذا حدث له ماذا حدث له "

"دكتورة ريم اهدئي من فضلك "

قالها شهاب بقوة ، لكن حديثه زاد من بكائها أكثر

فتنهد وسألها :_

"أين هو هل من الممكن أن تجلبيه ؟"

أومأت برأسها وهي تخرج راكضه وثواني ودخلت عليهم حامله تميم بين ذراعيها

تلفقه شهاب منها وظل يناديه همساً ويحدثه ، لكن الطفل ظل على حاله ينقل نظره بينهم ولا يرد ،حاول خالد معه لكنه لم يستجب إليه ايضا

تنهد شهاب بتفهم وقال:_

"حسنا اتركوني معه وحدنا "

أومأوا برؤوسهم وتركوهم سويا وخرجوا

احتضنه شهاب وهمس بحنان :_

"حسنا ما بك يا صغيري ما الذي أحزنك "

بدأت بوادر البكاء تظهر عليه لاوياً شفتيه إلى الأسفل بحزن

شدد شهاب من احتضانه يربت عليه بخفة وهو يسأله همساً بحنان:_

"ألسنا أصدقاء ، أخبرني ما الذي أحزنك هكذا؟"

دفن الصغير رأسه بين أحضانه وبكى ومن بين بكائه ميز شهاب ترديده اسم والدته

ظل يربت عليه حتى هدأ فسأله بصبر:_

"حسناً ما بها ريم ؟"

"ريم تبكي و صرخت على عبدالرحمن ، وعبد الرحمن كان يصرخ هو الآخر "

شهق بقوة ثم أردف بحزن

"عبدالرحمن خرج سريعا ولم يرد علي وريم جاءت هنا ولن نذهب لعبد الرحمن مرة أخرى"

مسح شهاب على شعره وهو يقول:_

"يا صغيري بالتأكيد وهو لم يسمعك لذا لم يرد عليك كما أن ريم لم تقصد أن تغضب والدك "

هز رأسه نفيا وقال بغضب بطفولي:_

"لا أنا لن أعود لغرفتي وألعابي لن أراك أنت والجد والجدة ريم وأنا هنا ،ريم غاضبة"

دلك شهاب جبهته دون أن يُظهر ضيقه منهم أمام الصغير وسأله بصبر:_

"من قال ذلك؟ إذا أردت أن تذهب معي الآن هيا بنا وخالد أيضاً معنا ولن يمنعك أحد وسنظل نلعب سويا بغرفتك"

لمعت عين الصغير ورفع رأسه إليه وسأله بأمل :_

"وريم ستأتي معنا؟"

رد شهاب بصبر:_

"ريم لتوها أتت يا صغيري ، لكن نحن رجال نستطيع أن نذهب ونأتي دون تعب "

أومأ الصغير برأسه فقال شهاب بأمل:_

"إذاً هل لازالت غاضب عليها ؟"

هز تميم رأسه نفيا ببراءة فقبله شهاب وهمس له بتواطؤ طفولي كي يقتنع:_

"إذا هيا أركض لها وصالحها حتى لا تبكي مرة أخرى"

ابتسم تميم ونزل من على ساقيه ركضاً إلى الخارج وقد طمأنه حديث العم شهاب

دقائق دخل له خالد وأخيها وجلسوا سويا بصمت حتى دخلت عليهم مبتسمة براحة وهي تشكر شهاب وتعتذر منه على إزعاجه بخجل

أومأ شهاب وهو يقول بتسامح :_

"لا عليگِ هو ابني أيضاً"

شبك أصابعه مطرقا برأسه وقال:_

"حسنا نحن إخوة لذا أنا أعتذر منكِ عما حدث من عبدالرحمن ؟"

سأل أخيها بقوة محاولا التحكم في غضبه:_

"حسناً هل لي ان أعلم ماذا حدث منذ أن أتيت وأنا لا أفهم شيء منكِ يا ريم "

نظرت ريم لشهاب وخالد نظرة ذات مغزى ثم قالت بهدوء:_

"لا شيء يا مصطفى لقد تشاجرت أنا وعبد الرحمن كما أننا لسنا على وفاق منذ فترة كبيرة ولذا "

صمتت قليلا ثم تنحنحت وقالت :_

"أنا أريد الطلاق "

"طلاق!"

والكلمة خرجت باستنكار من الثلاث رجال في نفس الوقت

الذهول يخيم عليهم وأعينهم مصوبة إليها بين صدمة واستنكار وحزن

زفرت ريم بهدوء محاولة أن تتحكم في أعصابها وأومأت برأسها وقالت:_

"من فضلكم أنا اتخذت قراري ولن أعود فيه ، أنا أريد الطلاق من عبدالرحمن "

رد أخيها بحدة :_

"ماذا تقولين يا ريم هكذا فجأة دون العودة لأحد وكأني لست موجود وكأني لست بأخاكِ الكبير "

"يا مصطفى افهمني"

قالتها بمهادنة في محاولة لإقناعه إلا أنه هب واقفا وهو يتجه إلى الخارج يقول بغضب:_

"لا اسمعني ولا غيره يا ابنة أبي ، لقد تحدثتِ وكأني لست موجود "

هزت ريم رأسها بعجز بعد خروجه وهي لا تدري ماذا تفعل فمصطفى بالذات لا تقدر على البوح له

سمعت خالد يسألها :_

"ريم هل أنتِ جادة عن أي طلاق تتحدثين؟"

يا الله يا الله ماذا تفعل هل تخبرهم بما حدث أم ماذا هي تريد أحدهم بجانبها من عائلته كي يتم كل شيء سريعا ، حريق مندلعاً بجسدها يجعلها لا تطيق اسمه حتى

ردت بعجز ناظرة إليهم :_

"لا أدرى ماذا أقول"

صمت شهاب لدقائق ثم قال بقوة ونظرة ثاقبة :_

"ماذا فعلت هنا يا دكتورة؟"

امتقع وجهها وتوترت مكانها وسألته بتلعثم:_

"وما وما ....دخل هنا ؟"

"دكتورة ريم أنا لست ابن الأمس ماذا فعلت هنا؟"

يا الله لا تدري ماذا تقول ، مجرد التفكير فيما حدث يُخرجها عن طورها ، كيف تحكي لهم كيف تهين كرامتها أمامهم هكذا ألا يكفي إهانته هو لها

استجمعت أفكارها وقصت عليهم ما حدث باختصار محاولة قدر الإمكان الحفاظ على ماء وجهها

عندما صمتت نظر شهاب إلى خالد نظرة ذات مغزى كي لا ينفعل والتفت إليها سائلاً

"وهل ترى أن الحل بالطلاق"

قالت ريم بنبرة خرجت حادة رغما عنها :_

"أنا لن أظل مع رجل مد يده علي أبداً مبررا أن ما بينه وبين حبيبته السابقة مجرد صداقه لا أكثر"

لمعت عيناها بالدموع واختنقت بآخر حديثها فأطرقت برأسها وهي تريد الفرار من أمامهم الآن

نظر شهاب لخالد ثم التفت إليها وهو لا يريد أن يضغط عليها كما أن الحديث لن يجد نفعا الآن دون الطرف الأساسي بالموضوع وهو الغبي ابن أخيه

استقام واقفا فاتبعه خالد واستأذن منها وهو يتأسف مرة أخرى فأومأت برأسها دون رد

سألها قبل أن يخرج عن تميم فأخبرته أنه نام

خرجوا سويا وألقوا التحية على والدتها ثم ذهبوا ...

بالسيارة بعدما خرجوا :_

سأل شهاب خالد بحدة :_

"أين الغبي أخيك"

"بالمكتب لقد هاتفه أبي وطلب منه الرجوع فرفض وعندما بكت أمي قال أن يتركوه أيام وسيعود "

أومأ شهاب برأسه وسأله

"هل يعرف أن زوجته تركت البيت؟"

هز خالد رأسه نفيا وصمت لدقائق ثم سأله باهتمام:_

"هل ستلحق طائرتك يا شهاب؟"

رد شهاب بضيق وهو يشغل السيارة:_

"وكيف أسافر بكل تلك المصائب، سأعتذر عن المؤتمر بالطبع "

أومأ خالد برأسه دون رد فسأله :_

"هل علم أبي وأمي بما حدث "

هز خالد رأسه نفيا وقال :_

"لا لقد كانوا بالباحة الخلفية للمنزل وقتها لكنهم بالطبع شعروا فقال لهم والدي أنه خلاف بسيط وأن ريم تُهدئ أعصابها لكن جدي صمته غير مريح"

صمت قليلا ثم سأل بحنق:_

"شهاب ماذا ستفعل مع تلك الغبية هنا هل ستتركها تخرب بيته"

رد شهاب باستنكار وهو يركز على الطريق أمامه:_

"وهل هو صغير يا خالد ، ماذا تريد مني أن أفعل بحق الله بعد أن فتح لها مرهف الحس أخاك باباً للصداقة ؟!"

ضرب بقبضته على المقود وأكمل بحدة :_

"حقا أنتو مصائب وليس أبناء إخوة "

التفت إليه خالد مردفا باستنكار :_

"ماذا؟ وما دخلي أنا"

"اصمت يا خالد ودعني أفكر ماذا سأفعل مع هؤلاء الأغبياء فقط سأنتظر خطوة أخيك القادمة وعليها سأقرر ادعوا الله فقط كي لا يعرف جدك بالموضوع وإلا ستكون الكارثة

أما تلك الغبية هنا ابنة عمتك فلي حديث معها"

□□□□

تدور وتدور حول نفسها في غرفتها بفرح محتضنة دميتها التي أهداها لها قبل سنين يوم تخرجه

لا تصدق إلى الآن أنها حققت ما سعت إليه

هل عاد إليها حقاً ، يريد أن يعودوا كما كانوا أحباء وليس أصدقاء وأخيراً قد عاد الطير لعِشة

فتحت خزانتها بفرحة تبعثر ثيابها كي تختار الأجمل من بينهم

التفتت بلهفة على رنة هاتفها فركضت إليه لكنها تعركلت في ملابسها فاستقامت مسرعة ترد عليه بلهفة وشوق:_

"حبيبي "

وبمكانه هناك بمكتبه

خطفت قلبه وتعالت دقاته منذ متى لم يسمعها منها ، منذ سنوات وشهور وأسابيع وأيام !!!!

هل ردت إليه دقات قلبه بلفظها هذا وكأنها كانت باهته دونها !!

ابتسم وهو يسمعها تتذمر على الناحية الأخرى هامسة اسمه بدلال :_

"عبدالرحمن أين أنت"

"معكِ "

تنحنح ثم أكمل هامساً:_

"متي ستأتين ؟"

أتاه صوتها عبر الهاتف ترد مبتهجة :_

"ساعة فقط وسأكون أمامك"

أكملت بلهجة تحذيرية:_

"إياك وتناول الغداء سنتناوله سوياً "

وأغلقت مسرعة كي تلحق معادهم، مبتهجة ، فرحة ، مسروقة وسارقة ناسية ومتناسية أخرى امتلكته قبلها بميثاق غليظ لا تعادله أبداً تراهات الحب بينهم ..

□□□□

عاد إلى المنزل بعد انتهاء عمله ، عدل عن المرور على شقة أسرته عندما رآها مغلقة وصعد إلى الأعلى مباشرةً

دخل إلى شقته مُغلِقاً الباب خلفه ، نادى عليها مندهشا من البرود المخيم على الشقة

ضيق عينيه في توجس منادياً عليها مرة أخرى، ولكنها لم ترد

اتجه إلى غرفتهم فاتحاً الباب وتسمر مكانه

الغرفة مقلوبة رأساً على عقِب ، كل شيء ملقى على الأرض

نادى عليها مرة أخرى في قلق لكنها أيضاً لم ترد

خرج مسرعا لكنه اصطدم بشيء وراء باب الشقة ، فتح عينيه على اتساعهم وهو يدرك أنه هاتفها

أخذه في يده ونزل مسرعا عند والدته

طرق الباب بسرعة وحدة ، ففتحت له غدي وهي تقول بضيق:_

"أنس ماذا حدث لما تطرق الباب هكذا ؟"

نظر لها بفزع وهو يقول بتوتر:_

"روضة أين روضة يا غدي "

قطبت بين حاجبيها وقالت :_

"تسألني أنا عن روضة ، إنها بالأعلى لم أراها اليوم فقد أتيت متأخرة من العمل

تجاوزها مسرعا إلى الداخل حيث والديه وسأل امه بلهفة :_

"أمي أين روضة ؟"

توترت في جلستها خوفاً وردت عليه متلعثمة:_

"أليست في الأعلى؟"

انتبه والده إلى حديثهم فسأل بقوة :_

"أين زوجتك يا أنس أليس من المفترض أن تكون زوجتك بالأعلى"

نظر لهم بضياع وتركهم وخرج مسرعاً

ركب سيارته متجهاً إلى منزل والديها وهو يخبط على المقود بين الفنية و الأخرى في غضب متمتماً

" يا الله ماذا حدث لقد كانت تحدثني مبتهجة منذ ساعات فقط "

بعد فترة صف سيارته جانباً ونزل منها مسرعا

دق جرس المنزل بسرعة داعياً الله ألا يكون حدث لها مكروه

فتحت له أختها الصغرى ووجدها تنظر له بغضب فسألها بخفوت:_

"حبيبتي هل روضة هنا؟"

أومأت الصغيرة برأسها في غضب طفولي وقالت بحزن:_

"نعم إنها بغرفتها تبكي "

يا الله ضرب بقبضته على حافة الباب

وقبل أن يتحدث وجد والدها يقف أمامه وهو يقول بغضب:_

"ما الذي أتى بك إلى هنا ؟"

ابتسم بتوتر وقال:_

"ماذا تقول يا عمي ؟ أنا أتيت من أجل زوجتي"

"ليس لك زوجة عندي "

قالها الرجل بحزم فرد أنس بحدة:_

"لا يا عمي هي زوجتي كما أني لا أعرف سبب ما حدث وسبب وجودها هنا من الأساس "

رد الرجل بقوة:_

"لا تتذاكى علي يا ابن البرعي "

بدأت أصواتهم تعلوا فخرجت زوجته إليهم ، نظرت إلى أنس بتأنيب قابله هو برجاء من عينيه الخائفتين

فربتت على كتف زوجها وقالت:_

"الحديث لا يكون على الأبواب يا أبا روضة ثم أكملت بحزم "

"أدخل يا أنس دعنا نتحدث في الداخل "

دقائق وكانوا يجلسون جميعا بغرفة المعيشة وكان أول من تحدث انس :_

"أنا أريد زوجتي "

"ليس لك زوجة عندي قلت لك "

قالها الرجل بتجبر وهو يجلس معطيا ظهره له

فقالت زوجته بحكمة موجهة حديثها لأنس:_

"يا بني أنا لا ألومك في أنك تريد الزواج فهو حقك لكن ليس هكذا ليس من ورائها كما أنه من حقها الموافقة أو الرفض في الاستمرار معك "

ابتلع ريقة بصعوبة وسأل بتوتر:_

" حقاً أنا لا أفهم أي زواج ؟ من قال أني سأتزوج "

انتفض الرجل بغضب وقد ترآت له حالة ابنته منذ ساعات هادراً به:_

"كف عن المراوغة يا ابن البرعي لقد سمعت حديث والدتك مع ابنتي وعندما ذهبت وجدت ابنتي منهارة في شقتها"

زاغت عينيه في خوف وهو إلى الآن لا يفهم ماذا حدث بالضبط وكيف والدته تقول أنه سيتزوج

غِصة مؤلمة استحكمت بحلقة فابتلع ريقة وقال برجاء :_

"دعني أرى روضة يا عمي حقاً أنا لا أفهم"

قال الرجل بغضب:_

"أقسم لن ترى ظفرها حتى يبدو أنك نسيت عنائك حتى حصُلت عليها يا ابن البرعي وبالأخير والدتك تقول لها هل انتقيت ثياب زواج زوجك

أقسم أن تجعلك تعض على أصابعك ندما "

يشعر أنه ليس على حامٍ أو بارد يا إلهي لا مستحيل هل قالت والدته لها هكذا مستحيل أن تفعل به هذا هي تعلم كم يحب روضة

اقترب من الرجل يقول برجاء:_

"يا عمي أقسم لك أنا لا أعرف حتى عن ماذا تتحدث من قال أنني سأتزوج من الأساس والله لن أفعلها ولم أفكر بها أبداً"

"يا ابن البرعي لا تُضيع وقتك معي ، أرسل لابنتي ورقة طلاقها أو بيني وبينك المحاكم "

قبل أن يتحدث أي منهم كانت هي تندفع إليهم في الغرفة تنقض عليه كالمجنونة ودموعها تُغرق وجنتيها

"يا خائن كيف تفعل بي هذا كيف تخدعني هكذا يا كاذب كيف هنت عليك يا أنس"

كبلها بين ذراعيه بقوة حتى سيطر علي قوة غضبها وانتفاضتها تحولت إلى بكاء رقيق مزق قلبه عليها احتواها بين ذراعيه يهدهدها ولم يشعر حتى بوالدتها التي أخذت والدها خارجا رغما عنه

تبكي برقة مزقت قلبه وكأنها حتى لا تشعر حتى به هو

قال بألم:_

"حبيبتي فقط استمعي إلي"

حين لم ترد عليه رفع وجهها بين كفيه وأخذ ينثر قبلاته على وجهها بيأس وكأنه يسترضى طفلته إلا أنه تجمد مكانه وهو يشعر بها كالخرقة البالية بين ذراعيه

ربت على وجنتها يناديها بهلع لكن سرعان ما كانت يد قوية تأخذها من بين ذراعيه وصوت والدها يقول بهلع ووالدتها تبكي :_

"ابنتي يا إلهي ما بكِ يا روضة ، ما بكِ حبيبتي"

زاغت حدقتيه بهلع لا يدري ماذا يفعل وهو يشتعل بغضب حارق ينهشه وما يكبله قلقه وهو يرى والديها يسعون لتهدئتها

ابتلع ريقة براحة حين فاقت أخيراً ، لكن راحته لم تدوم وهو يراها تتشبث بأحضان والدها تطلب منه أن يأخذها لغرفتها بعيداً عنه

بعد دقائق عاد إليه والدها فقط ويبدو أن والدتها ظلت جوارها

جلس الرجل بوجوم على الأريكة أمامه بينما هو مازال واقفاً

دقائق من التوتر الصامت قطعها صوت حماه القوي:_

"أنس دون مشاكل يا بُني ورقة طلاق روضة تصلها اليوم قبل الغد "

"طلاق ؟" قالها بهلع مبتلعا ريقه بصعوبة وهو ينظر للرجل وكأنه معتوه

ابتسم باهتزاز وقال:_

"أي طلاق يا عمي لما تُكبر الموضوع هكذا ، حسنا يبدوا أن هناك سوء فهم حدث من جهة أمي والذي لا

أعلمه حتى الآن لكن ما أنا واثق به أنني لم أفكر يوما من باب التفكير فقط الزواج عليها "

نهض الرجل مشبِكاً كفيه ببعضهم يقول بتجبر:_

"حسنا يا ابن البرعي حديثك لن يغير شيء فليست ابنتي من تفعل معها والدتك هكذا ، تفضل الآن وكما قلت لك أرسل ورقة طلاقها وإلا"

رفع سبابته وأكمل بتحذير:_

"سيكون ما بيننا القضاء فرصة غير سعيدة يا ابن البرعي "

قالها ساخراً وهو يتركه ويخرج لكنه التفت إليه مرة أخرى يقول بامتعاض:_

أه صحيح وأخبر والدتك ليست ابنتي من يُفعل معها هكذا أبدا فأنتم لم تكونوا لتحلموا يوما بشرف وصلها "

ألقى عليه نظرة غاضبة أخيرة وتركه وخرج

دقائق وكان بسيارته عائدا إلى البيت والغضب ينهشه نهشاً لم يشعر بالعجز هكذا أبداً في حياته حتى باليوم الذي علم فيه عدم قدرة روضة على الإنجاب لم يشعر بالعجز ، صحيح أنه حزن قليلا لنفسه وتألم من أجلها

دوماً لكن بالأخير سلم لإرادة الله فهي أغلى عِنده من كل شيء

بعد فترة فتح باب شقة والديه ودخل وجهه يحاكي شحوب الأموات وسرعان ما وجد أمه تقابله بلهفة قائلة بقلق:_

"أنس حبيبي ما بِك لما وجهك شاحب هكذا "

ابتسم بسخرية وأردف بإنهاك:_

"لا شيء يا أمي فقط سأُطلق زوجتي هل ارتحتِ الان؟"

جلس بتعب ملتفتاً لغدي التي قالت بهلع :_

"يا إلهي ماذا تقول يا أنس أي طلاق ؟!"

نظر إلي أمه التي تجلس أمامه بتوتر وقال :_

"اسألي أمي"

وسرعان ما كان يجلس على ركبتيه أمام والدته وهو يصرخ بغضب وحرقة:_

"لم يا أمي لم ؟ لم فعلتي ذلك من قال لكِ أني أريد الزواج من أخرى ، ألم أقل لكِ أغلقي هذا الموضوع وإني لن أذهب معكِ لخطبة أي أحد"

سألت غدي بحيرة :_

"أنا لا أفهم أي خطبة وأي زواج "

التفت إليها قائلا بسخرية :_

"اسألي والدتك لقد قالت لروضة أن تنتقي لي ثياب لأني سأذهب لخطبة فتاة "

حاولت والدته التبرير قائلة وهي تبكي وقد آلمها حاله:_

"يا بني أنا أريد سعادتك كيف ستعيش حياتك دون ولد ،حين تحمل أطفالك بين يديك ستدرك أني كنت أريد مصلحتك"

صرخ بغضب وهو يستقيم واقفا :_

"وهل حققتِ لي السعادة الآن يا أمي هل حققتها ها ردي علي هل حققتها الآن بطلاق زوجتي وأنتِ أعلم الناس كم عانيت كي أصل إليها وكم أحبها"

تهدج صوته في آخر حديثه فالتف منتوياً الخروج غير عابئاً بمحاولة غدي لتهدئته أو صوت والده الذي يعنف والدته الآن

فتح باب الشقة ثم أدار لها رأسه قبل أن يخرج وهو يقول بصوت ميت لا حياة فيه

"هنيئاً لكي يا أمي فيما فعلتي لقد نجحت بجدارة فوالدها قرر إما أن أطلقها أو يطلقها مني رغما وأعلم جيدا كم هو قادر على تهديده"

□□□□

ببوادر استيقاظها انقلبت على جانبها الأيسر وفتحت عينيها، رمشت بهم عدة مرات ثم رفعت نفسها قليلاً تتكأ على مرفقها تنظر إليه وهو نائم ، الوقح صاحب الرموش الطويلة والعينان الكحيلتان

اقتربت قليلا بحذر حتى صار رأسها قرب رأسه ومرتفع عنه قليلاً وأخذت تحدث نفسها بصوت عالي دون أن تشعر

"يا الله لم هو وسيم هكذا ، كل هذه رموش ولم عيناه واسعة وجميلة هكذا "

تأففت بنزق وهي تمرر عينيها على شعره وأكملت هامسة :_

"لا والأكثر شعره ناعم ولا يحتاج حتى أن يضع به فرشاة ، أقسم لو ظل بالأيام لا يمشطه لن يضره بشيء "

مدت كف يدها بحذر تملس عليه ثم رفعتها مرة أخرى إلى شعرها الملفوف بالكعكة

لوت شفتيها بحنق هامسة بتذمر:_

"شعري يبدو بشع جوار شعره الناعم هذا مممممممم بالتأكيد هذا لم يكن شعره الطبيعي ربما يصففه ويكذب علي الوقح أو ا...."

"أنا وقح يا عديمة الحياء يا حقودة يا أم عين صفراء "

صرخت بفزع حتى أنها ظلت تصرخ إلى أن وضع كفه على فمها وهو يقلبها على ظهرها ويشرف عليها من علو مرتكزا على كفه الآخر

رفع يده بحذر بعد ثوان فقالت بصوت مهتز من أثر الفزع فهي كانت شاردة كعادتها اللعينة

"منذ متى وأنت مستيقظ؟"

"منذ العينان الكحيلتان يا حقوده يا ذات الأعين الصفراء" قالها غامزاً بعبث فاحمرت وجنتيها خجلاً وهي لا تعرف كيف تُخرج نفسها من هذا المأزق

سمعته يقول بعبث جعل الدم يتدفق أكثر لوجنتيها:_

"بما إني أُعجبك هكذا لم لا تقولين لي بدل من أن تحقدين علي وأنا نائم "

"آه سيأخذها عليها ويأخذ مقلباً بنفسه "

همست داخلها لكنها نظرت له بحنق قائلة :_

"أنا لست حقودة أنا فقط أقول رأيي"

"رأيك يا حقودة أنا أصفف شعري وأكذب عليكي لأن شعرك ليس ناعماً كخاصتي"

قضمت شفتيها بخجل تنظر له بنصف عين

" يا إلهي هل كانت تتحدث بصوت عالي هكذا لقد سمع حديثها كله"

برمت شفتيها ترد عليه بغيرة طفولية وهي ترتفع بنظرها إلى خصلات شعره المتدلية على جبهته أثر النوم

"حسنا لا أنكر ليس من العدل تكون أنت الرجل شعرك بكل هذا الجمال وأنا شعري لا يعادل نصف جماله"

رفع حاجبيها قائلاً بامتعاض مصطنع :_

"حقودة وذات أعين صفراء "

لوت شفتيها وقالت بغيظ طفولي:_

"حسنا أنا لست بأعين صفراء "

تغيرت نظرته وهو ينظر إلى عينيها الشقيتان بلونهما البني

وهمس وهو يقترب منها ببطء :_

"حسنا بل بنيتان بلون القهوة لكنهما شقيتان مغويتان دون قصد"

توترت وهي ترى وجهه مائلا عليها وكأنها انتبهت للتو لقربه فصرخت عاليا باسمه:_

"حسن "

ارتفع عنها سريعا وهو يقول بقلق:_

"ماذا ما بكِ؟!"

هبت سريعا من الفراش متجهة إلى باب الغرفة وهي تقول بشقاوة قبل أن تخرج :_

"لا شيء فقط كنت أنفض عنك وعني آثار النوم "

فتح عينيه علي اتساعهم هامسا بذهول:_

"المجنونة "

تناول الوسادة يحتضنها وهو ينظر إلى الباب الذي خرجت منه للتو يقول بامتعاض :_

"مجنونة وذات أعين صفراء وكعكة شعر لعِيْنَة"

□□□□

صفت سيارتها ثم نظرت بالعنوان الموجود على الهاتف أمامها وذهبت إلى المبني المنشود وهي تتسأل في نفسها بأي دور يكون المركز

دخلت إلى المبني ووجدت أحدهم يقف منتظر المصعد ، فوقفت جواره تنتظر هي الأخرى ، استجمعت شجاعتها والتفتت اليه هامسة بحياء:_

"إذا سمحت "

التفت اليها مبتسما لكن قبل أن تسأل كان المصعد وصل

فتح لها الباب مشيرا لها بلباقة كي تدخل ، فدخلت بخجل ودخل ورائها

سمعته يقول بصوت رخيم دون أن ينظر لها:_

"حسنا ماذا كنتِ تريدين آنستي"

رفعت وجهها إليه وسألت:_

"أريد أن أسأل: بأي دور يقبع مركز " Hold my hand"؟

ضغط على زر المصعد وهو يقول مبتسماً واضعا كفيه بجيوبه:_

"حسنا نحن صاعدين نفس الدور ونفس المركز تحديداً"

تأملته مليا منتهزة فرصة أنه لا ينظر إليها ملابسه العصرية المنمقة ، قامته الطويلة، جسده الرياضي ، ذقنه المشذبة والتي تعطيه مظهراً شديد الوسامة والرجولة، شعره المصفف و...

انتبهت على توقف المصعد وخروجه منه ، فخرجت ورائه مؤنبة نفسها يا إلهي يا رنا ما تلك الوقاحة كيف تفعلين ذلك

انتبهت عليه ملتفتاً إليها وهو يقول:_

"عفواً هل قلتي شيئا؟!"

هزت رأسها نفيا وسألته بخجل :_

"هل لي أن أسألك سؤال "

أومأ برأسه مبتسماً فسألته بخجل :_

"هل أنت قديم هنا مممم يعني أقصد هل أول مرة لك تزور المركز أم أنك جربته من قبل "

ضيق عينيه كاتماً ابتسامته وسألها بحذر :_

" لم ؟! "

نظرت أرضاً وهي تقول ببراءة:_

"فقط أريد أن أعلم هل الأطباء هنا بالكفاءة التي سمعت عنها أم أنه مجرد ترويج "

أطرق برأسه في فضول ، الفتاة لا تبدو أنها تعاني من شيء نفسي لكن كل شيء على طبيعته العملية تدرك أن البواطن تخفي ما لا نراه بالظواهر

رفع عينيه إليها يرد عليها باللحظة التي رفعت فيها عينيها هي الأخرى فاصطدم بهما

عيناها!!!!؟

عيناها بريئتان لكنهما مشعتان بالذنب

رمش بعينيه عنها وتنحنح بخفوت ثم قال مطمئناً :_

"نعم جميع أطباء المركز هنا على كفاءة عالية لا تخافي "

أومأت برأسها وسارت ورائه حتى دخلوا سوياً

وجدت أحدهم يقترب منه يُحيه و يحاول أن يأخذ منه حقيبة بيده انتبهت لها للتو

سمعت الرجل والذي يبدو أنه الساعي يقول:_

"دع الحقيبة يا دكتور سأُدخلها لك بنفسي "

ربت على كتفه وقال بود:_

"شكرا لك يا رجل يا طيب تفضل أنت"

انصرف الرجل فالتفت إليها مبتسما ، وهو يراها تنظر أرضا بخجل فقال بهدوء:_

"حسنا ليس هناك شيء يدعو للخجل لقد اعتقدت أنني أحد رواد المركز ومن حقك أن تسألي "

أومأت برأسها فحثها على الدخول معه وهو يتقدمها خُطوة

قبل أن يسألها عن سبب زيارتها لمركزهم وجد أصوات عالية تأتي من الداخل ومريم مساعدته تقابله راكضة وهي تقول بلهفة:_

"حمداً لله لقد وصلت بالوقت المناسب يا دكتور "

اقترب منها يسألها بقلق:_

"ماذا يحدث ؟"

أشارت له حيث استراحة المرضي وقالت :_

"تاليا الفتاة التي تتابع معك منذ فترة مصابة بانهيار بالداخل وقد عادت لحالتها الأولى"

أعطاها متعلقاته وهو يتجه مسرعا حيث قالت معطيةً لها بعض التعليمات بفتح غرفته وتجهيزها

وقفت مكانها حائرة لا تعرف أين تذهب ومن أي جهة تدخل

حسمت أمرها وسارت حيث ذهبوا وهناك تسمرت مشدوهة

طفلة عمرها لا يتعدى التسع سنوات تبكي بذهول وجسدها يتحرك دون سيطرة

وهو يجلس على ركبتيه أمامها يحاول تهدئتها ، يفرك كفيها بين كفيه وهو يهمس لها بعض الكلمات

اقتربت قليلاً بفضول لمشهد أسر قلبها وكينونتها وهي تراه يضمها إليه بعد أن نجح في تهدئتها قليلاً يربت على شعرها هامساً:_

"إهدئي صغيرتي إهدئي "

سكنت الطفلة تماماً، تدفن وجهها بعنقه وتتشبث به

ما به هذا الرجل ؟ كيف سيطر على الطفلة هكذا في دقائق ، بل كيف استكانت بين ذراعيه وكأنه وفر لها ما كانت تحتاجه دون أن تعبر عنه حتى

مررت عينيها على المكان حولها وقد انتبهت للتو بوجود أشخاص عديدة جالسة

سمعت صوته يمر بجانبها يحدث الطفلة التي تمسك بيده ملتصقة به حتى اختفوا عن أنظارها في ممر جانبي

انتبهت على صوت تلك التي كانت تحدثه من دقائق تسألها:_

"هل حضرتك أتيتي مع أحدهم أم هناك حجزاً لكي؟"

توترت رنا وهي لا تدري ماذا تقول لكنها بالأخير همست تسألها :_

"هل..... هل لا يوجد طبيبات هنا ؟"

رفعت مريم أحد حاجبيها هامسة في نفسها بنزق:_

"طبيبات!!هل هي آتية لمركز نساء وتوليد"

لكنها سحبتها من ذراعها إلى مقعد جانبي بعيد وسألتها:_

"هل تريدين طبيبة ؟ "

لم تمهلها الرد وهي تواصل ثرثرتها:_

"حسنا لقد انضمت إلينا طبيبة جديدة"

لوت شفتيها وأكملت بحنق:_

"والدكتور شهاب يُشيد بمهارتها لكن إذا أخذتِ بنصيحتي فأنا أنصحك أن تختاري دكتور شهاب أو دكتور عمرو أو دكتور محمود "

رفعت رنا حاجبيها من فرط ثرثرتها ثم قالت باقتضاب:_

"لا بأس أنا أريد تلك الطبيبة "

لوت شفتيها مرة أخرى وأشارت لها على ممر جانبي وقالت :_

"حسنا أدخلي من هذا الممر ستجدي فتاة تجلس على مكتب هي مُساعدتها لكن قبلا هل حجزتي؟"

أومأت رنا برأسها وتركتها ذاهبة حيث وصفت لها

وجدت فتاة جالسة على مكتب، تقدمت منها مبتسمة بتوجس وقالت:_

"لي حجز سابق في المركز وأريد أن يكون لدى الدكتورة"

أومأت الفتاة برأسها وردت قائلة:_

"حسنا دكتورة مادلين بما أنها جديدة معنا فلا يوجد معها عدد كبير ما اسمك ؟"

"حجزت باسم رنا الجوهري "

بحثت الفتاة على الحاسوب أمامها ثم رفعت لها رأسها وقالت :_

" اسمك الثالث ، والأول دخل للتو عند الدكتورة ،ممكن بطاقتك؟"

قالت رنا بقلق:_

"هل ضروري ؟"

"لا ليس ضروريا لكن كي أخذ بياناتك كاملة "

قالت رنا باقتضاب:_

"يمكنك أخذها مني "

أومأت الفتاة وهي تستمع إلى رنا تُملي عليها بياناتها

بعد أن انتهت من تدوين البيانات سألتها :_

"أنتِ خريجة كلية الألسن صحيح ؟"

أومأت رنا برأسها فسألتها الفتاة:_

"هل تعملين ؟"

ضيقت رنا عينيها في تساؤل وهي تهز رأسها نفيا فابتسمت الفتاة وقالت:_

"حسنا أنا أسألك لأننا بحاجة لمترجمة بالمكتبة الخاصة بالمركز "

أكملت باستفاضة :_

"دكتور شهاب المالك الرسمي للمركز وهناك مكتبة تسمى دار الأصدقاء للكتب للقراءة المجانية ، يجتمع بها مع طلابه وأصدقائه ومرضاه خصيصاً كشيء للرفاهية وهو بحاجة لمترجم منذ فترة كبيرة لذا اقترحت عليكِ ما رأيك؟"

رفعت رنا رأسها للأعلى بتفكير ثم قالت:_

"مممم حسنا سأُفكر لكن إذا وافقت هل أُهاتف المركز ؟"

ردت الفتاة مبتسمة :_

"نعم يمكنك مهاتفة المركز ومن يتواصل معك سيقوم باللازم "

أومأت برأسها وجلست تنتظر دورها

□□□□

زفر بخفوت بعدما أنهى مكالمته مع ياسر الجوهري يطمئن عليه وعلى صحته ويطمئنه على أخبار ابنته رنا مع وعد أنه ستظل عينيه عليها، أخبره أيضا أنه لا أساس للمكتوب بالمظروف ويبدو أن أحد منافسيه فعلها فقط كي يربكه فالسوق ممتلئ بهؤلاء الأوساخ وشاكِلتهم

دلك بين جبهته واستقام واقفاً متجهاً إلى غرفته حيث ابنته نائمة بعد أن تناولت طعامها ولعبت معه وأخذت تثرثر وهو يسمعها بصبر حتى نامت

تمدد جوارها آخذاً لها بين أحضانه يستنشق رائحتها بنهم ، هو لا يكفيه يوم واحد يقضيه معها ،لكنه يخاف أن تتأثر نفسيتها بمكوثها معه إذا طلب أكثر من ذلك

قبل وجنتيها يخلل يده بين خصلات شعرها بحنان ، من الجيد أنه أتى بها لشقته الخاصة وليس بشقته في بيت والدته حتى يقضي معها وقت أكثر وحدهم

قطب بحيرة وهو يستمع لصوت رنة هاتف مكتومة في الغرفة

أرهف السمع حتى اكتشف أن الصوت يأتي من حقيبتها الصغيرة، تحرك من جانبها بحذر متناولاً الحقيبة يفتش بها حتى عثر على هاتفها كاتماً الصوت بسرعة حتى لا تستيقظ

نظر إلى المتصل وزفر بضيق وهو يرى الاسم أمامه مكتوبا بالإنجليزية

«أمي»

وضع الهاتف جانباً مريحا ظهره على حائط الفراش مكتفا ذراعيه

شارداً في البعيد حيث الفترة الأخيرة قبل طلاقهما بعد موت أخيه مباشرة ومكوث حفصة زوجة أخيه وطفليها عندهم

ومن هنا بدأ جنونها بالغيرة ، وشجار قوي بينهم كل ليلة بعد جلوسه مع أبناء أخيه يطمئن عليهم واهتمامه بحفصة بسؤاله عن أحوالها وما ينقصها حافظاً لها أنها ظلت معهم حيث يُربى أبناء أخيه بينهم ،لكن رؤى غيرتها مجنونة ،شجارات طوال اليوم حتى تنتهي الليلة ببكائها وعويلها أنه لم يعد يحبها وأنه أحب زوجة أخيه ولذا يهتم بها وبطفليها وهو بدوره كان يقدر غيرتها يحتويها ويطمئنها أنه لها فقط وأن ذلك لن يحدث أبداً لكنهم أبناء أخيه ومن واجبه أن يراعيهم ،فتارة تهدأ وتارة تثور إلى أن جاءت الطامة الكبرى يوم طلاقهم

يومها كان عائداً من عمله متأخِراً وسمع أصوات شجار قوية تأتي من الداخل علم أنها منها ومن والدته

فتقدم مسرعاً إلى الداخل ،دخل على صوت والدته تصرخ عليها بغضب قائلة :_

"رؤى كفى دلالاً ، احمدي الله أنني رضيت بكِ وزوجتك لابني "

نظرت لها رؤى قائلة بضيق :_

"كيف تقولين ذلك يا خالتي أنا ابنة أختك"

رفعت والدته أحد حاجبيها متخصرة وهي تقول بتجبر :_

"لا ابنة أختي ولا غيره يا رؤى أنا لم أرضى يوما عن تلك الزيجة لذا حافظي على بيتك ولا تفرقي بين وائل وحفصة بغيرتك التافهة تلك !"

كان سيندفع للرد على والدته لكن صرختها سبقته وهي تقول بجنون:_

"آه قولي أنكِ متفقة أنتِ وابنك على أن يتزوجها "

ردت والدته بقوة:_

"نعم وائل سيتزوجها كي يحافظ على أبناء أخيه كي يُربوا بيننا "

"آه لقد نيمتموني أنتِ وابنك كي يستميل ربة الصون والعفاف حفصة ويتزوجها أي امرأة سيئة أنتِ ها؟!"

"رؤى!!!"

شهقت بفزع من صوته الغاضب وهو يقترب منهم وقد نفرت عروق وجهه غاضباً

تقدم منها يمسك ذراعها بحدة قائلا بغضب:_

"كيف تتحدثين مع والدتي بهذا الشكل اعتذري منها هيا"

"لا لن أعتذر"

التفتوا جميعاً على صوت حفصة الواقفة جوار أبنائها تقول بهدوء

"ليس هناك داعي لكل تلك المشاكل أنا سأذهب إلى بيت أبي وأبنائي أبنائكم لن أمنعهم عنكم في أي وقت "

النار الحارقة المندلعة في جسدها من رأسها لأخمص قدميها أعمتها وهي تلتفت إليها قائلة بحرقة :_

"ها لقد حان دور دموع التماسيح تفعلين ذلك كي تظلين الحلوة بنظره وأنا الشريرة ال..."

"اخرسي رؤي اخرسي"

قاطعها غاضبا وهو يضغط بيده على ذراعها ثم التفت لحفصة يقول بحزم :_

"أنتِ لن تذهبي لأي مكان هذا بيتك وبيت أبنائك يا حفصة كما أنه بيت يحيى رحمه الله "

عاد بنظره إليها يأمرها بحدة من بين أسنانه:_

"اعتذري منها ومن أمي يا رؤى هيا"

تعتذر منها !!!

هل حقا يأمرها أن تعتذر منها؟

آه ولم لا أليست عروسة الهنا

نفضت ذراعه بعنف وهي تدفعه بكفيها صارخة بجنون :_

"أعتذر منها هل تطلب مني أنا ذلك إذا كلام والدتك صحيح وستتزوجها "

كاد يرد عليها لكنها قاطعته وهي تصرخ بتهور وقد جرت الدموع بعينيها:_

"ولم أندهش ؟ لم أندهش طيلة عمرك تابع لوالدتك وبلا شخصية أمامها (دلدول)

انت لست رجل ،،، لست رجل "

"أنتِ طالق يا رؤى!!"

عاد من ذكرياته على صوت جرس الباب يضرب باستمرار ،

قطب بين حاجبيه وهو يستقيم متجهاً إلى الباب بسرعة كي لا تستيقظ فريدة

فتح الباب بحدة وتسمر مكانه من المفاجأة فلم يتوقع ظهورها ، لقد كانت هي منذ متى لم يرها قريبة هكذا صغيرة هكذا ،وحُلوة هكذا ، مرر عينيه عليها بفستانها الخريفي الذي يلف جسدها بدقة ،حجابها الليموني الذي يحدد وجهها الصغير ،يبرز بياض بشرتها ، قطب بين حاجبيه وهو ينتبه لدموعها التي تجري على وجنتيها كيف جاءت هنا من الأساس

"أنتِ...لم أنتِ هنا ؟"

ردت عليه ببحة وهي ما زالت تبكي:_

"أين ابنتي يا وائل ما بها لم لا ترد على هاتفها

نظر إلى ساعته وعاد بنظره إليها بغضب من تأخر الوقت ،سحبها من ذراعها بالداخل بعد أن تأكد من عدم وجود أحد أمام الشقة أو على السُلم

أغلق الباب بقوة والتفت إليها بغضب وهو يقول بقسوة خافتة كي لا تستيقظ ابنته :_

"هل ستظلين طوال عمرك متهورة هكذا ، كيف خرجتي من المنزل الآن وأتيتِ إلى هنا في هذا الساعة وحدك "

ردت ببكاء مبررة:_

"لقد هاتفتها مراراً ولم ترد ، وعلي أيضاً هاتفك ولم ترد وأمي اتصلت عند والدتك قالت أنك في شقتك مع فريدة وقد جاء الليل ولم تأتي بها إلي كموعدها دائما "

مسح وجهة وهو يزفر بغضب وقال من بين أسنانه:_

"ألم يخطر على عقلك الصغير أنها من الممكن أن تكون نائمة وقد كتمت صوت هاتفها حتى لا تستيقظ "

"ولما لم ترد علي أنت وتطمئنني ؟"

"لأني لا أريد أن أرد عليكِ وبالطبع لم أسمع هاتفي ولم يخطر ببالي أنكِ قد يجن جنونك هكذا "

زادت دموعها من كلامه القاسي وهي تنظر إليه بصمت فاقترب منها بغضب يقول:_

"كيف تقبلين على نفسك أن تأتي إلى هنا وحدك وأنتِ تعلمين أني هنا بمفردي مع ابنتك "

ارتفع صوت شهقاتها وقد كسر خاطرها بلهجته القاسية وعينيه النافرتان فهمست برجاء:_

"وائل لا تفعل هذا أنت والد ابنتي "

"لا أنا طليقك يا رؤى طليقك هل فكرتي ماذا سيقول أحدهم اذا رآكي تخرجين من شقة طليقك ليلاً؟"

ذبحها ،رميه حقيقتهم بوجهها ببرود هكذا ذبحها ذبحاً إلا أن الصوت الرقيق قاطعها المتمثل في الصغيرة عن الرد

"أمي هل أنتِ هنا حقا "

التفت الإثنين على صوت فريدة تقف أمام باب الغرفة تنظر لهم وتفرك إحدى عينيها إثر النوم

ألقي وائل عليها نظرة غاضبة واتجه إلى ابنته يحملها بين ذراعيه يقبل وجنتيها وهو يقول بحنان:_

"ها قد استيقظت جميلتي "

خلصت الطفلة نفسها من بين ذراعيه ،فأنزلها أرضا ينظر لها تتجه إلى والدتها مبتسمة وقالت مبتهجة:_

"هل أتيتِ كي نبقى معاً أنا وأنتِ وأبي ؟"

مسحت دموعها العالقة بعينيها سريعا وألقت نظرة عليه ثم جثت على ركبتيها أمام ابنتها وابتسمت قائلة بحنان وهي تربت على وجنتها :_

"لا حبيبتي لقد أتيت كي أخذك فقد اشتقتُ إليكِ"

لوت الطفلة شفتيها بحزن وهي تكتف ذراعيها تقول بغضب:_

"لا نحن سنظل هنا أنا وأنتِ مع أبي ،نلعب معاً ثم ننام جواره وهو يحتضننا "

احمرت وجنتيها وحديث ابنتها جعل قلبها يختض بين اضلعها

فتنحنحت بخفوت وهي ترد على الصغيرة بمهادنة:_

"حبيبتي لقد قضيتي اليوم بأكمله مع والدك هيا حبيبتي اذهبي وارتدي ملابسك سريعا كي نذهب عند جدتك سريعا ونلعب سويا "

ذهبت ابنتها بحزن فاستقامت واقفة تنظر له بوجل وجدته يقترب منها وهو يقول بقسوة:_

"هل رأيتِ نتيجة أفعالك؟ ،تأثرت البنت بعدما كانت تأقلمت على الوضع "

غشت الدموع عينيها واقتربت منه هامسة برجاء:_

"وهل يرضيك هذا الحال يا وائل ، هل سنظل هكذا "

رفع سبابته وهو يقول محذراً:_

"لا تفتحي هذا الموضوع يا رؤى حفاظاً على كرامتك لا تفتحيه "

قالت بندم وعينيها الجميلتان يتوسلانه الصفح :_

"لقد تأسفت منك مراراً وإلى الآن أنا آسفة"

تجاهل الرجفة التي أصابته مسيطرا على ثباته أمام فتنتها وهو يغلف لهجته بالترفع القاسي قائلا:_

"لست أنا من يعود لامرأة أهانته أمام والدته وأرملة أخيه "

وكأنها ليست هي التي تعطي نفسها دروسا في ضبط النفس ففور أن ذكر حفصة طار كل عقلها وردت بجنون وغيرتها تنهشها:_

"آه قل لي أرملة أخيك صحيح إذا ستتزوجها "

خبط كفيه ببعضهم وهو يتركها ويدخل يبدل ملابسه متمتماً بغضب :_

"لا فائدة ستظلين مجنونة ولن تتغيري أبداً"

□□□□

بعد عدة أيام

يقف مستندا على باب المطبخ يتأملها وهي تحضر الإفطار وظهرها له

ترص الأطباق أمامها بنظام لكنها بدت كطفلة حصلت على حلواها ونست كل شيء مجرد أن رأت أصابع البطاطس المُحمرة نضجت ، وضعتها بالطبق أمامها وسحبت وعاء صغير به سائل أحمر وبالتأكيد هو الكاتشب ،تغمس به إصبع البطاطس وتلتهمه متأوهة بتلذذ وهو هنا يراقبها مبتسما يسمع تأوهاتها وليحترق بالجحيم !!

اقترب منها ببطء حتى صار ورائها مباشرة ، لف أحد ذراعيه على خصرها يضمها إليه فتسمرت وظلت يدها معلقه بالبطاطس تفتح فمها ببلاهة دون أن تلتهمها

استغل صدمتها وهو يدخل ذراعه الأيمن من تحت خاصتها ،مستنداً بذقنه على كتفها ،ماسكا يدها اليسرى يقربها من فمه ملتهماً ما بيدها يمضغه ببطء مصدراً صوت استمتاعه وهمس بعبث :_

"مممممممم لذيذة "

اضطربت وزحف الاحمرار لوجنتيها فخرج صوتها مهتزاً وهي تسأله بخجل :_

"حسن ماذا تفعل ؟"

حرك يدها التي مازالت بخاصته ،يلتقط بها إصبع بطاطس آخر ويغمسه بالكاتشب ويلتهمه معيداً الكره ورد عليها ببرود عابث:_

"ماذا أفعل أنا أتناول البطاطس "

حاولت أن تتملص منه لكنها لم تقدر فهمست بضيق ناتج عن خجلها:_

"حسن ابتعد دعني أحضر الإفطار "

رفع حاجبه الأيسر ورد بمشاكسة:_

"افطار!! افطار يا مفجوعة لقد قضيتي على نصف وعاء البطاطس وأنتِ واقفة "

لم تتجرأ حتى لمشاكسته وهم هكذا وجسدها كله يرتجف خجلا فهمست :_

"حسناً اتركني الآن"

ظل على حالة دقائق مفكراً في أفعالها هو يحاول أن يعودها على قربه منها يريد أن يتسرب بين خلاياها كما تتسرب هي بين خلاياه ببطء لذيذ لكنها تارة تستجيب وتارة لا !!

ضيق عينيه وهمس بجدية :_

"هل تخافين مني ملك؟"

"لما تقول ذلك ؟"

أدارها بين ذراعيه وعينيه عالقة بآثار الكاتشب على فكها فهمس:_

"كلما اقترب منكِ تفرين هاربة وأنا لا أُبرر ذلك سوى بشيئين إما خجل وإما ....."

صمت قليلا وأردف بخفوت:_

"وإما نفور ملك !!!!"

شهقت داخلها من منحني أفكاره ،ووضعت كفيها على صدرة وقالت بعتاب:_

"حسن كيف تقول ذلك أنا بالطبع لا أنفر منك كما أني لا أخاف بالعكس قلبي يطمئن لك لكن ..."

أسبلت أهدابها وهي تهمس:_

"أنا أخجل يا حسن "

رفع ذقنها بيده ،ملتقطاً عينيها بسوداويتيه هامسا :_

"إذاً دعيني أبدد خجلك "

□□□

بنافذة كبيرة بالمركز الطبي تقف جواره بيد كل منهم كوب كبير من القهوة لكنه يبدو شارداً عنها

نادته بهدوء :_

"شهاب ما بك ؟"

٥٠٠

التفت اليها قاطبا بين حاجبية بدهشة فهي لأول مرة تناديه باسمه فابتسم قائلا :_

"هل أخبركِ أحد من قبل أنكِ جريئة جدا مادلين ؟!"

ابتسمت بدورها وهي تعدل غرتها وتقول بثقة:_

"كثيراً وقوية أيضاً"

لمعت عيناه بإعجاب لثقتها ابتسمت له عيناها بانتصار فقالت بثقة:_

"هل أعجبتك؟"

هز رأسه ضاحكاً وقال:_

"لا أُنكر لطالما أعجبت بالمرأة القوية لا أحب أبداً الشخصيات الضعيفة "

كانت ستتحدث لكنها وجدته يلف رأسه ينادي بهدوء:_

"يا آنسة "

التفتت برأسها ترى على من ينادي ،وقطبت بحيرة وهي تميز تلك الواقفة هناك أنها الفتاة رنا التي أتتها منذ يومين ،والتي ظلت مرتبكة وحكت لها عن بعض مشاكلها وبالأخير بكت وذهبت واليوم موعد جلستها الثانية

ابتسمت مادلين بأناقة وأشارت لها فذهبت إليهم مبتسمة بخجل

كان أول من تحدث شهاب وقال:_

"إذاً أنتِ مع الدكتورة مادلين "

رفع عينيه إلى مادلين يقول بمشاكسة :_

"لولا حالة أتتني طارئة "

أشار بسبابته إلى رنا وأردف :_

"كانت ستكون حالتي"

ثم أردف بنبرة ذات مغزي متذكراً سؤالها عن كفاءة أطباء المركز وهو يبتسم

"مممم هل وجدتي طبيبتنا على كفاءة أم أرشح لكِ مركز آخر"

ابتسمت رنا ولم ترد فحركت مادلين عينيها بينهم في دهشة وسألت:_

"هل تعرفون بعضكم ؟"

وضع يده بجيب سرواله وهو يقول بعملية:_

"نعم لقد تقابلنا من قبل أنا سأترككم وأذهب لمباشرة عملي الآن عمل موفق إن شاء الله"

استأذن منهم وتركهم وذهب فابتسمت مادلين مشيرة لرنا أن تتقدمها وهي تسألها بفضول:_

"متي تقابلتِ أنتِ والدكتور "

هزت رنا كتفيها وقالت بهدوء:_

"هنا بالمركز تحدثت معه وكنت أظنه مريض "

أومأت مادلين برأسها وهي تدخل إلى غرفتها تتبعها رنا

وضعت كوب المشروب الدافئ على سطح المكتب وأشارت لرنا أن تجلس على المقعد الخاص بالمرضى (الشيزلونج)

هدأت الإضاءة ،وشغلت بعض الموسيقي الهادئة وجلبت القلم ودفتر ملاحظاتها وجلست أمامها قائلة بعملية :_

"أين توقفنا بالمرة السابقة يا رنا"

ضيقت عينيها وأردفت بتساؤل:_

" ... رنا صحيح ؟!"

أومأت رنا برأسها ولم تتحدث فقالت لها مادلين مطمئنة :_

"حسنا لنتفق يا رنا أنا طبيبة نفسية وما يدور بيني وبين مرضاي يكون سرا لذا تحدثي ولا تخافي ما الذي يؤرقك

،تُبدين عادية لكن حركة عيناكِ المتوترة توحي بغير ذلك
"

تنهدت رنا ناظرة للسقف وهي تشعر أن دقات قلبها تتقافز من كثرة سرعتها وثمة ثقل مؤلم يجثم على صدرها هي تريد أن تتحدث ،تشعر أن الخلاص يكمن في إخراج ما بداخلها

التفتت إليها تنظر لها برجاء فطمئنتها مادلين بعينيها أن تتحدث دون خوف

أسبلت أهدابها واستجمعت شجاعتها تقول بخفوت :_

"أنا مدمنة!!!!"

انتهى

الفصل الحادي عشر

"أنا مدمنة!!"

والكلمة خرجت بنبرة مهتزة ،مختنقة ،يائسة وضائعة حد اليأس

قطبت مادلين بين حاجبيها تنظر لها في دهشة مما نطقت به للتو .

الفتاة تبدو بكامل صحتها وحيويتها هل تهزأ بها؟! حتى أن الصغير يستطيع أن يميز الشخص المدمن

نعم هي لا يخفى عليها الحزن الواضح بعينيها ضياعها النفسي الملحوظ ،وتوتر حدقتها الدائم لكن كل ذلك لا يقترب من الإدمان المعروف

تنهدت وهي تعتدل بمقعدها وسألتها بنبرة عملية هادئة :_

"ماذا تقصدين بمدمنة رنا ؟"

صمتت بخزي وأدارت وجهها الناحية الأخرى ثم بكت وهي لا تدري كيف تتحدث يا الله إنها تشعر نفسها مكبلة

بالعار والخزي المستوى الذي تصل إليه في انتقاص نفسها لا تتحمله أبدا !

منذ يومين تحبس نفسها بغرفتها لا تريد أن ترى أحدا أو تتحدث مع أحد متعللة لهم أنها متعبة ،إلا أنها تريد الخلاص تريد من يساعدها للخروج من تلك الشرنقة القذرة التي تبتلعها وبالأخص منذ أن انقطعت عن الصلاة خجولة من أن تقف بين يدي الله وهو يطلع على معصيتها.

وجدت الطبيبة تمد لها يدها بكوب من الماء لا تعرف متى جلبته وهي تأمرها برفق أن تهدأ وتتناوله ثم اتبعته بكوب من الليمون المثلج

بعد دقائق كانت هدأت قليلا فسمعت مادلين تقول برفق:_

" رنا أياً كان ما تفعلين فأنا أجزم أنكِ قوية ،وأننا سنتخطى تلك المحنة حتى أن بكاءك الآن دليل على قوتك وليس ضعفك

بعلم الطب النفسي أصعب خطوة هي اعتراف المريض بعلته ثم إقناعه أن يذهب للطبيب

ومجيئك هنا وحدك يعني أنكِ أخذتِ أكبر خطوة في العلاج "

أكملت مادلين بحزم وهي ترى ارتجافها تنظر لها بقوة تحاول أن تزرع في نفسها الثقة بها :_

"اهدئي وتحدثي "

سألت رنا بخفوت وشفتيها ترتعشان :_

"هل من الممكن أن أتحدث ووجهي الناحية الأخرى؟"

أومأت مادلين برأسها فاستدارت رنا برأسها تحاول أن تُهدئ من دقات قلبها الثائرة واستجمعت شجاعتها تغمض عينيها بقوة مقررة البوح لكن رغماً عنها خرجت نبرتها متهدجة مرتجفة وهي تقول بارتعاش:_

"أنا مدمنة Sex movies ابتلعت ريقها وأردفت بخفوت وخزي وهي على مشارف الانهيار:_

"وأيضاً masturbation"

«الأفلام الإباحية والاستمناء »

وخيم الصمت على الغرفة لو ألقيت إبرة صغيرة الآن ستحدث ضجة كبيرة من فرط الصمت !

رنا التي اختنقت بالبكاء ومادلين التي اتسعت عيناها ذهولا ورغماً عنها شعرت بالاختناق والاشمئزاز

نعم لقد درست حالات كثيرة هكذا وأكثر لكنهم لم يمروا عليها أبدا ً كما أن كثير مما سمعت عنهم خلال أساتذتها كانوا من الذكور والأكثر من المراهقين !

لكن شابة يافعة وجميلة كهذه ،ما الذي يدفعها لفعل هذا

زفرت بخفوت تحاول أن تهدئ نفسها ،دونت بعض الملاحظات أمامها ورسمت ابتسامة عملية على وجهها وقالت :_

"أكملي يا رنا أنا أستمع لكِ "

تنهدت رنا بألم وشردت في البعيد وقالت:_

"كنت في الرابعة عشر ،في هذا العام كنت أستمع إلى جدي كثيرا يحدث والدتي ويحايلها كي تتحدث معي لأن حالتي النفسية سيئة وبالطبع كانت والدتي ترفض أو حين تتكرم وتفعلها على فترات تكون مجبرة والمكالمة لا تتعدى الدقائق

ومرة كنت أجلس على هاتفي بأحد المجموعات على موقع الفيس بوك وكتبت لهم رسالة

"كيف أنسى ألمي"

جاءتني الكثير من الردود لكن من ضمنهم وجدت رد يقول "افتحي الدردشة الخاصة وسأشرح لكِ"

وبالفعل تحدثت مع تلك الفتاة والتي أخذت تسألني عن عمري وبعض الأسئلة الروتينية ثم فجأة أرسلت لي صورة خليعة أرفقتها ببعض الكلمات جعلتني أشمئز دون أن أفهم وقتها

وحين سألتها جاهلة عن ما هذا

"أجابتني أنه إذا كنت أريد أن أعيش واقع غير واقعي لا أجادلها وفجأة الصورة أصبحت صور والصور أصبحت فيديوهات وراق لي الأمر كنت أشعر وكأنها تحقنني بمخدر يجعلني أنساق إليها دون أن أشعر

ثم أخذت ترسل مواقع خلالها أشاهد هذه الأفلام وعلى المدى علمتني كيف ألجأ إلى

«masturbation»

" الاستمناء "

واستمريت هكذا عامين أو ثلاثة كلما أتألم أغلق على نفسي غرفتي وألجأ لهذا العالم ،أتخبط فيه كجاهلة قذرة تأخذ جرعة كبيرة من الهيروين وهي تظنه طحين طعام

حتى كنت بالسابعة عشر استمعت لأحد الدروس الدينية يتحدث فيها الشيخ عن الزاني والسائر على طريقه وعن اتقاء الحرام وكل ما يؤول إليه !

فوجدتني أبحث كالمجنونة عن هل ما أفعل حرام أم حلال وماهذا الذي أفعله وحين وجدته حراما لم أنقطع عنه بل شيئا ما أقوى مني دفعني للاستمرار بين توبة ومعصية حتى عمر الثامنة عشر حينها بدأت أشعر بالكره لذاتي وأنني أخدع من حولي فقررت التوقف والتوبة وحظرت تلك الفتاة نهائياً وبالفعل التزمت لسنوات لم أقرب تلك الأفعال لا أدري لما بل أظن أنها كانت هداية من الله حتى أنني أصبحت أنفر من ذكر ما كنت أفعل بيني وبين نفسي!

حتى فترة قريبة منذ عدة أشهر حين تركني خطيبي وجدت نفسي كالمسمومة أعود إليها أغرق فيها متسخة بالوحل مرة أخرى كأي حيوان ولذا أنا هنا

انخرطت في بكاء عنيف بعد حديثها الذي كان مشبعاً بالمرارة ثم استقامت سريعا واقفة وهي تقول:_

"لن أقدر على مواصلة الحديث اليوم سأخذ الموعد القادم من المساعدة "

وتركتها وغادرت مسرعة تاركة اياها تستوعب هول ما سمعت للتو !

***

"انتفضت من الحِلم شاهقة وهي تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، لقد أتى إليها يَحي في المنام اليوم بجملة واحدة وذهب!

الكلمة مازالت تتردد في أذنها

«لا تردي محتاجاً يا حفصة وقولي الحق وساعدي المظلوم »

لقد كان يأتي إليها دوماً مبتسماً ،يُطمئنها عليه ويقول لها أنه ينتظرها بالجنة ،لكن منامها اليوم غريب

ارتفعت قليلاً تُسند رأسها لظهر الفراش وهي تعدل وضع الوسادة خلفها ورغما عنها عادت إليها ذكريات هذا اليوم كلها دفعة واحدة وكأنها نستها يوماً!!

استيقظت صباحاً علي صوت هاتفها فردت بلهفة :_

"حبيبي "

وصوته الحبيب أتاها بشوق يوازي لهفتها هامساً برقة
"اشتقتك حبيبتي "

"متي ستأتي يا يحيى لقد تأخرت تلك المرة ،لقد اشتقت إليك أنا والأولاد كثيراً"

"لا أعلم يا حفصة الأمن غير مستقر أبدا بالمنطقة هنا"
صمت قليلاً ثم أردف بخفوت وتردد:_

"حفصة عديني "

دمعت عيناها رغماً عنها وهاجس سيء يلوح في الأفق فابتلعت ريقها وهمست باختناق:_

"أعدك بماذا يا قلب حفصة ؟! "

قال يحيى بحنان:_

"أن تكوني قوية كما عهدتك حبيبتي، أن تواصلي تربية أبنائنا كما بدأناها، وألا تجعلي شيء يكسرك أبداً حبيبتي أبداً "

تردد قليلا وأردف بخفوت :_

"حتى لو هذا الشيء موتي يا حفصة كوني صامدة"

تعالت شهقات بكاءها و همست بصعوبة:_

"لا تقل هذا أنت ستعود لي"

سمعته يرد عليها بسماحته المعهودة :_

"أنا لا أخاف الموت يا حفصة أنا أنتظره، فأي شرف أكبر من أن أموت فداءً لوطني ،أنا أخاف عليكم لكني أستودعكم الله "

أخذت تبكي بقوة فسمعته ينهيها بحزم حنون:_

"حفصة من أجلي توقفي عن البكاء "

همست بصعوبة:_

"حسناً"

"حبيبتي سأغلق معك الآن ،قبلي لي الأطفال وقولي لهم أني دوما أحبهم واعلمي أني احبك في رعاية الله حبيبتي "

أغلقت معه دون حتى أن ترد وسأشتاقك

وعليه وظلت تبكي إلا أنها تعوذت بالله من الشيطان وأخذت تستغفر فليست أول مرة يتأخر بسفره

بعد الظهر وجدت ابنها يدخل عليها باكيا ً ويردد كلمة واحدة من بين شهقاته الطفولية

«أبي»

حاولت أن تهاتفه لكن الهاتف كان مغلق واستمر الصغير على حاله حتى جاء الليل وهي تحاول أن تصبر نفسها أن لا شيء سيء وأنها مجرد هواجس من الشيطان حتى سمعت صوت جرس الباب

انتفضت بهلع وصوت الجرس يصل إليها وكأنه مطارق من حديد

ناقوس الإنذار يحذرها ألا تفتح ،أن ما ستجده سيكسرها

لكنها ارتدت اسدالها سريعا وهي ترتجف وفتحت الباب

وجدت أخيها وجواره وائل والدموع حبيسة بعينيهم إلا أن وائل غافلته قوته وسقطت دموعه فور أن رآها

تراجعت لا إراديا خطوة للخلف وهي تهز رأسها نفيا ً دون أن تجد القدرة على الرد

وجدت أخيها يتقدم منها يهز رأسه بأسف حزين محتضناً لها بقوة وهو يقول باختناق:_

" إنما الصبر عند الصدمة الأولى حبيبتي البقاء لله لقد استُشهد يحيى صباح اليوم "

"لالالالالالالاا!!"

صرخة قوية خرجت من صدرها شقت جدران المنزل وهي تدفعه بعنف وتسقط أرضا من الألم وكأنهم بتروا قلبها بتراً دون رحمة!!

لم تعي إلا وهي بغرفتها بحضن أمها وأختيها من حولها

نقلت نظرها بينهم بجزع وهي تتأكد أن ما سمعته لم يكون حلماً لقد كان كابوس واقعي مريع أكبر من أن تتحمله .

رباه النار بقلبها لا تحتمل ، لا تحتمل أبدا ً

يحيى لم يتركها لا يمكن أن يتخلى عنها ،بلسمها الشافي لم يرحل لا يمكن !

انهارت في بكاء مرير مرة واحدة وطلبت منهم أن يتركوها وحدها ويخرجوا وحين لم يستجيبوا صرخت بهم بتوسل حتى خرجوا

تشعر أن جسدها كله يؤلمها من الوجع الألم النفسي انتقل لجسدها فلا تستطع أن تتحرك .

هبطت من الفراش على ركبتيها حتى أنها زحفت أرضاً حتى وصلت إلى خزانة الملابس فتحتها وسحبت إحدى بذلاته العسكرية ،ضمتها إلي رأسها ،دافنة وجهها فيها وهي تشهق باكية تحدثه من بين شهقاتها

"لم يا يحيى كيف هنت عليك تتركني هكذا لا يا يحيى أنا لن أستطيع لن أستطيع يا يحيى كيف كيف سأتنفس بدونك والله لا أقدر كيف طلبت مني أن أصمد لم تكن قاسياً هكذا أبدا ً لقد كنت أتنفس بك "

ظلت تبكي طويلاً حتى هدأت وتيرة بكاءها ،لكن نيران الفقد والجزع تنهش قلبها وجسدها وروحها كلها بأكملها ،حاولت أن تسيطر على نفسها حتى لا تبكي مجدداً وهي تستغفر سراً مما قالت وظلت تهمس بالحمد ثم استقامت ودخلت الحمام كي تتوضأ وتصلي ركعتين ، وضعت فيهم ثقلها وهي تبكي بين يدي الله تدعوه أن يُلهمها الصبر وتدعو له ثم سلمت من الصلاة وارتدت سريعا عباءة خارجية بيضاء اللون كانت إحدى هداياه لها من الحج رغم أنها كانت تحج معه حينها دمعت عيناها وهي تتذكر رده عليها وقتها :_

«حتى لو أنتِ معي كيف لي أن أجلب الهدايا ولا تكوني أول مالكيها »

مسحت دموعها وهي تلف حجاباً أبيض اللون أيضاً وارتدت حذائها وخرجت إليهم

وجدت أختيها يجروا عليها فسألتهم همساً عن وائل وأخيها ردوا عليها أنهم بالشرفة يقوموا باتصالاتهم .

أومأت برأسها وتجاوزتهما إلى الشرفة دخلت عليهم ووجهت نظرها إلي وائل سألته بثبات:_

"متى سيصل الجثمان ؟"

"بالصباح سنصلي عليه الظهر إن شاء الله "

رد عليها مختنقاً فاختنقت بالبكاء هي الأخرى وسألته مرتجفة :_

"هل تأذى كثيراً يا وائل هل تألم ؟"

وكأنه كان ينتظر سؤالها فدخل في نوبة بكاء عنيفة شاركته إياها حتى ضمها أخيها إلى صدره بقوة يربت عليها

بعد فترة كانت تمسح عينيها واستغفرت سرا وقالت:_

"أريد أن أراه ، أقسم عليكم ألا يُدفن حتى أراه"

وكان لها ما أرادت ودبر لها وائل الأمر ورأته وفور أن كشفت وجهه انخرطت في البكاء بعنف وكأنهم ذبحوا قلبها حيا حتى أخذوها قسرا وأبعدوها ولم يتحمل جسدها كل ذلك الألم ففقدت وعيها ولم تفيق إلا بعد يومين على رؤيا منه مبتسما يعاتبها بحنانه على حزنها وأن تنتبه على أطفالهم وتظل قوية كما عهدها ومن يومها وهي تنفذ ما أراد بل تعيش هي وأطفالها وكأنه لم يغيب عنهم يوما !

عادت من ذكرياتها على دموعها التي تجري على وجنتيها وكانت منها التفاته إلى سترته جوارها على الفراش والتي لا تفارقها من يومها ولا تنام دونها ، مسحت وجهها مستغفرة ونهضت من الفراش كي تصلي قيام الليل

★★★★

تنهدت براحة وهي تحمد الله على أن رنا بعد حديثها لم تتحمل الجلسة أكثر واستأذنت وذهبت ، لا لالا هي لا تصدق هول ما سمعت فتاة من الرابعة عشر إلى عمرها الحالي ترتكب كل تلك الأخطاء ؟!

هي لا تنكر أن حياة الفتاة مليئة بالمشاكل لكن هذا لا يبرر لها أبداً

غريزتها كأنثى مثلها لا تتقبل فعل ذلك من فتاة ،اتجهت إلى المرحاض تغسل وجهها بالماء البارد عدة مرات ثم خرجت من الغرفة بأكملها ووجهتها مكتبة

مرت على مريم وسألتها:_

"مريم هل الدكتور بالداخل أم معه حالة بغرفة الكشف "

"لا أنه بالداخل لقد خرجت الحالة من عنده للتو وهو الآن يتناول قهوته"

قالتها مريم بامتعاض خفي فهي غريزيا لا تطيق هذه الطبيبة

أومأت مادلين برأسها وهي تدخل مسرعة دون حتى أن تطرق الباب

رفع رأسه بدهشة يرى من دخل دون استئذان هكذا فوجدها مادلين لمعت عينيه بتساؤل وهي تجلس على المقعد أمامه فسمعها تقول بسرعة:_

"شهاب أنا أريد أن أستفسر منك عن شيء هام "

أومأ برأسه وقال بحزم :_

"حسنا تفضلي لكن ...."

صمت قليلا وأردف بتحذير لبق:_

"لا تدخلي أبداً مرة أخرى هكذا دون طرق الباب يا دكتورة"

امتقع وجهها بالإحراج رغما عنها فقال بعملية مبتسما كي يرفع عنها الحرج :_

"والآن يمكنك الاستفسار عن هذا الشيء الجلل "

اعتدلت في جلستها وهي تقول شارحه :_

"إنها حالة عندي أول مرة أقابل مثلها ومنذ أن استمعت إليها وأنا ساخطة على نفسي لشعوري بالنفور والاشمئزاز فدوري كطبيبة يحتم علي خلاف ذلك"

أراح ظهره على المقعد وهو يبتسم ويقول بسماحة :_

"حسنا أنتِ تقولي أنها أول مرة تقابلك فمن الطبيعي أن يحدث معك ذلك وبخلاف أنكِ طبيبة فأنتِ إنسانة قبل كل شيء تُخطئ وتُصيب"

أومأت برأسها وقالت :_

"حسنا أريد أن أخذ رأيك بالحالة كي توجهني "

ابتسم مشاكساً:_

"من يرى ارتباكك الآن لا يقول أنكِ دكتورة مادلين ذات الجرأة والثقة العالية بنفسها "

ابتسمت وسألته بعملية :_

"هل مرت عليك من قبل حالات لأشخاص علتهم Sex movies و Masturbation"

استند بمرفقية على المكتب أمامه وهو يقول:_

"نعم كثير هنا وبالخارج وحضرت مؤتمرات كثيرة لحلها أيضاً"

سألته بتركيز:_

"وهل يعد إدمان فعلاً؟"

"حسناً يا مادلين ليس كل إدمان هو إدمان بالمعنى الحرفي ،أي مخدرات وكحوليات وهكذا..."

فكما عرفت Nora Volkom الإدمان هو :_

«انتقال عصبي حيوي كيميائي لمجرد تجربة عشوائية لسلوك قهري إلزامي يُدخل الشخص في حلقة إلزامية مُحكمة، تُفرض سيطرتها وقوتها عليه ولذا يكون صعب التخلص منها »

اعتدل بجلسته وأردف :_

"وقياساً على ذلك فنعم الـ sex movies و Masturbation هم تحت بند الإدمان "

صمت لدقائق وأردف:_

"بل قد تصل خطورته وأثارت السلبية في بعض الأحيان إلى درجة أخطر من المخدرات لأنه مدمر لخلايا المخ"

قطبت بين حاجبيها وقالت برهبه :_

"يا إلهي شهاب لأول مرة أشعر أني لست قدر الحالة "

ابتسم قائلا ببساطة :_

"بالعكس يا دكتورة الموضوع عليگِ كطبيبة أبسط مما تتخيلي وعلاجه أسرع من إدمان الكحوليات فطالما أن الشخص يريد ذلك إذا داخله نظيف رغم كل شيء"

صمتت ولم ترد فقال:_

"حسناً إذا كنتِ حقاً لا تتقبلين الحالة يمكنك تحويلها لي "

ردت بعملية:_

"الأمر ليس هكذا أنا لا أنكر الفعل شهاب ، أنا أنكر أن من يفعله فتاة "

"فتاة حقاً ؟"

أومأت مادلين برأسها وهي تقول :_

"أنا أنكر الفعل عامةً لكن أن تفعله فتاة فهو غير مقبول بتاتاً بالنسبة لي "

دلكت جبهتها وأردفت بجرأة عملية :_

"قد أحاول أن أتفهم الذكور في فعل ذلك ،فطبيعتهم الفسيولوجية لديهم طاقة مكبوتة ويلجئون لتلك الطرق لإخراجها أما الفتاة فهي لا تحتاج لذلك بل هي الطرف المعطي في العلاقة وفسيولوجية جسدها لا تحتاج لتلك الأفعال المشينة شهاب"

قطب و أجفل من جرأتها لكنه رد بعملية :_

"حسنا لكن هذا لا يبرر لهم كونهم ذكور.

هناك رياضة وطرق أخرى كثيرة غير ذلك كما أنه تبعا لشرحك أنها فتاة فهذا يسهل عليها الخروج من ماهي فيه ويسهل عليكي التعامل معها"

"شهاب أنا لا أبرر لهم أنا أقول ما الذي قد يدفعهم لذلك لكن فتاة ما الذي قد يدفعها ؟ ولا تقل لي الوحدة والملل رجاءاً "

صمت قليلا ثم قال:_

"حسنا قد يكون الهروب ،قد تكون اتخذت من ذلك وسيلة للهروب من الواقع "

مط شفتيه وأردف بحزم:_

"بالطب النفسي ليس هناك فتاة أو شاب يا دكتورة بالطب النفسي هناك حالة ، مريض بحاجتنا لمساعدته ،مركزنا بالأساس اسمه «hold my hand» لِتمسك بيدي ، يعني أن انتشل المريض من ما هو فيه أياً يكن هو جنسيته ، نوعه ،ديانته لا تفرق معي"

أومأت برأسها دون رد فكرر :_

"حسنا أكرر عليكِ إذا كنتِ لستِ قدرها فلأخذ هذه الحالة "

لمعت عيناها بالتحدي وهي تقول بغنجها الفطري:_

"تحلم شهاب هي حالتي أنا"

ابتسم باسطاً كفيه وقال:_

"إذا لنعود لحديثنا عن الحالة "

أومأت برأسها فقال بعملية وهو يناولها كتاب في يدها

"خذي هذا المرجع سيساعدك "

أخذته منه فسأل باهتمام :_

"هل الفتاة أتت من تلقاء نفسها أم أن أحد من أهلها اكتشف ذلك وجلبها وهل هي مراهقة أم لا "

"لا الفتاة أتت من تلقاء نفسها وليست مراهقة هي شابة بالعشرين لكنها بدأت الأمر وهي مراهقة في عمر الرابعة عشر "

أومأ برأسه متفهما وسألها:_

"حسناً هل هي متزوجة لذا أتت ؟"

هزت رأسها نفياً وقالت:_

"لا ليست متزوجة هي تبكي نادمة وتريد أن تتخلص تقول أنها كلما تترك تعود ولا تستطيع الخلاص"

أومأ برأسه وقال:_

"حسنا من الجيد أنها وقفت لنفسها فهذه خطوة كبيرة لنتحدث عن مدمن أي شيء إباحي عامة مادلين أياً كان يُعرف هذا الشيء بمسابقة لكسر الحواجز ،ولذا المراهقون هم أكثر إدمانا ، هذا العمر يتسم بالتمرد وبالفضول والإثارة لأي شيء خارج حدود دائرتهم "

قاطعته سائلة :_

"لكن ما الذي يدفع مراهق بعمر اللعب لفعل تلك الأشياء البغيضة "

قال بسماحة:_

"الأمر يرجع للتربية مادلين والعقائد التي ترسخت به وخلاف ذلك من الممكن أن يكون تربي أحسن تربية لكن غفل أهله عنه في فترة من الفترات فلجأ لذلك لكسر الملل مثلا لكن مع الاسف حتى إذا عادت حياته لطبيعتها ،بعضهم لا يترك هذا الفعل فقد تكون قدمه انزلقت تماماً ومن المؤسف أن هذا الأفعال تستحوذ على الذهن فلا يكون هناك مجال للتفكير أو العطاء

حتى أنها تؤثر على دراسته، الجانب الديني علاقته بأصدقائه فقد يصبح انطوائي والكارثة الكبرى علاقته بشريك الحياة

لكن كي أصارحك بداخلي فأنا ألوم الأهل على تلك النقطة أكثر لدرجة تصل إلى القسوة عليهم "

"ولما؟ من يفعل ذلك يكون الأمر سري تماما"

سألته بتركيز فنقر بسبابته على سطح المكتب أمامه وقال:_

"حسنا سري صحيح لكن يا دكتورة لما أسمح لابني أن يقوم بفعل سري ؟ لما لا أصادقه وأكون أقرب من أي أحد إليه

لما أجعله يخاف مني ؟ فيلجأ لسرية؟

لما أدلله وأشبعه دلالاً؟ خاطئ دون أن أزرع به الصواب والخطأ والحلال والحرام !!"

"لما لا أشغل وقته واشبعه حناناً واهتمام كي لا يلجأ لذلك فأغلبهم يلجئون لذلك أيضا افتقادا للعاطفة والإهتمام،فيكون جوعهم العاطفي كبير "

كما أنني أتساءل

"حسنا أنا ربيت ابني أحسن تربية لكن هذا معناه ألا يُخطئ؟ أن أتركه يفعل ما يحلو له وحُجتي أني أثق به ؟

لما لا أتابع دائما من هم أصدقائه وأُسرهم،

أتابع دائما ما يبحث عنه على الإنترنت ، ما يشاهده على التلفاز ودون أن يشعر هو بذلك حتى لا يظن أني أراقبه وأضيق الخناق عليه ،أفعل ذلك من أجل حمايته وتوعيته

وليس ضربه وإهانته متحسراً على تربيتي وأنا المخطئ من الأساس!!"

"ستكون أباً رائع"

قالتها مادلين بانبهار فابتسم ولم يرد

قطبت بين حاجبيها وسألت :_

" لما أشعر أنك تبرر شهاب ؟"

ضحك وقال:_

"أقسم أبداً أنا لا أبرر بالتأكيد من يفعل ذلك يكون مخطئ لكن أحب أن أعترف بخطئي جميع الأطراف وبالذات في نقطة الأبناء وتربيتهم ووعيهم وبمناسبة ما نتحدث عنه

هل تعلمين يا دكتورة ؟"

"أن حوالي أربعين مليون بالمائة في امريكا من البالغين بأمريكا مدمنين لتلك العادات السيئة

وأن واحد من كل خمسة عمليات بحثية على مواقع الإنترنت تكون على تلك المواقع الاباحية "

تنهد شهاب مردفاً :_

"أن ستة من كل عشر فتيات وتسع من كل عشر ذكور مدمني الإباحية"

"وأن عشرين بالمائة من الرجال اعترفوا اعترافا صريح بمداومتهم على مشاهدة تلك الإباحيات غير مدركين أن الواقع خلاف ذلك فمن يقوم بترويج تلك الإباحيات من الغرب الكافر يعتمد بها على تصدير العنف والسادية بالصور ومن الأسف أن تلك الصور تثبت بعقولهم وتبرمج مخهم "

اشمأزت بوجهها رغما عنها فقال شهاب بتحذير:_

"لا تشمئزي هكذا لا أقول لكِ كي تنفري "

نقر بسبابته على المكتب و أردف باستياء وقلق :_

"ثانية ثانية هل ظهر نفورك هذا للحالة ؟"

سألها بحدة لكنها هزت رأسها نفيا قائلة بصدق:_

"لا بالطبع لم يحدث كما أن الفتاة لم تستمر بالجلسة وذهبت سريعا قبل أن أتحدث أنا وصدقا لم أكن لأفعل "

أومأ شهاب برأسه وقال :_

"حسنا أنا أقول ذلك كي تتعلمين كيفية التصرف مع حالتك يا دكتورة "

"شهاب أنت تصعب الأمر علي أقسم لك "

شبك كفيه قائلا بعملية _

"أنا لا أُصعب الأمر عليكِ يا دكتورة يجب أن تكوني في الصورة كاملة "

أومأت برأسها تستمع إليه مستفيضاً في شرحه لها وقد ارتدى نظارته الطبية فبدى أكثر وقارا وجاذبية:_

"خطوة كبيرة إذ اعترف المريض بعلته لأن معظمهم يُصبر ذاته أنه ليس بمدمن وأنه سيتوقف على حد معين دون أن يدرك الهوة التي ينزلق بها

خطر هذا النوع من الإدمان يكون أكبر لأنه يستهلك أكبر شريحة من الناس"

لمعت عينيها وهي تتذكر أول جملة قالتها رنا "انا مدمنة"!!

عادت وانتبهت إليه بتركيز وهو يقول:_

"دكتور GaRy BRooks أستاذ علم النفس الذي درس تأثير الإباحية له مقولة شهيرة وهي :_

«إنه لأمر محزن أن اللذين يفعلون ذلك خلال هذا الصور تتم برمجتهم بطريقة يحتمل أن تظل معهم طيلة عمرهم »

وطبعا يكون من الصعب اكتشافها هو يبدو كالشخص الطبيعي

الآن تسعة من عشرة ذكور و ستة من عشر فتيات أدمنوا تلك الإباحيات قبل سن الثمانية عشر واعتادوا عليها وواحد وسبعون بالمائة منهم أخفوها بكل طريقة ممكنة حتى لا يكشفهم أحد

سألته باهتمام :_

"لكن ألا يظهر ذلك عليهم أبدا ً في أي سلوك ؟"

نقر بقبضته على سطح المكتب المصقول وقال:_

"حسنا ممكن من الانطواء، التوتر ، ضعف الشخصية ، كثرة الجلوس مع النفس لكن مع اندراج الحياة ومسؤولياتها لن ينتبه أحد لذلك فكلها أعراض شائعة قد يكون لها أسباباً أخرى "

أومأت مادلين متفهمه وسألته باهتمام:_

"حسنا وماهي كيفية التعامل مع تلك الحالات والعلاج ؟!"

"لا لقد جوعت الآن وحان وقت الغداء لم لا نكمل حديثنا في وقت آخر"

قالها وهو يقف متناولا سترته فوازته في وقفته مبتسمة وهي تقول :_

"حسنا أنا أيضاً أشعر بالجوع لم لا نتناول الغداء معاً"

"لم أخطئ حين قلت لكِ أنكِ جريئة"

قالها مبتسماً وهو يشير لها بسبابته فهزت كتفها بدلال وقالت :_

"يحق لي اسمي إذا "

"لكن اسمك ليس من سماته الجرأة أبدا ً"

قالها شهاب مبتسما وهو يضع كفيه في جيوب سرواله فسألته بدهشة :_

"هل تعرف معنى اسمي؟"

" نعم فمادلين اسم يوناني يعني المرأة الفاتنة و المثيرة، وهو منسوب إلى مدينة مجدل الفلسطينية التي تعتبر أقدم وأكبر المدن الفلسطينية، فالاسم تم تغييره من مجلدين إلى مادلين، وتتسم صاحبة اسم مادلين بالأنوثة والجاذبية والوضوح"

فغرت شفتيها قائلة بانبهار:_

"هل أنت رائع هكذا بكل شيء؟"

ابتسم متجاهلاً الرد على حديثها وقال :_

"إذا سنمر على الباقي بطريقنا كي نتناول الغداء جميعا أو حتى نطلبه هنا"

★★★★

فتح حمزة باب الشقة فابتسم فور أن رآها أمامه محاولا بقوة أن يكتم ضحكاته على شكلها فهو مجرد أن فتح الباب وجد نهى ترفع رأسها مبتسمة إلا أنها أول ما رأته انحسرت ابتسامتها ،وفتحت عينيها على اتساعهم وكأنها رأت شبحاً ،حتى أنه يقسم أنه لمح الدموع بعينيها قبل أن تحمر وجنتيها بشدة وتخفض رأسها خجلاً

تنحنح مسيطرا على ضحكاته وقال:_

"مرحباً نهى هل تريدين رنا ؟"

هزت رأسها بقوة دون أن تنظر له ففلتت منه ضحكة خافتة رغماً عنه جعلتها تتقهقر خطوة للخلف

تنحنح متراجعاً للخلف وفتح باب الشقة على اتساعه يدعوها للدخول

قائلاً:_

"تفضلي رنا بغرفتها س..."

قبل أن يكمل جملته كانت تفر من أمامه متجهة إلى غرفة رنا التي على الجانب الأيمن ودخلتها وأغلقت الباب خلفها سريعا ً

غرق في نوبة من الضحك متعجباً ،ما بها هذه الفتاة يا إلهي هو لن ينسى أبدا ً المرات التي أتت فيها إلى العيادة وكأنها تذهب إلى الموت وليس الفحص !

لقد مر عليه كثير من الفتيات يعانون من مشاكل أمراض النساء لكن لم يجد من هي في خجلها هكذا أم لعله بسبب أنه خال صديقتها !!

ترآى له شكلها قبل دقائق وهي تقف محمرة الوجنتين ترتدي حجابا وردي لفته بلفة أنيقة لاءمت وجهها الممتلئ ،ترتدي فستان خريفي من اللون الأبيض يظهر قوامها الممتلئ بعض الشيء لكنها كانت جميلة ،مبهجة ،ودبدوبة ....

نفض عن نفسه أفكاره وهو يغلق الباب متمتما بحنق:_

"ما بالك يا حمزة هل وصفتها بالدبدوبة للتو !"

ارتسمت علي شفتيه ابتسامة عابثة متمتماً:_

"دبدوبة قصيرة بعض الشيء بوجه أبيض ممتلئ
وعينان بنيتان شديدتي الجمال !!!!"

ويبدو أنها لم تكن المرة الأولى التي يتأملها بها

★★★★

للمرة الألف التي يرن بها هاتفه برقمها وهو لا يرد عليها

أغلق الهاتف وألقاه بلامبالاة، لا يدري ما الاختناق الذي يجثم على صدره ولم؟ أليست هي هنا حبيبته حب العمر وعشق الصبا لما لم يكن سعيداً معها بالأيام الماضية وكأن شرارة الحب بينهم انطفأت؟ أكان يلهث وراء سراب ؟

حتى رغبة الانتقام الدفينة بداخله أصبحت باهته أمام تفكيره بأخرى أبكاها ولم يراها منذ عدة أيام ،تُرى كيف حالها وحال طفله الآن

هم لم يغيبوا عن أعماقه ولو للحظة وذلك يزيد من اختناقه وكأنه أصبح شخص ذو انفصام بجدارة

لم؟ لم يعد قلبه يدق كما السابق مع هنا بل أصبحت دقاته رتيبة مملة فور أن عادوا أحباء .

انطفأ الشغف وحل الجليد ،جليد فقط يغلف قلبه ناحيتها بل وأحياناً يشعر بالاختناق كما الآن فلا يريد سماع صوتها

زفر بضجر وهو يتناول سترته سريعا متجها إلى الخارج وقد قرر أن يعود !

بعد منتصف الليل كان يصف سيارته بالمرآب ،نزل منها واتجه سريعا للأعلى من السُلم الخلفي حيث شقته حتى لا يقابل أحد الآن .

هو لا يحتاج الآن سوى أن يراها ويتحدث معها هي فقط ،يدفن نفسه بين أحضانها ويشتكي لها من نفسه ،نعم ريم ستتفهم ،لطالما تفهمته واحتوته وهو الآن يحتاجها أكثر من أي شيء

مجرد أن فتح باب الشقة ،صفعه الجليد المخيم عليها وتلفقه الظلام الذي انتشر إلى روحه الموحشة منذ أن تركهم .

مد يده وفتح الأنوار بتوجس ،يقلب نظره في أنحاء الشقة الخاوية بقلب خافق

اتجه ببطء إلى غرفة نومهم يفتحها بهدوء وتسمر مكانه جازعاً.

أين هي لم ليست بفراشهم ،خرج مسرعا إلى غرفة تميم وجدها فارغة هي الأخرى فاتجه مسرعا إلى خزانتهم يفتحها وتراجع مصدوما حين وجدها فارغة ،تهالك جالسا على الأرض يفك أزرار قميصه وهو يشعر بالاختناق وأن ثمة شيء يجثم على صدره يمنعه من التنفس

كرضيع فقد أمه وهو يتلمس طريقه لأحضانها هل رحلت من حياته ؟كيف تفعل به هذا؟ كيف هان عليها؟ هكذا ،ابتسم بسخرية محدثا نفسه :_

"وماذا كنت تنتظر ألا يكفيها نقصك وعاهتك وتأتي وتصفعها متبجحاً يا فالح !"

سمع صوت الجرس فأسرع بلهفة يفتح الباب لكنه تراجع ببؤس حين وجده شهاب ،كيف عرف أنه هنا؟

دفعه شهاب بظهر يده ودخل قائلا بجمود :_

"اغلق الباب وتعالى نتحدث"

يجلس أمام شهاب مخفضاً رأسه ،لا يريد الحديث ولا الجلوس مع أحد ،يريد فقط الاختلاء بنفسه

رفع رأسه ولمعت عيناه بالغيرة حين سمع شهاب يقول:_

"لقد كنت عند زوجتك اليوم ،تميم حالته النفسية سيئة للغاية"

حك شهاب ذقنه بيده مبتسما بسخرية وقال:_

"الغيرة بعينيك الآن تستفزني كي أشمت بك لكن هل ستتهمني بالنظر لامرأتك كما اتهمت أخاك"

أطرق برأسه إلى الأسفل وهو يشعر بالخجل من نفسه ،نعم هو إلى الآن لا يدري كيف سيواجه خالد بعدما قال ،صحيح أن خالد تجاوز في حديثه معه لكن هذا لا يعني أن يتهمه بأنه ينظر لامرأته

رفع نظره إلى شهاب مرة أخرى حين قال بسخرية:_

" ولقد علمت من ابنة عمتك أنكم عدتم متحابين مبارك يا أبا تميم "

رفع عيناه وسأله بوجل :_

"كيف عرفت بالأمر "

"إذا هو صحيح"

قالها شهاب بتهكم وأردف :_

"فقط كنت أحذرها من الطريق الذي تسير فيه معك وأن الأكثر ضرراً ستكون هي وأن تتحلى بالكرامة فلا تسعى للصداقة مع رجل متزوج حتى لو لم يكن هو بالحزم الكافي ليمنعها من تلقاء نفسه ،لكنها أجابتني متبجحة أنكم عدتم أحباء وأنك أنت من سعيت لذلك إذا ً هنيئاً لك يا أبا تميم"

تأمل شهاب ملامحه الشاحبة لكنه لم يرأف به يقسو عليه هو يعلم لكنه يستحق ،عبدالرحمن ليس بالغر الصغير

بعد فترة من الصمت تنهد شهاب وقال بأسف :

"أتذكُر كيف كنا أقرب لبعض من أي أحد ،لم تكن تخفي علي شيء أبدا ً حتى ونحن بالجامعة ،كنت أنا بالطب وأنت بكلية التجارة و تنتهز فرص أوقات الفراغ المتفقة لدينا حتى نكون معاً ،لم تكن يوماً علاقتنا كابن أخ وعمه بل كانت علاقتنا كالإخوة أقرب منها للصداقة"

"شهاب أنا متعب حقاً متعب"

همسها عبد الرحمن بإنهاك وهو يريح ظهره على المقعد وراءه فتنهد شهاب وقال:_

"حسنا يا بن أخي أنا أستمع إليك تكلم وبرر لنفسك"

قص عليه عبدالرحمن كل شيء وكأنه يزيح عن كاهله ثقل لا يعلم ما هيته

بداية من حديثه مع هنا يوم عودته من السفر حتى الأمس وتناولهم الغداء معاً"

أردف بإنهاك ونبرة يائسة مختنقة :_

"صدقا يا شهاب لم أكن سعيد أبدا ً أقسم لك ،شعرت وكأنني كنت ألهث وراء سراب ،لا أعلم كيف خانتني مشاعري هكذا كنت أظن أني مازلت باقٍ على حبها ومجرد أن أصبحنا معاً أدركت مدى خطئي "

فلم يكن أبدا ً اشتياقي لها بل كان لنفسي القديمة معها ، نعم لا أخفي عليك انتابني كثيرا شعور بالحنين لكن أبدا ً لم يكن لها بل لما كان بيننا ،لقد كنت شاهداً يا

شهاب على ما كان بيننا لم يكن مجرد حب مراهقة لابنة عمتي لقد كنت أحبها صدقاً"

نعم هو يدرك كل ذلك ،بل حتى هو يتفهمه أكثر من نفسه دلك جبهته وقال:_

"مشكلتك يا عبدالرحمن أنك سلبي ،مجرد أن تركتك هنا ،عشت دور البائس وأغلقت على نفسك في قوقعة حتى عندما أصر والدك على زواجك من ريم ،جادلته لا أنكر وحاولت الاعتراض لكنك بالأخير ،رضخت له وتزوجتها وأغلقت على جرحك دون أن تداويه بنفسك لذا حين ظهرت هنا مرة أخرى ،استمريت أنت بدور البائس وأن جرحك فُتِح مرة أخرى دون أن تدرك أنه التئم منذ زمن على يدٍ شافية كزوجتك ،لا ولم يقتصر على ذلك فقط بل كنت تنتشي بغيرة هنا من زوجتك ليس حبا فيها أعلم بل انتقاماً منها لكن ليس برجل من يستغل زوجته في إثارة غيرة امرأة أخرى يا بن البرعي"

"شهاب"

قالها عبدالرحمن بحدة فقاطعه شهاب مردفاً بحزم :_

"لا تجادلني واستمع إلي ،أنت تعلم جيداً أن حديثي صحيح وأنه يلمس أعماقك الآن هل من الممكن أن تقل لي لما تركت زوجتك البيت بعد كل تلك السنوات "

ابتلع ريقه بصعوبة محاولاً أن يتحدث فمنعه شهاب قائلا:_

"لا داعي يا عبدالرحمن أنا أعلم كل شيء "

"تعلم!!!"

قالها بدهشة فأومأ شهاب برأسه وقال:_

"زوجتك تطلب الطلاق يا عبدالرحمن "

هل لكمه شهاب في معدته للتو أم ماذا؟!! ،هل أخبره للتو أن ريم تطلب الطلاق أم أصابه عطل في أذنه !

ضياع ،ضياع هو ما رآه شهاب في عينيه الآن وهو جالس أمامه وكأنه لم يتوقع أبدا ً منها ذلك

استقام شهاب واقفاً وقال:_

"سأتركك تستوعب صدمتك الآن جيدا كي تفكر ما هي خطوتك التالية

أما أنا سأسافر الآن كي أذهب لأنس بن عمك أرى ماذا حدث معه هو الآخر أقسم أنكم كالمصائب فوق رأسي..

★★★★

يقفوا مع والدتها أمام الباب تودعهم بعد أن قضوا اليوم معها وها هو مشهد العشق الممنوع بين والدتها وحسن

فهي تحتضنه منذ عشرة دقائق ولسانها لا ينقطع عن ترديد:_

"يا ابني يا حبيبي سأشتاقك إياك ألا تأتي إلي بعد عودتكم مباشرة ،وإذا فعلت مقصوفة الرقبة شيء يزعجك فقط قل لي "

لوت شفتيها بتذمر وهي تنظر لهم بشرر وقالت:_

"أمي إنه يوم بليلته وسنعود كما أنه بالله عليكي من التي ابنتك أنا أم هو "

التفت إليها والدتها وقالت :_

"اخرسي يا مقصوفة الرقبة أنتِ، هو بالطبع ابني حبيبي "

لعب حاجبيه لها بعبث وأخرج لسانه دون أن ترى أمها فقالت بحنق:_

"انظري المراهق خلفك ماذا يفعل إنه يُغيظني بحديثك "

التفتت إليه والدتها مبتسمة تربت على كتفه فقبل رأسها بحب وهو يشعر أن تلك المرأة الطيبة عوض الله الحقيقي عن أمه

ربتت على كتفه بحب ثم استدارت لها مرة أخرى توكزها في كتفها قائلة :_

"لقد حظيتي بزينة الشباب يا فتاة ،ضعيه بعينك وإياكِ أن تُغضبيه "

وبعد وصلة من السلامات والنصائح ها هي الآن جواره بالحافلة ذاهبين إلى الإسكندرية كما طلبت منه فهي اختنقت من الدراسة والامتحانات، فبعد قُبلته لها وهو لا ينفك عن التقرب إليها بشتى الأشكال ،يستيقظوا سويا ويصلوا معا ثم يحضرون الإفطار في جو لا يخلو من مشاكساته وحنقها ويتركها ويذهب إلى عمله ثم يعود بكيس كبير من المسليات التي تحب ، يساعدها في وضع الطعام الذي أحضرته بغيابه ورغم أنه يكون طعام بسيط على قدر استطاعتهم المادية إلا أنها تشعر من يده حين

يُطعمها وكأنه الشهد ثم يؤدون فرضهم ويجلسون سوياً يشاهدون التلفاز يحيطها بذراعه مستندة على كتفه وهي تأكل المسليات حتى يأتي وقت النوم يأخذها بين ذراعيه ولا يسمح لها بالاعتراض وهي التي كانت لا تحب النوم جوار أحد أصبحت لا تستطيع النوم بدونه.

لا تعلم ماذا فعل بها ؟

تشعر وكأنه أصبح محيطها الثابت الذي تدور فيه ،ولا تريد التحرر أبدا ً.

بعد عدة ساعات قضوها في النوم في الحافلة ها هم الآن بغرفتهم في فندق بسيط حجزوا به

صفقت بيديها فور أن دخلوا إلى الغرفة بسيطة الأثاث وقالت :_

"إذا هيا نبدل ملابسنا كي ننزل إلى البحر "

مسك أذنه بإصبعيه وقال:_

"نعم هل ما سمعته صحيح؟ هل هناك نون طائشة سمعتها أم أنني أهذي ؟"

نظرت إليه بشرر وقالت :_

"حسن ماذا تقصد ؟"

نظر حسن لها ببراءة وقال:_

"تقولي ننزل إلا أنه ليس هناك نزول للبحر لكِ"

"حسن معي ثياب البحر للمحجبات"

خبط كفيه ببعضهم قائلاً بلهجة هادئة لكنها قاطعة :_

"لا محجبات ولا غيره بالله عليكي تنزلين به البحر ثم تخرجين وكأنكِ خلعتيه بالماء وخرجتِ"

احمر وجهها رغما عنها من الغضب والخجل في آن واحد و تخصرت قائلة بغيظ :_

"إذا ماذا كانت خطتك حين أتينا إلى هنا ؟"

فرد حسن كفيه وقال:_

"تجلسين على الشاطئ كأي زوجة اصيلة تنتظريني إلى أن أسبح ثم أعود وأجلس جوارِكِ"

لوت شفتيها متبرمة وهي تضع يدها بخصرها وقالت:_

"نعم يا نور عيني ولم لا أضع لك كريم الواقي من الشمس بعد خروجك بالمرة "

لمعت عيناه بعبث واقترب منها هامساً بخفوت :_

"حسنا لا مانع لدي "

احمر وجهها الصغير وهي تسب نفسها ودفعته من كتفه متجاوزة إياه إلى الفراش وجلست عليه غاضبة تزم شفتيها كالأطفال

ابتسم رغماً عنه فهو يحب مشاكستها دائما ، اقترب منها وجلس جوارها مقلدا لهجة والدتها وهو يقول:_

"كوني مطيعة يا فتاة واستمعي إلى زوجك"

عضت على شفتها كي لا تضحك لكنه التقط ابتسامتها فاقترب منها حتى أحاط كتفها بذراعيه وقال بعبث :_

"إذا أنتِ غاضبة لأنك تريدين نزول البحر "

حركت ملك رأسها في غضب فقال بخبث:_

"لي شرط"

رفعت عينيها إلي عينيه تسأله بأمل:_

"وهو ؟"

رسم البراءة على وجهه هامساً بخفوت :_

"فقط قبلة"

الخبيث، الوقح، العابث ال.... همسات لنفسها بحنق لكنها رسمت البراءة في عينيها وهي تهمس برقة :_

"حسنا أغمض عينك"

نظر لها حسن بدهشة وقال بتوجس:_

"حقا بهذه السرعة !"

أومأت برأسها فأغمض عينيه بحماس إلا أنه سرعان ما صرخ شاتما وهو يشعر بعضتها على وجنته وبدورها استغلت ألمه وصدمَتُه وفرت منه راكضة إلى باب الغرفة وقبل أن تفتح الباب وجدت يده تسبقها إليه

"حسن حسن أنا آسفة أقسم لك كنت أمزح"

قالتها وظهرها له تقف على رجل وتحني الأخرى تغمض عينيها في بخوف

ابتسم حسن رغما عنه إلا أنه قال بجدية مصطنعة:_

"هل يصح ما فعلتيه ملك؟"

استدارت إليه بخجل تضم كفيها إلى ذقنها وتقفز على رجليها تقول بسرعة:_

"آسفة آسفة والله كنت أمزح"

"حسنا راضيها"

قالها وهو يدير لها نصف وجهه مشيراً على وجنته بسبابته ببرود فردت ببلاهة:_

"من هي؟"

"وجنتي قبليها"

قالها بجدية مكتفا ذراعيه

"حسناً"

همستها ببؤس خجول وهي تستند على كتفه ،ترتفع على أطراف أصابعها كي تقبله لكنه أدار وجهه سريعاً يُلاقي قبلتها وقد حصل بالأخير على ما أراد !!

بعد نصف ساعة كانوا معاً واقفين على الشاطئ يتناقران فبصعوبة وافق أن تنزل البحر بملابسها شرط أن يصعد قبلها ويجعلها ترتدي عباءة سمراء كالمعطف على ملابسها المبللة قبل خروجها

ردت بتذمر:_

"حسن بالله عليك الشتاء اقترب لذا لا يوجد بشر على الشاطئ كثيرون"

"هذا شرطي وإلا فلا نزول "

ضربت رجلها بالأرض في غيظ ثم انحنت تلقيه بالماء فبادلها وظلوا يضحكون سويا وقلوبهم تشاركهم الضحك

بعدما بدلوا ملابسهم وعادوا للشاطئ مرة أخرى كان هناك عدة أطفال يلعبون الكرة سويا باليد وجد عينيها تلمع وهي تنظر لهم ثم التفتت إليه مرة أخرى

غمزها بعينيه وأخذها ليلعبوا معهم وبالنهاية فاز فريقه هو وهي فتعلقت بعنقه ضاحكة ،لفها بذراعيه يدور بها وعندما أنزلها تعلقت عينيهم ببعض في حديث شاركتهم به دقات قلوبهم

ليلاً

تجلس على الفراش تهاتف والدتها ،بينما هو بالمرحاض

انتبهت على صوت والدتها تنصحها:_

"ارضيه ،وإياكِ أن تغضبيه ،عساه أن يكون طريقك للجنة ، الرجل عيناه تلمع حين ينظر إليكِ يا فتاة فإياكِ أن تُطفئيها وإلا غضبت أنا عليكِ "

"أمي ماذا فعلت أنا لكل هذا "ردت على والدتها بتذمر

فأتاها صوت والدتها قائلة بتشديد:_

"كفاكِ دلالاً على الرجل يا ابنة بطني أنتِ تفهميني جيداً، لا خجل بين الرجل وزوجته ،اغلقي عقلك فأفكارك من وساوس الشيطان وافتحي قلبك الذي أصبح هانئاً بجواره"

أبصرته خارجاً من الحمام ،فأغلقت مع والدتها واعتدلت في جلستها تتأمله وهو يمشط شعره ،فغمز لها في المرآة قائلا بعبث:_

"عيناكِ تشي بحقدك على شعري "

استقامت واقفة تتجه إليه ووقفت جواره تحدثه عبر المرآة:_

"لن أنكر بعد اليوم ،شعرك يثير حقدي "

"فكي تلك الكعكة اللعينة التي تلفين بها شعرك وكأنكِ تعذيبه وستكفي عن حقدك "

نظرت له بغيظ وهي ترفع ذراعيها تفك شعرها كما قال فانسدل حول كتفيها بتعرجاته اللامعة

التفت إليها مبتسماً وهمس :_

"تبدين جميلة ،انسدال شعرك حول كتفيكِ ،زادكِ شقاوة
"

"حقاً !"

سألتها بلهفة جديدة عليها وهي تستدير لتواجهه

فأومأ برأسه مقترباً منها ،يحيط كتفها بذراعيه وهمس :_

"ألا ترين نفسك ؟"

أدارت ملك رأسها في المرآة وقالت :_

"خمرية البشرة عادية ،بنية العينين ،متلائمة الملامح لا أجد شيء به حُسن"

اقترب منها حتى اختلطت أنفاسهم ،ومرت عيناه على ملامحها بتمهل مُخللاً يديه بين خصلات شعرها هامساً:_

"بل بشرتك خمرية لامعة بها بعض الحبوب دعوة للنظر عيناك بنيتان تدمنينها كالقهوة بهما من العبث والشقاوة ما يأسران القلب دون قصدٍ منكِ"

اقترب أكثر هامسا بنبرة ممتلئة بالعاطفة :_

"ليس بها شيء من الحسن؟! بل كل الحسن ِ يا شقية كل الحسن"

تاهت به وغرقت دون نجاة، تتحد أرواحهم معاً غامراً اياها بين ذراعيه يسقيها عشقه الوليد دون كلام ،

عشقٍ بطعم النبيذ بحلاوة القمر ونعومة الورد

وقد أصبحت زوجته قولاً وفعلاً وموضوعاً

★★★

يقول النبي في الحديث الصحيح تنكح المرأة لأربع:_ لمالها، ولجمالها، ولحسبها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك

وهي ابنة حسب ،ابنة نسب وذات دين

هي امرأة بألف رجل لذا أسرته ،مزيج الخجل والجرأة بها يميزها برونق خاص ،تعرف متى تُشهر سلاح جرأتها ومتى تُسبي بخجلها، جذبته منذ الصدفة الأولى لتكون قدره!

ارتدوا المحابس منذ أيام في جو هادئ نظرا ً لظروف البيت عِندها ،جميلة بل فاتنة ،وهج متفجر من الأنوثة بهجة للعين تجلس أمامه الآن بملامح حزينة شاردة

°°°

نقر بسبابته على الطاولة وسألها :_

"فيما أنتِ شاردة غدي ؟"

أجابته بحزن:_

"في أنس لقد ترك البيت منذ يومين ولا أعلم أين ذهب كما أنه لا يرد على الهاتف

حك ذقنه بيده وقال بهدوء:_

"اتركيه غدي على راحته ،ما مر به ليس سهلاً أبداً، يكاد يخسر امرأته ومِن ما شهِدت فهو يحبها حقا ً"

رفعت عينيها الجميلتين إليه وقالت بحزن:_

"بل يعشقها يا عمر ، لقد ظل سنين جامعته كلها يحاول أن يخطبها ووالدها كان رافضاً متعللاً بدراسته وأنه لا يعمل لم تكن معه بنفس الكلية لكن ربما صدفةً ما جمعتهم ،بعدما أنهى أنس كلية الهندسة وعمل في شركة تقدم لها مرة أخرى لكن والدها رفض أيضا لأنها لم تكن أنهت دراستها وظل هكذا كلما يتقدم لها ،يرفض والدها إلى أن وافق أخيراً ولا أنكر لقد فعل الرجل كل اختبارات العالم لأنس كي يرى هل يستحقها أم لا حتى بعد زواجهم إلى أن علِمنا بخبر عدم قدرتها على الإنجاب ،أصر الرجل على الطلاق لأنه لن يوافق أبدا ً

أن يتزوج عليها أنس لكن أنس تصدى له بكل قوته أما هذه المرة الأمر معقد الرجل لا يقبل الجدال أبدا ً أما الطلاق الودي وأما القضية ،الأيام الماضية كان أنس يقضي ليلته تحت منزله يحاول أن يتحدث معه لكن لا حياة لمن تنادي "

رفع عمر أحد حاجبيه متعجباً من تعنت الرجل وسألها بحيرة :_

"وهل الرجل لا يرى ،عذرا أنا أراها حجج يا غدي هذا الرجل أناني ،أخيكِ ظل معها أكثر من ثلاث سنوات لو كان يريد الزواج كان فعلها "

هزت كتفيها بقلة حيلة دون رد فسألها :_

"ماذا تريدين أن تشربي؟"

"لا بأس من عصير الفراولة "

"تُشبهك "

قالها بتغزل وهو يتراجع مستندا على مقعده بعد أن طلب لها ما تريد وطلب لنفسه قهوة

سألته غدي بحيرة:_

"ما هي؟"

أسر عمر عينيها هامساً بنبرة خاصة :_

"الفراولة"

توردت وجنتيها لكنها ردت بجرأة:_

"عمر لا تتحدث معي هكذا "

حرك كتفيه مبتسماً بعبث وقال :_

"ماذا قلت أنا الآن؟!"

أتى النادل بالمشروبات ووضعها أمامهم فتنحنح عمر سائلاً:_

"حسنا هل جربتي أن تتحدثي مع زوجة أخيكِ؟"

أومأت برأسها قائلة:_

"نعم لقد ذهبت إليها لكني وجدت واحدة أخرى ذابلة تجلس شاردة وحين ذكرت اسمه بكت وأقسمت بالله على ألا أتحدث

لا أعلم كيف سيُحل الموضوع حقاً لا أعلم"

"لكني أنا أثق أن أخيكِ لن يتركها أبدا ً مهما حدث ،الرجل المحب لا يترك امرأته وأخيكِ عاشق "

همست غدي بقنوط وهي تتناول العصير:_

"أتمنى"

تنحنح جاذباً انتباهها وقال بجدية :_

"أريد أن أخبرك بشيء عني ،والدك يعلمه لكني طلبت منه أن يترك لي أن أتحدث في الأمر معك بنفسي"

أومأت برأسها و أولته تركيزها منتظرة حديثه صمت لدقائق ثم قال بهدوء :_

"لقد كنت متزوج وطلقت"

"ماذا ؟!!!!"

★★★★

جالساً بمكتبه في المركز يفكر في تلك الحالة التي عرضتها عليه مادلين.

هاجس كبير بداخله ملح عليه أن مادلين مهما بلغت كفاءتها لكنها ليست قدر تلك الحالة.

فبعدما غادرته المرة الماضية بعد حديثهم ،أخذ يبحث أكثر ويدون أفكاره حول الحالة ،لذا هاتفها ليلاً ليطالبها

بأبعاد الحالة وكيف وصلت تلك الفتاة لذلك وما الدافع فقصت عليه كل شيء وكما توقع الفتاة دافعها الهروب من الواقع لكن ثمة شيء بحديث مادلين يجعله متأكد أن مادلين ليست بقدرها !!

بكاء الفتاة كما قالت ،انقطاع الصلاة ، التوبة.....كل تلك الأشياء التي ذكرتها له مادلين جعلته يعيد تفكيره ،تلك الفتاة علاجها يحتاج العمل على الجانب الروحاني والديني جنباً إلى جنب الجانب السلوكي

وبالطبع مادلين ليست بتلك الكفاءة لا يشكك في إيمانها وتدينها لا لكن لكل مقامٍ مقال ،حتى أنه سينبهها أن تعمل على الإلمام بالأمور الدينية فهو جزء أساسي من العمل كطبيب نفسي لا يمكن التخلي عنه

طرقات هادئة على الباب رافقها دخولها مبتسمة تحمل كوبين من المشروب الساخن وتلقي عليه بغنجها الفطري تحية الصباح

أومأ برأسه ورد على تحيتها مبتسماً آخذاً منها الكوب وأشار لها بالجلوس

جلست مادلين واضعة ساق فوق الأخرى ثم سألته بابتهاج:_

"كيف حالك شهاب ؟"

"بخير وأنتِ؟"

وضعت الكوب أمامها قائلة :_

"بخير لقد قالت لي مريم أنك تريدني ؟"

أومأ شهاب برأسه وسألها بهدوء ينافي أفكاره :_

"ما ميعاد جلسة تلك الحالة التي تحدثنا عنها ؟"

قطبت بين حاجبيها مفكرة ثم إجابته:_

"غدا لم؟"

ارتشف من الكوب ووضعه أمامه ثم قال وهو يعتدل في جلسته:_

"قبلاً هل أنتِ مُلِمة بالأمور الدينية وعلى دراية بها ؟"

رفعت أحد حاجبيها قائلة باستنكار:_

"كيف؟ هل لأني لست محجبة تشكك في تديني ؟"

أشار لها بكف يده نافيا وقال مسرعاً:_

"لا أقسم لك لا أقصد هذا من أنا لأحكم بذلك؟ عساكِ عند الله أفضل مني من يدري "

لمعت عيناها بالحيرة فقال:_

"أنا فقط أسأل من أجل العمل ربما هو رأيي الشخصي كما أنه ما يقوم عليه فريق الأطباء هنا بالمركز أنه لا

هناك علاج لمريض نفسي دون الارتكاز على الناحية الدينية ، فمهما بلغت مهارة الطبيب وتفوقه في تقويم الجانب السلوكي إلا أن المريض يحتاج الى الجانب الروحاني أكثر .

يحتاج أن تدفعه دفعاً في اللجوء إلى الله والتضرع إليه فهو وحده القادر على دفعه من ما هو فيه "

استندت بوجنتها على يدها تقول بإعجاب هائم:_

"ألم أقل لك انك رائع "

ابتسم رافعاً حاجبيه ولم يرد فسألته بفضول:_

"وكيف أصبحت على دراية بالأمور الدينية "

شبك شهاب كفيه مرتكزاً بمرفقيه على سطح مكتبه وقال:_

"بالطبع لست على دراية بكل شيء مازلت في طريقي لكن ممكن أن تقولي البداية من والدي وتربيتي نشأت على حب القراءة في الكتب الدينية ومنذ ثلاث سنوات دفعني الحماس والفضول لأخذ دبلومة الشريعة في الأوقاف ومازلت اقرأ لأتعلم "

أومأت برأسها في تفهم وسألته بدهشة:_

"لا تقل لي أن كل اطباء المركز هنا درسوا مثلك هكذا "

هز رأسه نفيا متلاعبا بتحفة ما موضوعة وقال :_

"إجابتي كانت على سؤالك كيف أصبحت على دراية ببعض الأمور الدينية .

لكن بالطبع الأطباء هنا ليسوا هكذا لكن لديهم المعلومات الكافية "

أمالت رأسها سائلة:_

"إذاً ؟"

فرد شهاب كفيه قائلا ببساطة :_

"لاشئ فقط كما قلت اعملي علي نفسك للإلمام بأمور الدين وكيفية توجيه المريض لهذا الجانب العظيم وعلي كل شيء نحن معاً إذا احتاجتي لأي شيء "

أومأ ت برأسها وسألته :_

"حسنا نعود لحديثنا السابق وهو كيفية علاج تلك الحالات "

أومأ برأسه واعتدل في جلسته قائلا:_

"أول شيء، تحديد في أي مرحلة من المراحل السبع المعروفين لنا لإدمان الإباحية يكون المريض وبالطبع

هذا من خلال الأعراض التي تنتابه ومدى حاجته وتردده عليها "

دونت ما قال في دفتر ملاحظاتها التى أتت به معها وسألته باهتمام :_

"حسنا وبعد؟"

نقر شهاب بسبابته على سطح المكتب المصقول قائلا :_

"حسنا أفضل حل هو البدأ من

CoGNITiVE_BASED_THeRaPy

وهو العلاج الإدراكي فكما تعلمين أنه يعتمد على أن أفكارنا ،شعورنا،مبادئنا،مرتبطين ببعض وإذا حدث فتور وضعف في أي منهم يؤدي إلى نتائج خطيرة تؤثر على حياة المريض بشكل كامل"

ارتشف من الكوب أمامه ثم أردف :

"هذا النوع من العلاج يقوم بتركيز علي ؟

تغيير المعتقدات السلبية لمعتقدات إيجابية وذلك يجعل المريض متأكد أن ما يفعله مجرد فكرة سلبية وليست مستحيل تركها بل من السهل "

سألته مادلين باهتمام وهي تدون ما أمامها :_

"كيف تؤثر تلك السلوكيات على المريض ومن أي جهة؟"

هز رأسه متفهما سؤالها وقال :_

"حسنا بخلاف أنه إذ لم يتركها واستمر عليها فهي سبب كافي لإفساد حياته الزوجية فيما بعد

فهي أيضاً تؤثر على المخ بشكل كبير ،فالغرب يعمل على ذلك أساسا لتدميرنا وتشويشنا فهي تؤثر قطعيا على المخ "

سألته بتركيز :_

"وفيما ؟"

أومأ برأسه قائلا بعملية يشرح لها:_

"مثلا منطقة **AMYGDALA** "

ابتسم وأردف:_

"كما تعلمين تلك المنطقة هي كما نسميها كلب حراسة الجسم التي تنبهنا بأي خطر وتوجهنا للتصرف الصحيح في جزء من الثانية

لكن تلك السلوكيات تعمل على تشويشها وتؤثر عليها بالسلب"

"مثال لتشويشها يا شهاب من فضلك" سألته مادلين فتنحنح قائلا ً:_

"ينعدم تركيزه تدريجياً دون أن يدري مثلا، ربما شديد النسيان ، صداع دائم أحيانا ً يعني وهكذا"

أومأت برأسها فواصل شارحاً:_

"وأيضاً تؤثر مثلا على منطقة

NUCLEUS_ACCUMBENS

وهي المسؤولة عن نظام المكافأة للمخ الذي يفرز مادة دوبامين الناقل العصبي المسؤول عن كل ذرة سعادة يشعر بها الجسد لذا أغلب هؤلاء الأشخاص في غير

خلواتهم الخاطئة بل حتى أثناء الخطأ مصابون بالإحباط والحزن والمزاج السيء النزق "

سألته باهتمام :_

"هل نستخدم علاج دوائي لتلك الحالات

أشار شهاب بسبابته تجاهها قائلا :_

"حسنا سؤال ممتاز سأقول الآن ما يثير دهشتك وهو أن ذلك النوع من الإدمان له أعراض انسحاب وليس المخدرات فقط "

"حقا؟"

قالتها بدهشة فأومأ برأسه مبتسما وقال:_

"نعم تشمل أعراض نفسية مختلفة مثل الاكتئاب والقلق والأرق، بالإضافة للخمول وصعوبة التركيز وحتى الصداع وألم في المعدة وقد يحدث ألم بأعضاء الجسم وخصوصا الأعضاء الحسية فتكون الرغبة في أشُدها لكن هذه الأعراض مؤقتة تنتهي مع الوقت والمثابرة"

دلك جبهته وأردف :_

"لذا سنعود لنقطة العلاج الدوائي أحياناً نضطر لاستخدام بعض الأدوية في الضرورات القصوى مثلا كدواء

NALTREXONE

كي يقلل من أعراض الانسحاب عند المريض وهذا بالطبع تبعا للحالة"

أومأت برأسها وتنهدت قائلة بإحباط:_

"أتعلم أنك تُحبطني ؟"

ابتسم سائلا بحيرة :_

"ولم؟"

"كم معلوماتك ودرايتك مع تسهيلك للأمور رهيب يا شهاب رهيب أنا حقا محظوظة بالعمل والتدرب تحت يديك "

أومأ برأسه باسطا كفيه بطريقة مسرحية يقول مبتسماً :_

"على الرحب يا دكتورة "

استقامت واقفة وهي تقول:_

"لقد أخذت من وقتك الكثير سأذهب الآن "

استقام واقفاً هو الآخر ودار حول مكتبه حتى وقف أمامها وقال بجدية واضعا يديه بجيوب سرواله:_

"تلك الحالة يا دكتورة مادلين حوليها لي"

رفعت حاجباً أنيقاً وسألته بحدة خرجت رغما عنها :_

"ولم هي حالتي أساساً "

أجاب شهاب بحزم :_

"ليس هناك حالتي وحالتك هنا يا دكتورة الحالة خاصة بالمركز وكما قلت حوليها لي"

الفصل الثاني عشر

صفت سيارتها قريبا من العنوان المدون أمامها ونزلت منها أغلقتها ودارت بعينيها في المكان حتى التقطت الاسم الكبير أمامها

"دار الأصدقاء للكتب"

رفعت حاجبيها في دهشة وعينيها تلمعان بإعجاب وهي تقترب من المكان المبهج

الباب الزجاجي الذي دخلت منه للتو، على مكان واسع ممتلئ بالطاولات المزينة ونظام المطبخ الأمريكي على يسارها لتقديم المشاريب، موسيقي عمر خيرت الساطعة في المكان حولها ورائحة المعطر الذكية

وتلك الأرفف المرصوص عليها الكتب وألوانها المزدهرة

ما ذلك المكان المبهج بحق الله هل هذه يطلق عليها مكتبة !!!؟

تقدمت في طريقها تسأل إحداهن جالسة وراء مكتب جانبي صغير

"مممم هل لي أن أسألك سؤال؟"

أومأت الفتاة برأسها مبتسمة فسألتها :_

"لقد أتيت من أجل إعلان الترجمة وبالمركز حددوا لي المقابلة اليوم "

ابتسمت الفتاة وهي تقف مشيرة لها بيدها وتقول:_

"حسنا تفضلي معي دكتور شهاب ينتظرك بمكتبه "

اتبعتها رنا ووقفت خارجا أمام الباب التي دخلت منه الفتاة للتو ويبدو أنه مكتبه

دقيقة وخرجت لها الفتاة تدعوها للدخول

طرقت الباب ودخلت مبتسمة بخجل ومجرد أن رفعت رأسها لصوته يدعوها للتقدم تسمرت مكانها في خجل

ابتسم بعبث فور أن رآها محدثا نفسه

"أووووه تلك الصغيرة مرة أخرى ما تلك الصدف؟!"

اتسعت ابتسامته وهو يرى وقفتها هكذا فقال بمشاكسة :_

"ممم إذا هل ستظلين واقفة مكانك هكذا لو ستظلين قولي لي وسآتي إليكِ أنا"

وابتسمت فابتسم مشيرا لها بيده بلباقة وهو يدعوها أن تتقدم وتجلس

جلست أمامه مطرقة برأسها وصمتت ،لا تدري كيف تبدأ حديثها فسمعته يقول بمرح:_

"حسنا أنا من رواد المكتبة وأنصحك بها فكتبها جيدة جداً"

ابتسمت متذكرة موقف المصعد وقالت بخفوت:_

"لقد أتيت من أجل الإعلان أقصد لقد قالوا لي في المركز أن المكتبة تحتاج إلى مترجمة "

أومأ برأسه وسألها بعملية:_

"ما هي شهادتك ؟"

"تخرجت العام الماضي من كلية الألسن قسم اللغة الإيطالية ودرست خارجا اللغة الإنجليزية والفرنسية"

رفع شهاب حاجبيه بإعجاب قائلاً بصوته الرخيم :_

"أووه جيد جداً نحن محظوظون إذاً"

ابتسمت ولم ترد فسألها :_

"هل معك أوراقك الشخصية؟"

أومأت برأسها و أخرجتهم من حقيبتها وناولته إياهم

نظر للأوراق دقائق ثم سألها بفضول :_

"هل أنتِ ابنة ياسر الجوهري المعروف أم أنه مجرد تشابه أسماء؟"

أومأت رنا برأسها قائلة بصوتها الرقيق:_

"ليس تشابه أسماء أنا ابنة ياسر الجوهري رجل الأعمال المعروف"

أومأ برأسه وهو يقول:_

"حسنا مرحباً بكي في مكاننا المتواضع "

استقام واقفاً وأردف:_

"تفضلي معي كي أخبرك كيف ستكون طبيعة عملك معنا"

في اليوم التالي دخل إلى المكتبة فابتسم وهو يلقي عليها التحية هي وحفصة وقد وجدهم معاً فقال:_

"إذا هل تعرفتم سريعاً"

ابتسمت حفصة قائلة باتزان:_

"نعم بل سنصبح أصدقاء أيضاً"

"ممتاز"

قالها ضاحكاً ثم التفت لرنا قائلا :_

"دكتورة حفصة تجتمع بالفتيات هنا كل يوم خميس تتحدث معهم في أمور الدين "

"حقا؟ "

سألت رنا بدهشة فأومأ برأسه مبتسما وهو يستأذن منهم متجهاً إلى مكتبه

التفتت رنا إلى حفصة سائلة:_

"هل أنتِ طبيبة ؟"

هزت حفصة رأسها نفيا قائلة :_

"لا لست طبيبة لكني كنت أستاذة الشريعة بجامعة الأزهر "

"كنتِ؟"

سألتها رنا بدهشة فأومأت حفصة مبتسمة وهي تقول:_

"نعم لقد توقفت منذ ثلاثة أعوام من أجل رعاية أطفالي"

أومأت رنا برأسها وهي تتأمل جمال تلك المرأة أمامها ثم سألتها بخجل:_

"هل لي أن أحضر معكِ الخميس القادم؟"

ابتسمت حفصة قائلة :_

"بالتأكيد حبيبتي "

□□□□

مبتسما بعبث ينتظر دخولها إليه فقد دخلت إليه مساعدته الآن باسمها

دقات هادئة على الباب يتبعها دخولها وهاهي تدخل وراء والدتها كطفلة تلتصق بسترة أمها خوفاً من الأشرار

دبدوبة شهية ،محمرة الوجنتين ،دامعة العينين وإن لم يراهم لإسبالها إياهم لكنه يقسم على ذلك

دعاها للجلوس باحترام وسألها بعملية :_

"كيف حالك نهي؟"

"بخير "همستها بصوت يكاد يُسمع

"حسنا كيف حال الفترة الماضية ؟، متى أتتك الدورة الشهرية ،بعد كم يوم من وقف الدواء وكم استمرت ؟"

أجابته والدتها بهدوء:_

"لقد أتتها يوم ال..... "

قاطعها حمزة قائلا بتهذيب:_

"عذراً سيدتي لكن يجب أن أسمع منها هي "

ثم التفت اليها قائلا بعبث خفي:_

"هيا نهي أنا استمع إليكِ"

احمرت وجنتيها بشدة وتوترت وبدأت تتحدث في خفوت وهو استمع بصبر ،بعبث ،وابتسامة داخلية يجاهد على عدم خروجها

حُلوة بل شديدة الحلاوة يليق بها لفظ الدبدوبة ،ما باله أصبح لا يفوت عليه أقل خلجاتها ، رمشها بأهدابها المستمر وهي تتحدث ، فمها الصغير والذي تكوره في أغلب حديثها ولا يعلم كيف تفعلها ويبدو أنها لا تشعر بذلك ، وجنتيها المشربتين بحمرة شهية تدعوه للنظر

وهو حمزة لم يكن يوماً ينظر لامرأة بل والأكثر هي مريضته فما بالك يا حمزة !!

رغبة داخلية غريبة جعلته يُلغي فحصها اليوم متحججاً أنها ليس بحاجة له اليوم

لكن بداخله غير ذلك ، ضميره أبي عليه أن يفعلها وهو بذلك التشتت وقلبه يتقافز بداخله لمرآها ، لقد خشى من

شيطانه وأبداً لن يفعلها ويُهينها ولو بنظرة طائشة مؤكد حتى أنها لم تراها ولن تفهمها وهو ليس هكذا ،ليس حمزة بن الحميد من يفعل هذا!

وبعد ساعتين كان يجلس أمام رنا بغرفتها يحك رأسه في ارتباك وهي تنظر له في دهشة، فهو يجلس أمامها منذ نصف ساعة لا يقول سوى اسمها محركاً نظراته في غرفتها بملل

سألته رنا بضجر وقد لوت شفتيها :_

"حمزة إما أن تتحدث الآن أو تتركني أخرج حيثما كنت ذاهبة "

سألها للمرة التي لا تعرف عددها:_

"أين كنتِ ذاهبة ؟"

زفرت رنا بملل وقالت:_

"حمزة بالله عليك منذ دخلت على الغرفة وأنت تسأل نفس السؤال وقلت لك أني ذاهبة إلى عملي "

" عمل في الخامسة مساءاً"

سألها باستنكار وهو ينظر إلى ساعته فأومأت برأسها

رفع أحد حاجبيه قائلا بعبث:_

"عمل هذا أم ملهى ليلي يا روح خالك "

ضحكت وابتسم فنظرت له نظرة ذات مغزى تحثه على الحديث

ظفر بضجر وقال مسرعا قبل أن يتراجع :_

"حسنا اسمعي رنا أنا أشعر بشيء غريب يلعب بداخلي "

"يلعب !!!!! "

قالتها بدهشة رافعة أحد حاجبيها فأومأ حمزة برأسه وقال :_

"حسنا يبدو أني معجب بإحداهن وربما....ربما يعني تحركت مشاعري تجاهها و....."

قطع حديثه صرختها وهي تقفز عليه تمسكه من ياقة قميصه قائلة بشر :_

"هل تخونني يا حمزة ؟"

دفعها يعتدل في جلسته قائلا بغيظ وهو يخبطها على مؤخرة رأسها :_

"يا ابنة المجنونة اسمعي وإلا والله لن أتحدث"

جلست رنا بأدب مصطنع وقالت:_

"حسنا حسنا لا تغضب أنا أستمع إليك"

سألها حمزة بهدوء:_

"هل صديقتك مرتبطة بأحدهم ؟"

"صديقتي من؟"

سألته بغباء فنظر لها بحنق وقال بسخرية:_

"وكم صديقة لكي بحق الله نهى يا آخرة صبري نهى"

"اااااه نهى "

قالتها بخبث وعينيها تلمع بفرحة غمرت قلبها

جلست واضعة ساق فوق الأخرى قائلة بتكبر مصطنع

:_

"كم تدفع ؟"

ضربها على مؤخرة رأسها في حنق وهو يقول بغيظ:_

"قسم سأضربك إن لم تتحدثي "

ابتسمت بحب قائلة:_

"حسنا حسنا لا تغضب،لا يا حمزة نهى ليست مرتبطة لكن متى حدث ذلك ؟"

ابتسم وهو يحك مؤخرة رأسه بيده وقال:_

"لا أعلم لكن منذ أن بدأت المتابعة معي وكل مرة يزداد إعجابي بها حتى أن آخر مرة أتت إليكِ هنا مجرد أن رأيتها شعرت بفرحة غريبة في قلبي"

ابتسمت رنا قائلة:_

"يا إلهي حمزة لذا عندما دخلت إلي كانت كالفأر المبلول من كثرة الخجل "

ابتسم حمزة وسألها :_

"هل هي طبيعتها ؟"

هزت رنا رأسها نفيا لكنها قالت بإتزان:_

"لا لكن لا تفهم خطأ فربما ما يُعزز خجلها هو أنك طبيبها أنت تعلم الأمر محرج"

أومأ برأسه في تفهم وقال:_

"نعم أفهم هذا "

لمعت عيناه وأردف بحماس:_

"لم لا تعزميها على الغداء خارجاً وتجعليني أقابلها كي أتحدث معها مبدئيا "

هزت رأسها نفيا قائلة:_

"لا هل تريدها أن تفقد وعيها من الخجل يا حمزة لن أضعها في موقف كهذا أنت لم ترى وجهها حين دخلت

غرفتي ذلك اليوم أقسم لقد كانت الدموع تلمع في عينيها من الخجل "

ابتسم متذكرا شكلها ثم زفر قائلا بضجر:_

"إذا ما الحل؟"

ابتسمت رنا بحنان وقالت:_

"سأتحدث معها كي أمهد لها وأقول أنك تريد مقابلة والدها"

أومأ برأسه فابتسمت قائلة بحب:_

"أنت لا تدرك مدى فرحتي الآن يا حمزة ،أدعو من كل قلبي أن يتحقق وتجتمع أنت ونهى معا "

ابتسم فاتحا لها ذراعيه يحتضنها بحنان ،فستظل دوما أخته الصغيرة التي رباها وتربى معها

□□□□

أليس كل شيء مباح في الحرب والحب إذا هي ستحارب لتستعيده وتستعيد قلبه ، لم تعد تقوى على فراقه ،لذا حسمت أمرها وهي ترتدي ملابسها سريعا وتخرج مسرعة وجهتها مقر عمله

بعد ساعة كانت تقف أمام مساعدته التي قالت لها أنه في اجتماع سينتهي خلال دقائق

جلست تطرق بحذائها على الأرض في توتر ،حتى رفعت رأسها فجأة على ظله أمامها هامسا بقلق :_

"رؤى ما الذي أتى بكِ إلي هنا ؟"

ارتبكت وهي تنقل نظراتها بينه وبين مساعدته فحثها على الدخول إلى مكتبه وفور أن أغلق الباب خلفهم سألها بقلق :_

"رؤى ماذا حدث هل فريدة بخير؟"

ابتلعت ريقها وقالت:_

"بخير لا تقلق "

قطب بين حاجبيه بدهشة وسألها بحيرة :_

"إذا لم أنتِ هنا؟"

احمرت وجنتيها بشدة واقتربت منه هامسة بخجل:_

"لقد أتيت من أجلنا يا وائل "

اختلجت عضلة فكه رغما عنه لكنه رد بجمود وهو يقبض على كفيه بقوة:_

"ليس هناك ما يسمى بيننا يا رؤى"

لمعت الدموع بعينيها وهمست بألم :_

"ألم تشتاق لي يا وائل ألم تشتاق لما كان بيننا لرؤى ابنة خالتك وزوجتك"

وهو اشتاق بل يموت شوقا لها ولابنته معا لكن عيب على رجولته إن فعلها ليس بعدما فعلت لقد أهانته أمام والدته وزوجة أخيه

رمش بعينيه منتبهاً على صوتها هامسة باسمه في رجاء فقال بحدة:_

"رؤى هذا الحديث لا يصح "

صرخت بغضب من بروده:_

"كف عن برودك يا وائل واعترف أنك تريد العودة مثلي فأنا لن أحاول معك مرة أخرى"

كز على أسنانه بغضب وهو يقول بقسوة:_

"لم أجبرك على المحاولة بل لا أسعى خلفك من الأساس يا رؤى أنتِ التي تسعين ورائي لذا تحلي ببعض الكرامة وكفي عن ذلك لقد نسيتك رؤى ونسيت ما بيننا وربما أتزوج وأبدأ حياتي من جديد "

تجمدت مكانها من تلك القذائف التي ألقاها بوجهها مرة واحدة والدموع تجري على وجنتيها جريا حتى شهقت من البكاء

اختلج قلبه بألم لمرآها وقبل أن يتحرك تجاهها خطوة كانت تفر من أمامه هاربة

خرجت مسرعة من مقر عمله بأكمله لا ترى أمامها من كثرة الدموع

حتى أنها جلست على سلم جانبي لأحد العمارات واضعة يدها على قلبها المتألم وهي تحاول أن تنظم أنفاسها

ثم أخرجت الهاتف بيدها المرتعشة ثم رفعته لأذنها تستمع للجرس حتى فُتح الخط

ابتلعت ريقها بصعوبة هامسة بصوت متحشرج:_

"علي أنا موافقة على العريس "

أغلقت مع أخيها مسرعة ثم جلبت المحادثة الفارغة بينها وبين الآخر وأرسلت

"ألم تكن تريد دائما أن ترد إهانتي لك التي تتغني بها وأنت حتى لا تفكر في أبعادها وتحت أي شعور كنت لكن هنيئا لك اليوم يا وائل لقد كسرتني !!"

□□□□

لم تنم منذ الأمس وكأن عقلها تآمر مع ذكرياتها وأقسموا ألا تنم جاعلين شريط أيامهما معاً يمر أمام عينيها يوماً بيوم .

يا الله كيف كانت نحت قصته هو وابنة عمته من فكرها هكذا ؟

كيف لم تحسب لظهورها حساب ؟!

بل كيف لم تفكر للحظة أنه باقٍ على حبها

أم تعلقه بها كالطفل هو ما عزى غرور الأنثى بداخلها أنها أنسته تاء تأنيث عداها !!!

ابتسمت بسخرية مفكرة بل هو نسى تاء تأنيثها هي أم لعلها لم تسكنه من الأساس .

يبدوا أنها كانت كمسكن لأوجاعه حتى إذا اشتد الألم عاد إليها يجتاحها لكن حين طفى المرض مرةً أخرى لم يعد لها مفعول !!

ما يقهرها أكثر أن قلبها الخائن ،قلق عليه بل يموت خوفاً في كل دقيقة ،تعلم كم هو مهمل في صحته وأدويته وكيف سيؤدي ذلك إلى سوء حالته ، عساها هي الأخرى تهتم به وتقدره !

قطعت أفكارها الأخيرة بقسوة فهو لا يستحق هو مجرد خائن ،أناني وأكثر ما تندم عليه هو دلالها له فأول من ضُر من هذا الدلال كان هي ،يبدو أنها أشبعته دلالاً حتى أفسدته

وليته استحق!!!

مسحت دموعها التي سالت رغماً عنها بحزم وهي تستقيم واقفة عازمة على الذهاب إليه ،ليس في البيت بل في مكتبه

لقد علمت من أخيها وشهاب أنه رفض الطلاق ولن يفعلها

لوت شفتيها في تهكم وهي ترتدي ملابسها تفهم جيداً تفكيره

"غروره في وجودها التي غذته صور له أنها تهدد فقط إذا فلتطلبها صريحة في وجهة لعله يفيق "!!!!

.....

بالتوازي كان هو داخلا مكتبه وشياطين العالم تتقافز أمام عينيه ، لقد رفضت مقابلته وحتى الحديث معه ولا يصل له منها سوى تلك الكلمة السخيفة "طلقني" أتراها تهدده يعني حسنا والله لن يفعلها و لتريه آخر سخافتها

زفر بضيق مدلكاً جبهته وصداع رأسه يشتد عليه بقوة حتى أنه أغلق أضواء المكتب منبهاً على مساعدته ألا يدخل عليه أحد

تمدد على الأريكة ،فاتحاً أزرار قميصه العلوية في إرهاق وتفكيره يذهب لأخرى ،يجب أن ينهي أولاً خطأه في العودة إليها ، نعم هو أحبها بصدق لكن أيضاً لم يعد لحبها أي جذور بداخله .

هو فقط كان مشتاق لما كان بينهم ،علاقتهم لم تكن بالعادية أبداً وستظل دائما بركن متواري في قلبه لشيء جميل مر عليه قديما لكنه كان ولن يعود وهو لا يريد العودة ،يبدو أنه في غمرة تشتته بالحنين لما كان ،أراد الانتقام والانتشاء بخسارتها لكن الخاسر الحقيقي كان هو

لا ليس خاسِراً ،ريم لن تتركه وهو لن يفعلها فقط يجب أن ينهي أموره العالقة مع هنا أولاً

وكأنها صُورت إليه من خياله ،فقد فُتِح باب المكتب بقوة ومن الضوء الخارجي رأها ، أغلقت الباب وأضاءت الأنوار فأغمض عينيه بقوة وهو يعتدل جالسا مخفضا رأسه لأسفل وهمس بحدة :_

"ما الذي أتى بكِ يا هنا ؟"

تقدمت نحوه وجلست جواره على الأريكة قائلة بعتاب :_

"لم لا ترد علي يا عبد الرحمن"

"هنا أنا لا أريد الحديث الآن على كل حال كنت سأحدثك لكن ليس الآن"

قطبت بين حاجبيها في دهشة من طريقة حديثه وسألته بتوتر :_

"فيما كنا سنتحدث ؟"

تنهد عبدالرحمن بخفوت وهو يدلك جبهته بإرهاق وقال:_

"حسنا هنا أنا آسف حقا فيما سأقول لكن حين قلت لكِ أني مازالت أحبكِ لم أكن أقصد ذلك لقد كان تسرعا مني في توقيت خاطئ "

"كيف يعني"

سألتها بحدة وهي تنتفض واقفة فزفر بغضب قائلاً بنبرة قاطعة:_

"دون دخول في تفاصيل يا هنا ولا تلعبي معي وكأني غررت بكِ نحن حتى لم نكمل شهر معاً وأنتِ من كنتِ

تسعين خلفي وليس أنا بدايةً من موضوع الصداقة ذاك إلى أنكِ مازالت باقية على الحب "

أنهى حديثه بسخرية آلمتها رغماً عنها .

هل يعني ما يقول؟ أم أنه مازال مجروح منها والله قد ندمت

ابتلعت ريقها بصعوبة وسألته بخوف :_

"عبدالرحمن أعلم أني جرحتك من قبل لكن أقسم لك كان خطأ نادمة عليه إلى الآن ،أنت حتى لم تغب عن بالي أبداً

"لكنكِ غبتي عن بالي أنا"

قالها بسخرية وتهكم مرير من نفسه قبلها

برقت عيناها بغيرة مجنونة وسألته بغضب أناني:_

"إذا زوجتك بالتأكيد السبب وهي من تريد إبعادك عني وهي التي أخذتك مني "

"بالله عليكي ألا تدركين ما تتفوهين به إذا كان أحد له الحق في الغضب فهي وليست أنتِ"

قالها بسخرية جعلتها تصرخ بغضب :_

"ماذا فعلت لك هي ها؟ ألم تخطئ بحقك أبداً أم أنها تعيش دور الملاك المظلوم معك الآن كي تخرب ما بيننا "

"ليس بيننا شيء يا هنا لا تعيشي الدور رجاءاً لقد قتلتِ ما كان بيننا منذ سنوات "

هز رأسه بيأس سائلاً بتهكم :_

"حسنا تريدين أن تعرفي ماذا فعلت هي صحيح؟"

ابتلع غصة مسننه بحلقه وأردف بحرارة من أوشك على فقد أغلى ما لديه في لحظة:_

"أرأيتِ امرأة خطت على قلب زوجها أبجديات الحب وسطور الغرام امرأة حولت إنسان ناقص في نظر نفسه إلى آخر كامل بعينيها، امرأة استعانت بقوتها وأخرجتني من ظلمات روحي لنور روحها دون أن أدري، أرأيتِ من قبل امرأة تجعل زوجها متعطش للمزيد من كلماتها وهي التي لا تكف عنها.

امرأة كنت كلما تضيق بي الحياة لا أرى أمام عيني سوى أحضانها فقط ولم تبخل علي بها يوما مهما فعلت ، علمتني حبها رغم جهلي به وأخذت بيدي خطوة بخطوة لطريق قلبها وكأني طفل أعمى لا يجيد الطريق، امرأة

غمرتني بحب الزوجة وعشق الحبيبة وعاطفة الأم وروح البهجة والأمان كل ذلك كانت هي يا هنا ،كانت هي "

تسمرت مكانها في ذهول وهي تستمع لصراخه و نبرته المتألمة المشبعة بالندم ،الخوف والمرارة

هل هذا عبدالرحمن حبيبها هي يتغنى في امرأة أخرى أمامها !

سُم مكبل جسدها بل نار حارقة مندلعة به جعلتها حتى فاقدة القدرة على الحديث

قبل أن يتحدث أي منهم ، فُتح باب الغرفة بقوة فرفع رأسه بدهشة لكنه ذُهل حين رآها تقف أمامه بكامل أناقتها وكبريائها

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يرى نظرة ازدراء من عينيها رمته بها هو والاخرى التي تنظر لها بشر الآن وهي تقترب منها قائلة بغضب وتبجح:_

"لم تفعلين ذلك ها؟ رغم أنكِ أخذتيه مني إلا أني لم أفكر ولم أطلب منه يوما طلاقك "

تقدمت ريم خطوة رافعة رأسها بكبرياء وهي تقول بقوة ماطة شفتيها بازدراء:_

"بجاحتك ليس لها مثيل ،لكن لا تخافي فلتهنئي به كاملاً لكِ فنحن في طريقنا للطلاق "

دقيقة من الصمت لفتهم وقبل أن تتحدث أي منهم التفتوا على صوته المتهدج يقول بتقطع :_

"اخرجوا الآن"

لمعت عين ريم سريعاً بالإدراك وهي تلمح اهتزاز كف يده الموضوع على وجهه

اقتربت منه مسرعة فور أن صرخ صرخته المعهودة وبدأت أعراض النوبة تشتد عليه

جثت على ركبتيها أمامه على الأريكة وهي تحاول أن تمدد جسده المتصلب أمامها

فتحت أزرار قميصه سريعا حين لاحظت عدم قدرته على التنفس

وضعت حقيبتها القطنية سريعا تحت رأسه وهي تلاحظ احتقان وجهه وشفتيه الزرقاوين وثوانِ

وأخذت عضلاته في الانقباض وبدأ جسده في التشنج والتخبط

مما جعل تلك الواقفة بذهول تصرخ في رعب خالص وكأنها لا تفهم ماذا حدث فجأة فقد كان واقفاً أمامها بكامل صحته!

التفتت لها ريم بحدة وكأنها نستها وهمست بحزم :_

"فوراً أخرجي من الغرفة فوراً وأغلقي الباب خلفك "

ولم تمهلها هنا الحديث ثانية أخرى حتى وهي تخرج راكضة بهلع

عادت عينا ريم إليه بألم منه وعليه وهي تلاحظ تتفسه العسير وتلك الأصوات العالية التي يخرجها من بين فكيه المطبقين.

كبحت دموعها بصعوبة وهي تلمح آثار الدماء على فمه لقد أتت نوبته شديدة اليوم وهذا جل ما كانت تخشاه فبالتأكيد أهمل أدويته .

زفرت براحة وهي تلاحظ ارتخاء عضلاته بشكل كامل وانتهاء نوبته الوشيك وخلال عشرة دقائق كان يستعيد وعيه ويعود تنفسه إلى طبيعته !

استقامت مسرعة تغلق باب المكتب بالمفتاح وهي تحمد الله عن عدم وجود مساعدته حتى منذ أن أتت ،أغلقت الأضواء وجلبت كوب من الماء سريعا وعادت إليه

تسحب حقيبتها من تحت رأسه ببطء وهي تلاحظ تشوشه المصاحب للنوبة

أخرجت الأدوية من حقيبتها سريعا والتي كانت لا تفارق حقيبتها من أجله دوماً.

سمت بالله ووضعت الحبوب بفمه واتبعتها بالماء

بعد أن فتح عينيه تماما وظل محدقاً بها ولم تتحرك تعلم جيدا تصرفاته الغريبة بعد النوبة والتي قد لا يشعر بها ، دقائق من الصمت لفتهم حتى شعرت به يسحبها جواره على الأريكة ولم تعترض .

فحاجته للنوم والاستكانة الآن تدرك أهميتها جيدا بعد نوبته .

سمعته يهمس بإرهاق ألم قلبها رغما عنها وهو يتشبث بها هكذا:_

"فقط دعيني بأحضانك حتى أستيقظ"

قالها وهو يتمدد على الأريكة الجلدية

فتمددت جواره فاتحة له أحضانها التي لجأ إليها دافنا نفسه بها يتنفسها بجشع وخوف من مجهول أو ربما معلوم يلوح في أفق عقله!!

بعد دقائق من انتظام أنفاسه حاولت أن تنسل من جواره فوجدته يتمسك بها هامسا بتوسل من بين نومه

"ابقي هنا يا ريم لا تتركيني "

تنهدت بألم وهي تفتح حقيبتها تُخرج بعض المناديل المبللة وأخذت تمسح وجهه برفق

بعد ساعتين

فتح عينيه ببطء رامشاً بأهدابه عدة مرات في حيرة ، دلك بين حاجبيه في إرهاق وهو يتذكر وجود هنا معه قبل نوبته وريم !!

ريم أيضاً كانت هنا ؟!!!

اعتدل في جلسته يدور بعينيه في المكان بحيرة حتى أبصرها تجلس أمامه على كرسي جانبي تنظر أمامها في شرود

لكن أين ذهبت الأخرى

وكأنها تقرأ أفكاره أو هذا ما وصله من صوتها المتهكم قائلة:_

"لقد ذهبت !!"

أخفض رأسه في ألم وسخرية من نفسه ، أتلك من كان يحبها !!

دمعت عيناه رغما عنه مفكراً ماذا لو كان تزوجها هي وتعرض لأحد نوباته بالتأكيد كانت ستفر هاربة كما حدث الآن

انتبه على صوتها تقول بجمود:_

"لقد صرفت جميع من في المكتب "

أومأ برأسه دون رد فأردفت:_

"يبدو أنك أصبحت بخير الآن إذا لنتحدث فيما جئت إليه"

التفت اليها بعينيه فأكملت:_

"لقد وصلني من دكتور شهاب وأخي أنك ترفض الطلاق فقط قل لي سبباً واحداً يجعلني أتريث في الأمر معك ولا أرفع قضية طلاق"

"قضية !!"

قالها بحدة مستنكرة وهو يستقيم واقفا ويتجه نحوها مردفاً بغضب:_

"ماذا حدث لكل ذلك أخبريني؟"

جابهته في وقفته وذلك الألم النابض في عينيها لم تخطأه عيناه المتلهفة لكل شاردة منها ، اااااه فقط لو تحتضنه ،

لو يستنشق أنفاسها لعل اختناقه يزول ، لو يحبسها هنا لأرذل العمر ماحياً عنها كل ألم تسبب به

انتبه من أفكاره على صوتها المتألم تقول بسخرية:_

"لا لم يحدث شيء أبداً فقط زوجي صادق حبيبته القديمة وماذا فيها يعني حتى وإن تزوجها أليس حقه ؟!

وأيضاً صفعني بسيطة !!"

زفرت أنفاسها وأردفت من بين أسنانها بحدة:_

"أنا التي لم يرفع والدي رحمه الله صوته علي يوما أتيت أنت وصفعتني لأني فقط أدافع عن حقي كزوجة بسيطة يا عبدالرحمن بسيطة !!"

حين حاول أن يتحدث قاطعته قائلة بتهكم:_

"لا والأزيد تتبجح قائلاً أني أبعدك عنها فلتشبع بك يا أخي"

اقترب منها قائلا بألم دون تركيز:_

"لقد كان خطئ يا ريم أقسم لكِ حتى أنني كنت أقول لها قبل دخولك أن اعترافي لها أني مازلت على الحب منذ أيام كان خطأ ندمت عليه "

اتسعت عينيها في ارتياع وهي تستمع إلى حديثه

هل انتهز فرصة طلب طلاقها واعترف للأخرى بحبه إذا لو لم ترى رسالة هاتفه لربما دخل عليها بها كزوجته "

أغمضت عينيها تقاوم لسعة الدموع بهم ثم فتحتهم هامسة بمرارة :_

"بالله عليك كيف أنت أناني هكذا كيف ؟ ألم تبقي على شيء فقط شيء واحد حتى ولو ابنك ،بمجرد أن افترقنا جريت عليها تقدم حبك "

صرخ بغضب وهو يدور حول نفسه:_

"الأمر ليس هكذا يا ريم لما لا تقدري مشاعري كيف بها التي عشت عمري أحبها لا تتحملني"

ابتلع رقيقه وأردف بألم أوخز قلبها بالغيرة وهو يقول بمرارة :_

"حتى أنها حين فقط بدأت أعراض نوبتي فرت هاربة في ذعر وكأنني وباء وأنتِ التي لم يكن بيننا أي شيء لم تشعرينني بنقصي ولو لمرة واحدة منذ أول ليلة معاً

لما تكوني بكل ذلك الكمال ها كمالك كان يزيد من شعوري بالنقص في داخلي "

لوت شفتيها بتهكم من حديثة هامسة بقنوط:_

"أناني لا ترى سوى نفسك"

لمعت الدموع بعينيه وقال برجاء:_

"ريم أفهميني لطالما كنتِ تغفرين لي أخطائي دون حتى أن أعترف بها لكن تلك المرة أقسم أني ندمت "

"ليتك قدرت غفراني ليتك قدرت "

اقترب منها وهمس بألم ورجاء:_

"لم لا تعطينني فرصة يا ريم فقط دعينا نتفاهم "

أطرقت برأسها في ألم ثم رفعتها قائلة بجمود:_

"لقد أنهيت فرصك معي يا عبدالرحمن وقلت لك من قبل حين يحين التفاهم لك ستكون النهاية"

لم تمهله الرد وهي تفر من أمامه خارجة من المكان بأكمله مسرعة وهي تبكي

□□□□

ضرب عمر بقبضته على الطاولة قائلا بحدة:_

"هل سنظل هكذا يا غدي؟ منذ أن قصصت عليكِ موضوعي أنا ورنا وأنتِ لا تتحدثي معي إلا لماماً ووافقتِ على خروجنا اليوم بصعوبة هذه ليست طريقة للتفاهم "

تنهدت غدي بغضب من بروده في التحدث عن الأمر وكأنه أمر عادي أن يأتي خطيبها ويخبرها أنه كان رجل عاقد قرانه على أخرى!!

مطت شفتيها وقالت بهدوء وهي تشبك كفيها أمامهم :_

"حسنا ألا ترى أنه من الخطأ أنك أخبرتني بعد خطبتنا وليس قبلها "

رفع أحد حاجبيه قائلا بدهشة مستفزة :_

"وما الفرق يا غدي ها أنتِ أصبحت على علم بالأمر "

"الفرق أنك خدعتني كما خدعتها تماما يا عمر "

"خدعتها !!"

قالها باستنكار قاطبا فأومأت برأسها دون أن ترد أو تكلف نفسها حتى مشقة النظر إليه مما جعله يسألها بغضب:_

"إذا لنؤجل خداعك حتى أعرف كيف خدعتها هي كما تقولي"

اعتدلت غدي في جلستها قائلة:_

"بظروفها التي قصصتها علي ولم تعترض لوالدك وتقدمت لخطبتها رغما عنك وحين أرغمك على عقد القران لبيت بالله عليك يا عمر أي إرغام في زمننا هذا وهل أنت صغير؟"

أومأ برأسه متفهما تفكيرها وقال بهدوء:_

"لقد وضحت لكِ أساليب ضغط والدي علي

رحمه الله أنتِ لا تعرفيه يا غدي لقد كانت كلمته كالسيف وأقسم إن لم أفعلها سيغضب علي طيلة عمره "

"وماذا لو لم يمت والدك يا عمر كنت ستتزوجها وليس لديك أي مشاعر نحوها ولم توضح لها الأمر من البداية"

أومأ برأسه بصبر وقال:_

"أقسم لم أكن لأجرحها بل كنت سأراعيها كما يجب أن يراعي الرجل امرأته"

"ولم تركتها إذا؟"

قالتها بغضب وشعور خبيث بالغيرة الأنثوية يتسلل داخلها رغما عنها من حديثه فتنهد عمر قائلاً:_

"تركتها لأن عند وفاة والدي لم يكن هناك داعي لأظلمها معي وأظلم نفسي أيضا لما لا أترك لها الفرصة تحظى برجل يحبها كآخر نساء الأرض وليس مجرد زوج بمشاعر عادية مثلي "

تشبثت برأيها وهي تنقر على سطح الطاولة قائلة بتشديد وعتاب:_

"بعد عقد القران يا عمر بعد عقد القران وفجأةً هكذا !"

اتهامها الذي ينغز ضميره لجرم خطأه في حق فتاة رقيقة كرنا أجج غضبه فقال بحدة :_

"أفضل من إن كنت تزوجتها دون مشاعر ثم أقابل متحجرة الرأس التي أمامي وأحبها وأظل معلقا بين حبي لامرأة ووفائي لامرأة أخرى"

رمشت غدي بعينيها في بلاهة وقد توردت وجنتيها المكتنزتين متسائلة بينها وبين نفسها

"هل اعترف عمر لها بحبه الآن أم قذفها به قذفا ؟!"

انتبهت على صوته القوي يناديها فنفضت أفكارها بعنف قائلة بقنوط:_

"لكنك خذلتها يا عمر آسفة فيما أقول لكنك تصرفت بنذالة"

أطرق عمر برأسه لحظات ثم قال بندم :_

"أعلم أقسم أني إلى الآن يؤنبني ضميري لكن ما فعلته خسائره لا تقارن بالخسائر التي كانت ستحدث إذا تزوجنا بالفعل "

لمعت عينيها بالإعجاب والتقدير رغما عنها ،جزء صغير بداخلها يوافقه الرأي وآخر أكبر ساخط عليه بشدة

انتبهت على صوته يقول بهدوء:_

"الفتاة رغم قشرتها الظاهرية القوية إلا أنها رقيقة من الداخل هشة عاطفية بدرجة لا تتخيلها تحتاج لرجلا يحبها حتى يشبعها دلالاً تحتاجه وأنا لست هكذا"

"كفى"

قالتها بغيظ وعينيها تلمع بالغيرة من حديثه فابتسم هامساً بانتشاء:_

"تغارين!؟"

لوت شفتيها بحنق قائلة بغلظة:_

"لما لا أجلب لك دفتر وقلم وتدون لها الشعر بالمرة ونحن جالسين "

غمزها بعينه مبتسماً وهمس بحرارة بنبرة حُلوة خطفت روحها وسرقة دقة من من دقات قلبها

"أنا أحبكِ يا غدي "

أردف بحرارة وهو يرى احمرار وجنتيها الوليد إثر حديثه

"أحبكِ يا فاتنة النساء"

□□□□

رمشت بعينيها عدة مرات في حيرة حين استيقظت وهي تقلب نظرها في أنحاء الغرفة حتى توالت عليها أحداث الأمس مما جعل وجنتيها تحتقن بالدماء متذكرة ختام الأمس .

وقد كان ختامه مسك ، مسك عَطِر غمرها به وهو يهمس بحبها مذيقا إياها عشقه المُسكِر

دفنت وجهها أسفل الوسادة بخجل وهي تسمعه يهمس بحرارة بصوت متحشرج إثر النوم لكنه لا يخلو من العبث :_

"صباحاً مباركاً يا كُل الحسن"

ابتسم لفعلتها واقترب هامساً بحنان وهو يحتضن عينيها بنظراته :_

"لا تخجلي مني حبيبتي ، دعيني أقرب ما يكون لكِ"

تاهت في عينيه الحُلوتين ويبدو أنها ستكون أول امرأة في التاريخ تهيم بعيني زوجها وتتغزل بهم وليس العكس

انتبهت من شرودها على همسه الحنون :_

"ملك هل أنتِ بخير حبيبتي ؟"

أومأت برأسها وهي مسبلة أهدابها في خجل فابتسم يتأملها

حُلوة بل شديدة الجمال ، لم يشعر بالاكتمال يوما في حياته كما الآن ،هل هي عطية الله المدخرة له أم ماذا؟

دقات قلبه تتراقص بفرحة من سعادته وما يزيدها ذلك الرضا الحي على ملامحها الخجولة مما جعله يهمس دون إرادة منه بما يملك عليه قلبه

"ملك أنا أحبكِ "

تأوهت بحلاوة من وقع الكلمة بنبرته الخاصة تلك على أذنها لا يمكنها وصف شعورها الآن أو منذ الأمس وهو يهمس بها آسراً إياها

رفرفت بأهدابها سائلة بدلال وشك مصطنع:_

"حقا؟"

غمزها بعبث ذات مغزي قائلا بمرح وهو يدنو منها أكثر:_

"عار علي يا فتاة ألم أثبت لكِ "

ضربته بقبضتها في كتفه فضحك أكثر هامساً بشغف:_

"إذاً دعيني أبدد شكك يا كل الحسن "

*****

بعد عدة أيام

منزوية بغرفتها في منتصف الليل تبكي ، الوحدة تقتلها جدها ونعمات خلدا للنوم منذ ساعات وأبدا لن تدخل لهم باكية كالطفلة أنها تريد أن يجلس معها أحدهم رغم علمها ويقينها أنها لو فعلت ذلك لهرع الاثنان جريا لها لكن خجلها أكبر من أن تفعل وحمزة اليوم هو نوبتجيته في المشفى لو كان نائما لكانت أيقظته بالطبع ولم يكن يمانع بل حتى كان سيأخذها ويخرجوا سويا ولطالما فعلوها ،شيطانها يغزوها بالأفكار والهرب لذنبها القديم لكنها تقاوم بضراوة .

بعد خروجها من عند تلك الطبيبة مادلين في المرة الأخيرة محبطة استسلمت لشيطانها وهربت لذاك الذنب لكنها عادت باكية نادمة والآن تتمنى أن تقهر شيطانها وألا تفعلها مجدداً .

هي لا تريد أبداً قلبها لا يريد ،روحها لا تريد لكن نفسها الأمارة بالسوء المستعبدة من قبل ذلك الذنب البغيض تأبى عليها الفرار منه وكأنها تحالفت هي وشيطانها سويا حتى لا تخرج من ذاك الوحل القذر...

طفرت عينيها بالدموع رغما عنها وهي تتذكر مقابلتها كاملة مع الطبيبة

لقد ذهبت بعد يومين من موعدها الأساسي ودافعها في التأخير كان الخزي والخجل من نفسها بعدما قصت على الطبيبة كل شيء

حين طرقت الباب ودخلت إليها

قابلتها مادلين بابتسامة لطيفة تدعوها للجلوس أمامها وهي تسألها بعملية :_

"كيف حالك يا رنا "

"بخير"

همستها بخفوت وهي لا تدري فيما تتحدث فأطرقت برأسها والتي سرعان ما رفعتها على حديث مادلين قائلة :_

"رنا أنا آسفة حقا فيما سأقول لقد كنت أريد أن أستمر معكِ للنهاية لكني أولاً وآخراً مازلت طبيبة تحت التدريب"

ضيقت رنا عينيها في توجس وهي تسألها بقلق:_

"يعني؟"

تنهدت مادلين قائلة :_

"لأول مرة أتعرض لحالتك لذا كان من الطبيعي عرضها على طبيبي المشرف كي آخذ من خبرته ويساعدني لكن شهاب أمرني بتحويلك له "

اتسعت عينيها في ارتياع وارتجف قلبها بهلع

شهاب هل قالت شهاب حقا ؟

هل تلك اليومين الماضيين التي رأته فيهم بالمكتبة كان يتحدث معها وهو يعلم بجرمها وعند الخاطر الأخير هبت واقفة بغضب وهي تقول بارتجاف والدموع تلسع عينيها:_

"كيف فعلتي هذا؟ إذا كنتِ لستِ قدر حالتي من البداية لِمَ لم تقولي ؟ ألم تقولي أن ما بيننا لن يخرج لأحد كيف طاوعك قلبك على فعلها ها؟ أي طبيبة أنتِ ؟ أي طبيبة أنتِ؟ كيف تقولين له كلام مثل هذا كيف تعريني أمامه هكذا !"

اتسعت عينا مادلين في ارتباك وهي ترى هستيريتها ما بها هذه الفتاة هو طبيب وهي طبيبة والمغزى الشفاء ما بها بحق الله

دارت حول مكتبها مسرعة ووقفت توازيها تأمرها برفق أن تهدأ وهي تناولها كوب من الماء والتي تناولته سريعا وهي تبكي بخزي .

تنهدت مادلين وهي تجلس على حافة المكتب قائلة:_

"رنا قلت لكِ من الطبيعي أن افعل ، كيف لي أن أسير في طريق العلاج معك وأنا أحتاج لنصيحة من ذو خبرة عني"

سألتها رنا بخزي يتخلل نبراتها:_

"ماذا قال عندما أخبرتيه أنها أنا؟"

رفعت مادلين أحد حاجبيها في دهشة قائلة:_

"ومن أين له أن يعرفك ليس من المعقول من مجرد مصادفة بينكم مرة أن يتذكرك كما أني بالطبع حين كنت أسأله عن أبعاد الحالة لم أخبره من هي وبدوره لم يسأل هدفنا هو علاج المريض وليس تتبع من هو "

تنهدت رنا في راحة داخلية وهي تحمد الله سرا على سترها وسألتها بوجل :_

"وماذا قال"

مطت مادلين شفتيها قائلة وهي تشبك ذراعيها:_

"لم يقل شيء لقد أفادني بخبرته بالطبع لكنه أصر على أن أترك الحالة وأن يتم تحويلها له تبعا لما تقتضي مصلحتها وإذا كنتِ تريدي يمكنني أن أحضر معك تلك الجلسات بالطبع"

هزت رنا رأسها نفيا بحزن وهي تعتبرها إشارة من الله على عدم قبولها ثم قالت بأسف:_

"آسفة لا أستطيع لقد جئت وغايتي طبيبة من الأساس لن أستطيع التحدث مع طبيب في هذا الأمر "

"لكن شهاب سيكون متفهم صدقيني وهو أكثر من قادر على مساعدتك "

هزت رنا رأسها نفيا في إصرار فقالت مادلين بتفهم :_

"حسنا على راحتك لقد أخذ حساب هذا على كل حال "

نظرت لها رنا بتساؤل فأعطتها مادلين ورقة مدون بها بعض الأرقام وبريد إلكتروني قائلة:_

"لقد طلب مني أن أعطي الحالة رقمه وبريده الشخصي فقد أخذ في حسابه اعتراضك على أمل أن تأخذي الخطوة وتحدثيه "

هزت رنا رأسها وهي تأخذ منها الورقة على مضض والتي أسقطتها في حقيبتها بإهمال فور أن خرجت من عندها

عادت من ذكرياتها وهي تتنهد في ضيق لا تعلم ماذا تفعل

يا الله تحتاج لمساعدة ،تحتاج للخروج من تلك الشرنقة

لو أن لها أماً الآن لكانت هرعت إلى أحضانها تبكي وتشتكي لكن هي كنقطة مهملة في آخر سطرٍ بصفحة حياة أمها

دمعت عينيها للخاطر الأخير وبكت بقلب مكسور يئن من الألم

التفتت يمينها تتناول كوب الماء فلمحت تلك الورقة التي أعطتها لها مادلين والتي وضعتها هنا بعد أن أخرجتها من حقيبتها

عضت شفتها السفلى بحيرة تنظر لها و لا تدري ماذا تفعل

هل تحدثه ؟ ماذا لو طلبت منه أن يظل حديثهم إلكتروني فهي لا تقوى حتى على أن ترفع عينيها لعينيه بذنبها هذا

هبت من فراشها مسرعة والورقة بيدها تخرج من الغرفة إلى غرفة حمزة تغلق الباب خلفها، تفتح أحد أدراجه وتتناول شريحة الاتصالات الجديدة التي اشتراها حمزة من يومين وفعلها لكنه لم يستخدمها وحين عرضها عليها قالت أنها لا تحتاجها

أدخلت الشريحة سريعا في هاتفها وهي تجلس على فراش حمزة

أخذت دقائق في تعريف الشريحة على الهاتف وضبط بعض البيانات ثم قامت بحفظ رقمه والدخول إلى المحادثة الإلكترونية بأحد برامج التواصل الاجتماعي وهو "الواتساب "

نظرت إلى الساعة التي تشير لقرب الفجر في إحباط

ماذا تفعل هي بحق الله ،لم يتبقى على الفجر سوى نصف ساعة وهي تريد أن تتحدث معه

لكنها حسمت أمرها وهي ترسل له ببطء وتخبط

"دكتور شهاب؟!"

ولنصف ساعة تجلس على صفيح ساخن في إحباط من عدم رده وكأنها أرسلتها في الثالثة عصراً وليس الثالثة فجراً

والنصف ساعة امتدت حتى صُلي الفجر والنوم يجافيها ،الأفكار تزاحمها والندم يغزوها

وبمكانه هو استيقظ ليصلي الفجر قارئا ورده ثم جلس كعادته بالشرفة يتناول قهوته وهو يقرأ أحد الكتب ثم تذكر هاتفه المغلق منذ الأمس قبل أن يخلد للنوم ففتحه

توالت عليه الرسائل الكثيرة لكن أثارته تلك الرسالة القصيرة منذ ساعتين ونصف من رقم مجهول

"دكتور شهاب"؟

قطب بين حاجبيه في قلق مرسلاً رده

انتفضت مكانها وهي ترى اهتزاز هاتفها الواشي برده ففتحت الرسالة سريعا وهي تقرأ رده المختصر

"نعم أنا شهاب خير؟"

ثم أتبعها سريعاً بأخرى

"من؟"

أخذت تقضم أظافرها في توتر وهي لا تدري ماذا تفعل لكنها حسمت أمرها مخافةً أن يُغلق فأرسلت له سريعا

"ممم لقد كنت حالة بالمركز عند الدكتورة مادلين وقد أبلغتني أنك تريد تحويل حالتي لك وطلبت منها أن تعطيني رقمك الخاص وبريدك الالكتروني "

دقائق ووصلها رده

"نعم صحيح وأخبرتني هي اليوم برفضك لكني كنت متأكد من خطوتك تلك "

أرسلت له في رجاء يخرج من بين حروفها

"حسنا أنا أريد أن أطلب منك أن ترشح لي إحدى الطبيبات كي أذهب إليها "

"قد أقدر أنكِ تريدين طبيبة لخجلك لكن أؤكد لكِ ليس هناك شيء يدعو للخجل رغبتك وإصرارك اللذان أراهم هم منتهى القوة "

أرسلت له بإحباط:_

"لا أستطيع لا أتخيل حتى أن أجلس أمام طبيب وأعري نفسي هكذا"

دقائق ووصلها رده

"حسنا لأول مرة سأفعلها وأقول هذا من السهل أن أرشح لكِ أمهر الطبيبات التي أعرفهم ومن هي أفضل مني أيضا لكن ما قصته علي دكتورة مادلين يجعلني أقول أن حاجتك للطبيب النفسي ليست بتلك القوة فقط سأساعدك للخروج بسرعة لا أكثر لكن من الحديث عنكِ استشفيت أنكِ تستطيعين الخروج من محنتك وحدك وبقوة لكنكِ فقط تحتاجين لدفعة ومساعدة وهذا ما سأفعله لذا لا أريد أن أرشح لكِ أحداً آخر ليس تقليلا منهم أبداً لكن خوفاً من أن تدخلين متاهات وطرق علاج لستِ بحاجة لها بل طريقك أبسط"

كلامه يطمئنها لكنها لا تعلم ماذا تفعل لذا أرسلت له بيأس

"لا أستطيع"

دقائق ووصلها رده السَمِح كطوق نجاة

"حسنا لم لا نجعل جلساتنا إلكترونية أي من وراء الشاشة وستكون أول مرة أفعلها وفقط هذا لأني كما قلت لكِ حالتك بسيطة لا تحتاج لتعقيدات أطباء النفس وأولهم أنا حتى "

لمعت عينيها بألم وأرسلت له :_

"وهل ممكن "

"ثقي في وإذا لم ننجح أعدك أن أدلك على طبيبة تساعدك كما ينبغي "

"حسنا هل من الممكن أن أتحدث الآن "

"بالطبع لكن بشرط أن تقصي علي كل شيء من البداية دون تخفي أي شيء "

"حسنا"

أرسلتها له ثم بدأت تقص عليه كل شيء قصته على مادلين من قبل دون أن تذكر شيء عن حياتها الشخصية حتى لا يشك بها ويعرفها

بعد دقائق أرسل لها رسالة صوتية قائلا:_

"لم صمتِ؟"

كتبت له بقلق :_

"ألم تحتقرني؟"

سريعا كان يفتح رسالة صوتية يرد عليها فيها بصوته المبتسم قائلاً:_

"ولم أحتقرك بحق الله ؟"

تنهد مردفاً وقد فضل أن يكون على طبيعته بالحديث معها أكثر حتى تطمئن:_

"من أنا كي أحتقرك لا يوجد أحد على وجه الأرض لا يخطأ يعني أني أُخطئ أنا الآخر لا يوجد من هو شديد الحسن ولا يوجد من هو شديد القبح كلٌ له زلاته لما لا نعتبر ذنبك عثرة بسيطة ونهضتي منها لكل جوادٍ كبوة يا فتاة كما أن الله نفسه سامحك"

كتبت له سريعا بلهفة وعينيها تلمعان بالأمل من حديثة المطمئن:_

"الله سامحني كيف تقول ذلك أشعر أني أصبحت مطرودة من رحمته "

رد عليها بصوته الحنون قائلا:_

" استغفري من ظنك السيء هذا ،الله عند حسن الظنون ،كفِ عن جلد ذاتك لأن ذلك سيجعلك غير قادرة على

التحرك خطوة واحدة للإمام هناك فرق كبير جدا بين محاسبة ومراقبة النفس وبين جلد الذات ،احتضني نفسك كي تساعدك ، قد تتضحكي من حديثي لكن صدقيني كل إنسان يحتاج لاحتضان ذاته"

صمتت ولم ترد فأرسل لها قائلا :_

"والآن تحدثي أخرجي ما بداخلك ،شعورك؟ ما تودي فعله ؟"

بدأت في الكتابة له قائلة :_

"أشعر أني لا أستطيع أن أتخلص من ذاك الذنب ولا أستطيع تركه ، جاهدت نفسي كثيرا والتوقف مرة تائبة وأعود مرات حتى أنه أصبح يراودني شعور أني خُلقت فقط لهذا الذنب لا أريد العودة لذلك الذنب أبدا "

قبل أن يرد عليها وجدها أرسلت

"آسفة هل من الممكن أن نؤجل حديثنا لوقت لاحق لا أستطيع المواصلة الآن "

أرسل لها قائلا :_

"حسنا ليس مشكلة فقط انتظري دقائق سأقول لكِ شيء يساعدك حتى نتحدث مرة أخرى"

أرسلت له على مضض

"حسنا"

فتح رسالة صوتية قائلا :_

"سنبدأ بشيء يسمى « Tolerance stress »

خذي نفس عميق مرة أو مرتين وأخرجيه وفي المرة الثالثة عند أخذك الشهيق احتجزي نفسك لا تُخرجيه إلا بعد خمسة عشر ثانية ثم أرسلي لي أنه قد تم "

بمكانها ابتسمت بدهشة وهي تنفذ ما فعل ثم أرسلت له:_

" تم"

دقيقة ووصلها رده سائلا:_

"هل أرهقت في المرة الثالثة؟"

أرسلت له قائلة :_

"نعم قليلا "

رد عليها برسالة صوتية قائلا :_

"في تلك المرة الثالثة أُرهقتِ قليلاً لكنكِ كنتِ قادرة على احتجاز نفَسكِ لفترة ومن ثم قمتِ بإخراجه

ولاشك أن ذنبك أصبح شهوة وإن كانت غير مرغوبة لذا بناءاً عليه حين يغلُب فكرك على ذلك الذنب

لو تحملتِ شهوتك وليس في هذا الذنب فقط بل في أي شيء غير مرغوب في وقته حتى النوم شهوة والطعام شهوة

لو تحملتِ شهوتك لدقيقة واحدة فقط ستقدرين على مقاومتها بشكل أو بآخر

مقاومتهم تحتاج إرادة والإرادة كالعضلة تحتاج منا تقويتها قدر ما نستطيع

وابدئي حتى بأبسط الأشياء اشتهائك لقطعة من الشوكولاتة والتي يُخيل إليكِ إذ لم تأكليها في الوقت الحالي فورا سيحدث شيء ، قومي بتأخير تناولك لتلك الشوكولاتة دقائق وهكذا ستكسرين تلك الدائرة التي يفعلها عقلك بلاوعي ستكسرينها أنتِ بكامل وعيك ولو في أبسط القرارات البسيطة تدريجيا إرادتك وعزيمتك ستقوى"

"حسنا"

أرسلتها له فواصل:_

"في كل مرة تشعرين نفسك مسلوبة الإرادة تجاه ذلك الذنب فقط توقفي لدقيقتين ومن ثم استمعي لذلك التسجيل الصوتي إلى أن تتحدثي معي مرة أخرى اتفقنا؟

ابتسمت من صوته المتزن الحنون في حديثه معها وأرسلت إليه أيضاً

"حسنا"

□□□□

بعد انتهاء حفل الجامعة الذي كان مدعو به هو وخالد وأصدقائهم يقف جوارها مبتسما لفرحتها وهي تتناول الآيس كريم بطريقة طفولية لذيذة

اتسعت ابتسامته وهي تقول بانبهار:_

"كنت رائع يا حسن وأنت تُلقي كلمتك يا إلهي أنت حتى لم تحضر له كما أنك تكرمت كالأول على دفعتك كيف فعلت هذا بحق الله"

أنهت حديثها متذمرة فضحك قائلا بمشاكسة :_

"يا صفراء كفي عن حقدك "

ضربته بقبضتها في كتفه قائلة بحنق:_

"لست صفراء يا حسن "

ثم أردفت بتفكير قاطبة :_

"حسن أنت الأول على الدفعة هل سيتم تعينك ؟"

ابتسم بسخرية وهو يهز رأسه نفيا قائلا:_

"بالتأكيد لا لقد أخذوا ابن العميد "

ضمت حاجبيها في ضيق وهي تسأله :_

"ولم لا ؟"

لوى حسن شفتيه بتهكم قائلا:_

"بغض النظر عن كوني أنا حسن لكن إذا وضع ذو منصب جوار أي طالب عادي فبالتأكيد لن يتم التفكير أبداً في الطالب العادي "

ألمها قلبها لحديثه المهموم الذي يخفي ورائه ألمه من حقيقته لذا مالت عليه هامسة بدلال كي تصرفه عن تفكيره

"حسن أنا جائعة "

نظر إليها بدهشة قائلا بمشاكسة:_

"ألا تشبعين بحق الله لقد تناولتِ لتوكِ وجبة الإفطار للمرة الثانية وقمتي بالتحلية "

زمت شفتيها بحنق وهي تضربه بقبضتها في كتفه قائلة بتذمر:_

"حسن هل تعد على ما أكل "

ابتسم قائلا وهو يضع كفيه في جيبي سرواله الأسود:_

"فقط أريد أن أعلم أين يذهب كل ذلك الطعام وتلك السعرات الحرارية التي تأكلينها بحق الله لا يظهر عليكي شيء مما تأكلين "

لعبت ملك حاجبيها بشقاوة قائلة:_

"لترى من هو الحقود تحقد علي لأني أكل ما أريد دون أن يزيد وزني "

ضيقت عينيها بشر وهي تقول ببراءة :_

"ثم قل لي يا سيد حسن ألا يعجبك؟"

غمزها بعبث ومال عليها هامساً بحرارة :_

"بل أكثر مِن يعجبني يا كل الحسن "

احمرت وجنتيها خجلا وهي تسب نفسها سرا لكن التفت الاثنان على صوت يقترب منهم يقول بدهشة :_

"ملك أنتِ ملك صحيح؟"

التفتت ملك بدهشة على الصوت المألوف وهي تقول مبتسمة :_

"رندا كيف حالك يا فتاة أين أنتِ "

"بخير"

قالتها رندا ضاحكة فسألتها ملك

" أين اختفيتِ هكذا ؟!"

ابتسمت الفتاة قائلة:_

"أقسم أني بحثت عن رقمك كثيرا ولم أعثر عليه بعدما تم انتقالنا إلى هنا في العاصمة قمت بتحويل كليتي إلى هذه الجامعة وأنتِ ما أخبارك ِ"

قالتها رندا وهي ترمق حسن بفضول :_

"بخير لقد تزوجت"

قالتها ملك بطيبة مبتسمة وهي تلتفت مشيرة لحسن تقول:_

"حسن زوجي وهذه رندا جارتي وصديقتي يا حسن"

أومأ حسن برأسه مبتسما في تحية صامتة ردتها له بالمثل وقد انحسرت ابتسامتها

في دهشة أن ملك متزوجه منه نعم هي تعرف ذلك الحسن منذ أن أتت هنا إلى هذه الجامعة لكن كيف تتزوج ملك به ؟.

نحت أفكارها جانبا وهي تتناول هاتفها تسأل ملك عن رقمها وتم تبادل الأرقام واستأذنت منها على وعد بمهاتفتها

التفتت ملك إلى حسن الذي يعبث بهاتفه وقالت:_

"حسن أنا جائعة أين سنذهب ؟"

أحاط كتفيها بذراعه قائلا :_

"اذا كنتِ تريدين يمكننا قضاء اليوم هنا في العاصمة نلف ونتنزه بها كما تريدين ما رأيك ؟"

ابتسمت قائلة بابتهاج :_

"موافقة بالطبع "

قبل أن يتحرك أي منهم اختلجت عضلة فك حسن بقوة وهو يسمع صوت رقيق مقتربا منه يناديه بابتهاج مألوف:_

"حسن يالله أين أنت كيف حالك؟"

ابتسم حسن باهتزاز والتفت إلى تلك الفتاة قائلا بجمود:_

"بخير نهى وأنتِ كيف حالك؟"

"بخير "

قالتها بقنوط من طريقته وهي تنظر له بخجل ثم ما لبست أن سألته بحزن :_

"حسن هل مازلت ناقم علي "

"لم يكن هناك غضب بيننا من الأساس يا نهى"

"حقا ؟"

قالتها مبتسمة لكن ابتسامتها انحسرت وهي يقول مشيرا لتلك الواقفة بجانبه :_

"أقدم لكِ زوجتي وتلك نهى زميلتي بالجامعة يا ملك "

هزت رأسها مبتسمة باصطناع وهي تمد يدها لتلك الفتاة تسلم عليها وتبارك لها ثم استأذنت منهم وتركتهم سريعا

التفت حسن إلى ملك قائلا بجمود:_

"هيا كي نعود إلى المنزل "

لم تتحرك من مكانها قائلة بغضب وغيرة :_

"من تلك الفتاة يا حسن ولما تغيرت هكذا فور رؤيتها "

صمت لدقائق ثم دفعها من ذراعها برفق قائلا بحزم:_

_هيا يا ملك ولا تجادليني رجاءاً ...

□□□□

يستند على مقود سيارته بإرهاق قاطناً أمام بيتها ،لقد بات ليلته هنا على أمل أن يراها ولو حتى تخرج من الشرفة ،لكن وكأنهم أحكموا عليها الوثاق ،حتى أن هاتفها مغلق ،كل يوم يخرج من عمله ويأتي هنا بجوار بيتها لعله يراها ، يا الله كيف تكون قاسية عليه هكذا ،ألا تعلم كم يحبها ويهفو قلبه إليها ؟

ضرب على المقود بيأس وقهر ، والدها لا يتفاهم معه بل لا يعطيه الفرصة حتى ،فقط نظراً للعشرة أعطاه مهلة

أيام أما أن تصله ورقة طلاق ابنته وإما أن يرفع قضية الطلاق

هو لا يهمه كل ذلك ، لا يهمه شيء سواها ،فقط لو يراها ! لو يراها!!

لمعت عيناه وتسارعت دقات قلبه وهو يراها تخرج مع والديها وأخواتها الآن من الباب

أخفض رأسه قليلا وهو يراهم يركبوا سيارتهم فانتظر دقائق وسار وراءهم بمسافة معقولة ببطء ودقات قلبه تكاد تصم أذنيه لهفة وشوق.

صف سيارته جانباً حين توقفوا بسيارتهم أمام المجمع التجاري ودخلوا

نزل من سيارته مسرعا ودخل ورائهم بحذر ، أبصرهم يتفرقوا حتى دخلت وحدها قسم الملابس فدخل ورائها يقف جانبا هل هذا ما آل إليه حاله هو وروضته؟

جرت عيناه عليها بلهفة وابتلع ريقه بصعوبة يا الله كم اشتاقها ، كم اشتاقها ، هل فقدت وزنها كثيرا ؟ أم قلبه القلق عليها هو ما يهيأ له ذلك ممعناً في ألمه

لمعت عيناه بفكرة مجنونة وهو يراها تقلب بين الملابس بملل وعيناه تمر على المكان الفارغ ويبدو أن الجميع بالناحية الأخرى وكعادتها اختارت الهدوء

أخذ ينقل نظره بينه وبينها وبين ذاك الباب الجانبي لدقائق

ثم اقترب منها ببطء وحذر ،حتى سار ورائها تماما .

وضع يده على فمها وذراعه على خصرها وسحبها سريعا إلى ذلك الباب الجانبي دون أي تفكير في العواقب حتى

مجرد أن أغلق الباب ، شعر بها مستكينة بين ذراعيه وكأنها كانت تنتظره

أنزل يده من على فمها ببطء ،واحتضنها بقوة ،ظهرها ملاصقا لصدره ،دافنا وجهه في عنقها يتنفسهاباشتياق وولـه ،فقط لو يتوقف العمر هكذا ، لا يريد شيء أكثر من ذلك !

أدارها ببطء بين ذراعيه ،محافظا على احتضانه لها ومجرد أن التقت عيناهم همست باسمه بنبرة آلمت قلبه نبرة أولها اشتياق وآخرها عتاب

لم يمهلها تكرارها وهو يتلقف اسمه من بين أنفاسها بشغف يضيع فيها ويضيعها معه دون مبالاة حتى بالمكان واحتمالية دخول أحد من أهلها إليهم الآن باحثين عنها إذا لاحظوا اختفائها

بعد فترة دفعته عنها في ارتياع ،تأخذ أنفاسها بصعوبة وتقلب نظرها في الغرفة التي أخذها فيها ذلك المجنون

الحمدلله يبدوا أنها مخزن لا يدخله أحد وإلا كانت فضيحة

همست بخوف :_

"يا الله أبي وأمي وإخوتي بالخارج"

حاولت دفعه والتخلص من بين ذراعيه ،لكنه كالحائط لا يتزحزح فقط عيناه تمر عليها باشتياق زلزل قلبها وكيف تُخطئ عينيها اشتياق أنس

دمعت عينيها رغما عنها وهي تنظر لشحوب وجهه وجحوظ عينيه ،فوضعت كفيها على صدره تهمس بعتاب:_

"كيف فعلت بي هذا كيف هنت عليك يا أنس"

"يا غبية "

قالها بغضب من بين أسنانه ضاربا بقبضته في الحائط وما لبث أن احتضنها بقوة لعل دقات قلبه تثبت لها أنه مازال!!

مازال على الوعد ،على الأمان ،على الحب بل على العشق....

استكانت بين ذراعيه تماما ،لقد اشتاقته هي الأخرى حد السماء ،يبدو أنها لم تتنفس منذ أن تركته إلا الآن

بعد فترة ابتعد عنها قليلاً ينظر في عينيها هامساً بعتاب:_

"هل هان عليكِ ما بيننا يا روضة ؟

بضعة كلمات دون أي دليل مني تجعلك تفرين هاربة دون النظر وراءك مرة واحدة"

حاولت دفعه بحدة وهي تتذكر حديث والدته ذاك اليوم لكنه لم يسمح لها هامساً بحزم:_

"اهدئي وتحدثي"

طفرت الدموع بعينيها وهي تقص عليه ما حدث في ارتجاف فأغمض عينيه بألم وهو يستمع لها

يا الله كيف تفعل به والدته هكذا ؟ ألم يقل لها أن تغلق ذاك الموضوع ؟ ألم يقل أنه لن يتزوج غير روضة أبداً ؟وكيف يفعلها بحق الله؟!

أسند جبهته على خاصتها يشاركها دموعها هامسا بألم:_

"كيف صدقتي يا روضة كيف؟ ألم تثبت لكِ كل تلك السنوات أني لا أريد غيرك هل أنا في نظرك عديم الرجولة بهذا الشكل ماذا فعلت لكِ كي تظني في هذا يا روضة فقط كنتِ انتظريني!!!"

زادت الدموع جريا على وجنتيها هامسة بغيرة :_

"فقط لو لم أستمع لحديثك في الهاتف مع تلك الرؤى لم أكن لأصدق لم أكن لأصدق يا أنس"

هزها بين ذراعيه في غيظ قائلا :_

"يا غبية يومها كنت سأقص عليكِ الموضوع كاملاً لكني لم أجدك في البيت بأكمله ،رؤي ليست سوى أخت لأحد أصدقائي وزوجة للآخر يا غبية وبينهم عدة مشاكل كانت تريد مني التدخل بحلها فقط هذا يا غبية"

قبل أن يتحدث أي منهم فُتح الباب بحدة مما جعلها تبتعد عنه في خجل وخوف وهي ترى والدها أمامها وجواره أختها الصغيرة ومن المؤكد هي من رأتها وأخبرته

انتبهت على صوت والدها الحاد يأمرها بحزم:_

"روضة تعالي هنا "

قبل أن تتحرك من مكانها كانت قبضة أنس القوية تمسك ذراعها بقوة مما جعل والدها يقول بغضب:_

"أنت اترك يدها ثم ماذا تفعل أنت هنا ، هل هذه أخلاق أن تحتجزها هنا ؟"

أردف الرجل بتهكم مثير للغضب :_

"لكن ماذا سأتوقع منك يا بن البرعي؟ ألم أقل لك لم يعد لك علاقة بها وأن تطلقها وإلا سأُقاضيك"

اختلجت عضلة فكة بقوة لكنه رد بقوة وحزم:_

"هي زوجتي يا عمي وأنا لن أتركها"

ابتسم الرجل بسخرية وهو ينظر بألم لعيني ابنته الدامعة وقال بتهكم:_

"هل صدقته الأن؟ ضحك عليكِ بكلمتين وجعلكِ تسلمين ،أنسيتي حديث والدته وحالتك كل تلك الفترة الماضية "

تنهد أنس بنفاذ صبر وقال بمهادنة عل الرجل المستفز يلين قليلاً:_

"يا عمي لم لا تستمع إلي وإلى مبرراتي ؟"

"أنا لن أستمع لكاذب مثلك "

قالها بضيق وهو ينظر لابنته قائلا بحزم:_

"هيا معي يا روضة لم يعد بينك وبينه سوى الطلاق "

"عمي "

قالها بغضب غير عابئا بتجمهر الناس حولهم وهو يُكمل بحدة:_

"أنا لن أتركها أبداً شرعا وقانونا وجودها جواري أنا لذا هي ستأتي معي "

لمعت عينا الرجل بغضب وهو ينظر لابنته قائلا بسخرية قاسية:_

"حسنا سعيدة أنتِ الآن ببضعة كلمات ألقاها بالنهاية رجل إن لم يتزوج عليكِ هذا العام سيفعلها ولو بعد عشرة أعوام وهو يرى نفسه يكبر وحيدا دون أبناء وحينها لن يُكسر غيركِ"

دمعت عينيها بقهر وبكت ،حديث والدها نكأ على نقطة طالما كانت متوارية بقلبها في خوف لكن دوما أنس كان

يضحدها بحبه دون أن يعلم عنها حتى لكن الآن كلام والدها يسطر عليها مما جعلها ترفع يدها تحاول إزالة قبضته عن ذراعها في ضعف

رفعت عينيها الدامعتين إلى عينيه المصدومتين من فعلها وهو يهمس بتوسل:_

"روضة لا تفعليها، عودي معي "

لكن زمجرة والدها الغاضبة جعلتها تفك قبضته في حزم وهي تتجه نحو والدها الذي تلفقها تحت ذراعه باكية دون حتى أن تنظر وراءها.....

الفصل الثالث عشر

بغرفة الضيوف يجلسون جميعاً في قلق ينتظرون خروج الجد لهم فهو جمعهم اليوم

دقائق وخرج لهم متكئ على عصاه فاستقام خالد يقابله وهو يضع يديه تحت ذراع جده الآخر حتى أجلسه على مقعده ثم عاد مكانه

صمت دقائق ثم نظر إلى ولده البكري قائلا بقوة:_

"منذ متى وأنت تُخفي عني شيء يا مُحمد "

نظر محمد إلى إخوته فهزوا أكتافهم بحيرة فعاد بنظره إلى والده يسأله بقلق:_

"ماذا أخفيت عنك يا أبي "

ضرب الرجل بعصاه على الأرض قائلا بغضب :_

"لا تراوغ يا ابن البرعي لقد حدثني أخو حكيم وقال أن ابنتهم تطلب الطلاق هل هذه مشكلة بسيطة كما قلتم وأن ذلك اللوح بجانبك سيحل الأمر لا والأكبر أنكم جميعا كنتم تعلمون الأمر وأخفيتموه عني هل أصابني الخرف دون أن أدري"

كان شهاب أول من رد عليه وهو يقول:_

"حشاك يا أبي فقط لم نكن نريد قلقك "

وجه الرجل عصاه جهة شهاب قائلا بجمود:_

"اصمت أنت يا شهاب لقد اشتركت معهم ولم أكن أتوقع منك ذلك "

أنزل عصاه ورفع نظره إلى حفيدة الأكبر وقال :_

"ابنة حكيم تطلب الطلاق منك يا ابن البرعي "

"أعلم يا جدي"

قالها عبدالرحمن بقنوط مطرقا برأسه

"عيني عليك باردة والله يا روح جدك"

قالها الجد بسخرية ثم أكمل بحزم :_

"لقد وعدتهم أن لها ما تريد يا عبدالرحمن لذا فكما أوصلت ابنة الأصول إلى طلب الطلاق ستنفذه "

انتفض عبدالرحمن بغضب وهو يقول :_

"لا لن أفعلها وأعلى ما بخيلها تركبه "

"اجلس يا ولد وتأدب "

قالها جده في حزم فجلس على مضض وداخله يغلي غلياً

تحدث جده مرة أخرى وقال بهدوء:_

"أنا لا أمرك يا ولدي لقد تحدث معي عمها طويلاً وقال أنها لا تفصح عن شيء لكنها تريد الطلاق ولا تريد حتى مجرد الحديث والتفاهم معك فقرارها نهائي وهم لا يريدون المحاكم ابنتهم أكدت لهم أنك من أخطأت لكنها لم تفصح عن ما دار بينكم لذا نفذ لها ما تريد فقرارها لا رجعة فيه "

انتفض قلبه ذبيحاً بين جنباته فأخفض رأسه شاعراً بالاختناق

كيف لها أن تفعل ذلك ؟ ألا تشعر به ؟ ألا تدرك أنه لا يستطيع العيش من دونها ؟ أنه يتنفسها كيف أصبحت قاسية عليه هكذا ومتى أهو من صنع يداه؟

حين لم يحتمل الألم بصدره انتفض خارجا من الغرفة بأكملها وانظارهم تشيعه حتى اختفي

نظر الجد إلى ابنته هدي وجوارها هنا ابنتها وسألها بجمود:_

"أين زوجك يا هدى لِمَ لم يأتي "

"في العمل يا أبي"

مط شفتيه بعدم رضا وهز رأسه قائلا بسخرية :_

"في العمل آه حسنا أخبريه أن يربي ابنته ويعلمها أن لا تنظر لما هو حق لغيرها فيبدو أنك فشلتي في ذلك "

"ماذا تقصد يا أبي؟!"

لم يعيرها اهتمام ولا لتلك التي امتقع وجهها ودمعت عيناها من حديث جدها والتفت إلى ابنه عامر قائلاً:_

"وأنت يا عامر أين ابنك أنس ؟"

"لم يستطع أن يأتي يا أبي ويعتذر منك "

هز الرجل رأسه ثم قال بلوم:_

"هل يُرضيك ما يحدث معه الآن يا عامر كيف سمحت لزوجتك أن تفعل ما فعلت بالله عليك لقد دمرت الولد يا عامر"

"لم أكن أعرف يا أبي صدقا كما أنها ندمت وتريد أن تفعل أي شيء لتجعلها تعود له"

"ندمت!! "

قالها الجد بسخرية وأردف :_

"قل لها لا يفيد ذبح الشاة بعد سلخها "

تنهد بهم ثم استغفر ربه قائلاً:_

"قل له جدك يريد أن يراك وألا يتسرع عسى الله أن يحدث بعد ذلك أمراً "

التفت إلي حفيدته الجالسة بصمت جوار أبيها فابتسم قائلاً:_

"كيف حالك يا جميلة آل البرعي "

ابتسمت غدي بحب لذلك الرجل الذي تعشقه ثم قالت بشقاوة:_

"أنا بخير مادمت بخير يا كبير آل البرعي "

فتح لها ذراعيه فانضمت له سريعا مبتسمة فقبل رأسها ثم سألها بمشاكسة:_

"وكيف حال ضابطنا الهمام ؟"

ابتسمت بخجل قائلة:_

"هو بخير يا جدي يُقبل يديك "

ربت على رأسها داعياً لها ثم قال:_

"حسناً اتركوني وحدي الآن مع هنا "

ثم نقل نظره لخالد وقال:_

"وأنت يا خالد نادِ أخاك وقل له إني أريده الآن"

أومأ خالد برأسه وخرج ورائهم يفعل ما أمره به الجد

دقائق وكان يجلس يقلب نظره بين هذين الأثنين البائسين أمامه فقال بهدوء:_

"لدي لكم اقتراح وأقسم أني قادر على تنفيذه ولن يقف أمامي أحد إذا أردتم "

رفع الإثنين رأسهم له في تساؤل فقال:_

"أنا موافق على زواجكم أنتم الإثنين والآن إن أردتم "

قالها وصمت يدقق في ملامح الإثنين بدقة وقلوبهم على النقيضين

فقلبها كانت دقاته تزقزق آملاً في ذلك الحلم البعيد وقلبه هو لم يكن به سوى البلادة وهو يتراءى له موقفها الأخير أمام عينيه كيف أنها حتى لم تتحمل إغماءة بسيطة وبداية نوبة لم تنتظر لترى تباعاتها وكم آلمه ذلك وأشعره بمدى نقصه ليس حباً فيها وإنما خزيا من الأخرى وجرحاً لرجولته

أخرى تراءت له دامعة العينين تنظر له بألم وهي تصر على الطلاق لذا كان هو أول من انتفض واقفاً قائلاً بغضب:_

"لا يا جدي نحن لا نريد ذلك هنا فقط ابنة عمتي لا شيء غير ذلك"

قالها بحزم ثم أردف بسخرية وهو ينظر لها بألم:_

"كما أني لا أقبل لها أن تتزوج بشخص مريض تخجل من نوباته"

التفت إلي جده مستأذناً منه ثم خرج مسرعاً فانفجرت باكية وهي تقول من بين بكائها:_

"أقسم يا جدي لم أخجل منه كما ظن لقد كانت أول مرة لي تحدث أمامي لقد تيبس جسدي ولم أدري ما علي فعله أنا أحبه يا جدي أقسم لك أني أحبه لقد كنت آتيه اليوم لأعتذر منه ،حتى أني فكرت بأخذ دورات عن كيفية التعامل معه "

تركها الجد تقول ما تريد وهو مطرقاً رأسه في يأس منها ثم قال:_

"يا ابنتي هل أنتِ عديمة الدم أم أنكي غبية ؟ وسط كل حديثك لم تتذكري أنه رجل متزوج ولديه طفل!!

يا ابنتي ألا تعلمين أن الفتاة التي تنظر لرجل متزوج تحت أي ظرف هي فتاة عديمة التربية والأخلاق"

مسحت دموعها قائلة بغباء:_

"جدي لقد كنت لتوك تعرض علينا الزواج "

"يا فتاة هل تتغابين لم أفعلها إلا لتسمعي رده بنفسك فأنا كنت متأكد من رفضه "

" ولم يا جدي؟"

استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم

قالها زافراً بغضب وهو يخبط كفه بالآخر ثم قال:_

"ألا تعلمين أن التفريق بين الزوجين ذنب عظيم عند الله"

"يا جدي أنا لم أطلب منه تطليقها رغم أنها هي من أخذته مني لكنها هي من فعلت "

لا هذا كثير هذه الفتاة ستكون السبب في قصر عمره

تنهد مستغفراً ثم قال:_

"هي لم تأخذه منكي بل أنتِ من تركتيه بإرادتك عند أول قارعة طريق ،هي حتى لم تكن تعلم عنك شيء والله ابنة أصول لم أرى منها يوما إلا خير ولم أراها في قلبي إلا حفيدتي "

دمعت عينيها قائلة بحزن:_

"حسنا يا جدي أعلم أني أخطأت لكن ألا يوجد أحد يُخطئ"

"في أي حال غير عبدالرحمن كنت لأوافقك الرأي يا هنا لكن خطأك أنتِ أدى إلى القتل لقد قتلتي حبك في قلبه بفعلتك فلا تلومي أحد "

أردف بقسوة بعض الشيء:_

"وكفي عن الأنانية بالله عليك لقد قلت لكي من قبل ليس هناك خاسر غيرك نعم هي تطلب الطلاق الآن لكن اعلمي أنك السبب في ذلك وأن ذنبك عظيم

ألا تخجلين من نفسك وأنتِ تريدين الزواج من رجل متزوج ولديه طفل

لا يقال عنك سوى أنكي سارقة لا يليق بها سوى الازدراء هذه نظرة أي أحد لأي فتاة تقول فقط أنها تحب رجل امرأة أخرى"

أطرقت برأسها ولم ترد فهز رأسه يأساً قائلاً:_

"ابحثي عن نفسك في نهر آخر يا هنا عسى أن تجديها ولا تلتفتي لنهر ابن خالك مرة أخرى فقد جف ولن يسقط في الهاوية غيرك "

"لكني أحبه أقسم أني أحبه"

استقام واقفا متكئ على عصاه وهو يقول بحكمة قبل أن يتركها ويخرج

"حبك له كالجنين المشوه يا ابنتي لا حل معه سوى الإجهاض"

★★★★

تقف على باب شقة شهاب خائفة أن تطرق الباب ، لم تراه منذ أن ترك البيت وذهب ليمكث مع شهاب بشقته ، حين أرادت مقابلته أقسم عليها أن تتركه وحده فترة ،لكنها تتألم قلبها يؤلمها عليه.

أنس الرقيق لا يستحق ذلك أبدا ، سامحك الله يا أمي سامحك الله همست بها بينها وبين نفسها وهي ترمق والدتها الواقفة بخزي ورائها جوار والدها الصامت

دمعت عينيها وهي تنظر للظرف بيدها في ألم ثم رمقت والديها خلفها مرة أخرى في عجز ماذا سيفعلون ،ماذا سيقولون له ؟

بل كيف ستواجه والدتها

حسمت أمرها وهي تضغط على الجرس ضغطة خفيفة كانت كافية لأن يفتح لهم شهاب.

بعد دقائق

رفع حاجبيه في دهشة فور أن فتح لهم لكنه ابتسم ورحب بهم في حفاوة وأدخلهم

مرت نظراته عليهم بوجل فملامحهم لا تبشر بالخير

دعاهم بالجلوس وجلس جوارهم يرحب بشقيقه وزوجته وغدي

ثم استقام واقفا يسألهم ماذا يريدون أن يتناولوا من واجب الضيافة

إلا أن زوجة أخية استوقفته وهي تقف سائلة بلهفة:_

"أين أنس يا شهاب أين ابني هل هو بخير لماذا لا أراه؟"

ابتسم شهاب مطمئنا لها وهو يقول:_

"اطمئني يا أم أنس هو بخير لكنه نائم بالداخل سأد..."

قاطع حديثة غدي وأخيه وهما يقفان معاً عازمين على الدخول له أما والدته فتراجعت بخزي وعلامات الخوف على وجهها من مقابلته

أشار لهم بكفيه يستوقفهم وهو يدعوهم للجلوس مرة أخرى ثم جلس هو الآخر يتأمل ملامحهم في قلق وبالأخص علامات الألم المرسومة علي وجه أخيه الصامت لذا سألهم بصوت خافت:_

"لما ملامحكم لا تنذر بالخير هل جد جديد ؟"

كان أول من رد عليه هي غدي وهي تناوله الظرف في يدها والذي رمقه في صمت فقالت :_

"إنها دعوى طلاق لقد وصلت البيت اليوم "

"طلاق من!!!"

التفتت إليه الوجوه بقلق فيبدو أنه استيقظ واستمع إليهم

"طلاق من يا غدي قولي ؟!"

قالها بجزع وهو يدخل عليهم الغرفة مشعث الشعر أثر النوم ،شاحب الوجه ،هزيل البنية مقارنة بقوة أنس المعروفة مما آلم قلب والديه وأخته عليه

انتزع الورقة من يد شهاب وهو يفتحها وعينيه تمر على السطور سريعا بذهول حتى توقفت على اسمها

جنون ،، ألم ،، نار حارقة تحرقه حرقا وتقضي على الأخضر واليابس من تعقله

هل فعلتها حقاً؟ هل طاوعها قلبها وذهب لرفع قضية الطلاق عليه؟

هل ببساطة تتخلى عنه بجبن بعد أن أقسم لها بأغلظ الأيمان أنه لا يريد غيرها ؟

هل انتهى حبها المزعوم عند مرسى الطلاق ؟

كيف تطاوع والدها ؟ هي ليست بالصغيرة كي تفعل ذلك دون رضاها ؟ روضته ويحفظها لا تفعل شيء دون رضاها أبدا ً

اللعنة عليه وعليها وعلى تركه لها وتعقله في مهادنة ذاك البائس والدها لِم لم يختطفها بحق الله ؟ كيف تركها

تذهب مع والدها ولم يحتجزها معه ضاربا بها وبرأسها الصلد وظنونها بعرض الحائط

مُذيقاً إياها أنهاراً من العقاب وليالي من العشق ، عشقها الذي يملكه حد النخاع

كل تلك الأفكار تعصف برأسه وتحرق قلبه المتألم لِفعلتها

وهم جالسين ينظرون إلى تسمره بقلق وترقب حتى أن أمه بكت

التفت إليها مبتسما بسخرية واقترب منها واضعاً الورقة علي ركبتيها وهو يقول بألم:_

"لما تبكين يا أمي الآن ؟ لقد حدث ما أردتي وها نحن في طريقنا للطلاق

لا تقلقي القضية لن تأخذ الكثير بتدخل والدها وعلاقاته، أهنئ أماه واشحذي همتك في تجهيز تلك العروسة الجديدة ألم تكن تلك خططك ها قولي لم تبكي الآن ؟"

ونهاية حديثة كانت صراخ جعل والده ينهره بحدة وأمه تنفجر باكية :_

"ولد يا انس هل نسيت نفسك تصرخ على والدتك وفي وجودي أنا وعمك هل انعدمت تربيتك إلى هذا الحد إياك أن تكررها مرة أخرى وتنسى نفسك مع أمك بوجودي أو غيره فمهما فعلت وإن قتلتك قتيلاً هي أمك "

رمقه شهاب بعينيه أن "كفي" يعلم أن ابن أخيه ليس في حالته الطبيعية أبدا ً حتى أنه تهاوى جالسا جوار ركبة والدته يقول بضعف:_

"أنا آسف يا أمي لم أقصد ، آسف يا أبي"

ابتلع ريقه وأردف بمرارة :_

"لكن ليس سهلاً ،ليس سهلاً علي أبدا ما أنا فيه والسبب كله والدتي "

أخرجهم من حالة البؤس تلك صوت غدي بعينيها الدامعة ألماً على أخيها وهي تقول بأمل واهي:_

"أنس يمكنك مقابلة الدعوى بأخرى لبيت الطاعة وتضمها لك مرة أخرى"

رفع رأسه إليها قائلا بسخرية:_

"هل ترين أني لست رجلا كي أجعلها تركض ورائي في المحاكم تظني أن عند دعوتي سيتوقف الأمر ؟ سيقوم والدها ومحاميه بالتصرف بالطبع"

صمتت غدي وهي لا تدري ماذا تقول وتابعته بعينيها وهو يقوم بضعف خارجاً من الغرفة

دمعت عينيها من أجله فضمها شهاب له يربت عليها مفكراً في حل تلك المعضلة ....

★★★★

يجلس بالأريكة في الصالة الخارجية للمنزل يقلب في هاتفه

مد يده وتناول الهاتف وابتسم فور أن رأى الاسم

"Noha❤"

تحرك مسرعا إلى المطبخ حيث رنا ووقف جوارها فاتحا الهاتف والسماعة الخارجية وهو يشير لها أن تتحدث ولا تُظهر شيء

نظرت له بحنق فزجرها بعينيه وهو يشير لها أن تتحدث

انتبهت على صوت نهى الصادح من الهاتف تقول:_

"رنا هل أنتِ معي؟ رنا؟"

تنحنحت ثم ردت قائلة بارتباك:_

"آه نهى معك أنا معك حبيبتي "

أتاها صوت نهى القلق تقول:_

"ما بكِ لما تتحدثين هكذا ؟"

نظرت إلي حمزة في حنق وهو يُلعب لها حاجبيه مبتسما فقالت:_

"لا تقلقي حبيبتي أنا بخير "

صمتت نهى لدقيقة ثم اتاها صوتها مرتبكاً وهي تقول بخفوت:_

"رنا هل تستطيعين أن تأتي لي أريدك في أمر هام"

قبل أن تتحدث كان حمزة يشير لها أن ترفض هامسا أن تجعلها هي تأتي

هزت رأسها نفيا فضربها بقدمه في ساقها فتأوهت

أتاها صوت نهى القلق تقول:_

"رنا ما بكِ ؟"

ضحكت رنا باصطناع وهي تتوعد له بعينيها ثم قالت:_

"لا يوجد شيء حبيبتي فقط كنت أريد أن أقول لو تأتي أنتِ لي "

صمتت نهى ثوانٍ ثم سألتها بارتباك في خفوت:_

"هل أنتِ وحدك مممم..... أقصد هل دكتور حمزة موجود فلا يصح أن آتي وهو موجود "

وآاااااه من تلك "الحمزة" تأوه داخله بحلاة من طريقة نطقها لاسمه وارتباكها اللذيذ

ابتسمت لخجل صديقتها ولذلك الذي يقف مبتسما ببلاهة فقالت:_

"لا حبيبتي عندما تأتي سيكون خارجا "

"حسنا"

قالتها نهى وأغلقت الهاتف فاستدارت له رنا بغضب وهي تضربه بقبضتها في كتفه قائلة بحنق:_

"ما تصرفات المراهقين تلك يا حمزة بحق الله هل هذه أخلاقك ؟"

احمرت أذنيه بخجل رجولي ثم حك رأسه قائلاً بارتباك:_

"لا أعلم لكني أحب مشاكساتها كما أنك إلى الآن لم تتحدثي معها "

رغما عنها ابتسمت فمجرد فكرة اجتماع حمزة ونهى تجعل قلبها يغرد فرحا لكنها قالت بثبات وتآمر:_

"حسنا يا مشاكس هيا اذهب لعيادتك وأرني عرض أكتافك هيا"

قطب بين حاجبيه وهو يهم بالرفض فرفعت سبابتها قائلة بصرامة :_

"والله يا حمزة إن لم تذهب قبل أن تأتي نهى لن أتحدث معها وسأقول لنعمات "

رفع حاجبيه في غيظ وهو يضربها على مؤخرة رأسها قبل أن يخرج مبرطماً بغيظ

"فتاة غليظة لا أعلم من خال للآخر "

"بعد نصف ساعة "

يجلس بمدخل العمارة ينتظر قدومها فقط رؤيتها وهو يحمد الله على عدم وجود البواب

دقائق وظهرت دبدوبته عند مقدمة الباب وبمجرد أن رفعت رأسها ورأته امتقع وجهها وتراجعت خطوتين للخلف

كبت ضحكة عالية كادت أن تخرج منه وتقدم منها بسماجة حتى وصل إليها وابتسم قائلا بعبث داخلي:_

" نهى مرحبا بِك كيف حالك ؟"

أومأت برأسها سريعا وهي تحاول أن تتخطاه لكنه وقف أمامها سائلاً بدهشة مصطنعة:_

"هل أنتِ صاعدة لرنا أم لأحد آخر ؟"

أومأت برأسها أيضا دون رد فرحمها وترك لها الفرصة أن تمر سريعا حتى أنها لم تنتظر المصعد وصعدت جريا على السُلم وهو ينظر في إثرها مبتسما دبدوبة شهية تخجل فقط من مجرد لمحها له فماذا لو أصبحت مِلكه...!!

"بالأعلى "

منذ أن فتحت لها رنا الباب وأدخلتها إلى غرفتها وهي تجلس صامتة في خجل يا إلهي كيف طاوعت والدتها وذهبت للفحص عند طبيب ومن بين جميع الأطباء يكون هو خال رنا

انتبهت على صوت رنا تجلس جوارها وهي تضع أمامها صنية بها بعض الكيك وكوبين من النسكافيه

وسألتها في حنان :_

"ما بكي نهى وفيما كنتِ تريديني ضرورياً"

رفعت نهى رأسها إلى رنا ثم دمعت عينيها هامسة :_

"حسن "

قطبت رنا بين حاجبيها في خوف ثم سألتها بقلق :_

"ما به ألم يُغلق هذا الموضوع هل عدتم؟"

"لقد تزوج يا رنا "

تنهدت رنا رغما عنها في راحة من أجل حمزة ثم قالت:_

"وماذا إن تزوج يا نهى أنتِ لم تكوني تحبينه كما هو مصور لكي "

"أعلم"

قالتها بقنوط ثم أردفت وهي تتناول كوب المشروب الساخن بين يديها

"لقد تعلقت به ليس حباً كالعاشقين لكني تعلقت به كأخٍ وصديق وهو كان مثال لكل ذلك معي ،حين علمت أنه تزوج غضبت وحزِنت لكني بعدما هدأت تيقنت أنها لم تكن غيرة فقط إحساس بفقد صديق مثله لكن بقلبي كنت سعيدة من أجله ورغما عني عاد إلي غضبي من والدي فهناك من أعطاه ابنته دون أن يلتفت لنسبه "

تنهدت رنا قائلة:_

"حسنا يا نهى والدك لم يُخطئ بالعكس لقد كان خائفا عليكي ومن حقه كما أنكي لا تعرفين كيف تمت زيجته وتحت أي ظروف "

أومأت نهى برأسها فسألتها رنا :_

"إذا لم أنتِ حزينة هكذا؟"

لقد لمعت عيناه بالألم فور أن رآني يا رنا حتى أنه عاملني بكل جمود لا أسامح نفسي على أني السبب في دخوله لدائرتي لقد جرحه والدي بشدة وجرح كرامته وهو لا يستحق أبدا ً

ربتت رنا على كتفها قائلة بحنان :_

"حبيبتي لقد كانت نيتك حسنة فلا تلومي نفسك أكثر من ذلك بالأخير هو نصيب "

أومأت نهى برأسها فناولتها رنا طبق الكيك وهي تتحدث معها في مواضيع عدة مُنحية حديثها معها عن حمزة ليومين إلى أن تهدأ نهى وتفيق .....

★★★★

تجلس على الأريكة أمام التلفاز عينيها معه لكن عقلها في وادٍ آخر ،فمنذ يوم حفل الجامعة ومقابلة حسن مع تلك الفتاة وحاله انقلب رأساً على عقِب ، لا يتحدث معها سوى باقتضاب، يخرج باكراً ويأتي في منتصف الليل

حتى أنه لا يتناول طعامه في البيت إلا لِماماً ، عينيه بها من الألم والغضب أثقالاً لكنه يُخفي كل ذلك وراء واجهة من البرود..

اتكأت برأسها على حافة الأريكة عائدة بذاكرتها إلى ذلك اليوم

فقد أخذهم خالد في سيارته كي يوصلهم وطوال الطريق لم يوجه لها كلمة واحدة ،حتى أنه لم يستجب لحديث صديقه ومجرد دخولهم إلى البيت

التفتت إليه في غضب سائلة :_

"ما بِك يا حسن ؟"

"ما بي؟"

قالها ببرود وهو يهز كتفيه دون أن ينظر لها

وضعت يديها في خصرها قائلة بغضب :_

"منذ أن قابلت تلك الفتاة وحالك انقلب رأساً على عقِب "

لم يرد عليها فاقتربت منه قائلة بشر :_

"حسن قل من تلك الفتاة وإلا أقسم أنك لن تتوقع رد فعلي
"

لم يخرج من بروده وهو يرمقها بطرف عينيه يرد عليها قائلاً:_

"زميلة ،

كانت زميلتي بالكلية ما الضير في ذلك "

"زميلتك !! وما الذي بينكم كي تسألك إن كنت مازلت غاضب عليها أم لا ؟"

"ليس لكِ شأن يا ملك ما مضى مضى"

لمعت عينيها بالغيرة صارخة بغضب وهي تستدير:_

"حسناً لك ما شئت يا حسن لكن أنت أيضاً ليس لك شأن بي من الآن فيما ما مضى وما هو آتي"

قبض على ذراعها بقسوة وهو يديرها إليه قائلاً بحدة من بين أسنانه:_

"حذاري يا ملك أن ترفعين صوتك علي مرة أخرى أو أن تجابهينني في حديثي"

دمعت عينيها رغما عنها هامسة بألم وهي تنظر إلى ذراعها في قبضته :_

"ذراعي يا حسن أنت تؤلمني"

اتسعت عيناه في غضب من نفسه وهو ينتبه لما فعل ،خفف قبضته من ذراعها وأخذ يدلك مكانها في لين ثم همس بخفوت حزين :_

"أنا آسف يا ملك لم أقصد"

حاول أن يتحدث مرة أخرى لكنه لم يفعل وهو يتركها ويخرج صافقاً الباب خلفه بعنف

عادت من ذكرياتها وهي تفتح عينيها في ضجر ،لقد سأمت بحق الله

تناولت هاتفها تهاتف والدتها التي ردت عليها بلهفة قائلة:_

"ملك يا ابنتي كيف حالك حبيبتي ،اشتقت إليك"

دمعت عينيها وهي تشعر كم افتقدت والدتها وبيتها ورائحة والدها وأخواتها

ابتلعت ريقها وهي تسمع صوت والدتها يناديها بقلق فهمست بخفوت

"أنا معك أمي كيف حالك ؟ أنا بخير الحمدلله وأيضاً اشتقت إليك"

"وكيف حال قلب أمه قولي له إني عاتبة عليه لم يمر علي منذ أسبوعين ويكتفي بالهاتف فقط "

" بخير أمي فقط هو مشغول بالعمل أعذرية"

همستها بصوت متحشرج مما جعل والدتها تسألها قائلة :_

"ملك ما بكِ يا ابنتي أشعر أنكِ لستِ بخير"

"لا أدري ماذا أقول يا أمي لقد أخبرتيني أن ما بين الرجل وزوجته لا يخرج خارجاً أبداً "

قالتها بعجز فصمتت والدتها لدقائق ثم قالت بحكمة:_

"يا قلب أمك مشكلة عن مشكلة تفرق حين تحدثت أقصد المشاكل العادية لا يوجد منزل يمر يومين دون أن يتشاجر الرجل وزوجته حتى أعضاء الجسد تتعارك لكن هناك ما يوجب تدخل الأهل حبيبتي كي تعلمي ما هو التصرف الصحيح "

صمتت ملك لا تدري ماذا تفعل وماذا تقول فسألتها والدتها بقلق :_

"هل أهانكِ أو أهان كرامتك يا ملك هل مد يده عليكِ ؟"

"لا لا لم يفعل"

قالتها ملك سريعا فتنهدت والدتها باطمئنان وقالت بتريث:_

"أي مشكلة عادية بينك وبين زوجك تعلمي ألا تقوليها لأنكِ ابنتي بالأخير ولا أتحمل عليكِ الهواء وقلبي سيغضب منه لأنه أغضبك أما أنتِ وهو مرجعكم لبعضكم وبكلمة منه ستنسين ما كان لكني لن أنسى لأنكي ابنتي لكن أيضاً إياكِ وكرامتك وإياكِ والتطاول عليه "

تنهدت والدتها وأردفت بحنان:_

"وأنا هنا حبيبتي إذا كنتِ ترين أن ما بينك وبينه يستوجب تدخلي قولي لي أما إذا كان لا يستحق ففكري كيف تحليها بنفسك حبيبتي فأنا لن أعيش لكِ طيلة العمر "

"أطال الله في عمرك وأبقاكِ لي يا أمي لا تقولي ذلك ، حسنا يا أمي سأفعل"

"أسعدك الله يا ابنتي وأراح قلبك وألف بينكم في رعاية الله حبيبتي"

"آمين أمي في رعاية الله "

أغلقت مع والدتها وتنهدت بهم لا تدري ماذا تفعل معه هل تسأله مرة أخرى أم ماذا؟!

تناولت هاتفها تبعث لرندا صديقتها أنها تريد أن تتحدث معها علها تُفيدها وتنصحها فهم منذ أن تبادلوا أرقام هواتفهم وقد تحدثوا مرة أو مرتين لكن بالأمور العادية في الحياة

لكن قبل أن تبدأ معها المحادثة ، سمعت تكة مفتاحه في الباب فأطرقت برأسها أرضا ً وهي تضع الهاتف على الطاولة القصيرة أمامها في دهشة فقد أتى باكِراً اليوم

ألقي السلام فردت عليه هامسة دون أن ترفع رأسها ،نظر إليها نظرة عابرة ثم دخل إلى الغرفة يجلس على الفراش في قنوط

هو لا يعجبه الحزن الذي أصبح ملازم لمحياها وتلك التساؤلات التي تنطق بها عينيها لكن ماذا عساه أن يقول لها؟

هو منذ أن رأى نهى وقد تراءت له حقيقته في عين والدها مرة أخرى ليس والدها فقط بل كل أب كان سيكون مكانه من الذي يأتمن ابنته على لقيط لا نسب له

هل يقول لها أن تلك الفتاة التي تقدم لها ورفضه والدها نظراً لظروفه فهو لقيط؟

هل يقول لها أنه لولا ذلك القدر الذي وضعهم بطريق بعضهم البعض لم تكن لتنظر له حتى نظرة عابرة ؟

أيقول لها أنه لم ينسى كلمتها هي له يوم زواجهم وأنها فرصته التي جاءته على طبق من ذهب

أنها رغم اعترافه بحبه لها لم تبادله لكنه لا يطمع يكفي رضاها وسعادتها

هل يقول لها أنه يفكر في اليوم الذي ستتركه هي فيه بعد أن تفيق ؟

أنه يحاول أن يجذبها له ويعلقها به بقدر ما تعلق بها هو الآخر حتى لا يستيقظ يوما دونها

أنه وبكل أنانية يريد أن يكون أسرة معها وأطفال يُزيلوا مرارة قلبه حتى وإن كان والدهم عديم النسب مثله

ابتلع ريقه بصعوبة وتلك الدموع التي توخز عينيه تكوي رجولته كيا ً

استقام واقفا يبدل ملابسه بآليه ثم أطفأ الأنوار واستلقى على الفراش مغمضاً عينيه سابحاً في أفكاره

بعد فترة ليست بالقليلة دخلت عليه الغرفة فظنته نائما

تنهدت بقلة حيلة وهي تستلقي جواره تنظر إليه في ألم فقد اعتادت أن يضمها إليه كل يوم حتى يناموا

اقتربت ببطء ترفع ذراعه المفرود جانبه على الوسادة ثم وضعت رأسها عليه في طفولية متكورة على نفسها فضمها إليه بحنان يقربها منه دون أن يتحدث وهو يبتسم بألم لفعلتها

شهقت دون صوت ووجنتيها تحترقان خجلا ،تسب نفسها بأبشع الألفاظ على فعلتها وهي تحاول أن تنأى بنفسها عنه إلا أنه لم يسمح لها وهو يحتويها بيده الأخرى هامسا بخشونة:_

"إلى أين "

"اتركني أريد أن أنام"

قالتها بغضب ذامة شفتيها بحنق فابتسم هامساً

"حسنا نامي وما المانع أساساً كنتِ تنامين هكذا كل يوم "

"لا أريد"

قالتها بحدة فهي غاضبة منه بحق الله

تتدلل ويحق لها هو يعشق دلالها معه وعليه لكنه أراد أن يشاكسها ففك يديه من حولها قليلاً يترك لها المساحة أن تبتعد

تسمرت مكانها ووجنتيها تحترقان من شدة الغضب مفكرة "هل سيتركها حقا " لذا دفعته بغيظ وقبل أن تبتعد كان يحتويها مرة أخرى هامساً بمشاغبة :_

"يتمنعن وهن الراغبات"

حاولت تخليص نفسها منه بحنق فلم تستطع فهتفت غاضبة :_

"اتركني يا حسن "

"لا"

قالها مقتربا أكثر فصمتت قائلة بغضب:_

"حسن أنا غاضبة منك لا تتحدث معي "

"لم؟"

سألها بهدوء فنظرت إليه قائلة بعتاب:_

"وتسأل يا حسن منذ يوم حفل الجامعة وقد تشاجرنا سويا ولم ترد على أسئلتي حتى وأنت حالك منقلب كما أنك ابتعدت عني ،تركتني وحدي وتقوقعت على نفسك دون أن أدري حتى ما السبب أو فيم أخطأت ؟!"

"لم تُخطئي في شيء يا ملك لكني لا أريد أن أتحدث في ذلك الموضوع رجاءاً "

"هل كانت حبيبتك يا حسن؟"

سألتها بقلق وغيرة

"أنا لم أحب غيرك" همسها باقتضاب حنون

"إذا لم لا تريد أن تتحدث وتريحني؟"

"هل تثقين بي؟ "سألها بجدية فأومأت برأسها مما جعله يقول بهدوء وصدق

"أنا صدقا لم أحب غيرك يا ملك دعي ذلك الموضوع لوقته بالتأكيد سأحكي لكِ يوما "

أومأت برأسها وهي تطمئن لنبرة الصدق في حديثة لذا رفعت رأسها إليه هامسة بدلال عاتب:_

"كيف هنت عليك كل تلك الفترة الماضية يا حسن ألم تشتاق لي ولحديثنا سويا ً"

احتضن عينيها بعينيه واقترب منها هامساً بحب:_

"اشتقت واشتقت حتى بلغ الشوق أوجه يا كل الحسن"

★★★★

متكئ برأسه على كرسي مكتبه مغمضاً عينيه وهو يلوم نفسه على قسوته عليها ،لقد جرحها ولم يكن يريد ،منذ أن افترقوا وهو يتعمد البرود معها لكن بالفترة الأخيرة ضغطها عليه فاق قدرته فجرحها بكلامه في غمرة غضبه

زفر بغضب وهو يعتدل في جلسته متناولاً هاتفه يتصل على طفلته فهو يهاتفها منذ الصباح ولا ترد

رنتين والثالثة وردت عليه بصوتها الرقيق قائلة:_

"بابا"

ابتسم قائلا :_

"حبيبتي لقد اشتقت إليكِ "

"وأنا أيضاً "

قالتها ثم صمتت فقطب بين حاجبيه في قلق فعادة ابنته الثرثرة معه سألها بحنان:_

"ما بكي يا حُلوتي "

"ماما تبكي بغرفة جدتي منذ الصباح وأنا حزينة من أجلها "

"ولم؟"

سألها بقلق فقالت:_

"لقد صرخ عليها خالو علي اليوم من أجل عمو الذي سيكون بابا الذي كان عندنا بالأمس"

رفت عينيه بتوتر ودقات قلبه تتزايد فسألها بوجل:_

"كيف يعني عمو سيكون بابا ؟"

ردت عليه بطفولية شارحة:_

"عمو الذي سيتزوج ماما ونذهب معه وسيكون بابا مثلك مثل صديقتي سيلين "

هب واقفاً بغضب محاولاً أن يتمالك نفسه أمام ابنته فسألها بخفوت:_

"هل أنتِ متأكدة من حديثك حبيبتي قد تكوني فهمتي خطأ "

"لا يا بابا لقد دخلت مع ماما بالأمس وسلمت عليه وأجلسني علي ركبتيه وجلب لي حلوي كثيرة وقال إنه سيكون بابا لي"

أغلق مع ابنته سريعا فور أن استمع إلى حديثها الأخير وهو يزيح كل ما على المكتب أمامه في غضب راكلاً المقعد بساقه واستدار ضارباً بقبضته في الحائط وهو يقول بغضب:_

"الكاذبة ،الخائنة ،المتهورة، أتلك من كانت تتغنى بحبها لي منذ أيام "

أخذ سترته وخرج مسرعا وشياطين العالم تتقافز أمام عينيه

بعد فترة

كان جالسا هو وأنس بالنادي الرياضي فقد أوقفه أنس وهو يراه وكأنه يحاول قتل نفسه بتلك الألعاب الرياضية العنيفة التي ينتقل بينهم وهاهم جالسين سويا في صمت

سأله أنس بقلق:_

"وائل ما بك ماذا حدث هل ابنتك بخير؟"

"بخير "

همسها باقتضاب فسأله أنس بتردد:_

"هل الموضوع متعلق بوالدتها ؟

تراجع عن غضبك يا وائل وردها إليك أنت تحبها ولذا لم تتزوج كل تلك السنوات ولم تلتفت لرغبة والدتك في زواجك أبدا ً كما أنها تحبك هي الأخرى"

ضرب وائل بغضب بقبضته على الطاولة ولم يرد فقال أنس بمرارة :_

"يكفي أنها متمسكة بك كل تلك السنوات رغم صدك لها إلا أنها لم تتركك ولم تيأس منك "

ابتسم وائل بسخرية قائلا ً:_

"حقا !!

نعم معك حق حتى أنها كانت بالأمس تجلس مع عريس "

"عريس الغفلة إن شاء الله" همسها بغيظ بينه وبين نفسه

قطب أنس بين حاجبيه وقال بدهشة :_

"حقا؟ "

أومأ وائل برأسه وهو يزفر في غضب فتنهد أنس المرهق بطبيعة الحال وقال بهدوء:_

"حسنا يا وائل ومالك أنت دعها تتزوج ،بالأخير هي شابة وصغيرة وحاولت معك كل تلك السنوات وأنت على رأيك إذا من حقها أن تعيش حياتها بعيدا عنك "

"ماذا تقول يا أنس "

قالها في غضب فابتسم أنس قائلاً:_

"حسناً ما دمت غاضب هكذا اذهب واستردها ولو غصباً يا وائل ولا تدعها تتزوج من غيرك "

"فلتتزوج ولتحترق بالجحيم هي وهو"

هز أنس رأسه بيأس منه قائلا بقنوط:_

"أنا لا أرى أحد يحترق هنا غيرك "

"أنس"

قالها بتحذير رافعاً سبابته في غضب فدفع أنس يده في برود وقال بغضب:_

"لا تكن كالثور يا وائل وافتح عقلك ،تريدها وتريدك غلطة وانتهت منذ زمن وقد تأسفت لك ومع ذلك أخذتك العزة بالإثم و أصررت على فراقكم

لكنك تخرج النار من أذنيك الآن وكدت تقتل نفسك بين الآلات الرياضية لمجرد أنها جلست مع أحدهم بالأمس ومع ذلك تكابر"

قل لي يا وائل ماذا لو تزوجها هل ستتحمل وجود امرأتك مع رجل غيرك في بيت واحد وغرفة واحدة وايضا على ف..."

"كفى يا أنس كفى"

قالها بغضب وقد أشعله أنس بحديثه ذاك فرمقه أنس ببرود واستقام واقفا وهو يقول:_

"كل مراوغاتك السابقة يا وائل كانت لأنك تضمنها في قبضتك لأنها متمسكة بك لكنك الآن تلعن نفسك فلم تكن تتوقع إقدامها على ذلك

فكر في حديثي يا صديقي وانزل كرامتك من عليائها قليلاً وأعد امرأتك مادمت قادراً

ألقى إليه نظرة أخيرة ثم تركه وذهب ..

★★★★

داخلاً إلى المكتبة فهو يتردد عليها تلك الأيام كثيرا من أجل بحثه الجديد

ابتسم وهو يراها جالسة بزاوية رافعة رأسها للأعلى مغمضة عينيها بقوة ،رافعة أحد ذراعيها بتقوس وهي تمسك القلم في كفها تحركه حركة دائرية

ضحك عاليا رغماً عنه فانتفضت واقفة وهي تقول بتلعثم خجول:_

"دكتور شهاب أنت هنا منذ متى؟"

ابتسم قائلا:_

"ماذا كنتِ تفعلين رنا ؟"

أطرقت برأسها في خجل ثم قالت:_

"سطرين في الكتاب لا أستطيع ترجمتهم جيدا فكنت أفكر في سياق مناسب لهم "

أومأ برأسه ضاحكاً وهو يتذكر منظرها فور أن دخل ثم سألها :_

"وهل استطعتِ ؟ "

أومأت برأسها فسألها:_

"بأي كتاب وماذا تقول تلك الأسطر العصية "

قالت له اسم الرواية التي تقوم على ترجمتها ثم أكملت بخفوت تقول هاتين السطرين

" Addicted in your eyes the joy of a girl playing with the morning light on the days of Eid."

تراجع في وقفته وهو يتكئ على المقعد ورائه وسألها:_

"وبما ترجمتيهم ؟"

"أدمنت في عينيكِ فرحة طفلة تلهو بضوء الصباح في أيام العيد."

قالتها بخجل فابتسم قائلا :_

"هل تعلمي لمن تلك المقولة "

هزت رأسها قائلة :_

"بالطبع للكاتب "

"لا ليس له إنها للشاعر المصري فاروق جويدة "

"حقا؟ "

سألته بدهشة وأردفت:_

"أليس من الممكن أن يكون صدفة أو توارد أفكار"

هز رأسه نفيا وقال:_

"لا ليس جديداً على الغرب اقتباسهم منا "

هزت رأسها بموافقة فاستأذن منها وهو متجهاً جهة غرفته ثم التفت إليها قائلاً:_

"يا صغيرة الصبح وليس الصباح "

رفعت وجهها إليه في تساؤل فقال بصوته الرخيم:_

_"أدمنت في عينيك فرحة طفلة تلهو بضوء الصبح في أيام العيد."

قالها وتركها داخلاً إلى حجرته تاركاً إياها شاردة رغماً عنها في نبرة صوته التي جعلت الفراشات تحوم حولها برقة في المكان

★★★★

بعد عدة أيام يجلس في مكتبه بالمكتبة يراجع بعض المراجع الطبية التي ستفيده في بحثه فقابله أحد المراجع الهامة ،قام بتنزيله على الحاسوب

فتحه سريعا وأخذ يتصفحه في صعوبة

نقر بإصبعه على سطح المكتب في حيرة فالكتاب باللغة الإيطالية وهو ليس بدراية عالية بها

لمعت صورتها في ذهنه وهو يتذكر أن تخصصها الأساسي في اللغة الإيطالية

أخذ حاسوبه الشخصي في يده خارجاً من الغرفة متمنياً أن تكون موجودة

دار ناحية اليمين إلى الجهة التي تجلس بها دائما في ركن هادئ على طاولة صغيرة جوار النافذة حيث لا يوجد أحد

ابتسم فور أن رآها لكنه قطب بين حاجبيه وهو يتناهى إلى سمعه صوت بكاءها ،لقد كانت منخرطة في بكاء عنيف حتى أنها لم تشعر بوقوفه جوارها وهي دافنة رأسها بين ذراعيها على الطاولة

وضع حاسوبه على كرسي جانبي وتنحنح سائلا بقلق:_

"ما بكي رنا لم تبكين"

رفعت وجهها في فزع وكأنها لم تتوقع وجوده

هاله مرآى الدموع على وجهها ،لم يكن بكاءاً عاديا لقد كان انهيارا أفلتت له إحدى دقاته دون أن يدري فهمس بقلق:_

"يا صغيرة ما بكي لم تبكين هكذا ؟"

"لاشئ "

همستها بصعوبة من بين شهقاتها بألم مفكرة ماذا تقول له بحق الله

هل تقول له أن والدها المسافر منذ أشهر عاد منذ أسبوعين ولم تعلم إلا اليوم عن طريق النت ، أم أن والدتها أتت إليهم بالأمس وهي نائمة ولم تكلف نفسها حتى عناء النظر إليها

تنهد في صبر وتركها جالبا كوب من الماء وضعه أمامها قائلا بحزم حنون:_

"اهدئي وتناولي الماء "

نظرت إليه ثم أخذت كوب الماء بارتجاف تتناوله ولوهلة فقط لوهلة ولأقل من ثانية تمنى أن تكون كغدي أو هنا فيزيل دموعها بيديه أو ربما يضمها بين أحضانه عله يزيل ذلك الألم الساطع على محياها

استغفر ربه سريعا متناولاً كرسي وجلس أمامها وهو يناولها منديلاً ورقي وقال برفق:_

"امسحي دموعك واهدئي "

بعد فترة كانت هدأت قليلاً فسألها بحنان :_

"لم كل هذا البكاء يا صغيرة "

هزت رأسها بلا معني فاحترم رغبتها لكنه أردف بنبرة أخوية :_

"حسنا يا صغيرة كما تريدين لكن لا تبكي مرة أخرى وإذا أردتِ التحدث فأنا هنا ليس كطبيب ولكن كأخ "

ابتسمت ابتسامة صغيرة رغما عنها وسألته بصوت ببحة من أثر البكاء :_

"لم تدعونني بالصغيرة؟!"

ابتسم فارداً كفيه وهو يقول بحنان:_

"لو كنتِ نظرتِ إلى نفسك في المرأة وأنتِ تبكين لن تفرقي بينك وبين طفلة في العاشرة "

هزت رأسها نفيا وقالت بخجل:_

"لا لقد قلتها لي من قبل "

ابتسم متذكراً حتى أنه بينه وبين نفسه دعاها بذلك فقال:_

"ربما لأنكي تُذكرينني بغدي وهنا أبناء إخوتي وربما لأن أول مرة رأيتك بها كانت عيناكِ ...."

قطع حديثه شارداً و قطب بين حاجبيه وفكرة غريبة تمر بباله لكنه نفضها سريعا مستنكراً وانتبه على صوتها تقول بخجل :_

"عيناي ماذا؟"

"كانت عيناكِ توشي بمدى طفوليتك وبراءتك "

أطرقت برأسها خجلاً فتناول الحاسوب من جانبه ووضعه أمامها قائلا :_

"هل لي أن أستغلك في شيء وستكونين قدمتي لي خدمة العمر "

نظرت له بتساؤل فابتسم قائلا وهو يشير للملف على شاشة الحاسوب:_

"أنا ضعيف في اللغة الإيطالية وهذا المرجع أحتاجه هذه الأيام بشدة وأجد صعوبة في ترجمته كاملاً"

أومأت برأسها قائلة بحماس:_

"حسنا أعطني اسمه وسأترجمه لك لكن يبدو أنه كبير لذا سيأخذ وقت "

هز رأسه نفيا وقال :_

"ليس لدي وقت مناقشة البحث بعد شهر من الآن للأسف"

قطبت بين حاجبيها وسألته بحيرة :_

"إذا ماذا يمكنني أن أفعل"

حك ذقنه قائلا :_

"إذا كنتِ فارغة فأنا أريد منكي ساعتين فقط يوميا تجلسين معي وأنا أقوم بمذاكرته كي تساعديننني فيما يصعب علي وهنا بالمكتبة "

توردت وجنتيها خجلاً وهي لا تدري ماذا تقول

"إذا كنتِ لا تريدين قولي يا صغيرة ولا تخجلي وسأبدأ في البحث عن مترجم أو حتى أضغط وقتي وأبحث عن ترجمة ما يقف أمامي قالها بلباقة مبتسما "

فهزت رأسها نفيا وقالت:_

"لا أنا بالأساس متفرغة حتى أني أنتهي من الترجمة سريعا وأقضي بقية وقتي هنا في القراءة"

ابتسم شهاب واستقام واقفا يشكرها ثم استأذن منها عائدا لغرفته مرة أخرى

و بعد ساعة تقابلوا في المرآب كلٌ متجه إلى سيارته فحياها برأسه

ودخل كل منهم إلى سيارته وأدارها لكن قبل أن يندفع بها نظر لها من نافذة سيارته وابتسم قائلاً بحنان :_

"لا تبكي مرة أخرى يا صغيرة ودعي البكاء لأهله ....."

انتهى

الفصل الرابع عشر

ببيت والدتها يجلس بغرفة الجلوس في انتظارها وطفله بين أحضانه يقبله باشتياق له ولها

استقام واقفاً وهو يرفع ابنه على ذراعه فور أن دخلت عليهم ملقية السلام بهمس

رد السلام شارداً وهو يتشرب ملامحها الصغيرة بنهم .

القاسية لقد اشتاق لها بحجم السماء وكلما يأتي لزيارة طفله ترفض الخروج له بتعنت وقد خرجت اليوم له بصعوبة ...

وضع طفله على الأرض وهمس له في أذنه بضع كلمات فتركهم وخرج مبتسماً في فرح

التفت إليها وهي جالسة على الأريكة ترتدي إسدالها الذي يغطيها من رأسها لأخمص قدميها عن عينيه المشتاقتين ،مطرقة برأسها أرضاً دون أن تتحدث

جلس جوارها قائلاً بارتباك:_

"كيف حالك يا ريم "

"بخير"

همستها باقتضاب دون أن تنظر له ثم أردفت بجمود

"ماذا تريد؟"

"أريدك يا ريم ،أريد أن تعودي لي"

قالها برجاء فابتسمت بسخرية وهي تهز رأسها في يأس منه وقالت:_

"دائماً تريد يا عبدالرحمن، تريد عودتي ،تريد الصداقة بحبيبتك السابقة ،تريد الزواج منها ،ثم تكتشف أنك تريد تركها ،لا ترى سوى نفسك وما تريد فقط أناني... "

صمت بعجز وهو لا يدري ماذا يقول لها فهي محقة لذا أردف بمحاولة واهية :_

"لم لا تعطينني فرصة أخرى أثبت لكي فيها أنني أريدك من أجلك أنتِ من أجل أنكي ريم "

"صحيح ريم الزوجة ،ريم الأم ، ريم الخادمة، هذه ريم التي تريدها لا أكثر" قالتها بتهكم وأدارت وجهها عنه في إعراض

كيف يرد عليها وكلماتها تصيبه بالعجز فلا يعرف بما يجيب لكنه لن يطلقها ، لا يستطيع لما لا تفهم هو يحبها هي بل يعشقها وإن أدرك ذلك متأخراً

التفت اليها قائلاً بصدق " ريم أنا أحب..."

قاطعته وهي تنتفض واقفة رافعة سبابتها تقول بحدة :_

"إياك لا تُكمل يا عبدالرحمن رجاءاً ، أنت لست مضطر لقول ذلك بجميع الحالات أنا عند رأيي لا أريد سوى الطلاق يا عبدالرحمن وما بيننا هو تميم فقط "

لم يكد يرد عليها وهي تتركه وتخرج مسرعة دون أن تعطيه فرصة في الحديث مرة أخرى

□□□

جالساً بغرفتهم منذ الأمس لم يذق طعماً للنوم

وخزات ضميره تكاد تجعله لا ينام يعلم تمام العلم أنه جرحها بسكين ثلم كما يقولون .

سبع سنوات يشهد الله أنها كانت نعم الزوجة يقسم لم يكن أبداً غيرها يحتمل مرضه ويصبر عليه لطالما احترمته كأبيها

دللته كطفلها، حدثته كصديقها ،هادنته كأخيها وأخيراً أحبته كزوجها

أهَ مكتومة شقت صدره جعلته يعض على أصابعه ندما كلما

تذكر نظرة عينيها أمس قبل أن تتركه و يبدو وكأنها أسدلت الستار الأخير في مسرحية حياتهم الزوجية فقط لو تسمعه لو تعطيه فرصة أخيرة !!!!

□□□□

دفعها إلى سيارته بحدة ودار حول السيارة جالساً على المقود وأدارها بسرعة عالية محاولاً أن يُهدئ من مِرجل غضبه

التفتت إليه قائلة بغضب:_

"عمر أوقف السيارة وإلا أقسم أن أخرج وهي تسير"

لم ينظر لها وهو يضغط على القفل الإلكتروني جواره يُغلقه فصرخت بغضب:_

"عمر لا تعاملني هكذا ،لن أسمح لك أبداً "

ضغط على الفرامل بعنف فأصدر صوت مكابح السيارة صوتاً عاليا وهو يصفها جانبا زافراً بغضب دون أن ينظر إليها

التفتت إليه قائلة بهدوء مصطنع :_

"افتح القفل يا عمر فأنا أشعر بالاختناق "

لم يعير لكلامها اهتمام والتفت اليها قائلاً بحدة:_

"أريد تفسيراً يا غدي"

كتفت غدي ذراعيها وهي تنظر أمامها وقالت بتعنت:_

"ليس عندي تفسير أنا لم أفعل شيء خاطئ، ما تعرضت له يتعرض له المئات غيري"

ضرب بقبضته على المقود أمامه صارخاً:_

"اللعنة عليهم جميعاً أنا لا يهمني سواكِ ،كيف تقبلين على نفسك الوقوف مع رجل يطلبك للزواج رغم عِلمه بأنكِ تخصين أحدهم لا والفاجر أسمعه يتبجح قائلاً أن انفصلي عن ذلك الرجل الذي تنتمين له وهو سيعوضك "

واجهته قائلة بغضب هي الأخرى:_

"وهل كنت أعرف فيما سيتحدث معي ،كما أنكِ أبرحته ضرباً مستغلاً مكانتك كضابط شرطة"

"أي استغلال هذا ،أي رجل مكاني لكان فعل ذلك وأكثر ،هل كنتِ تريدين أن أقف استمع له وهو يتغزل بكي دون أن أُحرك ساكناً"

"لم يتغزل يا عمر ولم أكن لأسمح له، كما أنك لم تعطني فرصة حتى لأرد عليه لأُفاجئ بك أمامي والرجل في قبضتك"

"يا رب الناس"

قالها بغضب وهو ينظر من النافذة محاولاً أن يسيطر على غضبه وبعد دقائق التفت إليها قائلاً بهدوء

"أريد أن نعقد القران يا غدي "

"ماذا"؟ قالتها بدهشة ثم أردفت :_

"ماذا تقول يا عمر ،لقد كنا نتشاجر للتو "

هز كتفيه قائلاً:_

"لا علاقة بشجارنا في الأمر ، أريد أن تكوني على اسمي ،إلا إذا كنتِ في طور تفكيرك بشأن علاقتنا فهذا شيء آخر"

رمشت بعينيها ثم التفتت برأسها تنظر أمامها وقالت بجمود:_

"دعني أفكر يا عمر ،الأمور لا تُأخذ هكذا والآن أعدني للبيت"

صمت دقائق ثم أدار محرك السيارة وبعقلة ناوياً قراراً ما سينفذه فور أن تصبح زوجته..

□□□□

منذ ساعتين على نفس الطاولة التي كانت تبكي عليها ،يجلس أمامها ،يدون الملاحظات التي يأخذها من ذاك المرجع الإيطالي الذي تساعده في ترجمته ...

تنظر إليه شاردة كيف يستطيع أن يدمج بين كل ذلك ، إنه حتى لم ينطق سوى كلمات بسيطة خارج موضوع الترجمة

بل كل فِكره منصب على تدوين ومذاكرة ما أمامه ، وقد كان بالمركز صباحا وسيعود بالليل إليه أيضاً وبالتأكيد هناك وقت خاص بأُسرته ذلك إلى جانب محادثاته معها والتي يلبيها في أي وقت

عند ذلك الخاطر تغضن جبينها بالألم وهي تنفض عن عقلها لمعة الإعجاب التي أنارت فيه "بشهاب البرعي"

الرجل كما يجب أن يكون ، تُرى ماذا يفعل مع زوجته ،بالتأكيد هي أسعد امرأة بالوجود ،بالطبع وهل يوجد به خطأ واحد ،تظن أن ميزة واحدة من مميزاته تغطي على ملايين عيوبه

والله لو كانت مكان امرأته لهامت به عشقاً بالليل وبالنهار، يكفي نبرة صوته الرخيمة التي تدغدغ قلبها في كل مرة يتحدث بها

نهرت نفسها بشدة على منحنى أفكارها الخطيرة فنعتت نفسها بالغبية همساً دون أن تشعر

رفع رأسه عن الأوراق أمامه مبتسماً وهو يسألها :_

"لماذا؟"

التفتت إليه في قلق خوفاً من أن تكون نطقت بأحد أفكارها الغبية وسألته بتوتر:_

"ماذا؟"

أراح ظهره على مقعده متأوه بإرهاق وقال:_

"لقد نعتي نفسك بالغبية للتو لذا أسألك لماذا؟"

ابتسمت بتوتر قائلة :_

"لا لقد شردت فقط "

هز رأسه و نظر إلى ساعته فقال بأسف :_

"لقد مرت الساعتين وأكثر ولم أشعر بالوقت لقرب مناقشتي آسف حقا لقد عطلتك

هزت رأسها نافية وهي تفرد راحتيها قائلة برقة:_

"بالعكس أنا أجد نفسي بالترجمة حتى أن الكتاب ممتع رغم عدم فهمي له جيداً إلا أنه ممتع في ترجمته بالإضافة إننا مازلنا مبكراً وليس ورائي شيء لذا فبإمكاننا أن نواصل "

ابتسم شهاب بامتنان وهو يقول:_

"حقا لا أعلم كيفية شكرك ، لقد أخذني الوقت في العمل والفترة الباقية لمناقشتي قصيرة لذا أنا شاكر لجهدك "

هزت رأسها بلا معنى شاردة أنها تفعل ذلك من أجل نفسها قبل أي شيء لقد نصحها أن تُشغل وقتها قدر ما تستطيع الفترة القادمة وهاهي تفعل

انتبهت من شرودها على صوته يتحدث مع نادل المكان يطلب منه طعام ومشروبات فأطرقت برأسها دون اهتمام

بعد دقائق

كان النادل يضع أمام كل منهم بعض الشطائر ،وعصير الفراولة الطازج ثم انصرف

توردت وجنتيها خجلا وهمست بحرج:_

"شكراً يا دكتور أنا لا أشعر بالجوع "

تناول شطيرة في يده وقال مبتسماً :_

"يا صغيرة لا تخجلي ولا تُشعريني بالذنب لقد تطوعتِ لمساعدتي إذن تناولي طعامك فأنا أتضور جوعاً"

تناولت شطيرة بيدها في خجل دون أن تتناول منها

ودقيقة ورن هاتفه فسمعته يرد قائلاً بعد إلقائه السلام:_

"مرحباً بالجميلة كيف حالك حبيبتي؟ "

صمت ثوان ثم هب واقفا وهو يقول بلهفة :_

"حسنا حبيبتي لا تقلقي سآتي في الحال "

أغلق الهاتف ونظر إليها قائلاً باعتذار:_

"أنا متأسف يا رنا لقد حدث أمر طارئ وعلي الذهاب "

أومأت برأسها مبتسمة ووقفت فاعتذر مرة أخرى وألقى السلام عليها وذهب

بينما ظلت هي واقفة تنظر في إثره ، شاردة في نبرة صوته وكيف يتحدث مع زوجته وهرع إليها..

تجلس على فراشها ،تهز ساقيها في توتر وهي تسب رنا بينها وبين نفسها ،رنا الخائنة ،المستغلة والتي حدثتها عن رغبة حمزة في طلب يدها أمام والدتها التي ما لبثت أن التصقت بالأمر فرحة وهي تزن عليها زناً أن توافق مدام داخلها قبول نفسي تجاهه .

أي قبول نفسي هذا هي لا تعرف ومن أين عرفت والدتها بقبولها النفسي بحق الله!! ،اللعنة عليك يا رنا لقد سلمتها تسليم أهالي إلى والدتها دون ذرة ضمير

وها هو منذ نصف ساعة يجلس مع والدها بالأسفل

رفعت رأسها على صوت فتح الباب ودخول والدتها المُغيظ والابتسامة تشمل وجهها

اقتربت منها والدتها ببهجة وكأن العرس اليوم وقالت :_

"هيا حبيبتي أرتدي ملابسك فحمزة يريد الجلوس معك"

تدلى فكها ببلاهة وهي تنظر إلى والدتها مفكرة

"ماذا؟! من يريد الجلوس مع من ! ودكتور حمزة أصبح حمزة هكذا فجأة !!!!"

ابتلعت ريقها بصعوبة مبتسمة بتوتر وقالت في خفوت :_

"ولم يا أمي الآن أليس من حقي أن أفكر قبلاً "

نظرت إليها والدتها وكأنها معتوهة وقالت :_

"وكيف ستفكرين يا فتاة دون أن تجلسين وتتحدثين معه كما أنها رؤية شرعية ومن حقه أن يراك هيا "

"رؤية شرعية أي رؤية شرعية بالله عليكي يا أمي أكاد أقسم أنه يحفظ لون ملابسي الداخلية من كثرة ما فحصني"

همستها بينها وبين نفسها ببؤس وهي لا تعرف كيف تُثني أمها عن رأيها

أمها التي وجدتها تضع جوارها ثوباً أنيقاً الآن كي ترتديه ولا تعلم حتى متى ذهبت وأخرجته من الخزانة

قالت بمحاولة واهية وهي تشعر أن الخجل يأكل وجهها :_

"أمي .."

قاطعتها والدتها قائلة بحزم قبل أن تخرج وتتركها

"هيا يا نهى الدكتور ينتظر بالأسفل مع والدك "

لوت شفتيها بتهكم محدثة نفسها بغيظ وهي تشرع في ارتداء ملابسها

"الدكتور!!! اللعنة عليه وعلى الخبيثة ابنة أخته"

بعد نصف ساعة كانت تدخل الغرفة مُطرقة برأسها وذلك الخجل اللعين يأكلها من رأسها لأخمص قدميها

"أميرة ياسين "

قالها والدها وهو يأخذها من يدها يُجلسها جواره في حنان

أما هو فكان يلتهم تفاصيلها منذ أن هلت على باب الغرفة ،ترتدي فستان أسود منقوش بالورود الصغيرة متعددة الألوان أظهر مدى قِصر قامتها مما جلب الابتسامة لشفتيه بحجابها الفيروزي الذي يظهر احمرار وجنتيها الممتلئتين بوضوح "

انتبه على كلمة دلال أبيها "أميرة ياسين"

حقا يليق بها هي أميرة بل ملكة ،ملكة قلبه هو ،عاد ينظر إليها وهي جوار والدها مُفكراً

بل دبدوبة لا يليق بها سوى دبدوبة شهية بهجة للعين والقلب

رفع رأسه على صوت والدها يحدثه وأخذوا يتحدثون في أمور عديدة دون أن تشاركهم فيها وها هو الآن والدها يتركهم معا ليتحدثوا سويا ويدخل الشرفة مع والدتها

كبت ضحكته بصعوبة وهو يسمعها همستها الخافتة "يلهوي، ويلك يا نهى "

فور دخول والديها للشرفة

انتقل على الكرسي المجاور لخاصتها مكان والدها وقال مبتسماً :_

"كيف حالك يا نهى؟"

هزت رأسها دون أن تقوى على الرد فاتسعت ابتسامته وهو يرى مدى احتقان وجنتيها

فتنحنح قائلا بهدوء:_

"نهى انظري لي "

نظرة مجرد نظرة رفعت بها عينيها إليه وأخفضتها سريعاً وهي تجده بهذا القرب منها

تنهد بصبر مقدراً خجلها وقال بجدية :_

"نهى انسي تماماً أني الطبيب الخاص بكي"

حسنا بدلاً من أن يكحلها أعماها

ورغماً عنها دمعت عيناها ليس سهلاً عليها أن تجلس جواره الآن كرجل متقدماً للزواج منها وبالأمس القريب كان يفحصها ذلك الفحص اللعين ،بحق الله إنها كلما تراه تريد أن تنشق الأرض وتبتلعها المهم أن تختفي من أمامه

ابتسم قائلا بحنان آسرها رغماً عنها:_

"نهى أنا لم آتي هنا إلا لأني أريدك زوجة لي ،لذا لا داعي للخجل ،فقط أريدك أن تطمئني وتعطيني فرصة "

صمت دقائق وأردف بمشاكسة وخبث متواري خلف نبرة جدية مصطنعة :_

"بل أنا لن أسمح لكي بالرفض ليس بعدما أخذتيه مني"

وقد نال ما أراد وهي ترفع عينيها إليه في تساؤل وحيرة

فاقترب برأسه قليلاً وغمزها بعينيه هامساً بشقاوة:_

"قلبي يا أميرة لقد أخذتي قلبي !
والقلب بالقلب والبادي أعشق"

□□□□

على فراشها تجلس ،ضامة ركبتيها إلى صدرها وهي تهز نفسها في حركة رتيبة دون شعور ودموعها تجري على وجنتيها

شاردة فيما حدث منذ يومين فهي مجرد أن دخلت الغرفة لتجلس مع ذاك العريس ولم تستطع أن تجلس أكثر من دقائق واستأذنت منهم هاربة إلى غرفتها وهي تُقر أنها لا تستطيع ،لا يمكنها أن تفعلها وتنظر لغيره حتى

وفور ذهابه دخل إليها أخيها بدهشة من تصرفها فهي التي وافقت من الأساس هو لم يجبرها

"لم خرجتي من الغرفة مسرعة يا رؤى ثم الرجل حتى لم يلحق أن يتحدث معكِ"

فركت رؤى يديها بتوتر وقالت بحزن :_

"لا أستطيع يا علي ،أنا لست موافقة صدقني ظننت أنني سأقدر لكن لم أستطع "

صرخ عليها بغضب قائلاً:_

"ماذا؟! هل هو لعب أطفال بالأمس موافقة واليوم لا أريد بعد أن أعطيت للرجل كلمة "

شهقت باكية وهي تتمسك بذراعه و تقول برجاء :_

"علي افهمني أنا...."

قاطعها نافضاً يدها بغضب وقال :_

"بل افهمي أنتِ يا غبية افهمي ،هو لا يفكر بكي بل لا يراكِ من الأساس ،لا يستحق يا غبية ،وإن كان صديقي وابن خالتي لكنه لا يستحق أن تنتظريه لو كان يريدك لما تركك كل تلك السنوات والأكثر أن بينكما طفلة لكنه لم يُخطئ مرة حتى ويسألني عنك، دعكِ منه وانظري لنفسك يا رؤى ، تستحقين رجلاً لا يستطيع مفارقتك ولو أتيتي بتراب الأرض أخطاء "

وفور أن انتهى من حديثه جذبها إليه يضمها بألم رجولي على حالها وهي تنفجر باكية بين ذراعيه وكل كلمة قالها تعلم أنه محق بها ، ألم يقل لها الآخر أن تتحلى بالكرامة وأنه سيتزوج .

انتبهت من شرودها البائس على دخول طفلتها إليها مبتهجة ،فمسحت دموعها سريعاً وفتحت لها ذراعيها فاندست بينهم سريعاً وهي تقول بفرح

"وائل بالخارج يا أمي مع خالو علي ،بابا بالخارج "

تسمرت مكانها وكأنها لم تدرك ما قالته ابنتها للتو ،لكن أصوات الشجار الآتية من الخارج جعلتها تهب من مكانها سريعاً وهي ترتدي إسدال صلاته كيفما يتفق ثم

التفتت إلى ابنتها المشغولة مع الدمية على الفراش وقالت بحنان :_

"حبيبتي أنا سأخرج لأُسلم على والدك لا تخرجي من الغرفة حتى آتي إليكِ أنا"

أومأت الطفلة مبتسمة قائلة برقة :_

"حسنا يا أمي "

قبل ساعة

لم ينم منذ يومين وحديث أنس يتردد في أذنيه يجعله يحترق حيا

"قل لي يا وائل ماذا لو تزوجها هل ستتحمل وجود امرأتك مع رجل غيرك في بيت واحد وغرفة واحدة وأيضا على ف..."

ضرب بقبضته على المقود ومجرد تخيل ما قاطع أنس عن تكملته يجعل النار تنشب في أعماقه

صف سيارته أمام منزل خالته ونزل منها ،وقف أمام الباب وطرقه

دقائق وكانت تفتح له صغيرته والتي صرخت بفرح فور أن رأته

رفعها إليه مبتسماً وظل يقبلها حتى خرجت له خالته والتي تعامله ببرود منذ ما حدث

دعته للدخول وذهبت ودقائق وكان يدخل عليه علي بملامح مقتضبة أثارت دهشته فعلاقته هو وعلي لم تتأثر رغم ما حدث

أنزل ابنته من على ركبتيه وهمس في أذنها عدة كلمات فخرجت مسرعة وهي تبتسم

جلس علي على المقعد أمامه وقال بجمود:_

"ما الذي أتى بك هنا يا وائل ؟"

رفع وائل أحد حاجبيه وقال بهدوء :_

"دعك من هذا الآن هل ما سمعته من فريدة صحيح ؟"

ابتسم علي باستخفاف وقال:_

"وما الذي سمعته؟"

"هل تقدم أحدهم لأختك وجلست معه "

أطرق علي برأسه وهو يمنع نفسه بالقوة من ضربه ثم قال:_

"نعم ما سمعته صحيح يا وائل ،رؤى تقدم لها أحدهم وجلست معه ووافقنا"

واحد

اثنان

ثلاثة

هب واقفا بغضب وكأنه لأول مرة يسمع ما قيل وصرخ بغضب:_

"كيف لها أن تفعل ذلك دون علمي؟ أنا لن أسمح بذلك وأبدا لن تُربي ابنتي مع رجل غريب "

وازاه علي في وقفته قائلا بجمود:_

"أنت ليس لك رأي من الأساس يا ابن خالتي لقد تنازلت عن حقك فيها بإرادتك "

" أنا لست موافق يا علي على جثتي أن يحدث ذلك "

"موافقتك من عدمها لن تفيد للأسف ،كتب كتابها بعد أسبوعين "

"ماذا!!! " قالها بغضب وهو يشعر أنه مكبل بقيود من حديد بعد حديث علي وأردف صارخاً

"أخبرها أنها فالليلة التي سيدخل بها هذا الرجل هُنا مرة أخرى ستكون آخر مرة ترى فيها ابنتها "

"لا تكن حقير يا وائل وأخرج ابنتك من المعادلة " قالها علي بغضب من ذلك الثور الهائج أمامه فليس هذا ما يريده أبداً

قبل أن يتحدث ويرد عليه ،ابتلع ريقه بصعوبة من شدة الغضب فور أن رآها من فتحة الباب متجهه نحوهم مفكراً كيف جلست هُنا مع رجل غيره وقد كانت تبكي له منذ أيام فقط

دخلت إليهم ويبدو أنها استمعت لجملة أخيها الأخيرة ففور أن دخلت وجهت حديثها إليه قائلة بجزع :_

"ماذا تريد من ابنتي يا وائل والله لن أسمح لك أبداً إلا فريدة"

"اخرجي يا رؤى أنا لم أسمح لكي بالدخول ما الذي أتى بكي إلى هنا ورجل غريب بالبيت"

قالها علي بجمود قاصداً مما أثار ثورة الآخر وهو يقول بغضب:_

"غريب !!! وذاك الأبله التي كانت تجلس معه لم يكن بالغريب "

رد عليه أخيها ببرود

"لا لم يكن بالغريب يا وائل سيكون زوجها وعليك احترامه فسيكون زوج ابنة خالتك "

قبل أن تلتف لأخيها تسأله بدهشة عما يتحدث فهم قد رفضوا الرجل واعتذروا له ، اتسعت عينيها بهلع على صوته القاسي الذي ذبحها ذبحاً يقول بسخرية قاسية :_

"زوجك؟! صحيح؟! ،لقد كنتِ معي منذ يومين فقط بحق الله ، هل عندما وجدتي طريقك مسدود معي ،قلتِ لأجرب طريقاً أخر "

هوت على المقعد ورائها والبرودة تنتشر بجميع أنحاء جسدها ،الدموع تشوش الرؤية أمامها ،والألم يصم أذنيها عن صوت أخيها الذي انتفض غاضباً فور حديثه ...

مسكه علي من لياقته قائلاً بغضب :_

"يا حقير كيف تقول لها ذلك يا قذر ،اخرج من هنا يا وائل أخرج وانسى صداقتنا حتى فقد قطعت جميع أحبالك معي"...

□□□□

ينظر من النافذة المطلة على الشارع بمكتبه ودخان سيجارته يلوح من حوله مكوناً غمامة رمادية معتمة كلون أفكاره

التف على صوت فتح الباب بعد طرقه ودخول مساعده إليه ببعض الأوراق التي طلبها منه

أشار له بالجلوس وتقدم جالساً على حافة مكتبة وسأله بجمود :_

"إلى ماذا وصلت؟"

نظر الرجل في الورق أمامه ثم رفع رأسه إليه قائلاً:_

"غدي البرعي ،شابة صغيرة ،تدربت من قبل بمكتب الأستاذ " " ومنذ عامين افتتحت مكتبها الخاص

نفث دخان سيجارته وهز رأسه فأردف الرجل :_

"والدها عامر البرعي، ووالدتها تُدعى ثريا حلمي ربة منزل ، لها أخ واحد أنس البرعي يعمل محاسب بشركة
" "

وقد تمت خطبتها منذ فترة

قالها الرجل وصمت بتردد فسأله بجمود:_

" لم توقفت ؟"

تنحنح الرجل ثم قال:_

"لقد تمت خطبتها للرائد عمر الشاذلي "

ابتسم بسخرية وتناول الورق من يد الرجل وهو يصرفه بإشارة من يده ثم التف حول مكتبه جالسا على مقعده وهو ينظر في الأوراق أمامه ثم همس محدثاً نفسه بتهكم

"إذاً محامية خِصم موكلي ماهي إلا عصفورة صغيرة تقف أمامي دون أن تفكر في عواقب فعلتها "

ابتسم بسخرية وهو يخط اسمها على الورق أمامه في عدة دوائر مُقرراً فكرةً سينفذها منذ الصباح.....

□□□□

رفع حاجبيه بدهشة وهو يتلقى رسالة منها من كلمتين

" أنا خائفة"

الفتاة لم تبعث له منذ أن كلمته آخر مرة وهو بدوره لم يضغط عليها ويرسل لها شيء لقد انتظر أن تأتيه هي من نفسها ،فهو يدرك جيداً أن بركنٍ خفي بنفسها ترتاح لفكرة أنها تتحدث من وراء الستار

ترك مذاكرته جانباً وتناول هاتفه مرسلاً لها :_

"السلام عليكم ،كيف حالك ؟"

"لست بخير ،هل أنت متفرغ يا دكتور ،أريد الحديث؟ "

"نعم أنا معك تفضلي"

وبمكانها في غرفتها تجلس على فراشها تقضم أظافرها في توتر وهي تكتب له بألم

"أنا قذرة، مدنسة لا فائدة في ،أريد الموت بل أصبحت فكرة أن أموت مسيطرة علي"

اعتدل في جلسته وهو ينظر باهتمام لحديثها ثم فتح رسالة صوتية راداً عليها بصوت مُطمئِن:_

"أولاً قلت لكي قبل ذلك إياك وجلد الذات فهو يؤدي للهلاك وكره النفس ، وإياك ونعت نفسك بتلك الألفاظ ابداً ، اهدئي وقُصي ما حدث"

"لقد عدتُ لذنبي ،عند أول مشكلة قابلتني وجدت نفسي أنساق إليه دون أن أشعر وكأن الخلاص به وفور تركه أشعر بالندم والعطب في قلبي ،أصبحت لا أُصلي شاعرة أني لا أرتقي أن أقف بذنبي أمام الله ، أشعر بمدى حقارتي وأحدهم يتحدث معي باحترام ولا يعرف أي فتاة سيئة أنا "

" هل عدتي تفعليه يومياً ؟وإذا لا فكم يوماً عُدتي إليه وكم مرة باليوم"

"ثلاث أيام أو أربع ومرة واحدة باليوم يعقبها ندم وحزن طوال اليوم"

ابتسم فور أن رأى رسالتها ثم رد عليها برسالة صوتية قائلاً:_

"وتقولين أنك ِ سيئة ؟ أي سوء يا فتاة بعد أن كنتِ تفعليه كل يوم وأحياناً مرات متكررة في اليوم ،طوال تلك الفترة الماضية لم تفعليه سوى مراتٍ معدودة ،أنا لا أرى سوى فتاة نظيفة وقوية أمامي ثقي في ذلك "

"صدقني الأمر صعب فوق ما تتخيل ،حتى وأنا لا أفعله ،أظل طوال اليوم مسيطر علي فكرة الخوف من فعله أو التطرق له ،حتى أن حديثي بيني وبين نفسي ،تخبرني أني لست صادقة في توبتي وأنني أضعف منه وسأعود إليه بأي وقت فور أن أريد، وأنني حين أتألم لن يكون لي خلاص غيره "

"ليس صعباً يا فتاة ،المشكلة أنكي ترين أنكي الوحيدة بالعالم المخطئة وهذه فكرة خطأ جميعنا نُخطئ وجميعنا لديه ذنب أو خطأ معين يسعى لتركه

ما هو سهل علي أنا صعبٌ عليكي والعكس صحيح تماماً ،لا تتخيلي أبداً أن ذلك الذنب خُلق لكي خصيصاً ،فقط هي قدرات كل منا في تخطي ذلته هي المتفاوتة "

"حسنا لكن سيطرته علي قوية أشعر أنه أقوى مني ،يجذبني دون أن أشعر وكأني لا أستطيع الاستغناء عنه رغم رغبتي القوية في تركه "

"لا يوجد ذنب على وجه الأرض أكبر من قدرة الإنسان على تخطيه ،بل أكبر ذنب على قدر مقدرة أضعف نفس الله عادل ورحيم لكنه الشيطان

الشَّيطانَ الذي قعد لابنِ آدمَ بطرقِه ، قعد له بطريقِ الإسلامِ فقال :_

«أتسلِمُ وتذرُ دينَك ودينَ آبائِك ؟ »

قال :_

«فعصاه وأسلم »

قال :_

«وقعد له بطريقِ الهجرةِ ، فقال : أتهاجرُ وتدعُ أرضَك وسماءَك ، وإنَّما مثلُ المهاجرِ كالفرسِ في الطِّوَلِ ؟ فعصاه وهاجر ، ثمَّ قعد له بطريقِ الجهادِ ، وهو جهادُ النَّفسِ والمالِ ، »

فقال :_

« تقاتلُ فتُقتلُ ، فتُنكحُ المرأةُ ويُقسَّمُ المالُ ؟ »

قال :_

« فعصاه ، فجاهد »

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :_

« فمن فعل ذلك منهم فمات ، كان حقًّا على اللهِ أن يدخلَه الجنَّةَ ، أو قُتِل كان حقًّا على اللهِ أن يُدخلَه الجنَّةَ ، وإن غرِق كان حقًّا على اللهِ أن يُدخلَه الجنَّةَ ، أو وقصتْه دابَّةٌ كان حقًّا على اللهِ أن يُدخلَه الجنَّةَ»

صوته الرخيم الهادئ بحديثه السلس يبعث في نفسها الطمأنينة رويداً رويداً ،مُنعشاً أمل صغير بقلبها على الخلاص فسألته

"ماذا أفعل كي لا أعود أبداً مهما حدث"

"حسناً قبل أن نقول ماذا تفعلين ،يجب أن تفهمي و أن نصل معاً للُب المعضلة ،السبب النفسي الذي يدفعك لهذا السلوك"

"وما هو"

" بعلم النفس هناك نظرية مؤسسها هو' سيغموند فرويد ' وهي المتعة والألم °pain and pleasure°

"ما الذي يحفز أي سلوك ؟ هو تجنب الألم ،النفسي أو الجسدي أو الاجتماعي أو اكتساب المتعة أو الإشباع ،وبحالتك أنتِ فما يُحفزك هو الهروب وتجنب الألم وهو الحافز الأكثر تأثيراً على الإطلاق "

"كثرة وقوعك في الخطأ وتكراره هو السبب الذي يجعل عقلك يُلقي الضوء أكثر على المكسب المعنوي أو الجسدي السريع الذي يُجنبك هذا الألم وإن كان لدقائق

هل كلامي صحيح أستمر أم ماذا"

صحيح فقط ؟ الرجل وكأنه يُفتِح أوراق قلبها أمامها ورقة ورقة ،ابتسمت براحة وأرسلت له

"نعم صحيح "

"قبلاً لا أريد منك الملل من حديثي الكثير لكن إدراكك لجميع نواحي مرضك أو لنقل عدوك سيساعدك على تصديه ومقاومته اتفقنا؟"

"اتفقنا"

"حسنا الآن ما يُسطير عليكي أو على أي أحد لا يستطيع ترك خطأه أو ذنبه أياً كانت المسميات شيئين إذا سعينا لحلهم ،قطعنا نصف الطريق معاً "

"وهما؟"

"أولهم وهم خسارة الاستغناء وهو هاجس يسيطر على النفس ماذا أفعل لو تركت هذا الخطأ ،

وثانيهم هو الانتماء لمجتمع الذنب بيجبرني على العيش بطريقته إلا من رحم ربي

وحتى أن النقطة الثانية ليست بعلم النفس فقط بل حثنا لها الرسول منذ قديم الزمان

قال النبي صلى الله عليه وسلم :_

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر »

"لذا أول خطوة سنسير عليها هو بعدك عن كل ما يدفعك لهذا الذنب "

"وكيف؟"

" قبلاً اعلمي أنكي بين ثلاث «الذنب أو الخطأ، نفسك الأمارة بالسوء والشيطان يُزينهم، والقلب المستقبل كلٌ حسب قدرته»

لكن لديكِ ما هو أكبر من كل ذلك "

"وما هو؟"

"لديكي نفسك ، جهاز المناعة خاصتك وأقصد هنا جهاز المناعة المعنوي ،

قال الرسول صلي الله عليه وسلم:_

« تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت له نكتة بيضاء ، حتى يصير على قلبين : أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه »

"إذاً أنا قلبي شديد السواد من كثرة سواده بالذنوب"

"من قال ذلك لما تُحبطين نفسك هكذا ؟ انظري يا فتاة التصالح مع النفس ثلاث أنواع

أولهم: _شخص يفعل الخير وهو متصالح مع نفسه وراضٍ دون أي صراع داخلي بل هو سعيد بما يفعل

ثانيهم:_ شخص متصالح مع نفسه على الشر وتدفعه نفسه عليه وهي سعيدة دون تأنيب ضمير أو قلق

وثالثهم أراه فيكِ :_ وهو تصالح الحوار والاعتراف بالذنب ،أنت متصالحة تماما مع فكرة أنكِ مخطئة ،لم تضحكي على نفسك على نواقصك بل تواجهين بها حتى وإن تأخرتِ في علاجها لكن ذلك سيساعدك جيدا في القدرة على الترك

Learning to let go

خطوة مهمة في طريقك وعملك على جهازك المناعي ضد الأخطاء "

تنهدت براحة مبتسمة وهي تشعر بصوته الحنون في رسائله الصوتية لها يُضمد جراحها وكرهها لنفسها وفتحت الرسالة الصوتية التالية على صوته الرخيم متحدثاً

"كي تملكي الإرادة للوقوف أمام ذنب معين ،هو تمرين نفسك على التفكير في الألم النفسي والمعنوي المرتبط بذنبك كحالتك أول حديثنا ورغبتك بالموت وتحقيرك لذاتك ، فكري جيدا فذلك الجانب السيء الذي تجنيه من وراء الذنب

وبعدها اربطي تفكيرك بالمكسب المعنوي والصحي الذي ستجنيه من وقف ذلك الذنب ومن هنا ستزيد إرادتك شيئا فشيء حتى وإن سقطي في طريقك لا تلتفتي أو تُحبطي نفسك ،بل انهضي مسرعة وكأن لم يكن شيء وامشي في طريقك دون أن تلتفتي

لكن قبلاً

أريد إحاطتك لنفسك بكل شئ يزيد إرادتك

أولهم:_ اهتمامك بأمورك الدينية فالمعين الأول هو الله ،عودي لصلاتك مستغفرة ليس على ذنبك فقط بل حتى على تركك للصلاة فالله يحبنا ويقبلنا بجميع حالاتنا عاصيين كنا أو طائعين ..

لذا لدينا خطوات سنسير عليها"

"وماهي؟"

"كما قلت قبل قليل بُعدك عن كل ما يدفعك للذنب ،لذا أريدك أن تقومي بتغيير هاتفك وحاسوبك أو إعادة برمجتهم

لا تجلسي وحدك أبداً الفترة القادمة قدر ما تستطيعي ولا تدخلي فراشك قبل النوم بفترة بل ادخليه عند حاجتك الشديدة للنوم

اشغلي نفسك قدر ما تستطيعين كالقراءة أو العمل

وأهم خطوة الصحبة الصالحة الجيدة ،ابحثي عنها واسعي لها

حسنا"

"حسناً"

"اتفقنا ،انتهت جلستنا الآن وموعدنا بعد أسبوعين إذاً لم يجد معك جديد "

□□□□

لقد تغيب عن عمله اليوم على أمل أن يُثنيها عن غبائها

نزل من سيارته فور تأكده من ذهاب والديها إلى عملهم وأخواتها إلى مدارسهم

تقدم من باب المنزل وطرقه بتوتر متمنياً أن تكون مستيقظة وتفتح له الباب

وقد لُبيت أمنيته وهو يسمع صوتها من وراء الباب سائلة بخفوت :_

"من"؟

"افتحي يا روضة أنا أنس"

وبمكانها اضطربت وهرعت دقاتها الملهوفة من تحت عقب الباب شوقاً لمالكها

هدأت نفسها وابتلعت ريقها بصعوبة وهمست :_

"لا أستطيع أن أفتح الباب ، لا يوجد أحد غيري هنا "

انتفضت مكانها بخوف على صوت ضرب قبضته للباب قائلاً بغضب:_

"أنا زوجك يا روضة ،افتحي الباب وإلا أقسم ستشاهدين الجنون على أصله "

لطمت وجنتها بخوف لا تدري ماذا تفعل لو فتحت له لن تقدر على صده أبداً لكن وماذا عن أبيها لا تستطيع أن تكسر كلمته وإذا لم تفتح لا تدري أي جنون سيفعل

عند انتفاضها مرة أخرى على إثر إعادة ضربه للباب، فتحته فتحه صغيرة دون أن تسمح له بالدخول وقالت :_

"والدي ليس هُنا يا أنس لا يصح ما تفعل "

دفع الباب برفق حتى لا يؤذيها وفور أن دخل أغلق الباب خلفه بحدة ووقف مكانه رغما عنه يتأملها باشتياق ولوعة

شعرها الأسود القصير إلى أكتافها والذي تجمعه في رباطة شعر بسيطة .

محافظة كعادتها على ذلك الفارق في منتصف شعرها من الأمام والذي يجعله مقسوم لنصفين

ملامحها الحزينة بعينيها السوداويتين واللتان تُسبلهم الآن في توتر ،أنفها الرفيع وشفتيها الصغيرتان ،بشرتها الحمراء التي أصبحت شاحبة

ترتدي منامة طفولية أحد ذراعيها بنصف كم والآخر لا وفور أن وصل إلى قدميها ابتسم بألم وهو يراها ترتدي الجوارب الحمراء كعادتها لا تخلع الجوارب في جميع فصول السنة

ما باله لا يرى من قلبه إلا اشتياقا ولهفة ؟ ألم يُقسم قبل مجيئه على تعنيفها ولومها ،حتى بأكثر خيالاته قسوة أقسم على ضربها لعلها تفيق

أقترب منها مجذوباً بقوة حبها مجبراً لا مُخيرا

وفور أن وصل إليها خرجت همستها المشتاقة باسمه دون أن تدري

"أنس"

أخذها بين أحضانه يضمها إليه بقوة وهو يتنفسها باشتياق هامساً باسمها من بين أنفاسه المسلوبة بهذيان

"روضة....روضة....روضتي"

بعد فترة كان كلٌ منهم غارقاً بالآخر كانت هي أول من دفعته بارتياع وقد أدركت وضعهم وهي تشهق بصعوبة محاولة أن تأخذ أنفاسها المسلوبة

أما هو كان مازال غارقاً بها وإن ابتعدت عنه

رفع رأسه بجزع لمرآى دموعها وهي تشهق باكية وتقول:_

"يا إلهي أنس ماذا تفعل؟ بل ماذا فعلت أنا ؟ يا إلهي ماذا لو جاء أبي الآن ،اخرج يا أنس أخرج بالله عليك ،نحن في طريقنا للطلاق وجيراننا يعلمون ذلك "

اقترب منها ماسكاً ذراعها بحدة وهو يقول بألم:_

"طلاق ؟ طلاق يا روضة ؟ كيف استطعت أن تفعليها بالله عليكِ ؟ كيف طاوعتك قدماكِ للذهاب ورفع تلك الدعوة اللعينة بل كيف طاوعك قلبك ؟"

ابتلع تلك الأشواك المسننة في حلقه بصعوبة وهو يشير إلى موضع قلبه ودموع القهر تلسع عينيه قائلاً بحرقة :_

"هنا يحترق يا روضة ، هنا يحترق من أجلك"

تعالى صوت بكاءها وتغضن جبينها بالألم وقالت:_

"من أجلك أقسم بالله من أجلك قبل أن يكون من أجل حبنا لن أستطيع يا أنس بل سأموت في الثانية التي ستفكر مجرد فكرة بالزواج علي فيها ،لا أريد أن أكرهك يا أنس لا أريد أنا أتنفسك ،إن فعلتها وأنا بعيدة عنك ستكون أهون من أن تفعلها وأنا معك .... لاالالا لاالالا أنا كاذبة يا أنس بل سأموت في الحالتين لكني لن أكرهك ،لا أريد أن أكرهك "

ابتلعت تلك الأشواك المسننة في حلقها بصعوبة وهي تشير إلى موضع قلبها والدموع تلسع عينيها قائلة بحرقة :_

"هنا يحترق يا أنس ، هنا يحترق من أجلك"

أنهت كلامها وانفجرت في موجة بكاء عنيفة ، دمعت عيناه ألماً لألمها وتوجع قلبه من أجلها فضمها إليه بقوة ،شاركها حزنها هامسا بحرارة :_

" فداءاً أنا لدموعك يا روضة ،لا تبكي يا روضتي، لا تبكي يا غبية أنا لن أفعلها يوماً أقسم بالذي خلق السموات والأرض لن ولم أفكر بفعلها حتى يوماً"

رفعت رأسها وهي تبتعد عنه قليلا قائلة من بين دموعها:_

"لا أستطيع أخاف يا أنس بل أموت خوفاً بالنهاية ستشتاق لطفلٍ من صلبك إن لم يكن هذا العام فسيحدث ولو بعد أعوام لن..."

قطعت حديثها واتسعت عينيها في هلع وهي تسمع صوت تكة المفتاح بالباب ومن ثم دخول والدها الذي انحسرت ابتسامته وظهر الغضب على محياه وهو ينظر لها وللآخر الذي استدار له يقف بجمود دون أن يبالي

انتفضت بداخلها بهلع على صوت والدها هادراً بغضب :_

"أنت ماذا تفعل هنا؟ كيف أتتك الجرأة على انتهاك حرمة بيتي والدخول إليه وأنا غير موجود "

التفت إليها بغضب قائلاً:_

"وأنتِ كيف تُدخلينه دون إذني ودون وجودي ثم لما كنتِ تبكين ماذا فعل لكي "

نظر إليه أنس بغضب وقال بجمود :_

"أنا زوجها "

"لم يفعل شيء يا أبي أقسم أنه لم يفعل شيء لقد أتى من أجل الصلح"

قالتها من بين بكائها وهي تستشعر ذبذبات أنس الغاضبة بجانبها محاولاً السيطرة على نفسه

انتبهت على صوت والدها الغاضب وهو يقول بسخرية :_

" زوجها ؟! ،،، صُلح!؟ أي صلح يا بن البرعي هه لن تدوم زوجها وفي أقرب وقت ثق في ذلك "

اقترب منه قائلاً من بين أسنانه بغضب وعجز :_

"أنت لم تفعل ذلك أنت قبل أن تنتقم مني تقتل ابنتك حية "

رفع ذقنه بإباء وقال بجمود:_

"دعك من ابنتي وأخرج الآن وضع بحسابك أن انتهاكك لبيتي لن يمر على خير ابداً "

التفت إليها أنس في غضب على أمل أن تتحدث ،أن تصرخ حتى متمسكة به لكنها أطرقت رأسها بألم جعله يهز رأسه أسفاً على حبه وهو يخرج غاضباً

فور خروجه وإغلاق والدها الباب انفجرت باكية وهي تفر مسرعة إلى غرفتها تحتمي بها

بعد يوم وليلة

عُقِد مجلس لكبار رجال العائلتين ومؤسسه بالطبع والدها الذي يجلس الآن يتحدث بتجبر عن تعديه للأصول والعُرف وانتهاكه حرمة بيته دون وجوده

وهاهو جده الذي عنفه قبل قليل على فِعلته المتهورة يجلس محاولاً مهادنة الرجل و تهدئة غضبه و إثناءه عن إصراره على الطلاق الآن دون انتظار حتى القضية والحكم بها فشخص مثله لا يؤتمن ثانية واحدة على وجود ابنته على ذِمته

ابتسم بسخرية وكأن الحديث لا يعنيه ،هو حتى لم يعد يطمع في شيء فليحدث ما يحدث ! عسى أن يحترق العالم بساكنيه لا يهم !!!

انتبه على صوت والده متحدثاً بأسف لأحد الرجال قائلا:_

"يا حج نحن معترفون بخطئه ،لم ننكر ذلك لكنه لم يقصد تعدي الأصول أو انتهاك حرمة البيت فهي زوجته على كل حال "

رد عليه الرجل قائلاً:_

"أنتم بيت الرجال يا حاج عامر لا ننكر ذلك ، لكن ابنك لم يأخذ حساب كبير ولم ينظر أن هناك قضية بينهم وفي طريقهم للطلاق "

وعلى هذا المِنوال يتجاذبون الحديث بين شدٍ وجذب وذاك الرجل المدعو حماه لا ينطق سوى بالطلاق !!!

هب واقفا وقال بجمود :_

"حسنا يا عمي لك ما تريد ،لكن من حقي أن اتحدث معها لمرة أخيرة "

رفض الرجل بتعنت لكن الجالسين أثنوه آملين أن يتم الصلح بينهم

اصطحبه الرجل بامتعاض إلى غرفة جانبية ودقائق كانت تدخل عليه الغرفة ببطء مرتدية إسدال منزلي جعله يبتسم بتهكم رغماً عنه

نفض أفكاره واقترب منها سائلاً بجدية :_

"هل ما زلتِ على رأيك يا روضة تريدين الطلاق؟"

هزت رأسها إيجابا فتنهد بألم وسأل بمحاولة واهية :_

"حتى وأنا أقسم لكِ الآن بالله وتالله ووالله أنني لن أتزوج عليك يوما ما حييت "

اضطرب قلبها العاشق بين جنباته وهو ينتعش بأمل توارى سريعا وهي متذكرة حديث والدها

"الرجل يفهم الرجل يا ابنتي ويشعر به ،هو يحبك لا أنكر لكن الحب ليس كل شيء ،حبه لكي لن يطفئ فطرته في الرغبة أن يكون أب ينعم بأطفاله "

دمعت عيناها وهزت رأسها مرة أخرى

فاقترب منها مبتسما بألم واحتوى وجهها بين كفيه بحنان يمسح دموعها ودون أن يشعر مال إليها خاطفاً أنفاسها يرتشفها بجشع الظمآن الذي يتناول شربة ماء أخيرة وسط صحراء قاحلة فاختلطت دموعهم سوياً

وأخيراً ابتعد عنها وقبل رأسها بقدسية ،جاذباً إياها بين أحضانه يضمها إليه بقوة حارصاً على أن يستنشق أكبر قدر من رائحتها يُرويه ثم اقترب بشفتيه من أذنها هامساً بحنان :_

"أنتِ طالق روضتي"

أفلتها دون أن يقوى على النظر إليها وخرج مسرعا فهوت على ركبتيها باكية وهي تسبه

الخائن الذي وضع بقبلته على قلبها مخدر موضعي ثم
على غفلةٍ منها في سُكرَةِ حبه

بتره بتراً على الحي وتركها تنزف دون تضميد...."

انتهى

الفصل الخامس عشر

ابتسمت رنا وهي تستمع إلى رسالته الصوتية بصوته الرخيم وهو يرد عليها قائلاً:_

"يا فتاة كُفي عن رؤية نفسك بكل هذا السوء ،كل إنسان بداخله بذور جينية للصفات الحميدة والخبيثة ،نحن مجبولين على ذلك في جيناتنا

كَونْ أن الإنسان يُلقح صفاته الخبيثة أو يهذبها فذلك شئ يرجع لكل نفس

لكن هناك ما نقدر عليه وهو "المراقبة" المراقبة للذات مهمة جدا وليس للصفات السيئة فقط بل للحميدة أيضاً فكل صفة حميدة إذا زادت عن حدها انقلبت إلى ضدها كالطيبة مثلا تنقلب إلي هبل

لا يوجد شئ يظل على حاله دون مراقبة وتهذيب منا ،إذا تركت ذاتك لحالها تنقلب ضدك

لذا فكرة مراقبة القلب يا فتاة ومن ثم إصلاحه عملية إنسانية بحتة ،كل شخص منا مُبتلي بشيء معين يسعى لتهذيبه لذا تلك البذور الجينية بداخلنا تحتاج مراقبة دائمة

انصحك بقراءة كتاب earth (الأرض) للكاتب Eckhart Tolle سيساعدك كثيرا"

تنهدت رنا مفكرة في حديثه السلس ثم كتبت له :_

"حسنا لكن دائما تأتيني تخيلات لنفسي بالمستقبل وأنا مازلت على ذنبي وأنني أبداً لن أخرج من تلك الشرنقة"

"إياك يا فتاة وهذه التخيلات وتلك الأفكار السلبية ابتعدي عنها في الحال

فمن أكثر التيارات الجارفة التي يتوجب الوقوف لها والسباحة ضدها تيارات الخيالات السلبية

هذه التخيلات ناتجة عن خوف غير مبرر يا فتاة ، خوف سيسوقك للضعف والضغط على نفسك دون داعي ،

دربي عقلك على الهروب منها فالعقل لا يفرق بين الأشياء التي عاشها والأشياء التي تخيلها"

"حسناً"

أتاها صوته الحنون الذي باتت تتعلق به دون أن تدري يسألها باهتمام

"وكيف حال صلاتك ؟هل عدتي لها أم مازالتِ خائفة "

" لا لقد انتظمت فيها مرة أخرى "

"حسنا هذا جيد ،استمري على طريقنا وصدقيني لقد اقتربنا من النهاية وكله كان بسبب إرادتك ونفسك النظيفة وباستمرار أرسلي لي الأعراض التي تتوالى عليكي"

□□□□

ينظر من النافذة في الحجرة التي يجلس بها ببرود مسيطر عليه فهو منذ طلاقه بروضة وهو أخذ إجازة من عمله وترك كل شئ وأتى إلى منزل جده

والدته تهاتفه بالليل وبالنهار تبكي له وتتوسله أن يعود متغنية أنها ستزوجه بسيدة سيدتها وألا يحزن فهي الخاسرة

ابتسم بسخرية من حديث والدته ،أي خاسرة بحق الله هل تظن أنه يلومها على موقفها ؟

أنه مثلاً سيرمي حياته معها ورائه ثم يمضي مكملاً وكأن شيئاً لم يكن؟ وكأن ما تركه معها ليس قلبه؟

لا والله لن يحدث ،هو نعم غضب منها ومن موقفها السلبي لكن قلبه العاشق يتلمس لها ألف عذرٍ وعذر

رفع رأسه على طرقة صغيرة على الباب اتبعها دخول جده مبتسماً ببشاشة

هب من مكانه مُسرعاً يأخذ ذراع جده يستند عليه ،حتى أجلسه على الأريكة ثم جلس جواره مطرقاً برأسه

ربت جده على ظهره ثم قال بحنان:_

"والله يا ولدي إن مرضي أهون علي من رؤية انحناء ظهرك هذا ،سلم أمورك لربك "

قبل يد جده بإجلال فأخذه الرجل بين ذراعيه قائلاً بقوة:_

"ابكي يا ولدي ،ليس عيباً، دموعك الحبيسة في عينيك منذ أن أتيت ،تقسم ظهري و تشعرني بالعجز ابكي"

جز على شفتيه بقوة ودمعتين خبيثتين تسللوا من عينيه رغماً عنه وألم قلبه أقوى ،شعوره لا يستطيع وصفه حقاً كمن أخذوا جزءًا من أعضائه لا يستطيع العيش دونه

ضمه جده بقوة دون أن يتحدث وهو يدرك جيداً أن أكثر ما يؤلمه شعوره بالعجز فالرجل والدها قفل عليه جميع الأبواب لكن الله أقوى وعلى كل شئ قدير

انسل من أحضان جده يمسح عينيه بخجل فابتسم الرجل قائلاً بحنان :_

"يا ولدي لا تخف ولا تحزن إنا منجوك ،

هو حق ووعده حق أنت لم تظلم أحداً بل كل ما فعلته أنك تريد الحفاظ على بيتك وزوجتك ورغم أنه في حالة

زوجتك شرع لك الزواج بأخرى إلا أنك تنازلت عن حقك وتمسكت بها وحدها أتظن أن الله يغفل عن كل هذا ؟!

لا والله الذي لا إله إلا هو لن يتركك وسينصرك ولو بعد حين "

ابتسم براحة وحديث جده يبعث الطمأنينة في نفسه فربت الرجل على كفة قائلاً بحكمة :_

"يا ولدي رحم الله امرئً عشق قدر قلبه

وما أراه منك أنت لم تحبها بقلبك فقط ،بل سلمتها قلبك برضا ،أتظن أن الله يتركك بعد كل هذا والله لن يحدث فقط دع الأمر يهدأ "

ضغط على كفه وأردف:_

"قم يا ولدي قم وصلي ركعتين أودع فيهم أمورك إلى الله لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا"

□□□□

اليوم بالتأكيد هي في النادي مع طفله في التدريب الرياضي

صف سيارته ،ودخل باحثا عنهم بعينيه حتى لمعت عيناه

بالغضب وهو يراها تجلس على طاولة جانبية وتتحدث مع أحدهم والذي تعرف عليه فور أن تقدم قليلاً منهم فهو اللزج ابن عمها

تقدم منهم حتى وصل إليهم ملقياً السلام بتحفز ،جعل الآخر ينصرف بعد أن سلم عليهم مع وعد باللقاء يا ريم ،

الأحمق فليلاقي نفسه بالجحيم !!!!

رفع نظراته الشمسية ونظر إليها بغضب قائلاً:_

"كيف تسمحي لرجل غريب أن يجلس معك هكذا وحدكم"

نفضت عن نفسها دهشتها حضوره إلى النادي فتقريبا منذ زواجهما لم يفعلها لكنها ردت ببرود وهي تعتدل في مقعدها قائلة بهدوء وصرامة:_

"لا أسمح لك أن تحدثني هكذا، أخلاقي لا غبار عليها ،كما أنه هنا مع زوجته وطفله ،وزوجته كانت جالسة معنا لكنها ذهبت لتفقد طفلها"

أدار وجهه ممتعضا وقال بسخرية :_

"ويا ترى زوجته الأولي أم الثانية "

"ليس من شأنك ،ثم أن ما الذي يُغضبك أنت هكذا؟"

ضرب بقبضته على الطاولة أمامه والغيرة تنهشه نهشاً قائلاً:_

"وتسألي أيضاً؟ ألا تري أنه لا يجب أن تجلسي معه ثانية وحدكم وبالأخص أنه رجل مزواج"

ضحكت بتهكم وقالت بسخرية ذات معني:_

"سبحان الله أليس الرجل من حقه مثنى وثلاث ورباع يا سيد عبدالرحمن"

أطرق برأسه في ألم وهي يفهم مغزى حديثها جيدا وهي تذكره بحديثه السابق

فقط لو يعلم كيف أصبحت قاسية هكذا؟

ألا تدرك أنه يشتاق فقط لدقائق بين أحضانها وليحترق العالم بعدها

يشتاق لصوتها الدافئ الحنون حين تحدثه ،لمسة يدها الحنونة على جبهته حين يصاب بألم في رأسه.

ضمة شفتيه على أناملها وهي تعطيه دوائه صباحاً !!"

تأوه داخله في حنين كم كان غبي وكم هي قاسية الآن وكم هو مشتاق ..

التفت إليها قائلا بصوت متهدج من فورة مشاعره:_

"ألن تغفري يا ريم ؟!"

واللعنة عليه وعلى صوته ونبرة الاشتياق به التي تدركها جيدا ،لا تعلم ما به يثير مشاعرها كأم وأنثى في آن واحد ، لقد اشتاقت إليه حد السماء ، وتكاد لا تنام ليلاً من فرط قلقها عليه وعلى حالته ،لكن لا أبداً لن تعرض نفسها مرة أخرى لتذبذب مشاعره لن تفعل أبداً

نفضت أفكار الضعف عن نفسها وقالت بجمود:_

"ليس هناك غفران وغيره يا عبدالرحمن ولا تفكر أن صبري على موضوع الطلاق مراوغة مني بل فقط احتراما لك كوالد طفلي لكن أرجو أن تتفهم ذلك جيدا وتُتم الأمر دون تدخل الأهل"

أنهت حديثها وتركته وذهبت دون أن تعطيه حتى فرصة للرد ،فيكفي ضعف له وبه إلى الآن ...

***

ابتسمت بسعادة وهي ترى فرحة رنا الحقيقية والتي لم تكف عن الرقص على تلك المهرجانات المعروفة منذ الصباح ،منذ متى لم ترى سعادة صديقتها هكذا ؟

هل تحب حمزة بهذا القدر؟ أم عساها تحبها هي أم كل تلك الفرحة من أجلهم الأثنين ؟!

هي أيضاً سعيدة لا تنكر ، فقط باعتراف صغير منه قلب كيانها رأسٍ على عقِب ومنذ أتى مع والديه وأخذ رقم هاتفها بعد قراءتهم للفاتحة وهو لا ينفك عن الاتصال بها

كل بضعة ساعات مكتفياً بحديثه الذي يأسرها بنبرته الشقية المحببة

انتبهت على صوت الزغاريد تسطع في المنزل وصوت خبيرة التجميل تبارك لها وهي تضع اللمسات الأخيرة

وتلك الشقية الخبيثة مثل خالها التي تقترب منها الآن قائلة بشقاوة:_

"هيا يا دبدوبة لقد أتى العريس"

توردت وجنتيها خجلاً وهي تذكر ذلك اللقب الذي يدعوها به والتي وشت به لرنا صديقتها وفضولها يقتلها أن تعرف لم ؟

حين فكرت أنه لزيادة وزنها نهرتها رنا معنفة أن حمزة ما يقوله إلا غزلاً

ابتسمت وهي تنظر لصديقتها بحب والتي لا تقل عنها جمالاً بل لن تبالغ أن تقول أنها أجمل منها بفستانها النبيذي وحجابها الذهبي دون أي أداة تجميل كعادتها فدوماً رنا لا تحب أن تضع أي شئ من أدوات التجميل ...

دقائق وكان والدها يطرق الباب ويأخذها إلى الأسفل لذلك الذي ينتظر على أحر من الجمر ،وهو يشعر أن قلبه سيخرج من بين ضلوعه الآن وهي تتأبط ذراع والدها مطرقة برأسها في خجل فور أن غمزها بشقاوة

ترتدي فستان فيروزي بلون عينيها مع حجاب يلائمه ،مُلتف حول جسدها يجعلها كمثالٍ حي للدبدوبة الجميلة ،دبدوبته هو ....

سلم على والدها الذي بارك له وتركهم ثم التفت إليها قائلاً بحب:_

"مبارك يا نهى"

"مبارك لك أيضاً"

قالتها بخجل مبتسمة فأشار لها كي يجلسوا علي المقاعد المخصصة لهم

مال عليها يتأملها بهيام جعل الدم يتصاعد إلى وجنتيها ثم همس بحب:_

"هل أخبرتك كم تبدين جميلة اليوم وكم أتمنى لو كان عقد قران وليس خطبة فقط"

أخفضت رأسها خجلا ونبضات قلبها تتسارع بقوة لحديثه الحُلو

وقبل أن يميل عليها متحدثاً مرة أخرى اعتدل في جلسته يستقبل المباركات و التهنئة

وبعد فترة قصيرة من جلوسهم واستقبالهم للمباركات ،

علىَ صوت الزغاريد بالمكان مرة أخرى مع تلك الأغنية الشهيرة

"يا دبلة الخطوبة"

يصحبه دخول رنا المبتسمة بسعادة وفي يدها علبة الشبكة تعطيها لحمزة

ابتسم بسعادة وفور أن فتحها فقالت رنا بشقاوة:_

"عذراً يا عريس أنا الذي سأضع الخواتم بأصابع العروس"

نظر إليها حمزة بشر ،فكتمت ضحكتها قائلة ببراءة :_

"عمو يس من طلب هذا"

ابتسم بغيظ لحماة فأومأ الرجل برأسه ضاحكاً وقامت رنا بوضع الدبلة والمحبس في أصابع صديقتها بحب ثم اتبعتها بالخواتم ثم احتضنتها بقوة وهي تبارك لها بحب

استدارت لحمزة الذي ينظر لهم بغيظ ثم وضعت دبلة حمزة في يده قائلة بتكبر مصطنع :_

"أرتديها بنفسك "

ورغماً عنه ابتسم وارتدي دبلته ثم جذبها إلى أحضانه بقوة .

فستظل رنا ابنته الأولي ،اخته وصديقته ،،رغم كل فرحتها التي هو متأكد منها لم يخفي عليه أبداً لمعة الحزن الظاهرة في عينيها منذ أن حضرت أخته وأبنائها...

بعد فترة وبعد عذاب من تحايل والدتها على والدها أن يتركهم وحدهم وافق على مضض تناولهم العشاء معا في الشرفة المطلة على الحديقة

ضحك رغماً عنه وهو يرى توترها ونظرها الذي يذهب في كل مكان عداه وقال بمشاكسة :_

"لم أكن اعرف أنكِ بخيلة هكذا"

التفتت بوجهها له كما أراد واحمرت وجنتيها وهي تقول بخجل:_

"أنا؟ لم ؟! "

"منذ أن جلسنا ولم تعزمي علي حتى بالطعام وأنا الذي لم أكل منذ الصباح منتظرا أن أتناول طعامي معك"

ابتسمت بخجل وهي تقول بخفوت :_

"لم أقصد البيت بيتك بالطبع تفضل"

غرس شوكته بقطعة اللحم أمامه ثم قربها منها هامساً بحرارة:_

"لن أفعلها قبلك دبدوبتي "

توردت وجنتيها وأخذت منه الشوكة بيدها ثم سألته بحيرة :_

"لم تقول لي دبدوبتي أنا لا أفهم"

غرق في نوبة من الضحك متخيلاً شكلها وردة فعلها إذا أخبرها الآن لم !

لا يستبعد أن تسقط غائبة عن الوعي من الخجل بحالتها المستعصية هذه

بعد أن خفت نوبة ضحكاته وجدها تنظر إليه بحيرة ذامة شفتيها بغضب فقال:_

"آسف حبيبتي لكن حقاً من مصلحتك ألا أرد على هذا السؤال تحديداً..

ثم همس غامزاً بوقاحة :_

"دعي إجابته لحينها وسأفهمه لكي تفصيلياً دبدوبتي"...

***

بمكانها على نفس الطاولة بالمكتبة تجلس ناظرة من النافذة وهي تبكي بقوة متذكرة دخول والدتها بالأمس مع نور وعمار في خطوبة حمزة ونهى

والدتها التي سلمت عليها مع دعوة باردة أن العقبي لها ثم انصرفت مسرعة محيطة بذراعها كتفي نور مبتسمة بسعادة لكل من يبارك متمنيا لها أن تكون العقبي لصغيرتها نور

مسحت وجنتيها سريعاً على صوته الحنون يقول :_

"يا الله يا صغيرة ،هل كلما آتي إلى هنا سأجدك تبكين وحدك هكذا؟"

التفتت إليه مطرقه رأسها بخجل وهي تهزها بلا معني فابتسم وجلس أمامها قائلاً :_

"ألم أقل لكي لا تبكي ودعي البكاء لأهله يا صغيرة"

ابتسمت بألم رغما عنها وهي تنهر نفسها على تأثرها به الفترة الماضية .

محادثاتها الإلكترونية معه والتي تأتي بثمارها رويدا رويداً، رسائله الصوتية التي يبعثها لها معيدا في نفسها القوة ولا تدري كيف ؟

مقابلاتهم الكثيرة الفترة الماضية من أجل ترجمة الكتاب والذي انتهوا من العمل عليه قبل يومين

انتبهت على صوته الحنون الذي يبعث الدفء في أوصالها يقول:_

"فيما شردتِ يا صغيرة "

"لا شئ "

قالتها شاردة في صغيرة هذه كيف تأسُر قلبها رغما عنها بصوته المميز فما بالك بزوجته حين يدعوها بألفاظ تحببيه

قبل أن تفر هاربة من أمامه وجدته يقول بصوت رزين :_

"لم لا أرد لكي الجميل ، أنتِ قمتي بمساعدتي في ترجمة المرجع الطبي، وأنا سأستمع لكي لا كطبيب بل كأخ إن كان يضرك لفظ طبيب هذا"

ابتلعت غصة مؤلمة في حلقها وهي تشعر أنها تريد الحديث مع أحدهم حقاً...

لكن رغما عنها خرج سؤالها المُلح بعقلها قبل أن تسيطر عليه سائلة بفصول:_

"دكتور كيف تجمع بين عملك ودراستك والمكتبة هنا وبيتك وأطفالك؟"

قطب بين حاجبيه ضاحكاً في حيرة ثم سألها مبتسماً ببساطة:_

"أي بيت وأي أطفال يا رنا"

احتقنت وجنتيها خجلاً رغماً عنها وأخذت تفرك كفيها ببعضهم ثم همست بخفوت:_

"أنا آسفة"

ضحك ضحكة قصيرة ثم قال :_

"يا صغيرة أنا أجمع بين عملي ودراستي لأن الاثنين نفس المجال كلما اجتهدت في دراستي كلما أصبحت أكثر نجاحاً في عملي وإفادة لغيري..

و المكتبة هذه فهي حلمي منذ الصغر لحبي في القراءة أن يكون لي يوما مكتبة تخصني طرازها أشبه بالمقهى الغربي كما ترين ،بها أشكال الكتب بمختلف اللغات

وأما نقطة بيتي وأطفالي فأنا لست متزوج وليس لدي أطفال"

ضيق عينيه وأردف بشقاوة زادته رزانه ولا تعلم كيف :_

"هل لديكِ عروس؟"

امتقع وجهها خجلاً من تهورها في السؤال ،لكن رغماً عنها هناك راحة غريبة تسللت بخبث إلى نفسها بعد حديثه وهي تهز رأسها نفيا مبتسمة دون أن تقوى على النظر له

رفعت رأسها على صوته يقول ببساطة :_

"هيا تحدثي ،أنا أستمع لكي"

لا تدري هل بساطته المحببة للنفس هذه من شيمه بالأساس أم لكونه طبيب نفسي ينبغي عليه فعل هذا لكن

بساطته هذه بصوته الحنون ،تجعلك ترغب في الحديث معه دون كلل لذا أطرقت برأسها قائلة بخفوت:_

"لا أدري من أين أتحدث وفيما؟"

"من حيث تريدين يا صغيرة أنا أستمع لكي"

انطلقت تحكي له عن كل شئ دون أن تدري، طفولتها المبتورة بين أب لا تراه إلا لماماً وأم تنبذها .

عن جدها الحبيب ورعايته لها ،عن إخوتها عمار ونور الذين لا تراهم وبالأخص نور ودون أن تشعر كانت تبكي كطفلة صغيرة مات والدها الذي يجلب لها الحلوى ...

أنهت حديثها قائلة من بين بكائها بمرارة:_

"أكثر ما يؤثر بي هي أمي ،أنا أحتاجها ،أشتاق لها وللحديث معها كأم وابنتها ،أطوق لتجربة هذا الشعور ، أتعلم؟

أنا لا أعرف رائحة أمي يقولون أن الأمهات لهم رائحة مميزة يتعرف عليها الأبناء ،أنا لا أعرفها ،هل هناك ابنة لا تعرف رائحة والدتها وهي على قيد الحياة"

تألم لنبرة الفقد في حديثها رغماً عنه وذلك الشعور الغادر داخله أن تكون أحد أبناء إخوته يسيطر عليه شفقةً بها ربما...

نعم لقد مرت عليه حالات كثيرة تعاني من قسوة والديها لكن الأمر هنا ليس في القسوة الأمر هنا هو مرارة احتياجها ....

ابتسم بحنان وقال:_

"اعتبريه ابتلاء يا صغيرة استشعري منه عظم قدرك عند الله فإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ،عسى أن يكون عوضك بالدنيا وما فيها ومن يدري!!"

أومأت برأسها مبتسمة بخجل وهي تمسح دموعها فقال :_

"بسم الله الرحمن الرحيم "إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا "

رفعت عينيها إليه بتساؤل فقال :_

"يعني تأكدي أن الله سيُخلف عليكِ من وراء ذلك خير وسيعوضك عوضا جميلاً"

"أحياناً في مثل هذه المواقف أشعر بانكسار روحي وعدم قدرتي على مواصلة أي شئ في الحياة وكأن روحي من الداخل أصبحت باهتة "

نقر بسبابته على الطاولة أمامه وقال :_

"يا صغيرة تعلمي كيف تكونين طبيبة ذاتك ،كيف تصعدين بنفسك من كسرة الروح المعنوية ..."

قبل أن يواصل حديثه رن هاتفه ،فنظر لها مبتسماً وهو يقول قبل أن يرد:_

"طبيبتك تتصل"

فتح الاتصال قائلاً بهدوء:_

وبمكانها تسمرت، شحب وجهها وزاغت حدقتيها بتوتر فور أن سمعت الاسم ،وانتفضت من داخلها رغما عنها بهلع وهي تسمعه يُنهي المحادثة قائلاً:_

"حسنا أنا أنتظرك بالمكتبة"

أنهى محادثته ونظر إليها فهبت واقفة تقول بعجل:_

"معذرةً يا دكتور سأذهب الآن "

قطب بين حاجبيه في دهشة وسألها:_

"لم ؟ لا تقلقي أنا لست مشغول ،الدكتور مادلين ستمر علي تأخذ بعض المراجع وتذهب"

ابتسمت باهتزاز وقالت :_

"لا لقد تذكرت موعد هام ، إلى اللقاء"

وتركته وخرجت مسرعة ،دقات قلبها تتقافز بهلع وخوف من أن تقابلها

بعد نصف ساعة كانت مادلين تدخل المكتبة مبتسمة بدلال قائلة :_

"كيف حالك يا شهاب؟"

" بخير " قالها مبتسماً ثم سألها مباشرةً :_

"أي مراجع تريدين؟ "

أخبرته بما تريد ،فجلبهم لها وجلس أمامها مرة أخرى مطرقاً برأسه يتأكد من أسمائهم ومحتواهم

أما هي فكانت تتأمله باشتياق وجرأة .

عملها معه الفترة الماضية واختلاطهم سوياً جعلها تتعلق به دون تدري وكيف لا وهو رجل كل ما به آسر ،مُهلك، يجعلها تغرق فيه بإرادتها

وقبل أن تسيطر على نفسها همست بغنجها الفطري:_

"اشتقت اليك شهاب"

ونبرتها المغناجة التي لا تتكلفها هلاك وهو محض رجلٌ بالنهاية تتغزل به امرأة غاية في الجمال

أطرق برأسه لثوانٍ ،ثم رفع رأسه إليها قائلاً بحزم وهو يقف :_

"لا يصح هذا الحديث يا دكتورة ،قلت لكي من قبل أنا لا أسمح بالتساهل في الحديث معي هكذا ،إضافةً أنه لا يصح كما قلت"

وقفت توازيه في وقفته وقالت بجرأة :_

"هذه مشاعري شهاب ومن حقي التعبير عنها كما أريد "

وضع كفيه بجيبي سرواله وقال بهدوء:_

"حسنا مشاعرك هذه ستؤذيكِ ،نحن زملاء مهنة لا أكثر أتمنى أن تفهمي"

زمت شفتيها بغضب لكن قبل أن تتحدث بشيء كان يسبقها قائلاً بحزم قبل أن يذهب:_

"رجاءاً يا دكتورة لا أريد ان أستمع لهذا الحديث مرة أخرى ،كما قلت لك من قبل إياك وتجاوز الحدود معي ،والآن معذرةً سأذهب لمتابعة عملي..."

****

سيطر على ضحكاته بصعوبة وهو يقول:_

" أنتِ حقا غاضبة مني لأن فريق الكورة الذي تشجعيه قد خسر وفريقي قد فاز "

دخل في نوبة من الضحك مرة أخرى وهو يراها تنظر له بتلك العصبية المحببة إلى قلبه مما جعلها تلكزه في كتفه وهي تقول بغيظ :_

"لا تضحك علي"

ثم أردفت ببؤس:_

" أنا حقا حزينة يا حسن لقد تراهنت مع أصدقائي على فوز فريقي كما رأيت في منامي ككل مرة لكن بالتأكيد ثمة شيء خاطئ "

حكت ذقنها بيدها تفكر ثم نظرت له وهي تقول:_

"بالتأكيد فريقك قد اشترى حكم الملعب"

كبت ضحكته بصعوبة وهو يقول بعبث :_

"حصل وأنا حكم الملعب"

زمت شفتيها بغضب وهي تنظر له بشر

فابتسم من تفكيرها الطفولي وهو يقول:_

"احسني الظن يا حقودة كنا نشاهد المباراة سويا ورأينا كيف أن فريقي نالها عن استحقاق "

نظرت له بغيظ وهي تلوي شفتيها و تغمغم :_

" طبعا ومن يشهد للعريس"

ثم أكملت بغيظ وهي ترفع يدها داعيه :_

"يارب أجعلها آخر فوز لهم وآخر إخفاق لنا يارب"

لم يسيطر على نفسه وهو يغرق في نوبة ضحك مرة أخرى وهو يراها كطفلة تدعي على معلمها الذي أعطاها درجة سيئة في الاختبار

هبت واقفة وهي تقول بعصبية:_

" لا تضحك علي يا حسن لا تضحك "

ثم تخصرت ضامة حاجبيها بضيق وقالت :_

"بالطبع ولم لا فبالتأكيد قلبك يرقص فرحا لفوز فريقك "

جذبها حسن من يدها على حين غرة فسقطت بين ذراعيه.

احتوى وجهها بين يديه واقترب منها هامساً بحرارة:_

"صدقا قلبي يرقص طربا لكن أتعلمين لم؟! لأنك بين يديه يا كل الحُسن"

احمرت وجنتيها خجلاً مبتسمة فغمزها بوقاحة قائلاً:_

"حسنا لقد اتفقنا أنه إذا فاز فريقي سأطلب منكِ ما أريد "

ضيقت ملك عينيها وهي تنظر له بريبة ثم قالت بحذر :_

"حسناً وماذا تريد؟"

دنا من أذنها ببراءة مصطنعة هامساً ببضع كلمات جعلتها تشهق بخجل وهي تدفعه بقوة وتفر هاربة من بين ذراعيه وصوت ضحكاته العالية عليها تملئ الفراغ....

***

«لا تردي محتاجاً يا حفصة وقولي الحق وانصري المظلوم»

جملة يحيى في المنام تتردد على أذنيها كل يوم وهي تفكر بحيرة ماذا عليها أن تفعل

هل يريد منها يحيى مثلا أن تتدخل في مشكلة أخيه وطليقته؟

لا تعلم لكنها منذ أن دخلت هذا البيت وهي لا تتدخل فيما لا يُعنيها ،بل كان نهجها هي ويحيى رحمه الله ألا يتدخلوا فيما لا يُعنيهم ،وأيضا علاقتها بوائل لا تتعدى الحدود المفروضة بين المرأة وأخو زوجها.

هي لاحظت تغيره منذ فترة ،وأيضا تحدثت معها حماتها عن ذلك وأنها قلقة عليه

التفتت على صوته يلقي السلام بقنوط ويجلس جوار صغيرها يقبله ويسأله عن أحواله

رفعت عينيها على حديثه مع صغيرها وهو يسأله

"أين فريدة يا عمي ،لقد اشتقت إليها لم تأتي منذ أسبوعين "

رد وائل بابتسامة باهتة:_

"هي أيضاً اشتاقت إليك يا حبيبي،حسناً سأجلبها تلعب معكم"

"وكيف ستجلبها ؟ عساها مشغولة بزواج أمها ، وأنت استمر هكذا كالبيت الوقف يا ضنايا"

كان هذا صوت حماتها التي تحدثت إليه بامتعاض وخرجت قبل أن يرد عليها لكن ملامح وجهه الغاضبة كانت أبلغ رد

أشارت حفصة إلي الأريكة البعيدة نسبيا في الغرفة إلى صغيرها قائلة :_

"حبيبي انتقل لهذه الأريكة ، أريد أن أتحدث مع عمك قليلاً"

أومأ الصغير بأدب وفعل ما أرادت ،فانتقلت حفصة على الكرسي المجاور نسبيا للأريكة التي يجلس عليها وائل وقالت بهدوء:_

"هل هذا الحديث صحيح يا أبا فريدة ؟"

أومأ برأسه ولم يرد ،فتنهدت قائلة :_

"وهل ستترك ابنتك تتربي بعيداً عنك ،مع رجل أخر؟"

"لا والله لن يحدث فاليوم الذي تعقد فيه قرانها على ذاك الأبله لن ترى وجه ابنتها مرة أخرى ولنري ما عندها"

قالها بغضب وداخله يحترق حرقا ، طاقة الغضب بداخلة قادرة على حرق الاخضر واليابس بينهم وقد فعل قبل أيام مما أدى إلى شجاره مع علي أيضاً"

سألته حفصة بصبر:_

" هل تحدثت معها؟"

أطرق برأسه في ضيق وهو يتذكر حديثه الذي جرحها به دون أن يقصد ،هو حتى لم يجرحها فقط بل جرح بن خالته وصديقة ، إلى الآن لا يعرف كيف فعل هذا ،لا يلوم علي أبداً على طرده له "

انتبه على سؤالها :_

"ماذا حدث ،يبدو أن هناك أمور سيئة حدثت؟"

أومأ برأسه في هم وهو يقص عليها ما حدث بدايةً من ذهابه لبيت خالته إلى طرد علي له

ولأول مرة يفعلها ويتلمس من أحد النصيحة لكن علها تفيده فدائما ما كان يحيى رحمه الله يثق برجاحة عقلها

أما هي فأطرقت برأسها صامتة تتمني الرحمة لذلك الذي كان كالبلسم الشافي وإن كان موجوداً لم يكن يسمح بذلك أبداً لا الآن ولا قبل سنوات

دارت بعينيها على السجادة أسفلها تفكر ماذا لو كان يحبى على قيد الحياة ؟

ماذا كان سيفعل؟ بل ماذا لو كانت الأدوار منقلبه .

أدمعت عينيها رغما عنها مُقرة بينها وبين نفسها أنه

«والله لو كان يحيى لم يكن يُبقيها خارج ذمته ثلاث دقائق حتى وليس ثلاث سنوات»

تُري هل كان يقصد "بقولي الحق" أن تنصر رؤي ؟ أن تكون سبباً في إزالة الغشاوة من عيني أخيه؟ أن تنفض عنه شيطانة ؟

رفعت رأسها إليه وعينيها تلمع بإصرار وقالت :_

"ولما لا تردها لعصمتك يا أبا فريدة وتتربي ابنتك بينكم؟"

"لا لن أقبل على كرامتي امرأة أهانت رجولتي في بيتي وأمامكم "

امتعضت رغماً عنها من جلافة وائل الذي دوماً تسرعه يغلب تعقله دون تفكير وقالت بجدية :_

"تُرى يا وائل لو أنا مكانها وفعلت ذلك مع يحيى رحمه الله هل تظن أنه كان سيطلقني والله ،أقسم بالذي اختاره يا

وائل شهيدا بالجنة أنه لم يكن سيفعلها بل كان سيعاقبني بالود والرحمة لا غير ذلك ،

آسفة يا أبا فريدة سأحدثك على لسان يحى رحمه الله وأقول لك كلمته الشهيرة:_

«الرجل لا تسبق كلمته تفكيره »

ولا أقصد إهانة لكن أقصد أنك أخطأت في طلاقك لها"

احمرت أذنيه خجلاً وغضبا في آن واحد ،خجلاً من أن تعنفه امرأة وإن كان بالحسنى وإن كان على لسان أخيه وإن كانت توازيه بالعمر وغضبا من نفسه ومن تلك الأخرى

ابتسمت وطيف حبيبها تستشعره بدقات قلبها الوفية بحبه إلى الآن وإن واراه التراب وقالت :_

"صحيح رؤى تهورت يا وائل ،وصحيح هي أهانتني لكن أقسم لك لم آخذ على خاطري منها أبداً تعلم لم؟"

رفع عينيه إليها بتساؤل فقالت بجدية:_

"لأنه لو كنت أنا مكانها لفعلت ذلك وأكثر "

رفع حاجبيه في دهشة وعدم تصديق فأردفت:_

"المرأة تكون في أكثر حالاتها جنوناً حين تغار، لا أبالغ حين أقول أنها تكون على استعداد القتل ، كما أنه أيضاً يا أبا فريدة ....

صمتت لدقائق ثم أردفت بصوت أكثر خفوتاً :_

"منذ وفاة يحيى رحمه الله وإضافة للمشاكل المعتادة بين رؤى ووالدتك ،أصبحت والدتك لا تنفك عن الحديث مع رؤى أنه يجب أن تتزوج أرملة أخيك وأن تضم أبناء أخيك لك ،وصدقني ليس سهلاً أبداً على امرأة أن تسمع

عن زواج زوجها من أخرى بكل تلك الثقة دون المبالاة برأيها حتى

أقسم أنها حينها تتمنى أن تُحرق حية ولا تسمع هذا "

أطرق برأسه وحديث حفصة يُهدئ من غضبه رويدا رويدا رغما عنه ،فهو لم يفكر من هذه الناحية أبداً لطالما فكر أنه كان يطمئنها أنه لن يفعلها لكن لم يحسب حساب أن حديث والدته سيُجن جنونها هكذا "

انتبه على صوت حفصة مواصلة حديثها قائلة بحزم :_

"ولتعلم أنك ظلمتها يا أبا فريدة ، وليضع الله خطأك أمام عيناك، جعل الأيام تدور وسبحانه جعلك توضع في نفس موضعها ورغم أنك رجل لكنك لم تدرك ذلك"

قطب بين حاجبيه في ضيق فأردفت مبتسمة:_

"هل لك أن تقول لي لم ثورت هكذا فور أن علمت أنها جلست مع رجل غيرك؟ إلا لأنك تغار عليها

وماذا كان نتاج غيرتك؟

إلا أنك أهنتها في بيتها بل أهنت أخيها وحتى أيضا خالتك .

فحديثك الذي قذفته بوجهها لم يكن بالهين ولم يكن يشملها وحدها بل يمس تربيتها وعائلتها وكل ذلك دون أن تشعر أو تُدرك"

أنهت حديثها واستقامت واقفة متجهة إلى الخارج لكن قبل أن تخرج التفتت إليه قائلة :_

"فكر جيداً يا أبا فريدة وكف عن قول أهانتني وأهانتها فالخطأ يشملكم معاً ولا تنسى أنك تريد أن تواصل حياتك

معها لكنك تكابر وصدقا لم يعد في العمر متسع للمكابرة"

لمعت عيناه بالإدراك وحديث حفصة يكشف الحقائق أمام عينيه ويضع الأمور في نصابها الصحيح جاعلاً إياه يدرك جيدا الآن أن خطأهم متبادل وربما ، ربما أصبح خطأه أكبر..

□□□

جالسة على الأريكة تتفقد هاتفها بملل ،تبتسم بحلاوة كالبلهاء ووجنتيها تحمر خجلاً بين الفنية والأخرى ،كلما تتذكر كيف أقنعها الخبيث الوقح أن تنفذ طلبه ..

خرجت من شرودها على صوت وصول رسالة إلى هاتفها ففتحتها بلهفة ظنت أنها منه لكنها تنهدت بإحباط وهي تراها من رندا صديقتها ،تناولت المقرمشات في فمها وشرعت تتحدث معها

"أنا بخير يا رندا ،كيف حالك أنتِ"

"بخير ،لكن ما يُثير فضولي حقاً كيف تزوجتي بحسن القصاص"

ابتسمت ملك بحسن نية وفتحت رسالة صوتية تقص علي رندا حكايتها هي وحسن إلى الآن فأتاها صوت رندا قائلة بدهشة :_ ..

"حقاً يا ملك لا أصدق أن كل ذلك حدث معكي ،قلبي عندك حبيبتي ،لكن متى ستتخلصِ من تلك الزيجة ؟"

قطبت ملك بين حاجبيها في ضيق وأرسلت لها :_

"لا أفهم مقصدك يا رندا ولم سأتخلص من زواجي بحسن"

"ملك حبيبتي لا تُغلقي مخك وانتبهي لي جيداً وأدركِ أنكي متزوجة من شخص لقيط"

تغضن جبينها بالضيق وأرسلت لها بحزم قائلة:_

"رندا أنا لا أسمح لكي ،لا تتحدثي عن حسن بتقليل هكذا ،حسن سيد الرجال ولا يُعيبه شئ"

"استمعي إلي يا ملك واتركينا من جو الروايات هذا نحن في واقع مؤلم ومجتمع لا يرحم ، مصيبة يا ملك أن تكوني جعلتيه يتمم زواجه بكي"

شهقت ملك واحمرت وجنتيها خجلاً من جرأة كلام صديقتها فأرسلت لها:_

"رندا عيبٌ عليكِ لا يصح هذا الكلام"

"يصح أو لا يصح يا مخبولة من الواضح أنكِ فعلتيها ،

أين كان عقلك حينها يا فالِحة أم حلاوة الرجل أكلت عقلك ؟"

امتعضت ملك من دنو الحديث وأرسلت لها بضيق:_

"رندا أوضحي كلامك أنا لا أفهم فيما أخطأت أنا"

"يا غبية كيف تأمني على حياتك مع رجل لا مستقبل له ،ولا معالم لحياته من الأساس .

أكاد أقسم لكِ أنه لا يعمل بعملٍ دائم فليس هناك مقر حكومي أو حتى شركة خاصة ستقبله

ألم تفكري ماذا لو أنجبتِ؟ كيف سيكون مستقبل أطفالك حين يكبرون في مجتمع لن يعترف بهم بل سيُعيُرونهم بالوالدهم الذي لا نسب له ،حين يكبروا لن يلوموا سواكي على وضعهم وسط المجتمع .....

أنا لست قاسية في حديثي هذا يا ملك لكن مثل حسن وأمثاله يتزوجون من هم مثلهم هذا قدرهم لكن لا تقحمي نفسك في شئ لستِ قدره"

لم تستطع مواصلة الحديث مع صديقتها ،وأخذت تفكر في مدى صحة كلام صديقتها وفكرة واحدة تلح بعقلها في خوف

"ماذا لو كانت حامل بالفعل؟!"

انتهى

الفصل السادس عشر

منذ أن أخبرها بانتقاء الصحبة الصالحة ولم ترى سوى حفصة أمامها

وهاهي تجلس جوارها مطرقة رأسها بخزي بعد أن قصت عليها كل شئ وهي تبكي

حتى أنها لم تحذف شئ بل روت لها حكايتها دون تجميل أو تزويق كما فعلت مع شهاب بل أكثر لا تعلم لما لكنها شعرت أنها تريد من أحدهم أن يحمل عن عاتقها الحمل قليلا وبالطبع ستخجل من فعلها مع شهاب وبالأخص وهي تشعر أنها تخدعه

هي حتى لا تعلم كيف ستحدثه وقد عادت لضلالها بعد أن كانت ظلت فترة لا بأس بها مستقيمة ومنتظمة على التزامها لذا خوفا من أن يجرفها سرها القذر مرة أخرى وجدت نفسها تهرع إلى حفصة تستعين بصحبة صالحة كما طلب منها مرارا

انتبهت من أفكارها البائس على صوت حفصة الحنون قائله:_

"رنا ارفعي رأسك وحافظي على شجاعتك إلى النهاية"

بكت رنا وسألتها بحزن:_

"ألم تنفري مني؟"

"لا حول ولا قوة إلا بالله ولم أنفر منكي يا فتاة هل أنا منزهة عن الذنوب والأخطاء مثلاً؟

استغفر الله بل الكمال له وحده، عتبي عليكي في نقطة واحدة "

لمعت عينيها بالتساؤل فتنهدت حفصة وهي تعتدل في جلستها قائلة بهدوء:_

"عتبي أنكِ قصصتِ لي أمرك كاملا لم أشأ أن أقاطعك في المنتصف لكن إياكِ أن تفعليها مرة أخرى ،الله ستترك فلا تكشفي ستره "

نظرت لها بحيرة فأكملت حفصة :_

"يا رنا جميعاً ممتلئون بالذنوب والله اسمه الستير صيغة مبالغة أي أنه كثير الستر

لكن تفوهنا بذنوبنا قد ولا أجزم وأعلم أنه في حالتك ليس ذنب فأنتِ تريدين النصيحة لكن في حالات أخرى فهو جهر بالذنب والجهر بالذنب ذنبا آخر "

هزت رنا رأسها بتفهم وقالت :_

"أكره نفسي بل أشعر أني قذرة مدنسة "

"يا رنا كرهك لا يجب أن يكون لذاتك بل لتلك الذنوب
حتى تستطيعين التصدي لها والنفور منها

بل كرهك ونعتك بالقذارة يجب أن يكون لمثل هؤلاء
الذين يروجون ذلك الفساد

بسم الله الرحمن الرحيم

**«ويريد الله أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما»**

هؤلاء هم القذارة بنفسها يشجعون على إثارة الشهوات
في الطريق الخاطئ فالله خلق الشهوات وكل له طريقين
طريق الإثم وطريق الحلال

فمثلا شهوة الرجال والنساء أما بالزنا وأما بالصوم
والزواج وغير ذلك

يجب أن تُدركي جيدا أن كل تلك الأفلام والفيديوهات وتلك العادة اللعينة حرام .

وأنكي أرقى من ذلك بل أفضل من السعي وراء شهواتك والتي ليست بمحلها بل هي وهم يزينه الشيطان أنكي لا تستطيعين الاستغناء عنها

قال أحد السَلَف يا رنا

«خلق الله الملائكة عقولاً بلا شهوة

وخلق البهائم شهوة بلا عقول

وخلق ابن آدم وجَعَل فيه العقل والشهوة ،

فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم !»

أطرقت رنا برأسها أرضا وهي تشعر أن حديث حفصة يجلدها ثم يعود ويسكب عليها برداً وسلاماً،

تذكرها كثيرا بشهاب وحديثه باختلاف المعلومات والصيغ وحنكته الطبية

رفعت رأسها على صوت حفصة المبتسم وهي تقول :_

"تعلمين يا رنا قد تظنين أن تلك الفيديوهات فقط هي الحرام بل كل ما يثير غريزة إنسان في غير رضا الله حرام

كالشعر الصريح أو الأغاني التي يتغزل بها مثلا المغني بجسد المرأة وما إلى ذلك

والأكبر تلك النصوص الكتابية كالروايات التي تلهث ورائها المراهقات الآن بل حتى الصغار "

سألتها رنا بحيرة :_

"هل المكتوب أيضاً حرام؟ الروايات؟!"

"لا لقد فهمتني خطأ أقول كل ما يثير الشهوات والغرائز ، فبعضُ الآن كي يروجون لأنفسهم شهرة يعتمدون على المشاهد الجنسية المفصلة بين البطل والبطلة "

ضحكت حفصة وأردفت:_

"كنت أبحث ل دانية ابنتي ذات مرة عن قصص للأطفال تقرأها وجدت بعض القصص الجنسية في طريقي ولا أعرف هل يثير الضحك أم الغثيان حديث الكاتب وهو يُسكن ضميره كاتباً :_

«اللهم إني أخذت ذنب ما قرأت»

حقيقة لا أفهم من يضلل ضميره أم القارئ

أي ذنبٍ يا هذا هل يقتنع أن بجملته هذه سيكون ذنبه فقط لا بل يقع عليه ذنب كل من يقرأ وكل من رشح لغيره القراءة وقرأ يقع ذنبه عليه وبالأخير يسكن ضميره ببضعة كلمات وبسببه من الممكن أن يكون فسد جيل بأكمله ،

لمعت عينا رنا بالاهتمام وهي تستمع إلى حفصة تُكمل :_

"بل أكثر ما يثير حفيظتي بعض هؤلاء الذين يوصفون تلك العلاقات الجنسية القذرة لكن بطريقة منمقة ،حسية تعتمد على الخيال والفهم السريع ويزينونها بجميل الكلام ووصف الحب الشديد حتى يستميلون عقل القارئ تماما كمن يدس السُم بالعسل

ولا أدرك إلى الآن ما الجميل في هذا أو ما وجه النجاح في ذلك الوحل من القاذورات

ومن الممكن بسببهم أن يذل عابد ويفطُر صائم وتفسد صلاة مصلي جاهل أنه يجب عليه الاغتسال وكل ذلك ذنوبهم برقبتهم إلى يوم الدين

فأنتِ مثلا أراد الله بكِ الخير وانتشلت نفسك سريعا من ذلك الوحل لكن هناك آخرين ذلت قدمهم ولا محال من السقوط فمثلِ هؤلاء كما قلت يدسون السُم في العسل دساً"

سألتها رنا بانبهار من حديثها :_

"إلى الآن لا أصدق أن حتى النصوص الكتابية محرمة

هزت حفصة رأسها وقالت :_

"لن أنسى أبداً جملة شهيرة لكاتب معروف أعتقد أدهم الشرقاوي وهو المفضل لي

"أن أقبح زنا ،زنا القلم"

أومأت رنا برأسها لدقائق ثم قالت:_

"حسنا لكني أرى أن ذنبي أكبر فمشاهدة تلك القاذورات وفعل تلك العادة السرية يجعلني أشعر أنني لا توبة لي وأني خلقت لأجل ذلك الذنب"

تنهدت حفصة مُتفهمة شعورها وقالت برفق :_

"حبيبتي هذا مدخل من مداخل الشيطان ليس إلا ،يُريدك أن تقنطي من رحمة الله ولا ييأس من الله إلا القوم الكافرون،

هذا سوء ظن بالله حشاه أن يكون فيه ،لقد خلقنا لنذنب ونتوب حتى تتجدد صلتنا به ونستشعر عظيم قدرة فنقترب منه أكثر، فلو لم نذنب لأمتنا وأتى بإناس غيرنا يذنبون و يتوبون"

أومأت رنا برأسها وبعض الراحة تتسلل إليها من حديث حفصة والتي تابعت:_

"والعلاج الناجع هو التوبة النصوح، بأن تُقلعي عن الذنب بالكُلية، وتبعدي عن كل ما يذكرك به وتندمين أشد الندم والعزم الأكيد على عدم العود. فإذا فعلتي هذا غفر الله ذنبكِ، فإن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب أن يغفره"

ابتسمت رنا أخيراً باطمئنان لكنها عادت وسألتها بخوف :_

"حتى مع تكراري؟"

ابتسمت حفصة وقالت بسماحة:_

"حسنا المسألة هنا لها جانبين وهما أما التكرار يكون بسبب التسويف وهو حرام

والتسويف هو توبة كاذبة بمعنى أن تفعلي الذنب وتقولي سأتوب لكن بداخلك لستي صادقة بل تنوين العودة وكأنك

تُسكنين ضميرك بالتسويف ، والتسويف يلزمه توبة علاوةً على توبة الذنب

وأما أن يكون ضعف نفسي وهو أن تذنبي ثم تتوبين توبة صادقة فيُقبل منكِ توبتك وتُمحي ذنوبك لأن التوبة تجب ما قبلها ثم تعودين فتضعفين فتذلين في الذنب مرة أخرى

هل يعني هذا عدم قبول توبتك السابقة؟

لا قُبِلت وذاك الذنب جديد تتوبين له توبة صادقة جديدة فتندمين وتعزمين بصدق ألا تعودي فيُغفر ذنبك وتقبل توبتك"

سعادة غامرة مرت عليها بحديث حفصة الحنون فهتفت بتلقائية وبراءة من عمق شعورها أخذت نبضه مسروقة من قلب المقبل عليهم

"أنا أحبكِ يا حفصة"

"السلام عليكم"

والنبرة المرحة المُتفكهة لم تكن سوى من شهاب الذي دخل والذي يبدو أنه سمع جملتها الأخيرة لكنها هي مجرد أن سمعت صوته ارتعبت وشحب وجهها وسقطت حقيبتها خوفا من أن يكون سمعهم

لكن نظرة حفصة المطمئنة لها التي رمقتها بها قبل أن ترد عليه السلام جعلتها تهدأ قليلاً

سمعته يُحدث حفصة مبتسماً:_

"حقا يا دكتورة لو كان يحيى رحمه الله استمع إلى جملة رنا لكان نفاها من البشرية "

ابتسمت حفصة وعينيها تلمعان لذكري حبيبها وترحمت عليه سرا ثم التفتت إلى رنا قائلة:_

"لقد كان زوجي رحمه الله صديق دكتور شهاب"

أومأت رنا برأسها وهي تبتسم باهتزاز،

وغصة مؤلمة بحلقها إذا حفصة أرملة وبالأخص أرملة صديقه لكنها استمعت إليه يتحدث إلى إحداهن بالهاتف من تكون إذا؟

وهل تكون حفصة بالنسبة له أرملة صديقه فقط ، لا تلومه إذا أحبها هي نفسها تعلقت بها ،فتلك المرأة الملائكية لا تليق بسواه ...

***

يجلس جوارها في سيارتها مضطراً محاوِلاً تهدئتها قدر استطاعته ،هو نفسه لا يعلم ماذا ألم به حينها وهي تهاتفه تبكي بذعر متحدثة بكلمات غير مفهومة إلى أن استشف منها أخيراً أنها صدمت أحدهم بالسيارة ولم تستطع الوصول إلى جدها أو خالها لذا هاتفته فهو أول من خطر ببالها

يريد تهدئتها حتى يستطيع مهاتفة جدها فجلوسهم وحدهم في السيارة معاً لا يصح من جميع الجهات

تنهد ببطء واستدار إليها قائلاً بحزم :_

"رنا اهدئي ،لقد تم تسوية الأمر وانتهى ،لم يحدث شئ والرجل بخير ولا تذهبي إليه كما أخبرتيه

بطبيعة الحال سأكون كل يوم بالمشفى ،سأمر عليه أنا بدلا عنكِ

مسحت دموعها بضعف وهي تنظر إليه بحيرة ،كيف يكون حنون هكذا حتى بنبرة صوته الحازمة والقوية

عضت على باطن خدها بخوف محدثة نفسها

" يا الله يا رنا يا غبية ، ما تشعرين به ضرب من الجنون ،ضرب من الجنون ،كيف تتقافز دقات قلبك هكذا من بضعة كلماتٍ عادية حتى عمر لم يأسرك هكذا ،ما به هذا الرجل ما به ؟

كما أن المصيبة الأكبر أنه لا يراها من الأساس
بالإضافة لأنه مرتبط نعم ألم يرد عليها أمامها لا بل
المصيبة الأكبر حتى وإن لم يكن مرتبط فلا يصح بشكل
من الأشكال

ذلك رجل لا يستحق سوى امرأة نسجت من طهارة
السماء خيوطاً تتعفف بها وليس مجرد واحدة مدنسة
مثلها"

خرجت من شرودها على صوته القلق ينادي عليها لكن
قبل أن يتثنى لها الرد عليه

فُتِحت أبواب سيارتها بقوة من الجانبين ، التفتت جانباً
واتسعت عينيها وهي تجد ياسر الجوهري يقف أمامها
بجموده المعتاد لكن نظرة القلق في عينيه لاُتخطئها عين

نفضت اندهاشها سريعا وهي تنزل من السيارة مسرعة
وهي تسمع صوت شهاب قائلا بغضب أذهلها وهو
ينفض ذراع أحد حراس والدها بقوة :_

"ابعد يدك عني ، من أنت بالأساس وكيف تجرؤ على فعل هذا "

لم يرد عليه الرجل وهو يفلت يده بعد إشارة رب عمله له فالتفت شهاب ناحيتها ولمعت عيناه بالإدراك وهو يرى ياسر الجوهري واقفاً جوار ابنته ينقل نظره بينهم ببرود

سمعها تقول بصوتها الرقيق ويبدو أن حالة ذهولها زادت بحضور والدها

"أبي كيف عَلِمت مكاني ،ولم أنت هنا؟ "

لم يرد الرجل لثوانٍ ثم احتوى وجهها بين كفيه بحنان وهو يقول باهتمام :_

"حبيبتي هل أنتِ بخير؟"

رمشت بعينيها بحيرة ولم ترد فتنهد الرجل قائلاً بعتب :_

"لم؟ لم تهاتفني؟!"

أدارت وجهها لشهاب بعجز وكأنها تستغيث به فتحركت قدميه رغما عنه نحوها.

ألقى بها قبلها نظرة قاسية لحارس والدها ورائه ثم تقدم منهم ووقف أمامهم ماداً كفه إلى والدها

لكن قبل أن يتحدث كان والدها يسلم عليه بقوة وهو يقول بتهذيب:_

"دكتور شهاب البرعي أهلا بحضرتك متأسف عما حدث لم أكن على علم أنك الذي جوارها في السيارة

أومأ شهاب برأسه متفهما ولأول مرة يشعر أن شئ غريب يعجزه عن التصرف

من ناحية يرى أنه يجب عليه الانسحاب فوراً ومن ناحية أخرى نظرة الاستغاثة بعينيها تُكبله بضعف ليس في محله ولا يستسيغه

كان أول من تحدث ياسر الجوهري وهو يتحدث بتهذيب قائلاً مشيرا لسيارته الواقفة جوارهم :_

"تفضل معنا يا دكتور"

ابتسم شهاب قائلاً على مضض:_

"أشكرك ،لكن يجب علي الذهاب ،فرنا أصبحت بأمان الآن"

"لا لن يحدث يجب أن تتفضل معنا ،على الأقل لأشكرك على ما فعلته مع ابنتي"

كانت تنظر إليهم بحيرة لكن رغما عنها استفزها حديث والدها فقالت بتهور:_

"يذهب معك إلى أين ،وما هذه معنا أنا لن أتي معك لمكان"

نظرة زاجرة تلقتها من والدها جعلتها تبتلع باقي حديثها والدموع تتجمع بعينيها مما ألم قلبه

لكنه التفت إلى الرجل قائلاً بلباقة :_

"مرة أخرى ،لكن يجب علي الذهاب فلدي محاضرة الآن بالجامعة على كل حال ،كما أني لم أفعل شئ يتوجب عليه الشكر"

أومأ الرجل برأسه في تقدير وحياة مودعاً فألقى عليها نظرة معتذرة قبل أن يركب سيارته ويذهب فبالأخير لم يكن يصح وجوده

أشار لها والدها بعينيه أن تدلف إلى السيارة فأطاعته مضطرة

ثم التف هو الآخر وجلس جوارها آمِراً السائق أن يتحرك وسيارات الحراسة ورائهم

التفتت إليه بحيرة وهي تشعر بالتخبط من كل شئ بداية من ما حدث بالصباح ،مروراً بمشاعرها العجيبة تجاه شهاب ثم نهايةً بوجود والدها الذي تعرف على شهاب من نفسه هل يراقبها؟!

انتبهت على صوت والدها وقد أسدل الستار الحاجز بينهم وبين السائق

"حبيبتي هل أنتِ بخير "

أومأت برأسها بضعف لكن لا تعرف ماذا حل بها فجأة فبكت

شدها والدها بين ذراعيه محتضنها بحنان وهو يهدئها متأوه بداخله هو يعلم جيداً ما تفكر به الآن ،لكن رغماً عنه فقط لو تعلم أنه رغماً عنه

أنه لم يغفل عنها يوماً، أنه لم ينساها دقيقة كما تظن

تنهد مُغلقاً حبل أفكاره وذكرياته وقبل رأسها بحنان هامساً لها بحنان أن تهدأ

لا يصدق الهلع الذي أصابه حين أخبروه مُتأخِراً أنها بمركز الشرطة ،صدمت أحدهم وذلك المدعو شهاب الذي تتردد على مكتبته معها...

أبعدها عنه برفق وسألها بقوة:_

"لُم لم تهاتفيني؟!"

لمحة سخرية مرت بعينيها لكنها لم ترد وهي تلتفت تنظر من زجاج النافذة قائلة بجمود :_

"أريد العودة لجلب سيارتي"

"سيارتك ستصل قبلك"

"حسنا أريد العودة الآن لم نسير في هذا الطريق؟"
تجاهل حديثها وهو يسألها بقوة:_

"ما حدود علاقتك بشهاب البرعي؟"

"علاقتي!!" قالتها مستنكرة وهي تلتفت إليه

فتنهد قائلاً بهدوء:_

"أعلم أنكي تعملين هناك ،تقومين بترجمة الكتب، لكن
إذا كنتِ تريدين العمل لما لم تطلبي؟"

"لأني لا أريد أنا مرتاحة بعملي هذا والآن هل يمكنني العودة لبيتي؟!"

نظر إليها لدقائق ثم تنهد آمِراً السائق ببرود بالذهاب لعنوان جدها

بالتوازي مازال جالسا بسيارته منذ أن أنهى محاضرته لطلابه بالجامعة بعد أن تركهم وذهب .

عدة مشاعر وأفكار تتزاحم بقلبه وعقله على التوازي

نظرة الضياع بعينيها حين رأت والدها أخذت أحد دقاته دون أن يدري

الصغيرة تستفز مشاعر أبوته بلا هوادة ، لم يشعر مع أحد هكذا من قبل

حتى أنه غاضب لتركه لها لكن ماذا كان سيفعل ؟! أب وابنته وماهو إلا غريب لا مكان له بينهم !

لكن ما لفت انتباهه من بين ملامح الرجل الجامدة نظرة القلق المغلفة بالحنان في عينيه

بالأكيد أن والدها عَلِمَ بما حدث لها ولم يكذب خبراً وكان جوارها في الحال

ذلك ليس رجل لا يهتم لابنته كما تظن الصغيرة بل يُجزم أن عاطفته ناحيتها طبيعية تماماً وأكثر لكن ربما ثمة شئ مبهم أجبره على البعد وربما ،ربما تلك طبيعته بالأساس ،خبرته تجعله يتفهم جيداً كيف يكون الرجل يحب أبناءه لكنه لا يعبر عن هذا بل لا يُظهره من الأساس

لكن قلب الصغيرة لن يتفهم ذلك ،الفتاة رقيقة ويبدو أنها عانت كثيرًا ولا يعلم لما يؤلمه قلبه عليها هكذا فقط من نظرة عينيها له

يقسم لو كانت أياً من هنا أو غدي هي من تنظر له بتلك الضياع لأخذها بين ذراعيه مخبئا إياها عن قسوة العالم أجمع ..

****

دخل عليها غرفتها فوجدها جالسة على الفراش ترتدي كنزته الشتوية التي اشتراها بالأمس

أمامها عدة أطباق من الحلوى تأكل منهم بنهم وتبكي وبين الفنية والأخرى تمسح دموعها بأكمام كنزته

لوى شفتيه ببؤس حزين وهو يحدث نفسه :_

"يا حزنك يا حمزة لم تلحق الفرح بكنزتك وهاهي المقرفة تمسح بها دموعها "

تقدم منها وجلس جوارها على الفراش ينقل نظرة بينها وبين الأطباق الكبيرة أمامها بريبة فقد قضت على نصفها تقريبا ولم تلتفت له سألها بهدوء:_

"رنا ما بكي حبيبتي لما تبكي "

ازدادت وتيرة بكائها أكثر وأخذت تمسح دموعها بكنزته الحبيبة

لكن عينيه اتسعت وسرعان ما أمسك ذراعها قبل أن تقترب من أنفها هاتفا بفزع وتحذير:_

"إياكِ "

وأخرج بسرعة أحد المناديل الورقية من جيبة وهو يضعه بكفها قائلا بحنق وقرف مصطنع:_

"بالكم يا مقرفة بالكم !!؟"

تناولت منه المنديل ولم ترد عليه أيضا فقطب بين حاجبيه وهو يدرك أن الموضوع ليس بالهين

أزاح الأطباق جانباً واعتدل بجلسته يواجهها ثم احتوى كفيها بين كفيه سائلاً بقلق :_

"رنا حبيبتي ما بكِ ماذا حدث"

ارتمت بين ذراعيه وهي تقص عليه ما حدث لها بداية من صدمها لأحدهم بالسيارة حتى توصيل والدها لها إلى البيت

ضمها بين ذراعيه بقوة وهو يسب نفسه همساً فقد أغلق هاتفه اليوم ويبدو أن والده فعل المثل لسببٍ ما

أخذ يربت عليها بيديه حتى هدأت ثم سألها :_

"حسنا هل ما يبكيكِ لجوئك لشهاب أم وجود ياسر الجوهري"

"كل شئ يا حمزة ، منذ متى وهو يتذكرني ؟! ثم لما يبعث أحدهم خلفي يتفقد أخباري "

تنهد حمزة وهو يعلم أنها محقة بحديثها فقال:_

"ربما تكون تلك طريقته في التعبير عن اهتمامه بكِ يا رنا لن أنكر فهو دائما يضع النقود بحسابك بالبنك ولم يتأخر حتى وإن لم تسحبي منها كثيرا

كما كل عام في ذكرى مولدك يغير لكي سيارتك "

قاطعته مستنكرة :_

"وهل هذا هو الاهتمام من وجهة نظرك يا حمزة"

"لم أقل ذلك يا رنا فقط أحاول أن أجعلك تلتمسي له عذرا"

هزت رنا رأسها على مضض ولم ترد فشاكسها محاولا التخفيف عنها وهو يمسكها من ياقة الكنزة قائلا بتقرير وغيظ مصطنع:_

"رنا ألم تكن تلك الكنزة التي اشتريتها معك بالأمس "

هزت رأسها وضيقت عينيها في توجس فضربها على رأسها بكف يده قائلاً

"يا مقرفة لم أكد أتهنى بها بل حتى لم أرتديها وأجدك تمسحين بها دموعك وأنفك

ثم ما تلك الحفلة من الطعام التي تضعيها أمامك بحق الله "

لوت شفتيها ببؤس وقالت:_

"لقد كنت جائعة يا حمزة "

سحب الأطباق مرة أخرى أمامه وبدأ بتناول محتوياتها بنهم قائلا :_

"معك حق طعمها لذيذ"

حاولت سحب الأطباق منه بغيظ فرفعها وهو يقف متجها إلى الخارج قائلا من بين مضغة

"بما أنكِ أخذتي ملابسي لأخذ أنا حلاوكي فقد كنت جائع "

"يا حمزة ستسمن هكذا"

"ليس لكي شأن يا طفسة يا مقرفة"

* * * *

صف سيارته أمام الباب وهبط منها وهو يضع هاتفه على أذنه متصلا بابنته ،دقائق وكانت ترد عليه بصوتها الرقيق

"مرحبا يا بابا "

"مرحبا يا فريدة كيف حالك؟"

"بخير"

قطب بين حاجبيه وسألها:_

"حبيبتي هل جدتك وخالك بالبيت؟"

"نعم يا بابا وماما هنا أيضاً "

"حسنا حبيبتي أخبري خالك أني أمام الباب "

أغلق مع ابنته وارتكن على حافة سيارته عاقدا ساعديه في توتر ،هو حتى لم يخبر والدته بخطوته قبل أن يأتي لا يعلم لما لكن ،حديث حفصة معه كان كبادرة إفاقة صفعته من بين غفوته على غيرته الحارقة والتي تسببت في تفوهه بتلك الكلمات الحمقاء ،فماذا عنها هي هل كانت حفصة مصدر تهديد لها هكذا ؟

أم لعله اهتم بها هي وأطفال أخيه غافلاً عن غيرة الأخرى

أم كان غافلاً عن ما يدور بينها وبين والدته ، هو يعلم أن والدته لم تكن راضية عن زيجته بابنة خالته لكنه كان مطمئن أنها بالأخير ابنة أختها ولن تجرحها ويبدو أنه كان على خطأ

قطع حبل افكاره صوت الباب يُفتح وعلى يقف أمامه بجمود فاقترب منه مبتسما بقلق وقال:_

"ألن تدعوني للدخول ؟"

رجع علي خطوتين سامحاً له بالدخول دون أن يرد عليه

دقائق وكان يجلس معه بغرفة الضيوف في صمت قطعه دخول فريدة الصاخب وهي ترتمي بين أحضانه بفرحة

ضمها إليه بقوة دون أن يلاحظ قطع كيكة الشوكولاتة بين يديها والتي لطخت ملابسهم سويا

رفع رأسها يقبلها سائلا:_

"كيف حالك حبيبتي، لقد اشتقت لكي"

"وأنا أيض...."

قطع حديثها صرختها بحزن وهي تنقل نظرها بين يديها وملابسها وتقول بطفولية:_

"اه بابا لقد أفسدت الكعكة"

اتسعت عيناه وهو يرى ملابسة الملطخة بسائل الشوكولاتة لا وما يغيظ ذلك السمج أمامه الذي يضحك للصغيرة وكأنها أخذت بثأره منه فهو يعلم كم يعتني بنفسه

أنزل نظره مرة أخرى لفريدة التي تلوي شفتيها بحزن وقال بلطف:_

"حبيبتي لا تحزني بدلي ملابسك ،وسآخذك لنشتري واحدة أخرى ونعود"

هزت رأسها نفيا وهي تقول بحزن طفولي :_

"لا إنها من صنع أمي وقد كانت آخر قطعة

اضطرب قلبه وابتلع ريقة وكأن مذاق كعكة الشوكولاتة التي كانت تصنعها بمهارة دائما إضافة إلى نكهتها الخاصة بعبقها هي بين شفتيه الآن لكنه سيطر على ذاته وهو يقول بهدوء

"حسنا حبيبتي اطلبي منها واحدة أخرى وستفعل"

"لا أمي نائمة الآن"

"فري حبيبتي أذهبي لجدتك بغرفتها تبدلك ملابسك واطلبي منها الشوكولاتة التي جلبتها لكي وأنا قادم من العمل"

كان هذا صوت علي الذي تدخل أخيراً ،فأطاعته الصغيرة وهي تقفز إلى الخارج وقد نست الكعكة تقريبا ...

التفت لعلي قائلا ببرود:_

"خذني لغرفتك لأبدل ملابسي"

"آسف يا وائل لكن لا يصح تجولك بالشقة ودخولك غرفتي الآن؟"

"ولم يا بعدي؟!" قالها وائل بحنق وهو ينظر له بشر إلا أن علي لم يبالي وهو يرد عليه ببرود قائلاً:_

"لأنك غريب الآن"

سأله بغيظ وهو يكز على أسنانه:_

"وهل اكتشفت ذلك الآن ولم تكتشفه قبل زواجي من أختك "

قبل أن يرد عليه علي ،هب واقفاً وهو يقول

"أقسم يا علي إن لم تأخذني لغرفتك سأذهب بنفسي ولن أهتم فالنهاية هو بيت خالتي وإن كانت تُقاطعني"

لوي علي شفتيه بحنق وهو يصطحبه للخارج معتمدا على نوم أخته وغرفتها التي بالممر الآخر

أدخله الغرفة وأخرج له ملابس من عنده ثم أخذ منه ملابسه كي يضعها بالغسالة سريعا

في طريقه للخارج سمع جرس الباب فوضع ملابس وائل جانبا واتجه إلى الخارج كي يرى من على الباب ...

استيقظت من النوم منذ دقائق فلم تجد فريدة بجانبها بالتأكيد صعدت بالأعلى عند سارة زوجة علي وربما بغرفته هنا تجاوره وهو يذاكر

فهو منذ أن بدأ رسالة الدكتوراه وهو ينزل إلى الأسفل كي يذاكر بغرفته القديمة

ارتدت الروب على منامتها سريعا وهي تخرج من غرفتها إلى غرفة أخيها

طرقت الباب وفتحته وهي تقول ببحة إثر النوم

"علي هل فري....."

التفت إليها سريعا قبل أن يكمل إغلاق قميصه وهو يستمع لنبرتها المتحشرجة والتي لم تكتمل لرؤيتها إياه

وهاهي تقف متسمرة مكانها وكأنها لا تصدق ولا حتى تشعر بالصاعقة الكهربائية التي ضربته إثر رؤيتها هكذا أمامه

لمعت عيناه بالغضب وهو يرى مقدمة منامتها المفتوحة وذاك الجزء الظاهر من كتفها أسفل الروب

فتقدم منها دون أن يدري وهو يقول بغضب:_

"كيف ترتدين هكذا أمام أخيك؟ "

جنون ، جنون أنه هنا حقا أمامها وليس من محض خيالها

لم ترد عليه وهي تتركه وتركض مسرعة إلى غرفتها تاركة دقات قلبها خلفها

ودقات قلبه هو تتقافز بسرعة ناظِرا في إثرها وعينيه تلمعان بغيرة واشتياق

منذ متى لم يراها هكذا ،منظرها هكذا بقصر قامتها مقارنةً به يجعله يرغب في ....

رفع رأسه على صوت علي الغاضب وهو يقول :_

"وائل لما تقف على باب الغرفة هكذا؟ ماذا لو استيقظت رؤى ولا تعلم بوجود أحد غريب هنا؟"

امتعض وهو ينظر له وأردف بفظاظة:_

" وإضافة لذلك لم تغلق أزرار قميصك"

تشاغل بغلق أزرار قميصه وهو يعود للداخل مُخفياً توتره وهو يسأله ببرود ظاهري:_

"لقد تأخرت ؟"

"لقد كان جارنا بالخارج يريد شئ ألم تسمع الجرس"

التفت إليه وائل بسرعة وهو يسأله بقلق:_

"وهل دخل جارك هذا هنا؟"

رفع علي حاجبيه بريبة من تصرفات وائل الغريبة لكنه رد ببرود

"لا لم يدخل "

جلس وائل على الفراش ببرود وقال :_

"أريد الحديث معك"

جاوره علي وقال بسماجة:_

"على حد علمي أن آخر مرة كنت بها هنا طردتك وقلت لك أني لا أريد صداقتك ولا قرابتك على السواء"

أطرق وائل برأسه لثوانٍ ثم التفت إليه قائلاً بصدق :_

"أنا آسف يا علي حقا آسف لقد تفوهت بما لا يليق دون أن أدري"

"أعلم "قالها علي ببرود فرفع حاجبيه بدهشة وهو ينظر له بغيظ فهز علي كتفيه بلامبالاة وهو يقول ببرود:_

"أنت ثور يا وائل ولا تسيطر على غضبك وهذا سبب فشلك وغبائك دائما ..آه"

تأوه إثر قبضة وائل الذي لكمه في كتفه بغضب لكنه أردف ببرود

"لكن هذا لا يعني أني سامحتك ،بحديثك الغبي لا تعرف فيما تسببت لها لقد كدت أضربها بعد خروجك "

انتفض وائل يمسكه من ياقة قميصه سائلا بغضب:_

"هل ضربتها يا علي؟ رفعت يدك على أم طفلتي؟"

نفض على كفيه ببرود وقال:_

"لا لم أفعل ، لم تهون علي خصوصا بوجود فريدة "

جلس وائل بجانبه مرة أخرى وقال :_

"أريد أن أتحدث معها يا علي"

"فيما؟"

"ومالك أنت يا بارد شئ يخصنا أنا وهي"

"لم يعد هناك شيء يخصكم سوى فريدة يا وائل"

ابتلع وائل ريقه ثم قال :_

"حسنا أنا أريد أن أتزوجها "

اضجع علي بظهره على حائط الفراش واضعا ساقا فوق الأخرى وقال بعنجهية مغيظة لا تليق بمنامته جلسته هذه:_

"حسنا طلبك مرفوض"

"علي لا تأخذ الأمر على رجولتك عِنداً"

"ليس هناك عند أو غيره يا وائل لكن كلام لا رجعة فيه أقسم أنك لن يكون هناك شئ بينك وبين رؤى سوى فريدة"

حاول وائل أن يبرر لنفسه وقال:_

"أعلم أني أخطأت يا علي ،لكن أيضاً ليس بالهين أن تنعت المرأة رجلها بعديم الرجولة في وجود أمه وأرملة أخيه"

قاطعه علي متجاهلا حديثه قائلا بجمود:_

"بعد رحيلك في اليوم الذي تفوهت به بتلك الكلمات الغبية لم أتركها إلا وقصت علي كل شئ

لم أكن أعلم أنها مازالت تركض ورائك يا وائل كل هذه السنوات وأنت تردها كنت أظن أن الأمر اقتصر على الشهرين بعد طلاقكم ومحاولاتها التأسف لك وكنت أتركها لأني كنت أعلم أنها مخطئة وأنك تستحق فرصة أخرى لكن حين وجدت أنه لا صدى منك أقسمت عليها ألا تفعل لكنها فعلتها من ورائي وبالأخير هي أختي يا وائل كرامتها من كرامتي وأختي ليست رخيصة يا وائل

أخطأت؟

نعم أخطأت لا أنكر لكن خطأها كان ناتج عن غيرتها
حتى وإن لم تقدر أن وفاة يحيى رحمه الله أثرت عليك
لكنها بالأخير غيرة امرأة ويبدو أنك جاهل بغيرة النساء"

خيم الصمت على الغرفة وكلمات علي تجلده جلداً ، لقد
كان مستمتعاً مناسباً بغرور ذكوري بحت دون أن يدري
بمحاولاتها المستميتة في عودتهم مطمئنا أنها له
ومرجعها له حتى وإن لم يعترف بذلك وما جن جنونه
ظهور أحدهم بالصورة ومقابلاتها له

حديث علي الآن ينذره نذراً أن البساط يُسحب من تحت
قدميه ولا محال من السقوط "

رفع رأسه لعلي قائلا بهدوء يخالف الغليان بداخله :_

"حسنا يا علي أدرك أني تماديت وأن الغضب عماني
لكن الآن أريد العودة لها ولابنتي"

"وأنا أقول لك يا وائل طلبك مرفوض ولو كنت آخر رجال الأرض "

"علي!!"

"لا علي ولا أم علي هذا قرار نهائي "

قالها علي ببرود وداخله يرقص فرحا مقسما أن يأخذ لأخته بثأرها وأكثر فقط الغبية يجب ألا تعلم ...

***

وماذا فيها لو تغافل عن أدويته ليومين لن يحدث شئ

لن يعطل نفسه في الذهاب لجلب العلاج وأخذه فبطبيعة الحال دواءه مرهق وسيحتاج النوم بعده

لذا ليذهب إليها أولاً ثم بعد ذلك يتناول أدويته ،تنهد وهو يدير محرك سيارته متمنياً ماذا لو تناول دواءه اليوم بملمس أناملها الرقيقة على شفتيه !؟

لف بسيارته بعد خروجه للشارع الرئيسي آخِذاً الطريق السريع ومازال غارقا ببحر أمنياته وأشواقه

فقط لو تصدقه ،لو تعطيه فرصة للمرة الأخيرة ،لو تعلم كم يطوق لها

لو تأخذه بين أحضانها متنفساً عبقها بشغف كما يريد

يا الله كيف كان غافلاً عن مشاعره هكذا؟

كيف كان يأخذها كأمر مسلم به هكذا؟

بل كيف لم يدرك سقوطه بها إلا بعد هلاكه ؟

هل كان أعمى البصر والبصيرة لتلك الدرجة ،حسنا لا يهم سيسعى لتصحيح ذلك

ألا يقولون أن تأتي متأخراً خيرا لك من ألا تأتي أبدا وهو أتى وإن كان متأخراً.

نعم هو لن يطلقها ولن يفعل هي زوجته ،أم طفله وستظل دائماً

قطع حبل أفكاره ،رعدة غريبة مرت بجسده جعلته ينفض رأسه بهلع محاولاً السيطرة على تركيزه

وهو يشعر بكفيه يرتعشان على المقود دون أن يستطيع السيطرة عليهم قبل أن تسيطر عليه نوبته كليا والتي بدأت تزداد عليه وجسده ينتفض نفضاً ساقطا على جانبه على المقعد لا يشعر بالعالم حوله وقد ذهب في عالم اللاوعي

السيارة تسير على الطريق السريع بقوة وقد بدأت تنحدر جانبا بالتدريج بالتوازي مع بداية إفاقته من نوبته القصيرة

فتح عينيه ببطء وهو يشعر بالتشويش الزائد بسبب حركة السيارة التي نبهت مراكز الإحساس عنده وهو يحاول أن ينفض ضعف جسده عنه لكن بلمح البصر كانت السيارة تصطدم بأخرى وتنقلب رأساً على عقب مُصدرة صريراً عالياً والحريق المندلع بالمكان خير دليل على حادث مروع ذهبت إثره الأرواح وليس روحاً واحدة

"لكن من بين غياهب اللاوعي وقبل فقده تماماً،كانت فكرة أخيرة تلوح في عقله...

ألا وهي هل سيموت دون أن يحتضنها للمرة الأخيرة..؟"

***

ليلا عائدا من حفل الزفاف الذي كان قائم على تصويره

أشار إلى عدة حافلات للنقل وأخيراً وقفت له واحدة بها مكان فارغ

ركب الحافلة واستند إلى النافذة وغط في نوم عميق ، استيقظ منه على صوت جلبة عالية من الركاب

فتح عينيه فوجد كمين من الشرطة يقوم بتفتيشهم وأخذ بطائقهم

أخرج بطاقته وناولها للضابط الواقف أمامه والذي نظر له باستنكار فور رؤيته لبطاقته ثم حدثه بتعالي قائلاً

"أنت اخرج لي؟"

"لم ؟! " سأله حسن بخوف داخلي لكن نبرة الرجل المدرسة كانت كلكمة لروحه قبل قلبه

"وتسأل يا روح والدتك ،خذه يا عسكري سيأتي معنا"

أومأ العسكري وهو يأخذه جرا حتى أنزله من الحافلة ثم دفعه بعنف لسيارة المجرمين

جلس حسن مطرقا برأسه في سيارة الشرطة والخوف ينهشه نهشاً فهو لا يعلم لما أخذوه هما لم يأخذوا من الحافلة سواه واثنين آخرين

بعد نصف ساعة كان يقف أمام الضابط بمكتبه والذي يتحدث له الآن بسخرية وتعالي

"وترفع صوتك علي وتسأل أيضاً "

"يا باشا لم أقصد أنا فقط لا أعلم سبب وجودي هنا"

"اخرس" قالها الضابط بغضب ثم أردف

"هل سترد علي أيضاً هنا على آخر الزمن يجابهني أحدهم وتخيل من؟

نكرة بن حرام لقيط لا ذكرى له بالمجتمع"

رعدة قوية مرت بجسده كرصاصة غادرة ألما لما سمع ، تجمعت دموع القهر والعجز بعينيه وأطرق برأسه فهو يعلم ما نهاية الحديث مع هؤلاء

لو كان بصق عليه لكان أهون من حديثة القاسي هذا ؟!

هل جُلِب لهذه الدنيا فقط ليُقهر ويظل صامتاً ولا حفاظ لأمثاله بالطبع على ماء وجههم !!

رفع رأسه على دخول عدة ضباط للغرفة ،وصوت أحدهم مألوف يتعرف عليه سائلاً بدهشة وتقرير:_

"حسن؟! اسمك حسن أم لعلي أخطأت بالاسم "

رفع رأسه بلهفة ينظر لذلك الضابط الذي يحدثه ولم يكن سوى خطيب غدي المحامية ابنة عم خالد

أومأ برأسه مبتسما باهتزاز فسلم عليه عمر سائلاً بدهشة

"لم أنت هنا؟ بالتأكيد جئت بالخطأ صحيح"

لف عمر برأسه للضابط الآخر والذي ينظر لهم بغيظ الآن وقال

"بهاء لقد ذهبت للقبض على المجرمين ومعك صورهم ،أعطني سببا واحدا لوجود حسن هنا "

تلجلج بهاء وقال بارتباك :_

"لقد أطال في الحديث معنا وأيضاً.."

قاطعة عمر سائلا بغضب :_

"كفى لا أريد السماع هل فتحت محضر باسمه؟"

"لا لم أفعل بعد "

"ولن تفعل "

قالها عمر بحزم وصرامة ثم أشار لأحد العساكر وأردف بأمر:_

"اصطحب الباشمهندس حسن إلى مكتبي كي أعتذر له ويأخذ واجب ضيافته هيا ...

بعد نصف ساعه يسير بالشوارع هائما وأخيراً جلس على أحد المقاعد يبكي بعجز

ما ذنبه هو أن ولِد دون أهل، ما ذنبه إن كان ضحية والدين فاسدين

ماذا لو لم يأتي ذاك العمر ،بل ماذا لو لم يتعرف عليه

ربما كان يذق الآن كؤوسا من الويل على يد ذلك المتجبر ..

استقام واقفا كي يذهب لبيته فما رآه اليوم صب من التعب صبا فوق جسده....

بعد فترة من الوقت ،فتح باب شقته بإرهاق ودخل وأغلقه خلفه

جر رجليه جراً إلى غرفتهم ،لكنه تسمر مكانه وهو يستمع إليها تتحدث عبر الهاتف إلى أحدهم وكأنه لم يكفي ما حدث له اليوم .

أحمرت عيناه غضبا وهو يستمع إلى حديثها وقد كانت الضربة القاضية.

قبل قليل

جالسة على الفراش تقضم أظافرها في توتر وهي تنظر لتلك الأقراص بيدها

هي لا تعرف حتى كيف طاوعها قلبها وجلبتها ،لكن رغما عنها حديث رندا يروعها .

ماذا لو كانت تحمل طفلاً هي حتى جلبت تلك الأقراص آملة ألا تكون تحمل طفلا

وأن تبدأ بأخذها بانتظام كما علمتها رندا، لكن لا تعلم لما لم تحكي لوالدتها ولأول مرة تفعلها وتخفي عنها شئ

لكنها أيضاً حزينة ، حسن لا يستحق ذلك وهي تخاف ما ذنب أطفالها أن يأتوا في مجتمع يعيرهم بأن لا نسب لهم

حائرة ...حائرة..... وخائفة لا تعرف ماذا تفعل ؟؟

هزت رأسها نفيا بقوة والأفكار تتقاذف بعقلها يميناً ويساراً

لا حسن لا يستحق ذلك ،لن تفعل ،هي تحبه نعم هي أدركت ذلك حتى ولو لم تعترف له بذلك إلى الآن

هي تريد أن تواصل حياتها معه ،بل لن تستطيع العيش دونه

لكن حديث رندا يعود رويدا رويدا يطرق أبواب عقلها وحيرتها

ماذا ستقول لأطفالها فيما بعد ، هل حقا سيلومونها؟!

تناولت هاتفها بضجر تهاتف رندا ودقيقتين وكانت ترد عليها تبادلوا السلام ثم سألتها رندا :_

"ماذا فعلتي يا معدولة ،هل جلبتي اختبار الحمل وتلك الأقراص المانعة "

"لا يا رندا لم أجد اختبار الحمل بالصيدلية القريبة مني سأنتظر للغد"

"وماذا إذا حدثت المصيبة اليوم يا فالحة؟"

"رندا قلت لكي من قبل لا تتحدثي في تلك المواضيع،ثم أي مصيبة ستحدث هل حملي مصيبة"

"لا تفقعيني يا فتاة و أخبريني هل اشتريتي الأقراص المانعة للحمل ؟"

"نعم لقد جلبت الأقراص المانعة للحمل لكني لن أخذها يا رندا"

"حسنا لا تأخذيها اليوم حتى تتأكدي وأدعي ألا تكوني حامل يا ملك "

"رندا لما صوتك عالي هكذا أقسم أن جيراني أنا يسمعون حديثك ،كما أنكي فهمتي خطأ لا أقول أني لن أخذ الأقراص اليوم فقط بل أقصد...اه "

قطع حديثها صوت هاتفها الذي تهشم أشلاءاً إثر قذفه له ولا تعلم كيف انتزعه من يدها هكذا إضافةً لقبضته القوية التي أمسكت بشعرها بعنف وهو يسألها بفحيحٍ غاضب:_

"منذ متى وأنتِ تتناولين تلك الأقراص اللعينة ها؟"

وقع قلبها بين قدميها وهي تدرك أنه سمع حديثها مع رندا لكن يبدو أنه فهم خاطئا

تأوهت إثر شده لشعرها فبكت وهي تتوسله قائلة:_

"آه حسن فقط استمع إلي "

نفرت عروقه من شدة الغضب وخبط رأسها بحائط الفراش عدة مرات وهو لا يشعر بما يفعل وقال بازدراء:_

"استمع إلى ماذا يا حقيرة ها؟ أستمع إلى ماذا ؟

حسن ! الذي لا تريدين الإنجاب منه هذا هو الذي أنقذك من الفضيحة ومن براثن عمك الحقير مثلك "

زادت وتيرة بكاءها خوفا وألما فهو يهزها بين ذراعيه بقوة مستمرا بضرب رأسها بحائط الفراش ،وعينية مرعبتين بل شديدتي الاحمرار من الغضب"

ومكانه هو خلاياه كلها تأن من الغضب ،القهر والألم ،حديثها الذي أستمع له يدوي صداه في أذنيه بصوت ذاك الضابط الذي نعته بابن الحرام النكرة

جرها من شعرها حتى أخرجها من الفراش وهو يقول بغضب:_

"ليس أنتِ التي لا ترتقي لأن تنجبي من حسن اللقيط، بل أنا الذي لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى

سألقيكِ الآن لعمك الحقير و سأطلقك أمامه "

حاولت شد ذراعه بهلع ودموعها تزداد انهمارا فوق وجنتيها لكنه قد وصل بها إلى باب الغرفة

تمسكت بالباب هامسة من بين بكائها بتوسل وقد بدأت تشعر بالتعب

"حسن أقسم أنك فهمتني خاطئاً ، لا تفعلها بالله عليك فقط استمع إلي"

"اخرسي لا أريد أن أسمع صوتك"

قالها بغضب وهو يشدها بعنف فضرب رأسها بحافة الباب دون أن يرى

لكن قبل أن يتحدث كانت تتهاوى بين ذراعيه فاقدة للوعي...

□□□□

تحتضن وسادتها وهي تبكي بلا توقف ،اليوم ليس ذكرى مولدها بالحياة اليوم يوم مولدها له

بوقتٍ أخر لم تكن لتتذكر لكن كيف لا تتذكر وخمس سنوات بخمس ذكريات له معها بيوم مولدها

أولها في أول عام لهم بخطوبتهم ،لن تنسى أبداً تلك الليلة وهو يحدثها منذ الحادية عشر على الهاتف ليلاً في مواضيع عدة بين شيقة ومملة

عادت بذكرياتها وهي تتذكر صوته القوي بعد أن دقت الثانية عشر وهو يقول بحرارة:_

"روضتي أخرجي إلى الشرفة "

"أنس هل تمزح؟ تريد مني الخروج من الشرفة الآن !؟"

"هيا يا روضة "

قالها بأمر راجٍ جعلها توافقه على مضض وهي تتناول حجابها سريعا وتفتح باب الشرفة وسرعان ما شهقت بسعادة فور فتحها

وعدة بالونات من الهيليوم على رسمة قلب باللون الأحمر تحتوي اسمهم سويا وبالمنتصف كلمة "احبك"

نقلت نظرها أرضا وهي تلاحظ بتلات الورد المفروشة بدقة بأرض الشرفة وذلك المغلف الكبير عليها

وما أضحكها حقاً حتى دمعت عيناها وآثار حنق والدها عليهم هو هتافه أسفل البلكونة عاليا بحبها

أما بذكرى ميلادها الثاني الذي كان بعد عقد قرانهم ،أرسل لها التهنئة ليلا ولم يهاتفها أو يظهر طوال اليوم حتى غروب الشمس

وأتى طالبا من والدها أنه يريد الخروج معها سويا وحدهم وبعد عدة محاولات أخذها

لمكان مخصص للمناسبات وقد حجزه كاملاً لهم وخُتِم اليوم بقبلتهم الأولي

ابتسمت من بين دموعها ووجنتيها تحمر خجلا لذكرى هذا اليوم بعد زواجهم

لقد كان كل عام يحافظ على أن يأخذه إجازة من عمله ،يدللها كطفلته بالنهار ويحبها كأميرته بالليل ...وآهٍ من حلاوة حبه

حتى العام الماضي والذي كان شاهداً أغلبه على ليالي يملؤها بكاؤها وقد تأكدت من عدم قدرتها نهائياً على الإنجاب

لم يهتم إلا بفرحتها وهو يفاجئها بهديتها وجوارها تذاكر سفر لشرم الشيخ وقضوا أسبوعين بنكهة العسل المصفى

دخلت في موجة بكاء أشد وهي تُدرك جيدا أنه لم يعد معها أنه وحده الآن

ماذا يفعل ؟ هل يفكر بها الآن مثلها أم عله لا يسامحها على ما فعلته لكن رغماً عنها

نعم أنس سيتفهم ،لطالما فعل

هي تحبه ،بل تعشقه ورجل بعاطفة أنس لا يستحق أنانيتها بالاستئثار به وحدها ،عاطفة أنس يجب أن تُكَلل بالأبوة وهي ليست بتلك الصفاء كي تتحمل زواجه من أخرى أمامها لذا الحل الأمثل ما فعلت

وإن كانت تتلظى وتحترق بنار الغيرة كل ليلة وهي تتخيله مع أخرى سواها

لكن أن تفعلها من نفسها سيُحافظ على عشقه بقلبها بدلاً من أن يفعلها هو يوما حنينا للأبوة كما قال والدها وحينما رغما عنها ستكرهه

وأنس لا يستحق الكره بل الحب كل الحب ..

مسحت دموعها سريعاً على صوت والدها يطرق الباب ،أعقبه دخوله وجلوسه جوارها وهو يقول بحنان :_

"كل عام وأنت بخير حبيبتي"

"وأنت بخير يا أبي" همستها مبتسمة باصطناع لكن عينيها الذابلتين كانتا أشد دليل على انعدام الحياة بروحها

أطرق الرجل برأسه في الم وهو يقرأ الحزن الواضح بملامحها لكنه رفع رأسه قائلاً:_

"هيا حبيبتي اغسلي وجهك وارتدي ملابسك فسنتناول الغداء سويا بالخارج ونحتفل بكِ مع أبناء عمومتك"

"لا أريد يا أبي ،أرجوك "

"لن أسمح باعتراض هيا الآن ،كما أن والدتك وأخواتك يجهزون بالخارج"

هزت رأسها على مضض فتركها وخرج كي ترتدي ملابسها

مُعسكِراً أسفل منزلها منذ الأمس ،لكن ماذا يفعل بقلبه العاشق ؟!

اليوم يوم مولدها ولم يتغافل عنه يوما ولن يفعلها لكن أين هي من هذا اليوم؟

لو كانت معه الآن لأغرقها في بحور عشقه حتى ارتوى

أه عميقة خرجت من. صدره لقد اشتاقها حد اللامعقول ،كل خلاياه تصرخ مطالبة فقط بضمها والنظر إليها

لمعت عيناه بظفر وهو يرى خروجهم جميعا من البيت فهو أقسم بينه وبين نفسه على ذاك الرجل والدها لن يفوت يوم مولدها دون احتفال

تسارعت دقات قلبه وتعالت أنفاسه وهو يراها تفتح باب سيارتهم لتجلس لكن قبلاً التفتت حولها بحيرة وكأن قلبها يبحث عنه

بعد فترة صف سيارته ونزل منها دالِفاً ببطء إلى المكان الذي دخلوا منه للتو

لكن برودة بل جليد انتشر بين ثناياه وجمده مكانه وهو يرى تجمع عائلتها بالداخل وأبناء عمومتها

لمعت عيناه بالغضب مفكرا إلى ما؟ يسعى هذا الرجل!

لكن ما شله وجمده حقا ابتسامتها التي اشتاقها والتي أهدتها لأحدهم وهي تسلم عليه بخجل

جعل النار تنشب بعروقه كمن أحمو سيخا ووضعوه بصدره دون رحمة

الفصل السابع عشر

رحلتي ورحل القلب معك
وناشدت العين من ادمعك

إن صبرا يا عمري فبالفؤاد مهجعك

تطوف الوديان والأنهار

وتأخذ النبض بيدك
وترسو فوق جبال العشق
فتدنو من عاشق يصعقك
بأمواج اشتياق ونسمات

من هوي بالوصل يغرقك

بقلم الجميلة Sade Buttetfly

مؤذي هو لمن يقترب من عمله أو يفسده عليه ،مؤذي حد اللامنطق و اللامشروع .

والأستاذة اقتربت من دائرته دون أن تقصد وفي قانونه من يقترب من النار لا تلسعه كما يقولون بل تحرقه حرقا وتُحيله إلى رماد ، لكنه لم يحسب حساب احتراقه هو مجرد أن فتح الباب وارتفعت عينيها له .

هو ظن أنه سيأتي يرى أمامه فتاة كبيرة في العمر ،ترتدي بذلة ونظارة تأخذ نصف وجهها بشغر ملفوف دون معالم لكن أن يجد أية من الفتنة أمامه هكذا لم يتوقعها أبداً ولم يعمل لها حساب ...

اللعنة أي أية من الفتنة بحق الله بل هي الفتنة بنفسها وقد بان جسدها وهي تهب واقفة بغضب ترتدي فستان عشبي يُظهر فتنة جسدها بسفور رغم احتشامه...

جرت عيناه على مفاتنها بجرأة ،حتى ارتفع لوجهها الجميل بعينيها الواسعتين اللتان تلمعان بغضب فتاك الآن لدخوله مكتبها هكذا

هل آتى لتهديدها حقا؟!..... لالالالا هذه امرأة لم تخلق للتهديد بل خُلقت ل.... وكم سيروقه!!!

أغلق الباب بقدمه وتقدم منها غير مبالي بغضبها لتهجمه على مكتبها

جلس بعنجهية مفرطة على طرف سطح مكتبها آخِذاً نفساً طويلا من سيجارته وهو يرمقها بنظراته ثم قال ببرود :_

"أكمل البدوي زميل مهنة"

وهيمنته مغيظة ،تجلب لك جلطة سباعية الأبعاد وهو جالس مكانه لا يتحرك

اتسعت عينيها بغضب وهي تخبط على سطح مكتبها قائلة بحدة:_

"مجنون بالتأكيد مجنون كيف تدخل مكتبي هكذا؟ ها؟ وأين الغبية التي بالخارج كيف جعلتك تدخل هكذا "

شرسة وجذابة ،وتلك الخصلات المنفلتة أسفل حجابها تزيد من فتنتها

رفع عينيه مرة أخرى لها ببرود على صوتها المجنون منه ومن تصرفاته

"أنت يا بني آدم ،من أنت ؟! "

وكيف تقتحم مكتبي هكذا ،بل كيف تجلس هكذا أمامي من الأساس ؟!"

"بطل. بطل"

قالها بينه وبين نفسه وعينيه الوقحتين تدوران عليها من أسفل رموشه بتمهل وهي تبدو غير مدركة لذلك في موجة غضبها تلك "

وكي يزيد من غضبها ،أطفأ سيجارته على المطفأة أمامها ثم قال ببرود :_

"يبدو أنكي لم تستعمي جيداً لقد قلت لكي أكمل البدوي زميل مهنة "

دارت حول مكتبها في غضب كان بداخلها منذ أن تم عقد قرانها على عمر والشد الذي حدث بينهم عقبها وما أجج غضبها ذلك الكائن المستفز أمامها .

تأملته بحنق في جلسته المستفزة هذه،،شعره المصفف بعناية مغيظة وبذلته المستوردة ،ملامحه الخشنة وذقنه

المشذبة بجاذبيه وعيناه عيناه واسعتان شديدتي العمق لكنهم يبعثان في نفسها النفور ولا تعلم لما !!

كشرت وجهها باشمئزاز على صوته سائلا بوقاحة مغيظة:_

"هل أعجبتك؟!"

رمقه بنظرة نارية مستنكرة حديثه الوقح ثم سألته بصوت حاد :_

"أنت قل من أنت ولما أنت هنا ؟ وإلا"

"وإلا؟!" قاطعها ببرود وهو يميل رأسه بتهكم من حديثها إلا أنه قال أخيراً:_

"كما قلت ،أكمل البدوي ،زميل مهنة ما هو الغير مفهوم في كلامي"

"وماذا تريد يا زميل المهنة "

قالتها بغضب وبروده يوصلها إلى أعلى درجات جنونها

أشعل سيجارة أخرى ،آخذاً نفس منها على مهل ثم أخرجه بوجهها قائلاً

"قضية عمران ،اتركيها"

رمت الكرسي الذي أمامها بغضب وهي تقول بتهكم من بين أسنانها وعلامات النفور تملأ وجهها:_

"آه إذا أنت المحامي الجديد الذي لجأ له لأن الكلب الآخر لم ينجح "

نفرت عروقه بغضب من تلميحها لكنه حافظ على جموده قائلا بتحذير ثلجي :_

"حافظي على لسانك يا أستاذة ،خيراً من أن أقصه"

برقت عينيها بشر وهي ترفع حاجبيها قائلة :_

"هل تهددني؟! "

"لا التهديد لم يأتي بعد "

قالها واستقام واقفاً مقترباً منها ببطء لم تهتز له ظاهريا بشجاعة رغم لمعة عينيها المثيرة

مال رأسه إليها حتى وصلتها رائحة عطره المعروف مختلفاً برائحة تبغه فأصبح على بعد إنشات منها وهمس بتحذير:_

" اسألي عن أكمل البدوي جيدا ثم فكري بعناية قبل أي تهور في قضية عمران لا أنصحك به ،لقد كنتْ آتى لتهديدك لكني رأيت أن الجميلة لم تُخلق للتهديد "

قالها آسراً عينيها بعينيه وفور أن أنهى حديثه استدار متجها إلى الخارج بخطواته الآسرة ،،تارِكاً إياها وشياطين العالم أجمع تلوح أمامها

□ □ □ □

"الحمدلله لقد تعدى مرحلة الخطر لكنه سيظل تحت الملاحظة يومين ومن ثم يتم نقله غرفة عادية ..."

هل أعاد لها روحها بتلك الكلمات البسيطة التي ألقاها أم لعله نزعها مرة أخرى بأنه يجب أن يظل تحت الملاحظة ...

لقد خارت قواها اليومين الماضيين ، جالسة أرضا تبكي فقط حتى أنها لم تبدل ملابسها

لا تستجيب لمحاولة أحدهم معها حتى تميم تحمد الله أن مصطفى أخيها جوارها ويرعاه هو وزوجته

والدته منهارة وقد فقدت وعيها بعد سماع الخبر ، ووالده قد ارتفع السكر عليه ومحجوز بغرفة مجاورة، عائلته كلها حزينة ،الجد والجدة وخالد لم يغادروا المشفى

حتى شهاب القوي والداعم دائما ،ملامح الانكسار والخوف على وجهه لا تُخطأها عين وكأنه كبر أعوام

فماذا عنها هي ، يا الله ماذا عنها هي هل يشعر أحد أنها تُحمل نفسها ذنب ما حدث

أن طبيبه المتابع له وهو يؤنبهم على إهماله لأدويته وتأخر حالته الملحوظ ،شعرت أنها هي المذنبة ولا أحد غيرها

لم تلحظ أنها بدأت في وصلة بكاء أخرى إلا على صوت والدتها المتحشرج تقول:_

"يا ابنتي صلي على النبي سيكون بخير والله ثقتي بربي سيكون بخير "

أومأت برأسها بشرود ثم رفعت عينيها بلهفة على عمرو القادم في أول الطرقة ناحيتهم

هبت سريعا راكضة ناحيته تقول برجاء

"عمرو أعرف التعليمات جيدا لكن بالله عليك تجعلني أدخل له بالله عليك يا عمرو فقط أريد أن أراه لدقائق "

أومأ عمرو برأسه في تفهم وقال:_

"حسنا يا ريم ، لقد تحدثت معهم بالفعل مع ذلك ووافقوا على مضض كونك طبيبة ، اذهبي كي يقومون بتعقيمك وادخلي له"

أومأت بلهفة فأشار لها محذراً :_

"عشر دقائق يا ريم لا أكثر"

على الجانب الآخر

انتهى من صلاته بمسجد المشفى وجلس يقرأ سورة يس له

يا الله في أعظم كوابيسه لم يكن يتخيل أن يمر بكل ذلك الضعف

هو حتى لا يعرف كيف أتى إلى هنا يومها دون حوادث ،فبمجرد أن علم الخبر وطفرت الدموع من عينيه جريا

عبدالرحمن !!

عبدالرحمن ليس بن أخيه ولا حتى بأخيه ،عبدالرحمن ابنه وصديقة حتى لو كان يقربه في العمر لكنه أقربهم لقلبه .

من أكثر منه يعلم عن طيبته وحنو قلبه !!

لقد كبر معه يوماً بيوم ،لن ينسى أبداً ،اليوم الذي اكتشفوا فيه مرضه وقد كان عبدالرحمن في السادسة من عمرة وهو في التاسعة ،لقد ظل يبكي حزينا عليه حتى طمئنوه أنه سيتعافى ويكون بخير

دمعت عيناه وعاد بذاكرته لذلك اليوم الذي وجد به عبد الرحمن يبكي في الحديقة الخلفية في المنزل ،جالسا القرفصاء ودافناً وجهه بين كفيه يبكي بقوة حينها كان هو في الثامنة عشر

اقترب منه بقلق يسأله بقلق:_

"عبدالرحمن يا إلهي لما تبكي؟"

زادت وتيرة بكاءه وقال من بين شهقاته :_

"شهاب أنا لن أذهب للمدرسة مرة أخرى "

جثى على ركبتيه أمامه وسأله بهدوء :_

"ولما؟ ماذا حدث؟!"

"لقد أتتني نوبتي بالأمس وقد ضحك علي زملائي كثيرا وبعضهم خاف أن يقترب مني"

تأوه بألم وهو يأخذه بين أحضانه يُهدئه ولم يلبث أن ذهب لأبيه يخبره وأصر على أن يتم نقل عبدالرحمن من مدرسته فهي ليست أول مرة وقد كان....

خرج من أفكاره على صوت العامل يريد إغلاق المصلى فأومأ برأسه وخرج داعيا الله له بالشفاء...

بالمشفى بغرفة عبدالرحمن تحديداً

اقتربت منه بألم وهي تراه هكذا ممدداً على الفراش ،لا حول له ولا قوة .

الأسلاك تحيط به من كل جانب ،جسده ملفوف ورأسه مضمدة ،وجهها شاحب وشفتيه زرقاوتان ...

جثت على ركبتيها جوراه واحتضنت كفه بين كفيها تربت عليها برفق دون القدرة على الحديث

هبطت برأسها ببطء لاثمه يده من فوق كمامتها ورغما عنها دمعت عيناها هامسة بلوم :_

"لما أهملت أدويتك ها؟ هل هكذا دوما تنساها ويجب أن أذكرك ؟"

ابتلعت ريقها بصعوبة وأردفت:_

"استحلفك بالله يا عبدالرحمن أن تقاوم ليس من أجلي بل من أجل تميم الذي يهتف باسمك منذ يومين ،لم أخبره بالتأكيد لكنه يشعر ،تعلم كم يحبك وكم هو متعلق بك "

"ولأجلي ولأجل والدتك ...."

شهقت بألم وأردفت :_

"حتى لأجل هنا يا عبدالرحمن ،تعلم هي الأخرى منهارة تبكي في زاوية المشفى منذ ما حدث"

قبل أن تكمل حديثها وجدت الممرضة تقترب منها هامسة بأدب أنه يكفي هذا ويجب عليه الخروج

أومأت برأسها وألقت عليه نظرة أخيرة وخرجت ...

* * * *

أخذ جانبا في المشفى وهو يسب بغضب لذاك الرقم الذي يشاغله منذ أيام وفور أن يفتح الخط لا يسمع سوى صوت ضحكات مكتومة لعدة فتيات لم تعرف لهم التربية الطريق

وطوال اليوم وهو يرن عليه ،حتى أن أحد الممرضين نبهه لإغلاق هاتفه منعا لإزعاج المرضى

أخرج هاتفه ضاربا الرقم بغضب ورنة والثانية والثالثة ومع الرابعة فُتح الخط وأتاه صوت أنثوي رفيع ومرتفع

"مرحباً من معي؟"

"يا وقحة يا عديمة الحياء وتسألين ؟"

شهقة أنثوية عالية ثم تبعها :_

"من أنت وكيف تجرؤ على قول هذا لي يا وقح"

"ليس هناك وقح سواكي أنتِ وأصدقائك عديمي التربية
"

وصرخة أنثوية أخرى كفيلة بصم أذنيه تبعها سيل من الشتائم الأجنبية ثم أردفت بغضب:_

"أقسم أن آخذ رقمك وأقاضيك "

ثم أغلقت الخط بوجهه بعد أن سبت بعنف

أنزل الهاتف من على أذنه بغضب والتفت على صوت شهاب الذي يسأله :_

"خالد لما تقف هكذا ؟ ماذا حدث هل عبدالرحمن بخير"

أومأ برأسه في شرود ثم سأله فجأة :_

"شهاب هل تعرف أحد بشركات الاتصالات يعطني معلومات عن رقم"

"نعم لدي أصدقاء هناك ولكن لما ؟"

"لا لشيء فقط أريدك أن تجعلني أتواصل معه "...

***

بالمشفى

لقد استقرت حالته وتم نقله غرفة عادية وهو على وشك الإفاقة من نومه الآن

فتح عينيه وأغلقهم عدة مرات ،ثم دار بعينيه عليهم جميعا أمه التي انكبت على يديه تقبلها بقوة حامدة الله عدة مرات ثم انتقلت إلى رأسه محتضناه برفق وهي تقبله لاهجة بالحمد

إزاحة والده بلهفة وهو يقبل رأسه عدة مرات متحمداً له بالسلامة

جدته التي لم تسيطر على بكاءها وجده الذي قبل يده متمتماً بالحمد مما هز قلبه تأثراً

ابتسم بشحوب هامساً بتعب:_

"بخير لا تقلقوا"

ثم أدار وجهه جانبا يبحث عنها فلم يجدها وجاءه الرد من شهاب المبتسم وهو يقترب منه :_

"لقد ذهبت لجلب تميم ،دقائق وستصل هي وأهلها معه فهم لم يغادروك ثانية "

ابتسم بشحوب فمال عليه شهاب محتضناً إياه بقوة هامساً بالحمد ثم ارتفع عنه قائلا بتأثر :_

"هل تعرف بماذا كنت أشعر ،وكأنهم قطعوا أحد أعضائي بلا رحمة .

يا الله يا عبدالرحمن لو بقيت عمري أوصف لك مدى هلعي عليك لن يكفي ، الحمدلله يا حبيبي شفاك الله وعفاك وأبقاك "

قالها مقبلا رأسه مرة أخرى وعاد إلى مكانه

لكن حديثه جلب الدموع لعيني ابن أخيه رغما عنه شاعرا بالندم فدوما كان شهاب الأقرب له لكنه من ابتعد

فتح عينيه على صوت خالد الباكي قائلا بابتسامة :_

"ماذا أفعل فيك أنا ؟ كيف ترعبني عليك هكذا ،ألا تعلم أنه ليس لي غيرك في الدنيا

كم مرة أقل لك انتبه لنفسك من أجلي، ألا تعلم أنك عكازي الذي إذا مال أسقط يا عبدالرحمن "

قالها وانفجر باكيا وهو يحتضنه وكأنه لا يصدق إلى الآن أنه حي يرزق بينهم

ربت عليه عبدالرحمن بضعف ثم همس في أذنه بندم :_

"أنا آسف يا خالد آسف "

ضغط عليه خالد بحنق قائلاً:_

"يا غبي لا آسف بيننا ،نحن واحد وليس اثنين "

استقام خالد واقفا ومسح دموعه بحرج فور دخول ريم ووالدتها وأخيها ومعهم تميم الذي ارتمى على والده بقوة مما جعله يتأوه فاضطرب الصغير قائلا بخوف :_

"أبي هل آلمتك"

ضمه عبد الرحمن بضعف مستنشقا رائحته بنهم وشوق ثم عادت ذهبت عينيه لعينيها القلقتين

لكن قطع تواصلهم دخول هنا الباكي قائله:_

"عبدالرحمن يا إلهي حمداً لله على سلامتك ،هل أنت بخير "

أومأ برأسه شاكِراً ثم ابتسم قائلا بضعف :_

"لم كل تلك الدموع يا هنا الأمر لا يستحق ،ها أنا بخير أمامك "

أومأت برأسها مبتسمة وهي تمسح دموعها غافلة عن تلك الأخرى التي امتقع وجهها وشحب

سألها عبد الرحمن بنبرة عادية :_

"أين غدي وأنس ألم يأتوا معك"

"سيأتوا بالليل هم لم يغادروا المشفى، هم وعمك "
والإجابة كانت من شهاب الذي وقف يحثهم جميعا على الخروج وتركه مع زوجته

بعد خروجهم جمعيا ، حاولت أن تنشغل بأي شئ تلهي به نفسها عن ما حدث

لكنها رفعت عينيها على صوته المتعب قائلا بعتاب:_

"ألن تُسلمي علي يا ريم "

"حمداً لله على سلامتك" قالتها باقتضاب وقلبها يهفو شوقا للاطمئنان عليه رغما عنها

إلا أنه أصر قائلاً بتصميم :_

"اقتربي يا ريم "

اقتربت منه على مضض وهي ترى كفه الممدودة لها بضعف

وفور أن وقفت أمامه همس برقة:_

"تعلمين أنني لن أقدر على أخذك بين أحضاني ، لذا لا تبخلي علي بها"

مالت عليه تحتضنه دون أن تفكر ،فضمها له قدر ما يستطيع وهو يشعر أنه الآن والآن فقط أعادوه للحياة ،إلى وطنه وسكنه بذلك العناق الذي وكأنه كشربة ماءٍ اتته علي ظماء وما أحلاه من ارتواء

قبل وجنتها برقة وهمس:_

"اشتقت إليك يا ريمية "

تأوهت بداخلها باشتياق ودمعت عيناها تأثرا وهي تشعر بالتخبط

إلا أنه لم يسمح لها بالاعتدال هامسا بخبث:_

"أعرف واحدة كانت تبكي مترجية إياي أن أفيق وستفعل ما أشاء"

تخلصت منه بحرج ومازال موقفه مع هنا مسيطر اً عليها فسمعته يقول:_

"تغارين؟ حسنا لا أمانع فغيرتك تسعدني لكن ما أريدك أن تعلميه أنه لو كان بقلبي مثقال ذرة من حبٍ لها لم أكن لأحادثها ببساطة هكذا

فقط اعلمي أنكِ امرأتي الوحيدة يا ريم ،مرساي الآمن بعد طول إبحار وأنكي....

صمت قليلا ثم أردف بحرارة:_

" وأنكي حبيبتي فأنا أحبك يا ريم" .....

**

"مرحبا حبيبتي"

قالها مبتسما بعد أن انفرد بها أخيراً في بيتها وهاهو والدها خرج وتركهم سويا

ابتسمت بخجل قائلة بخفوت :_

"مرحبا حمزة كيف حالك؟"

"أصبحت بخير الآن"

قالها متأملا وجهها فاحمرت وجنتيها خجلا

تناول كيس صغير جوار علبة الشوكولاتة التي جلبها من أجلها ومد كفه به إليها فرفعت عينيها له في تساؤل

أعطاها الكيس قائلاً:_

"تلك الأدوية من أجلك يا نهى ،على كل علبة كتبت لكي المواعيد أريدك أن تنتظمي عليها "

رمشت بعينيها عدة مرات ولم تدري بما ترد إلا أنه أردف قائلاً ببرود مغيظ:_

"هناك فحص يجب أن تقومي به بعد انتهاء تلك الأدوية ،سأخذك لإحدى زميلاتي تقوم به إن شاء الله"

وتبخر الخجل ولمعت عيناها بالغضب وهي تهب واقفة واضعة إحدى يديها بخصرها قائلة :_

"أي زميلة تلك التي تتحدث عنها يا دكتور حمزة "

والجميلة تغار وتحمر غضبا وخجلا فقد أدركت ما فعلت من نظرات عينيه العابثة عليها فعادت تجلس مكانها في صمت

نادي عليها بخفوت فرفعت عينيها له زامة شفتيها دون رضا

لعب حاجبيه بعبث قائلاً:_

"أتغارين دبدوبتي؟!"

"حمزة لا تقل لي دبدوبة تلك مرة أخرى"

قالتها بغضب لذيذ جلب له الابتسام فقال بخفوت:_

"وما رأيك بفراولة"

"وهل يجب ألا تناديني سوى بلقب ألا يعجبك اسمي يا حمزة "

يا الله كيف تخرج حمزة جميلة من فمها هكذا وكأنها تُرقِق الزاي وهي تقولها فتخرج خفيفة ،رقيقة دون أن تُدرك حتى

ابتسم بحب هامسا بحرارة :_

"يا الله فقط لو تدركي كم أحبكِ "

ابتسمت واحمرت خجلاً فأردف بعبث :_

"فقط نعقد القران وستطلبين بنفسك ألا أدعوكِ سوى بتلك الألقاب فراولتي"....

□□□□

"هل كلما آتي إلى المكتبة سأجدك تبكين بهذا الركن"
قالها بإرهاق وهو يجلس أمامها على الطاولة

مسحت دموعها بخجل وقالت بألم :_

"ألم تقرأ عن انتحار طالب الهندسة؟"

مط شفتيه بأسف وهو يدلك بين حاجبيه وقال :_

"نعم لقد قرأت الخبر"

شهقت بالبكاء رغما عنها فآلمه قلبه وهي تقول:_

"أنا أشعر به ،أعلم كيف يراودك اليأس ممن حولك
فتُظلم الدنيا بعينيك ولا ترى في الموت إلا الخلاص"

تجاهل دقات قلبه الثائرة من أجلها وهو يضبط نفسه قائلاً بهدوء:_

"هل تعتقدي لأني طبيب نفسي سأتعاطف مع المنتحر؟
أو سأؤيد حديثك أن معه حق
هكذا كل من تتكالب عليه مشاكل الحياة يذهب وينتحر
وهنا لن يكون خسر دنيته فقط بل وآخرته أيضاً "

"هل أنت ضد ما فعل؟"

"لن أخوض في حرمة ميت هو رحمه الله ذهب لخالقه عسى أن يغفر له لكني ضد رد فعل جميع الشباب على ما حدث معظمكم ثائر على المجتمع محللا الانتحار لأن الحياة قاسية ،بِحَمِيتَكُم هذه تُزينون الانتحار متناسيين أن قتل النفس كبيرة من الكبائر

أين الله من تفكيركم ، كل من أقبل على تلك الخطوة هو شخص ضعيف الأيمان لا شك

التشبث بحبل الله قوة بعد ضعف ونصر بعد هزيمة ،لكن للأسف تتناسون تلك النقطة"

"ولم لا يكون فعلها من الاكتئاب مثلاً"

"حسنا أيضاً ردي لن يكون عليه ردي سيكون عامة ،لا يوجد شخص يتكالب عليه الاكتئاب بين يوم وليلة لذا يجب أن يذهب لطبيب يساعده في الحال ولما وجد الطب النفسي إذا؟

إضافةً وسأظل أكررها لا خلاص من أي مرض نفسي بالجانب الطبي ودور الطبيب فقط

بل الدور الأقوى هو الجانب الروحاني واللجوء إلى الله والاستعانة به فهو خير معين

لا أجد شخص يصلي يا رنا إلا وفي كل تعثر كان له استقامة هذا في الصلاة فقط فماذا لو دعى وذكر وتصدق وصام فوالله أجزم أنه ربما لن يتعثر وإذا تعثر سيكون ابتلاء أوله ألم وضعف وآخره قوة ونعمة ..."

ابتسمت من حديثه المطمئن وسألته بقلق:_

"ماذا سيكون رد فعلك إذا أتت لك حالة تم إنقاذها من الانتحار"

"كل حالة ولها طريقة التعامل معها وثغراتها التي أدخل منها لأصل إليها "

سألته بوجل :_

"هل مرت عليك حالة مرضية من قبل كرِهت ما تقوم به"

قطب بين حاجبيه ثم ابتسم قائلاً

"لا إطلاقاً وإلا لما دخلت الطب النفسي من البداية ، قبل اختياري للتخصص كنت أعلم جيدا ما سأُقابله لذا يجب

أن أكون قدر قراري إنها نفوس بشر مسؤولية كبيرة على عاتقي وليس لعبة "

أومأت برأسها وقبل أن تتحدث رن هاتفها فاستأذنت منه ترد

وقد كان حمزة والذي ظهر على شاشة هاتفها الموضوع علي الطاولة أمامهم باسم :_

«حبيبي»

وبمكانه هو تصلب مصدوما من ذاك الشعور الحارق بداخله فور رؤيته الاسم

ما كل ذلك الضيق الذي انتابه ، ضرب من الجنون ما يفكر به هو أحب الصغيرة لا ينكر لكن لم تتعدى رؤيتها في عينيه عن رؤيته لهنا وغدي

ماذا حدث له بحق الله ؟!بالتأكيد خوفاً عليها فهو يرى كم هي رقيقة وبريئة

عادت إليه مبتسمة مشرقة مما جعل ذاك الشعور بالنار الكاوية تنهش أحشائه يتزايد بقوة فاستقام واقفا مبتسماً باهتزاز وهو يستأذن منها

وبمكانها ظلت تتابعه بعينيها ودقات قلبها تتبارى أيهما تغرق في حلاوته أكثر...

□ □ □ □

تنقل نظرها بين ابنتها وزوجها في ريبة ،منذ أن هاتفها حسن أنها بالمشفى وتريدها وأتى ليأخذها وهو يطمئنها باقتضاب حتى وصلت إليها وهي تقول أنها تزحلقت على السُلم سهواً لكنها لم تصدق كلمة وما يثير ريبتها أكثر هو صمت حسن الدائم على غير عادته

لقد كتموا فرحتها بخبر حمل صغيرتها بوجوههم تلك لكن ماذا عساها أن تقول والإثنين لا يعطونها فرصة بالحديث ولأول مرة تعجز حكمتها لكنها ستتخذ التروي علَ القادم خير ..

بعد خروج الطبيب بعد أن أذن لهم بالخروج مع أمر بالراحة التامة لها وعدم مغادرة الفراش والمحافظة على أدويتها وطعامها

رفعت عينيها إليهم قائلة:_

"حسنا لتأتوا عندي بالمنزل حتى تمر تلك الفترة على خير"

"لا"

قالها قاطعة بغضب لكنه عاد وتمالك نفسه بارتباك أمام تلك المرأة التي لم يرى منها إلا خيرا وقال :_

"أقصد ،أريدها أن تظل ببيتها وأنتِ إن لم تحملك الأرض سأحملك فوق رأسي"

ابتسمت والدتها بحنان قائلة :_

"لا حرمني الله منك يا ولدي، لكني لا أستطيع ترك بيتي تعلم "

تململ في وقفته لا يدري بما يرد لذا أعفته قائلة بسماحة وفطنة علَ الجليد يذوب

"حسنا يا بني خذني لها كل صباح حتى تعود من العمل"

أومأ برأسه باحترام مستحسنا الفكرة

وبمكانها تعالت دقات قلبها في ذعر فهي لم ترتاح أبداً لطلبه هذا .

تكتم بكاؤها بصعوبة أمام والدتها حتى لا تشعر بشيء ،تناجي عيناه بعينيها أن يتفهم لكنه يتهرب منها بإصرار ..

بعد ساعة

بعد أن أوصل والدتها للمنزل على وعد أن يأخذها صباحا لها

كان يحملها بين ذراعيه ووضعها على الفراش برفق ثم تحرك خارجا من الغرفة فاستوقفته هامسة برجاء ودموعها تجري على وجنتيها:_

"حسن"

تصلب مكانه في نفور ،وكأنه لا يريد أن يسمع صوتها سمعها تقول ببكاء:_

"حسن لقد فهمت الأمر خاطئ ،أقسم أن..."

" اخرسي"

قاطعها وهو يستدير لها والشرر يتطاير من بين عينيه قائلاً من بين أسنانه:_

"اخرسي لا أريد أن اسمع صوتك ، إذا كنتي تظنين أني جلبتك لبيتي بقاءاً عليكي إذا أنتِ واهمة

لولا حملك لكنتُ طلقتك في توها، لم أجلبك لبيتي إلا من أجل ما في بطنك

ستظلين هنا فقط الأشهر المتبقية وبعدها لا أنا ولا هو نريد أن نراك

شهقت باكية بألم من ما قاله وسألته بتحشرج:_

"هل ستحرمني من ابني يا حسن"

نظر لها بسخرية قائلاً بتهكم :_

"الآن ابنك ،بالأمس فقط كنتِ تسعين لعدم الإنجاب لما الآن تقولين على من لا نسب له ابنك"

أنهى حديثه وتركها وخرج من الغرفة

ظلت تبكي بقوة من حديثه ، يا الله فقط لو يسمعها لو يتفهم موقفها ،لو انتظر دقيقة واحدة كي تُكمِل حديثها مع رندا لم يكن حدث ما حدث

مسحت دموعها على دخوله المتجهم إلى الغرفة بيديه صنية موضوع عليها الطعام والأدوية

وضع ما بيده على الطاولة الصغيرة جوارها ثم مال إليها يساعدها على الاعتدال جالسة ووضع صنية الطعام على فخذيها قائلا بجمود:_

"تناولي طعامك كي تأخذي أدويتك "

ارتعشت شفتيها منذرة بنوبة بكاء أخرى واعتراض فقال:_

"ليس من أجلك بل من أجله، ألم تسمعي أوامر الطبيب"

أومأت برأسها وشرعت في تناول طعامها بلا شهية

وأمامها هو كانت عيناه تدور على ملامحها ،وتلك الكدمات الزرقاء بوجهها بندم، كيف فقد عقله هكذا بحق الله ،هل كل هذا من صنع يداه ؟

يا الله حقا لم يكن بوعيه لو كان لديه ذرة عقل لما فعل هذا فقط كان طلقها وتركها في حال سبيلها ،ليس هو من يُجبر امرأة على العيش معه خصوصاً بظروفه هو

رفع كفه ببطء يتلمس تلك الكدمات وسألها بتحشرج :_

"هل تؤلمك؟"

دمعت عيناها رغما عنها من حنانه الذي يكبله بقسوته الظاهرية وهزت رأسها نفيا فأعاد كفه جواره في توتر

ناولته الصينية فأخذها منها وضعها على الطاولة ثم أعطاها أدويتها

وبعد نصف ساعة كان يجاورها على الفراش بعدما أطمئن أو ظن أنها نامت

اتكأ على كفه برأسه شارداً حتى أخذته عينيه إلى بطنها حيث يوجد طفله

رفع عينيه إلى وجهها بتوتر ثم مد يديه المرتعشة ببطء أسفل كنزتها وتحرك قلبه تأثرا للبروز الطفيف في بطنها

، يا الله هل حقا سيكون أب بعد كل ما حدث إلا أن قلبه سعيد رغم مرارته

مال إليه هامساً له بارتعاش وكأنه أمامه:_

"هل تعلم أنني أحببتك منذ أن بشرني الطبيب بك ؟ ممم تعلم أظن بشارتك كانت إشارة الله لي بعدما حدث ألا أحزن وأنك ستكون عِوضاً لي عن كل شئ

دمعت عينه وأردف بألم :_

"أم تراك ستلومني حين تكبر وتفهم حقيقة والدك؟

لا تقلق حتى لو اضطررت أن أخذك خارج هذا البلد سأفعلها فقط من أجلك ، من أجل ألا أرى كسرة في عينيك أبدا فقط أرجوك ألا تخذلني"

أنهى حديثه لاثما بطنها في إجلال وكأنه يريد أن يتواصل معه من الآن

عاد إلى مكانه معطيا إياها ظهره ،فتركت لدموعها العنان وهي لا تدري كيف تصلح ما أفسدته

يبدوا أنها أجرمت في حقه ذنبٍ لن يُغفر

□ □ □

منذ ما حدث يوم مولدها وهو لم يذهب إلى منزلها مترقِباً لها مرة أخرى

لا يعلم لما ولكن ربما يشعر أنه سيجد ما يُسيئه

بعد أن سلم على بن عمه وتمنى له الشفاء تهرب من نظرات شهاب الملاحقة له وهو يستأذن منهم متعللاً بأمرٍ عاجل وتركهم وخرج مسرعا من المشفى بأكملها.

شهاب يفهمه من نظرة عينيه وهو لا طاقة عنده لأي حديث

سار هائما في طريقه واضعاً كفيه في جيبي سرواله ،تارة مستغفراً عله يُصرف ضيق نفسه وتارة شارِداً في كل ما جمعهم معاً

خرج من أفكاره على صوت هاتفه فأخرجه من جيب سرواله الخلفي واختض قلبه بين ضلوعه قلقاً وترقباً وهو يميز رقم والدتها أو ما كانت حماته يوماً

قبل قليل بمنزل روضة

تجلس مع زوجها تحدثه بروية محاولة إثناءه عن نواياه

"يا أبا روضة بالله عليك هل تدرك جيداً ما تقول ،يا رجل عدة ابنتك لم تنتهي بعد"

نظر إليها بنزق وهو يضرع الجرائد من يده وقال:_

"وهل وجدتني أسرعت وأخبرتها ، أنا فقط أخبرتك على ما أنوي لكن يبدو أنني أخطأت"

"لا أنت تُعمي قلبك وعينيك عن حالة ابنتك منذ طلاقها، هل تلك روضتنا الرقيقة ؟!

دمعت عيناها وأردفت :_

ألا ترى بعينيك ذبولها، وشرودها الدائم ،شحوب وجهها وكأن أحدهم مات "

هز رأسه بهم ثم أطرق بها دون أن يدري بما يرد

لكنها عادت تُلِح عليه قائلة:_

"رد علي يا عبدالله ،من أجل خاطرها،

زوجتها أنس والآن بعد أن أصبحت امرأة ناضجة ،تريد أن تجبرها على ابن أختك؟"

"أنا أريد مصلحتها لما لا تفهموني، أنس بالأخير رجل وليس هناك برجل يحب أن يظل طوال عمره مقطوع النسل .

إن صبر عام وحتى عشرة أعوام سيُدرك خطأه حين يخُط عليه الشيب ويجد نفسه وحده وسيسارع لفعلها قبل فوات الأوان وحينها لن يتضرر أحد غير ابنتك، لا أحد يفهم ابنتي غيري لو فعلها زوجها يوما ستموت الدقيقة التالية بعد معرفتها ،أنتِ لم تري شيئاً من انهيارها حين ذهبت إليها "

أنهى حديثه وخطوط الألم علي محياه أبلغ دليل على صدقه

حائر هو بين أمرين أبسطهما مر ولا أحد يدري أنه أكثر من يتمنى لها السعادة ،لو سيصرف كل ما وراءه وأمامه لعلاجها لفعل دون تردد لكنه نصيبها أن تكون عقيم

أما والدتها بعد أن أنهت نوبة بكاءها بعد حديثه قالت بتحشرج:_

"وهل ابن أختك هو الذي سيحافظ عليها؟"

"لقد كان يريدها قبل زواجها بالأساس والآن هو أرمل ولديه طفلين أي أنه لن يفكر في الزواج عليها ابدا "

"لكنها لا تحبه" قالتها بعناد

فأدار وجهة جانبا وهو يتناول الجريدة مرة أخرى وقال:_

"ليس كل شئ مبني على الحب ،المودة والاحترام والتفاهم أفضل من مئة حب"

لم تريد أن تجادله أكثر وتركت الغرفة له وخرجت تتفقد كبيرتها

سمت الله ودخلت عليها الغرفة وكحالها كل يوم ،أنوار الغرفة مغلقة ، تغطي نفسها من رأسها لأخمص قدميها،شهقات بكاؤها الخفيضة يسمعها قلبها قبل أذنيها ،ومن نور الهاتف تحت الغطاء أدركت أنها تشاهد ذكرياتهم معا

هزت رأسها بأسف وهي تغلق الباب خلفها بهم متمتمة

"أي زواج وابنته هائمة في الآخر "

ألقت نظرة حذرة على غرفتهم ثم توجهت ناحية الصالة
متناولة هاتفها عازمة على مُهاتفته

دقائق وكان صوته الهادئ يصلها متوتراً:_

"السلام عليكم"

"مرحب بني كيف حالك؟"

"بخير وهل رو....هل أنتم جميعاً بخير؟ "

"بخير لا تقلق كنت أود أن أحادثك في شئ يا أنس أعلم
أنه لا يصح بالهاتف لكنه وسيلتي الوحيدة"

وبمكانه جلس على أحد السلالم بالشارع وقال بهدوء مخالف لقرع دقات قلبه بين ضلوعه

"لا بأس خالتي ، أنا أستمع لكي "

راقبت الغرفة أمامها والبعيدة عنها في وجل وابتلعت ريقها وسألته برجاء:_

"أنس بني هل مازالت تريد ابنتي ؟"

"بالتأكيد يا أمي وهل تسألي"

قالها بلهفة أثلجت قلبها إضافة إلى لفظ أمي العفوي الخارج منه

أعادت خصلة شاردة من شعرها للوراء وقالت:_

"وهي يا أنس والله مازالت تريدك فقط هي خائفة بالله عليك بني لا تيأس منها والدها يريد تزويجها من ابن عمتها "

"ماذا"

قالها يغضب وهو يهب واقفاً مما جعلها تلطم وجهتها بخفة خوفا من تهوره وقالت برجاء:_

"يا بني اهدأ ولا تجعلني أندم على اتصالي بك ،روضة تحبك وتثق في حبك أيضا لكن لا أعلم إلى أين سيصل بها ضغط والدها ما أعلمه أنها ستموت بالثانية التي تُكتب فيها لغيرك.

أريدك أن تطمئنها وتلين رأسها في العودة لك دون أن تخاف قلب الأم بداخلي يثق في حبك لها "

دموعها وهي تتحدث كان صداها في عينيه وهو يتأوه في داخله اشتياقا لتلك الغبية

هل تظن والدتها أنه كان سيتركها ؟ أبدا ،لو أخرجوا روحه من جسده سيظل يلاحقها بأحلامها حتى

انتبه على صوت والدتها تناديه قائلة :_

"بني أنت بالتأكيد تعلم رامي بن أختي ،زفافه بعد أسبوعين وهو من المؤكد سيدعوك لصلة الصداقة بينكم وستكون فرصتك حينها "

لمعت عيناه وعقله يجلب له أفكار سريعة يربطها بما قالت والدتها وبالتأكيد مخالفة تماماً للهدوء والتروي كما تتمنى....

**

"أشعر أنني رغم إلتزامي منذ فترة قصيرة على الابتعاد عن الذنب ، إلا أنه يراودني في أفكاري ليس لفعله لكن خوفا من فعله أشعر وكأن شئ بداخلي يسخر مني قائلاً أنكِ ستقعين فيه مرة أخرى"

وعلى عكس توقعها أتاها رده كعادته في رسالة صوتية مستفسراً :_

"كم مرة في الفترة الماضية عدتي إلى الذنب؟"

امتقع وجهها وأرسلت له بدهشة تسأله :_

"كيف علمت أني عدت له دون أن أقول"

أتاها صوته مبتسما قائلا:_

"مازالتِ في مرحلة علاجك ،لا أنكر أنكِ في تطور لكن بالتأكيد يراودك الضعف لأنكي لم تُشفي تماماً"

"حسنا لقد فعلتها مرة الأسبوع الماضي ،لكني ندمت في فورها وأخذت أستغفر كثيرا"

"ممتاز"

"ممتاز هل تسخر مني؟!

وأيضاً أتاها صوته مبتسماً وقال :_

"أتعلمين أين تكمن مشكلتك ،مشكلتك تكمن في تسرعك ،أنكي تريدين أن تتعافي بين يوم وليلة ،لا أنكر أن ذلك شئ جيد يحثك على الالتزام لكن من الممكن أن تضجر نفسك منكي"

"حسنا ماذا أفعل ،أخاف من نفسي؟!"

"اصبري على نفسك يا فتاة ،رويداً رويداً ومهلا عليها حتى لا تشرد منكي

فقط لو نفهم أنفسنا جيدا لما تعِبنا هكذا "

"لا أفهمك"

"يعني أنه إذا قسى الإنسان على ذاته كما تفعلي ،طبيعي أن تعودي لنقطة الصفر ،كل ما زاد عن حده انقلب إلى ضده

حتى في ديننا نهانا الله عن الغلو في الدين "

أرسلت إليه سائلة باهتمام :_

"كيف؟!"

"النبي عليه الصلاة والسلام قال:_

" إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين

والله يقول سبحانه:_

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ »

" يعني لا تزيدوا يعني لا يزيد على ما شرع الله"

لم ترد عليه لبرهة ولا تعلم لما بكت ، لن تنكر أكثر من ذلك هي تحب شهاب بل تعلقت به كما لم تتعلق بأحدٍ من قبل ،ويجب أن تبتعد ،نعم ستواصل مسيرة علاجها معه هكذا من وراء الشاشة ،لكنها ستبتعد عن محيطه

انتبهت على علامة الاستفهام التي أرسلها فسألته بأمل:_

"هل تظن أنني اقتربت من الشفاء تماماً؟

وأتاها صوته الحنون قائلاً:_

"نعم بالتأكيد فقط الفترة القادمة أريد منكي أن تدخلي مع ذاتك لمدة شهر في تحدي ألا تقتربي من ذنبك أبداً ، وكلما راودتك الفكرة ،اشغلي نفسك بأخرى إيجابية وانتقلي من مكانك على الفور ،اهربي منها تارة واصمدي أمامها تارة وأخيراً نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ،

أي أنه ليس أنتِ فقط من يذنب بل جميعا وكل من التهي عن ذكر الله وقع في الأخطاء والمعاصي ، صلاتك ثم صلاتك ، ورد من القرآن فهو خير شفاء ،واشغلي لسانك بالذكر دوما ودائما قوي قلبك وجددي إيمانك بلا إله إلا الله فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :_

"جددوا ايمانكم بلا إله إلا الله".....

* * * *

يقولون

"سلامًا لمن طرقَ الباب فوجدهُ مغلقًا، فعذرَ و أمْهل و صَبر و رابط و أبَى الانصراف و مكَث غير بعيد يتحيّن فرصةً .. و يترصّد ثغرة .. حتى رأى نصفَ انفراجه فانتهزها، وجاز و عَبر و مَر إلى قُلوبنا .. فأثَار و منَح و طَبطبَ و أحْيا و أعَان و عوّض و احتوى.."

صعد السلالم جريا دون صوت حتى لا تُدِركه والدته

ابتلع ريقه بصعوبة وتعالت دقات قلبه مترددا وهو يفتح باب شقته

دخل وأغلق الباب خلفه دون صوت ثم اتكأ عليه مُغمِضاً عينيه في ألم ، هو لا يدري كيف لجم نفسه الفترة الماضية بعد هاتف والدتها له وما أخبرته به ،يا الله ،لم يذق للنوم طعم من يومها وكأنه نائما على أشواك كلما يتخيل فقط فكرة أن والدها يريد تزويجها لأحدهم ،بحق الله كيف يفكر هذا الرجل كيف ؟

فتح عينيه يدور بها في أنحاء الشقة باشتياق منبعه لها وفقط

يا الله لم يدخل الشقة منذ أن اكتشف أنها غادرتها

لم تكن شقة زوجية كالجميع لا بل كانت كبساط حريري يضمهم سوياً بدفء... ليته أخبرها أن العيب منه ليتها لم تعلم عن عقمها شئ

استدرك نفسه وهو ينظر في ساعته وتقدم من غرفتهم سريعاً مُلجِما أشواقه لذكرياتهم الدافئة التي جمعتهم هنا سوياً .

أخذ حماما سريعا ثم ارتدي بذلة كلاسيكية أنيقة دون رابطة عنق فاتحا أول زرين من قميصه ، صفف شعره ثم نثر من عطرها المفضل الذي جلبته هدية له احدى المرات ...

بعد ساعة كان يصف سيارته بمرآب الفندق المقام به الزفاف

نزل من السيارة وأغلقها ثم تقدم من القاعة بتوتر خائفا أن يرى ما لا يسره

سلم على بعض مِن الذين قابلوه وعينيه تدور بحثاً عنها حتى أدركها قلبه ببهائها

ترتدي فستان من اللون الأزرق الداكن ،منثورة عليه نجوم لامعة باللون الفضي وحجاب ممزوج باللونين أضفى إليه بهائها جمال

تقف أمامها صغيرة تحدثها لكنه لم يتعرف عليها من جانب وجهها المخفي بشعرها

لمعت عيناه بالغضب وهو يدرك جيداً من تلك الطفلة بعد تقدم ذلك اللزج أكرم بن عمتها ووقوفه معها

أخرج هاتفه سريعا مرسلا رسالة إلى والدتها بعد أن رآها وابتسم لها بعينيه

فحص المكان سريعا ولم يجد سوى الشرفة الخارجية بالناحية الخلفية لقاعة الزفاف نظرا لتصميمها المغلق مما يضفي عليها الخصوصية

أشار للنادل أمامه وهمس له في أذنه بضع كلمات فأومأ النادل برأسه في احترام

وتحرك هو خارجا من القاعة كي يدخل إلى الشرفة من الجهة الأخرى دون أن يراه أحد

ومكانها هي أتى إليها النادل قائلا بتهذيب:_

"آنسة سهى تنتظرك بالخارج "

قطبت بين حاجبيها وسألته :_

"سهى أين هي؟"

رفع عينيه لذلك الرجل جوارها المتابع لحديثهم ثم قال مشيرا بيده:_

"تفضلي معي سأُوصلك لها "

أومأت برأسها فاستوقفها أكرم قائلاً:_

"هل آتي معك؟"

"لا يا أكرم أين تأتي ،بالتأكيد سهى تريدني وحدها "

أومأ برأسه فاستأذنت منه وذهبت .... أشار لها إلى الشرفة قائلا:_

"تفضلي هي تنتظرك هنا"

قالها وانصرف مسرعا فنظرت له بريبة وهي تشعر بثمة شيء خاطئ

دخلت الشرفة ببطء تدور بعينيها فيها قائلة بدهشة :_

"سهى أين أنتِ؟!"

ومجرد أن التفتت اصطدمت به وتسمرت ودقات قلبها تتبارى مع عينيها في اشتياقهم له

يا الله منذ أن طلقها وخرج مسرعا لم تراه ،اقتربت منه لا إراديا وكأنها تهم باحتضانه لكنها تداركت نفسها سريعا وطفرت الدموع في عينيها وهي تدرك أنه لم يعد يحل لها

أخذها من ذراعها في زاوية مظلمة بعض الشيء هامسا بغضب:_

"كيف تقفين معه هكذا؟"

لمعت عيناها بالحيرة لكنه أردف بغضب:_

"اليوم تقفين معه وبالأمس القريب تبتسمين له هل نسيتي هكذا بسهولة "

وحديثه حارق ،غاضب ،سيوف الغيرة تنهشه نهشاً وهي ببراءتها هذه لا تساعده أبداً بل تجعله يرغب في شئ واحد لا غيره

سمع همسها الحائر وقد أدركت أنه يتحدث عن أكرم:_

"متى ابتسمت له ؟"

تجاهل حديثها متذكرا ما قالته والدتها له فأردف بغضب :_

"هل هو الفرصة المناسبة ها؟! حب قديم، أرمل ولديه طفلين ولن يفكر بالزواج عليكي لكن الخائن أنس سيفعلها"

هزت رأسها نفيا ودموعها تجري على وجنتيها وقالت :_

"من قال لك هذا الكلام "

"هل تتعامين؟ أم لعل الأمر يأتي على هواكِ "

لم تستطع سوى أن تنفجر باكية وهي تدفن رأسها على صدره متشبثة بيديها الصغيرتين بقميصه وهي تهز رأسها نفيا بقوة

"يا الله يا الله"

قالها يغضب وهو يضرب بقبضته في الحائط عدة مرات ثم ضمها بين ذراعيه بقوة هامسا بحرارة:_

"يا الله كيف أنتِ غبية هكذا، بل كيف كنت أنا غبي واستمعت إليك ولبيت طلبك ، اشتقت إليك يا روضتي ،اشتقتك حبيبتي "

رفع وجهها بين كفيه يمسح دموعها بحنان هامساً بحرارة :_

"هل تظني أني سأتوقف عن حبك يوما ، أني قد أزهد الركض ورائك بل أن هناك شئ بالدنيا سيمنعني عنكي؟"

وابتسامة مرتجفة ظهرت على شفتيها رغما عنها وسحر اللحظة يُكللهم فمال إليها بحب مغمضا عينيه يدلل

ابتسامتها بطريقته، مرتويا بأنفاسها التي اشتاقها حد الظمأ

لكنها انتفضت بين ذراعيه بعد دقائق من العاطفة التي لفتهم على صوت حاد قوي قائلاً بسخرية:_

"هل هذه سهى صديقتك؟".....

الفصل الثامن عشر

واللعنة على أخيها ،لن ينتظره ،،يجب أن يراها هي ،لكن عقله لا يهبه من أين الطريق ؟؟،

حسنا هو أخطأ ويفهم جيداً أن علي يأخذ بثأرها منه وهو لا يمانع لكن يريدها جواره

ضرب بقبضته في الحائط وهو يسب همساً هؤلاء الخطاب المُقدمين عليها تلك الفترة ،هل انكشفت لهم قطعة الحلوى الآن أم لعله موسم تزاوج

رفع هاتفه يهاتف ذلك التيس بن خالته والذي فتح الخط بعد رنتين قائلاً بنزق:_

"وائل هل ستظل هكذا ورائي باتصالاتك التي لا تفرغ كل يوم .

حل عني يا أخي لقد أصبحت كاللقمة في الزور بالله عليك"

"علي أنا أصبر عليك ،لكني لن أصبر كثيراً أريد أن أقابل أختك والتي أصبحت تتوارى عني حتى لم تعد تجلب ابنتها من الروضة وتقوم أنت بالمهمة بدلا منها"

سمع علي يرد عليه ساخراً مُرَقِقاً صوته بسماجة :_

"آه يا وائل يا حبيبي هل تراقبني ؟ لم أكن أعلم أنك تتلصص ورائي كل يوم وأنا أجلب ابنتك من الروضة "

"كف عن سماجتك يا على ولا تختبر صبري"

وببرود وعنجهية على الجانب الآخر كان علي يعتدل في جلسته متلذذاً بتربية الثور بن خالته ورد عليه ببرود قائلاً:_

"لا إله إلا اللهِ تصبر بالأساس يا وائل ،لا يوجد شئ تصبر عليه، تريد الزواج فلتتزوج من منعك ، حسنا لتعرف أني أحبك سآتي معك أيضاً وأنت تخطب "

"علي لا تُثر غضبي أكثر من ذلك أنت تعرف مقصدي"

وبنبرة قاطعة وحمية ذكورية لأخته كان علي يرد عليه قائلاً:_

"اسمع يا وائل أنت تظن أني أفعل ذلك تعزيزا لرؤى لكن هي عزيزة بالفعل لذا أقول لك أنسى رؤى لن تُطال ظفرها"

"لا أريد أن أفعل شئ من ورائك يا علي ،لذا لا تلم إلا نفسك"

"ليس من المهم ألا تفعل من ورائي فأنا واثق من رؤى ورأيها يا وائل تنهد ثم أردف بسخرية مقصودة:_

المهم ألا تكون تفعلها من وراء خالتي وإلا ستحزن منك كثيرا ، أنت تعلم"

"لا تتجاوز حدودك"

قالها وائل غاضبا وهو يشعر أن البساط يُسحب من تحت قدميه ببطء"

فرد عليه علي قائلاً بجمود:_

"لم أتجاوز يا وائل وأنت تعلم بالنهاية أمك أخت والدتي لكني أضع أمام عينيك الحقيقة وهو عدم موافقة خالتي على زواجك من ابنة أختها لحالتنا المادية السيئة حينها وأيضاً نحن بنظرها لسنا قدر المقام "

"لا تقل هذا "

قالها وائل بتوتر فقطاعة علي قائلا بعزة :_

"قد نكون يا وائل لا نمتلك أموال وممتلكات كثيرة مثلكم لكن عندنا ما هو أكثر وأحمد الله الذي كرمني بزوجتي وأهلها رغم غناهم إلا أنهم يروني خير الرجال حتى قبل أن تتحسن حالتي المادية "

صمت الآخر وأنفاسه المتوترة جعلته يبتسم بينه وبين نفسه مقررا أن يرمي كرته الأخيرة قائلا بهدوء:_

"صحيح يا وائل نسيت أن أخبرك ، أن ابن الفيومي بالتأكيد تعلمه فليس هناك أحد بالبلد لا يعلمه ، في حفل روضة ابنتك فريدة وتعلم بالطبع أن الروضة ملكه وقد كان مدعو للحفل لقد رأى رؤى وتقدم لها "

"ماذا ، إياك يا علي لا تلعب معي بالنار "

قالها منتفضا بغضب

لكن علي كان أغلق بوجهه متمتما بسلام سريع وتركه لاحتراقه ولم يعطه حتى الفرصة للرد.....

****

التفت بحدة على صوت أكرم الساخر، لكنه حافظ على جمود وجهه وهو يُهدئ من انتفاضتها بأن ضمها أسفل ذراعه بحمية يواجهه بقوة بعد أن انتوى شئ في اللحظة بينه وبين الله

زاد من ضم ارتجافها له قائلا بجمود:_

"وما دخلك أنت؟"

"ابنة خالي ومن حقي أن أحميها وأحافظ عليها ، ألا ترى أنك تتعدى حُرماتنا "

والنبرة باردة ،مستفزة لأقصى حد وبالأخص انتهاك الحرمات قاصدا بها كلمة خاله حين عاد ووجده مع ابنته

في البيت لكن ليس عليه وليس بعد ما انتوى فعله وخطط له لأيام

لذا رفع أحد حاجبيه بتهكم قائلا ببرود:_

"ألا ترى أنك درامي بعض الشيء بشمهندس أكرم ؟"

حك ذقنه بكسل ثم أردف ببرود :_

"انتهاك الحرمات ليس لصاحبيها ؟"

"صاحبيها؟"

قالها أكرم بتوتر مستفسراً ،فابتسم أنس ببرود قائلاً :_

"آه ألا تعلم أني قد رددت روضة إلى عصمتي؟!"

وما لاقاه

شهقة أنثوية ناعمة حركت قلبه بين أضلعه وهى ترفع عينيها له في اضطراب ،لكن عينيه هو كانتا مع الآخر الغاضب الذي هتف بحدة :_

"ماذا؟ كيف تفعل هذا!"

"ماذا يحدث هنا؟ وأنت ماذا تفعل هنا وكيف تمسك ابنتي هكذا ،انزع يدك عنها"

و النبرة الغاضبة المقاطعة لحديثه لم تكن سوى لحماه المبجل

وكي يكتمل الطين بلةً ذاك المتحذلق أكرم الذي التفت لخاله قائلا بغضب:_

"يا خالي كيف ردها إلى عصمته دون أن تعلم أنت؟"

"ماذا ؟ ما هذا الهراء"

والنبرة خائفة متوترة وهذا جل ما يريد

اقترب منه وهو يضغط بيده على ظهرها برفق يحثها على التقدم معه دون أن تخاف ثم وقف أمام الرجل قائلاً بقوة:_

"عمي ألم تفكر أن طلاقنا كان طلاق رجعي، هل ظننت أني سأتركها حقاً ؟!

مممم صحيح لقد جئت اليوم لأُعلِن ردي لها أمام الجميع "

"كيف يعني ومن سيسمح لك"

"نفس الذي سمح لك تستغل قدومي لمنزلك في عدم وجودك وتجمع العائلتين لتُجبرني على طلاقها"

بكت ودموعها شطرت قلبين ،قلبٍ اشتاقها حد الموت ،والآخر أحق بحبها فهي فلذة كبده أحبها قبل أن يراها حتى ...

تنهد الرجل بهم وقال بمهادنة:_

"يا ابني أنت لم تكابر ؟ اندفاعك هذا ما وراءه شبابك وحديثي إدراكاً لما بعد ،وقت أن تحتاج لمن يشدد عضُدك وحينها لن ترى أمام عينيك إلا الن لك من صلبك"

لم تهتز حدقتيه بل لم يتوتر حتى فقط اكتفي بضمها إليه بحنان يخفف وقع الحديث عليها ثم أخرج ورقة من جيب سرواله مد بها يده للرجل وقال :_

"هذا شيك على بياض ،كل ما يمكن أن اقدمه لك ضمان ،بإمكانك أن تضع به رقم يجعلني اليوم التالي أقضي بقية عمري بالسجن "

قاطعه الرجل متهكماً:_

"وهل سأعيش لها طوال العمر؟ "

ابتسم أنس بسخرية من الرجل ثم قال:_

"أعلم أنك تقول أنها لن تفعلها إذ لم يفعلها أحد غيرها ، صمت دقيقة ثم التفت ناحية أكرم الصامت وقال بسخرية :_

"بإمكانك أن تدعه مع البشمهندس أكرم سيقوم بالواجب وأكثر "

وضع الشيك بقبضة الرجل ثم قال:_

"والآن أستأذنك يا عمي ، سأعلن عودتنا بزفاف صديقي"

سحبها من كفها وراءه وهو يعلم أنها لا تشعر بشيء الآن سوى الضياع لكن حسنا هو لا يريد أكثر من ذلك حتى يأخذها ويذهب من هنا على الأقل

صعد على المنصة وهي جواره ،آخِذاً الميكرفون ينبه الحضور له ثم قال:_

"بالأمس أخذوا روحي مني، لكني اليوم رددتها لي ، أعلن أمامكم الآن خبر عودتي لروضة عبدالله بعد موافقة والدها "

تعالت تصفيقات الحضور والتهليل ودمعت عين والدتها وهي تحمد الله سرا مقدرة صنيع أنس وبالأخص تأكيده على موافقة والدها أمامهم تعلم أنها لنيتين ظاهرها أنه قدر الرجل أمام الناس وباطنها فهو يرد له ما فعله معه لكن ليس بالمهم ابنتها ستزهر معه وفقط

أعلن منسق الأغاني عن رقصة هدية ومباركة لهم مع العروسين ،فاحتوى خصرها بين ذراعيه ورفع ذراعيها حول عنقه بادئا رقصتهم آسرا عينيها بحديث عينيه العاتب

وهي ضائعة وذائبة ،لا تصدق الآن ما حدث وكأن أحدهم ضربها بِمِطرقه على رأسها فلا تستطيع الاتزان ،وذائبة في مرايا عينيه اللتين تحتضنان عينيها بشعاعين أحدهما ينكسر عاتباً والآخر ينعكس مشتاقاً

أنفاسه الدافئة حول وجهها تحتويها إلى ما لانهاية من الدفء الذي سيُكللها مدى الحياة

انتهت من أفكارها على صوت التصفيق والتهليلات العالية وقد غطت طلتهم الأسرة على الزفاف الأصلي

بعد نصف ساعة كانت تجاوره في السيارة بعد أن سلمت على أهلها وما آلمها نظرة والدها الحزينة لقد أجبره أنس فعليا على ما حدث مستغلا الزفاف وحضور عائلتها نظراً لقرابة والدتها مع والدها

لكن ما لفت انتباهها هو ابتسامة والدتها لأنس الذي قبل رأسها في امتنان

التفتت إليه تتأمل ملامحه التي اشتاقت لها لكنها تقلق من مواجهة والدته كيف ستقابلها المرأة بعدما حدث ،هل ستعايرها بنقصها أم ماذا؟

أسبلت أهدابها على يده الدافئة التي احتوت كفها في حنان على عكس جمود وجهه وهو يقول دون أن ينظر لها وكأنه شعر بقلقها:_

"لو انتبهتِ للطريق جيدا ستدركين ، أنه ليس طريق بيتنا "

****

تقف معه بمطبخ شقته تصنع لها بعض الشطائر بالإضافة إلى مشروبين ،كوب من القهوة لها وآخر لبن أضافت له كيس من الفانيليا بعد أن حلته بالعسل كما يحب شهاب تماماً

ناولته كوبه وهو متكأ على حائط المطبخ ذو النظام الأمريكي من الخارج ،وضعت شطائرها وكوبها وجلبت كرسي عالٍ من كراسي المطبخ وجلست عليه في الداخل تواجهه في الإطار الدائري المفتوح

ابتسم وهو يرى التهامها العاطفي للشطائر وقال:_

"حسنا الجميلة تذكرتني وأتت لتتناول طعامها عندي أم ماذا؟"

"أنا غاضبة منك يا شهاب لا تتحدث معي"

ضحك من نبرتها الحادة ثم قال بمشاكسة :_

"لا أعلم من الذي انشغل عن الآخر بحق الله ،يا فتاة منذ أن خُطِبتي و عقد قرانك وأنا أكاد أراكي"

"خطبة سوداء" قالتها بحنق وهي تتأفف ،،فنهرها بلطف قائلاً :_

"لا تقولي ذلك مرة أخرى ولو من باب الضجر والفضفضة يا غدي وبالأخص أنه ليس بيننا الآن"

تأففت بضيق وقالت:_

"ما تقول عنه ذلك الآن ، أقسم لو علم أني معك هنا بشقتك وأنت عمي أقسم سيأتي جريا ناصبا المولد النبوي هنا"

ابتسم شهاب رغما عنه بتسلية، فابنة أخيه العنيدة نارية الطباع ويحفظها ويبدو أن ذاك العمر بغيرته التي تتحدث عنها يتعارض مع طبيعتها الثورية لكن يبدو أن الأقطاب المختلفة تتجاذب كما يقولون

لذا ابتسم باتزان وقال:_

"حسنا ،ماذا حدث لكل ذلك "

صمتت قليلا تحاول أن تزين حديثها لشهاب وبالتأكيد لن تقص عليه إلا ما قصته مع عمر فلو علم شهاب سيتخذ صف عمر ويزيد عليه ،لكنه عملها وتحبه لما لا يفهمون !؟

استجمعت شجاعتها وبدأت تقص عليه كل شئ متذكرة ما حدث بعد عقد قرانهم وحديثه العابر لها عن تغيير إطار ملابسها ثم انتهاء الموضوع بشجارهم يتبعه زيارة أكمل البدوي إلى مكتبها ناصِحاً لها أن تترك القضية ومن ثم معرفة عمر وشجارهم الأخير والذي بدأ بأن قصت عليه زيارة أكمل البدوي لمكتبها والذي مجرد أن سمع عمر اسمه فيه هب واقفا بغضب يقول:_

" أكمل البدوي ؟! وما دخلك أنتِ بأكمل البدوي وأعماله يا غدي ؟"

ردت عليه ببرود حتي لا تفقد أعصابها:_

"أكمل يكون محامي خصم موكلي يا عمر "

"يا الله هل تبحثين عن المشاكل بيديكِ ؟ ما الذي يجعلك تدخلين بقضايا مشابهة لقضايا أكمل بالأساس "

"أنا محامية يا سيادة الضابط ومن واجبي أن أقف جوار المظلوم ،لقد تعدى موكل البدوي على أرض موكلي ظلما وعدوانا فكيف ألا أساعده"

"لا ضابط ولا غيره أنا هنا زوجك ، مرافعات المحكمة التي تقوليها الآن هناك أمام القاضي وليس هنا "

والنبرة غاضبة ،فاقداً لأعصابه، يا الله من بين كل البشر لم تجد سوى بن البدوي وتّعاديه ،لقد تسلم بالأمس فقط ملفة للبحث وراءه نظرا لتلك القضايا المشبوهة المعلقة باسمه وذاك السلك القذر المشتبه أنه رئيسه ستكون كارثه بحق الله

التفت إليها وهي تقول:_

"عمر لقد تقدمت لي وتعرف عملي جيدا لذا لا يحق لك أن تتدخل به بأي وجه من الأوجه"

"يا الله يا الله ، أنتِ لستِ قدره ،لستِ قدره أبداً ،هذا الرجل قادر على أن يجعلك وراء الشمس دون ذرة مبالغة"

هدر فيها بحديثه بغضب فانكمشت على نفسها رغما عنها من لمعة عينية الغاضبة وذاك العرق النافر بجبينه ،لكنها استعادت اتزانها سريعا وقالت بقوة :_

"ليس هناك قدرٍ وغيره أمام الحق يا عمر وأنا لن أترك القضية ماذا قلت "

"قلت سأحدث والدك بشأن الزفاف"

قالها وخرج مسرعا تاركا إياها تنظر في أثره متسعة العينين وكأنها تنظر إلى معتوه ، أي زفاف يتحدث عنه وهم كانوا يتشاجروا للتو .!!

أنهت سرد أحداثها لشهاب وأردفت بغضب:_

"لم يهاتفني ولم أرى وجهه من يومها"

"معه حق"

قالها شهاب ببساطة وهو يضع الكوب الفارغ جانبا

"ماذا؟! كيف تقول هذا يا شهاب"

"من حديثك الآن ومحادثاتنا القليلة من قبل كل ما استشفيته أنكي تجابهيه يا غدي في كل شئ وهذا خطأ "

"وهل تريدني أن أكون خاضعة له؟"

"ولما تُسميه خضوع ؟! يجب أن تُكبِلي طبيعتك الثورية في التعامل معه ولا تنسي بالأخير أنه رجل وزوجك وأنه هو الآخر شخصيته قوية"

"وهل لأنه شخصيته قوية يتجبر علي؟"

نظر لها بتأنيب وقال:_

"ليس تجبر يا غدي وأنتِ تعلمي وبما أنكي أتيتِ هنا ولم تكتفي بالهاتف إذا تريدين النصيحة لذا فاسمعي وإلا لنُغلِق الموضوع أفضل"

أطرقت برأسها لدقائق ثم قالت بهدوء:_

"لم لا تفهمني يا شهاب هو دائما كل شئ عنده بالأمر ،حتى لا يتفاهم معي ،إما افعلي أو لا تفعلي"

"الخطأ خطأك دائما تعندين بكل شئ أمامه وأي رجل يكره العند أم لعلكِ كنتِ تريدين رجل تُسيريه أنتِ"

تنهدت غدي تقنعه:_

"وملابسي يا شهاب ،هو تقدم لي هكذا ما حكاية تغييرها تلك أليست هذه تحكمات؟"

"ولم تأخذيها على أنها تحكمات يا ابنة الحلال، ما بالك يا فتاة هل تبحثين له عن غلطة؟"

"ليس هذا ،لكن ما بها ملابسي "

احمرت أذنيه خجلا هو يفهم عمر جيدا لكن كيف يفهم تلك الغبية ابنة أخيه .

صمت دقائق ثم لف داخلا إلى المطبخ متناولا الكوبين وبدأ بغسلهم وهو يتحدث قائلاً برزانة وخجل فطري:_

"غدي عمر يغار ، بالتأكيد تدركين أنكي جميلة ،وليس بالجمال العادي تبارك الله ،لقد أخذتي جمال جدتك ،والدتي وأنا عاصرت غيرة جدك عليها جيدا ما بالك رجل ومن هذا الجيل،،هذا إضافةً أن زيك غير شرعي بالمرة"

لوت شفتيها متمتمة بنزق:_

"تفكير ذكوري بحت"

ابتسم وأخذها من يدها خارجا من المطبخ وجلسوا بغرفة المعيشة ،تنهد بهدوء وقال:_

"غدي أنتِ من بدأت أسلوب العند معه، هو بالأول طلب وبالحسني لكنكِ جابهتيه عنداً وهذا يستفز أي رجل ،كما أنه يخاف عليكي من الدخول في مشاكل مع رجل لستِ قدره كما قال.

وأنا أؤيده الرأي ،ولن أسمح لكي أبداً أن تضري نفسك ،ليس لأننا أصدقاء سأترك لكي الحبل على الغارب كما يقولون ،والدك يطمئن عليكي لأن أسرارك معي،لذا لا تجعليني أُجبرك على شئ "

زمت شفتيها بحنق في حديثه فأردف بحزم:_

"لن أتدخل في أسرار عمل يا غدي ،لكن طالما عمر يعرف الرجل إذا هو أحق بالحديث والتفاهم معه كما أنه زوجك ، أخلقي سياسة الحوار من الآن بينكم ،تفاهمي معه وأما يقنعك أو تقنعيه وبالحق يا أستاذة وليس بالعناد"

"ولم يتدخل في عملي بالأساس" قالتها بإصرار

زفر بضجر وهو يرمي عليها الوسادة وقال:_

"تخلي عن عنادك هذا أمامه ،وافهمي هذا ليس تقليلاً منكي هو لا يتدخل هو يحافظ عليكي "

رفع حاجبيه ضاربا كفيه ببعضهم وقال بتعجب:_

"لا أعلم أي أنوثة تلك حين تكوني لرجلك الند بالند في كل شئ وبالخطأ أيضاً"

فعلت كما فعل وقالت :_

"ألست أنت من توصيني دائما أن أكون قوية ، وأن أحافظ على قوتي واعتزازي بذاتي"

أومأ برأسه وقال :_

" افصلي !

فالحياة الزوجية شئ آخر قد تظنين أن الرجل يحب المرأة القوية هذا صحيح لكن ليس كما تفهمون"

قطبت بين حاجبيها سائلة:_

"كيف؟!"

"الرجل يحب المرأة القوية في غيابه قوتها في حفظ نفسها وعرضها ،في حفظ بيتهم وأولادهم ،في حفظ اسمه وشرفه،،هنا تكون المرأة بمئة رجل ، لكن ليس في وجوده يا غدي"

"حسنا وأنا قوية"

هز رأسه بيأس وابتسم قائلا:_

"يا فتاة أنا لا أمدحك أنا أوجهك كيف تُروضين قوتك ومتى،، تلك الشعارات التي يهتفون بها أن المرأة بمئة رجل وأنها لا يجب أن تعتمد على الرجل وإلى آخره من ذلك لا تصلح للحياة الزوجية "

"لكن يا شهاب هناك الكثير من البيوت المفتوحة بسبب المرأة وقوتها تلك"

"لقد قلت الرجال وليس أشباههم يا غدي"

أومأت برأسها في تفهم فأردف :_

"الرجل يحب المرأة ضعيفة يا غدي تشعره بقوته ،القوية من أجله وليس عليه، التي تُوكِل إليه كل الصعاب، تخاف في عدم وجوده، وتتلمس الأمان فيه ،ولما الرجال قوامون على النساء إذا؟

تظنين لأنهم أفضل منهم لا بل لأنهم قائمين على شؤونهم وأن الرجل هو المسؤول عن المرأة ،وعمر اعلمي متى تخضعين له ومتى تجابهيه،متى توافقيه الرأي ومتى تناقشيه ؟

هكذا تكون الحياة السوية ليس بكثرة النقار والعناد "

نقر بسبابته على رأسها قائلاً:_

"استخدمي هذا المخ الذكي في التعامل معه، أتركي له قلبك طالما يحافظ على كرامتك ، ويشهد الله أني لا أرى فيه إلا رجلا يريد الحفاظ عليكي "

ابتسمت باقتناع فتنهد براحة وضمها إليه مقبلا رأسها ثم قال بمشاكسة:_

"بلسانين وتغرقين بشبر مياه "....

***

نظرت إلى ظهره الذي يوليها إياه وهو نائما على الأريكة فمن اليوم التالي لعودتها من المشفى لم يجاورها في الفراش أبداً ،يهتم بأدويتها وطعامها ويعاملها معاملة باردة قاسية إلى أقصى حد تحاول أن تشرح له فيصدها ، أن تحدثه فيبتعد عنها

ماذا تفعل ليغفر؟! فقط ماذا تفعل !!

حتى والدتها لا تستطيع أن تقص عليها ما حدث فهي تخاف من ردة فعله إذا علمت والدتها وتخاف من والدتها أيضاً فهي ستتفهمها لكنها ستغضب منها أيضاً..

شهقت باكية بحزن وهرمونات حملها تتآمر عليها مع حالة الحزن التي تمر بها فلا يجلبان لها سوى البكاء

رفعت رأسها على صوته الحاد هامساً بخشونة:_

"لماذا تبكي ؟!"

"أنا لا أبكي" قالتها بعند وهي تدفن رأسها بين ركبتيها وتزداد وتيرة شهقاتها "

فقال بحدة :_

"كفى عن تصرفات الأطفال تلك ،لقد حذر الطبيب من سوء حالتك النفسية"

كتمت شهقة كادت أن تنفلت منها وهي ترمقه بلوم إلا أنه صد عنها قائلا بتوتر :_

"سأذهب لأُحضِر لكي الطعام "

دخل إلى المطبخ الصغير بالشقة ،وأشعل الموقد على القدر ثم جلس أمامه شاردا.

ضيق شديد منتشر في نفسه، لأول مرة يشعر بكل هذا السواد منتشر بروحه ،حتى عندما رفضه والد نهى لم يكن هكذا ،نعم صحيح لقد تألم لكنه عاد وتأقلم على

الوضع كما عود نفسه، لكن ضربتها هي كانت قاضية ولم يتوقها لقد ثمِل في حبها متغافلاً أنها جُبرت جبرا على ظروفه وزواجها منه فلم يفيق إلا على صفعة أعادت عقله لبرمجته الصحيحة..

قام من مكانه وأغلق الموقد ثم سكب الطعام ووضعه بصينيه متوسطة وأخذه إليها

زفر بحنق وهو يجدها تبكي ،فبكاؤها هذا يؤلم قلبه رغما عنه فيجعله يريد أن يزرعها بين أحضانه يخفف عنها يواسيها عنه وعنها لكنه يعود ويتذكر حقيقته فيزهد كل شئ

وضع الطعام على الطاولة الصغيرة بجانب الفراش وجلب أدويتها ثم قال آمِراً:_

"هيا تناولي طعامك"

"لا أريد ، أنا لست جائعة ،ولا أحب ذلك الطعام"

"كفى دلالاً، قلت لكي مئة مرة لا أفعل من أجلك بل من أجله لو عليكي أنا لا أريد أن أرى وجهك"

ارتجفت بخوف من نبرته الغاضبة وصوته العالي وهو يجلس فعضت على شفتيها بألم تكتم بكائها

وبارتعاش مدت يدها للطعام ، معلقة والثانية ،تدسه دسا وهي تشعر أنه مر علقم ينزل معدتها فيقلبها رأساً على عقب لم تستطع حتى أن تتناول الثالثة وهي تهب من الفراش سريعا ونوبة غثيان عنيفة فاجأتها

شدها من ذراعها بحدة قائلا :_

"إلى أين أنتِ ذاهبة، قلت لكي كفي دلال الأطفال هذا"

دمعت عينيها تحاول أن تخلص نفسها منه بسرعة وقبل أن ترد عليه رغما عنها وقد اشتدت نوبة الغثيان فتقيأت كل ما بأحشائها وتجمد المشهد

اتسعت عينيه وكأنه لا يفهم ما حدث، هو كان يحدثها وفجأة رأسها انحنى تشهق بقوة وثمة شئ ساخن على ذراعه امتد إلى كف رجله ثم افترش الأرض أسفلهم

نفض رأسه بقوة وهو يلحظ وجهها الشاحب وعينيها المرهقتين فسأل ببلاهة وتوتر:_

"ماذا حدث؟! هل تقيأتي علي لتوك أم يُهئ إلي"

ومرة أخرى تتسع عينيه وهو يجدها تجلس على الأرض بإنهاك ،منفجرة في نوبة بكاء عنيفة وهي تقول بضعف بين شهقاتها:_

"أنا أريد أمي ، لا أريد أن أظل هنا"

أشفق عليها وهو يستوعب للتو ما حدث ،فمد لها كف يديه قائلا بهدوء:_

"ملك انهضي تعالي معي"

هزت رأسها نفيا بقوة ،فتنهد بصبر وهو يقترب منها يرفعها من ذراعيها بقوة رغما عنها فترنحت وهي تتمسك بقميصه مما جعله يسألها بقلق

"ملك ما بكي؟"

"اتركني، أريد أن أذهب لتغيير ملابسي"

شهقت بخفوت وهي تجد نفسها محمولة بين ذراعيه فتعلقت بعنقه تلقائيا

دخل بها إلى الحمام ،وخلع قميصه المتسخ عنه وفتح صنبور المياه وبدأ بغسل وجهها

بعد نصف ساعة كان قد بدل لها ملابسها وبدل ملابسه هو الآخر بعدما نظف الغرفة

دثرها جيدا بالفراش وهو ينظر لخجلها وكأنها فعلت شئ مشين

أجلى حنجرته قائلاً:_

"لا يوجد شيء يستدعي الخجل، ما حدث سببه ابني أنا هل تظني قد أشمئز منه يوما إن فعلها"

تأوهت بدخلها لنبرة الألم في صوته وحديثة الحلو المؤلم بقدر حلاوته في حب طفلهم بقدر ألمه أنه يرسل لها رسالة أنه لم ولن يفعل من أجلها أي شئ ....

وضعت يدها على بطنها وذلك المغص اللعين يعود إليها فسألها بقلق

"هل أنتِ بخير ،هل نذهب للطبيب؟"

هزت رأسها نفيا وهي تُطمأنه أنها بخير فانسحب إلى أريكته وخلاف كل ليلة لم يعطها ظهره

أغمضت عينيها بغصة مؤلمة، لقد اعتادت أن تنام بين أحضانه كل ليلة ، رأسها على أحد ذراعيه والآخر يضم به خصرها في تملك

أن تنام قريرة العين وأنفاسه الدافئة تُكللها بأمان لا نهاية له

أن تستيقظ كل صباح فتغازل عينيه الحلوتين بعينيها ، أن يكون أول ما تسمعه في يومها

صوته ببحة نومة المهلكة وهو يقبلها كل صباح هامسا بأن "صباح الحُسن"

مسحت دموعها ولفت رأسها إليه مرة أخرى فوجدته فعلمت من صوت تنفسه العالي أنه قد ذهب في النوم

تحركت من الفراش بحذر حتى ذهبت إلى الأريكة ووقفت جوارها تنظر إليه بقلق لكنها حسمت أمرها وهي تطاوع قلبها وتحشر نفسها جواره في الزاوية الضيقة على الأريكة ولم تكد تفعل حتى ضمها إليه بقوة وكأن قلبه و حواسه حتى عقله اللاواعي أرشده إليها فضمتها ذراعه تلقائياً،دافناً رأسه في عنقها متمتما باسمها بين نومه....

***

كانت عينيها ذهبت في النوم للتو لكنها استيقظت على صوت تأوهاته المكتومة

انتفضت من مكانها وذهبت إليه قائلة بقلق:_

"عبدالرحمن هل أنت بخير ،تريد شئ،؟"

التفت إليها هامساً بإرهاق :_

" آسف لِتوك نمتي لكني أيقظتك "

ابتسمت بحنانها المعهود وقالت:_

"لا عليك ،قل فقط ما بك؟"

زفر بضجر فقد سأم من نومته هذه لذا قال بتأفف:_

"لقد سأمت النومة هذه، وسئمت وجودي في المشفى، لما يصرون على احتجازي هنا ، أريد الذهاب للبيت"

تنهدت بصبر وهي تقدر حالته وقالت:_

"يا عبدالرحمن لِتوك خرجت من حادث أليم والرعاية هنا أفضل من البيت ،يجب أن يطمئنوا عليك جيدا"

زفر بضجر وهو يدير وجهه الناحية الأخرى ،هو يريد أن يخرج من هنا ،لقد سأم نومة المشفى، كما أنه يرهقها معه وهي تصر ألا يصحبه غيرها ورغم هذا ما زالت لم تسامحه ولم تصدقه ...

أدار وجهه إليها مرة أخرى وقال بألم لم ولن يظهره لغيرها:_

"احتضنيني يا ريم "

توترت ورفت عينيها بالغرفة،،ألمها قلبها وتحالف ضده عقلها،،نفسها تستحلفها أن تفعلها وكرامتها تأبى عليها التحرك ،،لكن نظرة الألم الممتزج باليأس على وجهه وهو يديره الناحية الأخرى لم تتحملها،،لذا اقتربت ببطء وجلست نصف جلسة على الفراش جواره

فالتفت إليها بأمل حرك قلبها المولـه في حبه .

ابنها هو قبل أن يكون حبيبها ومنذ متى يغضب القلب على أبنائه؟!

عدلت من وضع الفراش لوضع أكثر راحة له ،ثم ضمته إليها برفق وحذر آخذة إياه بين أحضانها كما يريد

وهو اقترب قدر استطاعته ،دافنا رأسه في أحضانها مستنشقا رائحتها التي اشتاقها بنهم ومطمئنا بذراعيها الدافئين يضمانه في حنان

أي امرأة هذه وكيف كان غافلاً عن حبه لها بل كيف ظن أنه يستطيع الابتعاد عنها يوما من أجل سراب لا قيمة له ،هو بين أحضانها الآن ناسيا كل ألم جسده وروحه ،روحة التي تأن ألما من أجلها يريدها أن تصدقه ، أن تستمع لدقات قلبه الثائرة بحبها،أنفاسه المشتاقة لأنفاسها التي يشعر بها تحبسها منذ أن احتضنته وتعب جسده متحالف عليه ألا يتحرك إنشا، فقط لو كان بصحته

لأبرحها عشقاً جعلها تقسم على تصديقه، ابتلع غصة مريرة بحلقة متمتما بينه وبين نفسه أن "ومتى كان بكل صحته"

حرك راسة قليلاً مُقبلا موضع قلبها ببطء وهمس:_

"كم أحبكِ يا ريمي"

تجمدت وأغمضت عينيها في يأس منه ومنها يا الله تريده أن يكف عن تلك الكلمات

هي لا ولن تصدقه ، قلبها أصبح خائفا لم يعد يفتح للأمان باباً معه ،،وكيف تصدق وبالأمس القريب فقط كان يتغنى بحب أخرى ،، أخرى انهارت باكية فور أن أتت للمشفى ورغما عنها تعترف أنها كانت صادقة في حزنها ولم يكن بالمفتعل أبداً

سمعته يهمس اسمها بلوم فابتلعت ريقها قائلة تغير الموضوع :_

"ما رأيك أن أُغيب تميم غدا من الروضة واجعله يقضي اليوم كله معك ؟"

تنهد وقد علم أنها تهرب من الحديث فقال:_

"حسنا ،هذا أفضل لقد اشتقت إليه"

ابتسمت على ذكر طفلها ودون وعي منها ،كانت تمرر يديها بين خصلات شعره وهي تقول:_

"هو أيضاً اشتاق لك ، لا يكف عن البكاء من أجل أن يقضي ليلته معنا هنا "

ابتسم مستمتعاً بما تفعل وهمس بمرح :_

"وربما يغار"

"ماذا! "قالتها باستنكار فأردف:_

" أقول وربما يغار عليكي ،أنتِ تعرفي كم هو متعلق بكي"

صمتت فهمس بشرود:_

"يحق له ومن يملك قلب الريم ولا يغار"

□□□□

"لما لا تردي على هاتفك يا غدي وبالأخير أغلقتيه"

صرخ بها عمر بغضب منها

رفت غدي بعينيها في توتر فالغضب على وجهه لا يبشر بالخير أبدا

ارتجفت مكانها رغماً عنها دون أن تظهر له ذلك وهو يقول بغضب :_

"اللعنة تحدثي "

ابتلعت ريقها بصعوبة لكنها قالت بقوة:_

"كنت في المحكمة يا عمر من أجل القضية "
اقترب منها بشر ومسكها من ذراعها قائلا بغضب :_

"ألم أقل لكِ تلك القضية لا ،ذلك الرجل لا لما تكسرين كلمتي ها "

قبل أن ترد عليه كان يمرر عينيه علي هيئتها بتمهل ، حجابها الملفوف بعناية والذي تفلتت منه بعض خصلاتها من أثر اليوم، وجهها الجميل بمساحيق التجميل البسيطة ،

ترتدي بلوزة خريفية تصل إلى منتصف فخذيها تصف جمال قدها وذلك الجينز اللعين الذي يحدد ساقيها في سفور وبالأخير حذاء كلاسيكي يلائم العمل

لمعت عيناه بغضب أكبر وقال:_

"كيف تذهبين بهذا الزي إلى العمل كيف أخبريني؟"

"عمر هذه ملابسي وأنا لن أغيرها قلت لك مائة مرة"

قالتها بغضب وتعنت فصرخ بها :_

"هل رأسك الصلد هذا ليس له نهاية كل كلمة أقولها تجابهيني بعشر مثلها ؟"

كتفت ذراعيها وهي تلتفت بوجهها جانبا في غضب دون أن ترد

وبمكانه هو كان يشتعل غضباً، كيف كانت هناك أمامه هكذا

ألا تدرك جمالها تلك الفاتنة ،كيف نظر إليها ذلك القذر
كيف هل ينظر إليها كما ينظر لها هو الآن !!!

والفكرة الأخيرة جعلت النار تندلع بجسده فشدها إليه بقوة
يكتم شهقتها المتفاجئة بطريقته

كان يجتاحها بسفور بغضب وغيرة تحرقه حرقا ،جعلها
تغيب في عاطفته رغماً عنها هامسا بين الفنية والأخرى

"يا إلهي كم أنتِ جميلة ، جميلة وغبية ،،جميلة وغبية "،

انتبهت من جنونهم سويا على نعومة الأريكة فشهقت
برعب وهي تدفعه عنها قائلة :_

"يا إلهي عمر نحن في بيت أبي ماذا تفعل ؟"

"أنتِ زوجتي همسها بحزم وهو يغيبها في عاطفته مرة أخرى دون أن يبالي باعتراضها

بعد برهة

كانت تجلس بين ذراعيه في غضب وهي ذامة شفتيها في حنق فابتسم هامساً:_

"ما الذي يغضبك يا فاتنة ؟"

احمرت وجنتيها خجلا وضربته بقبضتها في كتفه دون أن ترد

أدار وجهها إليه طابعا قبلة طويلة على وجنتها اليمني وأتبعها باليسرى ثم أخذ أنفاسها مرة أخرى فتعلقت بعنقه

بعد دقائق انفصل عنها يأخذ أنفاسه ثم طبع قبلتين رقيقتين على جبينها هامساً بحزم:_

"لن تذهبي إلى المحكمة بتلك الملابس مرة أخرى يا غدي وذلك الرجل ستتركين قضيته كما سبق وقلت"

ظلت مكانها ثوانٍ تستوعب حديثه ثم ما لبثت أن دفعته عنها في حدة وهي تقف قائلة بغضب :_

"لن يحدث يا عمر ، أنت لن تتحكم بي كما تريد "

وازها في وقفتها هاتفاً بصرامة:_

"لا ترفعي صوتك علي يا غدي إياكِ وكلامي سيُنفذ لن أعيدها مرة أخرى "

قال كلامه بحزم واقترب منها ببطء يغلق أزرار بلوزتها العلوية فدفعته في غضب قائلة:_

"كفى يا عمر أنا لن أقبل بهذا أن تظن أن حديثك سيكون أوامر مسلمة لي وأنا سأقبل خاضعة فأنت واهم ...."

ابتسم بسخرية وقال:_

"لما تُسمينه خضوع بالأساس، أنتِ تُحيلي كل ما بيننا دائما إلى آمر ومأمور وهذا غير مجدي"

قبل أن ترد عليه كان يتناول سترته متجها إلى الخارج قائلا بجمود:_

"أتمنى أن تُعيدي حساباتك جيدا يا غدي فقد اقترب زفافنا على كل حال.."

□□□□

صف سيارته فنظرت له بدهشة وهي تسأله بقلق:_

"لما توقفت هنا؟"

ابتسم بتهكم وهو يسألها بسخرية :_

"ماذا؟أتخافين مني؟!"

ابتلعت غصة مؤلمة بحلقها وقالت :_

"لم أقصد فقط أستفسر "

رمقها بجانب عينيه ثم أخذ مفاتيحه ونزل من السيارة مغلقا الباب خلفة بحدة فاتبعته ونزلت هي الأخرى وعينيها تلمعان بالحيرة التي سرعان ما اندثرت وهي تميز اللافتة المضيئة لأحد الفنادق المشهورة أمامهم

نظرت لها بدهشة ،إلا أنه شبك أصابعه بأصابعها في حنو أذابها وهو يعبر بها الطريق

دقائق وكانت تقف معه أمام غرفة يبدو أنه قد حجزها من قبل

فتح الباب وأشار لها بالدخول ،فدخلت بصمت متوتر وهي تشعر بالإعياء من كل شئ حولها فلا تفهم شئ

انتفضت بداخلها وهي تسمع صوت إغلاق الباب وظلت متسمرة مكانها ،يا الله هل هي مع أنس مرة أخرى وكزوجته أيضاً هل حقا ردها إليه؟!

وكأنه يقرأ أفكارها ،فسمعت صوته القريب هامسا ببحة مؤثرة

"نعم نحن معا مرة أخرى أخيرا "

رفعت عينيها إليه تتأمله في اشتياق ،وسامته المفرطة اليوم حتى مع نحافته الظاهرة ونحول وجهه ،عينيه اللتين تجريان عليها بلهفة وتوق جعلها ترتجف لا إراديا ...

ثانية،،،واثنين

أهو من أقترب أم هي؟! أم لعل قوة جذب قلوبهم كانت أقوى من المسافة القليلة بينهم فضمتهم

أهي من تضمه أم هو من يضمها؟!،لا يهم المهم أن كل منهم سكن صدر صاحبة أخيراً

تأوهت بنعومة من قوة ضمته فخفف ضغط ذراعيه عليها قليلا وهو يستند بجبينه على جبينها متأوه براحة ..

دموعه أم دموعها ؟!هي التي تجري على وجوههم الآن ؟!

وعناق عينيهم الذي كان أبلغ من الكلام ؛

مال إليها يرتوي بأنفاسها التي اشتاقها حد الموت ولم ينفصل عنها إلا حينما شعر بحاجتها الشديدة للتنفس

ولم يكد يفعل حتى ضمت نفسها إليه بقوة تتمسك بكتيفه وانفجرت باكية وكأنها أدركت للتو ما يحدث ،، أنها لا تحلم به ككل يوم بل هو أمامها

احتواها بين ذراعيه بحنو يربت على ظهرها برقة وهو يتفهم ما تمر به.

رفع أحد ذراعيه يفك حجابها دون أن يتخلى عن احتضانها حتى تخلص منه وفك شعرها الذي انسدل برقة حتى كتفيها

تأوه باشتياق يدفن وجهه بين خصلاتها يتنفسها هامساً بحب :_

"أه عاشق أنا يا روضتي ، ألا تُدركين "

لم ترد فقط تتمسك به وكأنها لو خففت ضغط ذراعيها عليه قليلاً سيتلاشى من أمامها

حملها بين ذراعيه بخفة وهي مستكينة تماما ،دافنة وجهها بعنقه ،ترفض حتى محاولاته للحديث معها

جلس على الأريكة وخلل يدية بين خصلاتها هامساً بتأثر:_

"ارفعي وجهك يا روضتي"

هزت رأسها نفيا بقوة فسألها بخفوت :_

"لم؟!"

"أخاف "همستها ببكاء وأردفت من بين شهقاتها:_

"أخاف أن أخرج من بين ذراعيك فينتهي حلمي الجميل بك وأجد نفسي مستيقظة على كابوس فقدانك"

جمد وجهه لحظات وهمس بعتاب:_

"وإن كان كذلك لم تخليتي من الأساس؟!"

نبرة الألم في صوته أجبرتها على رفع وجهها له فهمست ودموعها تجري على وجنتيها:_

"من أجلك ، أقسم أنه من أجلك، ليس عدلا أن استأثر بك لنفسي وأحظى بكل هذا الحب والحنان وحدي ، أنت خُلِقت لتكون أب ،كل ما أتذكر ما تفعله معي لا يجول بخاطري إلا رؤيتك مع طفلتك وأنت تدللها فأعود وأتذكر أني أنا من حرمتك من هذا لكن أيضاً ليس بيدي أن أتحمل وجودك مع أخرى وأنا معك يا أنس.."

قاطع حديثها الغبي من وجهة نظره وهو يغزوها بعاطفة اشتياقه ولم يتركها إلا مسلوبة الأنفاس

هامسا بخشونة وتحشرج :_

"غبية ،أنتِ غبية وسأنتقم منكِ الليلة وكل ليلة ، أنتِ ابنتي الأولى والأخيرة ،بِكريتي وصغيرتي، إن كانت تلك الطفلة هي من ستحرمني منكِ فقد اختزلت كل أطفال العالم فيكي ولا أريد منها سواكي..

يا الله هل لها أن تحبه أكثر، لم يعد يترك دقة بقلبها تدق لسواه

أنس رجل حين يعشق ،يحيل كل ما سواه إلى لا شئ ،

توردت وجنتيها خجلاً وهي ترى وميض عينيه الموشي بفقدان سيطرته والذي ما لبث أن حملها بين ذراعيه مرة أخرى ،ليلفها معه بعاطفة سحرية أنستها العالم بأسره ..

انتهى

الفصل التاسع عشر

توقف عن المشي فقد كان في جولته الصباحية للمشي كما يفعل كل يوم قبل إفطاره ،يتمشى لمدة نصف ساعة ثم يتناول إفطاره ويذهب لقضاء أشغال يومه

رفع حاجبه وهو يرى رسالة من تلك الفتاة التي يتابع معها منذ فترة كبيرة وكالعادة تسأل على استحياء يلتمسه من بين حروفها :_

"السلام عليكم يا دكتور هل حضرتك مستيقظ ؟!"

كان قد وصل إلى العمارة التي يقطن بها فألقى السلام على الحارس ثم ركب المصعد ورد عليها كتابيا :_

"وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

صباح الخير

كيف حالك "

خرج من المصعد وفتح شقته ثم دخل ، دقائق وأتاه ردها القصير

"بخير الحمدلله ،صباح النور"

دخل المطبخ ليبدأ في تجهيز إفطاره وأرسل لها رسالة صوتية قائلاً:_

"حسنا أتمنى أن تكوني بخير ! والآن أسألك إلى أين وصلتي ؟ وما هي حالتك الآن

وكم مرة راودتك نفسك لفعل الذنب وهزمتيها وكم مرة راودتك نفسك واتبعتيها هل وقعتي في ذلة أم هفوة أم كنتِ صامدة هيا تحدثي "

دقائق أنهى فيها تحضير إفطاره البسيط وجلس يتناوله وهو يفتح التلفاز على أحد البرامج الصباحية منتظرا ردها

دقيقة أخرى ووصله الرد

"لا أعلم هل أنا بخير أم لا لكني كنت أسير على تعليماتك الفترة الماضية بأكملها وظللتُ الشهر كاملا لم أقرب الذنب وأدافع نفسي ضده وضد التفكير فيه ثم أجدني فجأة انسقتُ إليه وفعلته مره واثنين خلال ساعات لأكتئب وأحزن أنا لا فائدة في "

" ألم تسألي نفسك لم سألتك كم مرة فعلتيه ،هذا لأني واثق من كونك ستزلين هل هذا لأنكِ سيئة؟!

لا ولكنكِ مازلتِ في طور علاجك ولا أبالغ في قولي أننا كدنا نقترب من النهاية

شهرا كاملا كانت لكي الفرصة كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة لتقربي الذنب ولم تفعليها وذللتي مرة واثنين ،أتُضيعين كل ذلك هباءاً منثوراً ؟!

لما كما تجلدين نفسك هكذا لا تشجعيها وتشعرينها بنجاحها والفرح

يا ابنتي إني أستبشر بكي خيرا فأنتِ ماشاءالله تسعين بصدق للخروج من شرنقة ذنبك فلا تتمادي في جلد ذاتك فإنه مقلوبٌ عليكِ بالسلب"

أنهى رسالته الصوتية وشرع في تبديل ملابسه منتظرا ردها

دقيقة وأتاه الرد

"خائفة ، أنام نادمة وأستيقظ باكية ، أشعر أني في كابوس أريد

الخروج منه ،فوالله أني لنادمة وكارهة لما أفعل دلني"

تناول هاتفه وفتح رسالة صوتية كالعادة ليرد عليها

«معضلتك أنكي تضخمين المعصية أو الذنب أو الخطأ بمختلف المسميات بعد الوقوع فيها وليس قبلها والفرق شتان ومهم

فكري دائماً أن من المهم تضخيم المعصية قبل الوقوع فيها

وتحقيرها بعد فعلها وانظري بعد ندمك وتوبتك أن رحمة الله ومغفرته أكبر ،هوني على نفسك واعلمي أن كلنا خطائين

وأن ما تتجاهليه يتلاشى ويفقد تأثيره

الشيطان يدخل لكِ من جهة أن نفسك سيئة

يبدأ يبرمج عقلك على هذا ومن ثم يعمل العقل على وقوعك في الذنوب وبعدها نفسك تقول ألستُ أنا السيئة إذا لأقوم بالأخطاء فأنا أهلها

لا تكوني فريسة سهلة الوقوع بها للشيطان هو وجدك كل ما تقعين تتوبين فدخل لكِ من مدخل آخر ألا وهو أنكِ سيئة وتوبتك ليس لها فائدة ومنافقة وإلى آخره من ذلك "

"حسنا ماذا أفعل؟!"

" اعملي على نقطة أنكِ جيدة ، وأنكِ سعيتي لتكوني أفضل وهذا عند الله ليس بالهين وذكري نفسك أن من ترك شيئا لله عوضه الله خيراً منه وأنا واثق أن المكالمة القادمة أنتِ من ستبشريني"

"ما المدة التي أركز عليها؟"

ثلاثة أشهر، تسعين يوم والانتكاسة ثلاث ذلات تكرري العد إذا حدث لكن أريد منكِ كما قلت تتبعي قاعدة أن ما

تتجاهله يفقد تأثيره ، يعني لا تذكري نفسك كل دقيقة لا يجب أن أفعل لا يجب أن أفعل بل أتركي روحك لسجيتها بشرط أن تُهمشي تلك الأفكار وتُسقطي من عقلك هذه الذنوب، وكما قلت سآخذ أنا البشرة المرة القادمة "

"حسنا يا دكتور أشكرك"

"على الرحب والسعة وأنا جوارك في أي وقت ،لا تترددي من الحديث متى شئتِ"

***

"صباح الخير"

قالها عمرو مبتهجاً وهو يدخل الغرفة على ابنة عمه وزوجها الذي يمتعض كلما رآه مما يزيده رغبة في مضايقته ولا يعلم لما

ردت عليه ريم الصباح برقة وهي تبتسم أما الآخر أدار وجهة الناحية الأخرى وهو يرد رداً بارداً

انتبه من أفكاره على صوت ريم تقول :_

"هل أكيد سيخرج غدا يا عمرو ؟"

اقترب منه عمرو يطمئن على معدلاته الحيوية وقام بإجراء الفحص الطبيعي ثم قال :_

"نعم لقد أصبح أفضل ويستطيع المواصلة بالمنزل لكن لا نزول للشارع قبل شهرين على الأقل حتى يفك الجبس ومن ثم نبدأ في عمل العلاج الطبيعي "

أومأت برأسها في تفهم فسألها بسماجة منقطعة النظير من وجهة نظر البائس القابع على الفراش :_

"وكيف حال تميم ،لقد رأيته بالأمس مع مصطفى،ماشاء الله يا ريم نسخة مصغرة منكِ "

"حسنا وبما أنك رأيته بالأمس لم تسألها الآن ؟"

والرد لم يكن سوى من عبدالرحمن الممتعض منذ دخوله ،فالتفت إليه قائلاً بسماجة :_

"زيادة اطمئنان فريم ابنة عمي كما تعلم "

"اسمها الدكتورة ريم ،لا تتباسط معها في الحديث هكذا"

قالها بحدة فقالت ريم مسرعة مغيرة دفة الحديث:_

"حسنا يا عمرو شكرا لك ،خالد سيقوم بإنهاء الإجراءات"

أومأ عمرو برأسه مبتسما وتركهم وخرج فقال عبدالرحمن بحدة وهو يلتفت إليها :_

"ما حكاية عمرو هذه يا ريم ،كيف تتباسطين معه هكذا"

تنهدت بصبر وقالت :_

" هو ابن عمي يا عبدالرحمن وكمصطفى عندي "

"آه بن عمك المزواج" قالها بحنق فالتفتت إليه مندهشة وهي تقول:_

"أنا لا أعلم لما تتخذ منه موقف هكذا ، وما سر عدائيتك تجاهه بسبب أنه متزوج من إثنين"

رمقها بغيظ ولم يرد، ماذا يقول لها ،هل ينبهها أن الآخر يبدو وكأنه ينتظر طلاقهم المزعوم كي يحظى بها ، ألا تلاحظ تحينه للفرص للحديث معها والاقتراب منها، نظرات عينيه المتحدية أنه إذا أراد سيأخذها وهي ببعدها الغبي عنه تربكه أكثر وخاصة في عجزه هذا

التفتت إليها وهي تطمئن على المحلول المعلق له ،فشدها من يدها قبل أن تبتعد

شهقت بمفاجأة وهي تجد نفسها على صدره ،بذراعه الأيسر الذي ارتفع محيطا بها

ولم يترك لها الفرصة للإدراك، هو اشتاق واللعنة عليه إن لم يرتوي لذا مال إليها بلهفة معانقاً أنفاسها وهو يثبتها قدر استطاعته

دقائق ويدها ارتفعت تلقائيا حطت على صدره برقة وهي تبادله شوقة على استحياء ولا يدري أن اشتياقها اللحظي الذي أحتاجه هو بمبادرته غلب غضبها فتناست ....

***

لو قولتيلي حاجة غير لا

ده أنا أجيبلك شبكة وشقة دورين حمام بتكيف

وأعملك بيتزا ف بيتنا بجبنة تشد بعيد

بتمنى أقوم من النوم جمبك ع قد ما أعيش

وعسيلي يغني ف فرحنا والكل يهيص

اه يا عيني يا ليل يا عيني و طلبتي لاتيه

ليه تقولي لا يا بيبي تقولي لا ليه

اه يا عيني يا ليل يا عيني وطلبتي لاتي

ليه تقولي لا يا بيبي تقولي لا ليه

وارسمك كده في الخباثة ما انا اصلا فنون جميلة

واشتركلنا مع صحابي اللي في نادي الجزيرة

يمكن اضايقك علشان اصالحك بس واروح واجبلك ورد

قبل ما نبتدي خدي جاكيتي عشان السينما برد

بعد انتهاء المقطع قام بتوقيفه هامسا بمشاكسة :_

"ها ألن تقوليها ؟"

هزت رأسها نفيا بخجل وكأنه يراها وقالت بدلال :_

"حمزة الأغنية ليست هكذا"

"وكيف هي ؟"رد عليها بمشاكسة رافعا أحد حاجبيه بمكر وكأنها تراه فقالت برقة :_

"بداية المقطع ونهايته لا يعجبني بالأساس ، أنت أخذت الجيد منها لكن في أصلها وكأنه تهديد لكل أنثى ترفض ذكر"

صمت لدقائق ثم قال :_

"ومالي أنا بالسيء منها لا أرى فيكي إلا جميلها"

ابتسمت ولم ترد فألح عليها بشقاوة :_

"ها ألن تقولي أحبك يا حمزة دبدوبتي "

ابتسمت ولم ترد فتحدث بجدية قائلاً:_

"نهى أريد أن نعقد القران "

"ماذا ولم يا حمزة؟ "

" أريد أن أكون على راحتي معك أكثر ، أشعر أنكِ لستِ على راحتك كما ينبغي ولا أريد سبب لذلك سوى أنني مازلت خطيبك "

لا تعلم لما انتابها الخوف وغصة مؤلمة بحلقها لا تدري سببها أهو شئ طبيعي أم لا لكنها قالت :_

"لا يا حمزة انتظر على عقد القران"

سألها بضيق:_

"نهى أما زلتِ مترددة بشأن خطبتنا"

"لا يا حمزة الأمر ليس هكذا أنا فقط خائفة ولا أعلم السبب"

نفت مسرعة فسألها بحنان :_

"مم تخافي يا حبيبتي "

همست بخجل :_

"حمزة أنت جرئ أكثر من اللازم وأنا لا أستطيع مجاراة جرأتك هذه "

فتح عينيه على اتساعهما وهو يعتدل في جلسته على الفراش قائلا :_

"نعم من الجريء يا نهى هل تطلقين على غزلي العفيف لكي ودعوتك بألفاظ الحب جرأة "

انفجر ضاحكاً حتى قاطعته قائلة بنزق

"حمزة لم تضحك ؟!"

سيطر على ضحكاته بصعوبة وهمس بشقاوة:_

"عليك بالطبع إذا كانت هذه الجرأة من وجهة نظرك فأنا أشفق عليكي حبيبتي "

سألته بحيرة :_

"ولم يعني يا حمزة ؟ "

وآه من هالحمزة ،تُرقق الزاي في نطقها فتخرج خفيفة تسلُب لبه

لذا أسرع ليغلق معاها المكالمة قبل أن يتجاوز في الحديث من تلك التي تخجل من مجرد كلمات عادية ليكن الله في عونه بل ليكن الله في عونها هي حين ترى جرأته

ابتسم قائلا :_

"نهى حبيبتي سأغلق الآن ، لأني عندي نوبة عمل في المشفى ويجب أن أذهب"

"حسنا يا حمزة في رعاية الله"

"نهى"

ناداها قبل أن يغلق وأردف بجدية :_

"أنا سأحدث والدك في كتب الكتاب لنرى موضوع الجرأة هذا"

لم يعطيها فرصة للرد وأسرع في إغلاق الخط متمتما بإبتسامة :_

"جرأة وهل رأيتي جرأة بعد يا فراولتي"....

□□□

تقف تنتظر المصعد بالعمارة التي تقطن بها حفصة فهي على موعد معها الآن .

يا الله حفصة الجميلة ،الصحبة الصالحة عن حق ،منذ أن اقتربوا من بعضهم البعض وهي تتلمس جوارها السكينة وما يعزز ذلك أن حفصة تعاملها كابنة لها رغم الفارق القليل بينهم في العمر .

ابتسمت بشرود وهي تتذكر غيرة نهى من حفصة حتى أنها رفضت بطفولية أن تتعرف عليها و...

قطع أفكارها وصول المصعد ،ومجرد أن فُتح بابه تراجعت للخلف خطوتين في دهشة

أليس هذا الشخص المدعو وائل الذي قابلته من قبل ويعمل مع والدها ومن تلك الجميلة التي يحملها على ذراعه؟

سمعت صوته المندهش يقول:_

"رنا كيف حالك مممم لم أنتِ هنا "

رمشت بعينيها ولم ترد وهي تفكر في أن حفصة أخبرتها أنها تقطن بعمارة أهل زوجها ولا يوجد أغراب معهم ،ما الذي أتى به هنا

سمعته يسألها بحيرة :_

"ألا تتذكريني"

أومأت برأسها وهي تسأله بخجل:_

"أليست هذه العمارة التي تقطن بها دكتورة حفصة العامري"

أومأ برأسه وقال مبتسماً:_

" آه نعم بالتأكيد أنت مندهشة من وجودي هنا ،نعم حفصة تقطن هنا ، وأنا أكون أخو يحيى زوجها رحمه الله"

لمعت عينيها بالإدراك وابتسمت ولا تعلم لم لكن ذكر يحيى هذا الرجل الذي احترمته دون أن تراه من كثرة حديث امرأته عنه يجلب الابتسامة والراحة في النفس

سمعته يقول:_

"أنتِ بالتأكيد تعرفتي على حفصة في المكتبة عِندَ شهاب صحيح؟!"

تسارعت دقات قلبها المشتاقة لذكر اسمه وسألته بأريحية وكأنها تعرفه منذ زمن

"هل تعرف دكتور شهاب؟"

أومأ برأسه مبتسما وقال :_

"بالطبع هو صديق يحيى رحمه الله وصديقي أيضاً"

أومأت برأسها وقبل أن يتحدث أي منهم ،صوت طفولي رقيق يخطف الروح يسأل بفضول وغيرة أنثوية تجلب الضحك وهي تقول:_

"أبي من هذه الفتاة التي تتحدث معها منذ أن نزلنا ونسيتني"

ضحك وائل وقبلها من وجنتها وقال :_

"آه نسيت أن أعرفكم ببعضكم البعض،، هذه الجميلة تكون ابنتي فريدة يا رنا

أما هذه يا فريدة هانم فهي رنا"

أدارات الطفلة عينيها بينهم وسألته بغيره لا تليق بعمرها:_

"حسنا ومن هذه رنا يعني"

ابتسمت رنا على شقاوتها المحببة للنفس وأخرجت شوكولاتة كبيرة من حقيبتها أعطتها لها مما جعلها تنسى سؤالها فاستأذنت منه ودلفت المصعد

بعد برهة كانت تجلس مع حفصة بشقتهم يتحدثون بعد أن قصت عليها رنا أحداث الفترة الماضية

سألتها رنا بيأس:_

"هل تظني يا حفصة أنه سيأتي اليوم الذي سأكون فيه معافاة من هذا الذنب ؟"

ابتسمت حفصة البشوشة وقالت برفق:_

"إن الله لا يمل حتى تملوا يا رنا ، لكن أريد أن أنوه لكي لشيء ، إذا كنتِ تبحثين عن الكمال؟ فمن الآن أقول لكي وفري على نفسك فطريقك مسدود "

"من قال ذلك يا حفصة "

"أنتِ يا رنا من قلتِ ، أخبريني يا رنا هل حمدتي الله على كل تلك الفترة التي ألهمكي الثبات فيها ولم تذنبي

طبعا لا بل أنكي كنتِ سعيدة بذلك دون أن تلتفتي بوجوب الشكر ،ونسيتي أنه ولأن شكرتم لأزيدنكم ،لكنكِ فور أن سقطتي مرة بل إثنين ، أقمتِ على ذاتك الحد

في الصواب لا تكافئينها وعند الخطأ تجليدها ألا يوجد عندك وسط "

زفرت رنا بضيق وقالت :_

"ذنبي عظيم وأنا أخاف ولا أعلم كيف أخاف ورغم ذلك أذل"

تنهدت حفصة وقالت بهدوء:_

" يا رنا الله خلق الإنسان ناقص ،مسئٌ ومحسن لأن ذلك يتوافق مع سنة الكون وهي أن الكمال لله وحده ،، يا رنا لقد نوه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن ذلك وقال لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم"

لمعت عينيها بالأمل وسألتها بلهفة :_

" حقا؟!"

أومأت حفصة برأسها مبتسمة

لكن اليأس عاد يتسلل لها وهي تسألها بحزن:_

"لكني أشعر أني بعيدة عن الله يا حفصة وهذا جل ما يُحزنني،لا أريد من الله أن يغضب علي بل أريد عفوه ورضاه"

صمتت حفصة لدقائق وقالت :_

"ابن عطاء الله السكندري يقول :_

«ربما وردت الظلمة ليعرفك قدر ما من به عليك»

قطبت رنا بين حاجبيها وسألتها بحيرة :_

"يعني؟"

اعتدلت حفصة في جلستها وقالت :_

"يعني ربما إحساسك بالبعد هو اختبار من الله كي تتذللي أكثر وتقدري نعمة قربه "

أومأت برأسها وصمتت فقالت حفصة كي تطمئنها اكثر :_

"تعلمي أنه من الممكن أن يكون هذا الذنب سبب في دخولك الجنة "

"تمزحين يا حفصة"

ضحكت حفصة قائلة بطيبة :_

"لا والله فالإمام ابن القيم في مدارج السالكين قال:_

«أن الذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة، من كثير من الطاعات، وهذا معنى قول بعض السلف:_

قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الطاعة فيدخل بها النار، قالوا:_

وكيف ذلك؟ قال:_

يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه، إن قام، وإن قعد، وإن مشى ذكر ذنبه، فيحدث له انكسارًا، وتوبة، واستغفارًا، وندمًا، فيكون ذلك سبب نجاته، ويعمل الحسنة، فلا تزال نصب عينيه، إن قام، وإن قعد، وإن مشى، كلما ذكرها أورثته عجبًا وكبرًا ومنة، فتكون سبب هلاكه، فيكون الذنب موجبًا لترتب طاعات وحسنات، ومعاملات قلبية، من خوف الله، والحياء منه، والإطراق بين يديه منكسًا رأسه خجلًا، باكيًا نادمًا،

مستقيلًا ربه، وكل واحد من هذه الآثار أنفع للعبد من طاعة توجب له صولة، وكبرًا، وازدراء بالناس "

"والله إني نادمة يا حفصة "

قالتها بصدق شديد لمس حفصة فقالت:_

"والله إني بحسن ظني بالله يا رنا أبشرك يصدقك هذا أن توبتك قُبِلت ،فقط اصبري "

"أهم شئ أريد منكي يا رنا أن تبعدي بعداً تاماً عن كل مداخل المعصية من قريب أو بعيد "

أومأت رنا برأسها وبداخلها أمل كبير في العودة دون ذنب ..

□□□□

الجزء الثاني من الفصل التاسع عشر

رمق الورق الذي بيده مبتسما بظفر ثم وضعه على تابلوه السيارة ونزل منها ينتظرها

جميلة آل البرعي ،كان بإمكانه إنهائها بفركة إصبع لكنه أحب اللعب معها

أشعل سيجارة وهو يستنده على مقدمة سيارته ،ولمعت عيناه تدوران عليها بتدقيق

ترتدي معطف جلدي مغلق من جهة خصرها بحزام رقيق أبرز منحنياتها بدقة ،يصل لمنتصف فخذيها ومن أسفله جينز ضيق وحذاء جلدي برقبة تصل لركبتيها

تدارك نفسه مسرعا قبل أن تصل لسيارتها واعترض طريقها قائلاً بتسلية:_

"مرحبا بالجميلة "

التفتت إليه قائلة بحدة من بين أسنانها:_

"احترم نفسك يا هذا وابتعد عن طريقي ولا تفعلها مرة أخرى أكرم لك "

طقطق بلسانه وقال ببرود :_

"لم تغضبين هكذا؟ أنا لم أقل شئ فقط أرحب بكي"

حاولت أن تتجاوزه لكنه منعها قائلا بلهفة :_

"إلى أين "

"ابتعد عن طريقي ،ما شأنك أنت ولما أنت هنا بالأساس، القضية وقلت لك أني لن أتركها نقطة وانتهى السطر "

يا الله هذه المرأة تُثير جنونه بشدة ، لا ينكر أنه منجذب لها لكن ليس هذا ما يُحيره فهو لا يهمه للنساء على كل حال ما يحيره إعجابه بها ،ربما لأنها لا تخافه ولا تأبه له بل تمضي قدما في القضية دون أن تبالي ....

ابتسم وموجة هواء عالية تمر باتجاههم جعلت حجابها يتحرك بعشوائية حول وجهها فانفلتت بعد خصلاتها وهي تغمض عينيها بقوة

وللحظة تمنى لو كانوا بمكانٍ غير المكان ومعه آلة تصوير لم يكن يفوت لحظة كهذه دون أن يلتقط صورة لها

انتبه على صوتها النزق تقول بحدة :_

"أستاذ أكمل ابتعد عن طريقي ولا تفعلها معي مرة أخرى فلا يصح وقفتك معي في الشارع هكذا "

"حسنا لما لا نجلس بأي مكان عام ونتحدث"

قالها بهدوء فردت بازدراء:_

"ليس بيننا حديث بالأساس يا أستاذ ولا يصح أن تطلب مني هذا فأنا امرأة متزوجة "

"لم تتزوجي بعد " قالها بحدة أدهشتها فقالت بملل :_

"وما دخلك أنت ،ابتعد عن طريقي فليس بيننا حديث"

قال مسرعا ببرود :_

"لم تمضين قدما في القضية ،إذا كلفتي نفسك وسألتي عن أكمل البدوي ،ستعلمين ،أنك خاسرة لا محالة "

كتفت ذراعيها قائلة بسخرية :_

"حسنا يا أكمل البدوي ،حدث لنا الرعب العظيم "

"إياكِ والسخرية "

قالها محذراً بغضب هزها قليلا لكنها لم تظهر له ذلك فهي قد بدأت تمل من وقفتها هذه خصوصاً لو علم عمر أو حتى أهلها لذا تنهدت بصبر قائلة :_

"أستاذ أكمل من فضلك قلت لك أني لن أتحدث مجددا بشأن القضية لذا دعني وشأني والقضية بيننا ،لينتصر الحق مما أرجو بالأخير"

"حسنا بشرط أن تعديني أننا سنتقابل ونتحدث بهدوء ربما نصل لحل وسط"

"حسنا لنرى"

"ليس لنرى سأرسل لكِ رسالة بالمعاد "

أومأت برأسها دون اهتمام وهي تتجاوزه وتذهب مسرعة ظنت أنها ستستطيع أن تفلت منه بمهاودتها هذه ولا تعلم أن أكمل البدوي لا يتفوه بشيء دون أن ينفذه ولو رغما عنها...

□□□□

زفرت بإنهاك وهي تغلق الباب وراء آخر دفعة من الضيوف

تقدمت نحو أقرب كرسي وجلست عليه مطرقة برأسها وهي تتمتم بالحمد لانتهاء اليوم الطويل

شقتها منذ الصبح ممتلئة يعج بها الناس ،يباركون لهم على عودته و يتحمدون له السلامة

وقفت بإرهاق وتحركت ،تُجمع الأكياس والهدايا الكثيرة متجهة بهم نحو المطبخ وضعتهم بأماكنهم الصحيحة ثم تحركت تُسخن له طعام العشاء وهي بالكاد تتحامل على نفسها ألا تفكر في أي شئ

بعد فترة كانت تدخل عليه الغرفة بالطعام ،فوجدته جالسا نصف جلسة على الفراش وتميم نائم على صدره يثرثر ،ثرثرة طفولية وهو يستمع إليه بتركيز غريب

ابتسمت متمتمة بالحمد وتقدمت منهم قائلة :_

"تميم حبيبي انتقل للناحية الأخرى حتى يتناول بابا العشاء ،وأحضر لي تلك المنضدة الصغيرة "

امتثل تميم لأمرها وأحضر تلك المنضدة الصغيرة التي أخذها منها والده ووضعها جيدا أمامه على الفراش

وضعت ريم الطعام عليها وجلست أمامه على الفراش ثم التفتت لتميم قائلة :_

"تميم حبيبي ،تريد أن تأكُل؟"

هز تميم رأسه نفيا قائلا :_

"لا يا ماما ، أنا لا أريد من هذا الطعام ، أريد من المخبوزات التي بالخارج وأشاهد الكرتون على هاتفك"

ابتسمت ريم وقالت بمشاكسة :_

"أنت تستغل غيابك من الروضة بجدارة يا ولد "

قبلته بحب وأردفت :_

"حسنا حبيبي، لقد تركت لك الكيس على المنضدة بالخارج ، أخرجت هاتفها وفتحته له على ما يريد ثم قالت:_

"وهذا الكرتون لكن نصف ساعة واحدة فقط يا تميم "

أومأ برأسه وقبلها وخرج مسرعا ،فظلت مطرقة برأسها تنتظره أن ينهي طعامه

التفتت على صوته يقول :_

"هل تناولتِ طعامك؟"

هزت رأسها نفيا قائلة :_

"لا لكني أريد النوم ، لأني سأستيقظ باكرا كي أنظف الشقة قبل مجيء الضيوف "

أومأ برأسه وقال باقتضاب:_

"حسنا لقد شبعت"

نظرت للطعام بدهشة لكنها استقامت واقفة ، أخذت الطعام إلى المطبخ ثم عادت إليه بالمحارم الورقية المبللة ، أعطتها له فمسح كفيه وفمه

اقتربت منه تساعده في تعديل وضعيته على الفراش لكنه قال بنزق :_

"أريد أن أبدل ملابسي "

رفعت أحد حاجبيها وقالت :_

"عبدالرحمن لقد بدلت ملابسك منذ ساعات فقط"

رد ببوادر ضيق ناتجة من البرود المنتشر بينهم من عجزه ووجوده في الفراش ومن تلك الأدوية الكثيرة التي يتناولها بالإضافة لأخرى حرصا على تقليل حدوث نوبة له في وضعه هذا كل هذا يضغط عليه وعلى أعصابه لذا قال بغضب :_

"حسنا يا ريم وأنا قلت أني أريد تبديل ملابسي ، إذا كنتِ سأمتِ لأهاتف خالد يصعد لي "

رمقته بعتاب جعله يشيح بوجهه جانبا واتجهت إلى الخزانة أخرجت له ملابس مريحة واتجهت إليه في صمت تساعده في تبديل ثيابه بحذر كي لا تؤلمه ،تركها تفعل ما تفعل ،يراقبها في صمت هو يرتاح هكذا وهي قريبة منه ، أقرب ما تكون لأنفاسه ،حواسه كلها تتوسله بقربها لكنه لا يقدر حتى أن يستدير جانبا وحده

زفر بضيق فرمقته بطرف عينيها لكنها لم تتحدث ،أنهت ما تفعل وساعدته على النوم بوضعية مريحة ووضعت

ثيابه التي خلعتها عنه في مكانها المخصص ثم عادت إلى الفراش تندس تحت الغطاء تحاول النوم

لكنها شعرت بكفه يشدها إليه من ذراعها بضعف فاستدارت إليه هامسة :_

"ماذا يحدث معك يا عبدالرحمن؟"

همس بضيق :_

"أريدك أن تنامي بين أحضاني "

نظرت له بحيرة فقال بغضب :_

"لا تكوني هكذا، صامتة ،تفعلين كل شئ بآلية دون روح وكأنه واجب ثقيل عليكي "

"ومتى كنت واجب ثقيل يا عبدالرحمن "

قالتها بعتاب فرد عليها قائلاً:_

"حسنا تحدثي معي صارحيني ،قولي أنكِ ما زلتي غاضبة ، أنكي لا تصدقيني "

"وبما سيفيد الحديث ، أنا مرهقة يا عبدالرحمن بالله عليك ،هذا كثير على روحي ،الضغوط من حولي كثيرة ولا أقصد مرضك الآن بالطبع ، بل كل شئ ،لا أستطيع حتى أن أعطي هدنة لنفسي ،حتى تميم لم أقصر في حقه يوما منذ فترة وأنا مقصرة معه ،حتى روضته انقطعت عنها ،حقوقه كطفل ، أمي المتكفلة بها تلك الفترة ، أهلك وأهلي حتى واجباتي نحوك أشعر أني مقصرة بغضبك هذا ،بالله عليكم ماذا أفعل ماذا أفعل"

أنهت حديثها وانفجرت في موجة بكاء عنيفة سمرته مكانه، يا الله منذ متى لم يرى ريم منهارة هكذا ، منذ ولادة تميم تقريبا

شدها لأحضانه بضعف يربت عليها بحنان وهو يهمس بصدق :_

"أنا آسف يا ريم ، آسف لكل هذا الألم ، اهدئي حبيبتي "

والكلمة تحييها وتقتلها لذا ردت بغضب جنوني وسط دموعها :_

"لا تقل حبيبتي هذه، أنا لست حبيبتك ، حبيبتك كانت موجودة معك منذ ساعات"

ابتسم رغما عنه لطريقتها الغاضبة فضمها إليه أكثر هامسا:_

"حبيبتي موجودة معي كل ساعة وهي بين ذراعي الآن"

"عبدالرحمن "

قالتها بغضب فمال إليها يرتشف أنفاسها التي اشتاقها ،وبعد فترة رفع رأسه إليها هامسا:_

"أنتِ حبيبتي الوحيدة يا ريم ،حتى وإن أدركت ذلك متأخراً لكن اجعليها الحقيقة الراسخة بعقلك وقلبك معا ، أني أحبكِ ، أحبكِ أنتِ فقط "

دمعت عينيها لنبرة الصدق في حديثه ،قلبها يستحلفها أن تصدق لكنها تخاف

حين لم ترد عليه ،حافظ على وضعيتها في أحضانه وهو يربت عليها بحنان معاهدا نفسه أن يفعل كل ما بوسعه كي تصدقه ..

□□□□

ختم دعاؤه لصديقه بالفاتحة ثم اعتدل في جلسته على الحجر الكبير وتنهد بهم قائلاً:_

"لقد اشتقتك يا صديق، اشتقتك واشتقت جلساتنا سويا ،مرحك وخفة ظلك، حنانك الدائم على الجميع ،سعة صدرك ،إفضائي لك وتفهمك ليك.."

دمعت عيناه وأردف :_

"رحمك الله يا يحيى ، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته وجمعني بك على خير"

"أترى يا يحيى حال صاحِبك ، لقد خاب على كبر ، يغار على صغيرة الفرق بينه وبينها ما يقرب العشر سنوات يشتاق لها بل ويتلهف لرؤيتها "

"ماذا أفعل يا يحيى برأيك ،أشعر أني حائر ،بل لأصدُقك القول أنا أعلم ،،لقد أحببتها يا صديقي دون أن أشعر لكني استنكر فعلتي وأخجل من نفسي أن أكون في عمري هذا وأحب صغيرة مثلها "

ابتسم وقال وكأنه يراه أمامه :_

" رقيقة ،وهشة تجعلك تشعر بالحماية نحوها دون أن تدري ،معظم مقابلتنا يا يحيى ،أجدها تبكي ولا أعلم ماذا كان يحدث لي حينها وكأن روحي تهفوا إليها فلا أريد تركها إلا وهي مبتسمة "

تغضنت ملامحه رغما عنه وقال :_

"لقد رن هاتفها ذات مرة وكان الاسم المدون هو 'حبيبي' لقد شعرت بالغضب حينها وأدركت متأخِراً أنها غيرة ،هي لا ترتدي خاتم خِطبة ولا أرى أنها من تلك الفتيات اللاتي يرتبطن بعلاقات غير رسمية ،ممم أو ربما أني من أتمنى ذلك لا أعلم ..."

قطع حديثه صوت هاتفه يرن برقم خالد ،فضرب بكفه على جبينه فلقد نسى موعدهم تماما ، أغلق الاتصال ثم قرأ ليحيى الفاتحة مرة أخرى واستقام متجها لسيارته وهو يعاود الاتصال بخالد

بعد ساعتين كان يجلس هو وخالد بغرفة الضيوف في منزل المهندس رأفت صديقه والذي دخل عليهم مرحبا وهو يسلم على شهاب قائلاً:_

"أوه أخيرا تكرم علينا دكتور شهاب وزارنا "

ربت شهاب على كتفه بحرارة وقال مبتسماً :_

"كيف حالك يا بشمهندس لقد اشتقت لك "

"وأنا أيضاً يا رجل "

قالها رأفت مبتسما ثم سلم على خالد ورحب به بحفاوة ودعاهم للجلوس ثم قال :_

"لقد أنرتم حقا يا شهاب "

"بنورك يا بشمهندس "

دخلت عليهم الخادمة بواجب الضيافة وخرجت فقال رأفت :_

"حسنا إذا هذا هو خالد ابن أخيك الذي حدثتني عنه "

أومأ شهاب برأسه وقال :_

"نعم فلقد افتتح خالد مكتبه منذ فترة بسيطة وحين حدثتني أنك تبحث عن مهندس ديكور قلت لأرشحه لك ولتكن فرصته لإثبات نفسه فأنا رغم عبثه أثق بكفاءته"

ضحكوا لدعابة شهاب الأخيرة ثم استدار رأفت لخالد قائلا :_

"هل عمِلت من قبل يا بشمهندس"

أومأ خالد برأسه وقال :_

"نعم لقد جلب لي أحد أصدقائي العمل على ثلتين وقمت بإنهاء واحدة منهم وأعمل على الأخرى الآن "

هز رأفت رأسه مبتسما وقال :_

"جيد على كل حال سأتيك في مكتبك بأمر العمل فلا يليق أن أجلبك لبيتي كي أحدثك في العمل ،لقد اتخذتك ذريعة لأرى عمك "

قبل أن يتحدث أي منهم ،انتبهوا على صوت جلبة كبيرة آتية من الخارج وصوت عمار العالي يقول :_

"أقسم يا رنا أنكِ ستدخلين ،والله لن أدعك تذهبي أبداً هذا لن يحدث"

هل اضطرب قلبه واهتز الآن ؟! هل تأهبت حواسه لمجرد اسم عابر كاسمها !!

انتبه على قول رأفت هو ينهض مبتسما :_

"حسنا يبدو أن عمار يتحدث مع أخته بالخارج ،أستأذنكم قليلاً"

سارع شهاب قائلا :_

"حسنا يا باشمهندس نحن كنا سنذهب على أي حال"

رمقه خالد بدهشة فهم للتوهم وصلوا لكن الجميع التفت على صوت عمار أمامهم يمسك رنا من كف يدها بقوة ويقول :_

"يرضيك يا بابا أن رنا تكون بالمجمع التجاري جانبنا ولا تمر علينا لولا أني رأيتها صدفة ك...

قطع حديثه وهو ينتبه للتو أن والده لم يكن وحده فالتفت لشهاب المتسمر مكانه مهللاً:_

"أوه شهاب البرعي هنا حقا ، كيف حالك يا دكتور لقد اشتقت إليك حقا"

تدارك شهاب نفسه سريعا من رؤيتها وهو يسلم على عمار

أما هي فكانت السخونة تسري بكلا جسدها ،هل حقا شهاب هو الذي أمامها بشحمه ولحمه؟!

وأين ببيت والدتها ؟ يا الله اللعنة عليك يا عمار وعلى رأسك الصلد....

□□□□

جالسة تبكي تتناول طعامها بشراهة كالمعتاد منذ أن علمت بحملها وهي شهيتها مفتوحة بطريقة تُنغص عليها حياتها أكثر ما هي منغصة بالأساس

فحسن منذ تلك الليلة التي استيقظ فيها ووجدها بين ذراعيه ،نهرها بشدة ووبخها ألا تفعل ومن يومها وهو يتباعد أكثر حتى أنها تشعر وكأنه يشعر بالقرف عند النظر لوجهها، حتى والدتها لا تستطيع الحديث أمامها فهو بالليل وبالنهار يحذرها من أن يعلم أحد ما بينهم

مسحت دموعها بأطراف كميها بطفولية ورغما عنها شعرت باليتم .

لو كان أبيها حي يرزق الآن لم يكن ليتركها هكذا ،يبيع ويشتري بها الجميع ولا يأبهون لشعورها هي ، حسنا هي أخطأت وتعترف لكنها تراجعت عن خطأها وهو لا يسمعها ولا يريد السماع

وضعت الطعام بحدة على المنضدة أمامها ورائحة الجبن الرومي الذي ليس موجود بالأساس تقتحمها بشدة فتجعلها تريد التهامها الآن

نهضت بغضب ودخلت إلى الغرفة رافعه عنه الغطاء بفظاظة وقالت بغضب تُيقظه :_

"قم يا حسن ،،قم ...."

مرة واثنتين وثلاث ثم استيقظ دون وعي فاتحا عين ومغلقا الأخرى هامسا ببحة :_

"ماذا يحدث هل ، أنتِ والطفل بخير"

"نعم نحن بخير"

قالتها ببرود وهي تجلس على الفراش وأردفت :_

"ابنك يريد جبن رومي ،هيا اذهب وأحضر له ما يريد "

نظر إليها كأنه ينظر لمعتوه وقال بحيرة وهو ينفض عنه آثار النوم :_

"أي ابن "

أشارت لبطنها وقالت بعند:_

"ابنك ، من بداخل بطني، ألن تلبي له طلباته"

ضرب كفيه ببعضهم وقال:_

"يا الله وهل حب ابني للجبن تحينه الآن في موعد راحتي!!"

أومأت برأسها وهي جالسة على الفراش تُكتف ذراعيها

لذا نهض بغيظ دون أن يعيرها اهتمام وبعد ربع ساعة عاد وهو يتحدث في الهاتف .

أعطى لها الجبن وخرج ، أكلت ما تريد واستقامت خارجة من الغرفة متجهة إلى الحمام لكنها تسمرت مكانها شاعرة أن الأرض تميل بها وهي تسمعه يحدث خالد على الهاتف بصوت منخفض وهو يقول:_

"لم يكن يُهيئ لي يا خالد، تلك الفتاة منذ أن رأيتها وصورتها لم تفارق مخيلتي ولا أعلم لم

حتى أنني بعد اصطدامي بها أمسكت ذراعها بحدة وحين نهرتني بغضب ،تركتها متأسفا ولا أعلم ماذا يحدث لي من حينها وأنا أذهب كل يوم للمكان على أمل أن أراها ولا أكف عن التفكير بها ...."

انتهى

الفصل العشرون

التفتت على صوت رأفت يقول بعتاب:_

"مرحبا يا ابنتي ،هل ما يقوله عمار صحيح وأيضاً لا تريدين الدخول إنه بيتك "

احتقنت وجنتيها خجلا وأطرقت برأسها لا تدري ماذا تقول فأردف بحزم :_

"لن تذهبي لأي مكان ،بل ستتناولين الغداء معنا"

"عمي من ف..."

"لا عمي ولا غيره لن تذهبي لأي مكان "

أنهى حديثه ثم التفت إلى شهاب مبتسماً وقال:_

"دكتور شهاب ،هذه رنا أخت عمار ونور "

وبمكانه كان مندهش من حاله ومن تلك البهجة والسرور المنتشرين بقلبه .

ألم يكن هو الذي لتوه يستنكر على نفسه حبها فما بال روحة منتشية هكذا وقلبه يغرد فرحاً لرؤيتها .

أشتاقها لهذا الحد؟ لدرجة أنه أطال النظر لها ولم يفعلها يوما لامرأة منذ أن التزم، حتى أن عقله توقف فلم ينتبه للجوار إلى أن انتبه على صوت رأفت يقدمها له فاستجمع ذاته وهو يبتسم برزانة وقال :_

"آه بالطبع ، لقد تعرفنا من قبل على كل حال فرنا كانت تعمل معي"

"حقا" قالها عمار بدهشة ،فأومأ شهاب برأسه وقال:_

"نعم لقد كانت تعمل معي في ترجمة الكتب بالمكتبة " ثم أردف بنبرة خرجت عاتبة رغما عنه :_

"لكنها متغيبة منذ فترة دون أن أعلم السبب "

امتقع وجهها وتسارعت نبضات قلبها رغما عنها ،هل حقا يعاتبها أم عل ذلك المسكين في صدرها هو الذي يهفو لكلمة بعيدة المنال منه

ابتسم رأفت وقال :_

"خيرا والله "

ثم نظر لخالد وقال:_

"وهذا الباشمهندس خالد ابن أخو دكتور شهاب ،وهو الذي سيقوم بالعمل على الفيلا التي سننتقل لها قريبا ،ليس هناك أحد غريب تفضلوا"

ابتسم خالد وقال ملتفتاً لشهاب:_

"معذرة يا باشمهندس لقد كنا سنذهب للتو فأعتقد أن شهاب ،لديه عمل"

"لا والله لن تذهبوا قبل أن تتناولوا الغداء معنا "

حاول شهاب أن يعترض، فأقسم عليهم رأفت مرة أخرى وهو يدعوهم للجلوس .

جلست على مضض وقد اعتراها الضيق ، تعلم أن جلوسها مع غرباء رجال جلسة ودية كهذه وهي فتاة أمر عادي بالنسبة لزوج والدتها ومنزل والدتها عامةً، لكنه أمر مرفوض من حمزة وجدها ،ماذا لو علموا ؟!

شعر عمار بتململها فاتجه إليها جالساً على حافة مقعدها يحيطها بذراعيه وقال :_

"إذا أنتِ والدكتور معرفة سابقة ، أتعلمي أنه صديقنا؟"

"ابتسمت باهتزاز ولم ترد.." فتحدث شهاب إليها بهدوء قائلاً:_

"كيف حالك يا رنا ؟"

"بخير "همستها في خجل يتلبسها بشدة في حضرته فقال:_

"إذا هل لي أن أسأل لم انقطعتِ فجأة عن المكتبة دون سبب"

ظلت مطرقة برأسها ولسعت الدموع فجأة عينيها ولا تعلم ماذا تفعل أو تقول لذا قالت أول ما طرق ببالها

"ليس لشيء فقط ،ظروف "

لمعت عينيه بحنانٍ لو رأته لبكت، هو نفسه لا يعلم وهو يراها مطرقة برأسها هكذا لما تذكر عدد مرات بكائها في ذلك الركن المفضل لها في المكتبة لكنه قال بحُجة؟ :_

"حسنا، على الأقل الكتاب الذي تركتيه في المنتصف ،أستأذنك أن تأتي لتُنهيه"

أومأت برأسها فاستأذن منهم رأفت قائلاً :_

"حسنا المنزل منزلكم، فقط سأستعجلهم على الغداء وأنادي نور ونجلاء من الأعلى ليسلموا عليكم "

شحب وجهها وابتلعت ريقها بصعوبة ،هي لا تريد أبداً أن يشهد على موقف لها مع والدتها يا الله ما هذه الورطة ،لم تنتبه أن هاتفها يرن في يدها إلا على صوت عمار المشاكس:_

"أوه من هذا ال "حبيبي" آنسة رنا ومن ورائي أيضاً "

وكأن روحها رُدت إليها فقامت مسرعة وهي تقول بلهفة:_

"أنه حمزة يا عمار ،سأذهب بالتأكيد هو ينتظرني بالمجمع، فقد اتفق معي أن يمر علي هناك "

سحب الهاتف من يدها بسرعة وهو يضعه على أذنه بعد أن فتح الخط مهللاً :_

"مرحبا يا حمزة ، آه نعم رنا هنا وتعالى أنت أيضاً ، حسنا سننتظرك"

كانت واقفة ترمقه بغيظ وهي تدعو الله أن تتأخر والدتها حتى يأخذها حمزة من هنا ويذهبوا فهو أبداً لن يُخطأ فهم عينيها

غافلة عن ذاك الذي يتقلب على صفيح ساخن على مقعده منذ أن رن هاتفها وقرأ عمار الاسم ،حتى أنه نسى خالد الجالس جواره يعبث في هاتفه بملل...

تُرى من هو هذا الحمزة الذي يتحدثون عنه بكل تلك الحميمية وتتلهف هكذا للخروج له ، هل هي مرتبطة بأحدهم والأمر طبيعي بالنسبة لأخيها !!

قاطع أفكاره جرس الباب ،ودقائق ودخل عليهم شاب يقاربه في العمر ،حلو المحيا ،مبتسما يسلم على عمار ثم قبل رأسها وقبل أن يحترق كليا كان عمار يعرفه عليه

وكأنه جلب دلو ماء مثلج في ليلة شديدة الحر وسكبه على نار قلبه فابتسم بل ابتهج وهو يرحب به ،مما زاد من دهشة خالد وكأنه توقيت المعاتيه اليوم ...

فهم حمزة من نظراتها عدم رغبتها في دعوة عمار ،فتعلل بعمله واصطحبها منبها على عمار أن يرسل السلام لوالديه ..

□□□□

شعرت بتقلصات شديدة ببطنها فاستندت على الحائط وهي تجلس على الأرض بصعوبة فهي لا تقوى على الوقوف ،هل حقا ما سمعته؟

ينام معها بنفس الغرفة وفكره بغيرها ؟ ،، هل نظر لامرأة وشغلت خياله لأيام بل ويبحث عنها أيضاً!؟

شهقة بكاء خرجت عنها جعلته يلتفت في دهشة وكأنه نسى وجودها أغلق مع خالد وهب إليها مسرعا جاثيا على ركبتيه أمامها يسألها في قلق:_

"ملك ما بكي لما تبكي ولم أنتِ جالسة هكذا ، يا إلهي هل سقطتِ، هل حدث للطفل أو لكي شئ...؟"

ازدادت وتيرة بكاءها فحتى قلقه عليها لم يعد ،هو يقلق على الطفل وفقط

تململ من عدم ردها فقال ببوادر غضب:_

"ملك ،اهدئي وردي علي ماذا حدث؟"

هزت رأسها نفيا وهي تقول بتقطع من بين شهقاتها :_

"الطفل بخير"

قطب بين حاجبيه وسأل:_

"إذا لم تبكي ، هل أنتِ بخير؟"

لم ينتظر ردها وهو يساعدها على الوقوف ،فدفعته بعدائية ونفور فور أن وقفت وذهبت مسرعة إلى الغرفة

ضرب كفيه ببعضهم في ذهول وجلس جوارها على الفراش مستغفرا وهو يسأل بهدوء :_

"ملك أخبريني لم تبكي"

رفعت عينيها الحمراوين له ووجهها غارق بالدموع وهي تسأله بحزن :_

"من هي؟!"

قطب بين حاجبيه في حيرة فأردفت ببكاء:_

"هل تنظر للنساء يا حسن ،من هي تلك الفتاة التي قابلتها يا حسن ولم تنقطع عن التفكير بها! من يومها"

لمعت عيناه بالإدراك أنها استمعت إلى حديثه مع خالد ، اللعنة عليه ،كيف لم يحسب لذلك !

ابتلع ريقه بصعوبة وهو لا يدري ماذا يقول ،هو نفسه لا يعلم ما الذي ألم به منذ رؤية تلك الفتاة

هزته من ذراعيه بقوة وهي تصرخ :_

"ردي علي يا حسن ،لم أنت قاسي هكذا هاااا لم لا تستمع إلي ،توقف عن ذلك ، هل توقفت عن حبي، ألم تحبني من الأساس..؟"

كبلها بين ذراعيه وقد هاله مرأى دموعها وانهيارها فأخذ يُهدأها مسيطرا عليها بين ذراعيه هامساً بحنان :_

"هششششش اهدئي يا ملك ، الأمر ليس كما تظنين "

انتفضت مرة أخرى وهي تثور ببحة من كثرة البكاء:_

"إذا كيف ها كيف؟ قل لي كيف أن أهدأ أو بم أظن وأنا أسمعك تقول لصديقك أنك لأيام تفكر بامرأة غيري بل وتذهب لتفقد أثرها ..؟"

لم يرد فقط أخذ يربت عليها وهو يضمها إليه بقوة حتى شعر بارتخائها بين ذراعيه فوجدها نائمة .

ابتسم بألم وهو يُملس على خصلاتها بحنان ،فمنذ أن حملت بطفله وهي تنام نوم غير معقول ،لكن الطبيب طمأنهم أنه طبيعي...

حاول أن يتركها ويعدل من وضعها على الفراش فتمسكت به ،ضمها إليه بحنان ،ناظرا أمامه في قنوط ،هو نفسه لا يعلم ماذا َأَلم به منذ رؤية تلك الفتاة ....

□□□□

"علي ،كف عن تلك الأفعال الصبيانية واطلب منها تخرج لي ،يكفي إلى هذا الحد يا على آخر مرة كدنا نتضارب فيها بسبب ذاك العريس"

قبل أن يرد علي كانت هي تدخل عليهم الغرفة ،ترتدي عباية منزلية وحجاب ،ترفع رأسها في إباء.

لم تُلقي السلام عليه حتى ،بل التفتت إلى علي قائلة :_

"بعد إذنك يا علي ، دعنا نتحدث ولتعلم أني لن أتعداك في أمر "

أومأ علي على مضض ،فقد وصته أمه أن يُلين الدور مع تلهف وائل الواضح وصمت أخته المريب

انتظرت حتى خروج وائل ثم أمرت فريدة بلطف أن تخرج وتتركهم

وكأنها واحدة أخرى غير رؤى المدللة فهو لم يتحدث إليها منذ تلك المرة التي فلت لسانه بها بحديث جارح

سمعها تقول بجمود:_

"ماذا تريد يا وائل ؟"

هل خاف ؟! تباطأت دقات قلبه وشعر بالقلق من نبرة صوتها إلا أنه رد بهدوء :_

"أريد أن أردك إلى عصمتي"

"وهل لتوك انتبهت أنك تريد ذلك، لقد لهثت وراءك سنوات أندم عليها الآن"

قالتها بامتعاض فأجفل إلا أنه قال بعتاب:_

"تندمين؟!"

"نعم أندم يا وائل ، لا تعلم منذ ذاك اليوم الذي رميتني فيه بالحقيقة في وجهي ،كم ندمت وكم جلدت نفسي على سنوات أضعتها هباءاً .

إذا كنت تتخيل رداً غير ذلك فهنيئا لك خيالك المريض، أندم على كل مرة رمتني فيها خالتي بالكلام وكل مرة عيرتني على فقر أهلي وكل مرة أنبتني لعدم إنجاب ذكر وكل مرة اتهمتني بالأنانية أني أقف عائق في ضمك أولاد أخيك لأحضانك .

أندم أنني في كل مرة لم أجر إليك شاكية بل كنت أكتفي بما كنت أظنه حب لي رغم أنك لم تنطقها كثيراً إلا أنني

كالبلهاء كنت أخدر نفسي بها وماذا جنيت ،تخليك عني وتطليقك لي قبل حتى أن تفهم و تسمع وتحتوي

لكني عذرتك .

أعلم أني مجنونة ومتسرعة في ردود أفعالي وإني أخطأت بك حين نعتك أنك لست رجل .

صمتت للحظات ثم أردفت بمرارة :_

إلا أنك لو أحببتني فقط لو فهمتني فقط لم نطقت ما نطقت لفهمت أنها ما خرجت إلا قهرا ،حباً وغيرة "

لم تدرك أن دموعها سالت وهي تتحدث، إلا حين انتقل على الكرسي المجاور لها قائلاً:_

"رؤى اهدئي و استمعي لي ،من فضلك"

لم ترد وأطرقت برأسها أرضا فقال بندم :_

"أنا آسف يا رؤى، آسف لكل ما سمعتيه من والدتي ،لم أعلم تلك الخلافات التي كانت تحدث بينكم إلا قريب وأنتِ تعلمي أني لم أكن لأصمت عنها بل أني لا أقبل لكي أي إهانة ، لكن لا تنكري الفترة الأخيرة كانت جحيم بسبب حفصة وأطفالها رغم أني حلفت لكي مرارا أني لن أفعلها و.."

قاطعته قائلة بحدة :_

"لا تنكر أنك فكرت بالأمر بينك وبين نفسك يا وائل "

توتر قليلاً لصدق شعورها لكنه تنهد وقال بصدق :_

"حسنا لا ولن أنكر لكن ليس حبا في حفصة ،فقط كانت فكرة عابرة في المبدأ من كثرة زن أمي لكن أقسم أن نفسي عافتها ولم ترضاها"

لم ترد فقال بهدوء :_

"لو كنت أريد غيرك لتزوجت في الثلاث سنوات الماضية لكني لا أرضى إلا بكِ ، كنت أتقلب على جمرٍ من كثرة الحيرة بين ضمك إلي أنتِ وفريدة مرة أخرى، وبين رؤيتك لي لست رجلا ولست أهلا لكي بعد كل هذه السنوات .

صدقيني الكلمة ثقيلة من المرأة لرجلها ، لا أنكر أني قد بالغت لكن ما كان يطمئنوني هو وجودك حولي ومحاربتك لي كانت تخفف من جرح كرامتي،

أنا أريدك يا رؤى وأريد أن نكمل حياتنا سويا "

صمتت لدقائق ثم قالت بهدوء أجفله :_

"حسنا وأنا موافقة لكن بشروط "

نظر إليها في حيرة وسألها :_

"أي شروط؟"

رفعت رأسها تواجه عينيه وقالت باعتداد :_

"بالتأكيد أنت تعلم أن لي عقد جديد بشروط جديدة"

أومأ قائلاً:_

"بالتأكيد وسيكون لكي ما تريدين ،وشقتنا كما هي لم أمس بها شئ من بعدك "

ابتسمت بسخرية وقالت:_

"أول شرط يا وائل، أريد شبكة من الألماظ لن أُملي عليك رقم معين لها لكني سأتركها لك تقدر قيمتي "

رفع أحد حاجبيه تعجباً فهي أبداً ليست من هواة المال والشكليات إلا أنها لم تبالي بتعجبه وأردفت :_

"ثاني شرط ، لقد تزوجنا ثلاث سنوات وتم طلاقنا ثلاث ودخلنا في الرابعة ،حسنا لن أُثقل عليك ، مهري يكون ستة أضعاف مهري الأول، والمؤخر الذي أكتبه ،تمضي عليه دون ذرة تفكير "

مرت بعينيها على حيرة وجهه الظاهرة وقالت:_

"عملي الذي كنت ترفضه، لن أقبل رفضك بعد الآن ، فأنا لن أدخل بيتك مرة ثانية إلا وأنا امرأة عاملة "

"والله!" قالها بسخرية وهو يستشيط غيظا منها فقالت:_

"نعم كما سمعت فالزمن ليس له أمان "

"بعد كل تلك الشروط وأي أمان تطلبيه؟"

"والله هذه هي شروطي ولك حق القبول أو الرفض ،المهم آخر شرط هو شقة جديدة وتكون بإسمي وبعيدة تماما عن بيت خالتي "

انتفض واقفا وهو يقول:_

"لا لقد زودتيها يا رؤى ،كيف تطلبين مني ترك أولاد أخي وأمي"

وازته في وقفته تنظر له بيأس وقالت بجمود:_

" أنا لم أضربك على يدك ،هذه شروطي وأنت من تريد العودة لست أنا ولن أتنازل عن أي منهم"

أنهت كلامها في حزم وتركته وخرجت مسرعة ،فدخل علي له مسرعا وهو يضحك فقد كان يستمع إليهم

دقيقة ولكمه وائل في صدره فأسقطه على الأريكة خلفه وهو يقول بغيظ:_

" أتضحك ؟! ،هل استمعت إلى السفيرة عزيزة أختك وهي تُملي شروطها "

اعتدل على في جلسته ،يمسد مكان لكمة هذا الثور مبتسما بشماتة وهو يهز رأسه باستحسان لفعلة أخته فسبه وائل وخرج مسرعا

انفجر ضحكا ، هو الآن مطمئن على رؤى وسيترك الكرة لملعبها لقد وضعت وائل في اختبار بشروطها فهي تعلم جيدا أن خالتها سترفض تلك الشروط و لنرى ردة فعلك يا أبا فريدة..

□□□□

فور خروج الحالة ، اتكأ بظهره على مقعده مبتسما براحة .

أبداً لن ينسى تلك الدقائق بين خروجها مسرعة مع ذاك الحمزة وشرح عمار بطبيعته الثرثارة له أنه خالها

التف بمقعده يواجه الحائط وقد عاد لحيرته وقلقه يستنكر على نفسه حب فتاة تصغره بأعوام ،من عُمر أبناء إخوته تقريبا لكن في الوقت ذاته يكره خوفه وتردده هو ليس بالشخص المتردد فليختبر قبولها أولاً ولكل حادثٍ حديث .

قطع عليه شروده ،دخول مادلين الصاخب مهللة

"مبارك يا شهاب، أنا فخورة بك ، الإقبال على إعلان كتابك في المعرض مهول حقا "

أدار كرسيه يواجهها مبتسما بيأس وقال :_

"ألن تتعلمي طرق الباب أبداً ؟ تفعليها مرة وتتركيه عشر"

هزت رأسها نفيا بدلال وهي تجلس على المقعد أمامه وقالت :_

"هل ستسافر إلى المؤتمر يا دكتور؟"

هز رأسه إيجاباً وقال:_

"نعم ، الأسبوع القادم بأمر الله"

"هل ستظل طوال الثلاثة أشهر هناك ؟"

"أعتقد ذلك ، إلا إذا جد جديد"

هزت رأسها وقالت مبتسمة :_

"حسنا اتركنا من هذا الآن وقل لي أين نسختي؟"

مال جانبا يسحب كتابا من الكرتونة الصغير بجانبه
وأعطاه لها فتذمرت قائلة وهي تضعه أمامه :_

"التوقيع يا دكتور"

ابتسم وفتح أولى صفحات الكتاب كاتباً :_

«إهداء من شهاب البرعي إلى تلميذته د. مادلين نصار، وفقكِ الله »

أغلق الكتاب وناوله لها فأخذته بلهفه تقرأ ما فيه إلا أن ابتسامتها انحسرت وهي تقرأ كلماته الحدودية

أغلقت مادلين الكتاب ونظرت إليه مبتسمة مرة أخرى وقالت :_

" لقد قرأت أن حفلة توقيعك بعد غد صحيح؟"

أومأ برأسه فقالت :_

"حسنا، سآتي معك "

رفع أحد حاجبية مندهشا وسألها بحيرة :_

"ولم؟"

"ألسنا أصدقاء يا شهاب ،يجب أن آتي"

"زملاء يا دكتورة ،قلت لكي أنا لا أُصادق النساء"

لوت فمها ممتعضة وصمتت ثم عادت وسألته :_

"هل هكذا أنا من أخذت النسخة الأولى إذاً؟"

هز رأسه وهو يقول بأسف :_

"لا لستِ صاحبة النسخة الأولى ؟"

"لمن إذا؟"

"لصاحبها "

قالها بغموض وهو يمني نفسه أن تصدق في كلمتها مع حفصة وتذهب للمكتبة اليوم فقد أخبرته حفصة عرضا أن رنا ستأتي اليوم للمكتبة لإكمال الكتاب العالق

وبركنها الأثير في المكتبة ،لتوها وصلت ،وضعت حقيبتها وأخرجت حاسوبها وضعته على المنضدة أمامها وقبل أن تفتحه لفت نظرها ذلك الكتاب اللامع أمامها على المنضدة ،تناولته بيدها فابتسمت وعينيها تلتقط اسمه بالأسفل

«دكتور شهاب البرعي»

فتحت الكتاب وتسارعت دقات قلبها وهي تقرأ خطة المنمق بالصفحة الأولى

«إهداء مني أنا شهاب البرعي أول نسخة من كتابي الجديد إلى تلك الصغيرة التي تشابكت أقدارنا صدفة ذات يوم وهي غريبة لا أعرفها تسألني عني كغريب تظنني شخص آخر فكان القدر أن تعارفا الغريبان»

اضطرب قلبها كالأبله مهللا فرحا من مجرد كلمات ،لكاتب وطبيب ناجح مثله ليست بالصعبة ،بالتأكيد كتب أجمل من ذلك للآخرين

عادت روحها تهفو سائلة:_

"إذا لماذا أعطاها النسخة الأولى ،هو بالتأكيد علم عن قدومها من حفصة "

تعود وتحبط نفسها أنها ربما كانت صدفة وزع بها على كل العاملين معه وكان من حظها هي النسخة الأولى

تنهدت في قنوط وقد أفسدت على روحها فرحتها وهي تقلب الصفحة التالية للإهداء من الكتاب بعد أن مرت بعينيها سريعا على الإهداء التقليدي الذي بدأه لوالديه

وقعت عينيها على كلمة

«المقدمة»

فبدأت تقرأها بصوت مسموع قليلاً:_

"بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤}"

قبل أن تقرؤوا الكتاب أحببت أن أنوه لكم ما هي "المُضغة" بالأساس ،وأنا أقرأ تلك الآيات بالأعلى وقفت عند

«فخلقنا العلقة مضغة»

وبحثت عن المعنى وأخذني فضولي للتوغل في الموضوع فبحثت وقرأت وسمعت الوفير مما سد رمق فضولي لذا أحببت أن أُشرِككم في البسيط مما فهمت وعلمت وهو أن العلماء وجدوا أن الجنين في الرحم يظهر على شكل كتلة من اللحم المضغ وذكروا السبب لصغرها وعظامها غير المشكلة

والجنين خلال فترة معينة في الرحم يكون لدية شكل وكما لو كان لديه علامات كالأسنان عليه

لذا أقر العلماء أن "مضغة "إعجاز في القرآن الكريم

وسمعت أيضاً للإمام الراحل محمد متولي الشعراوي رحمه الله أن ذكر كلمة مضغة في القرآن مرتين ليس تكرار بل هناك مضغة مخلقة تتخلق للجوارح وغيرها

،ومضغة غير مخلقة وهي كاحتياط للصيانة مثلا لالتئام الجروح

أيضاً البروفيسور دكتور كيثل مورو " Dr: keith.l "Moore

يقول عن المرحلة التي يشار إليها بعبارة مضغة في القرآن "لقد تعلمنا ما تعنيه الآيات المذكورة أنفا ،في دهشة ،عندما فحصنا جنين هذه المرحلة يصبح هناك سلسلة من الخرز تظهر على الجنين في اليوم الثامن والعشرين تقريبا وأنها تبدو كالأسنان في مظهرها ،فصنعنا نموذج من البلاستيك للجنين في هذه المرحلة وتركنا أثر عليه بأسناننا فكان مماثل تماما للجنين في هذه المرحلة والتي شرحت جيدا لما القرآن يصف الجنين البشري بكتلة اللحم الممضوغة «مضغة»

بعد مقالة دكتور كيث أعتقد أن الرؤية وضحت في معنى كلمة مضغة والإعجاز الإلهي فيها ،ولكي نعلم عن ماذا يتحدث كتابي

"مُضغة "هذا العام يكون ختامه مسك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم

"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ..."

إذا حديثنا هو القلب ومعا نتابع أولى سطور الكتاب..."

أنهت القراءة وصمتت تطلع في الكلام أمامها بانبهار إلا أنها انتفضت على صوته جوارها يقول باتزان :_

"ما رأيك يا صغيرة ؟"

ابتسمت باهتزاز وابتلعت ريقها تحاول أن تحافظ على ثباتها أمامه وقالت بصدق:_

"جميل جدا ، أنا عادةً لستُ من هواة القراءة لكن المقدمة جذبتني خاصة أني لم ألاحظ الاسم حين فتحت الكتاب لذا سأقرأه "

وتعلم أنها كاذبة حتى وإن لم تجذبها يكفي أنها منه لتقرأها حتى وإن كتب بضعة كلمات سخيفة لا ترابط بينهم ستقرأه

ابتسم وسحب كرسي جالسا أمامها قائلاً بهدوء :_

"جيد ،سأنتظر رأيك إذاً"

أومأت برأسها بخجل فسألها بعتاب :_

"إذا هل لي أن أعلم سبب انقطاعك الفترة الماضية دون سبب؟"

صمتت لدقائق وبالأخير قالت :_

"كانت لي أسبابي الخاصة "

أومأ برأسه في احترام وصمت هو الآخر مترددا فيما يريد قوله إلا أنه استجمع شجاعته أخيراً وقال:_

"حسنا يا رنا بما أننا نُدردش سويا ، أريد أن أسألك سؤال "

"أي سؤال؟"

"فقط سؤال طرق برأسي ،ما رأيك بفرق العمر في العلاقات ؟"

هزت رأسها بحيرة وقد أعزت أنه بالتأكيد يسألها عن شئ له علاقه بعمله فسألته :_

"لا أفهم من أي ناحية؟"

حك ذقنه قائلاً:_

"مممم يعني مثلا أنتِ كرنا مثلا إذا أراد شخص يكبرك في العمر بسنوات كاثني عشرة سنة مثلا أن يرتبط بكي هل سيكون العمر عائق عندك؟"

صمتت لدقائق وقد امتقع وجهها فهي ترى نفسها لا تصلح لهذا الأمر لكن يبدو أنه يتحدث عامة لذا رفعت رأسها تقول بصوت عادي:_

"أنا كرنا العمر لن يفرق بالنسبة لي ، إذا كنت أريده ،المهم هو التقارب الفكري بيننا بالإضافة إلى المعايير الأساسية في الزواج غير ذلك فالعمر نقطة ثانوية بالنسبة لي"

صمت دقائق وقد ارتاح لتفكيرها لكنه عاد وسألها مرة أخرى:_

"ربما مثلا يعترض أهلكي على الفارق الكبير"

ابتسمت بسخرية محدثة نفسها أن والديها لن يهتموا بالأساس لكنها قالت:_

"لا جدو مسألة العمر لا تفرق معه المهم له هو الشخص ،كذلك حمزة كما أن الشخص الذي كنت مرتبطة به كان يكبرني بتسع سنوات "

لحظة ،لحظة!! هل قالت أنها كانت مرتبطة ؟ منذ متى وهو غيرته حارقة هكذا، شئ لم يكتشفه في نفسه بتلك القسوة إلا معها

تنهد ضابطا أعصابه وهو يسألها بجمود:_

"هل كنتِ مرتبطة بأحدهم من قبل؟!"

ابتسامة حنين ارتسمت على شفتيها ،متذكرة عمر الحنون فالتفت جانبا وهي ترد بشرود :_

"نعم لقد كان معقود قراني على أحدهم وانفصلنا.."

قالتها بهدوء غافلة عن ذاك الشعور اللاذع لصدى كلماتها عنده ، يحمد الله على نعمة هدوءه وضبط أعصابه وموازنته للأمور جيدا ،لكنه يريد أن يعرف أكثر ،يفهم ويتريث....

صمته المريب ضايقها ،يبدو أنها ثرثرت أكثر من اللازم لكن ماذا عساها تفعل ؟

هي تحب الكلام معه ،حتى وهي تعلم أنها لا تتعدى فتاة تعمل معه لكنها تحب تلك الفترة المستقطعة من الوقت معه ،تفصلها عن مر الحياة بحلى وجوده ،ابتلعت ريقها مبتسمة باهتزاز وقالت :_

"أنا آسفة ،يبدو أني أزعجتك بكثرة ثرثرتي"

فاجئها صوته الهادئ وهو يسألها:_

"مممممممم هل ستنعتيني بالمتطفل إذا سألتك عن سبب انفصالكم؟"

قطبت بين حاجبيها وهي لا تفهمه إلا أنها مطت شفتيها قائلة بلامبالاة :_

" لا الأمر عادي ،فقط بعد وفاة والده ،صارحني أنه لم يحبني وأن والده هو من أجبره على الارتباط بي فتطلقنا؟"

حك جبهته وسألها بتردد:_

"وأنتِ هل ...هل أحببتيه"

حسنا لو سألها أحدهم قبل معرفته فقط أنها أحبت عمر ،لكان ردها بالإيجاب ،لكن منذ أن رأت ذلك الغريب كما نعت نفسه في الإهداء، قابلته وتحدثت إليه، ناقشها وتحدث إليها .

احتواها دون قصد بنظرة عينه ،فأبدا هي لم تحب عمر بل لم تعرف الحب إلا لاسم شهاب البرعي فقط

أساء فهم صمتها فسألها بقلق وضيق ينتشر بروحه :_

"هل مازالتِ تحبينه؟"

التفتت إليه مبتسمة وقالت:_

"أنا لم أحب عمر من الأساس ،فقط كان مجرد شخص مناسب ووافقت عليه"

ابتسم واضطرب قلبها ،هل لو أقسمت له أن ابتسامته هذه تُنير روحها ستكون مجنونة

نفضت عنها أفكارها وهي تغير مسار الحديث وتقول:_

"مبارك يا دكتور على الكتاب"

"بارك الله فيكِ"

قالها برزانة وفكره منشغل أن يفاتحها في الموضوع قبل أن يسافر فحصيلة تفكير الأيام الماضية وبعدما تأكد من حبه لها لن يثنيه ما عرفه الآن ،لقد علق بها قلبه وانتهى الأمر ....

احمرت أذنيه ونقر بسبابته على الطاولة أمامه كعادته عندما يتوتر ثم قال بخجل فطري في شخصيته:_

"رنا أنا أريد أن أفاتحك في أمر قبل أن أسافر إلى المؤتمر"

حزنت نفسها لسفره لكنها قالت بفتور:_

"تفضل يا دكتور "

سمح لنفسه تأمل محياها البريء لدقائق وقال :_

"أنا أريد التقدم لكِ!"

□□□□

منذ أن استيقظت ظهرا وهي لا تكل عن الدوران حول نفسها، حتى أن أمها في زيارتها لها لاحظت نزقها وتوترها لكنها أعزته إلى حملها

كيف له أن يخرج صباحا ويتركها نائمة هكذا؟، هل يظن أنها ستمرر ما سمعت مرور الكرام

خبطت كفيها ببعضهم تتجه إلى الطاولة تسحب هاتفه بعنف وترسل له كتابةً :_

"اجلب معك بسكويت كثير بالشوكولاتة والفراولة ومخبوزات "

وضعت إصبعها بين أسنانها بحنق ثم فتحت هاتفها مرة أخرى متمتمة بتوعد طفولي:_

"والله لأخرب بيتك يا حسن ، لتعرف جيدا كيف تنظر لأخرى غيري"

دمعت عيناها فكتبت بغيظ :_

"ومقرمشات أطعم مختلفة ومياه غازية وبيتزا"

رمت الهاتف بغضب وهي ترى العلامات الزرقاء التي تدل على قراءته رسالتها

"حسنا يا حسن ، يا أنا يا أنت "

ساعة وانتفضت من على الأريكة وهي تسمعه إغلاقه لباب الشقة

اقترب منها وألقى السلام فلم ترد ورمقته شزرا وهي تسحب الكيس الكبير من يده ، تدفن رأسها به تتفحص محتوياته

دقائق ورفع أحد حاجبيه وهي ترفع وجهها إليه بغضب تقول بحدة:_

"أين المقرمشات ، ألم أقل لك تجلب لي المقرمشات ، أطعم مختلفة"

"لقد حذرك الطبيب من الأملاح ألا تتذكري "

قالها ببرود ألمها فاهتزت شفتيها ببوادر بكاء مما جعلها تلقي الكيس بحدة على الأريكة حتى تناثرت بعض محتوياته وذهبت مسرعة إلى غرفتهم...

نظر إثرها في دهشة ثم جثى على ركبتيه يلم الأكياس الصغيرة يضعها على الطاولة واستقام ذاهبا ورائها ،

دخل غرفتهم فوجدها نائمة على الفراش تعطيه ظهرها وجسدها يهتز دليل على البكاء

جاورها في الفراش وشدها إليه سائلاً بهدوء:_

"ملك ماذا حدث الآن لم البكاء؟"

لم ترد عليه ووتيرة بكاءها تزداد وهرمونات الحمل تفعل أفاعلها فأخذ يربت عليها متحليا بالصبر حتى هدأت قليلا فسألها مرة أخرى:_

"ها يا ملك لما كانت تلك الوصلة إذن؟"

"ليس لشيء ،اتركني لا أريد منك شئ"

قالتها بغضب وهي تبتعد عنه فصرخ غاضباً:_

"كفي عن تصرفات الأطفال ، أنا لست متفرغ لتلك الأفعال"

"آه نعم أكيد منشغل بالهانم التي لا تغيب عن خيالك"

خبط كفيه ببعضهم مستغفرا وقال بضجر:_

" يا الله أهي أسطوانة ستمسكينها لي يا ملك "

اقتربت حتى وازته في وقفته وسألته بألم :_

"هل أحببتها يا حسن ،قل لي ، أنا أتألم لا تكن قاسي هكذا"

حين لم يرد أسبلت أهدابها هامسة بحزن:_

"أرجوك يا حسن"

طبيعته الحنونة هزمته أمام كل ذلك الألم الذي يقطر من كلماتها فأخذها من ذراعها وجلس على الفراش وأجلسها جواره قائلاً بهدوء:_

"يا ملك لقد فهمتي الأمر خطأ ، لم أفكر بها تفكير رجل بامرأة فقط هو شعور يماثل تماماً عندما تتقابلين مع أحدهم فيقول لكي أنه قد رآكي من قبل وأن شكلك مألوف بالنسبة له يعني شئ كهذا ، لا أدري ..."

مسكت كفيه بلهفة وهي تحمد الله أنه أخيرا تحدث معها ،منحية موضوع تلك الفتاة جانبا وقالت بأمل:_

"لتسمعني يا حسن "

تصلب مكانه وقد لاح على ملامحه الرفض فتمسكت بيده بقوة وقالت بصدق :_

"أقسم يا حسن لقد فهمت الأمر خطأ ، أنا لم أكن سأتناول تلك الأقراص أبداً ،لو كنت انتظرت ثانية لتأكدت بنفسك وأنا أقول لها أني لن أتناولها أبداً "

لم يرد ونبرتها المتوسلة تطرق قلبه فيذهب بذاكرته لذاك اليوم مستعيدا ما سمعه جيدا ذلك اليوم فور أن دخل الغرفة عليها ووجدها تقول:_

«لا يا رندا لم أجد اختبار الحمل بالصيدلية القريبة مني سأنتظر للغد»

«وماذا إذا حدثت المصيبة اليوم يا فالحة؟»

«رندا قلت لكي من قبل لا تتحدثي في تلك المواضيع،ثم أي مصيبة ستحدث هل حملي مصيبة»

«لا تفقعيني يا فتاة و أخبريني هل اشتريتي الأقراص المانعة للحمل ؟»

«نعم لقد جلبت الأقراص المانعة للحمل لكني لن أخذها يا رندا»

«حسنا لا تأخذيها اليوم حتى تتأكدي وادعي ألا تكوني حامل يا فتاة »

«رندا لما صوتك عالي هكذا أقسم أن جيراني أنا يسمعون حديثك ،كما أنكي فهمتي خطأ لا أقول أني لن أخذ الأقراص اليوم فقط بل أقصد... آه»

هل حقا كانت ستقول لها أنها لن تأخذها أبداً ؟!.

انتبه من شروده على يدها الدافئة تحط على وجنته تدير وجهة لها قائلة بصدق :_

"أقسم لك يا حسن أني صادقة فيما أقول "

صمت لدقائق وقال بسخرية :_

"حتى لو كنتي صادقة يا ملك ،يكفي أنكِ فكرتي ، أنكِ كنتي مترددة وإلا لما تحدثتِ معها بالأساس "

أطرقت برأسها تمسح دموعها التي تجري على وجنتيها ثم رفعت رأسها إليه قائلة ببحة :_

"والله أبداً ، هذا ظلم ،فقط كنت أثرثر لها ، لقد كان اقتراحها وأقسم أن نفسي لم ترضاه أبداً "

مسكها من ذراعها بعنف وهو يقول بغضب:_

"حتى ولو كان كذلك يا ملك لن يشفع لكِ ، لم تخرجين أسرار بيتك لصديقتك بالأساس ها"

أنهى كلامه صارخا فأجفلت وهي تطرق برأسها باكية وتقول :_

"إذا لم تسامحني"

تنهد بهم وقال:_

"صدقيني يا ملك هذا أفضل لكلينا ، لن تنسي أبداً أنكِ تزوجتي من لقيط، وسأكون أناني لو جبرتك على وضع كهذا وأنا لن أقبل ذلك على كرامتي"

ضربته بقبضتها في صدره وهي تقول من بين شهقاتها :_

"لا تقل هذا ، لا تقل هذا، لم لا تشعر ، أنا أحبك يا حسن أحبك "

□□□

"رنا اهدئي وأخبريني ماذا حدث منذ أن أتيتي وأنتِ تبكي وأنا لا أفهم شئ بالمرة "

"لقد طلبني شهاب للزواج "

قطبت حفصة بين حاجبيها دقيقة ثم ابتسمت قائلة ببهجة:_

"لا تقوليها ، شهاب البرعي حقا؟!"

مسحت دموعها ونظرت إليها بدهشة وقالت :_

"ما كل ذلك الابتهاج يا حفصة؟!"

رفعت حفصة أحد حاجبيها وهي تقول:_

"ولما لا أبتهج يا فتاة ، أنا أعز دكتور شهاب كأخي، أخيراً فكر في الزواج ،لقد كانت أمنية يحيى رحمه الله"

صمتت حفصة دقيقة ثم سألتها بهدوء :_

"مممممم هل أنتِ غير موافقة"

"حفصة فكري قليلا ،شهاب البرعي يريدني أنا ، أنا يا حفصة رنا ال.."

قاطعتها حفصة بحزم وقد لمعت عينيها بالإدراك وقالت:_

"اياكِ، اياكِ ، يا رنا والتحقير من شأن نفسك ،هل هي علكة بفمك لا تكوني مثيرة للشفقة هكذا "

صمتت رنا تنظر إليها بأمل وقالت :_

" أتدركين يا حفصة ؟ ماذا لو علم أني أنا الفتاة التي يعالجها من خلف الشاشة؟"

"ومن أين سيعلم؟"

سألتها حفصة بحنق فقالت :_

"بالطبع يجب أن يعلم حقه أن يقرر"

تنهدت حفصة بصبر وقالت:_

"حبيبتي من قال أنه حقه ، لا ليس من حقه بالطبع لقد أمرنا الله بالستر على أنفسنا أنفضحها نحن بعد أن جملنا بجميل سترة؟"

ربتت على كفها بحنان وقالت بهدوء:_

"خطأ وانتهى يا رنا ،كفي عن جلد ذاتك ، أذنبتي وتبتي ،هل ستوقفين حياتك على هذا الذنب لا حبيبتي عيشي وافرحي فالرحيم غفر لكِ بإذن الله

لقد قال في حديثه القدسي جل وعلا

" يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"

ابتسمت رنا أخيراً فأردفت حفصة منبهة:_

"اعلمي جيدا يا حبيبتي أن ماضيك انتهى ولا يحق للخاطب أيا كان أن يعرفه والأمر لا علاقة له بالخداع كما تظني بل هو درءاً للمشاكل ونشر الشك في النفوس مثلا إذا كانت فتاة مرتبطة بأحدهم في علاقة غير رسمية ثم انفصلوا وخطبت لآخر هل تقول له ، بالطبع لا فهو

ليس له علاقة بماضيها المهم أن تحفظه هو وتتقي الله فيه "

أومأت رنا برأسها في تفهم فاحتضنتها حفصة بحنان، هذه الفتاة بكل حكايتها تثير في نفسها مشاعر الأمومة لحميتها يشهد الله أنها عندها كابنتها دانية وإن كانت ليست بالصغيرة

ابتسمت وهي تسأل بمشاكسة :_

"إذا طبيبنا قد نال قلب الصغيرة ،رحمك الله يا يحيى لقد كنت تتمني تلك اللحظة.. "

□□□□

"وماذا أيضاً روح خالتها ولما لم تطلب السماء كنت جلبتها لها بالمرة "

قالتها أمه بغضب وهو يخبرها برغبته في العودة إلى رؤى وشروطها

تنهد بصبر وقال:_

"أمي أنتِ فوق رأسي ،ومن الأرض وضعي فوق رأسي لن أتحدث ولا أجرؤ لكن أرجوكِ أخرجي رؤى من رأسك أريد أن أستقر في حياة هادئة مع ابنتي ،يكفي تشتت إلى الآن"

نظرت له وكأنه مجنون قائلة:_

"هل معنى كلامك هذا ، أنك موافق على شروطها"

صمتت دقائق وقال:_

"نعم يا أمي أنا موافق وسأفعل ما تريد ، إذا كان هذا ما سيجعلها تعود فلقد تباسطت في حقها دون أن أدري كثيرا "

"تباسطت، تباسطت"

قالتها بغضب وهي تضرب بكفيها فوق فخذيها ثم انتفضت واقفة تقول :_

"وهل كانت تحلم بالأساس أن ،تتزوجك ،تحمد الله أنها حملت اسمك يوما "

حافظ على أعصابه قائلا بحزم:_

"أمي ،أمي لا تنسِ أنكِ تتحدثي عن والدة طفلتي وستكون زوجتي مرة أخرى"

"هل ستعصي أمري ؟" قالتها بحدة فقال:_

"ليس عصيان يا أمي ، فأنا لم أعصيكِ في أمر يغضب الله بل على العكس ،انت من ترفضين الأمر وأنا لن أتنازل "

"وهل ستكون رجلا حين تسمع كلام امرأة وتترك أمك وأبناء أخيك من أجلها؟"

صمت يحاول ضبط أعصابه ،فوالدته تضغط عليه كثيرا إلا أنه تحدث بهدوء قائلاً:_

"نعم يا أمي حين أحافظ على بيتي ، كما أني لن أترككم أبداً ،سأحجز شقة في العمارة الجديدة بالشارع الخلفي أي سيكون بيني وبينكم دقائق"

"على راحتك يا وائل على راحتك ،رحمك الله يا يحيى لم تكن لتفعلها بأمك أبداً ،عوضني الله بأولادك"

نظر إليها بيأس وتركها وخرج ، أمه لن تقتنع أبدا باقترانه من رؤى ابنة خالته لقد حاربته كثيرا في مرته الأولى وهو لن يقع في نفس الخطأ ثانية....

□□□□

"يا أنس يا حبيبي يا قلب أمك ،اشتقتك يا حبيبي"

"وأنا أيضاً يا أمي "

قالها بحنان وهو يضمها إليه مغلقا الباب خلفه

تركته يسلم على والده وأخته ثم شدته لحضنها مرة أخرى وهي تسأله باهتمام:_

"هل سعدت في سفريتك أنت وزوجتك يا حبيبي؟"

أومأ برأسه مبتسما وهو يقبل رأسها متمتما بالحمد فسألته باهتمام :_

"إذا أين هي يا حبيبي ، أم صعدت لتبدل ملابسها بشقتكم"

دارت عينيه بين والده وغدي بتوتر وهو لا يدري ماذا يقول مما دفعها لتهتف باكية :_

"هل رفضت المجيء ، هل مازالت لم تسامحني؟"

ابتلع ريقه وهو يضمها إليه يقبل رأسها ثم اعتدل في جلسته مطرقا برأسه وقال بهدوء:_

"أمي لقد حجزت شقة بالخارج لي أنا وروضة "

قطبت بين حاجبيها تسأله في وجل:_

"كيف يعني هل ستتركني"

احتوى يديها بين كفيه هامسا بحنان :_

"والله لن يحدث يا أمي بل سأمر عليكي كل يوم "

"آه هذا ما كنت أخشاه ،ستجعلك تبتعد عني"

تنهد بصبر وقال:_

"حبيبتي الفكرة كانت فكرتي أنا أقسم لكِ يا أمي ،
فليلعنني الله إن تأخرت عنكِ في يوم "

"بعد الشر عنك يا حبيبي" قالتها بلهفة وهي تضم رأسه
إلى صدرها لكنها عادت وسألته بقلق:_

"هل مازلت لم تسامحني بعد؟"

قبل يديها وقال :_

"من أنا يا أمي كي أسامحك أو لا أسامحك ،فلتسامحيني أنتِ على فعلتي والله ما فعلت ذلك إلا لأتجنب حدوث أي شئ يؤثر على حياتي مع روضة فقط"

ألمها حديثه فهي السبب الأول في كل شئ لكنها عادت وربتت على شعره بحنان فسألها بلهفة:_

"إذا هل أنتِ راضية يا أمي ؟"

قبلت وجنته ،تحبس دموعها بداخلها وهي تبتسم له تطمئنه وتقول:_

"إلى يوم الدين يا حبيبي راضية عنك ،برضاي عليك أدعوا الله أن يرضيك ويسعدك ..."

□□□□

زفر بضيق مستغفرا وهو يتطلع في الأوراق أمامه شارداً في ردة فعلها المحيرة ، لقد نظرت له بصدمة ثم استقامت واقفة تأخذ حقيبتها وهاتفها قائلة بتوتر يغزوه الخجل أنها يجب أن تذهب حتى أنها لم تنتظر رده وخرجت مسرعة ناسية حاسوبها على الطاولة أمامه

مسد جبهته بضيق وهو لا يفهم ،هل هو خجل طبيعي ، أم أنها ترفضه ،هل يذهب لبيتها أم سيُعرض نفسه للحرج ، لا يستسيغ فكرة اتصاله بها ،هو لا يحب سوى الطريق المستقيم في تلك المواضيع ، فقط يتمنى أن تأتي لأخذ حاسبوها قبل أن يسافر ،فسفره سيطول

تأفف ضائقا من فكره المنشغل عن عمله وركز في الأوراق أمامه ، يراجع الحالات التي أبلغها بسفره ، هل بقى أحد أم لا

لقد أوكل مرضاه بالمشفى والمصحة إلى زملائه هناك ، أما المركز فهي أسرار مرضى لذا ككل مرة ، أتاح لهم فرصة التواصل معه في أي وقت

لمع في ذهنه تلك الفتاة التي يتابع معها على الإنترنت ، تناول هاتفه يفتح المحادثة بينهم ينظر لها بتركيز وفكرة ما تلمع في عقله قام بالفعل في تنفيذها فهو تعهد وأخذ على عاتقه أن يعالجها من وراء الشاشة ، الأمر صعب لكنه دوره على كل حال ...

فتح درج مكتبه ،مخرجاً منه هاتف محمول يستخدمه أحياناً للضروريات، فتحه ونقل رقمها عليه ثم

قام بعدة عمليات على الهاتفين وبعدها أرسل من رقم آخر على رقمها

فيديو بعنوان إباحي مثير ، أرسله ناظرا إلى الهاتف بقلق ،يعلم أن ما فعله مجازفة منه ،بالطبع الفيديو ما هو إلا عنوان فقط لكن المحتوى أبعد ما يكون عن الإباحية بل هو مقطع مفيد ،لكنه فعله كاختبار صغير لها

هل ستصمد وتجاهد ذاتها وتحذف الفيديو فور أن تراه، أم فضولها الناتج من ضعفها سيجذبها لفتحه

قام بمسح الفيديو من ذاك الهاتف وأغلقه وأعاده الى الدرج متوكلا على الله أن يوفقه في حالة تلك الفتاة ،ثم تناول هاتفه المفتوح على المحادثة بينهم يرسل لها هي الأخرى يخبرها بصوته:_

"السلام عليكم ، كيف حالك يا فتاة ، أتمنى أن تكوني بخير ، أنا سأسافر الأسبوع المقبل إلى مؤتمر طبي بالخارج .

اذا أرسلت لي في أي يوم ولم أرد لا تخافي قد يكون خطأ شبكة أو ما شابه وسأرد عليكي وأكون جوارك فور أن تصل لي ، فقط أريد منكي شئ ،نحن لا نتناول أدوية ولن نلجأ لها بالطبع لكن بالتأكيد جسدك يحتاج لمغذيات ضرورية في تلك الفترة من التعافي ، يوميا تناولي قدر لا بأس به من الفاكهة وبالأخص التفاح ، قبل الإفطار وقبل النوم تناولي كوب من الحليب به سبع تمرات ، وحاولي أن تتناولين المكسرات ، أتمنى لكِ التوفيق والثبات..

انتهى

الفصل الواحد والعشرون

عدت والفرح عاد

يخبط علي باب الفؤاد

يرسم الضحكة عالأهداب

ينقش الحب عالجدران

يلملم احزان وخذلان وآهات

يشفي النبض من اهتزازت
يطبطب بحب عليل

بوجوده تحلي اللقاءات
بقلم الجميلة Sade Buttetfly

يقف أمام تلك الفيلا الخاصة بالباشمهندس رأفت ، ينتظر قدوم عائلته كي تخبره بتخيلاتهم حول ما يريدون كما أخبره الرجل

دقائق والتفت على صوت سيارة تصطف ونزول عائلة الباشمهندس منها

امرأة أنيقة ترتدي طقم شبابي نزلت منها أولا من ثم ذاك الشاب المدعو عمار وبعدها فتاة تبدو في العقد الثاني من عمرها.

ترتدي طاقية شبابية على شعرها القصير ، بلوزة صيفية بربع كم أو ليقل بدون أكمام ، جينز ضيق يلتصق بها كجلد ثانٍ ،يصل إلى كعبيها، مع حذاء رياضي

التفتت على صوت رأفت الذي وصل إليه أولا يُحييه ، ويعرفه عليهم خاتما حديثه:_

"حسنا يا خالد سأتركك معهم ، تتحدثوا سويا واتفقوا بعد نصف ساعة

صوت رفيع ورقيق كان منزوي وصامت أخيراً تحدث قائلا:_

"أريد أن تكون غرفة السباحة داخلية وليس بالحديقة"

أومأ خالد برأسه متفهما رغبتها وقال:_

"حسنا بسيطة"

"وغرفتي، أريد بها حمام خاص وأيضاً جزء زائد عن محتويات الغرفة الأساسية كي أضع به رُكنة"

صمت لدقائق ثم سألها عاقدا حاجبيه في تفكير :_

"حسنا ، لكن أليس ذلك سيؤثر على باقي الغرف يعني أعتقد أن غرفتك لن تكون أكبر غرفة "

"أفعل ما أريد ، وأبي لن يعترض "

قالتها بقلة تهذيب بعض الشيء وكأنها تأمره فرمقتها والدتها بتحذير أنقذها من رده اللاذع

"الوقحة " سبها بينه وبين نفسه ، لكنه رفع رأسه مندهشا على سؤالها:_

"أنت قريب شهاب أليس صحيح؟!"

هز رأسه قائلا بلا مبالاة:_

"نعم شهاب عمي"

"ماذا عمك أنت، كيف ،حتى أنت تبدو تماثله في العمر
كيف هذا هل تهزأ مني"

حسنا هو لن يتحمل دم تلك الثقيلة أكثر لذا هب واقفا
وقال متجاهِلها تماما موجها حديثه لأخيها :_

"لم لا تصطحبني بجولة من الداخل مرة أخرى قبل أن
أذهب "

□□□□

"حسنا وهل وافقت خالتي؟"

قالتها رؤى ببرود وهي تنظر إليه جالسا أمامها في بيت
والدتها فتنحنح وائل وقال:_

" مالك أنتِ بخالتك يا رؤى ، هي حياتنا نحن الإثنين "

"حقا ولم قبل ذلك كانت تتدخل بالكبيرة والصغيرة ؟!"

قالتها بسخرية لاذعة

فتنهد وائل قائلا بهدوء :_

"رؤى تعلمين جيدا أني لم أكن أعلم بمشاجراتك الكثيرة أنتِ وأمي"

"وماذا في محايلتاها لك بالزواج من زوجة أخيك؟!"

"وهل كنت وافقت أنا "

قالها بغضب وقد ضاق ذرعاً من كثرة الجدال فيما حدث قديما فلم ترد رؤى وهي تلتفت لدخول ابنتها الصاخب من الروضة مهللة لوالدها تحتضنه وتقبله فابتسمت بحنان

بعد دقيقتين

كانت فريدة تنفلت من والدها وتذهب لها، قبلتها ثم قالت مبتهجة بطفولية وهي تخرج شئ من حقيبتها :_

"ماما معي هدية لكي "

ناولتها لفافة رقيقة بفيونكة حمراء فسألتها رؤى بحيرة :_

"من أين هذه حبيبتي هل هي من المُعلِمة؟"

هزت فريدة رأسها بدلال وهي تقول مبتسمة :_

"لا هي من عمو أمجد وقد جلب....."

"ماذا"

انكمشت فريدة على والدتها وهي ترى والدها الذي هب واقفا ينزع تلك اللفافة من يد والدتها فذلك اسم آخر رجل تقدم لها مالك الروضة

فض اللفافة سريعا ورفع رأسه بغيظ على شهقتين أحدهما بطفولية مبهورة والأخرى أنثوية مغيظة لكم الشوكولاتات الموضوعة باللفافة

كانت رؤى أسرع في ذكائها وهي تُجنب ابنتها جنونه الوشيك وغمزتها قائلة:_

"حبيبتي ،اذهبي لجدتك تبدل لكي ملابسك"

فور خروج ابنته مسكها من ذراعها قائلا من بين أسنانه بشر:_

"كم مرة رآكي هذا السمِج ؟!"

نفضت ذراعه عنها قائلة بقوة :_

"ليس لك دخل يا وائل ، أنت ليس لك أي كلمة علي ولا تتجرأ وتمسكني هكذا مرة أخرى"

نظر إليها بذهول وكأنه يرى شخص آخر أمامه غير رؤى العاشقة ،من هذه التي تقف أمامه بكل عند وقوة هكذا

سألها بحدة :_

"منذ متى وأنتِ تجابهيني هكذا؟"

" أنا لا أجابهك يا وائل ، حدودك لا تتعداها حتى وإن كنت والد طفلتي ،حتى وإن عرضت علي عودتنا ، مازلنا ندرس الموضوع وأبعاده "

أنهت حديثها ببرود جعله يريد أن يقذفها بذاك الشيء في يده

في يده !! هل مازالت تلك الشوكولاتة في يده ولم يحرقها

قرأت نيته سريعا وهو ينظر إلى النافذة بجنون فسحبتها من مسرعة وهي تنادي على ابنتها بصوت عالي والتي ما لبست أن دخلت عليهم مسرعة قائلة ببهجة :_

"نعم ماما"

أعطتها اللفافة في يدها وقالت :_

"خذي هذه حبيبتي وضعيها علي فراشي، ثم تعالي مرة أخرى فبابا يريد أن يقبلك قبل أن يغادر "

أخذتها ابنتها وخرجت مسرعة ، فالتفتت إليه.

الجنون المرسوم على وجهه ،كان كفيلا بأن يجعلها تفر هاربة ،لكن ليس الآن هي لم تعد تلك الرؤى القديمة ،حتى وإن كانت مازلت تعشق كل ما فيه ، وإن كانت فعلت ما فعلت الآن فليس إلا أنها ستُرجِع تلك الهدية لصاحبها ،لكن هو لا يجب أن يعلم ذلك ، لقد كان خطأها من البداية أن كشفت له جميع دواخلها وثغراتها أن جعلته يطمئن لوجودها الدائم حوله

خرجت من أفكارها على صوته الغاضب يقول:_

"أين ذهبتِ ، أنتِ أنا أحدثك "

رمشت بعينيها وهي تشبك أصابعها وقالت :_

"آه عذرا لقد شردت ماذا كنت تقول"

"لم أخذتِ ذلك الشيء المقرف الذي كان بيدي؟"

قالها بامتعاض وغيرة جنونية طافية على السطح

لكنها هزت كتفيها بلامبالاة أحرقته وقالت بهدوء :_

"ليس من شأنك "

حسنا هي تستفزه وهو لن يمكنها ،دلك بين حاجبيه مستغفرا عدة مرات ثم نظر لها قائلاً :_

"حسنا بما أنك أمليتِ شروطك وأنا وافقت عليها وبدأت بالفعل في البحث عن شقة لِم لا نعقد القران ونعيش بشقتي حتى أجد الشقة "

أطرقت رؤى برأسها لدقائق ثم رفعت رأسها قائلة بسخرية:_

"أي شقة هل تلك التي في البيت الذي قمت بتطليقي والاستغناء عني فيه أم الأخرى التي أهنتني بها حين أتيت إليك وفريدة معك"

ابتلع ريقه بصعوبة، فهذا ليس عادلا ،هي أصبحت تجيد الضرب تحت الحزام وهو يريد أن يسايرها حتى يكسبها مرة أخرى ووقتها فلكل حادثٍ حديث ، بالطبع ستعود رؤى حبيبته مرة أخرى لذا قال بهدوء :_

"نعم تلك الشقة التي كانت فريدة معي فيها"

"حسنا ، أنا لست موافقة ولست متعجلة، أبحث عن الشقة على أقل من راحتك وحين تجدها نتحدث"

قالتها ببرود ، منعه عن تحطيم ابتسامتها السمجة تلك دخول فريدة عليهم وهي تقترب منه مبتسمة تحمل في

يدها شطيرة تأكلها فحملها بين ذراعيه مقبلا لها وهو يقول :_

"اشتقت إليك حبيبتي "

قالها بحب وهو يرمق تلك التي تركتهم وجلست تنظر في هاتفها لا تعيره أدنى اهتمام...

□□□□

مُتربِعة على الفراش تنظر إلى الهاتف بشرود ، رسالتين متناقضتين استلمتهم الواحدة تلو الآخرى بدقائق

الأولى فيديو بعنوان من تلك العناوين المثيرة الجذابة لكن لم لا تشعر بجاذبيتها كما السابق؟

كره ونفور حتى أن من ينظر إلى وجهها الآن يرى الاشمئزاز الذي ارتسم على صفحته، لكن يعود هاجس شيطاني ملح أن افتحيه، فقط ادخليه لسد فضولك

تترك الهاتف مفتوح أمامها على الفراش وهي تنظر له بخوف ، داخلها رغبتان متناقضتان ،رغبة فضولية أن افتحيه فلتجربي وسيُزال اشمئزازك

وأخرى نافرة ،متقززة، وباكية بارتجاف وحديث حفصة بالأمس على الهاتف يطرق عقلها ونفسها بمطارق أن

"انتظري لدقائق فقط يا رنا من المقاومة ، قوي نفسك باستعانتك بالله، أطلبي منه العون ، اهربي إذا شعُرتي بالضعف ،استغفري ، واشغلي نفسك ، ركزي على الجانب السلبي على كرهك لذاتك بعد سماع تلك المقاطع وفعل تلك العادة اللعينة ،ندمك و إحباطك عدم حاجتك كأنثى بالأساس لتلك الأشياء القذرة ، لهفتك على التوبة فتمسكي بفرصتها ، إذا تعثرتِ مرة فلتنجحي عشرة "

ينتهز الشيطان تلك الفرصة وهو يحثها بخبث أن:_

"حسنا لتفعليها تلك المرة ثم تتوبين "

فيزاحهما حديث حفصة عن التسويف وأن الله لا يحب المسوفين وأنه ذنب آخر فوق ذنوبها

تزفر بضجر وهي تشعر بالعجز، ثم ترفع رأسها للسماء مستجيرة متنهدة باسم الكريم أن يعينها فتتناول الهاتف مرة أخرى

حاذفة الفيديو بعزم من كل السجلات على هاتفها

تنهدت براحة نسبية ،لتكن أقوى من شيطانها مرة بإرادتها ،لتفعلها قربانا لصدق نيتها فيتوب الله عليها ويقويها

عادت تنظر لرسالة شهاب دامعة العينين ، ماذا لو علم أنها هي ، أنها كانت بتلك القذارة ، أنه عالجها دون أن يعرف

هل أحبها ؟ أم لعله معجب بها ،لما لم يقل شئ زيادة عن رغبته في التقدم

قلبها يتحرق بين أضلعها منتفضاً ، هي تحبه بل تعشقه عشقا

تناولت هاتفها تبعث رسالة لنهى أن تأتي لها ضروري مؤكدة على عدم تواجد حمزة

بعد ساعتين

"هل ستظلين مقموصة هكذا يا نهي ؟"

قالتها رنا بحنق وهي تنظر لتلك التي منذ أن علمت أن حفصة علمت بتقدم شهاب قبلها وهي على حالها هذا بل كانت ستتركها وتذهب"

حين لم ترد عليها ،ضربتها بقبضتها في كتفها قائلة:_

"يا نهى ، أنتِ الوحيدة التي علمت بحبي لشهاب من أول دقة ، أتنكري أني جئت واعترفت لكي "

رمقتها نهى بنصف عين وهي تقول بطفولية محببة :_

"يا كاذبة ولما ذهبتي إليها قبلي، منذ متى وأصبحت تلك الحفصة بهذه الأهمية عندك ها"

ابتسمت رنا وهي تقترب منها تحتضنها وتقبلها من وجنتها قائلة بحب :_

"يا مجنونة ، أنتِ لن يساويكِ عندي أحد ،أنتِ أختي أتنكرين ذلك"

ابتسمت نهى بطفولية، فعضتها رنا من وجنتها المكتنزة بمشاكسة كما تفعل دائماً

شهقة رجولية مصطنعة أبعدتهم عن بعضهم وحمزة يضع كفيه على وجنتيه قائلا بتهويل وولولة:_

"يا مصيبتي ،يا فضيحتي ، أختي وخطيبتي على أريكة واحدة في أحضان بعضهم "

انفجرت رنا ضاحكة على تشنج نهى الظاهر ، وضربته والدته على كتفه وهي تمر من جانبه تقدم لهم المشاريب قائلة :_

"ألن تعقل أبداً وتكف عن جنانك يا ولد "

لعب حاجبيه لتلك التي تنظر له مبتسمة بخجل وهي تكبح ابتسامتها فقال بشقاوة :_

"يا الله يا نعمات ، أتركيني يا نعمات أفعل ما يحلو لي فأنا أحبكِ "

"نعمات صحيح"

قالتها رنا وهي ترمقه بنصف عين وهي تلعب حاجبيها مثله فتناول الوسادة وقذفها بها مبتسما بسماجة وهو يقول :_

"لطيفة "

التفت على نعمات تشده من ذراعه قائلة بتعنيف مصطنع :_

" كف عن العبث واتركهم معا وتعالي معي "

لوى حمزة شفتيه وهو يقول برجاء:_

"ولم يا أمي ، هم يحبون أن أجلس معهم "

قالها ناظرا لنهى وهو يضحك ،فشدته أمه رغما عنه كي تترك الفرصة لرنا وصديقتها الحديث ،فقد أخبرتها رنا بطلب شهاب وتدعوا من الله أن يسعدها

أخذته معها المطبخ وهي تقول :_

"أريد أن أحدثك بموضوع يا حمزة"

"اتركيني أذهب لأجلس معهم وبعدها نتحدث"

قالها بطفولية فضربته في كتفه بقبضتها بغيظ وهي تقول:_

"كف عن ثرثرتك واستمع لي أنا أتحدث بجدية "

اعتدل في وقفته وهو يشد أذنه اليمنى بأصابعه مائلا لها بجنب وهو يقول بمشاكسة :_

"كلي آذان صاغية يا نعمات قلبي"

هزت رأسها بيأس متمتمة بالحوقلة وقالت:_

"لقد تقدم أحدهم لرنا "

نظر لها قويا وقد شعر أن الموضوع يأخذ محمل الجدية في نبرتها فسألها بخفوت :_

"حقا؟"

أومأت برأسها فعقد حاجبيه قائلاً بغضب بصوت منخفض:_

"حسنا يا أمي ، ونوافق مرة أخرى ويكون نذل مرة أخرى ونخسرها تلك المرة بلا رجعة"

تنهدت بصبر وقالت:_

"يا حبيبي ، اصبر علي في الحديث، لقد تقدم لرنا شخصيا وأنا أشعر أنها مائلة له"

ضيق حمزة عينيه قائلا بغيرة :_

"نعم ومنذ متى والهانم تعرف أحدهم دون علمي"

"ابنتي ليست هكذا يا حمزة وأنت خير العالمين قلت لك اصبر علي في الحديث أنت حتى تعرفه"

قالتها نعمات بحزم وحمية أمومية ،فعقد حمزة حاجبيه بحيرة مفكرا من هذا الذي يعرفه هو !!

سألها عاقدا حاجبيه:_

"من؟"

"الدكتور شهاب ،الذي كانت تعمل معه ،ذاك الشاب الذي يأتي أحياناً على التلفاز في بعض البرامج"

قالتها مبتهجة غير منتبهة لغيرة ذاك الواقف أمامها فكثيرا ما كان يشك في لمعة عينيها عند الحديث على ذلك الشهاب لكنه كان يعود ويكذب ذاته

زمجر حمزة بحنق وهو يقول بامتعاض غيور:_

"وماذا فيها يعني يا أمي لما أنتِ مبتهجة هكذا؟،رجل تقدم وسيتم رفضه، نقطة وانتهى السطر "

رفعت نعمات حاجبيها وهي تضرب بكفها على صدرها قائلة بقلق :_

"ولما سيتم رفضه يا ابني ، أنا أقول لك أن الفتاة مائلة وتقول لي سنرفضه "

لم يرد فلمعت عينيها بالإدراك وضحكت قائلة:_

"حمزة أنت تغار على رنا ؟"

رفع رأسه ينظر لها بغيظ متمتما بعدة كلمات غير مفهومة وتركها وخرج مسرعا..

□□□□

عادت من المشفى بعد ساعتين فقد كانت تقدم أوراق تجديد أجازتها التي بدأتها منذ الحادث

دخلت الغرفة وتنهدت براحة هامسة بالحمد حين وجدته مازال نائما .

بدلت ملابسها سريعا ثم جلست جواره على الفراش تستريح إثر الطريق ،فالتفتت على تمتمته باسمها

نادت عليه لكنه ظل مغمض العينين منتظم الأنفاس فقط حدقتيه تتحركان أسفل جفنيه مما يدل على أنه يحلم

عضت ريم على شفتها مبتسمة ،تتسأل بينها وبين نفسها ، هل يحلم بها حقا ؟

دقائق وفتح عينيه ينظر لها بدهشة من اقترابها منه فسألها ببحة :_

"ماذا هناك يا ريم؟"

توترت واعتدلت في جلستها متمتمة بتوتر:_

"لا شئ فقط كنت أرى إن كنت مستيقظ أم نائم ؟"

دعك عينيه وأومأ برأسه ،فاستقامت تساعده على النزول كي يدخل الحمام

بعد فترة كان يُسلم من الصلاة في موضعه على الفراش، يتفحص هاتفه ،ويرد على الاتصالات التي ترده نحو العمل

دخلت عليه حاملة صينية الإفطار وضعتها جانبا ثم تناولت الطاولة الصغيرة وفردتها أمامه على الفراش ثم وضعت عليها الصينية وجلست جانبه تنظر في هاتفها حتى ينهي محادثته

أنهى محادثته ونظر إلى شرودها في الهاتف أمامها فجذبها إليه من ذراعها يحاوطها بذراعه وهو يميل لاثما وجنتها بدفء وهمس بخشونة:_

"فيما أنتِ شاردة يا ريمي "

رمقته بطرف عينيها وقالت :_

"لا شئ "

قبلها مرة أخرى فاعتدلت في جلستها تأخذ أحد الشطائر التي حضرتها وأعطته له ثم شرعت في تناول إفطارها هي الأخرى وسط حديثه معها عن العمل ورغما عنها هي مبتهجة ،فهو منذ عودتهم وهو يشركها بكل تفاصيل حياته، يحدثها عن العمل كثيرا حتى عن أصدقائه ،يسألها عنها وعن كل كبيرة وصغيرة تفكر بها وكأنه يثبت لها بكل الطرق أنه لا يريد غيرها

بعد فترة كان يشرب كوب التمر باللبن الذي تعده له كل صباح أما هي مشروبها المفضل في الصباح الشاي .

التفتت على سؤاله:_

"متى سيعود تميم من الروضة"

قبل أن ترد التفتت الاثنان على صوت هاتفه جوارهم فامتقع وجهها واشتعلت روحها بغيرة غير عادية وهي تقرأ اسم هنا على الهاتف

رمقها عبدالرحمن بقلق لكنه حزم أمره وتناول الهاتف مجيبا على الأخرى بصوت عادي قائلاً:_

"السلام عليكم كيف حالك يا هنا "

صمت دقائق يستمع لها وهو يرمق الأخرى جيدا وقبل أن تفر من الفراش كان أسرع في ردة فعله وهو يجذبها بقوة متحاملا على نفسه فوقعت على صدره مباشرةً...

قبل أن تتفوه بكلمة وجدته يقول :_

"شكرا لكِ هنا ، أنا أصبحت بخير ،لا تُرهقي نفسك في الاتصال بي مرة أخرى فلا داعي له "

أغلق مع الأخرى ووضع هاتفه ثم ضمها إليه بكلا ذراعيه قائلاً:_

"إلى أين كنتِ هاربة "

"لم أكن سأهرب ، كنت ... كنت سأشاهد التلفاز"

قالتها بتوتر فرمقها عبدالرحمن بنصف عين فأشاحت بوجهها قائلة بتأفف:_

"لما فعلت ذلك، ولما لم تواصل محادثتك معها كما تريد"

"لكني لا أريد" قالها ماطاً شفتيه ببرود فقالت بغضب:_

" عبدالرحمن لا تكذب علي، أنتَ"

"أنا لا أكذب يا ريم ، هَنا لم يعد لها وجود بقلبي أو حياتي أنا لا أريد سواكي افهمي ذلك جيدا فلن أسمح بدخول اسمها في حياتنا مرة أخرى"

قالها بحده وحزم فزمت شفتيها بغضب مما جعله يبتسم قائلاً:_

"لا تغضبي ، يا ريم وافهمي يا غبية أنا لا أحب سواكي"

"لا تقل غبية "

قالتها بدلال عفوي وقد خف غضبها مما جعله يقترب منها هامسا بحب قبل أن يضيع بين أنفاسها

"بل أجمل غبية أحببتها"...

□□□□

"هل حقا طلبت من أبي أن يكون عقد قراننا خلال أسابيع"

سألته نهى وهي تحدثه على الهاتف ليلاً فقال:_

"نعم ولا تقولي أنكي تفاجأتِ يا نهى فأنا أخبرتك أني أريد ذلك"

شعرت بجفائه في الحديث معها فسألته بقلق :_

"ماذا بك يا حمزة ،لم أشعر بأنك غاضب؟"

زفر بضيق وقال:_

"نهى هل كنتِ تعلمين بموضوع رنا وذلك الدكتور"

"نعم جميعا أصبحنا على علم يا حمزة "

أجابته بموارية فسألها بحدة :_

"نهى لا تراوغي ، أنتِ تفهمين مقصدي، هل كانت على علاقة معه"

"حسنا يا حمزة إذا كنت لا تثق به سأعذرك، لكني لن أعذرك بالطبع في عدم ثقتك بها"

تنهد حمزة بضيق وقال:_

"الأمر ليس هكذا يا نهى ، الرجل جذاب ويبدو عليه الوقار والعمر على عكس عمر من قبل مثلا ، وهي ..

هي بريئة، بريئة وعاطفية لدرجة لا تتخيلينها وأنا أخاف عليها إنها تبدو كالمدلهة في حبه"

أنهى حديثة بغيظ واضح فابتسمت نهى قائلة:_

"حمزة أعترف أنت تغار أن يأخذ مكانك عند رنا صحيح؟"

لم يرد فابتسمت قائلة:_

"حمزة أنت ستظل الأب والأخ والصديق بالنسبة لرنا، هي حزينة لعدم موافقتك ،من أجلي اذهب وراضيها فأنت بداخلك تتمنى شخص مثله لها"

"وماذا فيه أنتِ الأخرى لا تثيري جنوني يكفي واحدة علي"

"لم أقصد شئ ، أغلق معي واذهب لتتحدث معها "

تنهد حمزة وقال:_

"حسنا سأفعل ، لكن قبلا لا تغضبي مني فأفكاري مشوشة "

"لست غاضبة يا حمزة ، هيا أغلق واذهب لها هيا ، مع السلامة "

دقائق وكان يطرق باب غرفتها ودخل ، فوجدها تنهي المكالمة مع أحدهم سألها ببوادر غضب:_

"هل كنتِ تحدثينه؟"

رمقته بلوم وهي ترفع له هاتفها قائلة:_

"لقد كنت أُحدِث حفصة يا حمزة "

زم شفتيه بضيق متجاهلا يدها الممدودة بالهاتف وجلس جوارها على الفراش قائلا بفظاظة :_

"هل أنتِ غاضبة مني؟!"

هزت رنا رأسها نفيا فسألها مبتسما بحنان :_

"هل تحبينه؟"

أطرقت برأسها واحمرت وجنتيها خجلا ،فتناول كفيها بين كفيه قائلاً :_

"مبارك حبيبتي"

"حقا يا حمزة؟!"

قالتها بلهفة فامتعض قائلا بحنق:_

"ما كل هذه اللهفة بحق الله، لقد عرفته بالأمس القريب"

أطرقت برأسها تكبح ابتسامتها فرمقها حمزة بتحذير قائلا:_

"حسنا يا رنا لكن لتعلمي أني سأكون قابع على أنفاسكم في كل وقت "

ضحكت أخيراً وهي تتعلق برقبته تقبله من وجنته بفرحة ، فقال بغيظ :_

"حمزة ، أين حمزة الآن ؟ لقد نسيتني أمام ذلك الشخص "

"اسمه شهاب يا حمزة" قالتها رنا باعتراض فنظر لها بقرف وهو يقلدها مرققا صوته :_

"شهاب يا حمزة"

ضحكت وأخيراً ابتسم بحنان وهو يضمها إليه مقبلا رأسها داعيا الله أن يرزقها السعادة ....

□□□□

لقد جاء الأسبوع الماضي وجلس مع جدها وحمزة ثم بعدها بيومين جاء مع والديه واليوم هو قراءة الفاتحة وخِطبة بسيطة بارتداء الدبل بحضور والديه وبعد يومين عزيمة لعائلته بأكملها بمنزلها لتعارف العائلتين

يا إلهي هي لم تتوتر هكذا من قبل ، هي لا تصدق من الأساس أن اليوم خطبتها على شهاب

التفتت على صوت نهى تقول :_

"يا إلهي رنا ، لقد خايلتني أنا وحفصة ، اجلسي قليلا يا فتاة "

جلست جوارهم مطرقة برأسها في حنق فضمتها حفصة إليها قائلة بحنان :_

"مما أنتِ متوترة هكذا حبيبتي ؟"

نظرت إليها باستنجاد وعجز صامت قرأته حفصة على الفور فتنهدت قائلة :_

"رنا حبيبتي لن نعيدها مرة أخرى ، سلمي أمرك لله واطمئني"

أومأت برأسها مبتسمة والدفء يتسلل إليها من حديث حفصة

دقائق ورن الجرس فانتفضت بتوتر

بالخارج دُق جرس الباب فقال عبدالحميد لحمزة:_

"افتح يا حمزة الباب إلى أن أُصلي سنة العشاء"

أومأ حمزة برأسه واتجه ناحية الباب ليفتحه لكن عينيه برقت بالغضب فور أن رأى ياسر الجوهري أمامه

"أنت ما الذي أتى بك؟"

قالها بغضب فرمقه ياسر بلامبالاة قائلاً:_

"هل هكذا تعلمت أن تُحدِث الأكبر منك؟!"

قالها ياسر باستخفاف أغضبه ،لكنه وجد والده يزيحه جانبا وهو يحيي ياسر يدعوه للدخول

دقائق من جلوسهم وحمزة جالسا بنزق ، قال له عبدالحميد :_

"أخبر رنا يا حمزة واجلبها معك"

قام على مضض مجيبا دعوة والده ، دقائق وكان يقف معها في الطرقة قائلاً باهتمام وهو يحتوي كفيها بين كفيه :_

"لم كفيكي كالثلج هكذا"

"حمزة أنا ....أنا خائفة "

قالتها بضعف آلمه فقبل رأسها قائلا بوعد وحمية أخوية بل أكثر:_

"لن أتركك أبداً ، لم يخلق بعد من يجعلكِ تخافي يا رنا ، إذا كنتِ غير راغبة بالجلوس معه ،عودي لغرفتك ولن يجبرك أحد على شئ لا تريديه"

هزت رأسها نفيا وهي تشجع نفسها على التقدم ، ودخلت عليهم ملقية السلام

فجذبها جدها لأحضانه مقبلا رأسها ،يعطيها احتواء يعلم أنها في أشد الحاجة إليه الآن، لكن فعلته تلك أثارت غيرة الجالس أمامهم يرمقهم في هدوء لكنه قال:_

"ألن تُسلمي على والدك يا رنا ؟"

استقام واقفا فور أن توجهت إليه تمد كفها فجذبها إلى أحضانه ،يضمها إليه بقوة هامساً وهو يقبل رأسها:_

"مبارك حبيبتي"

فلتت من بين ذراعيه وبعينيها يلمع تساؤل ملح التقطه على الفور قائلا بهدوء وهو يجلس مرة أخرى ويجذبها بجواره :_

"لقد آتاني شهاب البرعي وطلبك مني ودعاني أيضاً هو والسيد عبدالحميد من أجل اليوم"

أومأت رنا برأسها ولم ترد ، عَلى صوت الجرس مرة أخرى، مع طرقات منتظمة على الباب كالطبلة ومن غيره يفعل ذلك ،عمار الذي دخل مهللا مع حمزة بالخارج فور أن فتح لهم الباب

تسارعت دقات قلبها في توتر، ياربي هل أمها بالخارج؟! ما هذه الليلة التي لا لون لها بحق الله ، هل سيتقابل والديها أخيراً ، أم علهم تقابلوا من قبل؟!

قبل أن تتمادى في أفكارها ، كانت والدتها تدخل عليهم بأناقتها المعتادة وخلفها عمار ويبدو أن نور ووالدها لم يأتوا ، حسنا هذا أفضل ،المشرحة ليست ناقصة قتلى على كل حال

انتفضت على صرخة والدتها بحدة بعد سلامها على جدها ويبدو أنها للتو انتبهت لوالدها الجالس ببرود:_

" أنت، ما الذي أتى بك إلى هنا ها؟!"

"نجلاء، الزمي أدبك فياسر ضيفي"

قالها جدها لوالدتها بتحذير صارم ،عمار يقف ينظر لهم بحيرة وحمزة مقتربا منها في حمية

وهي؟ هي تريد الهرب، شحب وجهها أكثر مع هتاف أمها الحاد فور اقترابها منها قائلة:_

"بالتأكيد أنتِ من دعوتيه، ابنة أبيك وماذا سأتوقع منكي يعني "

"نجلاء"

وتلك المرة الغضب لم يكن من جدها وحده بل حمزة الذي سحب والدتها من ذراعها يجلسها غصبا قائلا بغضب:_

"إياك أن تظني أني سأسمح لكي أن تُحزِنيها بكلمة وبالأخص في ليلة كهذه ، إما أن تجلسي صامتة أو تذهبي

"يكفي"

قالها عبدالحميد بغضب مستغفرا وهو يحاول ألا يضخم الموضوع لقرب وصول العريس وأهله

ولحظة وأخرى ورن الجرس مرة ، ومر علقم تشعر به في حلقها ففرت هاربة محاولة أن تُسرع إلى غرفتها لكنها اصطدمت به في وجهها مباشرةً فطفرت الدموع في عينيها وبكت

اضطرب قلبه لمرآها، لكن تلك الابتسامة من أجلها انحسرت فور أن رأى دموعها .

التفت وراءه فحمد الله أن والديه يسلمون على جدها ووالدة حمزة ولم يلاحظوها من تلك الزاوية الضيقة التي تقف بها .

أدار عينيه بعجز فوجد حمزة ينظر له بقوة ،وضع ما بيده جانبا ثم اقترب منها هامسا ببضع كلمات

ودقائق وكان يقف معها بالشرفة الكبيرة

"التراس" مغلقة النوافذ من الخارج ومفتوحة من الداخل حيث حمزة يقف على مقربه منهم ينتظرهم

اقترب منها محافظا على مسافة مناسبة بينهم وهمس بحنان :_

"لم تبكي صغيرتي؟!"

" أنا لا أبكي"

همستها بحشرجة طفولية ودموعها تجري على وجنتيها أطرق برأسه دقائق مسيطرا على ذاته، هو لا يريد الآن سوى أن يضمها بين ذراعيه، آخذا كل ذرة ألم بداخلها لكنه استجمع ذاته ورفع رأسه قائلا بابتسامة:_

"يبدوا أن العيب بي ، من يوم ما تصادفنا وأغلب اللقاء أجدك تبكين "

"هل هذا يضايقك؟!"

"أبداً" نفي بقوة مسرعاً وأردف بحزم حنون:_

"من اليوم يا رنا لا دموع ، ألم أقل لكي من قبل دعي البكاء لأهله ياصغيرة؟!، لم تخلق هاتان العينان لتبكيان أبداً"

ابتسمت وأطرقت رأسها في خجل وسعادة ، داخلها رغبتان متناقضتان، الأولي أن تبكي له وتشكو له حتى من نفسها فيخفف عنها ، يكفيها فقط صغيرتي تلك، والثانية أن تضحك فتملأ العالم بضحكها سعادة ، أن شهاب البرعي الحلم المستحيل واقف أمامها

وبمكانه سمح لعينيه بتأملها ، وجهها الصغير تلف حوله وشاح من اللون الأسود تتخله وردات صفراء، ترتدي فستان أنيق مثلها أظهر قصرها بالنسبة إليه أبيض اللون وبه عدة نقوش من الورد الأصفر ، حذاء رقيق باللون الأصفر

أصفر !؟ هل تحب الأصفر هكذا !!

"عفوا يا دكتور ، لكن الجميع يسأل عننا بالداخل"

قالها حمزة متنحنحا، فتنحنح وأومأ برأسه وأشار لها بكفه أن تتقدمه

فمرت رنا مسرعة إلى غرفتها حيث نهى وحفصة ، فور أن دخلت تلقتها نهى بين ذراعيها قائلة:_

"رنا ماذا حدث وما كل تلك الجلبة التي بالخارج ؟!"

قصت عليهم باختصار ما حدث ، فاستقامت حفصة قائلة:_

" انسي كل شئ يا رنا، الليلة ليلتك، تذكري فقط أن الرجل الذي في الخارج قضي نصف شبابه دون أن يفكر في الزواج وانحنت عيناه فور أن رآكي"

ابتسمت مزيلة دموعها واقتربت من المرآة تُضبِط شكلها حتى فُتِح باب غرفتها على دخول نعمات الصاخب تُزَغْرِد ،تشدها إلى أحضانها بفرح مُطلِقة عدة زغاريد ثم قالت:_

"هيا حبيبتي الجميع ينتظرك بالداخل"

نظرت رنا إليها بقلق فضمتها مرة أخرى ثم شدتها من ذراعها قائلة:_

"هيا حبيبتي ، وأنتم أيضاً يا بنات ،هيا وراءنا"

رفع رأسه على دخولها فابتسم واقفا حتى دخلت ، تلقتها والدته الطيبة بين ذراعيها بسعادة قائلة:_

"يا زوجة الغالي، أقسم يا ابنتي لقد دخلتي قلبي فور أن رأيتك المرة الماضية ، جعلها الله زيجة العمر لكم "

أنهت حديثها واتبعته بعدة قبلات ابتسمت لهم رنا بخجل ثم سلمت على والده الذي ربت على كفها بحنان سعيدا ومن ثم جلست جواره

فمال عليها هامسا:_

"كيف حالك الآن يا صغيرتي؟"

أومأت برأسها مبتسمة وهي ترمق والديها في قلق ، والدها جالسا مبتسما بأناقة تليق به يتحدث مع والده وجدها، ووالدتها تجلس زامة شفتيها مطرقة برأسها ، عمار ينظر إليهم بحيرة، وحمزة ونهى يتهامسان ، نعمات وحفصة ووالدته يتحدثان في أمور عديدة مختلفة

دقائق وسمعت والده يقول :_

"حسنا بما أننا تعارفنا من قبل وحدث القبول والموافقة لنقرأ الفاتحة ويرتدوا الدبل حتى يسافر ابني مطمئنا"

"على خير"

قالها عبدالحميد موافقا وهز ياسر رأسه يؤيده فشرع الجميع بقراءة الفاتحة

ومن ثم قالت والدته مبتهجة:_

"شهاب ألبس عروسك شبكتها يا حبيبي "

أخرج العلبة الصغيرة من جيبه وفتحها فكتمت شهقتها بصعوبة ، لقد جلب نفس التصميم الذي اختارته للدبلة والمحبس ولكن من الألماظ وليس من الذهب كما اختارت لم شق على نفسه هكذا؟!

خرجت من شرودها على همسه مشاكسا:_

"صغيرتي أين ذهبتِ عني؟!"

توردت وجنتيها وهي تمد له كفها على استحياء فوضعهم بطرف إصبعها وأنزلتهم هي

عند دبلته ، أخرجها من العلبة وارتدها بنفسه ثم همس مبتسما:_

"سأنتظر إلى عقد القران حتى تضعيها في إصبعي بنفسك "

ملأت زغاريد نعمات المكان ووقف الاثنان يتلقوا التهنئة من الجميع ، ثم دعت نعمات الجميع للطعام ونظرت إليهم قائلة:_

"لتبقوا سويا سأجلب لكم الطعام هنا "

اقترب منها حمزة مُزمجِرا وهمس:_

"أين يعني ؟"

ولم لا يتناولونه مع الجميع بالخارج لا أفهم

سحبته من ذراعه بحدة إلى المطبخ وقالت:_

"كف عن تلك التصرفات مع زوج أختك "

"لم يصبح زوجها ،لتوه ألبسها الدبل"

قالها بنزق ثم تركها وخرج إلى نهى قائلاً:_

"لقد عذرت غيرة والدك عليك يا نهى"

لم تعير حديثه اهتمام وهي تقول بهيام:_

"ما هذا الرجل يا حمزة ، أرأيت ماذا يرتدي، بل رأيت ماذا فعل لقد جلب المحابس من الألماظ، أو ورائحته التي ملأت المكان وو..."

لاحظت صمته فنظرت إليه وأجفلت من نظرة الإجرام على وجهه وأذنيه المحمرتين فعضت شفتها وهي ترمقه بحذر

اقترب منها قائلاً بشر:_

"سأعد إلى ثلاثة ، اتقي شري واختفي من أمامي قبل أن أنتهي أفضل لكي وللجميع

فرت من أمامه مسرعة وهي تضحك ،فشتم بهمس متمتما عدة كلمات بنزق

وضعت نعمات أمامهم الطعام ثم تركتهم وخرجت تاركة باب الغرفة مفتوح كما تُحتِم الأصول وعلى كل حال فالجميع بالباحة الخلفية من الشقة وسيأخذون قدر من خصوصياتهم أيضاً

حين وجدته صامتا التفتت إليه فوجدته ينظر إليها مبتسما

سألته بخجل :_

"لم تنظر إلي هكذا؟"

"لن أغازلك الآن ،لكني سأكتفي بقول أني سعيد بدخولك حياتي"

ابتسمت وسألته بهدوء وهي ترمق أصابعها:_

"لم جلبتهم من الألماس"

صمت دقائق ثم همس بحب:_

"لكل مقامٍ مقال، ومقامك عندي لا يساويه شئ"

حسنا هل لو فرت هاربة من حلاوة حديثه الآن سيحدث شئ ؟

التفتت على صوته المشاكس قائلاً:_

"مممم ألن تدعيني للطعام ،يبدو أنك بخيلة "

امتقع وجهها بحرج وأسرعت مبررة :_

"لا لم أقصد أقسم لك ، تفضل"

ابتسم وأخرج من جيب سترته علبه أخرى تشبه علبة شبكتها، فتحها بهدوء يقدمها لها قائلاً:_

"هذا هدية خِطبتنا يا صغيرة لكني تحرجت أن أعطيها لكِ أمام الجميع "

شهقت دون صوت ،عينيها تلمعان بسعادة لم تزورها من قبل وهي تشاهد السوار الحديدي أمامها من الذهب الأبيض ومحفور به اسمه

رفعت عينيها إليه دامعة تروي له كم تحبه ،بل مدلهه به

وجدته يبتسم راضيا ثم أخرجه من العلبة يمسكه بين سبابته وإبهامه أمامها بزاوية معينة مشيرا بسبابته الآخر وهمس بخشونة:_

"اسمينا معا فلن يفارق أحدنا صاحبه من الآن ،اسمك من الداخل يا صغيرة واسمي من الخارج يحرسه، حتى يعلم

كل من يراه أنكي أصبحتِ، امرأة رجلٍ واحد فقط،
شهاب البرعي"

الفصل الثاني والعشرون

تحبها؟"

همسها عبدالرحمن بمشاكسة لشهاب الجالس جواره في شقته

رفع أحد حاجبيه مبتسما لابن أخيه الذي بدأ يستعيد حيويته القديمة معه كما كان من قبل ،لذا ضحك قائلاً:_

"لا تسأل فيم لا يخصك، لم يعد بيننا أسرار"

قالها قاصدا فابتسم عبدالرحمن قائلا:_

"ألن تسامحيني؟"

"لا لن أسامحك على كل ليلة انتظرتك أن تأتي وتفضي لي ما يؤرقك، لن أسامحك على تهميشي من حياتك، لن

أسامحك على إهمالك لصحتك لا يا عبدالرحمن لن أفعل"

صمت عبد الرحمن دقائق وقال بصدق:_

"كنت تائه ، لم أكن حتى أفهم نفسي تعلم ذلك جيدا "

مط شفتيه وأردف:_

"تعلم أنها لا تصدقني إلى الآن ، تظن أن عاطفتي ناحيتها ليست صادقة ،قل لي ماذا أفعل أنا !"

اعتدل شهاب في جلسته قائلاً:_

"لم أسألك إذا كنت تحبها أم لا لأني أعلم قبل أن تعلم أنت حتى لذا ستعرف من نفسك كيف تصل إليها وتطمئنها بكل طريقة ممكنة "

غمز بعينيه بشقاوة وقال:_

"الرجال أفعال لا أقوال يا ولد "

ضحك عبدالرحمن ونظر لذاته قائلاً بوقاحة :_

" أي أفعال بالله عليك ،لقد أصبحت كالبيت الوقف كما يقولون "

"يا وقح لم أقصد ذلك، أنا أقصد أنه يجب أن تشعر من أفعالك معها أنك تحبها ، ورويدا رويدا ستطمئن، كما أنك يا وقح ستفك الجبس خلال يومين"

أنهى شهاب حديثه ممتعضا ،فضحك عبدالرحمن بشدة من عمه الخجول وقال:_

"شهاب سأسألك عن شئ لكن راعي حالتي المريضة ولا تتهور؟"

رمقه شهاب بحذر وهو يومأ له أن يتحدث، فقال عبدالرحمن ضاحكاً:_

"تذكر حين كنا نذهب للمصيف وغدي وهنا يكونوا معنا كنت تحكم علينا أنا وخالد ألا نرتدي سوى بذلة السباحة ذات القطعتين وكنت تفعل المثل،مممم أتساءل هل بعد الزواج ستفعل مع زوجتك المثل حتى لا تخدش حياءها وت....أه"

تأوه بقوة إثر ضربة شهاب القوية له وهو يهب من مكانه قائلاً:_

"أقسم أنك وقح وأنا المخطئ لتحدثي معك "

لحقه عبدالرحمن ممسكا بيده قائلاً:_

"إلى أين ، أقسم أني أمزح معك"

"عديم التربية وغليظ ،هل القطة أعادت لك لسانك بعد أن أكلته لسنوات"

ابتسم عبد الرحمن قائلاً:_

"أنت لن تنساها لي يا شهاب صحيح؟"

"ربما حين أطمئن عليك "

"لما لم تحاول حتى اخباري بما كانت هنا تحاول فعله ؟"
همسها شهاب بعد دقائق من الصمت فتنهد قائلا:_

"كما قلتها لي قبلا كنت متمسكا بوهم لم أدرك مدى غشاوته إلى حين خسرت ، أنا أحب ريم يا شهاب ،

أحبها بطريقة تجعلني أشك في حبي الذي كان لهنا ، هل تظنها ستهتدي إلى طريقها المستقيم هي الآخرى"

مط شهاب شفتيه قائلا:_

"أتمنى أن تفعل ، لقد حاولت معها مرارا لكنها متخذة موقف قوي مني وأنا أتركها إلى أن تأتي بنفسها وتتحدث "

□□□□

فور أن انتهى الشيخ من العقد الذي لبى لها فيه كل ما أرادت ،فرت هاربة إلى الداخل ،وذاك السمج أخيها يضجع على الأريكة ينظر له بشماتة

التفت على دخول خالته الهادئ إلى الغرفة فابتسم باهتزاز، منذ أن طلق رؤى ومعاملاتها له محدودة بعد

أن كان كعلي عندها ،لم يراها منذ أن فقد أعصابه هنا على رؤى وجرحها آخر مرة

جلست جواره صامتة فغمز علي أن يأخذ فريدة ويخرجوا

وبعد دقيقتين ،قام من مكانه واتكأ أمامها على الأرض قائلا :_

"ألن تباركي لي خالتي"

"أختي لم تفعلها فلما أفعلها يا وائل؟!"

قالتها بتأنيب ناظرة له بقوة فتوتر وابتلع ريقه قائلاً:_

"تعلمين أني تحديت الدنيا من أجلها من قبل يا خالتي ،لم التفت لرأي أمي ولا غيره فلما تهتمين أنتِ الآن؟!"

تنهدت خالته قائلة بقسوة:_

"أنا لا يهمني أمك يا وائل، أختي بكبرها معادلة خاسرة منذ زمن ، الأمر لو بيدي وحدي يا وائل لم أكن لأجعلك ترى ظافر من رؤى مرة أخرى ،احمد الله على فريدة فهي السبب"

"خالتي" همسها بتأنيب فابتسمت بتهكم قائلة :_

"تذكر يوم كانت بعامها الأول بالجامعة وأنت تحوم حولي كي أزوجها لك ،حين قلت لك ابنتي مجنونة لم أقلها كي تكسرها أو كي تهملها وتهمل أفعالها، بل قلتها كي تدللها وتنحني لتفكيرها ،ظننت أن بحبك المزعوم ستقدر لكني للأسف كنت خاطئة"

أطرق برأسه صامتا لا يدري ماذا يرد ، هي محقة رغم كل شئ ، لكنه حاول التبرير قائلاً:_

"تعلمين أنها أخطأت يا خالتي ، ليس سهلا أن تنعتني بعديم الرجولة ،لقد استفزتني ، أمي من ناحية وهي من ناحية ،كما أنها لم تشتكي يوماً من أفعال أمي معها"

رفعت رأسها تتأمل ملامحه الخشنة، رأسه الخالية من الشعر ،وجهه الدقيق عيناه الواسعتان رغم أنك إذا دققت جيداً جيداً تشعر أن إحداهما أضيق من الأخرى، ذقنه الحليقة ،ابتسمت بينها وبين نفسها لطالما كان وائل رغم تهذيبه وأخلاقه ملامحه توحي بالإجرام ،لا تعلم كيف ابنتها الجبانة تعشقه هكذا لذا قالت بتعنيف:_

"طوال عمرك ثور لم يخطأ علي أبدا في نعتك بذلك"

لوى وائل شفتيه بضيق قائلاً:_

"خالتي"

ابتسمت أخيراً قائلة بتحذير:_

"ابنتي أمانة برقبتك يا وائل ، رؤى مجروحة وإن وافقت لا أهددك بل أحذرك أن خطأ واحد منك لن تعود لك أبداً ،ابنتي وأعرفها وحينما حتى وإن كان خطأك هين لن أنصرك أبداً بل سأساعدها"

يا الله ماذا حدث لخالته الوديعة، هذا بالتأكيد تأثير الحيوان علي لذا احتوى كفيها بين يديه يقبلهم وقال:_

"هي في عيني يا خالتي فقط سامحيني"

أومأت قائلة:_

"اجعلني اطمأن عليها ، أرى سعادتها وهي معك وسأسامحك"

بعد نصف ساعة

" إنها نائمة يا رؤى ، لم لا نأخذها صباحا بالله عليكِ"

قالها وائل بحنق من إصرارها لمبيت فريدة معهم الليلة فتصلبت قائلة بعند:_

"نائمه ستستيقظ ،ماذا لو لم تجدني ،كيف ستنام بدون أحضاني لا لن أتركها"

"أحضان من يا روح خالتك ،هل ستُنيمين فريدة في حضنك الليلة يا باردة" همسها بينه وبين نفسه يمنع لسانه أن ينفلت أمام ذاك الشامت، حسنا يا علي لتقع في يدي فقط أقسم سأخرج فيك كبت الليلة

وبمكانه يكبح ابتسامته وهو يقرأ تعابير ابن خالته جيدا فلعب له حاجبيه بإغاظة

جز وائل على أسنانه فضحك علي مقتربا من أخته قائلاً:_

"اذهبي معه يا رؤى و سأجلب لكي فريدة من الفجر"

نظرت إليه بضياع فقال بحنان:_

"لا تقلقي حبيبتي سآتي معكم"

لم يكمل جملته ووائل يقترب منه قائلا بتهديد:_

"ستأتي أين ،أعدها مرة أخرى وسأجعلك دون أهلية يا علي"

ضحك علي قائلاً ببرود:_

"لا تخف فقط سأوصلكم كي تطمئن"

"هي ستطمئن معي "

قالها بحدة فتنهد علي قائلاً:_

"ماذا تريدين يا رؤى"

اقتربت منه قائلة ببرود مغيظ:_

"تعالي معي"

بعد نصف ساعة أخرى كان يصف سيارته أمام تلك البناية التي اشترى بها شقة جديدة كما أرادت.

خرج من السيارة مغلقا الباب بحنق من تلك التي تقف مجاورة أخيها وكأنه سيلتهمها ودعها على وأخذها من كف يدها وصعدوا شقتهم

سمح لنفسه تأملها وهي تدور بعينيها في الشقة بوجل

قامتها القصيرة ،قدها الملفوف في فستان كشميري يليق ببشرتها الخمرية ،حجابها من نفس اللون يلف وجهها الصغير

اقترب منها ببطء حتى أصبح خلفها مباشرةً فتصلبت مكانها

احتضنها من الخلف دافنا وجهه بين طيات حجابها يتشممها بوله هامسا بحرارة وصدق:_

"اشتقت إليك"

حاولت أن تنزع نفسها منه لكنه لم يمكنها وهو يحثها على السير إلى الغرفة الرئيسية حتى فتح بابها

وهي تسمرت ،ليس ما جذب نظرها الغرفة بطرازها الحديث بل تلك الدمى المرصوصة على الأرض كما كانت تفعل .

أدارها بين ذراعيه محتضنا وجهها بكفيه يجيب تساؤل عينيها اللامعة بالدموع هامسا:_

"اثنى عشر دمية ، طوال الثلاث سنوات لم أجلب لفريدة واحدة إلا واشتريت لك الكبرى منها "

حين لاحظ توهج عينيها الذي ذكره برؤى القديمة مال إليها بحذر مغمضا عينيه ،لكنه فتحهم عليها وهي تنسل من بين ذراعيه مسرعة قائلة بتوتر:_

"لا يا وائل أنا لم أسامحك بعد كما أني لا أصدق"

"تعلمين أني أحبكِ يا رؤى"

همسها بصدق وجاذبية وهو ينظر لها نظرة خاصة وصلتها جيداً ، الماكر لا لن تخضع له حتى وإن اشتاقت له هي الأخرى لكن يجب أن تتعلم من درسها جيدا لذا هزت رأسها نفيا بتوتر وخوف

فلم يمهلها أن تتحدث حتى وهو يأخذها بقوة يروي اشتياقه الذي سرعان ما بادلته إياه ،وقد عادت مجنونته كما عهدها

عاشقة ،محبة ،ومشتاقة ،تحيي فيه روحا قد شاخت دونها..

□□□□

أغلق الباب خلفه بقدمه ،ووضع أشيائه على الطاولة متمتما بالحمد ككل مرة يدخل فيها ويشم رائحتها بين ثنايا نطاقه الخاص

دار في المكان باحثا عنها لكنه تسمر مكانه ممتعضاً وهو ينظر إليها تجلس على الأرض أمام التلفاز وعلى وجهها قناع البيض يغطي وجهها كله عدا عينيها وفمها

انتبهت له واقفا ينظر إليها بامتعاض ،فلمعت عينيها بالخبث راسمة ابتسامة بريئة وهي تهب واقفة تتجه اليه قائلة :_

"أنس حبيبي لقد أتيت "

"لا مازلت خارجا"

قالها بسماجة وهو يبتعد عنها مشمئزاً ،فزمت شفتيها قائلة بتدلل :_

"أنس هل تشمئز مني؟"

"نعم يا روضة هل هذا يجرحك ، حسنا لعلكي تكفي عن وضع تلك القناعات الغريبة يوما "

"أنس"

تذمرت ،فرفع أحد حاجبيه قائلا بامتعاض:_

"مرة قناع الفحم، ومرة الخيار والزبادي ، وأخرى ذاك الشيء الذي يشبه الفقاعات، والأسوأ قناع البيض هذا، ستقطعين الخلف لي بحق الله"

أنهى كلامه وعم الصمت وهي تدور بحدقتيها في المكان عداه ، أما هو فتوتر من لمعة عينيها الحزينة قبل أن تُطرق رأسها بالأسفل ،تعض على شفتيها بقوة حتى لا تبكي ومن غيره يعرفها!

استغفر مقتربا منها حتى وقف قبالتها هامسا بأسف :_

"تعلمين أني لم أقصد ،فقط كنت أشاكسك "

هزت رأسها بموافقه فناداها راجيا :_

"حسنا ارفعي رأسك"

ظلت مطرقة رأسها لدقائق ومن ثم ودون أن يشعر كانت ترتفع على أطراف أصابعها ببطء حتى ألصقت وجنتها بوجنته تلوثها بقناعها بشقاوة هامسة بأنوثة وإغراء:_

"نعم لن أتنازل عن قناعاتي هل لديك مانع ؟"

وبقربها هو ضائع، فاحتوى خصرها بكفيه قائلاً بمشاكسة وقد أسعده ثقتها الوليدة بنفسها وبه فلم تحزن ولم تركض باكية

"يا باشا أنت على راحتك"

طبعت قبلة سريعة على وجنته وانسلت جارية إلى الحمام، وانقشع سحر اللحظة وهو يشعر بذاك الشيء اللزج ذو الرائحة الكريهة للبيض على وجهه فصرخ باسمها في غيظ

وبمكانها وراء الباب ،تقف دامعة العينين مبتسمة ، نعم الكلمة جرحتها لكنه لم يقصد أبداً ، وستظل كل كلمة

تذكرها بنقصها تُحزِنها رغما عنها لكن ما عاد للشك بينهم وجود ، أنس لها وهي له رغم أنف كل شئ لقد أوصل لها ذلك جيدا لذا هو لا يستحق أن تحزنه ، أنس لا يستحق سوى السعادة .

ليلا

جفنيها ينغلقان بنوم فيُيقظها بمناوشاته حتى تأففت قائلة :_

"أنس اتركني لقد تعبت ، أريد النوم "

"فصيلة هل قالها أحد لكي من قبل"

شدت الوسادة على رأسها متمتمة :_

"نعم أنت ، اتركني أنام "

ضغط الوسادة على وجهها بغيظ وقال:_

"خسارة بكِ ما خططت له بالغد من أجلك "

وتلك التي كنت بين غياهب النوم منذ دقائق، انتفضت من مكانها صارخة بفضول:_

"لم خططت ،ها أنس ،قل لي حبيبي"

"حبيبي الآن يا فصيلة يا صاحبة مصلحتك ؟"

زمت شفتيها بنزق فابتسم بحنان هامسا:_

"يومين خارج نطاق العقل "

لم يمهلها الصراخ فرحا وهو يسيطر عليها هامسا بوقاحة:_

"والآن لنأخذ المقابل "

باليوم التالي

تصرخ بفرح وهي تركب خلفه على تلك الدراجة النارية ذات الأربع عجلات كما كانت تتمنى ،وهو سعيد

ليس هناك على رجل أسعد من سعادة امرأته بسببه .

بعد أن أنهوا جولتهم

كانت جولتهم الثانية هي التزلج ، تزم شفتيها بغيظ لسقوطها كل دقائق وهو يضحك بانتشاء ،فأسقطته أرضا وهو يساعدها فضحك هامسا بمشاكسة :_

"ما رأيك بعرض رومانسي هنا حيث السماء والثلج والهواء الطلق"

شهقت بخجل تضربه بقفازاتها بغيظ وهو تنسحب من جواره

وجهها أحمر من كثرة البرودة ،كل منهم يرتدي ملابس العام كاملاً

جولتهم التالية كانوا يمرون بالشوارع يشاهدون أهل البلد كل منهم يكسب قوته بذاته ،ذاك الذي يجلس يغني بآلته والآخر يرسم البشر وتلك المرآة ترسم الحناء، وهذه الفتاة تبيع الورد

قالت بابتهاج وهي تقف جواره أمام ذاك الميكروسكوب الذي يجعلك ترى البلدة بأكملها بوضوح :_

"المنظر رائع يا آنس وكأني أقف مع الناس بالناحية الأخرى وليس بعيدة كل ذلك البعد "

هز رأسه وهو يأخذ دوره في المشاهدة وقال وهم ينتقلون لفعل شئ آخر :_

"البلدة رغم أنها صغيرة وفقيرة إلا أنها مبهجة لذا أحببت أن نأتي معا"

ضمت نفسها اليه مبتسمة فقال:_

" هيا كي نصلي ثم نكمل جولاتِنا "

بعد انتهائهم من الصلاة أخذها لتلك الآلة التي تلتقط لك الصور بالأبيض والأسود وتخرجها لك في وقتها ومن ثم مروا على تلك البائعات في الشوارع للفاكهة والعصائر فمال عليها مشاكسا وهم يتناولون سويا :_

"ترى تلك الفتاة كيف هي جميلة، آه ماذا فيها لو كنت جئت وحدي"

هو لم ينظر بالأساس فقط يشاكسها ففاجأته وهي تلتفت إليه

وحشرت عشرات حبات الأبو فرو بفمه وقالت بغيظ :_

"لتهنأ بها"

ضمها أسفل ذراعه ضاحكا فابتسمت قائلة:_

"أنس أنا جائعة "

اشترى لها تلك المعجنات بالجبن والتي تسمي
"الخاشبوري" حتى يذهبوا إلى المطعم لتناول الطعام

ليلا

تلتهم المثلجات وتضحك فقال:_

منظرك هكذا وأنتِ تلتهمين المثلجات بسعادة يجعلني لا
أريد شئ آخر سوى الوقوف هكذا أتأملك فقط

ابتسمت تحرك رأسها مغمضة العينين ثم رمت نفسها
عليه تحتضنه بحب

فأبعدها باشمئزاز وهو ينظر لثيابه التي تلوثت بالمثلجات نافضا يدها قائلاً:_

"أقسم أنكي كارثة متحركة على قدمين وفصيلة أيضاً ليتكِ ما فعلتيها "

قالها يسير موليها ظهره بغيظ فزمت شفتيها بنزق تتبعه

وبجولتهم الليلية النهائية لنهاية اليوم

صرخت قائلة:_

"أوه محلات لبيع الخمور ترى أشكالها يا أنس"

ابتسم يحتويها تحت ذراعه وقال:_

"طبيعي إنها جورجيا بلد غير مسلمة ألم تري أنه لا يوجد سوى شارع واحد يصنع مأكولات حلال سوى الذي تناولنا طعامنا به في تبليسي (Tbilisi)"

هزت رأسها موافقة فقال:_

"حسنا هيا لنذهب لغرفتنا بالفندق فنحن لم ندخلها من الصباح "

فور دخولهم الغرفة حيث الدفء والمكيفات الدافئة ،خففوا ملابسهم وخرجوا إلى الشرفة يستمتعون بالمنظر أمامهم ثم عادوا مرة أخرى بالداخل

فكت حجابها وفردت شعرها المختنق طوال النهار أسفل تلك الكعكة ثم اقتربت منه ترى بماذا منشغل فوجدته يبتسم وهو يمسك زجاجة غريبة في يده فسألته بدهشة :_

"علاما تضحك وما تلك الزجاجة"

هز الزجاجة في يده ضاحكا وهو يضعها ساحبا الكارت أسفلها يقرأ ما عليه وقال:_

"إنها زجاجة نبيذ يتمنون لنا ليلة سعيدة "

ضحكت قائلة بشقاوة لذيذة:_

"واو ، أنس أريد أن أجرب "

سحبها إليه حتى أصبحت بين ذراعيه وهمس بإغراء :_

"حسنا لما لا أجعلك تجربين نبيذا من نوع آخر وحلال مائة بالمائة ، مُسكِر يجعلك تذوبين ، أكثر حلاوةً ، وأكثر ضياعا أكثر حبا ،بل أكثر عشقا"

□□□□

يجلس معها بغرفة الضيوف يودعها قبل أن يسافر

رفعت رأسها على صوته قائلاً:_

"هل ستظلين صامتة هكذا ؟ يبدو أن جلستي ثقيلة عليكِ"

"دكتور كيف تقول هذا!!"

"دكتور !! "

قالها شهاب رافعا حاجبيه من تلقيبها له ثم أردف ضاحكاً:_

"أي دكتور هذه لا تنفعني ،شهاب فقط هيا قوليها "

"لا أستطيع"

قالتها بخجل فابتسم قائلاً:_

"سأكون زوجك هل ستظلين تدعيني دكتور أنا لا أقبل بها ،لن أُخجِلك الآن لكني لن أقبل سوى بشهاب بعد الآن "

أومأت موافقة فسألها:_

"هل تمانعين لو أردت أن نعقد القران عقب عودتي من السفر إن شاء الله؟،،

يعني لقد تحدثت مع جدك أن نبدأ في تجهيز إجراءات الزفاف بعد عودتي مباشرةً"

صمتت ولم ترد ورغما عنها الهلع ينتشر في روحها فسألها بقلق:_

"ما بكِ يا صغيرة إذا كنتِ تريدين وقتا أكبر ،فلكي كل الوقت "

"لا الأمر ليس هكذا ، فقط أفكر أن سفرك سيطول ثلاثة أشهر كاملة "

"ستشتاقين لي"

قالها بمشاكسة رجولية خشنة تليق به فابتسمت بخجل وسألته :_

"لم ذهبت لأبي ولم تخبرني؟"

اعتدل في جلسته قائلا :_

"أنا آسف صغيرتي إن أزعجكِ الأمر لكنها أصول تربيت عليها لم يكن يصح أن أتعدى والدك أبداً كما أنها رفعة لكي قبل أي شئ"

وأيضاً لم ترد هي أساسا في حضرته ضائعة ،تائهة ،مرتبكة وخجولة ،بداخلها اثنان ،إحداهن تريد أن تجاهر بحبه حتى يبح صوتها والأخرى تستكثره على ذاتها خائفة من القادم

***

بعد يومين

قابلته على باب المطعم الذي دعتهم فيه غدي بنت أخيه وخطيبها حتى يتعرفوا عليها لعدم مقدرتهم حضور وليمة العائلة

ابتسم يحيها بحنان:_

"كيف حالك يا صغيرة؟!"

"ألن تكف عن تلك الصغيرة؟!"

قالتها بخجل فغمزها بعبث رجولي وهو يقول:_

"لم لا تتحمليها حتى عقد القران فأنا بالكاد ألجم ذاتي بها
"

كانوا قد وصلوا إلى طاولة تجلس عليها فاتنة هبت واقفة فور أن رأتهم وهي ترحب بها بابتهاج قائلة :_

"أوه مرحبا بالصغيرة "

سلمت عليها بخجل وسألتها :_

"كيف عرفتي بتلك الكلمة "

اقتربت غدي من شهاب تسلم عليه هو الآخر ثم قالت بشقاوة وهي تدعوهم للجلوس:_

"لقد سمعته أمس وهو يحدثك على الهاتف ، لكن تعلمي بعد أن رأيتك الآن فزادت غيرتي منكِ لقد أوقعتِ شهاب البرعي بقدره يا فتاة "

ضحك شهاب على وجه رنا المحمر خجلا وقال:_

"ألن تكفي عن شقاوتك ، أين زوجك عنكِ؟"

ابتسمت غدي قائلة بدلال:_

"لا أنا أحذرها من الآن سيكون لها حماتين وليس واحدة تعلم أني أغار عليك"

"تغارين على من؟"

قالها عمر الذي لتوه وصل يتأسف لهم عن تأخره وهو يسلم على شهاب مرحبا به ثم التفت يبارك لعروسه وتسمر وهو يجدها رنا خطيبته السابقة ،تمالك نفسه سريعا على نداء غدي المندهش فابتسم باهتزاز قائلا :_

"مبارك"

جلست مكانها ولم تتعدى نفسها الصدمة بعد ،من بين كل البشر يكون زوج غدي هو عمر !!

ولما يراودها البكاء الآن ولقاءه يذكرها برفضه لها ومرحلة هزيمتها الطويلة من بعده ،بالكاد تتعافى هذه الأيام بعد انتكاستها ،صحيح هي لا تحمله أبداً خطأها ،لكن يكفي أن عودتها لذاك الوحل مرتبطة به

بعد مرور الغداء الكارثي وسط الصمت المشحون حمدت الله على مرور ذاك الوقت المليء بالشحنات المتوترة والتي زادها نظرات عمر المتوترة

سمعت صوته القلق قائلاً:_

"رنا ما بكِ صامتة هكذا ؟ حتى بالداخل كنتِ صامتة مطرقة برأسك طوال الوقت فأعزيت الأمر لخجلك لكن شحوب وجهك الآن يقلقني"

رفعت عينيها إليه قائلة :_

"شهاب أريد أن أخبرك بشيء "

عقد حاجبيه قائلا :_

"لا تخافي أبدا ،قولي ما تريدين

"عمر هو خطيبي السابق"

□□□□

"مع السلامة يا بدوي لكنها لن تكون الأخيرة !!"

قالها عمر بقسوة وهو يُخلي سبيل أكمل بعد عدم إثبات الأدلة عليه

وبمكانه انتصب واقفا بثقة ،يُغلِق أزرار سترته وكأنه لم يقضي أكثر من يومين في السجن ،مبتسما بأناقة سَمِجة تشبهه وقال :_

"ثق بي يباشا كانت الأولى وستكون الأخيرة "

لم يشعر أن كلامه متواري وخبيث مثله؟!

ابتسم عمر بسخرية وقال :_

"لا تكن شديد الثقة هكذا ،إن لم تُثبت عليك تلك المرة ستُثبت القادمة وقد قضيت يومين بالسجن فلا تطمئن"

"تلك المرة كانت خطأ منكم بياشا ، وبالنسبة لليومين فلا يقع سوى الشاطر"

أنهى كلامه غامِزاً وهو يتجه إلى الباب ،فتحه قليلاً ثم رغبة جنونية جعلته يتلكأ دقيقتين والتفت إليه قائلا قبل أن يخرج

"صحيح بياشا ،مبارك لقد علِمت أنك حددت موعد زفافك "

ولم يمهله الرد وهو يخرج بصفاقة تاركاً الباب مفتوح !!

خرج من مركز الشرطة متنفسا بعمق ،مشيرا لحرسه الخاص الذي أتى مسرعا يفتح له باب السيارة في الخلف

وبعد ساعتين كان يجلس بشقته الخاصة على فراشه بعد أن اغتسل وبدل ملابسه متناولا هاتفه طالبا محل مشهور لبيع الأزهار وقال:_

"نعم باقة من زهور الجوري الحمراء "

"لا، لا تكتب اسم فقط اكتب على الكارت تلك الجملة
«يغار الورد من حمرة وجنتيكِ فلا تغضبي»

أغلق الهاتف وأغمض عينيه متنهدا بتعب وصورتها
تسطع في عقله

اشتاقها ؟! نعم وبجنون لدرجة أنه يحارب ذاته حتى لا
يذهب لها الآن

رغم كل مساوئه وعدم نزاهته ، إلا أنه أبداً لم ينظر
لامرأة تخص رجلاً آخر فما باله معها لا يعرف نفسه ؟!

حتى أنه أرخى لها الحبل في قضية ذاك الرجل ، صحيح
هو لن يتركها لها ،فالعمل عمل ، الأمر ليس نقود أو
شهرة لكن أبداً لن يسمح لأذى أن يطالها وراء تلك
القضية لكنه كان منتشي وسعيد وهو يراقبها فخورة
بذاتها بالخطوات الأخيرة بالقضية

باليوم التالي

رفع رأسه عن الأوراق أمامه يرى من الذي اقتحم مكتبه بتلك القوة دون استئذان فابتسم وتوارت ابتسامته خلف باقة الزهور التي ألقتها في وجهه بحدة فانفجر ضاحكا وهو يقول:_

"الورد لا يُلقي يا جميلة بل يهدي لكني سأقبلها منكِ"

اقتربت منه تضرب بكفها على سطح المكتب أمامه والجنون يتراقص بعينيها قائلة:_

"أنت ماذا تريد ها؟،كيف ترسل لي باقة زهور وأنا امرأة متزوجة ؟!"

"مممم إذا كنتِ ستقبليها لو لم تكوني متزوجة"

قالها بمراوغة رافعا أحد حاجبيه فصرخت بحدة:_

"أكمل يا بدوي ماذا تريد ؟!"

"أكمل ممم اسمي جميل من شفتيكِ فقط لو لم يكن بحدة"

"أنت بارد ،سخيف ،سمِج، لم أرى من هو مثلك أبداً "

لف حول مكتبه يواجهها واتكأ عليه مائلا بجنب قائلاً بكسل:_

"أعلم لكن كيف علمتي أنها مني؟ هل أطمع وأقول قلبكِ من دلك!"

أنهى حديثه غامزاً تلك الغمزة المستفزة خاصته فصرخت بنارية جزءًا منها :_

"ماذا تريد!"

أصدر فرقعة غير راضية بلسانه ثم قال ببرود:_

"أعصابك يا وحش، لما لا تجلسين وتمنحيني فرصة الاحتفال بإنارتك مكتبي أول مرة "

جزت على أسنانها بغيظ فأعصابها على حافة الجنون وقالت محذرة:_

"أكمل يا بدوي ،ابتعد عن طريقي أفضل لك ، أنت تعلم زوجي جيدا من يكون وعمر القاضي إن علم لن ا.."

شهقت بقوة وهو يشدها إليه من ذراعها بقسوة قائلا من بين أسنانه بلهجة خافتة شديدة الخطورة :_

"غدي يا برعي ،نصيحة لا تُحذري أبداً رجلاً بآخر ،لم يخلق بعد من يهابه أكمل البدوي ،ولا تثقي هكذا زوجي ،زوجي فهو لم يعد بعد "

□□□□

"لما تُصر علي فعل ذلك معي يا حسن انت لست هكذا؟!"

همستها ببكاء وهي تتلحف بغطائها تُبكيه وتبكي نفسها ،فمنذ أن اعترفت له بحبها ليلتها لم يرد عليها ،فقط بدى وكأنه كان ينتظر كلمة تخرج ما بداخله، لم يرد لم يتحدث فقط أخذها كما لم يفعل من قبل .

لقد عرى لها روحه الجائعة لعاطفتها ،وكأنه يبحث عن شئ فيها ،كان ضائع ،تائه متخبط لكنه مشتاق فأذابها وذاب فيها وظنت أن غشاوتهم انقشعت لكنها استيقظت في الصباح لم تجده جوارها ولم يعود إلا ليلا شاحب الوجه ،مرهق ،غائر العينين وكأنه لم يقضي ليلة عشق أبداً ولم يدعها أن تتحدث حتى أو تسأله عما فيه بل أخذها لكن تلك المرة لم تكن محبة ،مراعية أو مشتاقة بل كانت مهينة ،عنيفة لم يراعي فيها حتى صغر عمرها أو حملها وكل ليلة يعيد الكرة وتستيقظ بالصباح تجد فطورها مجهز وهو غير موجود ولا يعود إلا ليلا

تأوهت رغما عنها من ذاك الألم المنتشر فيها فسمعت همسته الساخرة ورائها

"أنتِ من دفعتني لذلك فلا تشتكي"

عضت شفتها بألم وهي تستدير له هامسة بعتاب :_

"لم يا حسن ماذا فعلت أنا ، هل تعاقبني أني اعترفت لك بحبي"

مط شفتيه هامساً بفجاجة خشنة مقيته:_

"لا أنا فقط أُبين لكِ جيدا الرجل الذي تزوجتيه ،لا يخدعك مظهري الحسن المراعي هذا ليس أنا ، أنا هو تماما الذي يُهينك قاتلاً أنوثتك كل ليلة دون أن تشتكي ماذا تظني من لقيط ،قذر نتيجة ليلة ماجنة بين رجل وامرأة ،يبدو أنهم لم يستطيعوا التخلص منه وهو جنين"

شهقت ببكاء تقترب منه تضع كفها على فمه هامسة بألم :_

"اخرس ،فقط اخرس ،لا تقل هذا ، أنت لست هكذا "

نزع كفها بعنف يلتفت إليها هامسا بقسوة:_

"ولم يا ملك ، لم تنكري الواقع ها؟! هذا الرجل الذي تتشدقين بحبه "

شهقت بألم ودموعها تنهمر على وجنتيها فأردف بسخرية :_

"نصيحة يا ملك بما أنكِ متمسكة بتلك الكذبة المدعاة بحبي ،لا تلعبي دور سندريلا فأنا لست الأمير"

لم يمكنها الرد وهو يغمرها بما يفعله كل ليلة ،حتى ارتفع صوتها ببكاء:_

"يكفي يا حسن أنا متعبة لا أستطيع التحمل"

اتسعت عينيه برعب وهو يرى الدماء المتفجرة منها ،احتوى وجهها الشاحب بين كفيه قائلاً بهلع :_

"يا إلهي ملك ما بكي؟!"

تركها سريعا يرتدي ملابسه على عجل وشد عباية منزلية مناسبة لها ،ساعدها على ارتدائها قبل أن يحملها إلى المشفى

بعد فترة من الوقت

التفت على صوت الطبيب يعنفه:_

"كيف تكون متعلم وتفعل ذلك ،لا أفهم وهي كيف لم تمنعك ها؟!

أنتم لم تخاطروا بجنينكم فقط لقد كادت تفقد نفسها لو لم تأتي بها في الوقت المناسب"

أطرق برأسه خجلا فقال الطبيب بحزم رفيق:_

"عامة هي بخير لا تقلق لقد سيطرنا على الوضع وطفليك أيضاً بخير"

لحظة ،لحظة هل قال طفليك أم هو من يهذي ،رفع وجهه للطبيب قائلا بدهشة:_

"طفلاي؟"

أومأ الطبيب قائلا بعملية:_

"آه نعم ألا تعلم أنها حامل بتوأم؟، هيا أذهب لتطمئن عليها "

خرج من مكتب الطبيب بمشاعر مختلطة ، ندم ،خوف، ألم ،ذهول، بذرة فرح خبيثة من تلك النبتتين برحمها "

دخل غرفتها متمتما بالحمد على تلك النقود التي كان يدخرها فمكنته من جلبها مشفى نظيفة كهذه

جلس جوارها على الفراش واضعا كفه على بطنها بارتجاف ،لا يدري ماذا يقول؟

ابتلع ريقه بصعوبة وقال بتحشرج وكأنه يهذي:_

"اثنين وكدت أضيعكم بين يدي ، أنا لا أصدق ؟! هل يعوضني الله ،هل ستكونون لي عزوة ، أم ستكرهوني عندما يُعيركم بي "

دمعت عينيها وهي تضع كفها على كفه هامسة:_

"سيحبونك يا حسن ،سيحبونك كما أحببتك أنا ، كما تعلقت بك كما لم يفعل أحد بي ، طيبتك ، أخلاقك ،روحك الحسنة ،حنانك ، ألا يقولون أن لكل شخص نصيب من اسمه ، أنا أرى أنك أخذت من الحسن الحظ كله يا حسن "

ابتسم ينظر لها قائلا بندم حقيقي ومعالم الحزن تحفر ملامحه:_

"كدت ،أُضيعك أنا حقا آسف"

ابتسمت بتعب قائلة برجاء:_

"لا يهم فقط عد يا حسن ،لا تستسلم لشياطين نفسك وعد لي حسن الطيب الحنون الذي أحببته"

رفع كفها الآخر إلى فمه يقبله وسألها بتوسل:_

"ألن تندمي أبداً ؟!"

"أبداً يا حبيبي "

□□□□

جمع من الأطباء والأزهريين وعلماء النفس وغيره من أساتذة الجامعة اليوم بالمؤتمر المعقود في جامعة زايد في مدينة دبي بدولة الإمارات العربية

جاء الدور عليه بعد دكتور معاذ الحلبي لإلقاء كلِمته فألقاها ومن ثم توالت عليه فقرات المؤتمر حتى انتهى فطلب منه أحد أساتذة الجامعة بالبقاء لعقد جلسة مناقشة معه هو والدكتورة حفصة والدكتور معاذ الحلبي ومع الطلبة عن بعض القضايا الهامة كقضية المرأة مثلا

وافق بعد أن اقترح الأمر على زملائه وهاهم الآن يلتفون جميعا حول طاولة كبيرة مع طلبة من مختلف الجنسيات ،كان البادئ بالحديث معاذ وهو يقول:_

"لنبدأ من كان لديه أمر فليعرضه ونتناقش"

والبادرة كانت من تلك الخجولة المبتسمة ،ترفع نصف كفها من كم سترتها فأشار لها قائلا :_

"لنتعارف أولا ،بالطبع تعرفيني من المؤتمر أنا معاذ الحلبي استاذ الشريعة ،من دمشق وأنتِ ؟"

صمتت لدقائق ،دقات قلبها تتسارع في خجل ثم قالت:_

"خديجة، أربع وعشرين عاما، من مصر"

أومأت حفصة برأسها مبتسمة وقالت :_

"حسنا ما سؤالك يا خديجة "

عضت وجنتها قائلة في حياء :_

"هل لي أن أسأل دكتور شهاب سؤال؟"

رفع شهاب رأسه بدهشة من اختيارها له تحديداً ثم ابتسم مشجعا :_

"بالطبع تفضلي"

"هل ممكن أن تفكر في الزواج ثانية ؟"

رفع حاجبيه بدهشة ،والتفت الرؤوس وتعالت الهمهمات من السؤال الغريب فعضت شفتيها بخجل ومعاذ يضحك قائلاً:_

"يا فتاة ليتزوج الأولى قبلا"

وبمكانه أتته رغبة عالية في الضحك ، إلا أنه يدرك مغزى الفتاة جيدا وإن أخطأت التعبير لذا قال:_

"نعم"

امتقع وجهها وزالت نظرة الانبهار من عينيها وأطرقت برأسها فسمعت تلك الفتاة المجاورة لها تقول باندفاع:_

"كيف يعني ؟هكذا دون تفكير"

ابتسم شهاب وسألها :_

"ما اسمك؟"

"حورية " قالتها بحدة من بين أسنانها فقال بهدوء:_

"حسنا يا حورية، لقد أخطأت صديقتك في السؤال ،تعلموا ألا تسألوا أحد أبداً عن شئ بالمستقبل، لا أحد منا يضمن الدقيقة القادمة ،هل لو كنت أجبتها بنفي قاطع أن لا سأكون أعجبتها وأرحتك ؟، سؤالها كان واضح هل ممكن أن تفكر في الزواج ثانية!!

و من يضمن لي أو لها تفكيري ، بل من يضمن ألا تنقلب حياتنا رأساً على عقب من الغد الأمر كله بيد الله

وأنا لن أقرر بشيء ليس بيدي ، هل لو سألتك أنا الآن ستقبلين أن تكوني زوجة ثانية سيكون ردك القاطع أن لا، بهذا تكونين صادقة؟

مط شفتيه وأردف فاتحاً كفيه:_

" لا وما أدراكي بعلم الغيب وتغيرات الحياة ، لا تأخذي أحكام ولا تعطي وعود أبداً على شئ مستقبلي"

أنهى حديثه وعم الصمت كل منهم يقلب كلامه الصحيح برأسه حتى ارتفع صوت حفصة قائلة:_

"دكتور شهاب كلامه صحيح ، وذاك لأن سؤال خديجة كان خاطئ ، هي تقصد هل الزواج الثاني من مبادئك وعامة هي تريد أخذ الرأي في القضية بشكل عام "

أومأ شهاب برأسه وابتسمت خديجة موافقة وهي تنظر له وقال :_

"دعكي من مبادئي الآن ، لكن رأيي في الزواج الثاني هو مفسدة إن لم يكن لضرورة "

"آه ضرورة حُجتكم جميعا"

والاعتراض لم يكن سوى من تلك الثائرة حورية فضحك وهي تذكره بابنة أخيه المجنونة

فناوشها معاذ قائلاً:_

"بسم الله الرحمن الرحيم وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا "

"حسنا هل أخذت ما يعجبك بالآية ولم تلتفت لكلمة "فواحدة"

تناولت حفصة دفة الحوار وقالت :_

"يا حورية أنتِ تفهمين الآية خطأ أو تخافين منها لأن الآية للإباحة وليست للترغيب وشتان"

أومأ معاذ قائلاً:_

"بالأصل الآية مفهومة خطأ ، الآية نزلت في موقف كالآتي أحدهم وقع عليه النصيب أن يربي يتيمة فحذره الله سبحانه وتعالي إذا خاف أن يظلم تلك اليتيمة بأن يفكر

في الزواج بها هو أو ولده مثلا من أجل ميراثها فابتعد عنها ولكم يا رجال من النساء ما تريدوا مثنى وثلاث ورباع لكن إياكم واليتامى"

"صحيح"

قالها شهاب معقباً فسألته خديجة :_

"حسنا أنت طبيب نفسي وأنا هنا الآن مشكلتي أخاف الزواج ، الأفكار تتزاحم في رأسي من كثرة قراءة الروايات التي تنقل لنا الواقع وكم المأساة التي يسببها الزواج الثاني"

عقد شهاب حاجبيه وقال:_

"روايات من قال لكي أن الروايات تنقل الواقع برؤيته الصحيحة ؟، الرواية رؤية الكاتب للواقع وليس الواقع بذاته "

"حسنا لكن لا ننكر أن تلك المشكلات موجودة بالواقع
بغض النظر عن طريقة الكاتب في معالجتها"

"لقد قلتيها بذاتك الكاتب هو من يعالجها ، دائما أرى
الكتابة كالتجارة ، وكل تاجر يرى ما الذي يروج سلعته
ويفعله أي أن كلٌ يريد تزيين سلعته كما يريد إذا عقدنا
مثال سريع

هناك تاجر سلعته ليست بالجميلة ولا الفاخرة لكنه يزينها
من الخارج بغلاف حسن حتى تجذب النظر

هناك تاجر سلعته حلوة وقيمة أهتم بصناعتها ومكوناتها
فكانت النتيجة مبهرة رغم أن غلافها ليس بالجذاب
كالأول "

أومأت حفصة قائلة :_

"أنتم الشباب تلهثون وراء كل ما يضركم ولتعلمي أنكِ تأثمين لسعيك وراء ما يحزن نفسك "

اعترضت خديجة قائلة :_

"لكنه واقع أنا أيضاً أستمع إلى مشكلاتٍ من حولي ، أصبحت خائفة أن أتزوج أحدهم وبعد عام أو عشرة يأتي لي قائلا لقد أحببت فلانة أو فلانة كانت حبيبتي وأريد الزواج منها فأصبح قطعة بالية كالأثاث"

لوت حفصة شفتيها وقالت:_

"حشا لله أن يحلل شئ لأحد يقهر الآخر من قال لكي بالأساس أن الزواج الثاني من أجل تلك التفاهات "

أومأ شهاب برأسه وقال:_

"الخطأ سيكون عندك من البداية ، لأنكِ اختارتِ خطأ لم تختاري رجلا ، الرجل يا خديجة وإن كان يحب غير

زوجته قبل الزواج لكن مجرد أن يتزوج يحافظ على زوجته وبيته ويصونها ،لا يفكر بأخرى أبداً لا تحل له وهو مقيد بميثاق غليظ آخر أعظم عند الله"

"ماذا لو كنت أحبه هل أتركه من أجل ذلك؟"

هز رأسه يأسا وقال:_

"المصيبة أن جيلكم يفهم الحب والزواج خطأ ، لا أقول لكي لا تحبي لكن أحذرك من الدخول بعلاقة قلبك السائد بها ستندمين أشد الندم، الحب أعمى يعميك عن مساوئ حبيبك كليةً وتصبر ذاتك قائلا أنني سأتحمل ،سأتحمل وهذا خطأ.

محلى الحب أنه يزيد من الإصرار على تحمل عيوب الحبيب لكن نهايته مر كالعلقم لأن الله خلقنا كل له طاقة "

"هل تقول لي أنك لن ترتبط عن حب؟"

رفع كفه بالدبلة مبتسما وقال:_

"أنا مرتبط بالفعل، وأؤكد لكِ أني درست صفاتها جيدا وراضٍ بها ومازلت أدرسها ونبهتها لذلك أيضاً ، إذا تم قياس قدرها عندي بالزواج والخطبة لأقسمت لكي أني كنت سأفعل المستحيل حتى أعقد عليها يوم تقدمي لها لكن يجب أن تُأخذ الأمور بعقل وتروي ،حقها هي الأخرى أن تدرسني أن تحتك بس وبعيوبي أن تتصارح مع ذاتها هل ستقدر عليها أم لا وقياسا على ذلك هل الحب يشفع لكي أن تأخذي ذكراً وليس رجلا؟ "

هزت رأسها نفيا فأردف :_

"كما أنه تلك الروايات التي تتشدقون بها خاطئة ،كيف؟! سأُسايرك أن أحدهم تزوج من حبيبته وأصبحت زوجة ثانية ، بالفترة الأولى بالتأكيد ستكون الحياة أجمل من الجمال من ثم ستنقشع تلك الغمامة وتبدأ المشكلات مثلها مثل الأولى لأنه حصل عليها ، أصبحت له ونال ما أراد لا تصدقي أبداً أن الثانية تكون سعيدة كل السعادة وليس

عندها أدنى المشاكل هذه رؤية الكاتب ، وليكن بعلمك أن كل هذا يصب فوق رأس الرجل صبا فيندم "

"ماذا لو أعجب الرجل بإحداهن بعد الزواج وليس من قبله ، أي أنه يذهب لزوجته أني أعجبت بامرأة وأريدها زوجة "

سألت حرية وقد بدأت تقتنع رويدا

"ليس رجلا من لا يستطيع أن يُلجِم ذاته" قالها شهاب بامتعاض ثم أردف :_

"ديننا دين عدل ولم يترك شيئا إلا وله حل حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه "

أومأت خديجة براحة وسألته :_

"حسنا لكني رغما عني أسعى وراء كل تلك النوعيات من الروايات وأقرأها فأصاب بالإحباط والخوف"

"تأثمين كما قالت دكتورة حفصة"

أومأت حفصة قائلة :_

"أنتِ لستِ بالصغيرة كي لا تعلمي ما يضرك وما ينفعك ، هل مجرد رواية من خيال كاتب تسبب لكي الحزن إذاً أنتِ آثمة والأكبر أنه على شئ تافه ، نعم تافه ما هذا قراءة قصة تجعلني أحزن ويصيبني الإحباط بالله عليكي لو قرأتي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكل الأذى المُلحق به لن تحزني ربع حزنك هكذا لا أعلم كيف تفكرون يا شباب؟"

سألتها خديجة بفضول:_

"آثم هل أنتِ جادة؟"

أومأت حفصة برأسها وقالت :_

"نعم بسم الله الرحمن الرحيم

"يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم"

السؤال هنا خاص لكن يندرج تحته العام وهو أن سعيك وراء كل ما يحزنك أو يُقِع الألم أو القلق في نفسك تحاسبين عليه والأكثر ضررا أنه هنا شئ تافه، أعتقد أن الرؤية وضحت ولا خلاف من ترك قراءة تلك النوعيات لما تسببه لكِ من ضرر من أجلك وأجل رضا الله"

أومأت برأسها واستدارت لشهاب قائلة :_

"لقد قلت ألا يكون الحب المتصدر الأول في العلاقة
كيف هذا هل أخذ من لا أحبه؟"

"هناك فارق بين القبول والحب ، من الخطأ أن يتصدر قلبك في أفعال العلاقة كلها هذا خطأ يجب أن يتحكم عقلك إذا كنتِ تريدين بناء حياة. ناجحة ومن ثم بالقبول والتقارب والأفكار المشتركة والعيوب المعقولة التي تحتمل سيأتي الحب "

أومأت برأسها فقالت حرية بتعنت:_

"مازلت لم اقتنع بأمر التعدد ليقنعني أحدكم "

التفت إليها معاذ قائلا :_

"سأسالك قلبا سؤال

ماذا لو كان التعدد محرم وهناك رجل امرأته مريضة في الفراش ، والرجل فُطِر على الغريزة لا يستطيع كبتها بل يمرض أن فعل برأيك إلى أين سيتجه لا سبيل له سوى الزنا "

أومأت برأسها مقتنعة فقالت حفصة :_

"ومن هنا دكتور معاذ يريد أن يوضح لكي أنه في كثير من الأحيان يكون حق طبيعي درءاً المفاسد"

"مثلا امرأة عقيم ألا تري أنه من حقه أن يتزوج من أجل الإنجاب ومن رحمة الله أنه أمره بالعدل أما إذا وقعت الزوجة الأولى في ضرر نفسي فيحق لها طلب الانفصال ويأثم أن منعها وحملها ما لا تطيق"

"ولما لا يعيش حياته دون أطفال" قالتها حرية بعند فضحك شهاب قائلاً:_

"بالضبط كما رخص الله سبحانه وتعالى لها حق الانفصال إذا كان زوجها عقيم وأن تتزوج وتنجب من آخر"

صمتت فقال معاذ:_

التعدد ليس كما تعتقدون ، فمن تأمل الآيتين المذكورتين في القرآن للتعدد وتدبيرهم لعلم أنه أمر مضيق فيه أشد التضييق كأنه ضرورة من الضرورات التي تباح فقط لمحتاجيها وليس لأي كان كما يتشدقون الآن ولرحمة الله وعدله أنه حتى في حالة الاحتياج أمرنا بالعدل أي انه إذا قرر أحدهم التعدد ولم يكن متأكد مائة بالمائة أنه سيعدل حَرُم عليه التعدد حتى أن العدل يكون في أضيق وأصغر الأمور كسترته ونعله عند إحداهن يجب أن تكون عند الأخرى الأمر ليس لعبة "

أومأت حفصة برأسها وقالت :_

"كما أنه لا يحمل التجربة ، أي أنه لا يصح لأحدهم أن يقول سأتزوج اثنان ولأرى سأعدل أم لا ، إذا وقع شك في نفسه ولو عشر بالمائة حَرُم عليه التعدد"

ابتسمت الفتاتان لقد كانوا يفهمون الأمر بالخطأ كليا

التفتوا على صوت شهاب قائلاً:_

"بالطبع تعلمون الإمام محمد عبده لقد قال رحمه الله في كتاب تعدد الزوجات

"إذا تأمل المتأمل في هذا التضييق وما يترتب على التعدد من المفاسد هذا الزمن جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربي أماة فشى فيها التعدد "

سألت خديجة بخوف:_

"ماذا لو وثق أحدهم أنه سيعدل مائة بالمائة؟"

"يُباح له التعدد ولكن لضرورة أيضاً كالمرض والعقم وغيره وأشدد على أن الرغبة والشهوة وغيره من ذلك كما هو متفشي بالمجتمع الآن ليست ضرورات بل هو انعدام رجولة ،فالرجل كما قال دكتور شهاب يجب عليه تلجيم ذاته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

"لعن الله الذواقين والذواقات أي الذي يرى هذا فيميل قلبه إليها لأنه مسلسل لانهاية له"

أومأت حفصة برأسها وقالت:_

"تعلمين أن الإمام محمد عبده الذي ذكره دكتور شهاب كان عمله بالمحاكم وكان قد سعى في سن قانون لتحريم التعدد إلا بحكم القاضي وقال أيضاً من كثرة ما مر عليه من قضايا "ولو شئت تفصيل الرزايا والمصائب الآتية من التعدد لأتيت بما تقشعر له جلود المؤمنين فمنها السرقة والزنا والكذب والخيانة والجبن والتزوير والقتل حتى قتل الولد كل ذلك واقع ثابت في المحاكم فلا سبيل

لتربية الأمة مع فشو التعدد فيها وهو محرمٌ قطعا عند الخوف من عدم العدل "

ابتسم معاذ وقال تعلمين أيضاً أنه هناك تشدق إذا كرهتها فتزوج عليها لكن نسوا قول الله "فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" قد تكون الآية في ذاتها خاصة بشيء لكنها تعم هذا أيضاً

أومأت مبتسمة فقال:_

"للأسف نحن من نشوه صورة الإسلام بأفعالنا الشريعة لم تظلم أحدا أبداً بل عدم العدل يجعل الرجل يأتي يوم القيامة شقه مائل وسيصلى سعيرا لظلمه لإحداهن "

أومأت برأسها فشاكسها معاذ قائلاً:_

"برأسك الصلدة هذه أؤكد لكي ليس هناك عاقل يفعلها وينظر لغيرك فلتطمئني"

ابتسمت وضحكوا وشرعوا في تناول أحاديث أخرى وقد اطمأنت كل منهم

****

"ما أجملها من عودة ،حين تكوني أول من أراه" همسها شهاب بحرارة صادقة فور أن دخل واضطرب قلبه لوقفتها الواشية بمدى هشاشتها

أجفلت واستدارت بفرح قائلة بدهشة :_

"متى عدت؟!"

وضع ما بيده على الطاولة أمامه وقال:_

"لتوي عدت ،كما قلت لكي على الهاتف أن خالد سيأخذني من المطار ،عاد هو على الشقة عندي وجئت أنا هنا كي أضع بعض الكتب الهامة والملفات"

أومأت برأسها فأردف قائلا بحنان :_

"كيف حالك صغيرتي؟"

"بخير لقد اشتقت إليك"

قالتها بتسرع ووضعت كفها على فمها في خجل ،الكلمة خرجت تلقائية لم تنوي أو تتقصد قولها أبداً

ابتسم لردة فعلها قائلاً:_

"لا تخجلي هكذا، حتى أنها خرجت منكي بغير قصد ،كما أني اشتقت لرؤيتك أكثر "

ابتسمت وأطرقت برأسها وسألته بخفوت خجول:_

"هل ستأتي اليوم كما قلت لي"

أومأ برأسه قائلاً:_

"نعم ،لدي عمل كثير بالمركز الآن سأُنهيه ثم أكون عندك في السابعة على الأكثر "

انحسرت ابتسامتها لذكره المركز فسألها بقلق:_

"ما بكِ ؟!"

"لا شئ"

قالتها وهبت واقفة ثم أردفت :_

"سأنتظرك ليلاً، لا تتأخر علي"

***

أنهى إجراءاته ثم جذبها والدها من يدها كي تُنهي هي الأخرى خاصتها ،عيناه تلتهم كل تفصيلة من تفاصيلها حتى تلك الكف

الصغيرة التي تمسك بالقلم للإمضاء على صك ملكيتها

له بإبهامها الذي يطبع الحبر الأزرق

ضاحكاً بابتهاج ويده بيد والدها يردد وراء المأذون الشرعي ما يُلقنه وعينيه بين الحين والآخر معاها ،يشعر أن قلبه سيتوقف من فرط دقاته فرحاً

ابتسامته اتسعت حتى شملت وجهه كله والرجل أخيراً يقول

"بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير"

تعالت صوت الزغاريد بالمكان مع أنغام الأغنية الشهيرة

"كتبوا كتابك يا نقاوة عيني"

الجميع يبارك لهم ويسلم عليهم ويُعيذُنهم بالله من شر كل حاسد

والدته ووالدتها دموع الفرحة تملأ وجوههم

وأخيراً حانت اللحظة التي انتظرها ،اقترب منها مبتسماً يبارك لها فمدت يدها بخجل تسلم عليه فجذبها بين أحضانه دافناً وجهه في عنقها يتمتم بالحمد

سحر اللحظة لقد ظل كثيرا وكثيرا يتخيل ماذا سيكون شعوره وقتها إلا أنه أبداً لم يكن يتخيل كل تلك الفرحة

بداخله وهي بين أحضانه الآن متخبطة بين فرحتها وخجلها

دفء، حب، سعادة ،فرح اشتياق ...لا بل ما يشعر به أكبر من ذلك بكثير ،شعور من فرط حلاوته لا يستطيع وصفه وكأن دقات قلبه من كثرة سعادتها شكلت فرقة موسيقية داخله منقسمة لنصفين نصف يعزف على أوتاره والآخر يرقص مبتهجاً

لقد أوجعه فكه من كثرة الضحك ،وتعالت ضحكاته أكثر على همسها الخجول أن "كفي ويبتعد"

رفع رأسه دون أن يُفلتها على صوت حماه الغيور

"كفى يا ولد ألا تخجل أن تحتضنها هكذا أمامي ،لا تنسى أنها مازالت ببيتي"

لعب حاجبيه بمشاكسه وهو يضمها أكثر إليه قائلاً

"عذراً يا حمايا العزيز ،لقد أصبحت حرمنا المصون "

لوى الرجل فمه في تهكم مصطنع يداري به دموع عيناه فصغيرته أصبحت تحت ولاية غيره

فتح ذراعيه بلهفة وهو يشعر بها تنسل من بين ذراعي الآخر لتنضم له

ضمها إليه بدفء مقبلا جبهتها وهو يهمس بفرح

"مبارك حبيبتي ، جعلها الله لكي زيجة الدهر "

رفع حاجبه مبتسماً بمشاكسة لذلك الدخيل عليه هو وابنته والذي ينظر إليهم بغيظ وغيرة الآن

قبل أن يتحدث اقتربت زوجته تأخذه رغما عنه وهي تهز رأسها يأساً من تصرفاته الطفولية مع زوج ابنته

أما هو فاقترب منها مرة أخرى هامسا بغيظ:_

"تحتمين بوالدك الآن صحيح؟ لنرى يوم الزفاف ماذا سيفعل"

"حمزة" همستها بدلال فمال عليها هامسا:_

"كيف تنطقيها هكذا فتخرج رقيقة مثلك وأنتِ ترققين الزاي بطريقة لم أسمعها من قبل"

ضحكت ولم ترد على دخول رنا الصاخب جوار شهاب تحتضنها مباركة بفرحة ومن ثم احتضنت حمزة الذي شاكسته قائلة :_

"إذا أحزنتها يوما سأذبحك "

ابتسم حمزة يضمها إليه وهمس بتحذير:_

" لا تظني أن عيني ستغفل عنكي أنتِ والدكتور الذي تلتصقين به كالعلقة "

انسلت منه تضربه بقبضتها في كتفه بحنق قائلة :_

"يا سئيل هل هذه العقبة لكي؟!"

ضحك مقبلا رأسها هامسا بحنان :_

"العقبي لكي حبيبتي"

بعد فترة

جلست على الكرسي المجاور له أخيراً بعد ذاك الصخب الذي كانت به هي ونهى وأصحابهم

وجدته صامتا فالتفتت إليه هامسة بقلق :_

"شهاب ما بك ،هل ضايقك أحد؟"

حك ذقنه بيده قائلا بهدوء وحزم:_

"رنا لا أريد أن تفهمي من حديثي أني أتحكم بكي ، أعلم أني مازالت خطيبك لكن ذاك الرقص الذي حدث لا أريده أن يتكرر في وجودي أو غيره"

رقص وهل رقصت؟ هل يُسمى تحريكها لذراعيها وكتفيها بالتناغم مع نهى رقص؟!

التفتت إليه قائلة:_

"أنا لم أرقص يا شهاب ،فقط حركت كتفاي كما أنه لا يوجد أحد غريب ،نحن وأبناء عمومة نهى وهم يعرفوني ،البعض متزوج والبعض أكبر مني"

أطرق برأسه لدقائق كي يهدئ روحه ،فمازالت لم تتعرف على طباعه كاملة كما أنها صغيرة ،رقيقة وهشة ،تجعله يرغب في حمايتها حتى من روحه

حين سمع همستها المعاتبة باسمه التفت إليها مبتلعا ريقه وهمس بحرارة خشنة :_

"يا صغيرة أنا أغار"

□□□□

فور أن خرجت والدتها وأغلقت الباب خلفها نظرت إليه بتحفز قائلة بتهديد مضحك وهي تشير له بسبابتها:_

"لم تنظر لي هكذا ،لا تنظر لي تلك النظرة الخبيثة يا حمزة"

ضحك قائلاً بنعومة :_

"نهى حبيبتي أنا لن ألتهمك"

"حسنا ، أعرف ،لما تقف أجلس هيا"

رفع حاجبيه قائلا بخبث:_

"ولما تقفين؟ "

لم ترد فاقترب منها ببطء شديد قائلا:_

"نهي لا تخافي فقط حضن صغير لعمو"

"ماذا ، لا تقل حياءك يا حمزة ، مازالت خطيبي" قالتها بحذر وهي تتراجع بخوف

فهمس مشاكاً :_

"بل زوجك ، مممم لما لا تخلعين حجابك "

"لن أفعل لا تحلم "

قالتها بذعر وقد ارتطمت بالحائط خلفها فشاكسها يلهيها قائلا:_

"نهى حبيبتي أنا مثل زوجك "

توسلته وهي ترى اقترابه الخطير منها هامسة بتوسل مضحك:_

"حمزة بالله عليك"

"بالله عليك أنتِ حمزة غارق"

قالها بحب وهو يميل إليها كاتما أنفاسها يفعل ما كان يطوق ويفعله منذ أن وقعت عيناه عليها اليوم

انفصل عنها بعد دقائق هامسا بتحشرج:_

"أنا أحبكِ"

حين لم ترد رفع عينيه إليها فوجدها مسمرة على الحائط تنظر له في ببلاهة وهمست بغباء:_

"ماذا فعلت؟"

لقد قبلتك قالها مبتسما فرمشت بعينيها لدقائق كعادتها حين تتوتر فمال مرة أخرى غامزا بعينيه قائلا بمشاكسة قبل أن يعيد فعلته

"يبدو أنها أعجبتك

الفصل الثالث والعشرون

"هل أعجبتك، الفرسة أم ماذا يا بدوي؟!"

لمعت عيناه غضبا ممتعضاً من طريقة عمران لكنه قال ببرود:_

"أي فرسة ؟!"

وما لقاه ضحكة متهكمة من الرجل وقال :_

"ابنة المنصوري ، أرى أنها تمشي قدما في القضية وأنت مكانك لا تتحرك "

خبط بقبضته على المكتب أمامه قائلاً من بين أسنانه:_

"كل ما لك أن تكسب القضية ، غير ذلك لا يُعنيك "

صمت الرجل لدقائق ثم أخرج ملف من الدرج ووضعه أمامه فنظر له أكمل بتساؤل دون أن يتناوله

"افتحه "

قالها بأريحية وانتشاء أغاظه لكنه بالأخير فتح الملف ينظر فيه ،فاشمئز وجهه من الصور والمحادثات أمامه إلا أنه وجد بآخر الملف اسم إحداهن ،قطب بين حاجبيه والتفت إليه سائلا:_

"من هذه؟"

هز الرجل كتفيه قائلاً ببساطة مستفزة:_

"ابنة الجوهري"

★★★

في مكتبه بالمركز بعد أن وزع على الجميع الشوكولاتة والمياه الغازية المعلبة بسبب خطبته ،صحيح أن الأمر جاء بعد شهور من خطبته لكنه لم يراهم فقد سافر فورا للمؤتمر ولم يأتي سوى اليوم

رفع رأسه على دخول مادلين العاصف قائلة :_

"إذا الخبر صحيح "

أومأ برأسه دون اهتمام لغضبها الواضح قائلاً:_

"بالتأكيد ، ألم تأخذي الحلوى؟"

"من هي؟"

قالتها بتهور ،فرفع أحد حاجبيه قائلا:_

"وما يخصك في ذلك يا دكتورة ؟"

"شهاب لا تُقنعني أنك كنت تعيش قصة حب وأخيراً كُللت بالزواج ،لقد قلت لي بنفسك أنك لست مرتبط "

مط شهاب شفتيه واضعا كفيه بجيبي سرواله وهو يقول بهدوء :_

"الأمر لا يعنيك وقلت لكِ من قبل ،لا تلعبي دورا ليس دورك "

طفرت الدموع في عينيها وسألته:_

"هل تشكك في مشاعري لك ؟"

زفر بحدة وهو يستدير خارجاً من وراء مكتبه قائلاً بحزم:_

"يا دكتورة لست بالغر كي لا أفهم مشاعرك ،لو مشاعرك كانت صحيحة لو بنسبة واحد بالمائة لم أكن لأتركك هنا أبدا ً وأزيد تعلقك بي ، الأمر كله إعجاب لا أكثر "

أطرقت برأسها فتنهد قائلا وابتسامة جميلة تناوش شفتيه:_

"على فكرة ،أنتِ تعرفينها وأراهن أنكِ أحببتيها"

قطبت بين حاجبيها تسأله بدهشة:_

"كيف ؟"

"لقد كانت مريضتك ،قابلتها هنا مرة وتعرفتي عليها ،وكنتِ واقفة معي "

★★★★

"ماما سأذهب إلى الشقة كي أضع تلك الأشياء والملابس التي اشتريتها مؤخراً"

قالتها وهي واقفة على درجة السُلم ترتدي حذائها رافعة قدم وثانية الأخرى ،فالتفتت إليها والدتها قائلة:_

"لما لم تخبريني كي آتي معك ،لا يصح أن تذهبي وحدك ،ماذا لو ذهب حمزة وأنتِ وحدك هناك!"

نزلت من السُلم سريعا مقتربة منها وقالت:_

"لا تقلقي ماما رنا ستقابلني هناك ،كما أن حمزة عنده عملية الآن "

"متأكدة يا نهي ؟"

"نعم حبيبتي لا تقلقي"

بعد ساعتين

كانت تفتح الشقة وتدخل، اتجهت إلى غرفة النوم ،ووضعت ما بيدها ،ثم اتجهت إلى المدفأة فتحتها وخلعت ملابسها الخارجية وظلت فقط بسروال بيتي ضيق وفوقه سترة دون أكمام.

بدأت في إخراج الملابس والأشياء من داخل الأكياس وشرعت في رصهم بالخزانة

وبالتوازي

أنهى حمزة عمله واشترى بعض الملابس له ثم اتجه إلى الشقة ليضعهم

فتح الباب ودخل وأغلقه خلفه لكنه قطب بين حاجبيه بدهشة وهو يسمع صوت نهى يأتيه من الداخل قائلة :_

"رنا ،جيد أنكِ أتيتي ، حين أرسلت رسالتك أن شهاب عائد اليوم خشيت أن تتأخري علي"

"رنا أين أنت ،لما لا تردي"

حك رأسه بخجل ،خوفا من أن تكون والدتها معها في يقتحم جلستهم وقبل أن ينبههم ،ابتسم بخبث وصوتها النزق يأتيه :_

"رنا ،أسرعي ،لقد نبهت عليا أمي أن أعود سريعا و طمأنتها أن حمزة لديه عمليه"

وضع الأكياس بيده على طاولة السفرة بحذر ،وتقدم من الغرفة شاكرا الظروف التي أجلت العملية للغد

خرجت هي من الغرفة بتأفف وتسمرت مكانها وهو يطلق صفيرا عاليا وعينيه تتلكأ عليها قائلا ً بمشاكسة:_

"يا حظ حمزة"

امتقع وجهها وهي تتقهقر سريعا كي تغلق الباب ،فأغلقته بوجهه قبل أن يدخل مباشرةً وقالت برجاء:_

"حمزة بالله عليك ،اخرج "

"لن اخرج يا نهي افتحي الباب" قالها بضيق وقد ضايقته ردة فعلها

سمعها تقول برجاء :_

"حمزة ،أمي لو علمت أنك معي بالشقة وحدنا ،أقسم لن ترحمني لقد أقسمت لها أن ورائك عمل"

"حسنا اخرجي، ولا تخافي "

قالها بهدوء ،فتقدمت من الفراش ترتدي ملابسها ولفت حجابها سريعا ثم قالت:_

"حسنا ،انتظرني عند سيارتك بالأسفل وسألحقك"

"نهي أنا لن أتحرك قبل خروجك، بعيدا عن أني زوجك وليس هناك خطأ من وجودك معي إلا أنني ابدا لن أُلحق الضرر بكي ،لا أصدق انكِ تخافين مني حقا " قالها بعتاب

فانتظرت دقائق ثم فتحت الباب وخرجت منه ،تنظر إليه بحذر

فرمقها بضيق وهو يتقدمها إلى الصالة الخارجية للشقة ثم قال:_

"هل تظني لأني معك في شقة وحدنا سأخون ثقة والدك في؟"

عضت شفتها السفلى وقد ألمها حزنه فتقدمت منه قائلة بأسف:_

"حمزة ،لا تغضب ، انا لم أقصد ذلك أنا فقط خجلت"

ابتسم بخبث وهو يشدها إليه ،يحجزها بين ذراعيه قائلاً:_

"والله عيب علي أن أكون طبيب نساء وتوليد و دبدوبتي تخجل عار علي يا امرأة"

ضحكت بخجل قائلة بمشاكسة:_

"ألم تتعلم من الطب سوي الوقاحة ؟!"

غمز بعينيه قائلاً بعبث:_

"وهل هناك أهم منها، أنا احفظها عن ظهر قلب ،بجميع بنودها ،لما لا أعلمك؟!"

"حمزة" قالتها بتحذير ،فلم يمهلها الاعتراض وهو يرتشف من أنفاسها حتي انفصل عنها هامساً ببحة:_

"جميلة أنتِ، دبدوبة شقية خجولة ،أصبحت أذوب فقط من نظرة عينيها،يا الله أنا أحبك ِ يا نهي "

زادت فتنتها والخجل يرسم وروده علي وجنتيها هامسة:_

"أنت تُثبتني بحديثك هذا كي تُعلمني الوقاحة "

دفعها بلطف جهة الباب الخارجي للشقة قائلا بغرور مصطنع :_

"أُعلِمك فقط؟!، بحق الله يا فتاة ،سأجعلك المادة الخام للوقاحة نفسها "

★★★★

ابنتها تذبل أمام عينيها كل يوم ولا تريد البوح هي ليست بالصغيرة كي لا تدرك أن هناك ما يدور بينها وبين زوجها في الخفاء، ثقل الحمل يزداد عليها فيضعفها ومع ذلك ترفض أن تسكن معها حتى تلد وهي لن تستطيع أن تفعل شقتها هي وزوجها بالكاد تسعهم

هذه الفتاة توجع قلبها، لقد اطمئنت على إخوتها فمتى يرتاح قلبها من أجلها ،زواجها جاء ظلم ،صحيح أن الله أكرمها برجل لكن كأي فتاة كان من حقها أن تختار ،ملك الشقية تذبل كل يوم أمامها

استغفرت سرا وهي ترفع يديها بالدعاء وطوت سجادة صلاتها ووضعتها جانبا ثم دخلت عليها الغرفة وكعادتها كل يوم ،تجلس أمام التلفاز نصف جلسة بسبب تكور بطنها وألم الحمل ،الطعام تمس منه اليسير فقط

اقتربت منها بعزم وضمتها بين ذراعيها بحنان فانفجرت في البكاء وكأنها كانت تنتظرها

"يا ابنتي ما بكي، ما بكي حبيبتي أخبريني يا قلب أمك؟!"

قالتها بقلب أم مفطور على طفلتها والأخرى تبكي وتتشبث بها بألم فسألتها بحزم رفيق:_

"ملك يا ابنتي اهدئي وأخبريني ،ماذا بينك وبين زوجك؟"

"ألم تنبهي علي يا أمي ألا أخبرك ما بيننا"

قالتها من بين بكائها فاغتاظت المرأة من كتلة الغباء المتكورة بين ذراعيها وقالت:_

"هذا في المشاكل البسيطة والعادية ،منذ متى وأنتِ وزوجك متباعدان ها منذ شهور ألم يخطر على عقلك أن الأمر يحتاج لتدخل كبير أم أنكِ استصغرتِ كون كبيرك امرأة "

"لا يا أمي كيف تقولي هذا ، أنتِ على رأسي "

"حسنا حبيبتي أخبريني ماذا حدث"

قصت عليها كل شئ بدايةً من مقابلتها لرندا حتى آخر مرة منذ شهور وهي تعترف له بحبها ودخولها المشفى وعودته يتعامل معها بالحسنى لكن ببرود وتباعد

زمت المرأة شفتيها بعدم رضا ،ابنتها أخطأت لا تنكر وستعنفها أشد التعنيف على ذلك لكن هو أيضا تهور ولم يستطع معالجة الأمور بحكمة وبالأخير الأمر عالق بين الاثنان لذا أخرجتها من بين ذراعيها قائلة بحزم:_

"هيا قومي بدلي ملابسك "

"إلى أين يا أمي ؟! قالتها بقلق وهي ترى أمها تتوجه للخزانة تجمع منها الملابس ،فردت عليها قائلة:_

"إلى بيت والدك ومن يريدك فليأتي ونتفاهم ولكل حادث ٍ حديث"

★★★★

عاد من العمل ليلاً يتأفف بإرهاق ،هذه الفترة لا يستطيع أن يشم نفسه حتى بدءاً من عمله في معرض السيراميك ومن ثم عمله الخاص في التصوير نهايةً بإصرار خالد

أن يكون معه بالمكتب الجديد حتى أنه اقترح أن يكون شريكه بالمجهود لكنه رفض مكتفيا بأن يعمل معه

لفت انتباه صمت المكان فاتجه إلى الغرفة يفتح النور فقطب بين حاجبيه في حيرة من الفراش المرتب ،خرج ينظر في المرحاض والمطبخ ثم عاد إلى الغرفة مرة أخرى يفتح الخزانة فوجد بعض ملابسها غير موجودة

قطب بين حاجبيه يرفع هاتفه لأذنه يهاتفها فدقائق وأتاه صوت والدتها الجامد :_

"مرحبا يا حسن "

ابتسم يسألها :_

"مرحبا يا أمي ،هل ملك بخير لما لم تخبرني أنها عِندك؟"

"هي بخير، لم تُخبرك لأني أنا من أخذتها، ابنتي عندي حين تُدرك قيمتها تعالى ونتفاهم"

نظر إلى الهاتف الذي أغلقته المرأة بوجه ممتقع ،ماذا حدث هو لا يفهم شئ

"يا الله يا ولي الصابرين"

قالتها المرأة بنفاذ صبر من تلك البائسة التي تبكي جوارها ثم التفتت إليها قائلة:_

"فقط أخبريني لما تبكي ؟ هل كان يعجبك حالكم ،لا تظني يا ابنة بطني أنكِ لستِ مخطئة

يا حمقاء ألم أنبهك أن سر بيتك لا يخرج ، حتى وإن كانت رندا جيدة ،لا يصح يا غبية ،ما بين الرجل وامرأته حلوه ومره سر مدفون يموت مع موتهم ، الأصدقاء علاقتنا بهم لها حدود حتى وإن كانوا كالإخوة ،قدسية رباط الزواج من أحقيتها ألا تخرج لأحد "

تنهدت بهم وأردفت :_

"أنا أشعر بكي ، أعلم أنكي صغيرة ومازلتِ في بداية حياتك لتتعلمي ،لم أجبرك على البوح لي إلا حين طال الأمر ،منذ شهور وأنا أصبر وأقول ستحل الأمر ،حبيبتي صحيح أخبرتك أن سركم لا يخرج لكن هناك مشاكل تحتاج لكبير ،لطرف خارجي يوزن الأمور ويوجهكم للصواب "

قاطعت حديثها على صوت طرق الباب ،فابتسمت بخبث وقالت :_

"ادخلي الغرفة ولا تخرجي إلا حين أدعوكِ"

رسمت علامات الجمود على وجهها وهي تفتح له الباب الذي أطل منه وعلامات القلق على وجهه

أشارت له بالدخول دون تعبير وتركته ودخلت تجلس على الأريكة فتقدم منها يجلس أمامها وسألها بارتباك:_

"ماذا يحدث يا أمي ؟!"

"أمك متأكد ؟! أرى أنك لم تعطي تلك الكلمة حقها كما فعلت أنا معك" قالتها بجمود

فارتبك أكثر قاطباً وسألها بخفوت :_

"لم يا أمي تقولين ذلك ،أنتِ على رأسي"

" اسمع يابني حين دخلت هذا البيت ،قلت لك أنك وملك أصبحتم واحد عندي وأنك ابني مثلما هي بنتي ،قلت لك إذا أغضبتك يوما فقل لي ولك الكلمة إن لم أراضيك صحيح أم لا، لم أطلب منك سوى أن تضعها في عينك وتراعي صِغرها"

أومأ حسن برأسه فأردفت :_

"حسنا لكن للأسف لم أرى ذلك ،ابنتي تذوي منذ شهور وأنا صامتة ، أرى شرارات التوتر بينكم وأصبر نفسي

لكن إلى هنا وكفى ،لن أجلس صامتة وأخسر ابنتي ، ألقي عليها اليمين واذهب لحالك طالما أنك لهذا الحد لم تريدها"

شحب وجهه وتسارعت دقات قلبه وهو يهب من جلسته إلى جوارها مما أرضاها أنها تسير على الطريق الصحيح

مسك يدها قائلا بشحوب:_

"لم تقولين ذلك ،يا أمي هل ملك من طلبت"

شدت كفها منه قائلة بحزم:_

"لا هي لم تطلب شئ ،لكنها أخبرتني أنك أقسمت إذا علم أحد بينكم ستطلقها وأنا أجبرتها على الحديث ،فلتُطلقها وليوفق الله كل منكم بطريقه"

ابتلع رقيقه بصعوبة واحترامه لتلك المرأة بكلماتها الصائبة يكبله لذا أطرق برأسه قائلاً:_

"أنا لم أقسم بالطلاق يا أمي لقد كان قسم عادي ،كما أني لا أستغنى عنها ، لكنها أخطأت "

تنهدت برضا والتفتت إليه قائلة :_

"أخطأت أعلم لا أنكر لكنك أنت أيضاً أخطأت ،تهورت وضربتها ولم تسمع منها حتى لم تفهم ، حتى هذا أعذرك عليه لكنها أخبرتك بالحقيقة وندمت، إذا كان كل زوجين عند كل عثرة كبيرة بحياتهم يبنون السد بينهم مرة واحدة لن تستقيم الحياة

لا أدافع عنها لكن أقسم لك بالله إذا كانت ملك تفكر كما تظن لألقيتها تحت قدمك تقبلها الآن لكنها لم تفعل هي فقط أخطأت حين أفضت ما بداخلها للمصدر الخطأ وندمت في فورها "

أومأ برأسه لكن رغما عنه دمعت عيناه ،سيظل ذلك اليوم ندبة بقلبه وبالأخص ما حدث مع الضابط

وانفطر قلبها من أجله ،الشاب صغير وخلوق لكن المجتمع لا يرحم لذا احتوته بين ذراعيها بحنان قائلة:_

"يا حبيبي لا تفكر سوى في كونك أنت حسن ،الشاب المتعلم الخلوق المعتد بنفسه والمعتمد عليها ،الذي يسعى لكسب قوت يومه بالحلال ،الرجل الذي استأمنته على ابنتي والأب المنتظر أليس ذلك يدعو للفخر "

كلام المرأة يسري في روحه فيطمئنها لكنه قال بمرارة :_

"الأب!!! هل الأطفال الذين سيأتون سيسامحني حين يعيرونهم بي؟!، على قدر فرحتي أنهم اثنان على قدر خوفي"

"قطع لسان كل من يفعل ، أنت مدعاة للفخر وليس للمعايرة الرجل بذاته لا بأهله، اسعى واجتهد واصنع لك اسماً مفرداً تتحاكى به العائلات حتى ينشأ صغيريك في مجتمع مجبر على احترامهم "

ابتسم ناظرا إليها وقال:_

"منذ أن تزوجت ملك ولا أسجد سجدة إلا وأحمد الله على تعويضي بكِ"

قبلت رأسه ثم غمزته بمشاكسة سائلة:_

"والطلاق !؟"

أحمرت أذنيه خجلا وقال مُطرقاً:_

"أنا أحب ملك يا أمي لكني أخاف بظلمها معي"

"لتعلم أولا ً أني عنفتها منذ أن أخذتها والبائسة تبكي طوال اليوم أن حسن سيطلقني يا أمي ، ثانيا هي تحبك أيضاً وبعدك عنها هو ما يظلمها "

هز رأسه بتفهم فأشارت له قائلة :_

"أدخل لها ستجدها بائسة تبكي بالداخل حتى أحضر لكم العشاء فستبيتون الليلة هنا"

دخل عليها الغرفة فوجدها متكورة على الفراش تبكي كما قالت والدتها بالخارج

جلس جوارها وجذبها من ذراعيها هامساً بحنانه التي افتقدته :_

"لم تبكي يا ملك؟"

"ستطلقني صحيح ؟ أقسم أن أمي من أجبرتني على الحديث ، أقسم أني لم أفعلها إلا أملا في أن يحل ما بيننا"

ابتسم ماسحا دموعها بأنامله ولهفتها هذه ترضي غروره الذكوري وهمس :_

"يا مجنونة هل لو أريد أن أطلقك كنت سأنتظر ؟! أنا أحبك يا ملك وأنتِ تعلمين"

"هل سامحتني ؟!"

سألته برجاء فضما إليه مقبلا وجنتها وهو يلصق خاصته بها وكفه الآخر يربت على بطنها في حنان وهمس:_

"سامحتك منذ أن علمت الحقيقة يا ملك ، منذ أن اعترفتِ لي بحبك وآمن بكي قلبي ،لم أكن أبتعد نفورا بل خوفاً"

ابتسمت بحب وسألته:_

"هل تحبهم؟! "

"أحبك أكثر" همسها بحنان وهو يدرك جيدا حاجتها لسماع ذلك الآن فضحكت برضا وهي تقول:_

"الطبيب يقول أن وضعيتهم مقلوبة فلا يستطيع تحديد جنسهم إلى الآن"

مال بها على الفراش يعدل من وضعيتهم وسألها باهتمام:_

"أنتِ ماذا تريدين ؟"

لمعت عينيها وهي تنظر في عينيه وهمست:_

"مممم أريدهم ذكرين يكونوا عِزوة لك ويعوضانك عن كل شئ "

ابتسم مقبلا رأسها وقال:_

"أما أنا فأريدهم ولد وبنت ،هو لأجعله يشب رجلا يعتمد عليه وهي لأشبعها، دلالاً يليق بها "

قبل أن ترد عليه قطع حديثهم طرق الباب وصوت والدتها تدعوهم للعشاء...

★★★★

"ريم منشغلة لا أحد يحدثها "

قالتها بمشاكسة لحماتها والجدة اللتان يُعدان الطعام معها من أجل تجمع العائلة اليوم ، احتفالا بفك عبدالرحمن للجبس ومعاودته لسير حياته الطبيعية إضافة ً للعلاج الطبيعي وهو تخصصها على كل حال

ضحكت المرأتين واقتربت منها حماتها قائلة :_

"رائحته شهية يا ريم ،ما طريقته"

بدأت ريم في تقطيع القرع ،متجنبة قدر استطاعتها سخونته وقالت :_

"قمت بغسل القرع جيدا ومن ثم نظفته من البذور ،وفتحت كل واحدة دائرة من الأعلى ودهنتها بالزيت لأن عبدالرحمن لا يحب الزبدة ومن ثم حشيتها طبقات من الأرز بالخضار واللحمة المشوية وقمت بلفها بورق الفويل مرتين جيدا ووضعتها في صينية بها ماء ساخن

في الفرن على الرف الأول من الأسفل من ساعتين لساعتين ونصف على مائة وستين وكلما يجف الماء الساخن أقم بتزويده فقط"

"فقط" قالتها حماتها باستهجان وهي تخرج صواني البشاميل والرقاق من الفرن

ثم التفتت إليها قائلة بمشاكسة :_

"كلمها أشتهيها ،سأتناولها عندك أوفر"

"ومن قال أنها ستعدها لكي ،ليكن بعلمك هي لم تفعلها إلا من أجل عبدالرحمن لأنه يحبها كثيرا"

قالتها الجدة مبتسمة لريم التي احمرت وجنتيها وسألتهم بارتباك:_

"لما تأخروا هكذا"

"المشفى ليست بالقريبة حبيبتي ،هم على وصول"

لم تكد تنهي حديثها حتى رن الجرس وانتشرت أصواتهم بالخارج فور فتح الجد لهم

بالخارج

جلس عبدالرحمن جوار الجد الذي قبل جبهته قائلا بحنان:_

"حمدا لله على سلامتك يا ولدي "

ابتسم عبدالرحمن وهو يرد عليه فشاكسهم خالد قائلاً:_

"آه يا أخ عبدالرحمن منذ الحادث تستغل مرضك وأنت تأخذ المكان جوار جدي "

لعب عبدالرحمن حاجبيه له مبتسما وقال:_

"ولما تغار أنت ، معروفة أنا الحفيد الأكبر والمحبوب "

"لا أنت ولا هو "

قالها شهاب الذي دخل لتوه يحمل تميم بمشاكسة ومن ثم وضعه على ساق الجد قائلاً:_

"هذا البطل هو أغلاكم"

"صحيح"

قالها الجد ممطرا تميم بسيل من القبلات المتتابعة على وجنته حتى تذمر الصغير قائلاً وهو يمسح وجنته:_

"جدي لقد بللت وجنتي ،يكفي"

ضحكوا جميعا وجلس شهاب جوار عبد الرحمن هامسا بمشاكسة :_

"ها قد فُك جبسك يا وقح يا مسكين"

ابتسم عبدالرحمن بخبث وهو يميل عليه هامساً :_

"لم لا تكمل جميلك وتأخذ تميم معك يومين"

خبطه شهاب على رأسه بكف يده قائلا :_

"يا وقح لم أقصد هذا "

"هل تجر عمنا للرذيلة يا عبدالرحمن "

همسها خالد بمشاكسة وهو يحشر رأسه وسطهم من الخلف

ابتسم عبدالرحمن بتواطئ وقال:_

"ليته يُجر لها لا أعلم كيف سيكون عريس قريبا "

"الأمر يدعوا للضحك معك حق "

زم شفتيه بامتعاض وهو يخبط رأسهم ببعض فتأوه الاثنان وهو يتركهم قائلاً:_

"تحتاجان لإعادة تربية من جديد

★★★★

بعد انتهاء اليوم

تواطأت بجسدها على الفراش تفك تجبسه من إثر مشقة اليوم ،فركت عينيها بكفها وهي تسمع صوت إغلاق الباب وصعود زوجها وطفلها

اتكأت على مرفقها بدخول عبدالرحمن الغرفة وسألته :_

"أين تميم"

"تميم بالأسفل مع خالد"

قالها وهو يتكئ جوارها ،فتأففت بنزق قائلة:_

"ولما لم تصعد به ،لتوي أخذت حماماً ساخناً يا عبدالرحمن "

قالتها وهي تحاول النهوض كي تجلبه من الأسفل لكنه جذبها من ذراعها قائلا ً:_

"تميم سينام مع خالد يا ريم "

رمقته بدهشة سائلة :_

"نعم؟! ولم "

تنهد معتدلا في جلسته يحتوي كفيها بين كفيه وقال:_

"لقد اشتقتكِ يا ريم ، ألم تشتاقي لي؟"

احمرت وجنتيها وتوترت وهي ترمش بعينيها لا تعرف بما ترد ،مازال بداخلها حاجز من جهته يبعدها عنه ،رغم كل محاولاته الفترة الماضية لرآب الصدع بينهما ،هي تأبى التصديق لقد تعايشت منذ زواجهم مع أمر عدم حبه لها كان يكفيها احترامه وتعلقه بها ،المودة الدافئة بينهم عشقها هي له ،لكن انتكاسته بسبب أخرى لا تنمحي من أمام عينيها وهي ليست بالجبانة حتى لا تصارحه ،لا منذ أول يوم في زواجهم واتفقا على الصراحة في كل شئ على الأقل من جانبها هي لم تُخِل بها ،لذا عادت بعينيها إليه قائلة :_

"أنا لا أرفضك يا عبدالرحمن هو حقك على كل حال ،لكني كنت أريد فترة أستعيد فيها نفسي ،حتى أني فكرت أن أذهب لبيت والدي"

"ماذا"

قالها بجزع وأردف ساخِطاً :_

"منذ متى وأنتِ متباعدة يا ريم ،منذ شهور وأنا قعيد في الفراش وما بيننا لا يتعدى حياة روتينية باردة ،حتى محاولاتي للقرب منكِ تُلاقيها بالصد "

انتابها الغضب وهي تنتزع كفيها منه قائلة:_

"لا تلقي عليا اللوم وكأن ما بيننا كان عادي و أفسدته ،لقد كنا سنتطلق وما منعنا هو الحادث"

"لما لا تصدقي أني أحبكِ أنا لا أفهم"

طفرت الدموع من عينيها قائلة بألم:_

"هكذا أنا لا أصدق ،يكفي ألمك من أجلها، نومك جواري وأنت تفكر فيها ،مقابلتكم سويا وبالأخير صفعتك لي وتشدقك بالزواج منها"

"كنت مشوش يا ريم ، أقسم لم أكن لأدرك حبي لك إن لم يحدث ذلك ومع هذا أنا نادم "

قالها بيأس من مسامحتها له فنظرت إليه بجمود وهي تعطيه ظهرها تستعد للنوم وقالت :_

"حسنا "

اقترب منها بغيظ ،يلتصق بها وهو يدفن وجهه في عنقها وقال بيأس:_

"أنا أحبك ،منذ متى وأنا أهون عليكي هكذا ،أعشقك يا عديمة الإحساس أعشقك"

وكاذبة إن لم تتأثر وكل حواسها تهفو لضمه ،لطالما كانت عاطفتها لعبدالرحمن متوجة بالأمومة لذا جاء همسها ضعيفا ناعماً وهي تقول:_

"أنت لا تهون "

أدارها بين ذراعيه يحتكر عينيها بنظراته وهو يقول بصوت أجش:_

"طفلك أنا تاه بطرقاته حتى التقاكِ ، ألا تضميه؟!"

وكيف لا تفعل وكلامه يدك حصونها دكاً، بالنهاية هي أنثى وحبيبها يتوسل وصلها، عاطفة عينيها لا تقبل الجدل وحديث شفتيه تتراقص له دقات قلبها الخائنة فلم يكن أمامها سوى الاستسلام لعاطفته الهادرة التي لأول

مرة تشعر أن العشق يُكللها وهو يذيبها بين ذراعيه في بادرة حب تتجاذب فيها دقات القلوب حتى امتدت للصباح ...

★★★★

منذ متى لم تذهب للمركز!؟

منذ أسبوع تقريبا وبالتحديد ذاك اليوم الذي علمت منه أنه خطب تلك الفتاة التي أتتها من قبل وللمصادفة كانت نفس الحالة التي تناقشت معه فيها

عادت بذهنها لصدمتها فور أن أخبرها بصوته الرخيم :_

"لقد كانت مريضتك"

وقتها عقدت حاجبيها في دهشة سرعان ما تحولت لصدمة وهو يُذكرها بها

الصدمة ألجمتها وقتها ،ونبرته الحنونة في حديثه عن الفتاة تُثير مشاعرها رغماً عنها ،حتى أن نزعة شيطانية تلبستها لتخبره كل شئ لكن عاد ضميرها المهني يُكبلها أن تفعل فاستأذنت منه،متمتمة بمباركة سريعة وهربت

ماذا فيها لو أخبرته ؟!

هل ستكون مخالفة للقسم الذي أقسمته قبلا استئمانا لهذه المهنة الشريفة

أم ستكون أمانة يحكمها ضميرها أن تخبره بعيب ضروري قد يكون فاصلا بعلاقته في شريك حياته وله الحق في القبول أو الرفض

جلست على الكرسي الهزاز وأفكارها تتوارد تباعا

هي ليست تلك المرأة الغيور التي ستُزيح أخرى عن طريقها كي تصل للرجل الذي تحب

لا هي أعلى من ذلك ، لكن نفسها تأبى أيضاً أن يتزوج شهاب البرعي من فتاة كهذه ؟

ماذا لو ظلت في إثمها؟!، ماذا لو لم تتعالج

هبت واقفة تبدل ملابسها سريعا وهي تعزم أن تحذره ،هي لن تفضحها لا لن تفعل

لا تستحق مهنتها إن فعلتها، بل لا تستحق اسم والدها 'دكتور نصار الربيعي' أن فعلتها

بعد ساعتين كانت تجلس أمامه في مكتبه صامته فسألها بدهشة :_

"يا دكتورة ،لقد أخذتي إجازة أسبوع واليوم تأتين فجأة وتجلسين صامتة هكذا؟!"

رفعت رأسها إليه سائلة بتردد:_

"أحتاج استشارتك في شئ ، إذا علمت أن أحدهم سيتورط في شئ ربما يكون سيء وهو لا يستحق إلا خيراً هل تحذره وتنبهه أم تتركه"

حك أحد حاجبيه قائلاً:_

"لقد قلتِ ربما أي أنني لست متأكد من سوء الشيء ،لأتأكد أنا أولا ً ومن ثم أرى ماذا علي فعله "

هزت رأسها بتفهم ثم سألته بطريقة حاولت أن تكون عادية :_

"أين تعرفت على خطيبتك؟"

ضيق عينيه بتوجس وسألها:_

"لم تسألين"

"مجرد دردشة "

قالتها وهي تهز كتفيها بلامبالاة مصطنعة فرد عليها قائلاً:_

"ألم أخبرك بدايتنا كانت صدفة هنا بالمركز ومن ثم تكون مريضتك لكن أحكام القدر شاءت وجمعتنا لنبدأ بصدفة وننتهي بعمر إن شاء الله"

غيرة مريرة مرت بقلبها بتمنى لو كانت هي بدلاً منها ،لكنها نحتها جانبا وهي تسأله بحذر:_

"هل تعرف مما كانت تتعالج عندي؟!"

ابتسم باسطا كفية وهو يقول:_

"بالطبع أنا أعلم عنها كل شئ"

قالها قاصدا ظروف والديها ونشأتها لكنها امتقع وجهها وهي تسأله :_

"ألم يفرق الأمر معك بالنهاية أنت رجل شرقي "

قطب بين حاجبيه بدهشة ثم قال مبتسماً :_

"ولما يفرق معي، أنا لست تلك العقلية المتحجرة حتى أن الأمر عادي لا يحتاج لتفهمي المعتاد ،حتى وإن لم تلجأ إليك أبدا ً ،هو أمر ثانوي"

بروده الذي يتحدث به آثار حنقها خاصة مع تحفظه الدائم معها وإشارته قبلاً لنقطة حجابها فقالت باندفاع وهي تهب واقفة :_

"إذا كان عندك المانع أن تتزوج من فتاة متحررة وغير محجبة مثلي لكن بالطبع ليس هناك مانع من الزواج من أخرى مدمنة أفلام إباحية وعادة سرية "

انحسرت ابتسامته وهو يوازيها في وقفتها قائلاً بدهشة :_

"ماذا؟!"

الفصل الرابع والعشرين

استيقظ على صوت بكائها ليلا فانتفض من رقدته يسألها بقلق:_

"ملك ما بكي ؟!"

"ظهري يؤلمني يا حسن وأشعر بالحر الشديد"

"حسنا انهضي معي "

قالها ناهضاً وهو يستدير يقف جوارها من الناحية الأخرى فسألته بإرهاق:_

"إلى أين ،ظهري يؤلمني يا حسن لا أستطيع"

"سأساعدك هيا معي"

قالها وهو يحثها على النهوض بين ذراعيه فطاوعته وهي تتكأ بكليتها عليه

أخذها إلى المرحاض وساعدها في أخذ حمام بارد يهدئ من سخونة جسدها ثم ساعدها في ارتداء قميص قطني خفيف يخفف عن جسدها قليلا

عاد بها إلى الغرفة وأراحها على الفراش ثم سألها برفق:_

"هل تشعرين بالتحسن؟!"

أومأت برأسها بامتنان وهي تتنهد راضية من عودة حسن الحنون مرة أخرى

سألها باهتمام:_

"هل أنتِ جائعة؟!"

هزت رأسها نفياً فتمدد جوارها على الفراش مرة أخرى بعد أن أغلق الأنوار متهيأً للنوم

لم يكن أكمل دقائق في الغرق بين غياب النوم حتى استيقظ علي صوتها النزق تناديه

رمقها بنصف عين مهمهما بكلمات غير مفهومة مما جعلها تصرخ به

فتح عينيه بحدة ينظر لها قائلاً:_

"ملك قولي ما تريدين دون صراخ"

دمعت عينيها وأولته ظاهرة قائلة:_

"لا أريد شئ منك، نام"

"يا الله يا ولي الصابرين"

همسها بغيظ ثم اقترب منها يديرها بين ذراعيه قائلاً بهدوء :_

"ملك حبيبتي ماذا تريدين"

"أنا جائعة "

ضحك لطريقتها البائسة فسألها :_

"هل أعد لكِ شئ من الداخل ؟!"

قضمت شفتيها تهز رأسها نفيا وقالت :_

"حسن أنا أريد كريب نوتيلاً"

"نعم؟!"

زمت شفتيها ببؤس فضحك قائلاً :_

"هل أنتِ جادة ؟! تريدين كريب النوتيلا ، الآن في منتصف الليل؟!"

أومأت برأسها فقبل جبهتها بحنان تحكم به من ضعفها وتناول هاتفه يطلب لها ما تشتهي

بعد قليل كانت تتناول الكريب خاصته بنهم بعد أن أنهت خاصتها وأمامها هو على الناحية الأخرى من الفراش يدلك قدميها المتورمتين برضا .

لا شئ أحب إليه أكثر من اقتراب موعد ولادتها بقدر ما هو خائف بقدر ما هو متشوق وسعيد

شاكسها قائلاً:_

" أنبهك فقط أنكِ ستجدين نفسك زائدة من خمسة إلى عشرة كيلوجرامات على الأقل "

زمت شفتيها بنزق قائلة :_

"حسن ،لا تستفزني ، تعلم أن وزني لا يزيد على عكسك أنت فلا تحقد علي"

ضحك مقترباً منها يضمها إليه بحنان وهو يربت على بطنها قائلاً:_

"هل أطلب لكِ مرة أخرى؟!"

"وهل إن أردت ستفعل؟؟"

قبل وجنتها وهو يومأ برأسه فابتسمت تتأمل عينيه الجميلتان وهي تقول:_

"تعلم أنا أريدهم أن يرثوا منك جمال عينيك "

"وأنا أريدهم ألا يفعلوا"

قطبت بين حاجبيها تسأله:_

"لماذا"

"حتى لا تتأملين عين أحد غيري، أستيقظ ليلاً على تحرشك برموشي، وملامحي "

لوت شفتيها قائلة بغضب:_

"أنا لا أتحرش بك يا حسن "

أشرف عليها هامسا بمشاكسة :_

"هل تطولي؟! سأفعل أنا"

اتبعت يديه قوله بالفعل وهو يغرق بين أنفاسها ،هامسا بكلمات حبه واشتياقه حاجته وولعه بها "

وهي بدورها تحتويه ،تبثه روحها وعشقها ،تتغلب على ألمها من أجله فهو يهرب من همومه بين ذراعيها وهي راضيه فقط ليكن بخير

□□□□

"اتركي العمل!"

قطبت بين حاجبيها مضيقة عينيها بتوجس وسألته:_

"ماذا؟!، هل يُهئ لي ما سمعت؟، أم لعلك تمزح"

زفر عمر أنفاسه مُهدئاً ذاته ثم اعتدل في جلسته قائلاً:_

"لنكن واقعيين ،العمل هذا لا يناسبك ، سِرك المحاماة والقضايا ، اللعب بها والسعي وراء ثغراتها لا يليق بامرأة وبالأخص أنكي قريبا ستكونين زوجة وأم"

ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيها محاولة ألا تغضب وهي تقول بتهكم:_

"آه ربة منزل ،ووعاء لجلب الأطفال ،هذا ما تريده صحيح"

"أنا لم أقل هذا ، أقول أن المهنة لا تناسب امرأة ،لو كنتِ طبيبة مثلا لم أكن لأمانع"

قالها بهدوء في محاولة لإقناعها لكنها قالت بحدة:_

"لا تضحك علي وعلى نفسك يا عمر، الطبيبة تقضي مناوبات ليلة بالمشفى وتتعرض للكثير أيضاً من المخاطر ،لا فرق في نوعية العمل بل في من يعمل "

"حسنا يا غدي وأنا أرفض عملك ومن حقي ، أنا رجل لا يريد امرأة عاملة ،بل أحتاج لمن أعود للمنزل أجدها في استقبالي وإزالة عني عناء اليوم وليس العكس"

قالها بغضب من رأسها العنيد الذي لا يلين فتحلت غدي بالهدوء كما نصحها عمها وهي تحاوره:_

"حسنا يا عمر ، أنا أؤكد لك أن عملي لن يؤثر على بيتي "

"وأنا لا أريد المجازفة ، لا أحب عملك ولا أريدك عاملة " قالها بجفاف ،فسألته بدهشة :_

"لكنك تقدمت لي وتعلم عملي وطبيعته ،بل أنك تعرفت علي من خلال عملي هذا "

"آه حين كان هذا ال..... يغازلك لجمالك وملابسك المتحررة "

قالها بتهكم ،فانتفضت واقفة وهي تقول بتحذير:_

"لم يفعل ولم يجرؤ يا عمر ، أنا لم أكن لأسمح له فلا تتمادى"

وازاها في وقفتها قائلاً ببرود سخيف:_

"حسنا وأنا قلت ما عندي من اليوم لا عمل لكي"

"ومن سيسمح لك بذلك ؟!"

"أنا زوجك وعليكِ طاعتي"

قالها بعناد ،ظناً منه أنه سيجبرها إلا أن صمتها طال حتى انهته قائلة ببرود:_

"لم تعد زوجي بعد يا عمر ،ومن الآن أنا أريد الانفصال ،لن أعيش مع رجل يدفن طموحي .."

□□□□

غيرتها واحتراقها كانا يعميانها عن تصلبه، أمامها، دهشته وتوتره، انحسار ابتسامته وعينيه الزائغة وكأنه يجمع الخيوط :_

ترغي وتزبد أن:_

"لم أظنك بهذه العقلية أبداً يا شهاب، أن ترفضني أنا فقط من أجل أني ظاهريا لا أناسب معاييرك أمام الناس لكن لا يهمك أن أكون سيئة من الداخل أو غيره..!"

لحظة ،لحظة ، ماذا تهذي هذه ؟!

ومضات سريعة تمر بعقله، صدفته برنا في المركز العينان البريئتان المكبلتان بالذنب، حديث مادلين أنها اختارتها، مادلين له عن فتاة تشاهد الأفلام الإباحية وتمارس العادة السرية عدم رؤيتها مرة أخرى بالمركز، الفتاة التي طلبت منه رقم طبيبة فعالجها إلكترونيا، تصلبها فور سماعها اسم مادلين صدمتها واختفائها حيال طلبه لخطبتها هو شك من قبل لكن انجذاب قلبه لها أبى أن يفكر في الأمر حتى ....!!!

ابتلع ريقه بصعوبة وملامح وجهه تشتد أكثر محاولاً أن يسيطر على صدمته ويتعامل مع تلك الثائرة أمامه لكن رغما عنه خرجت نبرته مرتجفة وهو يقول :_

"دكتورة مادلين أنا لا أسمح لكي ،فالزمي حدودك ولا تتخطيها من تتحدثين عنها الآن هي امرأتي كرامتها من كرامتي ،كما أنها تعالجت وتماما من الأمر "

لم يسمح لها حتى أن ترد وهو يتناول سترته ومفاتيحه متجها إلى الخارج لكنه قبل أن يخرج حذرها قائلا بقسوة غريبة عليه:_

"قد أُمَرر حديثك عن مريضة من مرضاك بأسرارها لكوني أعلم عن الأمر سأعتبره خطأ غير مقصود، لكن إياكِ أن تتعرضي لها ،ستكون نهاية حياتك المهنية حينها وأنا لن أتهاون أبداً في هذا الأمر ليس لشيء أكبر من كونها دخلت هذا المركز مريضة ولها خصوصية أسرارها "

أنهى حديثه وخرج صافقاً الباب خلفه ،لاغياً كل مواعيد اليوم والغد

لف وجال بسيارته في الشوارع وبالأخير عاد إلى منزله ،يشعر أن تفكيره مجمد

لأول مرة يُخْفِق عن قراءة مريض ، كيف لم يربط الأمور ،بل كيف لم يلاحظ عليها

أخرج هاتفه وفتحه على تلك المحادثات المتراكمة بينهم منذ شهور والتي قلت مؤخراً بالتدريج نظرا لتقدم حالتها

ندمها وجلدها لذاتها في كل محادثة ، حرصها على التوبة كما تقول، خوفها من الله ومن نفسها ،نعتها نفسها بالمدنسة، وقوفه جوارها ومؤازرته إياها ،منعها من نعت نفسها بذلك ،تقدم حالتها ثم انتكاساتها مرات ومرة أخرى وأخيرا تقدمها ونجاحها .

وصوله لآخر المحادثات بينهم ومن ثم تذكر ذلك الفيديو الذي بعثه لها من رقم آخر

تراها فتحته أم صدقت في توبتها !!!

يا الله عقله سيشت، اثنان يتنازعان بداخله ، جانبه الشرقي الذي يدفعه للابتعاد ورؤيته الطبية التي تؤكد له أنها وإن كانت بدأت عامدة لكنها لم تكن تفهم ، الأمر تحول لإدمان دون إرادتها .

زفر بسخط وهو يتجه إلى المرحاض يصلي ركعتين استخارة بعد قضاء الفرض والسنة ومن ثم تمدد على فراشه مغلقاً هاتفه وهو يضع ذراعه على عينيه حتى ذهب في النوم

كعادته استيقظ في منتصف الليل ليقضي القيام ثم يباشر أبحاثه ومذاكرته

أزاح الأوراق بيده متنهداً بإرهاق، الأفكار تتزاحم في رأسه وأمام عينيه

نظرتها البريئة ، خجلها الكاسح منه دوماً ،ولهها به والذي ينتفض قلبه الآن لتذكره ،بكائها الدائم حساسيتها المفرطة رغم هدوءها

تلك الصغيرة لم تأخذ قلبه فحسب بل أخذت روحه معها ،تحول مشاعره وتفكيره الآن عن منذ ساعات يحيره

فمنذ ساعات كان يفكر في ذاته ،و ارتضاها بها وقبول عِلتِها لكن الآن بعد أن هدأت نفسه من تلقي الصدمة فهو يخاف عليها هي

هل سيكون قدر المسؤولية؟!

ليس طبيب الأمس ليُنكر أن الأمر قد يعاودها حتى بعد زواجهم

ماذا سيفعل حينها ؟! هل سيستطع احتواءها والوقوف جوارها ؟! أم سيكون سببا في نكستها !!!

تناول هاتفه يفتحه وهو يتنهد بإرهاق من كم الاتصالات والرسائل المبعوثة له من جميع الجهات

ابتسامة شاردة حنونة تُظلل شفتيه رغماً عنه وهو يقرأ رسالتها الصغيرة فهي تخجل أن تهاتفه هي بل تنتظر اتصاله

"شهاب ،هل أنت بخير؟، لماذا لم تهاتفني !!"

يعقد حاجبيه لتلك الرسالة التي تمت إرسالها الآن من الرقم الآخر

"السلام عليكم، دكتور شهاب ، هل أنت متفرغ أريد أن أتحدث معك ؟!"

ترددت نفسه خوفاً من الرد لكنه تلبس رداء مهنته وهو يرد عليها كتابياً من أن يفضحه صوته وتأثره بأنه يعرفها :_

"وعليكم السلام

نعم أنا متفرغ ،تفضلي؟!"

"لقد قضيت الفترة الأخيرة ما بين تذبذب وثبات حتى كان عندي من القوة ألا أعود لذنوبي سوى مرة في الأسبوع من ثم الأمر بدأ يقل تدريجيا حتى آخر محادثة بيننا ،وبعدها أُرسل لي فيديو بعنوان كان يثيرني من قبل لكنه وقتها أثار اشمئزازي ونفوري لكني لم أفتحه بل حذفته سريعا دون النظر فيه والتزمت على تعليماتك في الطعام والصلاة "

كان يقرأ رسالتها وهو يلهج بالحمد سراً فعلى كل حال حتى قبل معرفته بها كان يخشى من إخفاقه في تلك الحالة التي أخذ على عاتقه معالجتها إلكترونيا لذا أرسل إليها مشجعاً

"أنا فخور بكِ حقاً يا فتاة، ألم أقل لكِ أني متفائلٌ بكِ وأنكِ على قدر المسؤولية"

"حسناً لكني أريد استشارتك في أمر ، لقد ارتبطت بأحدهم وأريد أن أعترف له بذلاتي فعلى كل حال أنا استكثره على نفسي"

يا الله ،ترى محادثاتها الآن هي رسالة له من الله ؟! تراها رداً على استخارته ؟!

هل الصغيرة ،تستكثره على نفسها ،تريد أن تعري نفسها بخزي أمامه ؟!

هل يرضى لها ذلك !!!!

استجمع نفسه وهو يكتب لها:_

"دعي الماضي لأيامه ،وامضي لحاضرك، هو ليس له شأن بماضيك أبداً كما أنكِ أُمِرتي من الناحية الدينية بالستر، أنتِ لم تخدعيه أو تغشيه ،لا تخبريه بشيء "

"حسنا لكني أشعر أني لم أتعافى تماماً، مازالت الأفكار تراودني وشيطاني يلاحقني ،بعض الألم والذي أتغلب عليه بالأطعمة التي نصحتني بها ، صحيح أني أتغلب على كل ذلك لكني أرى أني أظلمه "

تنهد بهم وهي تصارحه بما كان يفكر فيه منذ دقائق فبعث لها:_

"صارحيني ،هل تحبين هذا الذنب ،هل رغبتك الداخلية في الخروج من تلك الشرنقة أكبر من اشتياق نفسك البشرية لهذه الأفعال؟!"

"أقسم بالله أبداً ، أريد أن أتخلص من كل ذلك الأمس قبل اليوم ، أريد أن أنام فأستيقظ وأنا ناسية كل ما كنت أفعل أريد أن أشعر أني نظيفة أستحق من حولي"

رسالتها الأخيرة تنكأ قلبه وكأنها تقصها عليه الآن بدموعها النادمة فلم يتردد وهو يبعث لها:_

"استمري في مجاهدتك ،أنتِ نظيفة بالفعل ،من منا يعني لا يخطئ ،سر نظافتك في سعيك وراء علاجك ،ثقي بي لقد اقتربنا من الخطوة الأخيرة "

"حسنا"

"فقط أريدك أن تقتربي من الله ،مسألتك العامل الديني بها أكبر وأقوى ،خذي من القرآن سيفاً تهاجمي به ذاتك، وأؤكد عليكي لا تخبري أي أحد حتى من سترتبطين به بشيء "

أغلق معها على أذان الفجر فتوضأ وصلاه ثم ارتدى ملابسه وخرج من شقته إلى وجهة معينة يحتاجها منذ الأمس

بعد ساعتين كان يجلس أمام قبر صديقه الراحل يقرأ له الفاتحة ومن ثم اتكأ على الحجر واضعا أحد ذراعيه على ركبتيه المثنية وهو يقول بهم:_

"ماذا أفعل يا يحيى ، لأول مرة أشعر بفائدة حديثي لك في موتك فإن كنت على قيد الحياة لم أكن أقدر أن أفضي لك أبداً هذا السر لأنه لا يخصني لكنك تشعر بي صحيح؟!

أخاف منها، أخاف عليها ، أخاف من نفسي

لقد تحدثت معي يا يحيى ،تريد أن تصارحني ، أن تذل عزتها أمامي وهي تعترف لي ،لم لكن لأرضاها "

"تعلم أشعر أن الله جعلني أعلم في الوقت المناسب ،ماذا لو كانت جاءت وأخبرتني ،مجرد تخيل صورتها مؤلم "

تنهد قائلاً:_

"ماذا لو كنت أنت مكاني؟! يزعمون أن قلبي حنون فماذا إن كانوا عاشروا قلبك ، رحمك الله يا صديق لقد أخذت قطعة من روحي برحيلك !!"

اتكأ برأسه على ذراعه وهو يقول:_

"لا تخاف يا يحيى ، لن أخذلك ، أنا لن أتركها ، بالأساس لا أستطيع ،حتى أني نصحتها كطبيب ألا تخبرني، وأنا أبداً لن أجعلها تعلم أني أعلم الأمر سأكون غبي إن فعلت الأمر حساس ليس بالهين وقد يكون سببا رئيسيا في الحكم على ارتباطنا بالإعدام وأنا أحبها ، أشعر أنها ابنتي قبل أن تكون حبيبتي ،فقط أخاف أن أخذلها يوما ، ألا أكون قدر المسؤولية ، أن أكون سببا في نكستها فهي رقيقة هشة لن تستطيع المواصلة !!"

أنهى حديثه ثم قرأ الفاتحة مرة أخرى وخرج مستقلاً سيارته مبتسماً بارتياح وقد انتوى وجهه معينة لكن قبلها يجب أن يفعل شئ

□□□□

فتح حمزة باب الشقة فوجد أحد عملاء التوصيل يسلمه باقة من الزهور ومعها علبة مغلفة

استلم منه ثم شكره وأغلق الباب خلفه قاطبا بين حاجبيه وهو يقرأ الكارت المكتوب عليه "شهاب البرعي "

مط شفتيه بامتعاض متجهاً إلى غرفتها وهو يطرق الباب بطريقة موسيقية قائلاً بدرامية متخذاً طريقة الأمهات :_

"افتحي يا بائسة ،افتحي يا نحنوحة ، طبيب المُحن المخضرم أرسل لكي ورد وأنتِ تبكين على الأطلال في الداخل ، افتحي يا آخر صبري "

فتحت الباب بلهفة تنظر إلى ما في يده مبتسمة وهي تمد يدها لتأخذهم فراوغها باعداً يديه وهو يشاكسها :_

"الآن ضحكتِ؟!، أشرقت الشمس بورود شهاب البرعي ، تعالي يا نعمات افرحي بابنتك"

قضمت شفتيها بخجل على صوت نعمات الآتية من المطبخ تسأله:_

"ماذا حدث يا حمزة ألن تعقل أبداً"

حرك فمه بولولة مصطنعة يميناً ويساراً وهو يقول:_

"عريس الهنا أرسل ورد وهدية للبائسة التي تلزم غرفتها من الأمس والآن أصبحت ضحكتها من الأذن للأذن وكأننا لم نكن نعجبها"

ضحكت وهي تأخذ منه ما بيده تناوله لرنا تقبلها بحب ثم ضربته بقبضتها في صدره قائلة:_

"ألن تعقل أبداً ،زفافك تبقي عليه أيام "

أكمل ولولته المصطنعة وهو يقول:_

"نعم سأتزوج وأريحكم مني نهائياً ، هاهي تشعر بي وتهاتفني ليس لي غيرك يا دبدوبتي"

أنهى حديثه مخرجا هاتفه الذي يرن برقمها فابتعد عنهم إلى الشرفة كي يرد عليها

□□□□

أغلقت باب غرفتها ضاحكة على حمزة ثم جلست على فراشها بابتهاج وهي تنظر لباقة الزهور الفخمة بورقها الأسود الأنيق المقوي والزهور البيضاء الرائعة ، تتشممها بحب ثم ركنتها على الفراش وهي تفض العلبة الملفوفة

تسارعت دقات قلبها وهي تتبين نوع علبة الشوكولاتة الفخم

«ليندت التركية »

وليس السويسرية كما تحب تماماً

قبل أن تتناول إحداهن لفت نظرها ذاك الجواب الملصق في الغطاء

انتزعته تقلبه بين يديها وهو تميز لونه الأصفر الباهت وكأنه بُعِث من الزمن القديم ،تلك الألوان التي تظلل أحرفه والقلوب البيضاء التي مطبوعة عليه وكأنها محفورة به

رفعته لأنفها وقلبها يتضخم من فرط سعادتها تشم رائحة عطره المميزة

فتحته سريعا تقرأ ما به وضحكتها تملأ وجهها ،قلبها يقرأها قبل عينيها ، أذنها تسمعه يهمس لها بها حباً :_

"قلبي كالصائم الذي لهث من ظمأه وجِئتِه أنتِ كماء زمزم ليس لتروي عطشا بل لتروي عمرا"

انتابتها نوبة بكاء لا تعلم فرحاً أم ماذا لكن ماهي متأكدة منه أنها إن حمدت الله كل ثانية لن يكفي

رن هاتفها برقمه فردت عليه بصوتها المتحشرج مما جعله يسألها بقلق :_

"ماذا حدث ،لما تبكين يا رنا"

"لا أبكي، أنا سعيدة بما أرسلت "

ابتسم برضا وهو يشاكسها بصوته الآسر قائلاً:_

"ستجعليني أصدق إذاً!"

"تصدق ماذا"

سألته بدهشة فضحك قائلاً:_

"المقولة الشهيرة ،النساء تفرح تبكي ، تحزن تبكي"

ابتسمت فتنحنح قائلاً:_

"رنا أريد أن أحدد مع جدك موعد الزفاف ،هل أنتِ جاهزة ؟!"

توردت وجنتيها ولم ترد فقال بحنان:_

"صغيرتي ، إذا كنتِ غير جاهزة لنؤجل الأمر "

صمتت دقائق ثم قالت:_

"لا ليس كذلك ، فقط خائفة "

"حسنا يا صغيرة خوفك أنا جدير به فلا تقلقي "

□□□□

انقلب على ظهره وهو يفكر في رؤى الجديدة التي يراها منذ عودتهم ، رؤى أخرى ناضجة ،نضوج يعجبه لكنه يستفزه

أين تلك الهائمة به

لا تهاتفه في عمله إلا للضرورة ، تقضي واجباتها كزوجة على أكمل وجه لا ينكر لكنها لم تعتد تهتم به كما السابق

فور أن تلفها عاطفته تذوب به وكأنها عادت تلك القديمة لكن فور انتهاء موجتهم العاصفة تعود كما هي

رفع ذراعه عن عينيه وفريدة تقفز على بطنه تقبله من وجنته فابتسم وهو يضمها إليه بحنان

أين كان غافل عن تلك الصغيرة ؟! واحتياجها لهم معاً ،منذ عودتهم وهي لا تنام إلا بوجودهم معها في غرفتها ،وفور أن يأتي من العمل تظل قابعة بين أحضانه وكأنه سيهرب

سمعها تتأفف بنزق قائلة:_

"بابا لما لا ترد علي؟!"

نثر قبلاته على وجهها وهو يقول :_

" أسمعك يا شقية ماذا تريدين!؟"

نظرت إلى باب الغرفة بخبث طفولي مما جلب الابتسامة لشفتيه ثم عادت إليه مرة أخرى هامسة :_

"ماما غاضبة مني ، اجعلها تصالحني"

ضحك وهو يهمس لها سرا كما تفعل :_

"ماذا فعلتِ هذه المرة يا شقية؟!"

قلبت شفتيها باستياء تحرك يديها في شعرها بدلال ذكره بوالدتها قائلة بلامبالاة :_

"لا شئ فقط قلت لها بالأمس أنك جعلتني أُسلِم على الفتاة الجميلة رنا وتحدثت معها ،مقابل ألا أشرب اللبن، لكنها

غضبت علي ألا أعيد حديث قيل أمامي مرة أخرى
وأجبرتني على شرب اللبن "

" حيوانة !! "

سبها سرا متسع العينين من خبثها الطفولي وتلك
اللامبالاة المستفزة التي تتحدث بها وكأنها لم تُسلمه
لوالدتها تسليم أهالي كما يقولون

مسكها من ياقتها بتهديد مصطنع وهو يقول:_

"هل تفتنين علي من أجل ألا تشربي اللبن يا خائنة "

ضحكت بسعادة وهي تهز رأسها مما دفعة لتقبيلها
وضحكتها تنتقل له هو الآخر

ابتسم بمكر على دخول رؤى فقد علم سبب استيائها الزائد منذ الأمس بسبب تلك الواشية الصغيرة

تابعها بعينيه تضع الملابس المرتبة بالخزانة ثم التفتت لفريدة قائلة بحزم :_

"فريدة ، كوب اللبن في الخارج أمام التلفاز ، أريد أن أخرج بعد دقائق أجده فارغاً"

تجمعت الدموع في عينيها وهي تلتفت لوائل هامسة:_

"لم تلعب معي منذ الأمس"

رد لها همسها مما جعلها تقفز مسرعة إلى الخارج ثم اعتدل على الفراش وهي تتمدد جواره فسألها:_

"لما أنتِ غاضبة منها؟!"

"لقد فعلت خطأ وأعاقبها عليه "

قالتها ببرود وهي تتناول المبرد من على الجارور تبرد أظافرها فسألها بخبث داخلي مقترباً منها :_

"ما هو الخطأ الذي ارتكبته؟!"

زفرت بسخط وحديث ابنتها يشعل فتيل غيرتها الذي تحاول تلجيمه منذ عودتهم لذا قالت باقتضاب:_

"لا شئ ،فقط نقلت حديث لم يصح أن تفعله "

هز رأسه بلا مبالاة وهو يخرج من الغرفة يطمئن لانشغال فريدة أمام فيلم الكارتون الذي سيبدأ فغدا إجازة على كل حال ،ثم عاد إليها مرة أخرى وأغلق الباب وجدها تتفحص هاتفها فتمدد جوارها وسحب الهاتف منها فرمقته بضيق مما جلب الابتسامة لشفتيه وقال :_

"إذاً يا غاضبة لما لم تسأليني من هي رنا ؟!"

تنهدت ببطء من طريقته الماكرة ثم قالت بهدوء :_

"لا لشيء لقد فهمت منها أنها إحداهن تعرفها وتقابلتم صدفة عند خالتي "

أدار وجهها ناحيته وسألها :_

"لما لم تسأليني من هي عوضا عن غضبك"

لوت شفتيها بتهكم قائلة:_

"غريبة ، أذكر أنكِ كنت تكره كثرة تعليقي وغيرتي المجنونة "

ضمها إليه هامساً:_

"الأمر مختلف يا رؤى، كنت أريدك أن تتأكدي من حبي لكي وأن حفصة أختٍ لي ليس أكثر ، ولأكن صريح أنا لا اشتاق لغيرتك فقط بل اشتاق لكل شئ بكي"

مطت شفتيها بابتسامة شاردة وهي تتذكر والدتها في نصيحتها أن تتزن ولا تُدلي له دلو حبها فالرجل إن أهملته بذكاء ركض ورائك وإن التصقت به زهدك هو كائن هكذا لا يجدي معه سوى الموازنة والذكاء في التعامل

انتبهت على اقتراب أنفاسه منها هامساً بدفء:_

"أنا لا أحبك فقط ، أنا أعشقك ، أتنفسك "

اتبع حديثه بقبلاته المتتابعة على وجهها وأردف بصدق يريد أن يزرعه فيها حتى تنسى جرح الأمس:_

"من قال أني لم أكن أريدك كل يوم وكل ليلة معي ، لن نتحدث في جروح الماضي أو في أسبابي لكن كل مرة

كنت أقسو عليكي فيها كان حفاظا عليكي فلو تركت نفسي لهواها لم أكن لأخرجك من بين ذراعي أبداً "

دمعت عينيها رغما عنها وهي تقول:_

"أنت لم تكن تقسو فقط ، أنت أشعرتني أني رخيصة لا أساوي عندك شئ و"

قاطع حديثها لدقائق مرتشفا أنفاسها ثم انفصل عنها قائلاً ببحة وتحشرج:_

"لستِ رخيصة لا تقولي ذلك ، لا أنكر أننا أخطأنا نحن الاثنان لكن دعينا نبدأ من جديد "

داعب أرنبة أنفها بخاصته وسألها :_

"أتثقين بي ؟! لا تخافي أبدا ، فلن أعيد أخطاء الماضي أبداً ، فقط غضبي أحاول أن ألجمه تحمليه من أجلي أعلم أنكِ ستفعلين وسأعمل جاهداً ألا يعميني عن جرحك"

تنهدت بأمل يداعب قلبها وهي تبتسم فدلل ابتسامتها وهو يقول:_

"إذا لن تسأليني من هي رنا ؟!

حركت كتفيها بلامبالاة مصطنعة فضحك قائلاً :_

"هي ابنة ياسر الجوهري التي كنت قصصت عليكي حكايتهم من قبل وتعمل مع شهاب صديق يحيى رحمة الله فنشأت صداقة بينها وبين حفصة وكانت آتية في زيارتها "

هزت رأسها بتفهم أرضاه ورغما عنها كانت تبتسم داخلها في راحة ثم التفتت إليه على همسه :_

" إذاً ألن تعودي تقوليها ؟! مثل الماضي"

رفعت وجهها تقبله من وجنته راضية مشبكة أصابعه خلف عنقه وقالت :_

"أحبك يا وائل أحبك"

لم يمهلها الشرح أكثر وهو يحتويها بحنانه ، يغمرها بعاطفته الشديدة التي اشتاقتها كما اشتاقته ،يروي لها بين ذراعيه كم يحبها وكم اشتاقها...

□□□□

يقف بالردهة الخارجية لصالة التجميل ينتظر دخوله لها

خرجت له إحدى الفتيات قائلة بمشاكسة :_

"إذا كنت جاهز يا عريس فالدبدوبة بانتظارك"

ضحك بدهشة فيبدو أن رنا فضحتهم بلفظه التحببي لزوجته

ابتلع ريقه وزفر أنفاسه متجهاً إلى الداخل

صفوف الفتيات على الجانبين يرتدون نفس الفستان بنفس اللون أنظارهم معلقه بردة فعله

ونظره هو على تلك الواقفة ظهرها له ، ارتفع صوت أحد الأغاني الرومانسية المشهورة

لف ووقف أمامها ومجرد أن وقعت عينيه على بهائها أطلق زغرودة تعالت لها ضحكات الفتيات وأتبعها قائلاً وهو يتناول ذراعها يدور بها :_

"اللهم صلي على النبي ، ما هذه الحلاوة؟!"

أطرقت برأسها خجلاً وهي تبتسم بسعادة ،فغمزت رنا للفتيات أن يتركوهم قليلاً

سمح لعينيه أن تتأمل كل إنش بها ، بِدأً من حجابها الملفوف بطراز جميل أبرز حلاوة وجهها المكتنز ، بضع خصلات من شعرها انسدلت منه على جبينها، مساحيق التجميل البسيطة التي تكللها ، طلاء شفتيها الذي أظهر بهائهم وصغرهم ،تكور وجنتيها الحمراوتين،

فستانها الذي لا يعلم من منهم لف الآخر ؟! هل قِدها الملفوف هو من أسدله عليها بكل هذه الفتنة ، أم هو من لف جسدها بفتنة تدفع الدم دفعاً لأوردته

اقترب منها فأجفلت متقهقرة خطوة للخلف مما جلب الابتسامة لشفتيه وهو يقبل وجنتيها ثم مال على أذنها هامسا بشقاوة بأفيه لأحد الأفلام المشهورة

"هتموتى يا سوسو "

"حمزة" تذمرت بخجل وعينيها تلمعان من وسامته الطاغية ، بذلته السوداء الأنيقة ، شعره المصفف، تخليه عن رابطة عنقه مستبدلها ببيون أسود ...

قطع تأملها له ،دخول رنا تدعوهم للخروج للحاق بعمل فوتوسيشن التصوير قبل غروب الشمس

فتعلقت ذراعها به تخطوا معه إلى الخارج

"قاعة الزفاف"

على صوت المسؤول عن الأغاني في القاعة قائلاً:_

" العروسين يتفضلوا على المنصة لافتتاح الزفاف
برقصة خاصة بهم على أغنية من اختيار العريس وعلى
الجميع التصفيق"

تعالى التصفيق من الجميع وعلى صوت الصفير فور
بدء الأغنية

قُول حبيبى إنك معايا وجنّب منِّى

دي الحقيقة ولا حلم وطال شوية
والكلام الحلو ده بتقُوله عنى
يعنى فعلا دُنيتى رضيت عليا
قُول حبيبى إنك معايا وجنّب منِّى

دي الحقيقة ولا حلم وطال شوية

والكلام الحلو ده بتقُوله عني

يعنى فعلا دُنيتى رضيت عليا
وَعّد منى تعيش معايا سنين مَعِشتش زَيُهم
أحلامك ال حلمتهم

انسَى الحياة والدنيا دي وتعالا نِهرب منهم

مبقتش عايز ناس خلاص جالى اللى بيهم كلهم
وَعّد منى تعيش معايا سنين مَعِشتش زَيُهم
حلامك اللى حلمتهم

انسَى الحياة والدنيا دي وتعالا نِهرب منهم

مبقتش عايز ناس خلاص جالى اللى بيهم كلهم

يالِى سايب ليا رُوحك ومأمنى

اللى فَاتك من الحياة هتعيشُه بيّا

وفى عيونك ألف حاجة مفرحني

والحياة بتزيد جمال لو بَصُوا ليّا

يالِى سايب ليا رُوحك ومأمنى

اللى فَاتك من الحياة هتعيشُه بيّا

وفى عيونك ألف حاجة مفرحنى

والحياة بتزيد جمال لو بَصُوا ليّا

وَعّد منى تعيش معايا سنين مَعِشتش زَيُهم

حلامك اللى حلمتهم

انسَى الحياة والدنيا دي وتعالا نِهرب منهم
مبقتش عايز ناس خلاص جالى اللى بيهم كلهم
وَعّد منى تعيش معايا سنين مَعِشتش زَيُهم
أحلامك اللى حلمتهم
انسَى الحياة والدنيا دي وتعالا نِهرب منهم
مبقتش عايز ناس خلاص جالى اللى بيهم كلهم
خلاص .. خلاص

وَعّد منى تعيش معايا سنين مَعِشتش زَيُهم

أحلامك اللى حلمتهم

انسَى الحياة والدنيا دي وتعالا نِهرب منهم

مبقتش عايز ناس خلاص جالى اللى بيهم كلهم

وبين ذراعيه كانت تتسربل من حيائها وهو يراقصها ،
عينيه هائمتان بها مستمتعا بخجلها فهمس لها
بمشاكسة:_

"نهى ماذا لو قَبِلتك الآن "

اتسعت عينيها في ارتياع قائلة :_

"حمزة أقسم لو فعلتها سأبكي"

"جبانة!"

همسها مبتسما فأطرقت برأسها وهي تتمايل معه

رفع ذقنها يحتضن عينيها بعينيه وهو يسألها:_

"هل تشعرين بسعادتي ، هل أجد صداها بداخلك؟!"

أشرقت ابتسامتها وقلبها يتضخم فرحا وأومأت برأسها بشدة مما جعله يضم رأسها لصدره فهمست بحب:_

"أنا أحبك يا حمزة"

بالجانب الآخر يقف مستندا إلى السياج المطل على البحر يتناول مشروبه وهو يتأمل فرحتها الطاغية بخالها وصديقتها، المشكلة أنها أنثى بكل معنى الكلمة لكن فور أن تنظر لها لا تفرق ابتسامتها عن طفلة ليس شكلها بل روحها .

فستان كريمي ينسدل عليها بانسيابية فاتنة وحجاب بدرجة أغمق مثبت على رأسها بإحكام يبرز جمال وجهها بفتنته البسيطة .

ابتسم برضا لعدم وضعها مساحيق تجميل كما نبه عليها، لمعت عينيه وتعالى هدير قلبه وغيرة أدهشته تسيطر عليه رغما عنه وهو يرى حمزة يشدها من ذراعيها و يراقصها بعد أن أخذ والد العروس ابنته

تضحك بسعادة والمشاكس خالها يهمس لها بكلمات يبدو من نظرات عينيه أنها تخص عروسه

انتهت الرقصة وزفر أنفاسه يتجرع مشروبه البارد وهو يبصرها تقترب منه بابتسامة سعيدة لكنه قطب حاجبيه بضيق وهو يرى جزء من رقبتها ظهر من تحرك الحجاب أثناء سيرها

قابلها في منتصف الطريق فسألته بتوجس من تجهم وجهه :_

"شهاب ماذا بك؟!"

ملامحه القاتمة لم تبشر بالخير وعينيه على نقطة ما قائلا بتعنيف رقيق:_

"رقبتك ظاهرة من الحجاب لما لم تشبكيه بمشبك؟!"

أسبلت أهدابها تنظر لما يقول ثم عدلته جيدا وقالت:_

"طريقته هكذا دون استخدام مشابك سأنتبه لعدم تزحزحه مرة أخرى

أومأ برأسه محذراً دون أن يستطيع السيطرة على غيرته الساطعة بعينيه :_

"حسناً انتبهي لا تتكرر مرة أخرى يا رنا"

أومأت برأسها مسبلة أهدابها وقد أساءها عدم تعليقه على مظهرها إلى الآن وكأنه قرأ ما يجول بذهنها فابتسم ابتسامة جانبية هامساً بنبرة غزلية مزلزلة:_

"تسرقين القلب "

توردت وجنتيها مبتسمة برقة وهمست بتلقائية :_

"أنت أيضاً"

"أنا أيضاً ماذا " قالها بتسلية رجولية أخجلتها خاصةً مع عينيه اللامعتين بنظرة تخصها

"هل لي أن أسرق تلك الجميلة منك لأراقصها"

التقت الاثنان على صوت عمار الذي اقترب منها يحيطها بذراعيه وهو يغمز شهاب قائلاً:_

"أدرك أنك تريد أن تكون الرقصة لك ، لكن حظ سعيد المرة القادمة يا دكتور "....

الفصل الخامس والعشرون

بعد انتهاء الزفاف وفور أن أغلق الباب خلفهم بقدمه أنزلها من بين ذراعيه برفق فابتعدت خائفة وهي تفرك كفيها بتوتر

ابتسم بعبث واقترب منها هامساً بحب:_

"أخيراً نحن معاً "

رمشت نهى بعينيها عدة مرات وابتسمت بخجل

مال إليها ولفحتها أنفاسه فابتعدت مذعورة ،قطب حمزة بين حاجبيه في دهشة واقترب منها سائلاً :_

"حبيبتي ما بكِ ؟"

لمعت عينيها بالدموع وهي تنظر في عينيه اللامعتين وقالت بخجل مضحك :_

"أنا خائفة "

"مني ؟"

قالها بعبث وهو يقترب منها فأومأت برأسها

ضحك عاليا وهو ينظر لخوفها الحقيقي ثم تنهد قائلا بنبرة دافئة :_

"حسنا كنت أود أن أحملك إلى غرفتنا بنفسي لكن يبدو أني لو فعلتها لن يحدث خير لذا دعيني أصطحبك الى الغرفة كي تبدلي فستانك "

هزت رأسها نفيا قائلة برقة :_

"لا سأذهب وحدي"

واتبعت حديثها بالاتجاه نحو الغرفة دون أن تلتفت إليه

نادى حمزة عليها بخفوت فالتفتت ناظرة إليه في استفهام

ابتسم حمزة بعبث قائلا بشقاوة :_

"ألا تريدين مساعدة في خلع الفستان "

امتقع وجهها خجلا وهزت رأسها نفيا بقوة ثم دخلت إلى الغرفة سريعاً

بعد نصف ساعة

تجلس على الفراش تبكي بخوف وبالطبع لم تستطع تبديل الفستان وحدها

انتفضت بذعر على صوت طرقات هادئة على الباب وصوته يقول:_

"حبيبتي هل انتِ بخير ؟"

لم ترد عليه لدقائق وهي تتحرك في الغرفة بتوتر ذهاباً وإياباً وفكرة مجنونة وحيدة تسيطر على عقلها

كيف تهرب منه؟!

هل تمثل عليه النوم ، أم أفضل تمثل التعب ،ربما تصرخ في وجهه ،لكن ماذا عن الفستان!!

قطب بين حاجبيه في دهشة وهو يحاول فتح الباب فوجده مغلق مما جعله يكرر النداء بقلق قائلاً:_

"حبيبتي هل أنتِ بخير لما تغلقين الباب ؟"

ولم يصله منها سوى شهقة بكاء خافتة زادت من قلقه

"نهى افتحي الباب ،لما تبكي ؟!"

قالها بقلق وهو يشد شعره ذهابا وإياباً هو الآخر أمام باب الغرفة

وبالداخل تجلس بفستانها على الفراش بعد أن عجزت عن إيجاد حل للهرب منه تبكي ،لطالما تحدثت هي وصديقاتها عن هذه الليلة ،لكن أبداً لم تتوقع أن تكون خائفة هكذا .

سمعت صوته النزق يأتيها ،فتناولت أطراف فستانها وهي تفتح الباب بحذر وتنظر إليه من شقه كقطيطة تنظر لصاحبها بنصف عين مترجية ألا يخذل رجائها قائلة برقة :_

"حمزة أنا بخير "

كاد أن يضحك عاليا وهو يرى نصف وجهها المستدير ترمقه بحذر من شق باب الغرفة وكأنه سيلتهمها لكنه تمالك نفسه وهو يسألها بهدوء:_

" حبيبتي لما كنتِ تبكين ؟!"

لوت شفتيها كطفلة مذنبة وهي تقول:_

"لا شئ أنا خائفة ،مممم لما لا تأخذني ونذهب عند أبي"

كادت عينيه أن تخرج من محجريهما لما تقول وهو يسألها ببلاهة :_

"آخذك أين ؟!"

"عند أبي يا حمزة "

"وماذا سنفعل عند أبيك يا روحي ،لأحلق له ذقنه أم تغير والدتك لكِ الحفاض"

همسها بينه وبين نفسه بغيظ لكنه اقترب مبتسما وهو يهادنها قائلاً:_

"حسنا افتحي الباب لأبدل ملابسي أنا الآخر وأخذك"

"حقاً"

قالتها بلهفة مضحكة وهي تضيق عينيها في توجس فأومأ برأسه مبتسما كي يطمئنها

فتحت الباب ببطء وهي مازالت متمسكة به تتقهقر معه للخلف ،ترمق دخوله بحذر

تنهد متحليا بالصبر و قد لمعت عيناه وهو يتأمل هيأتها البهية ببطء فنهرته بتحذير رافعة سبابتها الصغير:_

"حمزة لا تنظر لي هكذا"

اقترب منها هامسا بحب:_

"لم يا روح حمزة ،هل تخافين مني ؟!"

رمشت بعينيها عدة مرات كعادتها حين تتوتر وطفرت الدموع في عينيها مرة أخرى قائلة :_

"أنا لست خائفة منك "

قضمت شفتها السفلى بخجل وأردفت :_

"أنا خائفة مما سيحدث ، أنت وقح يا حمزة "

تعالى صوت ضحكاته من حديثها ثم ابتسم بهدوء مستغلاً عدم انتباهها وضمها إليه مسيطرا على شهقتها المتفاجئة قائلاً بحنان :_

" أنا لن أؤذيك أبداً يا نهى ثقي بذلك ،نحن سنبدل ملابسنا ونصلي ثم نتناول العشاء ما رأيك "

رفعت رأسها إليه قائلة بتحذير طفولي :_

"لن تفعل وقاحة ؟!"

سيطر على ضحكاته بصعوبة وهو يقبل جبهتها ثم قال بطيبة مصطنعة:_

"لا أبدا"

تركها وهو يوليها ظهره مبتسما بخبث وهو يفتح الخزانة يأخذ منامته هامساً بينه وبين نفسه:_

"بل سأكون أنا الوقاحة بذاتها حبيبتي"

ثم تحرك خارجا من الغرفة وهو يقول بصوت هادئ مطمئن :_

"سأبدل ملابسي في الغرفة الأخرى "

ابتسمت براحة فور أن خرج ثم أغلقت الباب جيدا خلفه واستدارت تنظر إلى الفراش بامتعاض من تلك الغلالة التي وضعتها والدتها ،رفعتها بين كفيها وقد توردت وجنتيها

غلالة حريرية بيضاء ليست بالقصيرة ولا الطويلة ،مقدمة صدرها من الدانتيل الشفاف ،وبها فتحة طويلة من الجانبين ،ومفتوحة الظهر "

رمتها على الفراش وهي تتناول مئزرها الحريري الشفاف قائلة بغيظ :_

"وما فائدته هذا بحق الله إن خلع ملابسي أهون منه"

تناولتهم بين كفيها متوجهة إلى الخزانة وألقتهم بها ثم أخذت منامة كريمية اللون من قطعتين ،بلوزة فضفاضة وسروال طويل ،ثم تناولت عدة أشياء أخرى من الخزانة وأغلقتها وهي تبدأ في خلع فستانها قبل دخولها إلى

الحمام في معركة مع خلع الفستان فأبدا لن تسمح له بخلعه.

بعد نصف ساعة

بالخارج

تململ مكانه خائفا أن تكون نامت فاقترب من باب الغرفة وطرقه قائلاً :_

"نهى حبيبتي هل انتهيت؟!"

دقائق وفتحت له باب الغرفة ترتدي إسدال الصلاة فابتسم هامساً :_

"قلبي سيتضخم من فرط فرحته ، إلى الآن لا أصدق أنكِ هنا معي بشقتنا وسنصلي سويا"

ابتسمت بخجل فأخذها من يدها كي يصلي بها

فور أن سلم من الصلاة التفت إليها وهو يضم رأسها إلى صدره بحب هامساً بحنان:_

"هل ما زلتي خائفة؟!"

"قليلاً"

همستها بحياء ،فوضع يده علي جبهتها قائلا بحنان :_

"اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه "

فك طرحة إسدالها ببطء ،مخرجا شعرها منه وهو يتخلله بأصابعه لاثماً وجنتها وهمس :_

"تعلمين أني لن أضرك صحيح؟!"

أومأت برأسها مرتبكة فلثم وجنتها الأخرى هامسا بإغواء:_

"وإني أحبكِ"

أومأت برأسها بضعف وانفاسه الدافئة تطمئنها فتركته يساعدها في خلع إسدالها

وفور أن خلعه عنها نظر لها بخيبة وهو يقول ببؤس:_

"بيجامة يا نهى؟!"

فلتت ضحكة قصيرة منها رغما عنها من منظره الممتعض فأومأت برأسها

سألها بغيظ:_

"وأين شجيع السيما الذي اعترف لي بحبه وهي تراقصني في الزفاف"

ابتسمت بخجل متذمرة :_

"حمزة"

"يا روح وقلب حمزة "

قالها بولع مائلاً إليها ،ينهل من أنفاسها التي طالما اشتاقها ،

تخجل فيهدهدها وهو يُخضعها بعاطفة جامحة بث بها عشقه وولعه .

تمتنع فيذيبها راضيه حتى غرق وأغرقها معه في موجة غرامٍ أرجحتهم سويا على بحر عشقٍ ملأوه سويا من قطرات حبهم

□□□□

بعد مرور شهر

"لكن ظهري مازال يؤلمني"

قالها عبدالرحمن بتأوه مصطنع فتذمرت ريم قائلة:_

"عبدالرحمن أنت تتدلل، منذ ساعتين وأنا أُدَلِك لك ظهرك لادعائك أن الجلسة الكهربية لم تأتي بفائدة "

اعتدل على ظهره مشبكا كفيه خلف رأسه وهو يقول:_

"هل تبخلين علي بساعتين من وقتك يا طبيبة "

ابتسمت ريم وهي تتمطأ ثم تمددت جواره قائلة بصدق:_

"تعلم أني لا أبخل عليك بعمري، لكن أقسم أن ظهري أنا الذي أصبح يؤلمني وليس أنت "

ابتسم بخبث مقتربا منها وهو يقول :_

"لما لا أرد لكي صنيعك لي فأنا أحب تسديد ديوني"

صدته بكفيها في صدره وهي تضحك قائلة:_

"لا أشكرك لخدماتك ،لست في حاجة لها ،المسكن متوفر الحمدلله"

رمقها بحنق وهو يشرف عليها قائلاً بعبث:_

"مسكن وزوجك موجود والله عيب "

ابتسمت وهي تدعك عينيها بقوة حتى احمرت فسألها وهو يمسك كفها :_

"يكفي ،لما تدعكين فيها هكذا ، لقد احمرت كثيراً"

هزت رأسها يمينا ويسارا وتنهدت قائلة :_

"لا أعلم يا عبدالرحمن ، أشعر وكأن شئ يجري بها منذ الصباح لكن الأمر يزداد"

كللتها أنفاسه وهو يقترب منها مبتسماً بعبث وهو يقول:_

"حسناً فرصتي لما لا أنفخها لكي؟!

تعالي وجيب قلبها من نبرته العابثة ،رغما عنها يوهنها شغفه الجديد عليها، تريد أن تشعر بأنوثتها بعينيه الجديدة

وليس تلك الواجبة كما قبل، أن تتدلل عليه حتى يشبعها إفساداً، أن تعوض سنيناً مضت جوارها دون قلبه ، أن ينصهر بها حتى يرى نساء العالم فيها

عادت بعينيها إليه وهو يداعب أرنبة أنفها بخاصته قائلاً بنزق :_

"أين شردتِ بعيداً عني"

"معك"

همستها بحب وعينيها تلمعان بأمل فهبط بفمه إلى عينيها ينفخها بأنفاسه الدافئة مرة تليها قبلة ثم مرة تليها قبلة حتى ابتعدت بوجهها ترمقه بنصف عين قائلة:_

"هل هكذا تعالجها متأكد؟!"

ضحك قائلاً بمشاكسة:_

"أفضل علاج وما يدريك أنتِ ،فقط اتركي نفسك لي"

تعلقت ريم بعنقه قائلة بدلال أنعشه:_

"ها أنا كلي لك "

غرق فيها يضمها إليه ينهل من رحيقها هامساً من بين قبلاته :_

"يا الله أنا أحبك إلى حد يفوق قلبي"....

□□□□

قطب بين حاجبيه متعجباً بعد أن أبلغته مديرة مكتبه أن خطيب ابنته بالخارج ،مط شفتيه بتعجب ثم قال لها :_

"حسنا دعيه يتفضل "

طرق الباب ودخل ،فاستقبله الرجل مرحبا به ثم دعاه للجلوس على أريكة جانبية وهو يقول:_

"كيف حالك يا دكتور ،وما أخبار خطيبتك معك "

ابتسم شهاب وقد شجعه ترحيب الرجل على الخطوة التي أخذها فقال:_

"بخير الحمدلله "

أومأ الرجل ثم سأله :_

"ماذا تشرب ؟!"

"قهوة"

طلبها الرجل له ثم التفت إليه مبتسماً وهو يقول:_

"جيد أنك أتيت كنت سأطلبك على كل حال"

قطب بين حاجبيه مبتسما وهو يسأله بأدب:_

"لعله خير"

أومأ الرجل برأسه وهو يستقيم واقفا متجها إلى مكتبه آخذا شئ من عليه ثم عاد إليه قائلا وهو يضع ما بيده أمام شهاب على الطاولة :_

"هذه هدية زواجكم أنت ورنا ،تذاكر سفر لثلاثة بلاد مختلفة تركيا ،ماليزيا، وأخيراً روما "

ابتسم شهاب بحرج وهو يحك ذقنه بسبابته قائلاً:_

"على رأسي لكن أحب أن يكون شهر العسل من مالي الخاص أنا آسف"

" أنا أهادي ابنتي، الأمر لا يمسك بشيء ،معك أو غيرك كنت سأفعل ذلك"

قالها الرجل ببساطة فسأله شهاب باحترام :_

"لما لم تعطيها بنفسك لرنا؟!"

مط ياسر شفتيه قائلا بعملية :_

"لن تفرق كنت سأبلغها على أي حال"

أومأ شهاب برأسه ثم ابتلع ريقه قائلا بهدوء وحذر:_

"حسنا ،سر زيارتي اليوم هي رنا ، أريد أن أعرف "

صمت دقائق متنحنحاً ثم أردف:_

"ما سبب انقطاعك عن رنا رغم حبك الظاهر لها ، الأمر ليس بالطبيعي"

عم الصمت لدقائق وهو يتمالك أعصابه أمام ذاك الشاب المهذب ،هو لا يريد فتح ذاك الموضوع لقد أُغلِق منذ زمن لما ينبش في الماضي الآن ؟!،هو لا يبدو أنه من ذاك النوع الفضولي الثرثار، أو حتى السطحي الذي يهتم بالشكليات والتفاصيل!!

أجلى حنجرته متغلبا على اختلاج عضلة فكة أمام ذاك الذي لا يفوته فائتة وقال بجمود:_

"لما تسأل هل يفرق الأمر معك؟!"

فرد كفيه قائلا ببساطة:_

"على العكس أنا أسأل من أجلها لا لشيء آخر "

أومأ برأسه مفكراً لدقائق ثم قال بجمود وتحذير مبطن :_

"حسنا سأخبرك ،لكن قبلاً أريد أن أخبرك شئ ،قد يبدو لك أني بعيد عنها لكن عيني لم تغفل عنها يوما ، إذا فكرت يوم مجرد فكرة أن تكون سبباً في حزنها لا أخفي عليك سأجعلك تكره اليوم الذي رأيتها فيه ولا يغرنك حلمي وتهذيبي الواضح"

ابتسم بإعجاب إذا كان الرجل يظن أنه سيغضب من حديثه هذا فقد ساء الظن ليس أحب إليه مما يسمع الآن ولو أن قلبه يتمنى لو تسمعه هي

أومأ برأسه منتظرا حديث الرجل والذي يبدو أنه ليس بالهين

نقر بسبابته على طرف كرسيه يصوغ بعقله طريقة مناسبة لبدء الحديث ثم قال بلا مبالاة شديدة الاصطناع:_

"باختصار كنت أحب والدة رنا كثيرا رغم أني كنت متزوج قبلها إلا أنها كانت حبي الأول ، وحين طلبتها للزواج وتمت خطبتنا تعاميت عن نفورها مني متحججاً بصغر سنها وأغلقت عقلي عن فكرة عدم تقبلها لي"

صمت لدقائق يبتلع غصة مؤلمة بحلقه ثم أردف باختناق:_

"بعد زواجنا كانت نافرة ،متباعدة لكنها هادئة فصبرت عليها حتى أتى يوم وجدتها تفتح علي باب الغرفة مندفعة بغضب وهي تقول بتهور غريب عليها:_

"ياسر طلقني ، أنا لا أحبك ،بل أكرهك ،قلبي متعلق بسواك ولا أريدك ،لقد عاد ،كنت أظنه غدر بي لكنه عاد وسأل عني أصدقائي"

تجمد مكانه دقائق لا يقوى على الحركة وهو لا يصدق ما تقول حتى نطق ببطء:_

"أنتِ بما تهذين؟!"

"أنا لا أهذي يا ياسر أنا أريد الطلاق وستطلقني رغما عنك "

لمعت عيناه بالغضب وهو يقول مشدداً:_

"ابتعدي عني الآن حتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه"

ومتى أصبحت مستفزة هكذا وهي تتحداه بجنون:_

"ما الذي سيحدث يعني؟"

ملامحه أصبحت أكثر قتامة ، أعصابه منفلته وهي لا تساعده أبداً ،أمسكها من ذراعها بشدة قائلا بغضب:_

"هل تستفزيني يا نجلاء ،لأمد يدي عليكي؟"

ونفضت ذراعة غير عابئة ونفخة شيطان تزين لها جنونها فتجابهه بتحدي :_

"فلتفعلها إن كنت رجل"

عم الصمت عقب جملتها ،تبتلع شهقة صامتة وهي تتبين جنون ما تفوهت به وعينيها تتسع برعب وهو يرفع كفه عاليا ،ضارباً به الحائط ورائها وهو يقول:_

"ستندمين لما تفوهت به بغبائك ،ولأني رجل فقط لن أفعلها ..."

عاد من شروده وهو يشعر بتجمع الدموع في عينيه فأطرق برأسه مستجمعاً ذاته ثم أردف بصوت متحشرج :_

"ومرت الأيام ،نفورها يزداد وعندي يزداد ،نتشاجر كل دقيقة لاستفزازها لي حتى أتى يوم "

ارتعش صوته فصمت زافراً أنفاسه المختنقة

وذاك الراصد لحركاته أمامه يتابعه بذهول، أهذا قهر الرجال؟!

هل حقا ما يسمع ؟،الرجل عكس ما هو متعارف عليه تماما بالقسوة والشدة من أمامه الآن تتابعت عليه ويلات قلبه فيبدو أنه زهد كل شئ ،لم يخطر بباله أبداً أن يكون هو المظلوم في تلك القصة

قطع أفكاره منصتا باهتمام له بعد أن عاد يتابع حديثه:_

"وهكذا حتى أتى يوم من كثرة استفزازها لي أخذتها غصبا قاومتني بالبداية لكن ما جعلني أتابع هو استكانتها لي فسول لي قلبي المريض أنه تعلق وربما شغف ،لكن ما لم أتوقعه هو فور انتهائي كلماتها المنتقمة التي ذبحتني بها ذبحاً"

ضيق شهاب عينيه بتوجس من القادم فأردف ياسر مبتسماً بمرارة :_

"لقد قالت لي بالحرف وعينيها جامدتان لا حياة فيهم:_

«هل ارتحت الآن ؟! تعلم لما جعلتك تواصل ولم أمنعك؟! لقد كنت أراك هو وليس أنت"

حسنا هو في أكثر أحلامه جموحا لم يتخيل القصة بتلك البشاعة رفع رأسه والرجل يتابع قائلاً:_

"ستتعجب حين أقول لك أني في دقيقتها شعرت أني تحولت لجماد أو إلى مسخ لا يشعر ، آخر في مكاني كان سيضرب وربما يقتل لكني طلقتها في ساعتها ولم أزد عن ذلك حتى علمت بخبر حملها

رغما عني شعرت بكره ناحية ذاك الجنين وعافته نفسي كلما أفكر به أشعر بالتشويش ، مما يضحكك كنت من كثرة تشويشي أفكر هل هو ابني أم لا

حتى يوم ولادتها دمعت عيناه وأردف:_

"لا أعلم أي قوة دفعتني للذهاب للمشفى يومها، فور أن حملتها بين ذراعي قطعة لحمة حمراء وكأن برداً وسلاماً نزل على قلبي "

ابتسم بحنين وأردف :_

"كانت تفتح عينيها على اتساعهما تناظرني بدهشة و شفتيها تتحركان بهمهمات ناعمة تفعل بقلبك الأفاعيل"

سأله شهاب بحذر:_

"حسنا ما الذي تغير؟!"

بسط راحتيه وهو يعتدل في جلسته قائلاً:_

"توالت الأيام ورغما عني يراودني شيطاني بجملة والدتها ، أنها حين حملت في ابنتي كانت تراني آخر ومن ثم تزوجها من هذا الرجل ،خشيت أن أكره ابنتي ، أن أنفر منها أو أؤذيها مرة دون وعي أو قصد ففضلت وجودها مع جدها ومتابعتي لها عن بعيدٍ قريب

ابتسم بتهكم وأردف :_

"وما طمأنني أكثر هو ترك نجلاء لها عند زواجها من ذلك الرجل

أنا لا أبرر لنفسي أني لست مخطأ أو أحمل والدتها وحدها الخطأ على العكس يا شهاب حتى أني أنا الآن لا أحمل أي مشاعر لنجلاء ، ما بداخلي مجرد أثر سلبي لذكرى مرت مع زمن فبطبيعة عملي أنا رجل سوق واعتدت الخسارة "

عندما أنهى حديثه وصمت ،علم شهاب أنه لن يخرج من الرجل بأزيد من ذلك لذا استقام واقفاً وهو يشكره ثم استأذنه وخرج....

□□□□

ضحكاتهم تعم المكان مجتمعين بالشقتين المتجاورتين بالقاهرة ،شقة شهاب القديمة والأخرى الخاصة بالعائلة وقد استقروا في الشرفة الكبيرة "التراس" المتصلة بين الشقتين والتي تتميز بطراز حميمي مغلقة بنوافذ زجاجية معتمة من الخارج

سيطر خالد على ضحكاته قائلاً:_

"حقاً شهاب لما لا تعرفني على حماك ،مممم أستطيع أن أعمل ساعي عِنده بالمكتب لا يهم يكفي اسم مؤسسة الجوهري "

رفعت غدي إحدى حاجبيها قائلة بامتعاض:_

"مادي حقير"

وضع خالد إحدى ساقيه على الأخرى قائلا بسخرية :_

"تركنا لكي الشرف يا محامية ، ألم تسمعي ،عمك سيلف العالم تركيا ،ماليزيا، ثم روما دون أن يدفع جنية يوحد الرب"

لكزته الجدة بعصاها تنهره وهي تضم شهاب الجالس جوارها لها قائلة بخوف :_

"قل أعوذ برب الفلق في عينك يا خالد ،سمي بالله يا ولد ستحسد عمك"

ربت شهاب على كتفها بحنان مقبلاً رأسها وهو يستكين لضمتها له ،لم يشعر بالراحة من قبل كما الآن خاصةً بعدما أفضى له ياسر الجوهري سره ، الرجل يعشق طفلته لكنه يخاف عليها وإن كان خوفه غير منطقي لكن يبقى مسألة أنه خلاف ما تعتقد رنا تريحه وسيسعى جاهدا أن يثبت لها ذلك متوطدا العلاقة بينها وبين والدها

المعضلة الحقيقة تكمن في والدتها ،المرأة يبدو أنها أخرجتها من حساباتها نهائياً لا يعلم أي قلبٍ تمتلك لا يعشق تلك الصغيرة، صغيرته هو التي سيعمل علي تعويضها جيدا ...!!

لكنه أيضاً لن يتسرع في الحكم عليها فلكل حكاية زاوية متوارية لا يعلمها إلا صاحبها !!

خرج من شروده على صوت أنس الهادئ يسأله :_

"هل ستلتقطون الصور أولاً أم العقد أولاً؟!"

اعتدل شهاب في جلسته وهو يقول:_

"لا العقد أولاً بالطبع بما أن المكان واحد "

خبط خالد بكفيه على فخذيه وهو يقف قائلاً :_

"حسنا هيا بنا ؟!"

"إلى أين؟!" سألت غدي بدهشة

وقف كل من شهاب وأنس وعبد الرحمن الذي رد غامزاً بحيوية أنعشت قلب تلك التي تتابعه بعينيها:_

"سهرة شبابية ،سيودع بها شهاب العزوبية للأبد"

احتجت غدي واقفة :_

"لا أنا أعترض لن تخرجوا دوننا "

"أين خطيبك منك أنتِ أريد أن أعرف؟!"

سألتها والدتها بتعجب، فسيطرت على اضطرابها بأعجوبة فهي أخفت أمر خلافها هي وعمر عنهم حتى طلبها الانفصال منه حتى يمر زفاف شهاب على خير لذا ابتسمت قائلة بمرح مصطنع:_

"سيادة الضابط يتأكد أن الأمن مُستَتِب " ثم تقدمت من شهاب قائلة بدلال:_

"عمي الحبيب ستخرج معهم منذ متى وأنت بتلك الأخلاق "

ابتسم بحنان يقبل رأسها وهو يقول:_

"حسنا اجهزوا جميعا و لنخرج سويا "

تذمر كل من خالد وعبد الرحمن فالتفتت إليهم قائلاً:_

"لا أريد أن يغضب أحد مني قبل سفري لذا لنفرح جميعا ،حتى أني هاتفت هنا عدة مرات أن تأتي لكنها أصرت أنها ستحضر على وقت الزفاف مع والديها

□□□□

ليلاً بعد انتهاء يومهم ودخول الجميع إلى غرفهم تناول هاتفه متصلاً بها فردت على الفور مما أضحكه قائلاً:_

"هل كنتِ جالسة على الزر أم ماذا ؟!"

تجاهلت مشاكسته وهي تقول باختناق:_

"شهاب أنا خائفة ،لا أعلم هل هذا الأمر عادي أم ماذا ، أشعر بضيق غريب واختناق لا أفهمه ،توتر غير مفهوم ،تشوش في أفكاري ، حتى جسدي أشعر به يرتعش"

اعتدل في جلسته وهو يقول بحنان:_

"يا إلهي صغيرتي لما كل هذا ، هل تخافين مني؟!"

" لالا ليس منك "

نفت بسرعة ثم أردفت قائلة :_

"ربما من الأمر نفسه ،لا أعلم ،أشعر أنك حلم حتى ، تعلم كلما تهاتفني أو أراك تظل في نفسي دهشة المرة الأولى وكأنك حلم سأستيقظ منه على واقع حزين"

حاول أن يلهيها عن تفكيرها وهو يشاكسها قائلاً:_

"إذاً صغيرتي كانت تحلم بي "

عضت شفتها السفلى بخجل وهي تهمس اسمه في حياء فضحك قائلاً:_

"هل أنتِ سعيدة بهدية والدك لنا؟!"

صمتت دقائق ثم قالت بصدق مسه :_

"تعلم أنا كنت سعيدة جدا بالرحلة التي جهزتها أنت إلى دهب وشرم الشيخ ،شهاب كل شئ منك يجعلني أشعر أني في السماء لكن أيضاً لا أكذب عليك ،اتصال والدي علي وهو يبارك لي ويخبرني أسعدني كثيرا"

تنهد براحة ثم همس قائلاً:_

"نامي هانئة ولا تخافي من الغد سنكون سويا إن شاء الله"

□□□□

أمام صالة التجميل حيث توجد العروس والفتيات من أقارب العروسين

اصطف عدد من السيارات يجعلك تسمي بالله من العين بالأخص وهبوط الشباب الضاحك مع الهتافات العالية والتصفير كل منهم يرتدي بذلة تماثل بذلة العريس تماما باختلاف رابطة العنق فخاصته سوداء أنيقة أما كل منهم اختلف لونه فمن هو مرتبط ، ارتدى نفس لون فستان امرأته ومن ليس مرتبط ،ارتدى اللوم الأبيض مثل إخوة شهاب الكبار

تعالى صوت الزغاريد تملأ المكان فور أن انتهت العروس إعلاناً لخروجها

تضخم قلبه من فرط فرحته وهو يرى طلتها الملائكية ترفل بفستانها الأبيض الذي لف جسدها ببهاء يخر له القلب خاصةً بتصميمه البسيط الذي أصرت عليه وحجابها الذي يلف وجهها بملائكية ،وجهها الصغير الذي ينظر له بضياع ورجاء ،جميل يأسر العين بمساحيق التجميل البسيطة التي أرضته

اقترب منها هامساً بحب:_

"هل تعلمي أني أسب نفسي الآن؟!"

قطبت بين حاجبيها بقلق لكنها ابتسمت وهو يردف وعينيه تلمعان بسعادة كما لم ترهم من قبل هكذا :_

"ما الذي جعلني أوافق جدك على أن عقد القران يكون يوم الفرح لا أعلم "

ابتسمت بخجل دامعة العينين تنظر لحسنه بعينين سعيدتين لا تصدق أنها بعد ساعة فقط ستكون زوجته

علي الجانب الآخر

فور أن خرجت مع العروس تنافسها في طلتها الجميلة ،اقترب منها متناولاً كفيها يقبلهم وهو يقول:_

"مممم دبدوبتي هل تنافسين رنا على جمالها اليوم أم ماذا"

ابتسمت نهى بخجل فسمح لعينيه التمهل على هيئتها فستانها الكريمي الذي يحتضن جسدها المكتنز بحميمية لا يشعرها سواه نظرا لاحتشامه

عينيها المرسومتان رسمة فرعونية زادتهم جمال على جمالهم ،وجنتيها المكتنزتان تدعوان للقطف لذا مال عليها مقبلا وجنتها بخفة مما أجفلها واحتقن وجهها تدفعه بغيظ وهي تتركه قائلة:_

"أقسم أنك وقح ولا فائدة فيك "

غازلها بعينيه وهو يتقدم منها وقد أسره هيئتها التي لم يراها منذ زمن ،

ترتدي فستان فيروزي ينسدل على جسدها بضيق ثم يتسع بفتحة دائرية تبدأ من أسفل ركبتيها إلى قدميها اللذان يكللهم حذاء أسود ذو كعبٍ عالي ،وحجاب يلائم لون الفستان لفته بطريقة عصرية حديثة واضعة مساحيق تجميل فبدت كالملكة نعم ملكة لا يليق بها سوى هذا خاصةً وهذا الأمير الصغير جوارها والذي يرتدي بذلة تماثل خاصته

ابتسم مائلا عليها وهو يقول بعبث:_

"هل قلت لكي من قبل أني أحبك؟!"

ابتسمت تضع يدها في ذراعه الذي أثناه لها وهي تقول بدلال جديد عليها:_

"نعم قلت لكني أحب أن أسمعها أيضاً"

"إذا أحبكِ"

يحتضن خصرها بحميمية وهو يميل عليها هامساً:_

"تعلمين أنكِ أجمل من العروس"

ابتسمت تضم نفسها إليه وهي ترفع رأسها إليه قائلة بدلال:_

"حقا"

نظرته الشغوفة وهو يغازل ما هو أبعد من فستانها باللون الأزرق الذي يحب ،حتى استقر أخيراً على طلاء شفتيها الأحمر ثم غمزها هامساً:_

"ما رأيك أن نحجز غرفة بنفس الفندق الذي سيقضي فيه شهاب ليلته قبل سفره"

ضيقت روضة عينيها قائلة بدلال رغم احمرار وجنتيها الواضح "

"ولم يا باشمهندس أنس"

لكزها بكوعه في خصرها بخفة وهو يغمزها قائلاً:_

"كي أذكرك بليلة زفافنا "

مسجد محمد علي بقلعة صلاح الدين

يقف كل من حمزة وأبيه يتناوشان على من فيهم سيقدمها لعريسها حتى اعترض أصواتهم قائلاً بنبرته الرخيمة

"ألا أصْلُح أنا"

التفت حمزة بدهشة من وجود ياسر الجوهري مبكرا هكذا بينما ابتسم عبد الحميد برضا وهو يُفسِح له المجال لتلك التي اغرورقت عيناها بالدموع بينما اقترب منها هو مقبلاً رأسها وهو يحتضنها متمتماً لها بالمباركة ثم همس :_

"ماذا ؟!هل ستخرجين لهم باكية ليقولوا أرغموها على الزواج؟!"

نظرت له بدهشة فربت على كتفها بحنان وهو يحثها على التقدم معه حتى استلمها منه شهاب وانسابت الموسيقى الهادئة بالمكان ترحيبا بتقدمهم وتلك الزهور البيضاء التي تزين المكان تشي بزفاف هادئ أرستقراطي يليق بصاحبه استقروا جميعا على طاولة كبيرة لبدء مراسم عقد القران

وفور أن قال الشيخ

"بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير، مبارك للعروسين ،جعلها الله زيجة العمر إن شاء الله ويرزقكم الخلف الصالح "

انفض الجميع يبارك لهم وفور أن انتهوا لم يستطع يقسم أنه حاول لكنه لم يعي بنفسه إلا وهو يغمرها بين ذراعيه يدفن وجهه في عنقها دامع العينين

أبداً لم يكن يصدق أبداً أنه سيحبها بهذا القدر، شعوره الآن أشبه بالذي قضى حياته يبحث عن شئ مفقود وفور أن عليه ،عثر على الكنز

وهي كانت بين ذراعيه مزلزلة من داخلها ،فرحة أعمت عينيها عن كل من حولها حتى عن أمها التي باركت لها مباركة عادية لم تؤثر بها وهي تشعر به سيحميها عن العالم أجمع

ابتعد عنها بحرج وقد احمرت أذنيه على صوت حمزة قائلا بغيرة لم يستطع كبحها :_

"يكفي هذا يا عريس "

أخذها حمزة بين ذراعيه بقوة فبكي الاثنان في مشهد تناوبت فيه ردود الأفعال ما بين مستخفٍ، ومبتسم ودامع العينين وقد أثر به مشهدهم

وحدهم من كانوا يفهمون بعضهم جيدا ، علاقتهم لم تكن خال وابنة أخته ولا حتى صديقين لقد كانوا أكثر من الإخوة ،لقد شب على أنها أمانته الصغيرة فور أن فتحت عينيها عليه وهاهي الآن تُسلب منه

مسح دموعه مربتاً على رأسها بحنان وهو يقربها منه ثم قبل جبهتها والتفت لشهاب قائلاً بعد أن سلم عليه واحتضنه:_

"أنا أثق بك ،ضعها في عينيك ، هي لا تستحق سوى أن تحيا سعيدة ، سعيدة وفقط "

جانباً فور أن وصل الزفاف دار بعينيه باحثاً حتى أبصرها

ورغم احتراق كل خلاياه فور أن رأها ترتدي فستان عنابي قصير إلى ركبتيها يحتضن منحنياتها بسفور لا يترك للعين خيال وأسفله سروال قطني أسود يلتصق بساقيها الملفوفتين كجلدٍ ثانٍ ،طرحة حريرية تلفها حول وجهها دون إحكام مما أسدل بضعة خصلات من شعرها على وجهها إضافةً إلى جمال عنقها الأبيض الداعي للنظر

وجهها الذي زينته بمساحيق تجميل صارخة لكنها زادت فتنتها فتنة إلا أنه يحترق بالغضب من طلتها الملفتة والمثيرة للنظر لا وكي ترفع ضغطه أكثر ،ذاك الكعب العالي وهل كانت تحتاجه من الأساس !!!

سيطر على أعصابه مقترباً منها هامسا بجمود:_

"مبارك غدي العقبي لنا "

احمرت وجنتيها رغما عنها من اشتعال عينيه فور أن رأته إلا أنها ردت عليه بتمتمة هامسة ترجح عدم سماعه لها وإن أنصت

وعلى طاولة أخرى ،يجلس كل من حفصة وطفليها والتي هبت واقفة وهي تبصر وائل ورؤي وفريدة يتقدمون منها لكن ما أدهشها هو تقدم رؤى منها تحتضنها قائلة:_

"كيف حالك يا حفصة ،اشتقت لكي"

بادلتها الاحتضان وقد شعرت أنها عادت رؤى القديمة التي كانت تحبها ثم انحنت تتلقف فريدة بين أحضانها تُجلسها علي ساقيها تُثرثر معها ثرثرة طفولية مع أطفالها

□□□□

باليوم التالي

تجهم وجهه وقلقه الزائد آثار ريبتها خاصةً وهو يلف ويدور حولها منذ أن أتى لزيارة أولادها

استغفرت بصوت مسموع وهي تقول:_

"يا أبو فريدة لا تلف ولا تدور ، أنت تريد إخباري بشيء "

ابتسم بتوتر ولم يرد فحثته قائلة :_

"لا تثير فضولي وقل ما عندك"

طلب من أطفالها وفريدة أن يخرجوا ليلعبوا بالخارج ،مستغلا وجود والدته بالمطبخ وسألها برجاء خفي:_

"أنتِ ما زلتِ على وفائك ليحيى رحمة الله صحيح ؟!"

نظرت له بدهشة وسألته:_

"لما هذا السؤال الغريب أنا لا أفهم ؟!"

ابتلع ريقه وسألها بضيق:_

"هل تعرفين رجل يدعى معاذ الحلبي؟!"

قطبت بين حاجبيها لدقائق تشعر أن الاسم ليس بالغريب عليها ثم سرعان ما لمعت عيناها وأخيراً تذكرته فأجابته مبتسمة :_

"نعم بالطبع ،دكتور معاذ ، تقابلنا في الندوة الدينية التي كنت مدعوة لها في دبي من فترة ،تلك التي كان معي فيها شهاب البرعي"

أومأ برأسه فسألته بتعجب:_

"لكن من أين عرفته ولما تسأل؟!"

تنهد بهم وهو يقول:_

"لقد كلم شهاب البرعي عنكِ، أقصد هو يريد التقدم لكي وأخبر شهاب فشهاب أوصله لي لعلمه أنكي تقطنين معنا ،يبدو أنه خجل من أن يخبرك بنفسه أو ربما وفاءا لصديقة "

أنهى حديثة بنبرة ذات مغزى أثارت ضيقها فابتسمت بسخرية وهي تهب واقفة تقول وقد تجمعت الدموع في عينيها:_

"حسنا يا وائل سأبلغه ردي بنفسي "

□□□

قبل أن يتمكن حتى من أخذ أنفاسه أو استيعاب حديث حفصة وجد أمه تندفع إليه قائلة بغضب واتهام:_

"أرأيت؟! أرأيت ماذا جنيت من وراء سعيك وراء المتعوسة زوجتك"

"أمي ، اهدئي ،من تتحدثي عنها هي زوجتي "

"اجتمع المتعوس وخائب الرجا"

قالتها بحدة ثم أردفت بغضب:_

"هل سمعت ما قالت زوجة أخيك ها؟!

لقد قالت ستبلغه الرد أي أنها ستفكر، أنت السبب في بعد أبناء أخيك عني لن أسامحك أبداً"

أنهت حديثها بوصلة بكاء وولولة فتنهد بتعب ثم قال:_

"من قال ذلك هي لم توافق"

"لكنها لم ترفض أي أنها اقتنعت بالمبدأ "

اقتربت منه وأردفت برجاء :_

"تزوجها بني، تزوجها وضم أبناء أخيك أنت أولى بهم "

"ماذا تقولي يا أمي، سأجاريك أنها اقتنعت أنه حقها على أي حال ،لن نستطيع إجبارها"

صرخت فيه بغضب :_

"ألا تسمع أقول، ما الذي تهذي به هل أمر زواجها عادي عندك هكذا؟! ، أقسم أن تزوجت من غيرك لا أنت ابني ولا أعرفك"

"يا الله يا الله يا ولي الصابرين ، حسنا لأتزوجها أمي وأخرب بيتي وليحترق كل شئ أليس هذا ما تريدين"

أنهى كلامه واستدار بغضب يشد فريدة الواقفة بجانب الغرفة من ذراعها غير واعيا لاستماعها لحديثهم حتى الهذي الأخير الذي لم يكن سوى حديث من فورة غضبه ...."

بالأعلى

كانت تحدث والدتها على الهاتف تبكي

وغصة مؤلمة استحكمت بحلقها فطفرت بدموعها اختناقا قائلة بانفعال رغماً عنها:_

"فقط متى سيفهمون يا أمي أنه لم يمت أنه يعيش بداخلي ،بين ثنايا روحي، إذا كان الله قال عنه حي يُرزق هو وذويه فمن أنتم حتى تُمِتُوه

يا الله كل ما بي ينتفض حميه من أجله ،من أجل شعوره لو كان حيا ويستمع لأحدهم يريد الزواج من امرأته ،نعم كنت وسأظل امرأته وحده يا أمي

أحاول أن أتقي الله قدر استطاعتي حتى أنال شرف جواره في الجنة ،عوضا على صبري على فقده في الدنيا و ظمأي له أن ألقاه في الجنان وأرتوي منه ادعٍ لي يا أمي ادعٍ لي ..."

الفصل السادس والعشرون

ابتسم بتفكه وهو يضم رأس عروسه النائمة إلى صدره ،لو علمت الحاجة فاطمة والدته أنه قضى ليلة زفافه يهدئ من روع عروسه الباكية لقضت المتبقي من عمرها تندب حظه العثر.

أراح رأسه إلى الخلف مغمضا عينيه بإرهاق وأحداث الأمس تتوالى على رأسه

ففور انتهاء الزفاف وبعد أن أوصلوهم إلى الفندق الذي سيقضون به ليلتهم حتى الفجر حيث موعد الطائرة ،تشبثت بأهلها باكية بطريقة هستيرية أقلقتهم جميعا مما اضطره لدعوتهم للدخول

ورغم محاولات الجميع حتى حمزة الغيور الذي حاول معها إلا أنها ظلت متشبثة بأحضان والدة حمزة في الغرفة تبكي وفقط ولا تريد تركها أو التحدث معهم

إلى أن انتصف الليل فاستأذن منهم كي يبدل ملابسه وأن تستعد هي الأخرى حتى يلحقوا بموعد الطائرة

وعليها فور أن وصلوا إلى المطار وسيل من البكاء والدعوات من الجميع وكأنهم مهاجرين وأخيراً ركبوا

الطائرة لم تمهله فرصة التحدث في شئ وهي تميل برأسها إلى كتفه مدعية النوم حتى ذهبت فيه بالفعل

ويبدو أنه ذهب هو الآخر في النوم وها هو استيقظ على صوت تنبيههم استعداداً للهبوط

ربت على وجنتها بخفة كي تستيقظ حتى انتبهت وفتحت عينيها تناظره بدهشة حتى اعتدلت ووجنتيها تتوردان خجلاً من وجودها بين أحضانه

ابتسم وهو يميل عليها لاثما وجنتها وهمس بمشاكسه :_

"صباح الخير"

ردت تحيته بحياء فسألها باهتمام :_

"هل مازلتِ خائفة؟!"

هزت رأسها نفيا لكن داخلها كانت تقرع طبول الخوف، يا الله ماذا دهاها؟!، إنه شهاب ،نجمها البعيد الذي أصبح بين يديها لما الخوف ؟!

بعد ساعتين كانوا قد وصلوا إلى جناحهم بالفندق

دخلوا وأغلق الباب خلفهم ثم توجه إليها سائلا بحنان :_

"هل أنتِ بخير صغيرتي"

أومأت برأسها ورغبة عنيفة في البكاء تراودها مجددا.

يا الله ، أتراها عين حسود كما قالت نعمات؟!

لكن علاما يحسدونها بحق الله، كيف ستظهر أمامه إن بكت الآن بالتأكيد سيضجر ،فقد فعلت له أسطوانة النكد من أول ساعة في حياتهم الزوجية

وللعجب كان هو يفهم كل ما يدور في ذهنها عينيها اللتان تدوران في أنحاء الغرفة عداه ،يتفهم رهبتها وخوفها ،لا ينكر أن بعض الضيق ينتابه من تباعدها لكنه كان متوقع هذا على كل حال

ابتسم قائلاً بطريقة عادية كي يفك رهبتها قليلاً:_

"لما لا ندخل لنرى الغرفة "

اتبع حديثه وهو يضمها من كتفيها يحثها على التقدم معه للداخل

أثاث أبيض يريح النفس حتى الفراش شراشفه بيضاء ،منثور عليه ورود حمراء على شكل قلب وداخله أوزتين كبيرتان في وضع التقبيل

كتم ضحكته على حاله حتى لا يحزنها وهي تبدو بكل تلك الهشاشة حتى أن توترها وصل إليه ثم استدار إليها قائلاً بحنان

"سآخذ حماماً في الحمام الخارجي وأترك الخاص بالغرفة كي تكوني على راحتك ومن ثم نصلي"

بعد أن سلم من الصلاة ،التفت إليها فوجدها تلعب بأصابعها في خيوط السجادة

فاقترب منها حتى أصبح جوارها وقال بهدوء عاتب:_

"رنا هل تخافين مني أم تخافين من الأمر نفسه؟!"

قضمت شفتها السفلية مطرقة برأسها تهزها نفيا وهي تقول:_

"أنا لا أخافك "

استقام واقفا وهو يمد كفه إليها فرفعت رأسها إليه ، أومأ لها يطمئنها فوضعت كفها في يده تستقيم توازيه في وقفته .

احتواها بإحدى ذراعيه ووضع يده الأخرى على ذقنها يرفع وجهها إليه وهمس بتحشرج وعينيه تلمعان ببريق مغوي :_

"هل تعلمي أني إلى الآن لم أرى شعرك حتى ألا ترين ذلك ظلم يا صغيرة ؟!"

اتبع حديثه بأن بدأ يفك طرحة اسدالها وأتبعها بمشبك شعرها فانسدل مسترسلا حتى أسفل كتفيها ،ليس بالأسود ولا بالبني مزيج بين الإثنين به موجة طبيعية تزيده جمالاً

عاد بعينيه إلى عينيها الخجولتين هامسا بتأثر:_

"أنا لم أقل لكي كم أنتِ جميلة من قبل صحيح ؟! ، جميلة بدرجة أسرتِ بها قلبي كما لم يحدث أبداً ، عيناك بريئتين تحثان صدري على أن يخبئك بين ضلوعه "

زاد من ضمه إليها وهو يستشعر حاجتها بذلك ،مسندا جبهته على خاصتها وهو يتخلل شعرها بأصابعه مردفاً بعاطفة مختنقة أشرقت شمسها أخيرا للخروج:_

"حبيبتي إذا كنتِ خائفة قولي ولا تخجلي"

"حبيبتك؟!"

سألته بدهشة دامعة العينين وهي تتجرأ مُسنِدة كفيها على صدره ،فابتسم رافعا أحد حاجبيه وهو يهمس بعاطفته الهائجة نحوها:_

" أتسألين؟! بالطبع أنتِ حبيبتي الأولى والأخيرة يا رنا ، أنا أحبكِ بدرجة لم أكن أتخيل أبداً وصولي إليها بعد هذا العمر لكنكِ كنتِ منحة القدر "

أسبلت أهدابها بخجل يعززه أكثر هيبته الفطرية لكنها همست بنعومة بما تحتاج قوله دون تردد:_

"أنا أيضاً، أنا أحبك جدا يا شهاب"

تأوه مغمضا عينيها وهو يميل إليها هامساً بحرارة :_

"يائس أنا كلي إليك يا صغيرة ، فدعيني أخطوا إلى جنتك"

اتبع حديثه بارتشاف أنفاسها نفسٍ نفسٍ على مهلٍ حد الثمالة ،متذوقاً أخيراً ،رحيقها الذي طالما تمناه منذ أن أحبها ، يحتويها بعاطفة جياشة أذهلتها .

سيطر على خجلها وخوفها بسهولة جاعلاً إياها تغرق في بحر غرامه منقذاً إياها في شط عشقة وقد كانت ليلتها الأولى مع رجلٍ لو قضت عمراً على عمرها تسطر حبه لن يوفيه

بالصباح

رفرفة غريبة ناعمة متبتلة وشغوفة على كل إنش في وجهها تجعلها تقطب بين حاجبيها ثم تعود غارقة في غيمتها الوردية مرة أخرى حتى فتحت عينيها أخيراً

قابلتها عيناه اللامعتان ببريق عشقه .

ظلت على حالها ثوانٍ وكأنها لم تستوعب بعد وسرعان ما أغمضت عينيها بخجل جلب ابتسامة حنونة لشفتيه وهو يحتويها بين ذراعيه يرفعها قليلاً هامساً بحب:_

"صباح الخير حبيبتي"

اتبع جملته بقبلتين ودودتين على وجنتيها ثم عاد لعينيها مرة أخرى وقد فتحتهم أخيراً وهمس:_

"مبارك علي أنتِ يا راني"

"راني؟!" قالتها بدهشة مبالغة تبدد بها خجلها فأومأ برأسه وهو يقول:_

"نعم أُدَلِلك ،أنتِ راني خاصة شهاب ألم يعجبك ؟!"

ابتسمت قائلة برقة:_

"لا ، يعجبني لكن أين ذهبت صغيرتي؟!"

ضحك مداعبا أنفها بكفة ثم قال :_

"راني ،حبيبتي ،مدللتي وصغيرتي، أصبحتِ كل شئ"

أنهى حديثه ثم تناول وجهها بين كفيه وسألها باهتمام ذات مغزى :_

"حبيبتي هل أنتِ بخير "

أومأت برأسها ودقات قلبها تتسارع بلهفة كأنها تتسابق أيهما تلهج بالحمد أكثر

لقد فوجئت به بالأمس يحملها بحنان حتى وضعها أمام باب المرحاض تاركا لها خصوصيتها وقد أخبرها أنه أحضره لها

لقد كان حوض الاستحمام مليئاً ببتلات الورد ، المياه دافئة عطرة ،واضعاً كل المستحضرات الطبية التي تحتاجها وجانبا روب الاستحمام وملابسها

هل لها أن تحبه أكثر ،تعشقه أكثر، تذوب به حتى تتلاشى فيه

انتبهت من شرودها على صوته يقول:_

"رنا حبيبتي لا داعي للخجل بيننا ، أنتِ حتى تسبلين أهدابك كلما أحدثك ،حتى أنكِ منذ الأمس لم تتحدثي سوى بضع كلمات "

احتقنت وجنتيها ثم شبكت أصابعها ببعضهم وهي تعتدل في جلستها قائلة :_

"شهاب الفكرة أني أخجل من كونك أنت شهاب

ابتسم يداعب أرنبة أنفها بخاصته مغمغما بدفء عاطفته التي بدأت تسيطر عليهم م جديد :_

"فزورة هذه"

حركت يديها في توتر قائلة بدلال:_

"لا أقصد ، أنت دكتور شهاب ،هيبتك الفطرية ،يعني هكذا"

ضحك مخللاً شعره بأصابعه وهو يقول:_

"أي هيبة بحق الله لقد أصبحت زوجك ،شهاب ،شهاب وفقط انسي أي شئ إلا هذا المتيم بكِ"

لم يمهلها الرد وهو يغمرها بغزوة عشقٍ جديدة يثبت لها بأعمق الطرق كيف أن تتوحد فيه حد التلاشي..

□□□

يقضون ليلتهم مع والديه من أجل تلك العاصفة التي بدأت من الأمس

أنهت محادثاتها مع رنا والتفتت إليه تسأله :_

"هل نام والديك يا حمزة؟!"

"نعم لقد صلوا العشاء وناموا ، أولاد حلال والله"

نظرت إليه بشك تسأله بتوجس:_

"ماذا تقصد؟!"

اقترب منها قائلا بعبث:_

"كل خير دبدوبتي ،ألن نواكب المسيرة ؟!"

سألته بحيرة وهي تتمدد على الفراش بأريحية أغاظته :_

"أي مسيرة ؟!"

تناول كفيها بين كفيه قائلا بجدية مصطنعة:_

"مسيرة استغلال العاصفة في جعل المصريون مائة وخمسون مليون "

نظرت إليه بحيرة سرعان ما انمحت وعينيها تلمع بالإدراك ،وجنتيها تحتقنان خجلاً تقول بحنق تعنفه:_

"حمزة بالله عليك ألن تكف عن الوقاحة ؟! بالله عليك ارحم خجلي قليلاً"

امتعض قائلاً بنزق:_

"أقسم أنكِ ليس لكي في الطيب نصيب ، ألف واحدة أخرى تتمنى حمزة الوقح هذا "

خبطته بالوسادة قائلة بغيظ :_

"حسنا اشبع بهم "

"ولا مليون واحدة تغنيني عن دبدوبتي "

قالها بعبث يراقص حاجبيه بشقاوة فابتسمت رغما عنها مما جعله يقول متصنعاً الرجاء:_

"أيرضيكي أن نكون مائة وتسعة وأربعين مليون فقط والله عيبٌ علينا وعلى وطنيتنا مازلنا عرسان جدد"

"لا وأنت لا تحب أبداً أن تقصر بحق وطنيتك وهل يصح ؟!"

أغمض عينيه مأوما برأسه وهو يقول:_

"أبداً"

قبل أن يتحرك من مكانة كان والده يطرق باب غرفته قائلاً:_

"حمزة يا ابني هل مازلت مستيقظ؟!"

انفجرت ضاحكة من شكله مما جعله يضغط الوسادة على رأسها بغيظ قبل أن يقوم

توجه إلى الباب وخرج لوالده الذي قال له :_

"ارتدي شئ ثقيل يا حمزة وتعال معي للحديقة ننزع الماء ،يقولون أنها ستعاود المطر في الصباح مرة أخرى"

سأله حمزة ببؤس وقد ضاعت خططه :_

"ألم تكن ستنام يا بابا"

"لالالالا لم يأتيني النوم وأنا غير مطمئن، هيا أسرع وتعالى ورائي"

قالها الرجل وتركه واتجه إلى الخارج فدخل اليها ينظر لها بغيظ وهي تحاول السيطرة على ضحكاتها مما جعله يدفن رأسها في الوسادة قائلاً بغيظ طفولي:_

" أقسم أنكِ مستفزة "

□□□□

«مدينة إسطنبول مطعم المدينة »

ضمها إليه بحب مبتسما وهو يسألها بحنان :_

"هل أنتِ سعيدة الآن حبيبتي؟! ها قد جئنا إلى مطعم الشيف بوراك كما أردتِ"

"جدا شهاب ، أريد أن أتصور معه ؟!"

قالتها ببهجة فضحك وهو يسحب لها كرسياً كي تجلس وجلس هو الآخر قائلاً بمشاكسة :_

"دعينا نرى أولاً هل سنأكل خروفٍ محشو بورق العنب أم ماذا "

شاركته ضحكته وهي تنظر له بحب وكأنها تريد تقفز كالطفلة جالسة على ركبتيه تهلل بفرح

بعد دقائق من طلبهم للطعام التفتت على صوت مرأة مبتهج ورائها تتقدم منهم قائلة:_

" أوه دكتور شهاب البرعي في اسطنبول ما هذه المفاجأة الجميلة "

ابتسم وهو يقف يحيي المرأة بوقار ومن ثم تناول كفها بين كفه وهو يقدمها لها باعتزاز قائلاً:_

"مدام رنا زوجتي"

ثم التفت إليها قائلا :_

"حبيبتي هذه الأستاذة ". ." مذيعة بقناة ". ."

سلمت عليها مباركة لها ثم التفتت إليه ضاحكة وهي تقول:_

"لا أصدق حقا هل تزوجت ، لقد كنت معي فقط من عام تقريبا وقلت أنك إلى الآن لم تجد من تراها زوجتك"

ابتسم شهاب ناظراً لها بحب وهو يقول:_

"ها قد وجدتها"

بعدها دعاها للجلوس معهم لكنها استأذنت منهم متعللة بفريقها في العمل ينتظرونها ثم انصرفت

لاحظ تجهمها وصمتها فضيق عينيه يسألها :_

"حبيبتي ما بكِ"

"لا شئ"

قالتها بهدوء فضحك في نفسه وهو يقول:_

" هل بدأت لاشئ سريعا هكذا"

لكنه عوضا عن قول ذلك احتوى كفها بين كفيه وهو يقول بنبرة رخيمة:_

"حسنا أخبريني ما الذي حرمني من ضحكتكِ الجميلة ؟!"

ابتسمت تسأله بتوتر:_

"لا أقصد شئ ، لكن تلك المرأة قالت أنك كنت معها من عام ويبدو أنكم كنتم تتحدثوا"

سيطر على ضحكاته المستمتعة بصعوبة وهو يقول:_

"لم أكن أتوقع أبداً أنكِ ستكوني امرأة مصرية مائة بالمائة هكذا بحق الله نحن مازلنا بشهر العسل هكذا أنا لا أحتاج ضمان "

ابتسمت بخجل فتناول كفها يقبله وهو يقول:_

"حبيبتي لقد قدمتها لكي إنها مذيعة ، وكنت معها العام الماضي في برنامجها التليفزيوني "

اتسعت ابتسامتها فغمزها بمشاكسة واعتدل في جلسته لوصول الطعام

ليلاً

غازلها بعينيه وهي تَطُل عليه بذلك الفستان الذي طلب منها ارتدائه قبل قليل

تجمع شعرها جانبا ، وجهها خالي من مساحيق التجميل كما يحب ، فستان حريري من اللون الزهري دون أكمام بحمالة واحدة يصل إلى بعد ركبتيها بقليل ، تزينه ورود بيضاء صغيرة من جانبه ،حافية القدمين كعادتها التي لاحظها

هدأ الإضاءة ومن ثم شغل سيمفونية رومانسية لبيتهوفن ثم تناول كفها بين كفه يتلقفها بين ذراعيه يراقصها

همس بحب وجاذبية:_

"تأخرت رقصتنا قليلاً صحيح؟!"

"يكفيني أني معك "

صمتت ثوانٍ ثم أردفت هامسة:_

"أخبرك شئ!!؟"

أومأ بعينيه محافظا على حركتهم الرتيبة فتشجعت قائلة:_

"لقد أعجبت بك منذ اللحظة الأولى"

رفع أحد حاجبيه مبتسما وهو يقول بعبث:_

" حقاً ، إذا لم أكن وحدي الواقع في الأمر ،لقد كنا عالقين سوياً"

أومأت برأسها مبتسمة فتنحنح ثم سألها بمشاكسة :_

"إذا الصغيرة غارت اليوم صحيح ؟!"

"أليس من حقي؟!"

سألتها بدلال خجول فابتسم هامساً وهو يضمها إليه أكثر:_

"بل كلي حقك يا صغيرة"

لفهم الصمت دقائق ،عناق عينيهم حينها كان أبلغ من أي حديث حتى قطعه هو هامساً بحرارة :_

"أتعلمين من أنتِ؟!"

"من؟!"

"دلوعتي"

همسها وهو يقربها منه أكثر ،يدني من أذنها متبعاً همسه بالقصيدة كاملة ،وأنغام الموسيقي تُكلل غيمتهم الرومانسية أكثر فأكثر

دلوعتي خاصمتها صالحتها لما بكت وتوسدت أحضاني
ألقت علية القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني

دلوعتي خاصمتها صالحتها لما بكت وتوسدت أحضاني
ألقت علية القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني

إن الرجال فوارس لكنما لا سلطة تعلو على النسوان

دلوعتي خاصمتها صالحتها لما بكت وتوسدت أحضاني
ألقت علية القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني

عدنا نشاكس بعضنا حتى الصباح عاد المزاح والمزاج
كما يجب

خطفت بمكر هاتفي قفزت لصدري بدأ الحساب والتحري يا محب

من هذه صاحبتها كم نمرة ألغيتها كم حلوة بغيابنا غازلتها هيا اعترف يا حضرة السلطان

دلوعتي خاصمتها صالحتها لما بكت وتوسدت أحضاني ألقت علية القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني

أعد كم صعب علية عدهن فلأعترف مجموعة وتجمعوا في واحدة

هي أنت يا دلوعتي طيوبتي محبوبتي المتفردة المتجددة والمتوقدة

فتصافحت وجناتنا وتهامست أنفاسنا اشهد لنا يا حبنا هي أو أنا لا لن نضيع في الخصام ثواني

دلوعتي خاصمتها صالحتها لما بكت وتوسدت أحضاني
ألقت علية القبض مشتاقاً لها فتحولت عصبيتي لحناني

إن الرجال طيبون سادتي لا يجرحون مشاعر النسوان...

□□□□

فور أن فتح عينيه ربت وائل على كفه قائلاً بحنان :_

"سيد ياسر ما الذي حدث ،ما الذي جعلك تقع هكذا ؟!"

آه عميقة خرجت منه رغما عنه وهو يتذكر ما حدث ليلة زفاف ابنته يقصه عليه

فقد مر الزفاف كله بشكل طبيعي إلا النصف ساعة الأخيرة ،حينما مرت عينيه على ذاك الشاب الوسيم الذي كان يبارك لشهاب حين كانت ابنته بين الفتيات وبعدها بقي لوقت قصير مع ذاك الشاب الذي يدعى خالد

رعدة قوية مرت بصدره حينها ،جعلته يتجه إليهم بتوتر مبتسما وهو يقول بهدوء يخالف رعشة قلبه :_

"عفواً يا بني هل أنت قريب شهاب؟!"

ضمه خالد حينها وهو يقول:_

"نعم يا سيد ياسر ،حسن يكون من عائلتنا وهو صديقي"

وعليه الشاب لم يزد أو ينقص فقط ابتسم وأومأ له برأسه مما جعله يستأذن منهم

لكن توازنه اختل وعينيه تقع على تلك الوحمة التي ظهرت من قميص الشاب على عنقه وهو يلتفت جانبا ،مما اضطرهم لإسناده ومن حينها لم تزر عينه النوم حتى وقع غائبا عن الوعي

عاد من شروده على صوت وائل المندهش وهو يقول:_

"هل مازال أمر ذاك الظرف الذي أُرسل لك منذ فترة برأسك سيد ياسر رغم أني أكدت لك من بحثي عدم صحته؟!"

ابتلع ياسر ريقه قائلاً بوهن :_

"وكيف لا يكون في رأسي يا وائل ، هل تعرف معنى أن يكتب لك أحدهم أن رضيعك الذي تظن أنه توفي ابن أسبوعٍ هو شاب حي يرزق الآن "

تنهد وائل قائلاً:_

"لما لم تنبهني وقتها كنت جلبت لك كل معلومات هذا الشاب"

"لقد أرسلت أحد الحرس وراءه بالفعل وأكد لي أنه يقطن عمارة خاصة بعائلة البرعي"

مط وائل شفتيه وهو يسأله:_

"هل أنت متأكد من أمر تلك الوحمة؟!"

تحشرج صوته قائلاً:_

"إذا كذبت أنها نفس تلك الوحمة خاصتي يا وائل فكيف أن رنا عندها مثيلتها أيضاً؟!"

صمت وائل لدقائق ثم سأله باهتمام:_

"من أرسلت خلفه ؟!"

"عماد"

"حسنا اترك الأمر لي سأجلب لك كل معلومات ذاك الشاب من الإبرة إلى الصاروخ لا تقلق"

□□□□

بعد أسبوع

كوالالمبور ماليزيا برج المنارة

ضحكت بسعادة وهي تمسك الرينغيت بيديها "عملة ماليزيا" قائلة :_

"ألا ترى أنها تشبه عملات بنك الحظ يا شهاب"

ابتسم قائلاً:_

"صحيح حتى أنها تشبهها في الألوان "

بعد دقائق كانوا يدخلون مصعد زجاجي سيرتفع بهم يشاهدون فيه العالم من الأعلى

مجرد أن بدأ في الصعود تمسكت فيه خائفة وهي تقول بقلق:_

" شهاب أنا خائفة "

ضمها إليه مهدئاً:_

"حبيبتي لا تخافي ، أنسي أنكِ ستصعدين لارتفاع عالي تذكري أنكِ معي وفقط "

أدارها بين ذراعيه يوجهها للزجاج ظهرها يهنأ آمنا على صدره الرحب كي ترى المنظر المبهج وهو يتحدث كي يبدد خوفها :_

"تخيلي لو كان زفافنا تأجل قليلاً وكان يوم الإعصار"

ضحكت قائلة:_

"كانوا سيزفوننا باللودر كما رأينا بالفيديو الذي أرسله حمزة "

استدارت تنظر له وهي تقول:_

"تعلم لقد اشتقت لهم جدا ، وبالأخص حمزة لا أتخيل أني بعيدة عنه"

غيرة طفيفة مرت بصدره لكنه كبحها مبتسماً وهو يقول بمشاكسة:_

" ضربة قاتلة لكبريائي يا راني "

لمعت عيناها تناظره قائلة :_

"أنا أحب راني منك جدا ، راني خاصة شهاب"

غمزها قائلاً بعبث:_

"راني فقط "

"أنا سعيدة ، سعيدة يا شهاب ،أحبك جدا أريد أن أصرخ بها "

ليلا بالحي الصيني

شاورت له على تلك الفاكهة الغريبة وهي تقول:_

"شهاب ما هذه الفاكهة الغريبة ، أريد منها "

"من عيني يا جميلة "

اتبع جملته بأن ذهب واشترى لهم منها ،مسكتها بين كفيها تنظر لها بدهشة من شكلها الأحمر البيضاوي وتلك الأشواك الخارجة منها لكنها لا تؤذي ،حاولت تقشيرها لكنها لم تقدر فأخذها منها وقشرها لها ثم وضعها في فمها منتظرا رأيها

همهمت باستمتاع وهي تقول:_

"طعما لذيذ جدا ، افتح أخرى وتذوقها ستعجبك "

اقترب منها هامسا بحب وهو يميل على كفها يتناول المتبقي من خاصتها :_

"ولم أتناول أخرى بخيلة أنتِ"

ابتلعها باستمتاع ثم غمزها قائلاً :_

"جميلة ، أظن أنكِ أضفتِ لمذاقها مذاقاً صحيح؟!"

ضحكت بخجل وسألته:_

"ما اسمها؟!"

"أعتقد يطلقون عليها الدراجون فروت"

□□□□□

بعد بضعة أيام

إيطاليا_العاصمة_روما

بعدما أنهى عزف المقطوعة وجدها تقف أمام البيانو تنظر إليه وعينيها تلمع بشغف

اقترب منها مبتسماً وهمس:_

"أيعجبك؟"

أومأت برأسها وهي تبتسم فسألها بمشاكسة رجولية لا تليق إلا به:_

"البيانو أم صاحبه؟"

التفتت إليه مبتسمة فأحاطها بذراعيه وهو يقرأ إجابتها في نور عينيها دون الحاجة لسماعها

سمعها تسأله :_

"متى تعلمته ولم ؟!"

ابتسم وهو يقربها منه أكثر وقال :_

"أحب المغامرة في كل شئ وذات مرة كنت أتناول طعامي خارجاً وعازف المكان عزف مقطوعة جذبتني لأجد نفسي ألتحق بإحدى المدارس الخاصة بتعليم الموسيقي وتعلمته "

استندت برأسها على صدره وهي تشعر أنها امتلكت رجل بمعني الكلمة

رجل عشقها بعقله وروحه وقلبه حتى بعينيه التي ترى نفسها بها دائما

رفعت رأسها إليه وهو يقول بحماس :_

"لم لا أُعلِمك؟!"

"حقا ؟!" سألته بلهفة

فحثها بذراعيه حتى أجلسها على المقعد أمام البيانو وجلس جوارها ملتصقاً بها محاوطاً خصرها بأحد ذراعيه ،مستنداً بذقنه على كتفها ورأسه توازي خاصتها وإن ارتفعت عنها قليلاً

نظرت له بجانب عينها وهي تقول بمشاكسة اكتسبتها منه :_

"هل حقاً هكذا ستُعلمني ؟"

ابتسم طابعاً قبلة دافئة على وجنتها وهمس :_

"نعم هكذا فقط انتبهي"

اتبع قوله بأن حرك أصابع يده اليمنى على البيانو ببطء ثم همس:_

"هيا افعلي مثلها"

حاولت أن تفعل مثله ففشلت لذا تذمرت قائلة :_

"حقاً أنا فاشلة "

وضع كفه على كفها يحرك أصابعها ببطء بيده وكأنه يُعلم طفل رضيع كيف يخطو أولى خطواته هامساً بحزم حنون :_

"لا تقولي هذا أبداً ،حبيبتي ليست فاشلة "

تذمرت بدلال :_

"ألم ترى؟"

بحركة سريعة كان يُجلسها على ركبتيه فتعلقت بعنقه ضاحكة نظر في عينيها الجميلتين مبتسماً وهمس بدفء غزلي :_

"نعم رأيت "

أسبلت أهدافها في خجل فعانق أنفاسها لدقائق طويلة أنساها فيها العالم بأسره حتى تركها محتقنة الوجنتين تدفن رأسها في عنقه بخجل

تنحنح يسألها ضاحكاً يبدد خجلها قليلاً :_

"صحيح لم تجمعي شعرك هكذا عاليا

ابتسمت بخجل وقالت:_

"ليس لشيء فقط غسلته وتركته يجف حتى أمشطه لكني
انشغلت بالحديث مع ماما نعمات في الحديث
فاضطررت أن أجمعه هكذا "

ابتسم قائلا بحب :_

"يليق بكِ كل شئ وكأنكِ تضفين على الأشياء جمالك

تسارعت دقات قلبها بسعادة من حديثة فسألته بدلال يحق
لها :_

"حسناً هل إذا طلبت منك يوماً تمشيطه تفعلها أم تضجر؟

ابتسم يشدد من احتضانها وهو يستقيم بها واقفاً فسألته
بدهشة :_

"إلى أين نذهب ؟!"

دخل بها غرفتهم ووضعها على الفراش تحت أنظارها الحائرة ثم اتجه إلى طاولة الزينة متناولا فرشاة الشعر خاصتها واستدار متجهاً إليها وهو يلوح لها بالفرشاة ، جلس وراءها وفك شعرها ثم بدأ بتمشيطه

بعد فترة قصيرة كان انتهى ، فطبع قبلة عميقة على جانب عنقها ثم أدارها بين ذراعيه ،ينظر بغلالة الدموع الرائقة في عينيها قائلا باستنكار نافي:_

"تطلبين ؟ "

"لا أنتِ فقط تتمنين ، تمشيط شعرك وطلاء أظافرك، كحل عينيكِ وأحمر شفتيكِ "

"كلي لكِ وكلكِ لي"

تعلقت بعنقه تسأله بدلال:_

"لم أصريت على عدم مكوثنا في فندق وأخذت تلك الفيلا"

غمزها هامساً بعبث :_

"طبيعي ، نحن في روما "

ضيقت عينيها في تساؤل ،فاقترب منها أكثر مغمغما بحرارة وهو يتبع قوله فعلاً:_

"روما حيث مدينة العشاق يا جميلة وما أنا إلا عاشق"

□□□□

منذ يومين وهو متغير ، لا يحدثها سوى باقتضاب، شارد على الدوام ، يقضي معظم وقته بالعمل ولا يأتي سوى على النوم حتى الطعام لا يرغبه ، حين تسأله ما به يطمئنها أن لا شئ

ماذا يحدث بحق الله ، أغلقت مع والدتها مستغفرة فقد كانت تسألها ماذا تفعل وقد نصحتها والدتها ألا تضغط عليه فالرجال لا يحبون الزن

وعلى باب الغرفة كانت تقف تلك القردة الصغيرة تستمع إلى والدتها وهي تشتكي لجدتها من حال أبيها ،وضعت سبابتها بين أسنانها تفكر لا تدري ماذا تفعل هل تخبرها ما حدث عند جدتها منذ أيام ، ذكائها الطفولي يحذرها حتى لا يتشاجرا وقلبها البريء يحثها أن تقول لها عل أبيها يعود يلاعبها كما السابق ،لكن هل ستعاقبها ؟!

مطت شفتيها وهي تحسم أمرها ،تضم دميتها إلى صدرها وشعرها يتأرجح حول كتفيها حتى وصلت إلى والدتها وصعدت جوارها على الفراش ، وضعت كفها على وجنتها قائلة :_

"ماما أريد أن أخبرك عن ما يحزن بابا"

التفتت إليها رؤى بدهشة مبتسمة وهي تقول:_

"ومن أين تعرفي يا شقية؟!"

ثنت ساقيها أسفلها وسألتها بحذر:_

"هل ستغضبين مني إن قلت ؟!"

هزت رؤى رأسها نفيا وهي تربت على شعرها ثم قالت:_

"لا تخافي "

صمتت لدقائق ثم قالت:_

"تيتا زينب تشاجرت هي وأبي "

صمتت رؤى بترقب حتى لا تثير ريبتها تنتظر منها أن تُدلي ما عندها فأردفت الصغيرة ببراءة:_

"تيتا قالت لبابا أن يتزوج طنط حفصة ،وبابا تشاجر معها ثم أخبرها أنه سيتزوجها"

امتقع وجهها ونار حارقة تسري بعروقها حتى أن بعض الدموع طفرت في عينيها لكنها سيطرت على نفسها بصعوبة حتى لا تقلق طفلتها التي تسألها بحيرة :_

"هل معنى هذا أنها ستأتي وتعيش معنا هنا يا ماما؟!"

□□□□

لدقائق مسمر مكانه لا يستطيع الحراك وهو ينظر لها من شق الباب الذي يبدو أنها تركته نصف مغلقا ولم تنتبه ،

ضم قبضتيه بقسوة وهو يشعر أنه مكبل لا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر

بكاءها الآن يهزه هزا.

هذه امرأة لم تخلق للبكاء، بئس رجلاً كان السبب في أن تذرف دمعة من عينيها .

يعلم أن خسرانها القضية هزها، وزعزع ثقتها بذكائها وعملها المستقيم ،هو السبب في ذلك يعلم ،لقد جعلها تُخطأ بنفسها ،المعلومات المتوارية التي كان يسمح بأن تتكشف لها كان يفعل ذلك من أجل أن يكون الخطأ خطأها وتفشل في كسب القضية، لكن رغما عنه هو لم يفعل ذلك حبا في المال أو الشهرة لقد خاف عليها ،هؤلاء البشر هو أعلم بهم منها، لقد أقسم له الرجل إن لم يتصرف أن يُزيحها عن طريقة بطريقته فماذا عساه أن يفعل سوى أن يحميها

يعلم أن شعوره تجاهها ضربا من الجنون ،بالكاد يكبل ذاته عنها ،هو يحتقر نفسه كل ليلة من التفكير بها ، مهما بلغ به المجون ، لم يكن رجلا ينظر للنساء أبداً ، المرأة عنده خط أحمر لا يجب تخطي حرمتها فمابالله معها بلغ

من الحقارة دركها ، يلاحقها ،يفكر بها، يخاف عليها وهي امرأة متزوجة ، ملكا لغيره

ما الذي أتى به اليوم، لا يعلم ،فقط نظرتها له بالمحكمة بعد نطق الحكم كانت قاتلة ،لم يفيق إلا ووجد نفسه أمام مكتبها علها تصفح عنه ولو بنظرة تسامح عابرة.

زفر بإنهاك ومشاعره على شفا حفرة من الانهيار ،لكنه استجمع ذاته ،طبيعته الباردة وملامحة الجامدة وهو يطرق على الباب طرقه واحدة تلاها دخوله ...

رفعت رأسها بحدة وانتفضت واقفة وهي تتبين هويته، دارت حول مكتبها ووقفت أمامه صارخة بغضب:_

"أنت ،ما الذي أتى بك إلى هنا ، أنت حقير ،قذر ،لم أرى من هو أوضع منك"

"حسنا، سأمررها لكي تلك المرة لكن إياكِ أن تعيديها مرة أخرى"

" أتجرؤ !"

قالتها بقهر ،فرفع أحد حاجبيه وهو يفك ذر سترته جالسا على المقعد ورائه وقال:_

"لا أعلم ، ما الذي يزعجك ،قضية عملنا عليها نحن الاثنان وبالنهاية أنا من ربحتها ، ليست أول قضية تخسريها على كل حال"

مالت على سطح المكتب مستنده عليه قائلة بازدراء :_

"فقط لي سؤال واحد ، كيف تستطيع النوم ،ها؟! ، وأنت السبب في دموع رجل مسكين كالذي خسر القضية هل تستطيع النوم وأنت تضع رأسك على وسادتك ؟!"

"ليس لكي شأن بنومي أم عدمه، لا تجعليني أطمع في التفكير أنكِ تهتمين لتعبي"

قالها ببرود متهكم ،استفزها لأن تخبط على سطح المكتب بكفها صارخة بغضب :_

"أخرج من هنا ،لا أريد أن أراك مرة أخرى"

صدر لسانه في أحد وجنتيه وهو يحكها بسبابته قائلا بكسل :_

"مممم سأخرج نعم ،لكن للأسف سنتقابل مرة أخرى"

قبل أن ترد عليه ،اختلجت عضلة فكة بعنف وهو يسمع صوت عمر الغاضب يقول :_

"ماذا يحدث هنا وأنت ما الذي أتى بك هنا ...

الفصل السابع والعشرون

لقد كان بهيئة القضايا وعلم من ثرثرة الحديث هناك أن أكمل البدوي كسب القضية بذكاء يجذب الأنظار

جزأً منه حزن من أجلها والآخر ارتاح تلك الغبية ليست قدر هؤلاء أبدا ً

لذا أول ما أنهى عمله عزم على الذهاب إليها ومواساتها لعلّ وقوفه جوارها يرأب الصدع بينهم

وعليه مجرد أن صف سيارته أسفل مكتبها ،ضيق عينيه وهو يرى أكمل البدوي يدخل البناية مسرعا

تأهب بتوجس وهو يلحق به دون أن يراه وقد سمع حوارهم كاملاً حتى دخل عليهم قائلاً بتجهم ونبرة جامدة _:

"ما الذي يحدث هنا ؟!"

تحفزت عضلات الآخر ودقات قلبه تتناثر بوغز غير مريح أبدا ً لكنه سيطر على أعصابه مبتسما ببرود وهو يقول:_

"مرحبا يا باشا لقد تقابلنا مرة أخرى ،الدنيا قصيرة صحيح"

لم يرد على حديثه وهو يسأله باستنكار:_

"ما الذي أتى بك هنا إلى مكتب الأستاذة يا بدوي ألا تعلم أنها زوجتي؟!"

والتهكم من شيمه بالأساس فرد عليه وهو يضع يديه في جيبي سرواله قائلاً ببرود:_

"لم أعلم أن مكتب الأستاذة حكرا ً عليك فقط يا باشا ، أظن أنه مفتوح للجميع"

لوى عمر شفتيه باشمئزاز وهو يوازيه في وقفته قائلاً:_

"حسنا لكن استثني نفسك من الجميع هذه وتخرج من هنا الآن بلا رجعة فلا أريد رؤيتك مرة أخرى هنا او قريبا منها حتى"

هل سيُلام لو لكمه الآن مُنْفِساً عن ذلك الغضب الأسود الذي ينهش في صدره نهشاً الآن ؟! لكنه عوضا عن ذلك ،التقط هاتفه ومفاتيحه ورمقه بتهكم قبل أن يخرج ولم يغفل عن إلقاء نظرة أخيرة لتلك التي تركت لهم الجدال جالسة وراء مكتبها تضع رأسها بين كفيها .

فور أن خرج من المبنى ، أسند رأسه على الحائط ورائه مغمضاً عينيه يزفر أنفاسه بغضب وهو يضرب بقبضته على صدره حتى فتح عينيه ينفض رأسه بقوة محدثا نفسه بغضب:_

"أفق يا أكمل أفق ،ما تشعر به جنون بل ضرباً من الجنون "

بالأعلى بعد أن تركهم أكمل وخرج ،اقترب منها وتناول كوب الماء الموضوع أمامها كي يهدأ أعصابه قليلاً ثم وقف أمامها قائلاً:_

"هل لي أن أعرف ماذا كان يفعل البدوي هنا لما يأتي إليك من الأساس؟ "

ضمت كفيها إلي بعضهم تسند ذقنها عليهم وهي تقول:_

"هل جئتِ إلى هنا كي تسأل لم البدوي كان هنا؟!"

نقر على سطح المكتب بسبابته ومط شفتيه قائلاً:_

"لا لقد علمت بما حدث في القضية فجئت كي أكون بجانبك "

هزت رأسها بلامبالاة دون أن ترد فتنحنح قائلاً:_

"أظن بعد ما حدث في القضية آن الآوان لتقتنعي أن المحاماة ليست ساحتك فلتتركيها وتضعي في رأسك أن مكانك الطبيعي هو زوجة وأم و.. "

صمت قليلا ثم أردف مبتسماً:_

"وحبيبة "

ابتسمت بتهكم وهي تهب واقفة تلتقط حقيبتها ودارت حول مكتبها حتى وقفت أمامه قائلة:_

"مُخطِئ يا عمر بل آن الآوان لشيء آخر "

وقف أمامها يرمقها بتساؤل ، فأخفضت رأسها قليلا ثم رفعتها له قائلة باختناق:_

"آن الأوان لنقتنع أننا لا ننفع لبعضنا البعض ، أنا لن أترك عملي أبدا ً بل ما حدث زادني إصرار على ذلك ،وأنت لن تقتنع أبدا ً بمكانة عملي عندي"

"ماذا تعني؟!"

سألها بحذر فابتسمت قائلة :_

"أعني أني أنتظر ورقة طلاقي يا عمر وهذا قراري النهائي "

أنهت حديثها وتركته وخرجت مسرعة .

حكايتها هي وعمر فاشلة من البداية، قد تبدوا مثالية وناجحة من الخارج لكنها أبعد ما يكون عن ذلك بل هي فاقدة للتفاهم وتقارب وجهات النظر كغرفة زجاجية شديدة الجمال جهزتها بكل ما يلزم ووضعت بها شخص وأغلقت عليه النوافذ فأصبحت بلا فائدة لأنها فاقدة للأكسجين فلن يستطيع التنفس ونهايته هي الموت

* * * *

بعد فترة .....

منذ أن انتهت شهور زواجهم الأولى وعودته لعمله بانتظام ،المشفى والجامعة والعيادة الخاصة وهي تذهب أحياناً إلى بيت والديه تقضي اليوم معهم بحكم أن شقتها في التجمع السكني المجاور حتى يأتي ليلا يصطحبها

تنهدت بهم وهي تبكي مما ألم قلب والدته أكثر وهي تُهدئها قائلة:_

"صلي على النبي يا حبيبتي ،كل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، كما أنه ليس تخصصه على كل حال فقد استودعناه الله "

سيطرت على بكائها تقول من بين شهقاتها:_

"ولِم لم يأخذ أجازة يا ماما ، ماذا فيها لو استمع إلي وأخذ إجازة إلى أن يهدأ الوضع ، هل يعجبه حالنا القَلق هكذا"

هادنتها نعمات بهدوء قائلة:_

"ضعي نفسك مكانه ، كم من أرواح بين يديه هل يقول لهم اذهبوا لغيري أتموا ولادتكم عنده لأني خائف"

"لم أقل ذلك"

قالتها نهى بقلة حيلة فابتسمت والدته تداري قلقها وتطمئنها قائلة:_

"حبيبتي تفاءلي خير، انظري ماذا حدث لرنا وشهاب ،لقد كانوا في روما حيث تفشي الوباء ونجاهم الله"

قبل أن ترد عليها كان يدخل من باب الشقة مُلقياً السلام عليهم وهو يتوجه نحوهم

قبل والدته ثم اتجه إليها مقبلا رأسها وهو يجلس جوارها بإرهاق فسألته والدته بحنان:_

"حبيبي هل أحضر لك العشاء"

رمق وجهها المتجهم والمحمر من كثرة البكاء بطرف عينيه ثم التفت إلى والدته قائلاً وهو يستقيم واقفاً:_

"سلمت أناملك حبيبتي ،سنتناوله في شقتنا

بعد نصف ساعة

أغلق وراءه باب الشقة فقد مروا يشترون مشتريات للمنزل أولا ً

سبقته تفك حجابها وهي تلقيه على الكرسي ثم ذهبت بالأكياس إلى المطبخ تفض محتوياتها كي تحضر له الطعام سريعا

بدل ملابسه ثم ذهب ورائها إلى المطبخ وجدها تتحرك بآلية ،تكتم بكاءها بشكل ملحوظ لكنه لم يتحدث هو ليس لديه روحٌ الآن لدلال نهى أو النقاش معها

أنهى لتوه عمليتين ،وهذا غير اثنين مثلهم بالصباح في المشفى ،إضافةً إلى الكشوفات العادية ،جل ما يريده هو الطعام والنوم .

وعليه تناول طعامه دون أن يتحدث معها بضعة كلمات حتى ثم أوى إلى الفراش مرحبا بالنوم .

وحان الانفجار حيث تقف أمامه تناديه بصوت منفعل أججه بروده ،فاعتدل جالساً يمسح وجهه بكفيه قائلاً بهدوء مصطنع ،أبعد ما يكون عنه الآن:_

"ماذا تريدين يا نهى"

صرخت بغضب انفلت منها من كثرة توترها وقلقها كل يوم :_

"لا تكن باردا معي هكذا، طوال النهار وعقلي سيذهب من كثرة قلقي عليك، تقضي معظم وقتك بالعمل دون أن تفكر حتى أن تطمئني عليك "

"يا الله يا نهى أكاد أخذ أنفاسي من كثرة الحالات وأنتِ تريدين بين كل كشفٍ والآخر أهاتفك أقول لكِ أنا بخير ،هل أنا فارغ لذلك ! "

ونبرته توشي ببوادر غضب لكنها لم تهتم وهي تعاند قائلة :_

"ولم لا تأخذ إجازة ،لقد نبهت الدولة بالتزام المنزل "

"أنا طبيب، طبيب، لا تنطبق علي تلك القوانين ،بل أنا أعمل لأجل المرضى"

ونبرته ممطوطة وعالية وهي خائفة ،قلبها قَلِق فردت بانفعال :_

"حسنا وأنا لا أطيق ذلك ،جِد لك مخرج لقد سأمت من الجلوس طيلة اليوم أفكر في أمنك فقط وأنت لا تهتم"

وأججت غضبه هو لا يريد سوى النوم الآن فجابهها بغضب:_

"هذا أنا وهذه مهنتي وقد خطبتك فترة طويلة ،كنتِ تعلمين فيها ظروف عملي لذا لا أريد اعتراض الآن واخرجي واتركيني أريد أن أنام "

اتبع حديثه بالاعتدال في نومته على الفراش ،يرفع الغطاء على وجهه في إشارة أخرى لانتهاء الحديث ..

واستيقظ في منتصف الليل لم يجدها جواره ، دعك عينيه بإرهاق ثم نفض الغطاء عنه ونهض يفتح الأنوار ثم خرج من الغرفة

دخل إلى الحمام دقائق و خرج يبحث عنها فدلته عليها شهقات بكائها

تنهد مستغفراً وهو يتجه إليها حيث تجلس على الأريكة في غرفة المعيشة تبكي جلس جوارها يسألها بحنان :_

"حبيبتي لم تبكين؟!"

ارتفعت شهقات بكائها ولم ترد فضمها إليه قائلاً بهدوء :_

"هل تريدين مني أن أتخلى عن من يحتاجني؟!"

استدارت إليه وجهها أحمر من كثرة البكاء وهي تقول:_

"هل تلومني لأني خائفة عليك ،ماذا لو انتقل إليك الفيروس من إحدى مريضاتك ؟!"

ضمها إليه تحت ذراعه يمسح دموعها بكفه الآخر وهو يقول:_

"حبيبتي أنا آخذ احتياطاتي كما أنه الحمدلله إلى الآن لم تأتي إلى المشفى التي أعمل بها أي حالة مصابة بفيروس كورونا والله المستعان هي فترة صعبة لكننا سنتخطاها"

هدأت قليلا فسألها بتوجس:_

" اصدقيني القول يا نهى هل وجودي في العمل معظم اليوم يضايقك "

"أنا لا أنكر أني أمل أحياناً يا حمزة وأشتاق لك أيضاً لكن أنت لم تمنعني من الذهاب لأهلي أو أهلك وأنا التي لا تريد العمل "

مسح على شعرها قائلاً:_

"فقط تلك الفترة في البلد تمر على خير وسأنظم جدولي حتى أعود لكي مبكرا وبالنسبة ليوم مناوبتي في المشفى بإمكانك قضائه مع والديكِ كما اتفقنا"

وأخيراً ابتسمت فبادلها ابتسامتها يمرر عينيه على المئزر القطيفة القصير الذي ترتديه وهو يقول بعبث:_

"لكن ما كل هذا ، مئزر قصير وجورب برقبة لا أستطيع شكر سبل إغرائك لي"

ابتسمت بخجل فحملها بين ذراعيه ينظر إليها مبتسما بحب وهو يقول:_

"تعلمين أني أحب ضحكتك جدا ، أسنانك صغيرة مصفوفة بجوار بعضها تجعلني أريد أن أفعل أي شئ فقط لأرى ضحكتك "

****

فور أن استيقظت نظرت إلى الساعة جوارها فوجدتها العاشرة صباحاً ،شدت جسدها في إرهاق فهم لم يناموا إلا بعد صلاة الفجر ورغم أنه أخذ إجازة بسبب ظروف البلد وجلوسه ومتابعة عمله من المنزل إلا أنه يستيقظ مبكرا كل يوم حتى لو نام بعد منتصف الليل

التفتت تبحث عن كارت الصباح الملون الذي يتركه كل يوم جوارها على الجارور المجاور للفراش كي يكون أول ما تراه فور استيقاظها

التقطت الكارت الصغير تقرأ ما به مبتسمة بسعادة :_

"صباح الخير لكِ ولعينيك ،سحر شفتيكِ وعبق أنفاسك ولشمسِ أشرقت مع استيقاظك صغيرتي"

بعد نصف ساعة خرجت من الغرفة تبحث عنه فوجدته في المطبخ

وقفت تنظر إليه دون أن يراها ،يرتدي منامة قطنية كحلية اللون وخف منزلي ،يتحرك في المطبخ بهدوء دون أن يصدر صوت

همهمت باستمتاع من رائحة "البان كيك " الشهية فحدثها مبتسما دون أن يلتفت إليها :_

"صباح الخير يا جميلة ،لتوي كنت سأدخل لإيقاظك الآن "

اقتربت منه قائلة بلوم :_

" لِم لم تُيقظني كي أحضر لك الإفطار"

شدها إليه مائلا إليها يخطف أنفاسها لدقائق حتى انفصل عنها هامسا :_

"هكذا تكون تحية الصباح لا بالحديث بل عبق أنفاسك "

دفنت وجهها في صدره بخجل فضمها إليه بحنان وهو يقول:_

"دقائق وسنتناول الإفطار"

وبعد دقائق كانت تضع الأطباق على السفرة معه والتي لم تتناول منها سوى "البان كيك" المحلى بالعسل الأبيض والمكسرات بجانبه فنجان القهوة الذي أدمنته بسببه

سألته وهي تلتهم طعامها:_

" لم تصر على أن تجعلني أتناول القهوة بالنوتيلا بينما أنت تتناولها بمعلقة سكر واحدة "

حرك كفه على وجنتها بحنو وهو يقول:_

"رقيقة أنت ِ صغيرتي لا تتحملين مر القهوة ،يليق بكِ كل ما هو ملون والشكولاتة تعطي للقهوة بهجة ولون مثلك تماما ً "

عصرا تجلس بين ذراعيه يخلل كفه بين خصلاتها فسألها:_

"حبيبتي ما رأيك في أن نقضي باق الأسبوعين بشقتنا في البلدة؟"

رفعت رأسها إليه تسأله بقلق:_

"هل كلهم بخير؟!"

ابتسم قائلاً:_

"نعم لا تقلقي ، أمي اشتاقت لنا ،وبما أني إجازة فقلت لما لا نذهب نريح أعصابنا هناك "

"حسنا لنمر الليلة عند جدي وسأخبر حمزة كي يلحقنا هناك ونسلم عليهم جميعا ثم نسافر غدا "

★★★★

تحمد الله أنه وقت أن وشت لها فريدة ما حدث لم يكن موجود

حتى أنها تحججت بابنتها كي لا تبيت ليلتها في الغرفة معه وسقطت جوارها غافية

ومن يومها وعفاريت الدنيا ترغي وتزبد في صدرها ،لو كانت رؤى القديمة لصرخت عليه حتى سمعت والدته صوتها لكنها الآن تعلمت درسها بأقصى الطرق صعوبة

دخلت غرفتهم دون صوت تحاول أن تتحدث إليه بهدوء فجلست جواره على الأريكة الجانبية في الغرفة قائلة :_

"وائل أريد أن أسألك عن أمر "

أغلق حاسوبه وهو يلتفت إليها بتساؤل ،فصمتت دقائق ثم سألته بتردد:_

"هل عرضت عليك خالتي الزواج من حفصة مرة أخرى؟!"

لمعت عينيه بغضب وسألها بحدة :_

" من أين أتيتِ بهذا السؤال"

لعبت بطرف منامتها تحاول التحلي بأقصى درجات الهدوء الذي لا تمتلكه وهمست باسم ابنتها تنتظر رده

أسند مرفقيه على ركبتيه وهو يقول بغموض:_

"نعم هذا صحيح"

حسنا لن تغضب ولن تظلمه لذا عادت تسأله بهدوء مصطنع رغم ارتجاف شفتيها الواشية بمدى انهيارها الداخلي:_

"وهل أنت قلت لها أنك ستتزوجها فعلا"

زفر بخفوت وهو يومأ برأسه ولا يدري ما هذا البرود الذي تلبسه ،أيختبرها أم يختبر ذاته لا يفهم حتى أنه اندهش من أنها تركته وخرجت من الغرفة دون أن تنبت بشفتيها نبتة وحين لحقها وجدها تدخل غرفة فريدة التي تبيت ليلتها عند خالته وتغلق على نفسها دون حديث.

وحتى منتصف الليل يتحايل عليها كي تخرج أو تفتح له لكنها لا ترد حتى تذكر مكان نسخ المفاتيح الاحتياطية وفتح الباب وتسمر مكانه وهي تهب واقفة أمامه بحدة

شكلها المنهار يزلزله بل يرجه رجاً من الداخل ، دموعها تغرق وجهها كله وليس وجنتيها فحسب ،عينيها حمراوان قهراً وكأن العجز يكبلها ،شعرها على جانبي وجهها بشكل مُهمَل لكنه وللعجب مُلفِت وفاتن ،تنظر إليه وكأنها فقدت الأمل فيه وكأنها زهدته ،لطالما عهدها تبكي ،ترغي وتصرخ لكن أن يراها بكل هذا الانكسار ،صوتها المبحوح يرجه وهي تقول :_

"أنت لا تتغير، أنا لا أعلم ما الذي يجب أن أفعله معك ، لقد تعِبتْ منك ومن أفعالك ، ألا نهاية لما تفعل؟! قل لي ها!! ،

لا لالا أنا لا أكرهك أنا أصبحت أكره حبي لك ،هل ترى إلى أين وصلت بي؟!

شهقت تبتلع دموعها وأردفت من بين شهقاتها:_

"لما لا تتركني ،لا لالا، أنا لا أريدك أن تتركني ، أريد أن تستمر في ما تفعل حتى أكرهك ، أكثر ،حتى تقتل كل ذكرى حلوة بيننا هكذا ،حتى حين يخذلني قلبي ويحن لك ، أدهسه تحت قدمي ...

تنهد بهم ،زافراً أنفاسه ثم احتكر عينيها بنظراته التي لم تفشل قبلاً في احتضان عينيها قائلاً بقوة تمزج الحزم بالبرود، الحنان بالهدوء

"هل انتهيتِ؟!"

ضيقت عينيها بعدم فهم والدوار يلفها أثر البكاء وهو يقترب منها خطوة واحدة قائلاً بألم وصدق :_

"أُحبُكِ"

واللعنة عليها وعلى حبها له وضعفها تجاهه الذي نفضته بغضب وهي تقول:_

"لا تظن أنك ستضحك علي بتلك الكلمة هذا كان زمن

ومضى"

سحبها من ذراعها إلى فراش ابنتهم وجلس جوارها يقص عليها بهدوء كل ما حدث متغافلاً عن ذم والدته فيها حتى انتهى من سرد كل شئ وأردف بخفوت:_

"لقد تعلمت درسي جيدا يا رؤى، بالإضافة أني أعشقك إلا أني لن أفرط فيكي أنتِ وفريدة أبدا ً مرة أخرى ، الأمان الذي عاد لي بعودتكم لن أفرط به

روحي التي ردتيها إلي لا أنوي أبدا ً الاستغناء عنها "

★★★★

بالبلدة

عاد من الخارج فوجد زوجة أخيه بطريقة ، حياها ثم سألها بأدب :_

"أين الجميع يا أم عبدالرحمن ؟"

ابتسمت وردت عليه :_

"إنهم بالمضيفة جميعا ، حيث أتى أبناء عمومتك لزيارة والدك"

هز رأسه ثم سألها :_

"هل رنا بالأعلى أم أنها بإحدى الغرف هنا ؟!"

هزت رأسها نفيا وهي تقول ببساطة :_

"لا هي بالداخل تجلس بجوار والدتك في المضيفة "

أسبل أهدابه يخفي عنها لمعة الغضب بعينيه ثم شكرها هامسا واتجه إلى المضيفة ،دخل وسلم عليهم جميعا وجلس يرحب بهم

ثم بعد دقائق استأذن منهم وأشار لها بعينيه دون أن يلفت النظر كي تلحقه

ومجرد أن خرجت ورائه ، أمسكها من ذراعها يسحبها ورائه دون أن يلتفت لاندهاشها

حتى دخل بها غرفة جانبية ، دفعها أمامه برفق ثم أغلق الباب ورائه ، التفت إليها بحدة قائلا بغضب :_

"هل جُنِنْتِ؟، يا رنا ، أم أني أسرفت في دلالك؟!"

رمشت بعينيها ثم سألته بحيرة:_

"ماذا فعلت يا شهاب كي تعاملني وتتحدث معي هكذا "

ضرب كفيه ببعضهم واقترب منها وهو يقول بضيق :_

"وتسألي أيضا؟ كيف تجلسين مع الرجال هكذا ؟!"

اتسعت عينيها قائلة:_

"إنهم أبناء عمومتك كما أن والدتك كانت معي "

ضرب كفيه ببعضهم وغضبه يتصاعد منها وقال:_

"وتبرري أيضاً ، وما لكِ أنتِ وأبناء عمومتي كيف تجلسين معهم هكذا ؟، ألا تعرفين الأصول ؟، ألم تضعي في عقلك الضيق هذا مراعاة لرجُلك ؟"

تجمعت الدموع في عينيها وهمست بعتاب:_

"شهاب "

أفلت أحد ذراعيها وهو يضغط على الآخر بقوة آلمتها وقال بغضب محذرا :_

"إياك يا رنا حذاري أن تتكرر مرة أخرى أقسم ألا أضمن لكِ ردة فعلي حينها "

ثم تركها ببرود وهو يقول :_

"أنا سأخرج الآن لقضاء أمر سريع لن نبيت الليلة هنا كما اتفقنا"

أنهى حديثه ورماها بنظرة أخيرة غاضبة ثم تركها وخرج تاركا إياها تبكي ،منبها عليها:_

" ريثما أن أعود تكونين جاهزة "

أخذت تبكي بحزن وتراجعت حتى جلست على الفراش ورائها

يا إلهي شهاب لم يفعلها يوما وقسى عليها هكذا ما الذي حدث ، هي لم تقصد شئ ، لقد دعتها حماتها للدخول فدخلت معها ،حتى أنها لم تتحدث إليهم

انتبهت على دخول حماتها التي قالت بجزع حين رأتها تبكي

"يا إلهي ما بكِ يا ابنتي لما تبكي هكذا !"

مسحت دموعها وهي تقول بحزن :_

"لا تقلقي يا أمي لا شئ "

قالت حماتها بخوف:_

"هل شهاب بخير؟"

" اطمئني ماما هو بخير أقسم لكِ"

هبت واقفة وقالت :_

"أنا سأصعد لأبدل ملابسي لأننا سنسافر الآن"

سألتها حماتها بدهشة :_

"تسافروا أين ؟ أنتم ستقضون ليلتكم معنا وباق الأسبوع أيضاً "

ردت ببحة من أثر البكاء:_

"لا لقد قال شهاب أننا سنسافر اليوم "

قطبت والدته بين حاجبيها في حيرة ثم قالت بحزم :_

"ابنتي أريحي قلبي ماذا حدث ؟"

قالت بحزن وهي تعاود البكاء:_

"لقد غضب شهاب مني لأني كنت جالسة مع أبناء عمومته معكم "

ابتسمت أمه وهي تشدها من ذراعها تُجلسها جوارها وربتت على كتفها وقالت بحنان :_

"يا حمقاء إنه يغار "

قالت رنا بحزن :_

"لا يا أمي لقد وبخني كثيرا كما أنه غاضب جدا "

أخذتها والدته بين أحضانها وهي تربت عليها ثم قالت بحزم :_

"اصعدي لشقتك ولا تبدلي ملابسك واتركي هذا الولد علي أنا "

تحركت عينيها في تردد فضغطت على كفيها بحزم وقالت :_

"هيا افعلي ما قلت"

بالأعلى بدلت ملابسها وجلست على الفراش تنتظره تفكر فيما حدث ؟!

هي جربت غيرته من قبل وتعرفها جيدا ،شهاب جيد في كل شئ إلا في غضبه رغم أنه نادر إلا أنه حين يغضب يبدو أنه لا يرى أمامه !!

لن تنسى أبدا ً حين أخبرته أن عمر هو زوجها السابق ،لقد نظر لها لدقائق دون حديث وبعدها أشار لها بعينيه

في سابقة لم تحدث أن تركب سيارته ثم لف وركب على مقعده هو الآخر يسألها بهدوء مخيف:_

"هل ما فهمته صحيح ، عمر خطيب غدي الذي كنا نجلس معهم الآن هو الشخص الذي كنتِ مرتبطة به ؟!"

أومأت برأسها تنظر إليه بحيرة وهو يسألها بحدة :_

"ولما لم تنبهيني؟! حتى لا أتعامل بكل تلك الأريحية يا رنا ؟!"

أجفلت لثوانٍ لكنها ردت بسخرية لم تُرضيه قائلة:_

"وكيف أنبهك يعني يا شهاب هل أغمز لك أم ألكزك بكتفك"

نقر على المقود أمامه لثوانٍ ثم التفت إليها قائلا بتحذير :_

"لا تتحدثي معي أبدا بهذه الطريقة "

كتفت ذراعيها واستدارت برأسها تنظر من النافذة وهي تستمع إليه مردفاً بحدة :_

"أنت ِ لا تفهمين وجهة نظري ، جلسنا معا وتناولنا الغداء كل هذا وأنا كالأبله لا أعلم شئ هل تدركين موقفي"

تنهدت بضيق قائلة :_

"حسنا إلى الآن أنا لا أفهمك ولا أدرك أين خطئي أنا لم أكن أعلم أنه كان يجب على أن أرسل لك صورته التي لا أملكها من الأساس "

"أنا أغار عليكِ، أغار يا رنا فلتفهمي هذا "

والنبرة خشنة غاضبة و عالية بالنسبة لجلوسهم في السيارة وعليها لم ينطق بكلمة أخرى حتى أخذت سيارتها واطمأن أنها وصلت إلى المنزل برسالة قصيرة

لكن ما لم تتوقعه يومها هو مهاتفته لها ليلاً يتأسف عن ردة فعله المتطرفة بعض الشيء ،هكذا هو جميل لا يخجل أبدا ً أن يعترف بخطئه

غيرته شديدة ورجولية بدرجة آسرة تجعل قلبها يتلوى بين أضلعها لكنها تخافها .

عادت من ذكرياتها تمط شفتيها في ضيق وهي لا تدري متى سيأتي وماذا سيفعل

ليلاً

دلف إلى شقته بالأعلى بعد حديثه مع والدته

خلع حذائه ثم اتجه إلى غرفتهم، وجدها جالسة على الفراش يبدو على وجهها علامات البكاء ، زامة شفتيها في غضب

فلم يعيرها انتباه وتحرك ليبدل ملابسه ثم أطفأ الأنوار واندس جوارها على الفراش معطيا لها ظهره في صمت نظرت إلى ظهره بحزن وتمددت جواره تنظر إلى ظهره بعينيها الدامعة في حيرة

ألن يراضيها؟

مرت دقائق وكل منهم على حاله حتى بكت وارتفع صوت بكائها

فالتفت إليها في حدة هامسا بغضب:_

"لم تبكين الآن؟"

همست برقة وهي تمسح دموعها :_

" أنت غاضب"

عقد حاجبيه هامساً بحزم:_

"أنتِ أخطأت ويجب أن تعترفي بذلك"

"حسنا لكني لم أكن أقصد أقسم لك كما أني لن أكررها"

هز رأسه دون أن يرد ومازال وجهة على عبوسه ، فاقتربت منه تضع كفيها على صدره وهمست بدلال دامعة العينين :_

"شهاب أنا لا أحتمل قسوتك "

دفع يديها برفق وهو يوليها ظهره مره أخرى ويقول:_

"ليست قسوة يا رنا هي مبادئ واحترام لي قبل أي شئ وأنتِ لم تحرصي على ذلك "

استدارت هي الأخرى وكتمت وجهها بالوسادة تبكي ، هي لا تقدر على غضبه منها أبدا ً

لقد قالت لها أمه من قبل أنه حليم لكنه أيضاً حين يغضب يصعب مراضاته وهاهي ترى ذلك بعينيها

بعد دقائق حين زادت وتيرة بكاؤها شعرت به يحتضنها من الخلف بحنان هامسا:_

"لا تبكي "

استدارت له تنظر إليه بعتاب ،فهمس بحب وهو يمسح دموعها :_

" أبكيتك اليوم كثيرا صحيح؟"

أومأت برأسها في دلال طامع في الشبع من حنانه الفريد حد الرمق

قبل عينيها يمسح بشفتيه آثار دموعها ثم عانق عينيها بعينيه وهمس :_

"أنا أسف لردة فعلي ، كان علي أن أُعَلِمك بهدوء وتروي "

حاوطته بذراعيها ورفعت وجهها إليه تقول:_

"أنا أحبك يا شهاب ، أحبك أكثر من أي شئ في هذا العالم

اغضب مني ما شئت ، عنفني ، اصرخ علي لكن إياك أن تكرهني أبدا ً إياك "

ابتسم رافعا حاجبيه وقال:_

"ألا تبالغي قليلا صغيرتي عن أي كره تتحدثين سنمر بهكذا مشاكل دوما ونتخطاها معا كي تنجح حياتنا سويا"

ركنت رأسها على صدره الحنون تضم نفسها إليه بقوة تقول :_

"أخاف !!"

شدد من احتضانها يسألها بحنان :_

"مما تخافين حبيبتي ؟!"

"فقدانك "

همستها بألم فزفر بخفوت وهو يحتوي وجنتيها بكفيه يقربها منه هامسا بدفء :_

"طالما أنني على قيد الحياة لن تمر ليلة دون أن تعانق أنفاسك أنفاسي "

اقترن قوله بالفعل لثوانٍ حتى انفصل عنها ينظر إليها يطمئنها بدفء عينيه ،تحركت حدقتيها في رجاء واحتياج صامت

فاقترب حد اللا حد يطمئنها ، يدللها ، يحتويها ، يذيب أنفاسها بأنفاسه وبين ذراعيه يبدد خوفها بعاطفته ، بحبه وعشقه فليس شهاب البرعي من لا يلبي رجاء امرأته ...

★★★★

تجلس جوار والدتها يتحدثون وأطفالها يلعبون أمامهم سويا مع أبناء أخيها

سألتها والدتها بحنان :_

"ماذا فعلتِ مع حماتك يا حفصة "

تنهدت بهم قائلة :_

"ماذا سأفعل يا أمي أحاول طمأنتها أني لن أتزوج غير يحيى أبدا ً وأبلغتها أني أوصلت رفضي لمعاذ "

"هل فتحت أمامك موضوع وائل مرة أخرى ؟!"

اعتدلت حفصة في جلستها وهي تقول :_

"المشكلة يا أمي أني أرى أن الأمر يتعداني أنا ووائل ، أشعر وأشهد الله أني لا أريد أن أظلمها لكني أشعر أنها تريد انفصال وائل ورؤى بأي طريقة "

"لا حول ولا قوة إلا بالله ،هداها الله يا ابنتي "

قالتها والدتها وهي ترفع كفيها في وضع الدعاء ثم أردفت :_

"صحيح يا حفصة لقد اقترب المغرب لا تنسي الاحتفال الليلة "

قطبت حفصة بين حاجبيها تسألها:_

"أي احتفال يا أمي"

"احتفال ليلة الإسراء والمعراج يا ابنتي "

ابتسمت حفصة قائلة :_

"هي ليست ليلة احتفال يا أمي "

"كيف يعني"

سألتها والدتها باستنكار فابتلعت ريقها قائلة :_

"لقد ورد عن بن عثيمين وبن باز أن هذه الليلة غير معروفة ولم تكن معروفة عن السلف الصالح وما يتداول عن أنها ليلة سبعٍ وعشرين هو بدعة ولم يصح عن النبي ذلك كما أنه هو صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بها ولا صحابته ولا التابعين"

لوت والدتها شفتيها قائلة بتهكم:_

"لقد قلبتي لي فكري يا حفصة سامحك الله، أهذا يعني ألا أدعو"

ضحكت حفصة قائلة :_

"يا أمي وجود الله ليس مرتبط بيوم أو ليلة فلتدعي كل حين ولتصلِ على النبي كل ثانية لكن لا تربطيها بوقت "

★★★★

سحب نفسا كبيرا من تبغه ثم أخرجه قائلاً:_

"تلك المحامية تظن نفسها تستطيع النبش ورائي لكنها لا تعلم أني أستطيع أن أجعلها تبتلع لسانها هي وعائلتها"

رمقه أكمل بضيق وهو يسأله ببرود:_

"لا أعلم سر تمسكك أنت بالنبش ورائها لقد حذرتك من الاقتراب منها فلا تستفز شياطيني ،ما لك أنت أنك كسبت القضية وألا تستطيع هي الوصول لشيء يخصك"

ضحكة مقيتة أطلقها الرجل وهو يقول له مشيرا بسبابته:_

"يبدو أن قلب البدوي علق في الموضوع لكني أحذرك لن تجني من وراء قلبك سوى المرارة "

تجاهل أكمل نغزة قلبه المِصدِق وهو يقول ببرود :_

"اتركك مني وأخبرني ما علاقتك بزوجة شهاب البرعي ؟! فأنا بالطبع لا أصدق تلك الأوراق التي أطلعتني عليها "

أشعل سيجاراً أخرى وهو يلتفت إليه قائلاً:_

"صدق أو لا تصدق يا بدوي ابنة الجوهري عالقة معنا منذ زمن "

أومأ أكمل برأسه يجاريه كي يفهم سير أفكاره وسأله :_

"حسنا وما علاقتها هي ،ابنة الجوهري مجرد زوجة عمها"

شبك كفيه خلف رأسه قائلاً بابتسامة خبيثة:_

"ما لا تعلمه أنت أن غدي البرعي تموت ولا ينضر شهاب البرعي وأنا ....

لف لفة بكرسيه ثم اعتدل مُردفاً:_

"أريد أن أوكل غدي البرعي في إحدى القضايا"

انتفض أكمل واقفا وهو يخبط بكفيه على سطح المكتب أمامه قائلاً بغضب:_

"نعم ، أعيدها مرة أخرى ،منذ متى وأنت تأتمن غيري على سرك

إذا أردت الصياعة فلا تفعلها مع أكمل البدوي ، عملك القذر مثلك تعلم جيدا أن غدي البرعي لن ترضى به هذا غير أني حذرتك مراراً غدي البرعي خط أحمر فلا تستفزني"

همهم الرجل ببرود قائلاً:_

"أنا لا أستأذنك يا بدوي أنا أخبرك ،لقد أرسلت الأوراق بالفعل للأستاذة غدي"

سأله أكمل بتوجس ودقات قلبه تتصارع في وجل:_

"ماذا يعني هذا"

"يعني أنه إذا لم توافق المحامية المبجلة العمل معي سيعرف عمها وعائلتها كلها أن زوجة شهاب البرعي أحد أكبر أعضاء شبكة الدعارة الإلكترونية"....

الفصل الثامن والعشرون

أنانية ؟! ممكن

مغرورة؟! لن تنكر !!

أحبته!؟ نعم ربما تكذب على الجميع، ربما بها كل الصفات السيئة لكنها أبداً أبداً لم تخدع نفسها

نفرت منه كما يظن؟! لا تقسم على ذلك ، هي فقط صُدِمت في كل مرة كانت ترى ضعفه ، كانت تتصلب وكأن جنود تكبلها فلا تستطيع سوى الهرب

يظنها باعته ؟!!

تقسم أن لا هي ربما خافت عليه من ضعفها أمام مرضه، ربما خافت على نفسها ، ربما حبها لم يكن يكفي كما يظن

جبانة؟!

نعم هي تعترف ، رغم ظاهرها الوقح المتبجح لكنها بالأخير جبانة

خسيسة؟ خائنة؟؟ !

مر علقم ابتلعته بحلقها وهي تتذكر ما فعلته بزوجته ، هي نادمة

والله نادمة فقط كان حنينها له ولعلاقتهم هو ما كان يدفعها ويعميها عن أنها كادت تهدم أسرة وبيت

حرقتها وغيرتها أنه نسيها أعمتها عن أنها هي من تخلت

تعلقه الملحوظ بالأخرى أوغل غيرة غبية بقلبها من زوجة رغما عنها تعترف أنها استحقته أكثر منها

لن يصدقوها أبداً إن قالت أنها نادمة ومنذ متى وأحدهم يلتفت إلى هنا ؟!

حتى خالها شهاب القريب من الجميع ،لن يصدقها ،لقد حاول معها مرارا أن تتحدث

طلب منها أن تأتي لتريح أعصابها عنده بشقة العاصمة لكنها كانت ترفض بتعنت

لكن شهاب لا يفهم هي تحب خالها بل تعشقه لكنه أبداً لم يكن قريب منها مثلهم

ربما العيب منها بشخصيتها الانطوائية ،ربما هي منفرة وربما لأنها قريبة أكثر من عائلة والدها ولا تذهب عند جدها سوى بإجازة الأسبوع أحياناً يعني والإجازات العامة دائما

رفعت غرتها من على عينها ،تلم أطراف الشال حول أكتافها وهي تقف تستند على حائط الشرفة تنظر إلى المارة بعد أن كانت تجلس على كرسي

ضحكت وهي ترى الأطفال يكتمون أنفاسهم وأحدهم يرش عليهم ربما فلفل أسود أو شطة لا تعلم لكن من لا يستطع المقاومة أكثر ويترك أنفاسه يشمها فيعطس

فيجرون ورائه ناعتيه بالكورونا

أسندت رأسها على مرفقها ،تترك لدموعها العنان ،وفكرة واحدة تلتمع في رأسها وترتاح لها نفسها بعد كل تلك الفترة الماضية من الانعزال عن الجميع.

* * * *

باليوم التالي

الريف منزل الجد

حالما وصلت إلى بيت جدها تفاجأت بخالها شهاب وزوجته يجلسان في الحديقة مع جدها وجدتها

اقتربت منهم فكان أول من استقبلها شهاب وهو يقف يضمها إليه قائلا بحنان :_

"حبيبة خالها ،اشتقت لكِ"

قبلته على وجنتيه قائلة:_

"وأنت أيضاً جدا جدا ،حتى تلك الجميلة زوجتك اشتقت إليها أيضاً"

ابتسم الجد في رضا من بوادر تغير حفيدته الواضحة

بعد أن سلمت على رنا والجد ، أخذتها الجدة بين أحضانها قائلة توبيخ أمومي:_

"أين أنتِ يا فتاة ، أليس لكِ جدة تسألين عليها وتقولي سأذهب لأقضي معها ليلتين "

ضحك شهاب قائلاً:_

"أو خال اسمه شهاب ،لا ترد على اتصالاته ولا تهاتفه هي حتى "

بالأعلى

انسلت ريم من بين ذراعيه قائلة بتوبيخ :_

"عبدالرحمن هل تدرك أننا لم ننزل منذ عصر الأمس ،حتى تميم نزل دوننا لا يصح هذا"

تذمر وهو يقترب منها مرة أخرى قائلاً:_

"لا تفتري يا ريم ،لقد صعدنا حينما أتتني النوبة وعلى إثرها نمت ولم أستيقظ سوى في منتصف الليل"

نغزها قلبها وهي تتذكر هلعها حين أتته النوبة بالأمس وهم جالسين بالأسفل وتحمد الله أن رنا زوجة شهاب لم تكن موجودة حتى لا يجرحه ذلك فلم يكن موجود سوى الجد والجدة فقط

هذا الخبيث يستطيع بكلمة أن يجعلها تخضع له دون أدنى مقاومة

اقتربت منه تحتضن وجهة بكفيها قائلة بحنان :_

"هل أنت بخير حقا؟!"

ابتسم بحب وهو يقول بعبث صبياني جلب ابتسامة خجول لشفتيها:_

"ألم أثبت لكي طوال الليل كم أنا بخير؟؟!"

أدارت ظهرها تداري خجلها قائلة:_

"عبدالرحمن كفى عبثا وهيا ارتدي ملابسك لننزل إلى الأسفل "

احتضنها من الخلف يدفن وجهه في عنقها قائلاً بعبث :_

"لا أنتِ لم تطمئني بعد يجب أن أثبت لكي عمليا كم أنا بخير"

تعالت ضحكاتها الرقيقة رغما عنها فأنعشت قلبه، لكنها أحبطت أمنياته وهي تدفعه إلى الحمام قائلة بأمر وكأنها تحدث تميم :_

"هيا يا بودي في ظرف خمس دقائق تكون أخذت حمامك وأجدك أمامي "

تذمر وهو يغلق الباب خلفه فابتسمت وعينيها تلمعان بحب .

اتجهت نحو المرآة تضع يدها على نحرها حيث يقبع دلاية سلسال ذهبي باسمه

تفاجأت بتميم يعطيها لها يوم عيد الأم قائلا أن عبدالرحمن أخذه ليشتروها سويا

كم هو جميل ،طفل مدلل تحبه وللأسف يبدو أن قلبها أصبح يثق في حبه شيئاً فشيء

خرج من الحمام يجفف شعره بالمنشفة فالتفتت إليه قائلة :_

"اسبقني إلى الأسفل ، سأضع الغسيل بالغسالة وأُخرِج كيس لحم من الفريز حتى نتناول الغداء حين نصعد أم تريد لحوم أو كفته "

وقف جوارها على المرآة يمشط شعره قائلاً:_

"ربما نتأخر في الأسفل ، كفتة ومكرونة أو خبز أسرع"

أومأت برأسها واستدارت متجهة إلى الخارج ،تنهي ما ورائها سريعا قبل أن تنزل

فور أن نزل إلى الأسفل

لم يجد أحد فأذعن أنهم بالحديقة لذا خرج من الباب الخلفي ذاهبا إليهم

قابله خالد يتحدث في الهاتف ويبدو أنه لتوه وصل من العمل، فهو منذ أن عمل مع ذلك الرجل قريب شهاب وقد على اسمه هو وحسن بعد أن أصر على أخذه معه وأصبح مكتبهم يعمل جيدا وذات اسم

لكزه بكوعه في خاصرته فردها له خالد مما أضحك الاثنان ومضى كل منهم في طريقه

قطب عبدالرحمن بين حاجبيه وهو يرى هنا ابنة عمته تجلس معهم مما أصابه بالتوتر ليس من أجلها ولكن من أجل ريم فهو بالكاد يحاول أن يكسب ثقتها

تقدم منهم ملقيا التحية على الجميع دون أن يخص أحد بها وجلس بين جده وشهاب ينظر في هاتفه

ربت جده على ركبته ومال عليه يسأله بخفوت قلق:_

"بني هل أصبحت بخير؟!"

أومأ برأسه ورد عليه يطمئنه :_

"بخير يا جدي لا تقلق ، أين تميم "

"لقد أخذته والدتك معها للأعلى "

جانبا ، توترت فور أن أبصرته، تحرك قلبها وارتفعت دقاته لكنها أجبرت نفسها بحزم ألا تنصت لهواها فلن تجني سوى الألم ،لقد أتت في مهمة محددة ولن تتوانى عنها حتى وإن كانت صعبة على نفسها ،لذا شدت قامتها واقفة وهي تسأل:_

"هل الدكتورة ريم بالأعلى؟!"

رفع رأسه بسرعه وهو يسألها بقلق:_

"لم تسألين عنها؟!"

عضت على صدغها تكبح ألمها المتصاعد وابتسمت باصطناع قائلة :_

"لا تقلق ، أريدها في أمر هام يخصني "

غمز شهاب لوالده فأومأ له الجد يطمئنه وقال:_

"اصعدي حبيبتي هي بالأعلى في شقتها"

نظرت إليهم رنا في حيرة ، تشعر أن هناك شئ غريب لكنها لاتصل إلى ماهيته لكن على كل حال هي لا تتدخل فيما لا يعنيها ...

بالأعلى

سمعت صوت جرس الشقة فحدثت نفسها بغيظ قائلة :_

"أقسم أنه لن يتوانى إلا بعد أن يفضحنا "

وقفت وراء باب الشقة وفتحته قائلة بسخرية :_

"هل نسيت المفاتيح وصعدت لتأخذها"

توجست حين لم يرد عليها أحد ،وقبل أن تتحدث امتقع وجهها وهي ترى وجه هنا يطل عليها قائلة :_

"أنا هنا يا دكتورة ، أتسمحين لي بالدخول؟!"

أشارت ريم لها بيدها وأغلقت الباب وهي مازالت في حالة صدمة من وجودها أمامها الآن.

هي تحاول أن تتناساها وتنحيها عن تفكيرها فتجدها أمامها وهنا في شقتها !؟

ابتسمت ريم بمجاملة تسألها:_

"ماذا تشربين؟!"

هزت هنا رأسها نفيا قائلة:_

"لا أريد ، أنا جئت اليوم من أجلك ، أريدك في كلمتين وأذهب"

جلست ريم أمامها في صمت لا تدري ماذا تقول هي لن تدعي ذوق أو رقي لا هي لا تطيقها بل لا تطيق حتى أن ترى وجهها

تنهدت مبتلعة ريقها وهي تقول بنبرة خرجت متهدجة رغما عنها :_

"أنا آسفة ، أعلم أن حتى أسفي لكِ الآن سيكون تبجح ، كدت أهدم بيتك بكل أنانية "

لسعت الدموع عينيها فرفعت رأسها قائلة:_

"آسفة أيضاً لما سأقوله الآن ، كنا نحب بعضنا من المرحلة الإعدادية

رفعت ريم لها رأسها بحدة وهي تقول بسخرية تخالف تلك النار الحارقة التي تنهش قلبها الآن :_

"هل أتيتي الآن تقولين ذلك ،لأعلم أني الدخيلة على قصة حبكم المرموقة"

ابتسمت هنا بسخرية قائلة:_

"هو لا يحبني بالأساس يا دكتورة ، اصبري علي في حديثي من فضلك "

أطرقت برأسها وأردفت بألم:_

"كنا حبيبين أقرب للصديقين، لا أنكر أن طبيعته الحنونة جعلتني أنظر بكل أنانية لما يعطيه لي فقط لذا حين جاء الوقت ليأخذ مني كانت يدي فارغة فهربت بكل جبن مؤمنة بكلام والدي أنه حب مراهقة وسينسى كل منا وسافرت مع أبي بعد أن تركته مباشرة مانعة عن نفسي أي أخبار عنه بقصد سوى الأخبار العادية ،زواجه وإنجابه وأيضاً كنت لا أفكر وساعدني ذلك عدم وجودي في الصورة"

تناولت كوب ماء موضوع أمامها مرة واحدة ثم شبكت كفيها قائلة:_

"وحين عدنا لمصر مرة أخرى ،غيرة مجنونة نشبت بداخلي وأنا أرى تعلقه الواضح بكي لذا فعلت ما فعلت لا داعي لأن أعيده فأنتِ كنتِ شاهدة على كل شيء، لكن ما

أريدك أن تعرفيه هو يحبك ،بل يعشقك كما لم يحدث له من قبل "

"لا حاجة لي بشهادتك أنا أثق به"

قالتها ريم ببرود وهي تتمنى أن تنتهى تلك المقابلة التي استنزفت مشاعرها الآن

وقفت هنا قائلة:_

"جئت أخذ السماح منكِ ، لا أريد تقبلك لي فقط سماحك ، أنا نادمة أقسم أني نادمة ، إذا كان يرضيكِ عدم وجودي هنا في بيت جدي مرة أخرى أمامك سأفعل فقط سامحيني"

وازتها ريم في وقفتها وهي تستشعر صدقها لكنها لم ترد ،لا يوجد عندها رد لذا قالت بعد دقائق:_

"وجودك أو عدمه لا يعنيني يا هنا وبالنسبة لسماحي لكِ أتركيه للأيام عسى أن تجعلني قادرة عليه "....

□□□□

ليست على حامٍ ولا على بارد كما يقولون ، منذ العصر وهي تسير تارة وتجلس تارة ، الألم يهاجمها والدموع تسيل على وجنتيها

الكهرباء مقطوع وشحن هاتفها فرغ ولا تدري ماذا تفعل

تمتمت بالحمد وهي تسمع صوت تكة المفتاح وصرخت باسمه فور أن دخل من الباب

اقترب منها جاثيا على ركبتيه أمامها يسألها بجزع :_

"ملك حبيبتي ما بكي"

"أموت يا حسن ، أموت من الألم لا أعلم هل ألد أم لا، أشعر أن روحي تُنزع مني"

شحب وجهه وتجمدت الدماء في عروقه هلعاً لكنه تمالك نفسه وهو يتجه جهة باب الشقة قائلاً بهدوء مصطنع خوفا من زيادة توترها:_

"حبيبتي اهدئي"

سأوقف سيارة أجرة وأخذك إلى الطبيب ، فور أن خرج تسمر مكانه وهو ينظر إلى ساعته

الساعة السابعة والنصف الآن ، أي أنه لن يجد سيارة بسبب حظر التجوال

يا الله يا الله ماذا يفعل ، تناول هاتفه سريعا يتصل على خالد كي ينجده

وبالتوازي يجلس خالد معهم لكن بذهن شارد ، رن هاتفه برقم حسن ،فانتفض واقفا فور أن رد عليه وأتاه صوت حسن الجزع

سأله عبدالرحمن بدهشة :_

"خالد ماذا حدث؟!، هل حسن بخير "

" ملك زوجته تلد ولا يعرف كيف يتصرف فلا توجد مواصلات"

"حبيبتي يا ابنتي " شهقت بها الجدة تضرب صدرها بكفيها في قلق فهدئها شهاب ووقف قائلاً :_

" حسنا هيا نذهب له "

"هل معك كارنيه النقابة ، كي يسمحوا لسيارتك أن تمر ؟!"

سأله عبدالرحمن في قلق

أومأ شهاب برأسه وقال وهو يركض نحو الأعلى:_

"سأصعد لأجلبه "

وعليه وقفت ريم تقول :_

"أنا سأذهب معهم يا عبدالرحمن أجلب لي عباءة من الأعلى سريعا"

أومأ برأسه مسرعا هو الآخر فلحقته وهي تقول:_

"ومحفظتي يا عبدالرحمن من أجل الكارنيه"

"استر يارب"

قالها الجد في قلق وأمن الجميع فسألتهم رنا بدهشة وقد انتابها التوتر هي الأخرى :_

"من حسن ؟!"

ردت عليها حماتها قائلة :_

"إنه صديق خالد وليس له أحد غيرنا"

بعد ساعتين خرجت لهم الممرضة تطمأنهم قائلة :_

"ألف مبروك صبي وفتاة مثل القمر بارك الله لكما فيهم"

تنفس الجميع الصعداء متمتما بالحمد واقترب حسن منها يسألها :_

"ووالدتهم هل هي بخير؟!"

" بخير لا تقلق ، الطبيب يخيط الجرح وستخرج لكم ،والطفلين بعد أن حممتهم المساعدة وضعناهم تحت المدفأة كما أمر الطبيب"

تركتهم وذهبت فاقترب كل من عبد الرحمن وشهاب وخالد يباركوا له

ودقائق وخرجت لهم ريم التي أصرت على حضور الولادة من أجل حسن

ابتسمت وهي تقول:_

"مبارك يا حسن ، تبارك الله قطعتين من الجنة"

فجراً

في الغرفة التي يقضون بها ليلتهم في غرفة خصصها لهم الطبيب

يجلس أسفل قدميها يدلكهم لها كما أمر الطبيب ، تتألم بخفوت فهمس بحنان :_

" حبيبتي هل أجلب لكي الطبيب يعطيكِ مسكن؟!

هزت رأسها نفيا وهي تشعر بثقل رأسها فسألته قبل أن تغفو :_

"حسن ، أمي يا حسن ستحزن لعدم حضورها معي وإخوتي أيضاً سيتفاجئن هكذا"

استمر فيما يفعل وقال:_

"لقد هاتفتها فور أن خرجتِ من العمليات يا ملك ، وطمأنتها وهي قدرت الأمر ، لم أكن أستطيع جلبها بسبب الحظر فقط يشق النهار وأوصيت خالد أن يمر لجلبها وهي قالت أنها ستخبر إخوتك لا تقلقي"

قبل أن ينهي حديثه كانت قد ذهبت في النوم ، فاقترب منها مقبلا رأسها وهو يشعر بها قطعة من روحه أكثر من أي وقت مضى تركها وذهب إلى تلك القطعتين الصغيرتين على الفراش الآخر"

قلبه يسبق عينيه إليهم وهو يجلس جوارهم مائلا عليهم يتشممهم في ولع هامسا بحرارة وتأثر:_

"هل تدركون أنكم كنزي الصغير؟! كنزي الذي بقدر ما أخافه فأنا أعشقه.."

لف بعينيه لها ملامح صغيرة منمنمة تغريك للقضم ، بشرة حمراء دافئة رائحتها مثل الجنة ، عينين صغيرتين تنظران له وكأنه كائن فضائي يخالف العالم الدافئ الذي خرجت منه من رحم والدتها ، مناغاة رفيعة يتلوع لها القلب من حلاوتها وهي تغمض عينيها مرة أخرى

قبل وجنتيها متأوهاً ألماً لذيذاً وغمغم :_

"يا الله أنتِ يا صغيرة ، أنتِ يا صغيرة أنتظرك منذ زمن حتى يُطيب نقاء قلبك جروح روحي "

اتبع حديثه بقبلتين مثليهم على وجنتي أخيها الذي يستكين نائماً براحة وكأنه لم يخرج ل الدنيا بعد وهو يقول بحب:_

"وأنت يا رجلي ، نعم رجلي ، سأفعل المستحيل حتى لا يعيرونك بي "

دمعت عيناه وهو ينقل القبل بينهم بالتساوي ،يتشممهم بهوس حتى فتح الإثنين عينيهم الصغيرة وكأنهم متفقان يناظرون هذا الكائن الكبير أمامهم بحيرة

وليتهم يعلمون أن نظرتهم تلك فعلت بقلبه الأفاعيل

□□□

لم تذهب إلى المكتب منذ طلاقها هي وعمر بل الأحرى هي لم تخرج من غرفتها ،من يومها تراجع نفسها مرارا نادمة على دخولها تلك الزيجة من البداية ، لن تكذب أنها أحبته لكنها أيضاً لن تنكر أنه مس نقطة بقلبها نغزتها بألم فور إجرائهم إجراءات الطلاق وبالأخص نظرته المتألمة لها، لقد انفجرت باكية فور أن ذهبت إلى البيت

لم تهدأ إلا بعد أن طلبوا لها شهاب فأتى لها يومها على الفور ولم يتركها إلا بعد أن نامت ...

أنس ووالدها أيدوا خطوتها ، شهاب عاتبها على الأقل في موافقتها من البداية على عقد القران أما أمها غاضبة منها تندب حظها على ابنتها المطلقة ولم تدخل دنيا بعد..

انتبهت على صوت السائق ينبهها أنهم وصلوا فأعطته حسابه ونزلت ترتدي نظارتها الشمسية تداري عينيها واتجهت تركب المصعد إلى مكتبها

دخلت وألقت السلام على مساعدتها تسألها عن إذا جد جديد فأخبرتها سريعا وقبل أن تدخل غرفة مكتبها نادتها قائلة :_

"أستاذة غدي "

التفت إليها في تساؤل ،فتناولت ظرف كبير من على مكتبها وناولته لها قائلة :_

"لقد وصل هذا الظرف لكي منذ فترة"

شكرتها ودخلت تجلس على الأريكة الجانبية ، وضعت حقيبتها وفتحته تنظر إلى ما به بحيرة

اشمأز وجهها لما رأت ورغبة تقيأ عنيفة واجهتها لما أمامها ، أزاحت تلك الصور جانبا وتناولت الظرف الصغير أسفلهم تفضه سريعا وارتفعت حرارة وجهها غضبا وهي تقرأ المكتوب به

" كيف حال بطل عائلة البرعي ، بما أن تلك الورقة وصلت ليدك إذا رأيتِ ما قبلها

تلك المحادثات الإلكترونية المصورة ، لا أعلم هل لفت انتباهك أحد الأرقام أم لا حسنا سأسهلها عليكي دون أرقام

انتظري يا أستاذة لا تسُبي ، كي تري القذارة على أصولها افتحي الظرف الأسود وأنا في انتظارك

رفعت عمران"

مزقته نصفين بغضب وهي تبحث في المغلف الكبير عن ذاك الظرف الأسود وإلى الآن لا تفهم شئ فقط رائحة شئ نتن مثله في الأجواء

أخرجته سريعا تفتحه فسقط من يدها تهز رأسها نفيا وهي ترى صور لرنا زوجة شهاب مُرفقه مع محادثات أخرى

طنين أذنها يرتفع ودموعها تنزل على وجنتيها وهي لا تشعر

بالتأكيد هناك شئ خطأ، نعم بالتأكيد هذا القذر يلعب بها

هدأت قليلا تحاول أن تجمع أفكارها وهي تقول بثقة :_

"اهدئي غدي بالتأكيد هناك شئ خاطئ، هذا الكلب يستفزك ،لعبة قذرة تم تكرارها في الأفلام آلاف المرات لن تخدعك "

مسحت دموعها ،وهي تتناول تلك الأوراق والصور سريعا تضعهم في حقيبتها بعنف وتخرج مسرعة آخذة أول سيارة أجرة وقفت لها

طوال الطريق وهي تفكر ولا تدري ماذا تفعل ، هل من الصواب ذهابها إلى ذاك الكلب !!

أخذت تفرك كفيها وهي تشعر بالإعياء، إلى الآن لا تصدق هول ما رأت هي حتى لم تواصل القراءة ، لا بالتأكيد لا رنا الرقيقة التي خطفت قلب شهاب البرعي لن تفعل ذلك

نصف ساعة وكانت تعطي الكارت خاصتها لمساعدة تتظاهر بالهدوء دون أن تتخلى عن نظارتها على عينيها...

قبل قليل بالداخل

"مبارك يا بدوي "

نظر إليه باستفهام دون أن يتحدث ،فابتسم رفعت بسماجة وهو يقول بتهكم:_

"لا تخبرني أنك لم تسمع عن طلاق الفرسة من الرائد "

رمقه أكمل ببرود وهو يقول:_

"ليس من شأنك يا عمران ، وأحذرك للمرة الألف بنت البرعي خط أحمر فلا تتحداني، أحمد الله أنها لم تلتفت لما أرسلت"

قبل أن يرد عليه ،دخل عليه مساعده يعطيه الكارت ، فأومأ له سريعا وعينيه تلمع بظفر وقال :_

"أدخلها فورا "

يبدوا أن القدر يساعده لتأتي وبن البدوي هنا فحمايته المزعومة تلك لن تنطلي عليها وهو جالس بنفسه في وكر الشيطان

دقيقتين وكانت تدخل من الباب ،رجعت خطوة وهي تبصر أكمل ينظر لها بتفاجئ وهو يهب واقفا فور أن رآها

لم تعيره اهتمام وهي تنظر للآخر بقرف قائلة :_

"دعنا ننهي هذا الحديث سريعا واصرف هذا "

ضم قبضتيه بقوة يسيطر على غضبه لكنه لم يستطع السيطرة على نفسه وهو يقول بصرامة:_

"أنتِ ما الذي أتى بكِ هنا "

"عفواً؟!"

قالتها بتهكم وأردفت ساخرة :_

"ومن أنت لتسأل، آه صحيح نسيت حقك أن تتعجب،
مكان يضمكم أنتم الاثنان كيف لي أن أدخل تلك القذارة "

"اخرجي من هنا"

قالها آمراً من بين أسنانه بغضب لأول مرة يراه الاثنان
من جانبه لكنها لم تهتم وهي تنظر للآخر قائلة :_

"ألم تطلب أن آتي إليك ؟! ها أنا هنا "

لف حول مكتبه بقامته الرشيقة التي تعطيه عمرا أصغر
من عمره ووقف أمامهم قائلا بهدوء:_

"لا داعي للشجار يا أساتذة "

ثم التفت إليها قائلاً :_

"لا داعي لخروج البدوي فقد اطلع على ما وصلك قبلك أنتِ"

سبه أكمل في سره وهو لا يدري أي قذارة يلعبها هذا القذر هذه المرة لكنه حافظ على واجهته الباردة حتى يفهم جيدا وعلى جثته أن يخرج ويتركها هنا وحدها معه ولتركبها عفاريت العالم لا يهم

حتى تلك النظرة المشمئزة التي رمته بها الآن لا يهم ليست أول مرة على كل حال

وجدها تلتفت لرفعت قائلة بثقة وهي ترمي الأوراق بوجهة حتى تناثرت على الأرض أسفل قدميه:_

"هل تظن أني سأصدق تلك الأوراق وما فيها فلتبلها وتشرب مائها"

أصدر رفعت صوتا رافضا بلسانه وهو يقول بصوت كسول:_

"لا تجعليني أشك في ذكائك يا أستاذة، ليس رفعت عمران من يلقي ورقة غير رابحة "

هي خائفة وهو يقرأ خوفها لكنها تكابر ببراعة تحسد عليها حتى لا تُظهر لرفعت ذلك

كتفت ساعديها وهي تقول:_

"حسنا وإن كان صحيح ، هي مجرد زوجة عمي بكلمة واحدة ستكون خارج العائلة بأكملها"

أشعل سيجارا يأخذ منها نفسا كبيرا وقال بخبث:_

"معك حق، زوجة عمك والتي هي بالمناسبة ابنة ياسر الجوهري من أشهر رجال أعمال مصر والتي بالمناسبة أيضاً زوجها شهاب البرعي أفضل طبيب شاب

للأمراض النفسية ، أحد أعضاء شبكة دعارة إلكترونية فضيحة بسيطة معك حق "

ضغطت بكفيها على ذراعيها تداري ارتجافها وهي تقول باقتضاب:_

"ماذا تريد ؟"

مازال يحافظ على صمته يتجاهل هشيم النيران المحترقة بصدره من أجلها متحلياً بأقصى درجات بروده عله يفهم ما في رأس رفعت ..

اتكأ رفعت على حافة مكتبه وهو يقول بثقة :_

"تتركين مكتبك وتعملين معي هنا وبالأصح محامية شخصية لي"

"هل جُننت؟!"

قالها أكمل بغضب وهو يفهم دماغ ذلك القذر جيدا لكنه لم يعيره اهتمام وهو ينظر لغدي منتظرا قراراها فخرج صوتها منهزما وهي تقول قبل أن تخرج :_

"دعني أفكر "

التفت إليه أكمل فور خروجها قائلا بغضب أسود يشبه سواد روحه المتخبطة الآن:_

"أنت إلى ما تسعى ؟! "

دار رفعت حول مكتبه مرة أخرى يجلس على كرسيه وقال :_

"كما سمعت ، لأنك حبيبي فقط تركتك تسمع الحوار يا بدوي"

"يعني؟!"

"يعني أن الأستاذة ستعمل معي ولن تنبش ورائي مرة أخرى، تعلم أفكر أن أجعلها ذراعي الأيمن"

ضحك بسخف وأردف بنبرة قميئة مثله :_

" ظريف ستكون أول امرأة تسمى بالذراع الأيمن على ما أظن"

"من قال أني سأسمح لك ؟!"

قالها أكمل بخطر فمط رفعت شفتيه قائلا بأسف مصطنع:_

"هي التي لن تسمح لك بالتدخل يا بدوي للأسف"

ابتلع أكمل ريقه يسأله :_

"ماذا لو رفضت ،لن تجني من وراء فضيحتهم شئ"

" لا يا بدوي قد أشك في ذكاء الأستاذة لكن ذكائك أنت لا ، زوجة البرعي هي ابنة الجوهري والكفتان متساويتان وإذا رفضت الأستاذة واستمرت في نبشها ورائي سيحميني الجوهري بعلاقاته .."

رمقه أكمل لدقائق وتركه وخرج دون أن يخبره بالتأكيد أنه طامع بها كأنثى قبل أي شئ ،لكنه لن يبوح بذلك أمام أكمل بالتأكيد ...

يستند بجسده على حائط الشرفة بشقة جده يحاول الاتصال بحسن لكنه لا يرد عليه

رن الهاتف في يده فرفعه إلى أذنه وهو يلقي السلام
فوجد أحدهم يقول بتهذيب:_

"السلام عليكم ،باشمهندس خالد معي؟!"

رد خالد بحيرة قائلا:_

"نعم أنا خالد ، من معي"

حضرتك أنا البشمهندس ". ." من شركة ". "
للاتصالات لقد هاتفني ". " منذ فترة وأعطاني رقم
هاتف يريد أن يعرف معلومات عنه

أنصت خالد له باهتمام وصوته يصله قائلاً:_

"الحقيقة الموضوع كان صعب ،لذا أخذ مني فترة طويلة ،لو لم أكن أثق به لم أكن لأفعلها لكني حين هاتفته أعطاني رقمك كي أبلغك"

تنبه خالد وقد تذكر ذلك الرقم الذي كان يضايقه لفترة طويلة ومازال بين الفترة والأخرى رغم أنه حظره إلا أنه يرسل له الرسائل لذا قال باهتمام :_

"نعم تذكرت ، هل جلبت معلومات الرقم"

جاءه صوت الرجل قائلا بعملية :_

"نعم لقد تحصلت عليها لكن آسف فقط سأعطيك الاسم ، هو يخص فتاة اسمها ". نور رأفت حسين ."

اتسعت عينيه وهو لا يصدق ما سمعه فتمالك نفسه وهو يشكر الرجل ويغلق الهاتف يعيد تكرار الاسم الذي سمعه على نفسه مرارا وهو لا يصدق....

***

باليوم التالي

فتحت باب الشقة وهي تظن أن شهاب عاد لأخذ هاتفه فقد نسى أخذه لكنها وجدت غدي في وجهها

ابتسمت مرحبة بها وهي تغلق الباب خلفها قائلة :_

"من الجيد أنكي أتيتِ ، فنحن كنا سنسافر بالصباح "

جلست غدي أمامها ترمقها بحيرة ، متسائلة بينها وبين نفسها هل كل تلك البراءة من الممكن أن تكون ذلك ؟!

هي بعد تفكير كثير لم تصدق أبداً لذا أتت إليها تتحدث معها عسى والدها أن يساعدهم ويخرس ذاك الكلب

انتبهت من شرودها على صوت رنا تقول:_

"أين شردتِ؟!"

هزت رأسها بلا معنى قائلة :_

" لا شئ ، شهاب ليس هنا صحيح ؟!"

أومأت رنا برأسها قائلة :_

"نعم لقد ذهب مع والد تميم لزيارة أحدهم "

أومأت غدي برأسها وسألتها بتوتر هل من الممكن أن نتحدث في أي غرفة

ضمت رنا حاجبيها في حيرة لكنها ابتسمت وهي تقول للشاشة وحسن نية:_

"بالطبع تعالي بغرفة الضيوف "

ذهبت معها غدي وجلست مطرقة برأسها فسألتها رنا بقلق :_

"ماذا يا غدي أشعر أن هناك شئ "

ابتسمت غدي بارتجاف وتحدثت بهدوء قائلة :_

"سأسألك عن شئ لكن بالله عليگِ لا تفهميني خطأ "

وبالتوازي كان شهاب يفتح باب شقته فوجد حذاء أنثوي غريب جانبا وصوت همهمات تأتي من غرفة الدخول ، اقترب مبتسما وهو يلتقط صوت غدي لكنه وقف بحيرة بعد سماعه لجملتها ...

بالداخل

أومأت رنا برأسها في طيبة تشجعها على الحديث

لكنها تشعر أن الشلل أصاب لسانها ،ماذا تقول هل جنت بالتأكيد لا ،لكن ماذا لو كانت تورطت مثلا رغما عنها مع أحدهم ويبدو أن جملتها الأخيرة خرجت مسموعة فسألتها رنا بحيرة :_

"أي أحدهم لا أفهم؟!"

شبكت كفيها تشد عليهم وسألتها بمواربة :_

"هل كان لكِ علاقة بأحدهم قبل عمي؟!"

توترت رنا وهي تظن أنها تقصد عمر ، هل كانت سبب في طلاقهم بعد دخولها العائلة لكن لما عمر لا يحبها من الأساس لذا سألتها بقلق:_

"هل تقصدين يعني عمر؟!"

صمتت دقيقة ثم أردفت :_

"أقسم يا غدي عمر لم يحبني أبداً هل دخولي العائلة سبب من أسباب طلاقكم؟!"

يا الله هذه الفتاة بطيبتها الظاهرة تلك لا تُساعدها أبدا

زفرت قائلة بسرعة قبل أن تخونها شجاعتها:_

"أقصد هل كنتِ تكلمين أحدهم عبر الإنترنت؟!"

"كيف يعني؟!" سألتها بارتجاف وهي تستبعد شئ معين

فأكملت غدي طريقتها المتوارية وقالت:_

"أقصد يعني تحدثتِ مع أحدهم تُفضين له بمشاكلك وتطور الأمر .... أقصد يعني مثلا أرسلت صورك شئ من هذا القبيل مثلاً أجبرك على فعل شئ"

"أنا...أنا لا افهمك " قالتها رنا منتفضة بغضب وهي تشعر بالاختناق وقد برزت عروقها من الخوف

رمقتها غدي بشك ثم أخرجت الظرف من يدها تناوله لها بصمت

أخذته بأيدي مرتجفة تفتحه سريعا وهي لا تفهم حتى انهارت باكية مرة واحدة لهول ما رأت ..

لم تكد غدي ترد عليها حتى انتفض الاثنان برعب على صوت فتح باب الغرفة ودخول شهاب عليهم

وجهه محتقن ،عضلة فكه تختلج بقوة وهو ينزع الورق من كفي رنا قائلاً لغدي بلهجة ثلجية :_

"انتظريني بالأسفل"

"شهاب أفهم الأمر ليس كما تظن ، أقسم أن "

قاطعها هادرا بغضب :_

"قلت لك انتظري بالأسفل وإياكِ أن تتحدثي مع أحد حتى أنزل لكي"

فور خروج غدي ،تشبثت بكفيه باكية وهي تقول يتوسل مثير للشفقة :_

"شهاب لا تقرأ ، أستحلفك بالله لا تفعلها ، أقبل يديك ، يا شهاب لا أستطيع أن أتركك لو فعلتها لن أبقى معك لن أستطيع النظر لوجهك"

نفض يديها بقوة مستديرا ، يقلب في تلك الأوراق والصور وضغط دمه يرتفع أكثر فأكثر بين كل صورة والأخرى ، عينيه حمراوان من الغضب حتى أنه كاد يقع من هول ما يرى"

التفت إليها قائلاً بتهدج ونبرة خرجت متوسله رغما عنه :_

"رنا هذه صورتك كيف وصلت لأحدهم ، هل كنتِ تضعين صورك دون حجاب على مواقع التواصل الاجتماعي دون حجاب ؟!"

عينيه الحزينتين تتوسلها أن تنفي أن تكذب حتى وهو سيصدقها يرمى لها حجة باهتة تشفع لها علها تريح قلبه

لكنها لا ترد فقط تهز رأسها نفيا وتبكي ولا ترد

أمسكها من ذراعها قائلا بغضب يتخلله نبرة رجاء ضعيفة :_

"بالله عليكِ لا تُخرجي شياطيني وقولي كيف توجد صورك بهذه المحادثات القذرة ولما كنتِ تحلفين علي ألا أرى يا غبية لما ..؟"

"هي صوري ... لكن ليس هكذا .....هي صوري .....ليس هكذا"

تهذي بها من بين بكائها وهو لا يفهم شئ ،لو ترك نفسه لشيطانه ربما قتلها وما يجعل جنونه يزداد ما يعرفه عنها لكنها لم تذكر أبداً خلال محادثاتهم تورطها في شئ من هذا القبيل

لم يتحمل الوقوف أمامها أكثر من ذلك فدفعها على الأريكة وخرج مسرعا للأخرى ليرى من أين أتت له بتلك المصيبة

وجدها تجلس على السلم تبكي فشدها من ذراعها بقوة يأخذها للباحة الخلفية من الحديقة وهدر بغضب :_

"قُصي علي كل شئ وإلا أقسم أن تري مني مالم تتخيلي "

أومأت برأسها باكية وأخذت تخبره بكل شئ حتى عن قضاياها وتحذير عمر ،أكمل ورفعت عمران وتهديده الأخير

أنهت حديثها وأردفت بتوسل:_

"لكني لم أصدق يا شهاب أقسم لم أصدق أنا جئت لها عل والدها يساعدنا "

"اذهبي، واياكِ أن يخرج هذا الكلام عن ثلاثتنا "

قالها وهو يجلس أرضا يرتكن برأسه على الحائط فنادته باكية من أجله :_

"شهاب لا تفعل ذلك ،لا أستطيع تركك في هذه الحالة "

"قلت اذهبي من امامي"

صراخه الغاضب عليها جعلها تذعن لأمره

أما هو فأخيرا تحررت دموعه !!

ليس سهلا ،ليس سهلا عليه أبداً أن يتهم أحدهم زوجته طفلته الصغيرة ،عرضه وشرفه أنها عضوة بالدعارة الإلكترونية، ليس سهلا عليه أن يقرأ محادثة قذرة عليها اسم زوجته وصورها بملابس نوم

ليتهم ذبحوا كل حواسه ولم يسمع ما سمع ويرى ما رأى

كان أهون عليه ألف مرة من ذبح رجولته وغروره الذكوري هكذا ...

بعد ساعتين كان يجر رجليه جرا صاعدا إليها محاولا أن يلملم شتات نفسه بعدما حدث ،عل صغيرته تشفي غليل قلبه ، ليتها تصرخ في وجهه وإن كانت كاذبة

دار في الشقة باحثا عنها لكن ملابسها البيتية الملقاة على الأرض بإهمال كانت خير دليل على عدم وجودها

الفصل التاسع والعشرين

فور أن تركها وخرج لم تفكر ثانيتين وهي تتناول هاتفها تبحث عن رقم حفصة بأصابع مرتجفة حتى اتصلت عليها ،تضع الهاتف على أذنها ولا تستطع السيطرة على بكائها وفور أن أتاها صوت حفصة الحنون لم تصمد أكثر وبكاءها يتزايد مما أصاب حفصة الجزع وهي تهتف فيها بحزم قلق:_

"رنا اهدئي وأخبريني ماذا حدث أنا لا أفهم شئ "

كلماتها خرجت متقطعة من بين شهقاتها وهي لا تدري ماذا تفعل :_

"عرف ....حفصة....شهاب عرف ....فضيحتي بأكثر الطرق بشاعة .....يا إلهي حفصة ،لقد كسرته "

تنهدت حفصة وهي تستغفر ربها إلى الآن لا تفهم شئ، لذا أخذت تأمرها بالصلاة على النبي ومن ثم شرب الماء حتى خفت صوت شهقاتها قليلا فأمرتها بهدوء قائلة :_

"والآن أخبريني هل أتيتِ إلى العاصمة أم مازلتِ في الريف ؟!"

"أنا هنا لم نأتي للعاصمة وهو تركني وخرج لغدي غاضباً"

صمتت حفصة لثوانٍ تفكر ، هي إلى الآن لا تفهم أبعاد الموضوع ،من جهة تخاف أن يتهور شهاب أثناء غضبه ومن جهة أخرى لا تثق في حكمة رنا في التعامل مع الموضوع لذا سألتها بيأس وعجز من تعقد الأمر

"هل تستطيعي أن تستأذني منه وتسافروا ولا تتحدثوا في شئ حتي إليك؟!"

"رنا ،يا فتاة، هل مازالتِ معي؟!"

لكن الأخرى كانت أغلقت الهاتف وفكرة واحدة تلمع في عقلها أنها أبداً لن تستطيع مواجهة شهاب مرة أخرى بعدما رأى

تحركت سريعا إلى غرفتهم تبدل ملابسها سريعا ، تحمد الله أن رخصتها معها ،ولم تفكر ثانيتين وهي تسحب مفاتيح سيارته وتتجه إلى الشرفة تراقب الجهة الشمالية للمنزل حيث تصطف سيارات العائلة أمام بوابة تقودك لشارع جانبي ومنه تخرج إلى الطريق العام

تمسح دموعها وهي تكتم شهقاتها ومن ثم وقفت خلف الباب تنظر من العين السحرية إذا كان أحدهم موجود أم لا

اطمأنت لهدوء المكان وفتحت الباب بحذر وهي تنزل السلم سريعا وعندما وصلت بداية سُلم الدور الأول لفت من الجهة الخلفية حتى لا تمر على شقة والدىِ شهاب واتخذت الباب الذي ستخرج منه حيث السيارات

دقات قلبها تقرع بين ضلوعها وكأنها الدقات الأخيرة ،تركب سيارته سريعا فور أن فتحتها ، تعود بها للخلف بحذر ومن ثم اندفعت سريعا للخارج بسرعة عالية أخلفت غبار كثير انتشر في الجو إثرها

* * * *

بعد أن أنهى كلامه مع غدي وصعد للأعلى ولم يجدها خبط بكفه على جبينه وهو يستدير خارجاً من الغرفة والشقة بأكملها متجهاً إلى شقة والديه علها تكون بالأسفل خوفا من مواجهته أو ربما بشقة عبدالرحمن مع ريم

قابل خالد ينظر إليه بدهشة ويبدو أنه عائدا من الخارج ، نظر خالد ورائه ثم التفت إليه مرة أخرى قائلاً:_

"ظننتكم ذهبتا ، إذا عبدالرحمن هو الذي خرج بسيارتك ،هل سيارته معطلة؟؟!"

حافظ على ملامح وجهه وهو يسأله بحذر:_

"لم ؟!"

ضم خالد حاجبيه وهو يقول:_

"سيارتك أخذها أحدهم وكانت تمر من جانبي مسرعة حتى أني دُهشت من السرعة التي تسير بها لكن حين وجدتك أمامي أرجحت أنه عبدالرحمن صحيح كنت أريدك في شئ ا..."

فلمح البصر كان يترك خالد ينظر في إثره بدهشة وهو يصعد سريعا إلى الأعلى يبحث عن مفاتيح سيارته فلم يجدها ، وقع قلبه بين قدميه وحديث خالد عن سرعة السيارة يتردد بأذنيه

أخرج هاتفه سريعا يحاول الاتصال بها لكنه وجده مغلق ، خرج مسرعا إلى غرفة الجلوس يلملم تلك الأوراق التي أتت بها غدي يضعها في حقيبة صغيرة وهو يرتدي حذائه وينزل مسرعا مرة أخرى

وقف أمام شقة والديه يحاول أن يضبط انفعالاته ومن ثم دخل عليهم بابتسامة شاحبة لم تقرأها سوى غدي لكنه قبل يد والدته يحمد الله أن والده ليس هنا وقال بهدوء:_

" أنا سأسافر الآن مع غدي ، أستودعكم الله"

رفعت رأسها له بدهشة لكنه لم يبالي بها وهو ينظر إلى والدته التي تقول بحيرة:_

"الآن يا حبيبي ؟! لا يصح أن تترك زوجتك مازالت عروس لم يمر عليها سوى أشهر "

اختلجت عضلة فكة لكنه حافظ على ابتسامته وهو يقول:_

"لقد طرأ لي عمل مهم يا أمي ورنا سبقتني إلى العاصمة "

عاتبته والدته بطيبتها قائلة :_

"وهل يصح أن تتركها تسافر وحدها هكذا بني ؟!"

" اعذريني أمي الأمر طارئ"

نبرته المتهدجة خلعت قلب والدته لكنها شدته بين أحضانها تقرأ على رأسه بضعة آيات وتدعو له ومن ثم خرج هو وغدي الصامتة وجد خالد مازال واقفا حيث تركه فسحب مفاتيحه من كفه قائلا دون أن ينظر له

"غدا ستجد سيارتك بالبنزينة التي أمام شقتي في العاصمة جد لك طريقة وتعالى خذها"

لم ينتظر حتى رأي خالد وهو يحث غدي على السير أمامه حتى ركبوا سيارة خالد وذهبوا...

* * * *

منذ أن أتت وهي تقبع بين أحضانها تبكي وفقط ،استغفرت الله هامسة ورغما عنها عقلها يناجيها ماذا لو كان يحيى هنا انهيار الفتاة يذكرها بانهيارها يوم وفاته !

ظلت تستغفر وهي تربت عليها بحنان حتى خفتت شهقاتها قليلا ورفعت رأسها ،تمسح وجهها بالمحارم الورقية

عينيها حمراوان كالدم من كثرة البكاء ،صوتها مبحوح ،حديثها الذي يتخلل شهقاتها غير مفهوم ،فضمتها لها مرة أخرى وهي تناولها كأس الماء كي تهدأ قليلاً وسألتها بصبر :_

"أخبريني حبيبتي ، ما الذي عرفه شهاب ولما سيتركك أنا لا أفهم "

رفعت عينيها لها بألم ونوبة دموع أخرى اهتزت لها شفتيها وأجهشت باكية وهي تهز رأسها نفيا

يا الله لقد بكت على بكائها ، الفتاة كل شهقة وأخرى تصعد من الداخل من أعمق أركان قلبها فيرتعد لها قلبك شفقة وألما

بعد فترة كانت هدأت تماماً إلا من بضع شهقات خافتة تأتي بين الفنية والأخرى فأومأت لها حفصة تحثها أن تتحدث

"شهاب لقد علم عِلتي"

ضيقت حفصة عينيها وهي تفهم ما ترمي له فسألتها :_

"هل أنتِ من أخبرتيه؟!"

كانت ستبكي مرة أخرى فأمرتها حفصة بحزم حنون ألا تفعل وأن تواصل حديثها

أومأت برأسها بعد أن تناولت كوب من الماء ثم قصت عليها كل شئ حدث

ضمت حفصة حاجبيها في حيرة وهي تسألها :_

"لا أفهم يا رنا أي محادثات ؟!، أنتِ لم تتحدثي مع أحدهم بالأساس "

ابتلعت ريقها قائلة بصوتها المهتز إثر البكاء:_

"هل تذكري تلك الفتاة التي حدثتني وقالت أنها ستساعدني في نسيان ألمي ؟!"

أومأت حفصة برأسها وهي مازالت حائرة فأردفت رنا وهي على وشك بوادر بكاء أخرى:_

"لقد أخفيت عنكِ أمر خوفا من أن تحتقريني"

استعانت بالله داخلها أن يلهمها الصواب فهي تشعر أن القادم سيسوئها وأومأت لها برأسها تحثها على الحديث

أطرقت برأسها أرضا متحدثة بصوتٍ خافت بخجل ودموعها تسيل على وجنتيها

"لقد طلبت مني صورتين لي حينها شرط أن أكون أرتدي منامتي ورقم هاتفي والحساب حينها كان موثق "

"يارب العرش العظيم ، يارب العرش العظيم ،ألهمني الصواب" همستها حفصة بداخلها وقلبها يقرع كالطبول ثم سألتها بوجل:_

"وبعد؟! "

"أقسم يا حفصة لم أكن اعلم أنها رجل ، أقسم أني لست أنا التي كانت تتحدث تلك المحادثات ،والله لا أعلم ،هي صوري لا أنكر لكنه ليس كلامي "

حمدت الله سرا عدة مرات فبالأخير قضى أخف من قضى لكنها عادت تسألها بحيرة :_

"رنا لكنكِ كنتِ مراهقة حبيبتي وأي أحد يستطيع أن يتبين ذلك من الصورة "

رفعت رنا رأسها إليها بأمل لكن عادت وتغضنت ملامحها قائلة :_

" الصور التي أتت بها غدي ،مُصورة أبيض وأسود وكأنها ملف ،إلى الآن لا أعلم كيف علمت غدي حتى يا

حفصة كما أن ملامحي لم تتغير عن مراهقتي ،الفرق أني فقدت بعض وزني وأيضاً الصورة تبدو مطابقة لشكلي الآن "

أومأت حفصة برأسها وعقلها يعمل في جميع الاتجاهات فعادت تسألها :_

"هل تلك المحادثات كان يتضمنها محادثاتك الأصلية مع الفتاة ؟!"

هزت رنا رأسها نفيا ،فتمتمت بالحمد وسألتها مرة أخرى بقلق:_

"هل اعترفتِ أنتِ إذاً لشهاب ؟!"

هزت رأسها نفيا مرة أخرى فصرخت بها بغيظ عززه قلق وضغط أعصابها الساعات الماضية :_

"إذا ما هذا الذي عرفه يا رنا أقسم أنكِ ستجلطينني ، حسبي الله ونعم الوكيل علة إبليس ، حرامٌ عليكِ يا رنا"

نظرت لها بحيرة وهي على وشك البكاء مرة أخرى فعنفتها حفصة هادرة وهي تشعر أن أعصابها على المحك :_

"إياك أن تبكي يا رنا إياك، ليس وقته أبداً ، أنا أريد أن أفهم فقط الأمر وما علاقة ابنة أخو شهاب به "

صمتت رنا فنبهتها قائلة بتحذير:_

"إياكِ يا رنا أن تعترفي بشيء ، لقد ستركِ الله فلا تفضحي سِتره عليكِ، واعتبري ما حدث ما هو إلا اختبار من رب العالمين على مدى صدق توبتك فكوني قدره ليعينك الله في ابتلائك"

لمعت عينيها بالأمل الذي سرعان ما انطفأ وهي تسألها بخوف :_

"ماذا عن الصُور يا حفصة ،ماذا عن الصُور يا حفصة كيف سأبررها"

زمت حفصة شفتيها في تفكير ثم قالت:_

"سنقول نصف الحقيقة كأقل الضررين ، تعرفتِ على فتاة على الإنترنت وطلبت منكِ صور لكِ فأرسلتيها وحين انتهت صداقتكم نسيتِ الأمر لكن "

صمتت قليلا ثم سألتها بخوف :_

"هل كانت المنامة عارية للغاية يا رنا؟!"

هزت رأسها نفيا وهي تقول مسرعة:_

لقد كانت دون أكمام ، لكني أيضاً كنت بشعري "

ضمتها لها حفصة مرة أخرى تبثها بعض الاطمئنان فالأمر ليس بالهين على كل شئ ،هي لا تضمن ردة فعل شهاب بالأخير رجل وصور زوجته أرسلتها لأخر ،وبالأخص أن الغبية كما أخبرتها أخذت تبكي وكأنها تُثبت التهمة عليها تأمل في عقليته المتفتحة لكنها لا تضمن

انسلت رنا من بين ذراعيها واقفة تقول بإنهاك:_

"أنا سأذهب الآن ؟!"

"إلى أين؟"

سألتها بقلق ،فأطرقت برأسها قائلة :_

"إلى جدي أنا لن أعود لشهاب مرة أخرى بعدما رأى"

وازتها حفصة في وقفتها قائلة بإشفاق:_

"رنا أنتِ لم تفعلي شئ حبيبتي "

ابتسمت بسخرية وهي تقول بمرارة :_

"حتى وإن لم أفعل يكفي أني من داخلي أعلم أني أرسلت صورتي لفتاة تجرني لطريق الانحراف، واحذري أيضاً أن الفتاة كانت رجل وأنا لا أعلم ، لن أستطيع رفع عيني في وجهه مرة أخرى ، لن أرى سوى نقصي "

أثرت حفصة عدم الحديث معها الآن ،بالأخير هي ترجح عدم اصطدامها به فهي غبية على كل حال ،وطيبتها تلك قد تفسد الأمر كليا

"رنا أنا سأطمئن شهاب عليكِ" منعتها من الاعتراض وهي تقول بحزم:_

"أنا سأرسل له رسالة يا رنا ،بالأخير حركتك كانت غير مسؤولة "

صمتت رنا تسألها بحزن :_

"ماذا لو سألك ، إن كنت قد قصصت لكِ شئ ،"

"سأخبره كما اتفقنا ،آمل حتى أن يفعل ذلك ،فلا أضمن حديثك أنتِ معه الآن ،لذا أنا مع ذهابك عند جدك لكنه يجب أن يطمئن "

****

تغضنت ملامحه بالألم فور دخول وائل عليه متوتر الملامح ،يراوغ في الحديث وكأنه اكتشف شئ لن يروقه لذا ابتلع ريقه قاطعا استرسال وائل في الحديث وهو يقول:_

"وائل بني كف عن المراوغة قل لي هل توصلت لشيء أم لا ؟!"

أطرق وائل برأسه يفتح تلك الورقة القديمة التي أعطاها له ياسر الجوهري ولم يتوصلوا لشيء حينها ينظر في المكتوب فيها بشرود وهو لا يعرف ماذا يقول :_

"طفلك من فاطمة حيٌ ،يرزق يا ياسر ، فاطمة كذبت عليك قبل موتها بخبر موت طفلك ، بل هو شاب الآن نشأ في دار للأيتام خاصة بالتوصية عليه ،ابحث عنه فأنا مريض وأخاف أن أقابل الله وسري معي ،ابحث عن طفلك ولا تبحث عني لأنك فور أن تصل لي قد أكون عند الله..."

رفع وائل رأسه إليه قائلا بإشفاق:_

"طيلة الفترة السابقة سيد ياسر وأنا أبحث وراء كل ثغرة وراء هذا الشاب منذ أن أخذني عماد إلى حيث يقطن وأنا كلفت من يجلب لي أصله منذ أن ولِد إلى الآن .."

بانت اللهفة على محيا ياسر وهو يسأله بتهدج :_

"وإلى ماذا توصلت يا وائل"

مط شفتيه وهو يثني كمي قميصه إلى الخلف قائلاً:_

"الشاب اسمه حسن القصاص ، لقيط ، تم وضعه في دار لرعاية الأطفال وهو بن شهور ومن ثم قضي فيها أولى سنوات طفولته...."

صمت قليلا بحيرة ثم شبك كفية مسترسلاً:_

"العجيب أنه دون عن البقية حين أصبح مراهق تم نقله في دار للأيتام خاصة بالطبع تعرفها فهي مِلك ". ."
وبالطبع نعلم أن هذه الدار وفروعها يحظى فيها الأطفال بأفضل درجات الرعاية والرفاهية والتربية السوية لأن

العاملين على الخدمة بها أجانب وعرب وليسوا مصريين فقط ..."

نظر للرجل وهو يحل أزرار قميصه العلوية فسأله بإشفاق :_

"سيد ياسر هل أنت بخير؟!"

أومأ ياسر بهدوء مشيرا له أن يواصل فتنهد وائل قائلاً :_

"المهم أنه ظل بها حتى أنهى مرحلته الجامعية وخرج منها كما الجميع

صديقه هو خالد البرعي ابن أخو دكتور شهاب البرعي زوج رنا ، وهو الذي وفر له عمل في إحدى معارض السيراميك العائدة لعائلته وأيضاً سكن في عمارة خاصة بهم ، بعد تخرجه من كلية الفنون التطبيقية معه

عمل أيضاً في التصوير الفوتوغرافي فترة ومؤخرا انضم لمكتب صغير افتتحه خالد البرعي وأصبح يعمل معه "

تناول وائل الهاتف وطلب له فنجان قهوة وكوب ليمون لياسر البرعي ومن ثم أردف قائلاً:_

"لقد تزوج من فتاة ومنذ أيام فقط أنجب منها ،لكني لم أهتم بمُلابسات الزواج

إذا كنت تريد أن أعلمها سأحاول أن أصل إليها في ظرف أيام "

أشار ياسر برأسه يضع وجهة بين كفيه قائلا بإرهاق :_

"لا أريد أن أتسرع في الأمل لذا جد لي طريقة نفعل بها التحليل ، كيف ومتى تصرف أنت "

***

فور أن وصل إلى أسفل البناية التي يقطنها ،صف السيارة وهبط مسرعا تلحقه غدي يدخلوا المصعد

إلى أين تكون قد ذهبت ؟!

منذ أن ركبوا السيارة من البلدة وهي هاتفها مغلق بعدها ،جعل غدي تهاتف المنزل عند جدها تسأل عنهم كمحاولة ليعرف هل هي هناك أم لا وبالوقت ذاته لا يثير القلق لكنها لم تكن هناك وكذلك الأمر مع حمزة حين حدثه هو

خرج من المصعد يفتح باب شقته مسرعا

لكن الشقة كانت بوضع يديهم كما تركوها حتى الأنوار مطفأة

جلس بتهالك على الكرسي واتبعته غدي بعد أن أشعلت الأنوار تنظر إليه بشفقة قائلة :_

"شهاب "

لم يرد عليها مطرقا برأسه وهو لا يدري إلى أين عساها أن تكون ذهبت ، هل يعقل أن حدث لها شئ ، التخيلات تفتك به لكن تلك الرسالة التي وصلته من حفصة الآن تخبره فيها عن وجودها معها وأنها ستذهب إلى منزل جدها رحمته قليلا ، صوت غدي التي انتقلت جواره تقرأ الرسالة معه أخرجه من أفكاره فتنهد يتجاهل حديثها وهو يسألها بقنوط :_

"تقولين أن هذا المدعو أكمل أرسل لكي رسالة يحذرك ألا تفعلي وألا تخطي خطوة دونه "

أومأت برأسها فمسح وجهه بكفية قائلاً:_

"حسناً غادري أنتِ الآن وحددي موعد معه نتقابل غدا ، ولو رفض فإياكِ أن تقابليه وحدك غدي إياكِ"

دعك عينيه بإنهاك فور أن خرجت وتركته ،اتجه إلى غرفة نومهم الخالية، يفتح النور وعينيه تدور في الغرفة دون رغبة في شئ ...

قلبه منقسم لنصفين ، نصف حائر لا يفهم بل حتى لا يصدق والآخر متألم مشتاق وخائف

لطالما أبرحها هنا غراماً رغم فترتهم القليلة معاً، كل ليلة تحتمي بين ذراعيه رغم خجلها الذائب إلا أنها لا تنام إلا على صدره .

جلس على الفراش وعقله يدور في دوامات ماذا سيفعل الآن!!

بعد ساعتين

يفتح عينيه بحيرة فيبدو أنه نام مكانه ولم يشعر ، تحامل على ذاته إلى الحمام يتوضأ ويصلي بعد أن اتصل على والديه يطمئنهم عليهم

أنهى صلاته وصنع قهوته وأخذها واتجه إلى غرفة المكتب

جلس وراء مكتبه يفتح الهاتف الخاص بالعمل على المحادثات بينهم يعيد قراءتها كلها بتركيز منذ البداية

لم تذكر أبداً شئ من هذا القبيل في محادثاتهم ، كل هذا الندم وامتهان النفس أبداً لن يأتي سوى من نفس طاهرة ،ذلت نعم لكن ومن منا لا يذل ،حتى محادثاتها قبل الأخيرة كانت تخبره عن فيديو إباحي أُرسل لها لكنها لم تفتحه وبالطبع قصدت الفيديو الذي أرسله لها بنفسه ،عينيه لفت لتلك المحادثات المصورة أمامه فأغمضهم بقوة قائلاً بقهر :_

"لكن ليس بهذه البشاعة ، ليس بهذه البشاعة ،لن أحتمل أبداً ياربي لن أحتمل "

إذا كان اختبار ، فهو قاسي ، هو عهد على نفسه أن يحفظ سرها بينه وبين نفسه وسينساه لكن أبداً لم يتخيل أبعد مما عرف

خبط بقبضته على سطح مكتبه عدة مرات هادرا بغضب :_

"إذا لماذا كانت تبكي وتترجاني ألا أفعل ، لماذا يجب أن أعلم، سأجن يارب السموات "

قام خارجا من الغرفة وهو يتوضأ ويصلي ركعتين وفور أن سجد بكى داعياً

"ياربي أني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه، الطف بي في ابتلائي ولا تجعله بهذا السوء"

**

صباح اليوم التالي

فتح لغدي باب الشقة وتركها ودخل سائلا:_

"لما أصر هذا الرجل على أن نتقابل في شقتي؟ !

جلست أمامه على طاولة السفرة تضع حقيبتها وقالت:_

"لا أعلم يا شهاب ، هو قال أن رفعت من الممكن أن يراقب خطواتي الفترة القادمة لذا فضل أن نتقابل هنا وهو سيأخذ حذره"

أومأ برأسه فسألته مُشفقة :_

"ألم تتحدث معها؟!

هز رأسه نفيا وأردف باقتضاب :_

"هاتفها مغلق "

بعد نصف ساعة كان أكمل يدق الجرس فتح له شهاب الباب يستقبله بجمود لكنه لم يهتم ، حتى أنه لم يلقي التحية على تلك التي ترمقه باحتقار الآن ....

سأله شهاب مباشرةً:_

"هل لك أن تخبرني لما تريد تقديم المساعدة ،ما مصلحتك؟!"

رمقها بنظرة باردة متحدية ثم رد عليه سائلا بلباقة :_

"هل لي أن أدخن؟!"

أومأ شهاب برأسه لكن تلك الشعلة بجانبه انتفضت قائلة بغضب:_

"هل هي قهوة هنا أتيت لنتسامر وكأنها ليست مصيبة "

" اخرسي غدي"

والنبرة القاسية لم تكن سوى من شهاب الذي يرمقها بتحذير فابتسم البارد يغمزها بسماجة دون أن يلحظ شهاب

سحب نفسا من سيجارته ثم قال:_

"بالبداية الورق الذي يبدو أنك اطلعت عليه كما أخبرتني الأستاذة صحيح وليس مزور "

"زوجتي لا تفعل ذلك أبداً "

هدر بها شهاب غاضبا بحمية لعِرضه لكن ذاك البارد لم يهتز وهو يقول مشيرا بسبابته:_

"اهدأ يا دكتور ودعني أواصل حديثي "

استغفر شهاب ينظر له بنفاذ صبر فأردف أكمل بهدوء :_

"رفعت عمران لن يراهن على ورقة غير رابحة أبداً ،
كما أنه بالفعل لدية شبكة دعارة إلكترونية "

" أنت قذر ، قذر ،تعلم ذلك وتدافع عنه"

"يكفي غدي "

أمرها شهاب والتفت إليه يسأله وعقله يعمل سريعا :_

"لكن إذا كان ذلك ، فأول من سينضر في الموضوع هو
إذا حدثت فضيحة ستصل للشرطة وربما أو بالتأكيد
يقوموا بالبحث، ماذا يضمن له ألا يصلوا إليه"

ابتسم أكمل بإعجاب من ذكاء الرجل الذي أمامه لكن
رغما عنه نبرته خرجت عدائية بقسوة وهو يقول:_

"أخبر الأستاذة التي أعطته وعدا أنها ستفكر "

"وماذا كنت تريدني أن أفعل ، أتركه يفضح شهاب والعائلة ؟!"

لم يرد عليها بل حتى لم يلتفت لها وهو ينظر لشهاب قائلا ببرود:_

"كما رأيت ، رفعت يبدو أنه كان يراقبها منذ أن بدأت في النبش ورائه وعلم أنك قريب منها بطريقة ما ليأخذك ورقة للضغط عليها "

صمت شهاب لدقائق يدير الحديث في رأسه ثم سأله :_

"لكن أيضاً هذا لا يجعله أن يطمأن لموافقتها مائة بالمائة "

أومأ برأسه وقال:_

"صحيح لكنها أبداً لن تبادر في النبش وراء قضية أحد أفراد عائلتها عالق بها بطريقةٍ ما "

"وماذا استفاد "

"حماك"

"ماذا؟! لا أفهم" سأل شهاب عاقدا حاجبيه بعدم فهم ،فواصل أكمل قائلاً:_

"ياسر الجوهري اسم ترج له أكبر مؤسسة في البلد وخارج البلد وبالطبع سيسعى لفعل أي شئ يحمي به سمعته وسمعة ابنته كحماية رفعت مثلا إذا حدث له شئ

هكذا يظن "

صمت شهاب فنقر أكمل على الطاولة قائلا:_

"تبقي هنا حلقة مفقودة ، وهي عند زوجتك ،خاصةّ أن الرقم في الرسائل يرجع لها "

"قلت لك هي ليست التي تتحدث في تلك القذارة أبداً "

زفر أكمل قائلا بهدوء وهو يقف :_

"أهدأ يا دكتور أنا أقول أن الحلقة المفقودة عندها ،لا أقول أنها فعلت ذلك ،كما أننا سنستعين بحماك ضروري "

"لم تفعل ذلك؟"

سأله شهاب وهو يوازيه في وقفته

فأسبل أهدابه يلتقط هاتفه ومفاتيحه من على الطاولة قائلا بغموض :_

"ربما أحمي أحدهم "

لم يمهل شهاب الرد أو التفكير وهو يقول محذرا دون أن ينظر لها :_

"فقط أخبر الأستاذة ألا تتهور من ورائنا فلا أضمن ماذا سيحدث "

قبل أن ترد باندفاع ،أخرستها نبرته الجليدية وهو يقول قبل أن يخرج :_

"رفعت عمران يريدها كامرأة "

****

" أقسم لن أرحمه ، أقسم لن أجعله يرى ظفرها مرة أخرى ،سأذيقه السواد "

"حمزة" هدر فيه والده غاضبا وأردف :_

"هل هذا وقته يعني "

"ماذا تريدني أن أفعل يا بابا قل لي ، وأنت تخبرني أنكم وجدتموها تدخل عليكم تتشبث بأحضان أمي تبكي في انهيار ، هل تدرك شعوري يا أبي بالأمس وأنا أضطر لأن أعطيها مهدأ فور أن أتيت "

"اتصل بياسر ليأتي"

"آه هذا ما كان ينقصني ، سيأتي جريا هل تظن !!"

لم يبالي بابنه المتهور وهو يتناول هاتفه يتصل على والدها ،ياسر سيأتي هو يعلم ذلك ، لن يتحمل فكرة أن ابنته بها شئ ولا يأتي ، لا يريد التسرع والاتصال على شهاب حتى يسمع منها أولاً ،يشعر أنه مكبل حقا فليعينه الله

بعد ساعتين

بهيبته الفطرية يقف في صالة بيتهم ،لا يبالي بتحفز حمزة الواضح ضده وهو يسأل جدها :_

"هل استيقظت؟!"

أومأ الجد برأسه قائلا :_

"نعم لتوها استيقظت وتبكي بأحضان والدتها في غرفتها"

تصلب جسده وهو يسأله بجمود :_

"هل نجلاء هنا؟"

"لا أمها نعمات ، أمي أنا لا تفهم خطأ يا ياسر باشا فنجلاء ليست سوى أنانية أخرى مثلك"

والرد الساخر المندفع لم يكن سوى من حمزة لكنه لم يبالي به واستأذنهم بلباقة قائلاً:_

"أريد أن أدخل لها "

دقائق وكان يجلس جوارها على الفراش يسحبها لأحضانه رغما عنها رغم ممانعتها ، يضمها إليه بقوة

حسنا بكاءها الهستيري هزه هزاً ، لا يطيقه، مهما بلغت درجة جحوده لا يتحمل بكاءها الآن .

ظل يربت عليها بحنان وهو يقترب من رأسها بتردد ،طابعا عدة قبلات حنونة هناك هامسا:_

"لا تبكي يا بابا ، فقط أعلم من أحزنك ، هل هو شهاب؟!"

على ذكر اسمه زادت وتيرة بكاءها وفطرتها تستجيب لحضنه الحنون تهذر بتخبط

"يطلقني .... لا أريد العودة مرة أخرى ....لن أستطيع "

رفع وجهها إليه يمسح دموعها يهادنها وكأنه يهادن طفلة :_

"حسنا لا تقلقي ، كل ما تريديه سأفعله فقط لا تبكي "

"لا تبتعد عني"

همسه خافته تكاد لا تسمع خرجت منها فشقت قلبه شقاً ، بئس الأب هو بل بئس الرجل ،حسبي الله على ظنونه وشكوكه وشيطانه"

عاطفة الأب المكبوتة بداخله تتفاعل وهو يضمها إليه أكثر هامسا بوعد آمل ألا يخذلها فيه :_

"أبداً حبيبتي لن أبتعد عنكِ ، أبداً "

واطمأنت فنامت متشبثة فيه ،تحتمي به من آلامها "

لكن العقل الباطن له رأي آخر وهو يحور هذرها لصور ملموسة وهي تقف أمامه تتوسله بضعف :_

"أقسم أني لست هكذا يا شهاب ، أنا لم أفعل ذلك أبداً "

رماها بنظرة محتقرة وهو يقول:_

"وكيف لي أن أصدقك، قالوا لإبليس اقسم "

"إذا طلقني يا شهاب لن أتحمل أن أظل معك أبداً "

"حسنا بالأساس أنا لن أمن نفسي وعرضي مع عاهرة مثلك ، أنتِ طالق"

انتفضت من نومها على صوت والدها القَلق يناديها فظلت تنظر إليه بتشوش حتى استعادت وعيها وأدركت أنه كان مجرد حلم بشع

سألها والدها برفق:_

"هل تشعرين أنكِ بخير الآن؟! "

أومأت برأسها بشرود فسألها بحنان وهو يملس على شعرها:_

"ما رأيك أن تأتي تقضين معي يومين حتى تتحسني؟!"

هزت رأسها نفيا قائلة بتحشرج :_

"لا سأظل هنا"

"إذا هل ستكونين بخير إذا ذهبت إلى العمل وعدت"

أومأت برأسها مرة أخرى وقلبها يقرع بين ضلوعها من نبرته الحنونة الجديدة عليها

قبل رأسها وهو يستقيم واقفا وهو يقول:_

"حسنا لا أريد أن أعود وأجدك تبكين "

***

فتحت عينيها ليلا على صوت تأوهات صغيرة تسلب القلب تختلط بها همهمات خافتة

أدارت وجهها حيث الفراش الآخر الملتصق بفراشها في غرفتها ببيت والدتها الذي تقطن به منذ أن وضعت طفليها وهو يلازمها ،ينام على ذلك الفراش وطفليهم في المنتصف بينهم

ذاب قلبها وترقرقت الدموع في عينيها وهي تراه ، نائما على جانبه مستندا برأسه على كفه، وكوعه مثبت بالوسادة أسفله يشرف عليهم من علو

كفه الآخر تتناوب الأدوار بين وجهيهم في مناغشة رقيقة وهو يحدثهم

ينظر للصغير الآن هامساً بمشاكسة حنونة :_

"يا فتى ما هذا الجمال ؟!، أريدك رجلاً خشِناً كأبيك تتغزل في سواد عينيك امرأتك كما كانت أمك الوقحة تفعل"

دمعة فرت من عينيها وهي تبتسم ، تراه يميل مقبلا الصغيرة قبلات رقيقة متتابعة بنهم يهمس لها من بينهم :_

"أحبك....أحبكِ....أحبكِ....أحبكِ.... أحبكِ" ثم نظر في عينيها تلك الماكرة ابنة الأمس التي تتابعه بعينيها الصغيرتين وكأنها تكتشف ماهية هذا الكائن الذي أردف همسا لها في وله سلب قلبها مراتٍ ومراتٍ

"هل تعلمي يا كحيلة العينين أني سأجعلك أميرتي؟! وقبلة أخرى تأوهت لها الوقحة الصغيرة بنعومة وهي تبتسم ابتسامة صغيرة لكنها فعلت بها قبله الأفاعيل "

تصاعد بكاء الصغير محركا كفيه الصغيرين فالتفت إليه هامساً بخشونة :_

"هل جعت يا صغير ، أمك لتوها نامت "

"بل يعلن عن احتجاجه في أحقيته بدلال أبيه مثل تلك الماكرة التي أمطرتها بالقبلات"

رفع رأسه على نبرتها الواهنة مبتسما وهو يقول :_

"متى استيقظتِ؟!"

"منذ أمك الوقحة كانت تفعل "

تعالت ضحكاته الرجولية الرائقة بصفاء لم تشعره به من قبل فهمست دون وعي :_

"يليق بك الأبوة "

تجاوز الصغيرين من أسفلهم بحذر حتى أصبح جوارها ظهره للصغيرين نائما على جانبه بينه وبينها مسافة بسيطة حتى لا يلمس الجرح دون قصد وهمس بحنان اشتاقته منه حد الموت

"هل أنتِ بخير ؟!"

أومأت برأسها متناولة كفه بضعف تطبع على باطنه قبلة هزته هزا وهمست لعينيه بصدق :_

"هل تعلم أني أحبك ؟!"

رفع أحد حاجبيه بتأثر يمسح تلك الدموع التي سالت على وجنتيها وهو يسألها مبتسماً:_

"وهل حبي يجلب الدموع هكذا؟!"

"بل لأنه أجمل مما يتحمله قلبي "

ارتشف أنفاسها على مهلٍ لعله يوصل لها كم أصبحت تعني له لكن بكاء الصغيرين ورائهم ارتفع ،فانفصل عنها ضاحكا وهو يقول :_

"يبدوا أنهم يريدون أن يأخذوا حصتهم "

ابتسمت وهو يعدل من وضعيتها بحذر حتى لا يؤلمها ومن ثم ناولها عاليته الصغيرة كي تتناول طعامها وأخذ هو الأمير عُدي يهدهده بحنان حتى تأخذ أخته حصتها ويهنأ هو الآخر بعدها

سألته وصغيرتها تتناول وجبتها منها بنهم :_

"لما أصريت أن تسميها عَاليه هل من أجل أن تكون بنفس حرف أخيها عَاليه وعُدي "

ابتسم يقبل الصغير وهو يقول :_

"بل لأنها عالية القيمة والمقام في قلب أبيها "

إجابته جعلتها تشعر وكأنها أصبحت تحبه فوق حبها أضعافاً ومالت تقبل صغيرتها ،فانتبهت أن الصغيرة غفت ،رفعت رأسها له تناديه كي يأخذها منها ويناولها الصغير

لكنها وجدته شاردا ، نادت عليه حتى انتبه فسألته بحيرة :_

"فيما كنت شارداً"

اقترب يأخذ الصغيرة بحذر ويضع الصغير بين أحضانها وهو يقول بصوت خافت حتى لا يوقظها:_

"لا أعلم لقد حدث صباحا شئ غريب وأنا بالوحدة الصحية من أجل التطعيم "

ضمت حاجبيها تسأله باهتمام :_

"ماذا حدث ؟!"

وضع الصغيرة على الفراش بحذر ثم جلس أمامها وقال:_

"لا أعلم فور أن نادوا على أسمائهم ، وجدت امرأة تأخذهم إلى غرفة وحدهم تعطيهم التطعيم ،حتى أنها تأخرت بالداخل لدرجة أني خفت"

ربتت على فخذه بحنان قائلة بهدوء :_

"أنت فقط تقلق أكثر من اللازم يا حسن ، ربما لأنهم توأم
"

مط شفتيه وقال بحيرة:_

"ممكن لا أعلم "

****

"لا لا لا لا تضع كفك على وجهك "

والصرخة العالية نفذت إلى عقله فأيقظته من غياهب نومة ،فتح عينيه بصعوبة ضاما حاجبيه إلى بعضهم ، وانتفض جالسا وهو ينظر لها بحيرة ومازال النُعاس مسيطرا على عقله

تجلس أمامه ترتدي بلوزة قطنية دون أكمام ،سروال قصير إلى ركبتيها ،تنثي ساقيها أسفل فخذيها

تجمع شعرها كله من الأمام والخلف في كعكة عجيبة تتوسط رأسها من الأعلى ولا يعلم كيف فعلتها

وما هذا وجهها ملطخ بشيء بني اللون لا يظهر منه سوى عينيها وشفتيها المطليتين بلون وردي جميل مثلها

مهلاً مهلاً ، ما هذا الذي يشعر به على وجهه، وصرخة أخرى مثل الأولى حين حاول رفع كفه إلى وجهه فسألها بحنق:_

"روضة ماذا على وجهي بالله عليكِ ؟"

لم تبالي بحنقه ولا حتى عبوس وجهه وهي تسحبه من كفه إلى المرحاض توجهه إلى المرآة

رفع حاجبيه وهو يرى وجهه مثيل لوجهها فاستدار إليها متنهدا وهو يقول:_

"ما هذا يا روضة بالله عليكِ"

ضمت كفيها لبعضهم ،تعض شفتيها بشقاوة وهي تقول بدلال :_

"إنه قناع الشوكولاتة يا أنس "

خبطها على رأسها من الخلف ثم مسكها من تلك الكعكة العجيبة وهو يقول :_

"وما هذه أيضا بحق الله ،حمدا لله أن شعري قصير"

تذمرت تنفض رأسها من كفه وهي تقول :_

"أنس لا تعبس بتسريحتي "

وليموت أنس فداءاً لعيون تلك الجميلة

ضمها إليه ضائعا فيها حتى أبعدته عنها هامسة بتحشرج متذمرة :_

"أنس أبتعد ستُفسد القناع هكذا "

استدار يغسل وجهه سريعا فصرخت باعتراض لكنه سحبها هي الأخرى يغسل وجهها وسط صراخها ومن ثم رفعها على كتفه حتى رماها على الفراش بحذر واقترب منها قائلا بشر :_

"إذا مدام روضة لا تخشى من أن تضع قناع على وجه زوجها وهو نائم "

تعلقت ذراعيها في عنقه وهي تقول بثقة أرضته فهو يبثها بها يوما بيوم :_

"أنس روضة لا يغضب منها أبداً ،بل يعشقها "

بعد ساعتين

يشاهد التلفاز وهي بالمطبخ تصنع وجبة خفيفة لهم ، دخلت عليه بصينية صغيرة بها شطائر متنوعة وكوب من النسكافية له وآخر شاي بالحليب لها

فور أن وضعت الصينية ، شدها من ذراعها يضمها له مقبلا رأسها بحنان ،فاستندت على كتفه قائلة بحزن:_

"أنس ألن تأتي معي عند أبي غدا ؟!"

تصلب جسده واعتدل في جلسته يفتح الشطائر ينظر إلى ما بها ،تناول أحدهم محشوة شاورما وقضم قطعة يمضغها قائلا بجمود:_

"لا"

أدارته إليها قائلة بمحاولة :_

"انسى يا أنس ، أبي لم يعد كما السابق حتى أنه يسألني عليك دوما"

"والدك يسأل عني ،كي يقتنص لي خطأ معك يا روضة وليس من أجلي

والدك يظن أني أُحسِن معاملتك خوفا منه ، لا يدري أنكِ الهواء الذي أتنفسه "

ترقرقت الدموع في عينيها ومالت تطبع قبلة على كفه هامسة بألم:_

"آسفة حبيبي لو آلمتك يوما "

مسح وجهها بكفة بحنان قائلا :_

"لا تأسفي حبيبتي لم أحزن منكي يوما لكن والدك لا أستطيع أبداً مسامحة أنه سلبك مني "

*****

لو تقف تراقبه الآن مؤكد سيصيبك الجنون الحتمي وكأن جني حوله

بمطبخ شقته يرتدي منامة قطنية بنصف كم ، يربط مريول المطبخ على جسده

سيجارته بفمه ، والمذياع يصدح بصوت عبدالحليم ،،

أمام الموقد يقوم بتسوية البيض المقلي في المقلاة وذلك الحلو الصغير الجالس على الطاولة أمامه يصفق بيديه مصدرا أصوات مبتهجة تنعش قلبه

أطفأ الموقد وأخذ ينقل الأطباق على الطاولة ومن ثم حدثه قائلاً:_

"هل هذا الصوت الذي أسمعه ،هو صوت زقزقة العصافير في بطنك يا فتى "

أومأ برأسه وهو يضحك ،يلتهم من كفه الممدود الطعام بنهم .

بعد أن تناولوا فطورهم سويا

مال الصغير عليه يقبل وجنتيه قائلا بطريقته المحببة :_

"علي أحُبِك أكمل قوِي"

ضمه له بحنان يعبث في شعره الناعم ،يتأمل ملامحه الناعمة البريئة ، عينيه المستديرتان بطريقة تجعلك تُميز أنه من أصحاب متلازمة داون فور أن تراه

بشرته الحليبية، تقاطيعه الصغيرة، رأسه المستديرة الملتصقة بجسده وكأنه ليس له رقبة ، أسنانه الصغيرة المصفوفة

كل ما به يسلب القلب

حمله أكمل على كتفية قائلا بخشونة محببة :_

"تمسك بي جيدا يا فتي حتى أعد لي القهوة ولك الحليب بالشوكولاتة"

بعد ربع ساعة

يفترش أرضية غرفة المعيشة هو والصغير

أمامه أوراقه يعمل عليها والصغير أمامه يقوم بتلوين بعض الرسومات بتركيز

يتفحص الأوراق أمامه بتركيز وهو يسب رفعت عمران بينه وبين نفسه

الحقير هل يظن أنه لا يفهم رأسه القذرة ، هل يظن أنه سيتركها له كلقمة صائغة ، أبداً لن يحدث

وضع أوراقه جانبا وهو يعزم على شيئا ما لكن قبلا تحدث للصغير قائلاً:_

"علي ما رأيك أن تذهب للجدة خديجة اليوم "

رفع الصغير رأسه للسقف مبتسما وكأنه يفكر ثم نظر إليه سائلاً:_

"هل ستطعمني المحشي؟؟"

تعالت ضحكاته الرجولية وهو يهب واقفا يحمله على ذراعة قائلاً بمشاكسة :_

"يا فتى ألا يهمك سوى بطنك؟!"

ابتسم الصغير ينظر للأسفل وكأنه خجل ،فقبله على وجنتيه ضاحكا يتجه به إلى غرفة النوم كي يبدل له ملابسه...

الفصل الثلاثون

"أنا أسف لك يا دكتور لكنها رافضة رفضاً قاطعاً أن تدخل لها "

قالها الجد بأسف فتغضن جبينه بالألم رغما عنه وهو يسأله بتهدج :_

" إذا ، كيف هي هل ... "

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يردف متسائلاً بقلق:_

"هل تبكي؟!"

جلس الجد وهو يشير له بالجلوس وتنهد بهم قائلاً:_

"لا أكذب عليك حالتها تقطع القلب حتى أن ياسر والدها لا يذهب إلا ليلاً في وقت متأخر كل ليلة من كثرة تشبثها بين أحضانه تبكي وفقط

فقط لو تخبروني ماذا حدث لو تخبروني ماذا حدث يا بني"

"أنت ما الذي أتى بك هنا"

كان هذا صوت حمزة الهادر يدخل عليهم الغرفة قاطعا حديثهم ويبدو أنه لتوه وصل من العمل

وقف شهاب قائلاً بحزم :_

"أنا أتيت لزوجتي يا دكتور "

"حمزة اهدأ ، هذه ليست طريقة تعامل بها زوج أختك"

"كان يا أبي كان أقسم ألا تقعد على ذمته كثيرا ، قلت لك لو فقدت ابتسامتها يوما سأنتقم منك وهي لم تفقد ابتسامتها فقط يا أبي لقد فقدناها بكليتها والسبب هو "

استرعى انتباههم صوت شهقات بكاء عالية تأتي من جهة غرفتها فاندفع جسد شهاب رغما عنه

لكن نعمات التي خرجت من الغرفة بوجهها الجامد وقفت في وجهه هو وحمزة قائلة بحزم:_

"لا أريد كلمة أخرى بينكم هنا وتسمعها بالكاد أحاول أن ألملم المتبقي من ابنتي

إذا كنتم تريدون الشجار فتشاجروا خارجا وليس هنا "

أطرق برأسه في عدم رضا لكنه آثر الانسحاب وهو يلقي السلام وتركهم وخرج...

□□□□

وضعت الكتاب الذي كانت تقرأ به جانبا على دخول ابنتها الباكي ففتحت لها ذراعيها وهي تضمها إليها بقوة تسألها بقلق :_

"بسم الله عليكِ يا حبيبتي ،ماذا بكِ"

قبعت الصغيرة بين أحضانها ،ونهنهات بكاءها الرقيقة تعلو ،فظلت تربت عليها بحنان حتى خفت بكاءها إلا من شهقات بسيطة ،رفعت وجهها إليها تمسح دموعها بكفيها تسألها بقلق:_

"لقد حلمت ببابا يا ماما ، لقد ضمني إليه وقبلني من رأسي وأخبرني ألا أحزن أنا وأخي وأنه يحبنا كثيرا وأخبرني أن أقول لكِ لا تحزني أبداً "

انخلع قلبها ودمعت عينيها رغماً عنها فضمت ابنتها لها تسألها بلهفة :_

"كيف هو يا دانية ،كيف كان حين رأيتيه؟!"

وشهقت بكاء أخرى ثم أردفت :_

"لقد كان يرتدي عباءة العيد يا ماما وكان يبتسم "

كتمت أنفاسها بصعوبة حتى لا تبكي أمام ابنتها ثم زفرتهم على مهل تبتسم بصعوبة وهي تقول بحنان:_

"أرأيت كم هو بخير يا دانية ألم يوصيكِ ألا تبكي"

أومأت برأسها مسرعة وهي تبكي ،فمسحت حفصة دموعها مرة أخرى مبتسمة وهي تقول:_

"إذا لا تبكي يا حبيبة أبيكِ،، فبابا يشعر بنا هل تريدين أن يغضب منكِ؟"

هزت رأسها نفيا مسرعة وهي تحاول أن تبتسم قائلة :_

"لم أعد أبكي يا ماما "

ضمتها حفصة بقوة مقبلة وجنتيها ،تربت عليها بحنان حتى شعرت بثقل رأسها ،فعدلت من وضعيتها على الفراش وهي تتأمل ملامحها الجميلة

شعرها البني الطويل الذي تعقصه في ذيل حصان، وجهها الأبيض المستدير ، عينيها الواسعتان ، أنفها الصغيرة ،شفتيها المضمومتين ،وجنتيها المكتنزتان ،ترتدي منامة حمراء تُظهر استدارة جسدها فابتسمت تمسح دموعها وهي تتذكر تعليق يحيى عليها ذات يوم بعبث:_

"ابنتك كالبطة لقد ورثت استدارة جسدكِ منكِ"

لفت نظرها حركة عند باب الغرفة لكنها حين نظرت لم تجد شئ فدثرت الصغيرة بغطاء خفيف وتركتها متجهة إلى الخارج تنظر إلى الطرقة الفارغة بحيرة ، كانت ستعود إلى غرفتها مرة أخرى لكنها عرجت على غرفة صغيرها تطمئن عليه فتسمرت مكانها

وهي تجده ينام نصف نومة على الفراش على بطنه ،ساقيه متدليتان للأسفل ،يكتم شهقات بكاءه بقوة في الوسادة أسفله فنادته بخوف وهي تقترب منه

"أَكسَم ما بك يا حبيبي لما تبكي؟ "

أجفل منتفضا وهو يعطيها ظهره يمسح دموعه سريعا ثم استدار إليها قائلا :_

"أنا لا أبكي يا أمي "

ابتسمت بفخر تطلع لرجلها الصغير ،الذي يقف أمامها ينفي بكاءه بشموخ يشبه حبيبها

فجلست على الفراش ونظرت له نظرة ذات معنى وهي تفتح له ذراعيها

لم يقوى على الصمود ثانيتين وهو يندفع إليها يدفن رأسه بين أحضانها يبكي بقوة عصرت قلبها عصراً وهو يقول بألم طفولي:_

"اشتقت إليه يا أمي ،اشتقت إلى وجوده معنا هنا ،اشتقت إلى لعبة معي ،ثرثرته إلي ، اشتقت إليه يا أمي"

ضمته إليها بقوة تستمع إلى حديثه بصبر وهي تهمس :_

"يارب أجرنا في مصيبتنا ،يارب اربط على قلوبنا يارب من أجلهم "

وجدته ينسل من بين أحضانها يمسح عينيه سريعا وكأنه خجل من بكاءه وحديثه فضمته لها مرة أخرى قائلة :_

"لا تخجل من أمك أبداً يا ولد ، أنا أيضاً اشتقت إليه "

صمتت ثوانٍ ثم أمالت رأسها تسأله بتقرير:_

"هل كنت تستمع إلى دانية عند الغرفة ؟!"

أومأ برأسه قائلاً بأسف :_

"لم أقصد، لقد كنت أشرب ورأيتها تدخل باكية إلى غرفتك فقلقت عليها ،لكني لم أقوى على الدخول حينما تحدثت عن أبي رحمه الله"

داعبت شعره بحنان قائلة :_

"هل استمعت إلى رؤيتها؟!"

أومأ برأسه مبتسما وهو يقول :_

"نعم "

تحشرج صوته وأردف :_

"تمنيت أن يأتي لي أنا الآخر "

قبلت وجنتيه وهي تقول :_

"هو يشعر بنا يا حبيبي، والدك حي يرزق في السماء يجب أن تفتخر به وتفرح لأجله فقد طلب الشهادة ونالها رحمه الله"

أومأ برأسه وهو يقول:_

"رحمه الله يا أمي ، لكن هل يشعر بنا حقا؟!"

أومأت برأسها وهي تقول:_

"نعم يا حبيبي المتوفي يشعر بحال أهل بيته يحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم حتى صلاح حالهم أو عدمه يشعر به "

لمعت عينيه بانبهار وهو يبتسم فأردفت بطريقة مبسطة لعقله:_

"وكأنه بغرفة مغلقة معنا هنا يشعر بنا لكننا لا نستطيع الدخول له"

ابتسامته المرتاحة طمأنت قلبها فسألته مبتسمة وهي تربت على وجنته بحنان:_

"ما رأيك أن نصلي القيام معا ونجلس ندعوا له ؟!"

أومأ برأسه في حماس وهو يقول:_

"حالاً سأتوضأ يا أمي"

□□□□

دخل إلى المكتبة ملقيا السلام على الجميع ثم جلس على الطاولة أمامها قائلاً:_

"كيف حالك يا دكتورة وكيف حال أَكَسم ودانية"

"بخير حال الحمدلله، يرسلون لك السلام"

ابتسم وأثر الصمت منتظرا حديثها فتنحنحت قائلة بعتاب:_

"كيف حال رنا؟؟"

أطرق برأسه ثوانٍ ثم قال باقتضاب:_

"أظنك تعرفين أكثر مني"

"لا تقل لي أنك صدقت يا دكتور "

"لو كنت صدقت يا أم أَكسَم لم أكن أمامك الآن ، لقد ذهبت أكثر من مرة في محاولة لمقابلتها لكنها متعنتة في الرفض ،لا تعلم أن بتصرفها هذا تُثبت الأمر عليها أكثر مع رجل غيري"

أومأت برأسها قائلة بهدوء:_

"هي أضعف من أن تتحمل الأمر يا دكتور ، أنت تعلم ذلك جيدا "

مط شفتيه قائلاً:_

"أعلم لكنها هكذا لا تساعدني أبداً ، بما أنها ذهبت لكِ مباشرةً فبالتأكيد قصت عليكِ كل شئ ، رنا بتصرفها لم تصغرني أمام أهلها فقط بل أمام أهلي أيضاً يجب أن تتواصل معي حتى أستطيع حل الأمر "

"أستطيع أن أقص عليك إذا أردت يا دكتور"

هز رأسه نفيا وهو يقول:_

"لن يصح الأمر هكذا ،يجب أن تتحدث لي وعينيها بعيني حتى تستقيم حياتنا فيما بعد"

أومأت برأسها في تفهم قائلة:_

"حسنا معك حق سأتحدث إليها لا تقلق "

□□□□

لقد تعمد أن يذهب في موعد عمل حمزة حتى لا يصطدم به فهو ليس بصدد مناوشات وغيرة أخوية الآن ، وبالأخص أن حفصة أكدت له أنها اقنعتها باستقباله والحديث معه ،وجدها رغم عدم رضاه إلا أنه صامت وكأنه يفهم أن الأمر أكبر من سوء تفاهم عادي بين زوجين

رفع رأسه على صوت جدها قائلاً:_

"لقد وجدتها نائمة ، إذا أردت أيقظها لك أم تفعلها أنت ؟!"

احمرت أذنيه قائلاً:_

"هل يمكن أن أفعل ؟!"

" بالطبع يا بني تفضل "

قالها الرجل وهو يشير له ،يتقدمه جهة الغرفة حتى أوصله

دخل مغلقاً الباب خلفه ، وتقدم منها حتى وصل إليها وابتسم رغما عنه

تنام محتضنة وسادتها ووجها أسفلها ،سحب الوسادة بحذر فتململت لكنها لم تستيقظ

وضعها جانبا وهو يجلس نصف جلسة جوارها على الفراش يتأمل ملامحها في اشتياق ، شعرها الأسود المعقوص في كعكة ،غرتها المدلاه على جبينها ، رموشها الطويلة ، أنفها الرفيع ،شفتيها المضمومتان بشرتها الخمرية اللامعة في تلك المنامة المحتشمة

تردد قليلا وهو يرفع غرتها بأصابعه ثم مال لاثماً وجنتها ومن ثم اعتدل ينادي عليها بجدية

ضمت حاجبيها في أول الأمر وكأنها لا تصدق ،لكن سرعان ما انتفضت جالسة تنظر إليه وكأنها لم تستوعب وجوده بعد ثم أخيرا أطرقت برأسها تفرك كفيها ببعضهم

حسنا في موقف آخر لكان أبرحها دلالا بمنظرها المهلك هذا لكن الآن هو لم يأتي سوى لشيء محدد لذا قال بجمود :_

"أظن أن حفصة أخبرتك أني أريد الحديث معك "

أومأت برأسها قائلة بخفوت :_

"نعم لكني توقعتك ستأتي ليلاً "

هز رأسه وهو يقول بجدية :_

"حسنا أنا أستمع إلى تبريرك "

"هل ستصدقني!؟"

مط شفتيه بعدم رضا قائلا بتهكم قاسي بعض الشيء:_

"لم أكذبك من البداية يا رنا ، أنتِ التي أثبتِ لي أنكي زوجة غير مسؤولة في التعامل فمع أول ظرف يقابلنا في حياتنا ،قولي لي ماذا لو وقعت في مأزق أكبر من ذلك ومن المفترض وقوفك جواري ، أتوقع أنكِ ستفرين هاربة كما فعلتِ"

رمقته بلوم لكنه لم يضعف ، هو يعلم أنه يقسو عليها وكم يؤلمه ذلك لكنها تستحق !!

همست بحزن رقيق:_

"معك حق أنت تستحق واحدة تشبهك تستطيع الوثوق بها والاستناد عليها لذا أنا أخبرت أبي أني أريد الطلاق"

مسكها من ذراعها قائلاً بحدة وقد أججت غضبه :_

"ليس هناك فائدة فقط من بضعة كلمات قاسية جعلتك تهذين بما تهذي الآن حسنا لم أتي لعودتك بالأساس يا رنا هناك مصيبة أكبر من دلالك وتفهمي الآن يجب أن تحل لذا أنا أنتظر تبريرك "

عضت على شفتها السفلى حتى لا تبكي ثم شرعت في أن تقص عليه ما اتفقت عليه مع حفصة ،نصف الحقيقة فقط ،تنظر له بين الفنية والأخرى كي تتبين رد فعله لكن وجهة كان صفحة بيضاء لا تنذر بشيء

فور أن انتهت من الحديث ،ظل صامتاً يربط الأمور ببعضها حتى انتبه على صوتها تنادي عليه ،لم يرد وهو يسألها بإنهاك :_

"إذا لما لم تخبريني بذلك يا رنا لما أخذت في البكاء والولولة حتى شككتيني بنفسي أنا ، أنا لست بالشخص الشكاك يا رنا ،لست رجل صغير حتى لا أدرك صدق من أمامي من عدمه ، كلمة واحدة منكِ ، كانت كفيلة بأن تقصر علينا نصف المشوار وتكبير الموضوع مع أهلك"

"أنا آسفة"

همستها ببكاء لكنه ادعى اللامبالاة وهو يستقيم واقفاً قائلاً:_

"أنا سأذهب الآن ، أشكرك لأنكِ تكرمتي أخيرا وقابلتي زوجك"

أنهى حديثه بتهكم وتركها وخرج

بالأسفل فور أن ركب سيارته ، أدارها سريعا يضرب على المقود بقبضته في غضب

هل لو عاد إليها الآن فقط كي يطمئنها ويحتضنها
سيحدث شئ؟!

ظل يستغفر بصوت عالي كي يبدد غضبه قليلاً ثم هاتف ذاك الأكمل يخبره بما توصل إليه

استمع إليه يقول :_

"حسنا الآن وضحت الصورة يا دكتور ، الخطوة التالية هي والد زوجتك يجب أن يعلم ويساعدنا"

"حسنا سأذهب إليه وأرد عليك"

"حسنا يا دكتور لكن الأهم ألا تتهور الأستاذة من ورائنا خذ حذرك معها جيدا "

□□□□

"هل اتصلت على أخيك يا مُحمد؟!"

سألت جدته والده الذي أومأ برأسه قائلاً:_

"نعم يا أمي ،قال أنه بخير هو وزوجته ،مجرد مشاكل في العمل لا تقلقي"

قطب حاجبيه وهو يجاور والده سائلاً بدهشة :_

"ما به شهاب يا أبي ؟!"

هز والده كتفيه بعدم فهم وهو يقول:_

" لا أعلم جدتك تقول أنه منذ أن غادرت زوجته وهو لحقها وهي تشعر بشيء سيء، لكني هاتفته ولم يقل شئ"

أومأ لوالده في تفهم ثم نظر لجدته يسألها:_

"ما الذي يقلقك يا جدتي؟"

" لا أعلم يا ولدي فقط قلبي منقبض عليه ، وكلما يهاتفني وأطلب منه الحضور يستسمحني أن أنتظر وهو سيأتي ، أخاف أن تأتي له سفرية بالخارج ولا أراه ومن يضمن عمري "

انتقل جوارها يضمها إليه قائلاً:_

"لا تقلقي يا جدتي شهاب بخير، ربما هي أمور العمل كما يقول أبي وأيضاً هو لن يفعلها ويسافر للخارج دون أن يأتي هنا أبداً "

ربتت على كتفه بحنان تدعوا له ،ومن ثم التفتوا على صوت والدته تقف على باب الغرفة قائلة :_

"الغداء جاهز "

ثم خصته هو بالحديث قائلة :_

" اصعد يا عبدالرحمن لزوجتك واجلبها ومر على أخيك أيقظه حتى يتناول الغداء معنا هيا "

على الغداء ....

رمقتها حماتها بعتب قائلة :_

"لم أرهقتِ نفسك يا ريم بطاجن ورق العنب هذا ألم أخبرك أن غداءكم معنا اليوم طالما نحن هنا"

ابتسمت بخجل حين رد حماها بدلا عنها بمشاكسة :_

"ربنا لأن ولدك يعشق ورق العنب يا أم عبدالرحمن"

كح بخجل وهو يرمقها بحب فضحك الجد وهو يربت على فخذه بحنان داعياً:_

"بارك الله لك فيها يا ولدي نعم الزوجة ، نعم الكِنة ، ونعم الحفيدة "

احمرت وجنتيها خجلا فأنقذها صوت خالد المبتسم مغيرا الموضوع وهو يسأل:_

"أين تميم؟!"

"لقد مر خاله صباحا وأخذه معه عند جدته يقضي ليلته هناك "

□□□□

باليوم التالي:_

أغلق باب الشقة خلفه واقترب منهم وجدها تجلس على الأرض جوار صغيرها تذاكر له ،تقرأ عليه بعض الحروف والكلمات وهو يردد ورائها

ابتسم مقتربا منها ملقيا السلام ثم تركهم ودخل يبدل ملابسه ويؤدي فروضه

بعد فترة خرج وجدهم على نفس الحال ، الفرق أنها تتلوا عليه بعض آيات القرآن من الصور الصغيرة كي يحفظها

جلس أمامهم على الأريكة يتابعهم أو بالأحرى يتابعها هي

منامة بيضاء قطنية دون أكمام ، مرسوم عليها أشكال من القطط باللون الأسود ،سروال يماثلها يصل إلى أسفل ركبتيها

شعرها ملفوف بتلك العصا الخشبية العجيبة بطريقة مهملة لكنها أنيقة

لمعت عيناه على تذمر تميم قائلا لها بعدما قبلته:_

"أمي لقد لوث طلاء شفتيكِ وجنتي"

والدكتورة الراقية ، الحكيمة العاقلة في حضرة الصغير طفلة تلهو وتلعب وكأن سنوات عمرها لا تفرق عنه

فها هي ترفعه إليها بقبضتيها ، تقبله قبلات متعددة، تدفن أنفها بعنقه تدغدغه ، والصغير يضحك وينتشي سعادة وليحترق هو بالجحيم من غيرته

كيف لم ينتبه من قبل أنه غارق في حبها، كيف لم يأبه بغيرته المجنونة عليها

كيف لم يركز في حفصة لتفاصيلها؟! هكذا !!

تنحنح جاذباً انتباههم سويا وهو يقول بنبرة عبثيه أخجلتها ظاهرها لتميم وباطنها لها

"حسنا ألن آخذ نصيبي أنا الآخر، من كل هذا الدلال!!"

والصغير يقفز على ركبتيه فرحا يقبله وهو يسأله بحذر طفولي :_

"ألن تغضب إذا لعبت معك مثل ماما؟!"

ألمه قلبه وهو يضمه إليه بحنان في اعتذار غير منطوق لكنه وصلها جيدا ،فرمقتهم برضا وهي تتركهم وتذهب إلى المطبخ تجهز الطعام ،تبتسم متمتمة بالحمد على أصوات ضحكاتهم معاً

بعد قليل دعتهم للطعام فجلسوا سويا على الطاولة ، هو يترأسها وهي بجواره وطفلهم يجلس جوارها

أصدر همهمة مستمتعة فور تناوله للطعام وابتسم قائلاً:_

"سلمت يداكِ يا حبيبتي ، الكبسة رائعة "

وضعت قطع اللحم أمامه مبتسمة وهي تقول :_

"بالهناء والشفاء"

والصغير يراقب منتشيا بسعادة وهو يتناول الطعام من يد والدته

عقله الصغير يرتاح أخيراً وهو يلتقط بذكائه الطفولي تناغم والديه ، هدوء والده ولعبه معه ،حتى صراخه الغاضب حين يعلوا صوته أصبح ألطف من ذي قبل ،وريم أفهمته أنه رغما عنه يفعل ذلك فهو مريض

ابتسم بفرح وهو يرى والده يمد معلقته إلى فم والدته بالطعام وأتبعها بقطعة لحم من خاصته

انتبه إلى صوت ريم تحدث والده :_

"عبدالرحمن لا تفعل يكفي وتناول طعامك كاملاً ،حتى تأخذ أدويتك "

ابتسم بعبث وهو يقول:_

"فقط كنت أُحلي الطعام مذاقاً بمذاق فمكِ "

رمقته بعتب ووجهها يحتقن خجلا فالتفتت سريعا تُطعم تميم الذي يراقبهم ببهجة طفولية شعت أكثر وهو يغمزه بتواطئ عبثي وليد بينهم

ليلاً

نشفت يديها بعدما انتهت من غسيل الصحون واتجهت إلى غرفة تميم تطمأن أنه لم يستيقظ فهو خلد للنوم منذ ساعة

أحكمت غلق النافذة جيدا وقبلت جبهته بعد أن قرأت عليه الأذكار كما تفعل كل ليلة ثم تركته وخرجت

دخلت عليه غرفتهم فوجدته يمسك هاتفه ويبدو عليه القلق ، جلست جواره تسأله :_

"ما بالك يا عبدالرحمن ؟ هل حدث شئ!!"

التفت إليها قائلا بحيرة :_

"أشعر بالقلق على شهاب ، فأمر مغادرته العجيب هو وزوجته يثير ريبتي ، بالأخص أن ما قصه علي خالد أقلقني أكثر وحين سألته أنكر أن هناك شئ"

ربتت على كتفه بمؤازرة وهي تقول:_

"لم لا تذهب إليه؟!"

"أقسم على ألا أفعل وأن هو من سيأتي وأكد على ألا أقلق ولا أسبب القلق لجدي وجدتي"

مطت شفتيها متمتمة بدعاء أن يصلح الله له أموره هو وتلك الرقيقة زوجته ،رغم دخولها العائلة منذ فترة قليلة إلا أنها أخذت قلوبهم جميعا

انتبهت على صوته الرائق وهو يقول مبتسماً :_

"هل تعلمي أني أرى شهاب في تميم ؟!"

انتقل الابتسام إليها وهي تقول:_

"نعم هو يشبهه كثيرا حتى أن الجد لطالما قال له أنه سيكون نسخة منه حينما يكبر إن شاء الله"

"إن شاء الله"

همسها بتمني ،فمن الذي لا يحب أن يكون ولده كشهاب

رمقها بتردد وهي تتجه إلى المرآة تمشط شعرها وتعتني ببشرتها فاقترب منها يسألها بتوتر:_

"ألن تخبريني؟!"

شعر بتشنجها لكنها ردت بلامبالاة :_

"بما أخبرك؟!"

حسم أمره وهو يقول مباشرةً:_

"فيما كانت تريدك هنا؟!"

سيطرت على نفسها بصعوبة تدعي لامبالاة أبعد ما تكون عنها وهي تضع المرطب على ذراعيها تسأله بخفوت:_

"هل يهمك أمرها؟!"

التقط علبة الكريم منها يفعل ما كانت تفعل وهو جاثياً على ركبتيه أمامها حريصاً أن يلتقط عينيها بعينيه وهو يقول بثبات صادق :_

"هنا أمرها لا يهمني أبداً أبداً يا ريم ،هي لم تعد سوى ابنة عمتي ليس إلا ، وما يهمني هي أنتِ ، وأسأل لأني خائف أن تكون قالت ما يغضبك ،لأنكي لم تتحدثي من يومها عن الأمر أبداً بل حتى لم تُلمحي له رغم غضبك المكتوم"

زفرت بهم قائلة بتهكم:_

"منذ متى وأنا أتحدث أو أظهر غضبي وغيرتي يا عبدالرحمن ،لقد كتمتها لسنوات حتى لم تعد تعنيني"

رمقها بعتب ، وهو يفتح كفها يطبع قبلة دافئة على باطنة ثم يركن وجنته عليه هامسا:_

"ألم نتفق أن نرمي الماضي ولا نعد له ثانية؟!"

سرحت كفها الأخرى تداعب شعره دون أن تشعر وهي تقول بصدق:_

"أنا آسفة لم أكن أقصد ،فقط أرجوك لا تسألني عما حدث بيننا مرة أخرى بل لا تفتح حديث يضم ثلاثتنا أبداً مرة أخرى يا عبدالرحمن مهما حدث "

نهض واقفا وهو يسحبها معه يضمها إليه قائلاً بوعد :_

"حسنا أعدك لن أتحدث ثانية "

ابتسمت برضا فقبل وجنتها قائلا بأمل :_

"أنا أتمنى أمر يا ريمية "

"ما هو يا حبيب الريمية "

سألته بلهفة جلبت البسمة العاشقة لشفتيه فهمس بأمل :_

"أنا أريد طفلة "

عبست تنظر له ثم سألته بحيرة :_

"هل تريدنا أن ننجب مرة أخرى؟!"

أومأ برأسه قائلا بتمني:_

"نعم وأريدها أن تكون فتاة "

ضحكت قائلة :_

"لا أعدك بهذا الأمر صراحةً يا عبدالرحمن فهو ليس بيدي "

ابتسم يسألها بشك:_

"أنتِ موافقة؟!"

أومأت براسها قائلة بخجل:_

"ولما لا أوافق ؟؟"

تنحنح وأذنيه تحمر لا تدري انفعالا أم خجلا لكنه همس :_

"ظننتك لن تريدي الإنجاب مني مرة أخرى....يعني تميم أتى فجأة و...لكن"

رمقته بحيرة وهي تجاوره على الفراش الذي جلس عليه تسأله باهتمام:_

"عبدالرحمن هلا أوضحت لي مقصدك؟!"

تظاهر بالانشغال في هاتفه وهو يقول بخجل ألم قلبها من أجله:_

"يعني لقد ستر الله في تميم لكن أقصد خوفا من أن يرث أحد الأطفال مرضي"

انتفضت بغضب كأم تنهش من يمس أبنائها وهو ابن قلبها حبيبها ،لذا لفت رأسها إليه قائلة بحدة:_

"ماذا تقول يا عبدالرحمن وأنت ماذا بك إن شاء الله؟! تتحدث وكأنه مرض عضال لا علاج له

أحمد الله يا عبدالرحمن فبعد انتظامنا على الأدوية الجديدة بعد الحادثة قلت نوباتك بل أصبحت شبه نادرة ، كما أن احتمالية وراثته حتى ضئيلة جدا "

تمتم بالحمد وخجل يثير اختناقه يسيطر عليه لكنه نظر إليها بدهشة وهي ترتكن بذراعيها على صدره قائلة بشر مصطنع :_

"لكن أخبرني يا سيد عبدالرحمن لما تريد فتاة بالذات"

ابتسم لكنه همس بتلقائية خرجت من قلبه إلى قلبها مباشرةً:_

"أريدها تشبهك، نسخة عنكِ، أحبها كما أحبكِ"

ابتسمت تقترب منه هامسة بحنان:_

"بل أنا التي أحبك يا حبيبي"

غمزها بعبث وهو يحتوي وجهها بكفيه هامشا بتوق وعينيه تمر على ملامحها :_

"إذا لنعمل على الإتيان بها سريعا يا ريمي "

□□□

"حسن"

همستها الخافتة باسمه جعلته يلتفت إليها في تساؤل ،وضعت عُدي جوارها والتفتت إليه تسأله في تردد :_

"هل ما زلت غاضبا مني!؟"

نغزة قوية بقلبه تغافل عنها بقصد فهو أقسم أن ينعم بكل شئ بأسرته الصغيرة وابتسم قائلاً بحنانه المعهود :_

"انسي يا ملك ، أنسي لأني أنا الآخر أتناسى "

لوت شفتيها قائلة بتبرم طفولي وهي تنظر لعاليتهم الصغيرة بين ذراعيه:_

"أنت منذ أن أتت عاليه وتقضي جل وقتك تتحدث معها، وكأنها تفهمك "

ضحك بخفوت حتى لا يوقظ الصغيرة وابتسم يسألها :_

"تغارين من ابنتك يا ملك !؟"

كشرت ملامحها وهي تكتف ذراعيها ولم ترد فوضع الصغيرة وسحبها إليه يضمها تحت ذراعه مقبلاً وجنتها هامساً:_

"اشتقت إليكِ"

تعلقت بسواد عينيه مبتسمة باطمئنان وهي تقول:_

"لقد ورثوا جمال عيناك يا حسن هذا ليس عدلا ،هل سأغار عليك أم عليهم"

تعالت ضحكاته الرائقة وهو يقول بمشاكسة:_

"بل منا،مازلتِ حقودة ،صفراء يا ملك"

ابتسمت بحب ،فمال إليها مُدللاً ابتسامتها بسحر اشتياقه وحبهم الذي ينمو يوماً بعد يوم

لم ينفصل عنها إلا حين شعر بحاجتها للهواء ،فضمها إليه بقوة مسيطراً على نفسه ثم قال بجدية :_

"كنت أريد أن أتحدث معك في أمر يا ملك "

رفعت رأسها إليه تسأله :_

"ماذا يا حسن؟!"

اعتدل في جلسته يواجهها قائلاً بجدية :_

"أنا أفكر في السفر "

"كيف يعني ،تسافر إلى أين ؟!" سألته بقلق وقد تعالت نبضات قلبها بشعور سيء

زفر أنفاسه قائلا :_

"السفر إلى الخارج يا ملك ، إلى أي دولة أجنبية ،هنا لن أستطيع الاستمرار أبداً يا ملك ،لن يتركني أحد بحالي أنا وأطفالي ويجب أن أوفر لهم حياة مرتاحة يهنئون بها تحت كنفي"

"ولم لا تبني نفسك هنا حتى حين يشبوا يفتخروا بما فعلت من أجلهم في بلدهم"

ابتسم بسخرية وهو يقول بمرارة لم يستطع كبحها:_

"أي فخر يا ملك مهما فعلت سأظل حسن القصاص اللقيط ،هل تظني أني لم أفكر في هذا الأمر ، إذا لما لجأت للعمل بمكتب خالد ؟! لكن يجب أن أواجه نفسي بالحقيقة يا ملك لن أستطيع الاستمرار هنا، بالأخص من أجلهم "

انهمرت دموعها قائلة بخوف :_

" وأنا ستتركني يا حسن؟!"

ضم حاجبيه قائلاً بدهشة وهو يمسح دموعها :_

"يا مجنونة من قال ذلك وهل أستطيع؟؟"

"أنا لا أفهم ، كيف لن تتركني وكيف تريد السفر من أجلهم "

قالتها بوجل فتنهد قائلاً:_

"لقد تحدثت مع خالد بالموضوع وقال إنه سيحدث أعمامه ويساعدوني في الأمر ،سأسافر أنا أولاً حتى أستقر وأرتب حياة لكم هناك ثم ستلحقوا بي"

"وأمي يا حسن كيف سأتركها ، إذا فعلها إخوتي أنا لن أفعلها"

احتوى وجهها بين كفيه وهو يقول بعتاب:_

"وهل تظني أني سأفعل في المرأة الوحيدة التي أدركت من خلالها حضن الأم يا ملك ؟!"

صمت قليلا ثم أردف:_

"تتحدثين وكأن الأمر سيحدث بين يوم وليلة ، الأمر سيأخذ سنوات يا ملك إذا وفقني الله سأظل أنتقل بين هنا وهناك حتى أوفر حياة أفضل لكم ثم أخذكم وبالطبع والدتك معنا أن شاء الله"

لم تقتنع لكنها أثرت الصمت حين صدح صوت الصغيرين عاليا في البكاء

ليلاً

استيقظ على صوتها الباكي تناديه ،فانتفض جالسا يسألها بقلق وهو يفرك عينيه:_

"ماذا حدث يا ملك هل الصغيرين بخير"

أومأت برأسها ،تمسح أنفها بالمحارم الورقية وهي تقول :_

"أنا خائفة يا حسن "

نظر إلى ساعة هاتفه فوجدها الثانية بعد منتصف الليل فسألها بصوت متحشرج إثر النوم:_

"مما خائفة ،هل حدث شئ ؟!"

"لا تنام يا حسن ، أنا لم أستطع النوم أخاف أن يتحولوا ويخرجون للشارع دون أن نشعر كما أني خائفة منهم "

فغر فاهه ببلاهة ينظر لها وكأنها تتحدث بلغة أخرى ثم سألها ببلاهة يفرك عينيه ويبدوا أنه لم يدرك في حديثها جيدا :_

"من هم الذين سيخرجوا للشارع ؟!"

التفتت إلى طفليها في الناحية الأخرى بخوف ثم همست له في وجل وهي تقترب منه وكأنها تخاف أن يسمعها أحد:_

"عُدي وعالية"

تصلب جسده ،ينظر لها بتعجب وكأنها معتوهة ،يعيد التركيز في حديثها ثم ضم حاجبيه يسألها برهبة:_

"هل سمعت صحيح؟! هل تقولي أن الرضيعين سيخرجون للشارع وأنكِ تخافين منهم؟!"

أومأت برأسها وهي تضم نفسها إليه وتبكي لكنها انتفضت بغضب على صوت ضحكاته وهو يقول:_

"ملك أنتِ تمزحين بالتأكيد لأنكِ لستِ بمعتوهة لتظني أن عُدي وعالية وبالمناسبة عمرهم أيام يخرجون للشارع بالله عليكِ ماذا تقولين"

تأففت بغضب وهي ترمقهم بحذر ثم عادت بنظرها إليه هامسة بخفوت غاضب:_

"اخفض صوتك حتى لا تزعجهم ،كما أني لا أمزح"

كتم ضحكته بصعوبة حتى لا يغضبها أكثر ثم همس لها بمهادنه :_

"حسنا افهميني فيبدو أني لم أستيقظ بعد "

"يا حسن ألا تعلم أن التوأم يتحولوا إلى قطط ليلاً؟!"

قالتها بوجل كأنها تنقل له أحد الأسرار العسكرية المهمة مثلاً

هل لو انفرط ضاحكا الآن ستحزن؟! ، أومأ لها برأسه يحثها على المواصلة فأردفت:_

"يتحولا لقطط ليلا ويخرجون للشارع أيضاً!؟"

ضيق عينيه هامساً برهبة مصطنعة:_

"حسنا ومتى يعودوا؟!"

زمت شفتيها تفكر ثم قالت بحيرة وهي مازالت خائفة :_

"لا أعلم يا حسن مم..

قطعت حديثها صارخة وهي تقفز عليه بفزع حين تعالى صوت الصغير باكيا فجأة مما أفزعه أكثر فتعالى بكاءه وأيقظ الصغيرة هي الأخرى مفزوعة تشارك توأمها البكاء ..

حينها لم يسيطر على ضحكاته وهو ينقلب على الفراش غارقا في الضحك وهي فوقه

ضربته في كتفه بغيظ ،تعتدل في جلستها هامسة بغضب وهي تبكي:_

"أنت على ما تضحك ، أقسم أنك ثقيل "

لم يستطع الرد عليها وهو يضحك يسحب صغيره يهزه ببطء حتى يعود للنوم في حين انشغلت هي بالصغيرة

حين ناموا مرة أخرى كانت تنظر له بغضب فابتسم قائلا بمشاكسة :_

"أقسم أني تزوجت من مجنونة "

لم ترد عليه ،فاقترب منها يراضيها:_

"حسنا لا تغضبي أقسم لم أقصد لكن حقا ما تقوليه يا ملك يدعوا للضحك من أين أتيتِ بهذا الكلام ؟!"

"من الإنترنت"

قالتها بخجل ،فابتسم حسن قائلاً:_

"حبيبتي هذا الأمر خرافة شاعت قديما لأن أمر أن تلد المرأة توأم لم يكن شائع فانتشرت هذه الشائعة أن أرواح التؤم تتحول ليلا إلى قطط وكانوا ينبهون بعدم ضرب القطط ليلا لأنها أطفال وقد استغل الدجالون هذا الأمر بعمل أحجبة تمنع تحولهم وهكذا لكنها حكاية قديمة جدا حيث كان الجهل منتشر"

"حقاً يا حسن؟؟"

قالتها بدلال وهي تنظر في عمق عينيه ،فابتسم بحب قائلا بحنان :_

"حقا يا قلب حسن"

□□□

" تفضل السيد ياسر بانتظارك "

قالتها مديرة مكتب حماه وهي تدعوه للدخول

طرق الباب ودخل ملقيا السلام بلباقة لكن رد الرجل أتى فاترا وهو يدعوه للجلوس بجمود

فور أن جلس تحدث ياسر مباشرةً بنبرة غاضبة :_

"هل هذا ما وعدتني به يا طبيب؟!"

رجفة عضلة فكة بغضب لكنه أثر الصمت والرجل يواصل هادراً:_

"لقد حذرتك يا دكتور ، قلت لك بعدي عنها ليس له علاقة بحمايتي لها، حذرتك أن تُحزنها ،وإذا بي أجدها منهارة ؟!، ومع هذا لم أشأ أن أتسرع في حكمي وانتظرتك لكنك لم تأتِ إلا حينما طلبتك أنا "

سيطر على نبضات قلبه المنتفضة بألم إثر ذكر والدها لانهيارها ثم قال باعتداد :_

"لقد ذهبت أكثر من مرة يا عمي ،لكن في كل مرة أتشاجر أنا وخالها وهي ترفض رؤيتي"

"وماذا فعلت لها كي ترفض رؤيتك؟!"

مط شفتيه قائلاً بهدوء:_

"أرى أنك أطلقت حكم مسبق يا عمي فأنا لم أُغضب رنا
"

"والله ! وما سبب انهيارها يا دكتور؟!"

نطق الرجل بتهكم ،فاستغفر هامساً وهو يدعك جبينه بإرهاق سببه الفترة الماضية وقال:_

"نعم إنه مجرد سوء تفاهم"

"لا تتلاعب بالكلمات يا دكتور من فضلك "

غضب الرجل أمامه لا يساعده أبداً ، زفر بخفوت وهو ينظر إليه قائلاً:_

"هلا استمعت إلي يا عمي فأنا أريدك في أمر ضروري وكنت أتيا إليك على كل حال ولنضع سوء تفاهمي أنا وزوجتي قليلاً"

ضيق الرجل عينيه في توجس ثم أومأ برأسه قائلا:_

"بالطبع تفضل يابني"

تنهد مبتلعاً ريقه بتوتر وهو يشرح له الأمر بصيغة لائقة لكن الرجل انتفض واقفا هادراً بغضب :_

"هل جُننت ، أتُشكِك في أخلاق ابنتي"

كادت بسمة متهكمة تمر على شفتيه لكنه كتمها بصعوبة ،يلجم غضبه فماذا يعرف هو عن ابنته بحق الله! فإن كان أعطى له العذر سابقا إلا أن الضياع الذي كانت به صغيرته لم يكن بسبب أحد أبداً سوى هو وزوجته السابقة والتي للأسف والدتها ...

استقام واقفا هو الآخر متحليا بأقصى درجات هدوءه وجانبه العملي قائلاً بجمود:_

"أهدأ يا عمي من فضلك ولا داعي للخطأ ، أنا أبداً لم ولن أشكك بابنتك والتي بالمناسبة زوجتي بل طرحت عليك الأمر الذي زُجت به دون أن تدري "

رف الرجل بعينيه سائلا بتهدج:_

"كيف يعني أنا لا أفهم ؟!"

"سيد ياسر اهدأ من فضلك وتحدث معي بجانبك العملي الآن "

أومأ الرجل برأسه وهو يقول بعد أن طلب لهم قهوة :_

"لك هذا تفضل"

"رفعت هذا يمتلك شبكة دعارة إلكترونية منذ سنوات ، الأمر أنهم يتخفون في أسماء وهمية على مواقع السوشيال ميديا ،يندسون بين الناس ،ينالون صداقتهم حتى يطمأنوا لهم ومن ثم يجرونهم لطريقهم بهدوء

،بعضهم يكون عبر مواقع الإنترنت والأمر يتطور إلى أن يصل للهاتف "

سأله ياسر بتركيز بعد أن قطع حديثهم دخول المساعدة بالقهوة :_

"ومن أين لك بكل هذا المعلومات؟!"

قال شهاب مختصراً:_

"بطريقة ما تقاطع طريق محاميه الشخصي وابنة أخي وعن طريقه عرفت ذلك "

فكر ياسر سريعا وقال:_

"حسنا إذا تغافلت عن محاميه الشخصي هو الذي أفشى أسراره فكيف أتغافل أنه سيُدلي بسر كهذا لمحاميه من الأساس إذ لم يُمسك عليه؟!"

ابتسم شهاب رغما عنه وقال:_

"لقد علمت أنه كان يبحث ورائه دون أن يشعر الآخر
حتى يأخذ عليه مستندات تؤمنه إذا ضر به "

صمت ياسر قليلاً وهو يرتشف قهوته ثم سأله :_

"ولما يساعدك من الأساس ؟!"

مط شهاب شفتيه بحيرة وهو يقول:_

"لا أعلم حتى عندما سألته قال أنه يحمي أحدهم "

ابتسم ياسر بمكر رجل سوق محنك وهو يقلب الأمر كله
في رأسه لكنه أثر الصمت قائلا بجدية :_

"ما اسمه؟!"

"أكمل البدوي تقريبا"

نقر على سطح المكتب بقبضته وهو يقول:_

"أريد أن أقابله غدا في الثالثة أخبره أني في انتظاره"

استقام شهاب واقفا وهو يسلم عليه قائلاً:_

"حسنا سأفعل إن شاء الله وأكون حاضرا معه، سأذهب أنا الآن "

قبل أن يصل إلى الباب سأله الرجل بقلق:_

"ألن تُصالح زوجتك يا دكتور ؟!"

ابتسم ملتفتاً إليه وهو يقول بحزم :_

"لم نتخاصم بالأساس كي نتصالح يا عمي"

ابتسم برضا فور أن أغلق الباب خلفه ثم رفع هاتفه يتصل علي وائل والذي فور أن رد عليه أخبره بحزم:_

"الليلة أو بالكثير صباح الغد يا وائل أريد أن أعرف تاريخ رجل يدعي أكمل البدوي المحامي الخاص لرفعت عمران "

استمع إلى حديث وائل بصبر ثم قال:_

"حسنا أنا أثق بك ، صحيح آمل أن تكون نتيجة التحليل خرجت يا وائل في كل المعامل أنا في الانتظار "

□□□□

"اليوم التالي ،الثالثة والنصف مساءاً"

يستمع إليه بغموض وعقله يعمل في جميع الاتجاهات

ما أخبره وائل به لا يثير القلق أبداً بل يثير دهشته ،من الناحية الأخلاقية لا شئ يمسه أو يمس عائلته ،نعم ظروفه معقدة بعض الشيء لكن بالأخير يبدوا أنه يتعايش معها على أكمل وجه

شرد قليلا في حديث وائل وهو يخبره :_

"رغم صغر سنه إلا أنه تقريبا يعمل على قضايا أغلب حيتان السوق ، سلاح ، قتل، مخدرات تزوير ...إلى آخره لا قضية تقع تحت يده ويخسرها أبداً ، كان سيعمل أستاذاً بالجامعة لكن لسبب لم أهتم به كثيرا لم يحدث "

انتبه على صوته يقول:_

"سيد ياسر هل أنت معنا؟!"

أومأ برأسه وهو يلمس الجهاز اللوحي أمامه طالبا قهوة مرة أخرى ثم قال بهدوء:_

"إذا كيف تجرأ على توريط ابنتي في شئ كهذا ؟!"

شبك أكمل كفيه قائلاً :_

"شبكة الدعارة التي أنشأها رفعت تستهدف بالأخص المشاهير من المجتمع حتى يستطيعوا أن يستفيدوا منهم على أكمل وجه ،وحساب ابنتك كان موثق وطبعا اسم جنابك مطمع للجميع ،بل أجزم أنها كانت فرصة من ذهب لهم "

صمت قليلا وأردف وهو يشير لشهاب :_

"وكما قال الدكتور أن ابنتك تحدثت مع أحدهم على أنه فتاة وأرسلت له صورها ولسبب ما لم تواصل الطريق لكن كانوا سحبوا قدمها كما يقولون ،تقريبا اخترقوا الإيميل بطريقة ما وكتبوا تلك المحادثات القذرة وبالتأكيد هي لم تنتبه لأن الدكتور قال أنها أخبرته أنها لم تعد تستخدم هذا الحساب منذ زمن لكنه مفتوح "

صمت ياسر دقائق مطرقا برأسه يفكر ثم نظر إليه قائلا بخبث رجل مُحنك:_

"حسنا كل ما تحدثت به الآن لا يُعنيني بقرش يا سيادة المحامي النابغ"

امتقع وجهة لكنه سيطر على غضبه وهو يقول ببرود يُجيده جيداً :_

"حسنا إذا أنت لا تحتاج لخدماتي سيد ياسر وعليه أنسحب"

"اجلس مكانك وتذكر أنك تجلس أمام ياسر الجوهري في مقابلة لو قضيت عمرك بأكمله تتمناها لم تكن ستحصل عليها "

نظر شهاب إليهم بعدم فهم وخاصةً حين هز أكمل كتفيه بلامبالاة وهو يقول بثقة:_

"أنا لم أنكر ذلك وأُدرك جيدا أمام من أجلس"

ابتسم ياسر ابتسامة قصيرة وهو يصرف مساعدته بعد دخولها بالقهوة ثم قال بتهكم:_

"إذا كف عن اللف والدوران وهات ما عندك، ما الذي يجعلك تسعى لمساعدة زوجة عم محامية خصم موكلك واتركك من جو لا أقبل أن يحدث في امرأة هكذا ، فهو لن ينطلي علي من أكمل البدوي يا سيد أكمل البدوي باسمه المرموق بين حيتان السوق في مختلف التجارات أنت تعلم"

أنهى حديثه بغمزة مميزة جلبت الابتسامة لشهاب رغما عنه وهو يرى لوح الثلج الذي جواره مهتزا أمام حماه وإن أدعى غير ذلك "

أسبل جفنيه يتناول قهوته قائلاً بغموض :_

"إذا سأخبرك كما أخبرت الدكتور ،ربما أحمي أحدهم "
"وربما إحداهن"

قالها الرجل بعبث غامزاً مرة أخرى مما جلب الابتسامة لشفتيه رغما عنه لكنه لم يهتم وهو يتمسك بدرع لامبالاته مبدلا الموضوع سريعا حتى لا يلحظ الطبيب شئ هو ليس بقدره..

"تُعجبني يا مِتر"

قالها ياسر بإعجاب حقيقي ثم أردف :_

"حسنا نعود لأمرنا ، إذا رفعت عمران يريد أن يهددني أنا ببضعة أوراق حقيرة مثله حتى أعطيه عباءتي وأخفي أعماله القذرة ،هذا أو .....

صمت قليلا ينظر لأكمل نظرة ذات معنى ثم التف إلى شهاب قائلاً بجدية :_

"أو ينال ابنة البرعي "

"لن يحدث أبداً على جثتي "

هدر بها شهاب بغضب وذاك الجالس جواره ارتجف فكه بغضب لكنه آثر الصمت ليرى ما عند الرجل

لم يبالي ياسر بغضب شهاب وهو يقول بعقلانية :_

"حسنا أمر ابنتي أنا كفيل به ، بل سيكره اليوم الذي فكر أن يستغل اسم ابنتي في أمر كهذا ، لكن يا شهاب من حديثكم وبخبرتي فهو لن يترك ابنتكم بحالها أبداً وبالأخص أنها لا يوقفها شئ كما فهمت وستظل بالبحث وراءه بل أكاد أجزم أن بعدما يُحل موضوعك ستسعى للانتقام منه "

ضيق أكمل عينيه وهو يسأله ببرود خلفه بركان مشتعل سببه حديث الرجل :_

"إلى ماذا تريد أن تصل يا سيد ياسر ؟؟"

"إلى دخول رفعت السجن بالطبع "

"لكن كيف سنفعل ذلك "

سأل شهاب بحيرة فأجابه ياسر بحزم :_

"أنت ورنا لن يكون لكم دخل في هذا الأمر أبداً يا شهاب ، أنا من سأتكفل به أنا والمتر ، أم لعل لك رأي آخر يا متر؟!"

أطرق أكمل برأسه وهو يقول :_

"أريد أن أفهم أبعاد الأمر قبل أن أقول رأيي "

ابتسم ياسر وهو يقول بتلاعب:_

"بل قل كيف ستُثبت لرفعت أنك مازلت آمين على أسراره بعدما أشد له أذنه لتجرأه على ابنتي"

"أنا أؤمن نفسي جيدا "

قالها أكمل باعتداد فابتسم ياسر بسخرية وهو يقول:_

"لا يقع سوى الشاطر يا متر فكن حذرا"

□□□□

"ماذا تفعلين يا رؤى؟!"

انتفضت بفزع فسقط القرص من يدها واستقر أسفل قدمه مباشرةً

شهقت شهقة مكتومة وهو ينحني للأسفل يمسكه بين أصابعه ينظر إليه بتوجس

اقترب منها يسألها من بين أسنانه:_

"هل هذه أقراص منع الحمل يا رؤى!؟

تماسكت تضم مئزرها وهي تجلس على الفراش ورائها قائلة بجمود:_

"نعم"

"نعم"

قالها باستنكار غاضب وهو يقف أمامها مباشرةً ثم أردف بحدة :_

"كيف تفعلين أمر كهذا دون أن تعودي لي يا رؤى"

"لأنه أمر يعود لي وحدي!!"

"وحدك كيف يعني ، أنه أمر يخصنا سويا هل هكذا أنتِ دائما لا تفكرين أبداً تفعلي ما يرضيك ولا تنظري لأحد أبداً ؟"

انتفضت واقفة تقول وقد تأجج غضبها :_

"نعم يا وائل أنا لا يهمني سواي، أنا التي تطلقت في ظرف ثوان لأجل كلمة قلتها وقت غضب كان يحق لي ، أنا التي تطلقت ثلاث سنوات يا وائل بطفلة كل يوم تلومني دون فهم لأن أبيها لا ينام معها، تطلقت ثلاث سنوات من أجل أني لا أرقى لمستوى بن خالتي ،تطلقت ثلاث سنوات انتظر فيهم كل ليلة خبر زواجك من أرملة أخيك ،نعم يا وائل يخصني وحدي لأني حين أتطلق للمرة الثانية يا وائل لن أقوى على مسؤولية طفلين ولأن زوجي لا أضمنه وقت غضبه ماذا سيفعل بي وإلى ماذا تسعى حماتي والتي بالمناسبة خالتي فالأمر ليس منوطا

بحفصة الأمر منوطا بي أنا رؤى ابنة النقاش الذي لا يرقى لكم "

تلجم لثوانٍ وكأنها لطمته على وجهه ،بل لو لطمته كان أهون ، هل تعيش معه ولا تأمن له!؟ هل تعيش معه وبداخلها هذا كله!؟، حديثها هبط كسيخٍ ساخن أحرق رجولته حرقا

سألها بخفوت غاضب:_

"ولم عدتي يا رؤى ، بل لم كنتِ تحاولين العودة !؟"

أغمضت عينيها بقوة في محاولة لحبس دموعها لكن دمعتان خبيثتان غافلها وهم يجروا على وجنتيها لكنها مسحتهم سريعا وهي تقول ببحة يتخللها بعض الضعف:_

"لأني أحبك يا وائل لكني لن أسمح أن يكسرني حبي مرة أخرى، لأنك رغم كل شئ أب رائع لفريدة لكن لن

يكفيها يوم واحد تقضيه معك بل تحتاج كل الأيام جوارك
"

التفت الاثنان على صوت حركة عند الباب فأسرع يفتحه وجد ابنته تقف باكية وهي تنظر لهم بخوف ،جثي على ركبتيه أمامها يضمها إليه قائلاً بحنان:_

"لم تبكي يا حبيبة بابا؟!"

دعكت عينيها قائلة بخوف:_

"هل سنذهب أنا ومامي عند خالو على ونعيش هناك ،هل ستتركنا؟"

ضمها إليه بقوة وهو يقبلها قائلاً:_

"لا يا حبيبتي أنا لن أتركك أبداً "

رمق تلك الواقفة جوارهم بعتب ثم عاد بنظره لابنته وأردف بحنان :_

"لن أتركك لا أنتِ ولا ماما أبداً ،سنظل معا "

"حقاً؟!"

قالتها ببهجة طفولية خلعت قلبه فأومأ لها يطمئنها لكنها استدارت إلى والدتها تنظر لها كي تطمئن أكثر

ابتسمت رؤى تدعوها لها فتعلقت بعنقها تلعب بشعرها تنتظر إجابتها بخوف طفولي:_

"لا يا حبيبتي بابي لن يتركنا أبداً وسنظل معه "

قالتها بمرح وهي تقبل وجنتيها ثم تحاملت على نفسها تضع ذراعها في ذراع ذاك المتصلب جوارهم وقالت:_

"وسنلعب ثلاثتنا الآن معا أيضاً"

□□□□

باليوم التالي

"معها حق"

قالها علي وهو يجلس جواره في شقته فهي من البارحة لا تتحدث إليه وحين أتى الصباح استغلت أنها إجازته وأرادت الذهاب إلى والدتها وعليه أوصلها وسلم على خالته ثم عرج هو إلى شقة أخيها بالأعلى

التفت إليه قائلا باستنكار :_

"معها حق!؟"

أومأ علي برأسه وهو يتناول تفاحة من أمامه يقضمها ببرود وقال :_

"نعم ولا أقول ذلك لأنها أختي "

تناول كوب العصير من أمامه يرتشف منه ثم نظر له قائلا بامتعاض :_

"إذا لم تقول ذلك يا على أفندي ؟!"

مدد ساقيه على الطاولة أمامه وقال:_

"لا تنكر أنك ثور يا وائل نحن متفقين على ذلك منذ زمن حتى أسأل انس"

ألقي عليه الوسادة بغيظ فالتقطها علي يستند إليها بلامبالاة وهو مستمر في مضغ التفاح ثم أردف:_

"رؤى تحبك جدا يا وائل ، وأنت أيضاً تحبها لكن حبكم ينقصه الأمان ، ما فائدة السيارة والشقة وكلمات الحب وتلك الكليشيهات دون أمان"

ابتسم وهو يواصل:_

"تعلم بالطبع أن سارة زوجتي تزوجتني وهي أغنى منا بكثير وأنها هي من اعترفت لي بحبها وأجبرتني على البوح ،بعدما تزوجنا يا وائل وسألتها هل هي سعيدة معي في عيشنا الضيق قبل أن يفتح الله علينا قالت لي نصاً :_

«ما فائدة شقة كبيرة دون ضمة دافئة!؟

سيارة فارهة وأنا أفتقد الهناء بها ، أنا استأمنتك نفسي يا علي وأرى أنك قدر الأمانة »

نظر له وائل بتفكير فواصل:_

"الأمان يا وائل أبدى من الحب ، الحل ليس في أنك لا تأخذها عند خالتي صحيح لا أنكر أن مثل:_

«أزل هذا من هذا يرتاح هذا عن هذا»

صحيح لكن ستظل خائفة

خذها عند خالتي يا وائل ،اجعلها تطمئن وهي ترى تعاملك مع زوجة أخيك ،حين تقسوا عليها خالتي بالكلمات لا تنصر إحداهن على الأخرى بل طيب خاطرها حين تعودوا إلى بيتكم قل لها أنك تعلم أن والدتك على خطأ لكنها بالأخير أمك "

ليلا

دخلت أسفل الغطاء وهي على حالها لا تتحدث إليه منذ أن عادوا من عند والدتها إلا أمام فريدة...

سحبها إليه أسفل ذراعه هامساً:_

"هل مازلتِ غاضبة ؟!"

"أنا لست غاضبة يا وائل ، أذكر أنك أنت الغاضب
لأنني أتناول حبوب مانعة للحمل"

همستها وهي تطلع للسقف في شرود دون أن تشرح أكثر

هم بأن يعاتبها على عدم شعورها بالأمان معه لكنه تذكر
جملة أخيها:_

«الفعل وليس القول يا بن الخالة»

لذا غير حديثه وهو يقول:_

"لم أعد غاضب يا رؤى ولن أحدثك في الأمر ثانية فقط
لتعلمي أني أطوق لأن أنجب منكِ مرة أخرى"

رمقته بلامبالاة ظاهرية لكن رغما عنها قلبها يخفق باسمه مهما ادعت غير ذلك فهي مولعة به ، منذ أن كانت مراهقة وشبت على حبه ولا حيل لها في ذلك

انتبهت على صوته يقول:_

"سنتناول الغداء عند أمي غدا "

لم تفهم أنه يضمها معهم في الحديث فقالت :_

"حسنا هاتفني وأنت في الطريق حتى حين تصل تكون فريدة جاهزة "

أدار وجهها إليه قائلاً بلطف:_

"أنتِ الأخرى ستأتين معنا يا رؤى"

اتكأت على مرفقها تسأله بقلق :_

"لم هل حدث شئ؟"

هز كتفيه وهو يقول:_

"لا فقط تحدثت معهم عصرا وقلت لهم أننا ستتناول الغداء معهم "

أطرقت براسها قليلا ثم سألته بحذر :_

"وإذا رفضت ؟!"

"حقك يا رؤى ولن أجبرك بالطبع ،لكن لا تتسرعي وفكري حتى الغد"

□□□□

باليوم التالي على الغداء

لوت خالتها شفتيها وهي تتناول صباع المحشو قائلة بعدم رضا:_

"هل تذكرتِ أخيراً أن لكِ خالة وبالمناسبة هي حماتك أم كل ما يهمك أن تستحوذي عليه فقط"

نظر الأطفال إلى بعضهم في حيرة من توتر الجو حولهم وعودة الخالة رؤى مرة أخرى في بيت الجدة لكنهم لم يتحدثوا وهم ينتظروا رد الخالة رؤى على جدتهم في فضول طفولي

وبمكانها توترت في محاولة للسيطرة على غضبها لكن قبل أن ترد عليها أدهشها وهو يقول بطريقة لطيفة:_

"لا يا أمي رؤى تتذكرك دوما لكني أنا المشغول وهي من طلبت مني أن نأتي"

أثرت الصمت بعد حديثه وهي تبتسم وبالأخص أن حفصة الطيبة قابلتها أحسن مقابلة هي وأطفالها جعلتها تندم على غضبها منها في شئ ليس لها يد فيه

لكن يبدو أن خالتها لن تصمت فهاهي تتنهد بصوت مسموع وهي تنظر لفريدة قائلة:_

وأنتِ يا فريدة هل طالبة ذكية مثل دانية ابنة عمك أم تقضين وقتك في الدلال الماسخ"

تمتمت بالحوقلة وهي تدعوا الله أن يمر الوقت على خير وبالأخص حين ردت طفلتها قائلة :_

"أنا ذكية وأخذ عشر نجمات "

"نجمات آه " قالتها خالتها بعدم رضا ،فابتسمت حفصة وهي تضم فريدة لها قائلة :_

"تستحقين يا جميلة"

ابتسمت حفصة وهي تنظر لابن عمها قائلة بدلال طفولي:_

"أَكسَم هل جلبت لي الشوكولاتة!؟"

ابتسم الصغير الذي يقف على أعتاب المراهقة وهو يقول بمشاكسة حين نطقت السين ثاء "أكثم":_

"إذا نطقتِ اسمي بطريقة صحيحة ، سأعطيها لكِ"

حاولت أكثر من مرة لكنها فشلت مما أثار ضحكاتهم جميعا وقد انشغلوا بحديث الأطفال حين انضمت دانية لهم

لكن الحلو لا يكتمل وهاهي أمه تتمسك في أن تقضي فريدة ليلتها معها في عندٍ مع رؤى أصبح يتضح له الآن

والأخرى وجنتيها محتنقتان غضبا لكنها لا تتحدث

تنحنح قائلا :_

"أمي لكن فريدة ستخاف أن تقضي ليلتها بعيدا عني"

"لقد قضت ثلاث سنوات بعيدة عنك ماذا حدث يعني!؟"

هل قصفت والدته جبهته الآن !؟ هل ينقصه شحن رؤى أكثر لكن ما أدهشه هو أنها همست لطفلتهم في أذنها عدة كلمات فابتهجت الصغيرة وهي تتجه نحو حفصة قائلة:_

"هل ستلعبين معي أنا ودانية وأكثم يا خالة "

ابتسمت حفصة برضا وهي تحملها على ذراعها قائلة:_

"من عيوني يا قلب الخالة"

تنهد في راحة وهو يأخذها ويذهبوا بعد أن قبلوا ابنتهم .

وفي الطريق ظلت صامتة مكتفة ذراعيها تنظر من النافذة ولا تتحدث حتى صف السيارة جانبا وسألها بحنو:_

"إذا كنتِ حزينة من بعدها لما أقنعتيها أن تفعل يا رؤى أنا لم أكن موافق"

هزت كتفيها دون أن تنظر له لكن من نبرتها علم أنها تبكي:_

"لن تضر ليلة يا وائل إذا كانت والدتك ستكف عن بيتي وعن طلب طلاقي"

أدار وجهها إليه يسألها بعتاب:_

"وهل فعلتها من قبل لأن أمي طلبت يا رؤى، لقد كانت لحظة غضب"

"ولحظة الغضب هذه يا وائل كانت بسبب مشاجرتي أنا ووالدتك كما أنك طوال اليوم تحاول أن تُلطف الأجواء لمنع المشاحنات بيننا ويجب أن أقدر ذلك"

ابتسم يمسح دموعها هامسا بخشونة :_

"هل أخبرتك من قبل أني لطالما أحببتك يا ابنة الخالة!؟، وأنتِ طفلة كنت منبهر بكِ أنا وعلي ويحيى كنا ندللك كثيرا لأنكِ الفتاة الوحيدة علينا ،كنت أبعث لكِ الدمى خلسة مع خالتي حتى أستأثر بتعلقك بي عنهم ،لا أدري ربما كانت غيرة طفولية طبيعية ومنذ أن كنتِ بالثانوية وأنا أتحجج الحجج حتى أتي عندكم ، وتثرثرين لي عن ما يحدث معك ،وحين لاحظ على اقترابنا بدأ يغار وتشاجر معي فذهبت ليحيى واعترفت له أني أحبكِ ونصحني أن أصبر حتى تدخلين الجامعة لكن آخر صبري كان يوم نجاحك بالثانوية العامة هل تذكرين!؟"

ابتسمت شاردة وعقلها يهفو لتلك الذكرى البعيدة ...

تجلس على آخر درجة في سُلم السطح تنتظره كما أرسل لها

تتماوج الأفكار بعقلها في قلق فهو منذ فترة كبيرة منقطع عن المجيء إلى بيتهم وحتى مهاتفتها لا يفعلها إلا لماماً ،يكتفي بالرسائل القصيرة فقط يحثها على المذاكرة والتي انقطعت بانتهاء الامتحانات

أتراه سيبارك لها مثلا ، أم عله شعر بما بداخلها فغضب منها وعند الفكرة الأخيرة تعالت دقات قلبها في اضطراب وخاصةً حين ظهر أمامها يرتدي قميص أسود وسروال جينز يماثله في اللون ،حتى حذاءه أسود

"ما هذه الليلة السوداء"

همستها داخلها في وجل وقد احتقنت وجنتيها خجلا وهي تنظر لوسامته الزائدة بذقنه النامية، و ابتسامته الجانبية التي يرمقها بها

ابتلعت ريقها تسأله بقلق علها تبدد خجلها الغريب:_

"وائل لما طلبت مني أن ألقاك هنا على السطح ، علي سيغضب إن علم ذلك "

"وخالتي!؟"

همسها بمشاكسة وهو يقترب منها وقد أثار ذاك الكيس بيده انتباهها لكنها ردت بدفاع:_

"أمي تعلم بالطبع وقالت لي ربما سيبارك لكِ"

ابتسم برضا ثم همس بحرارة:_

"مبارك يا رؤيتي"

رمشت بعينيها سريعا وقد زادت سخونة وجنتيها فهو منذ زمن منقطع عن لقبها التحببي الذي كان يدعوها به وهي صغيرة ..

"شكراً يا وائل ،بارك الله فيك "

رفع الكيس أمامها يمد يده به لها ثم قال بصوته الذي تعشقه:_

"هذه هدية نجاحك يا رؤيتي ،لا تفتحيها إلا بالأسفل وسأنتظر ردك"

"ردي علاما!؟"

سألتها بخجل وفضول ،فابتسم بغموض وهو يضع كفيه في جيبي سرواله مطرقا برأسه قائلاً بحزم حنون :_

"بالأسفل يا رؤيتي"

وعليه تركته راكضة للأسفل حتى وصلت غرفتها حتى أنها لم ترد علة والدتها وهي تغلق الباب خلفها تفتح الكيس بلهفة ،تفض اللفافة الورقية اللامعة وشهقت بفرح

وهي تتأمل الدمية التي تشعر بها وكأنها ؟! وكأنها تشبهها

دمية قصيرة ترتدي فستان أخضر دون أكمام من الصوف ، أسفله بلوزة قطنية باللون الأصفر الباهت ،تزينه زهور صغير عند الصدر ،حذاء باللون البني ،تحتضن بين كفيها بطة قطنية مزخرفة بخيوط من الصوف، وفوق رأسها قبعة من اللون البني تتدلى منها خصلاتها السمراء ، عينيها زيتونيتان وكأنهم ينظران إليك ...

احتضنتها بفرح وهي تقبلها ،لكن دقات قلبها كادت تقف وهي تقرأ الكارت المدلى من القبعة

"أحبكِ يا رؤيتي ، تقبلين!؟"

أدرك من لمعان عينيها وابتسامتها الشاردة أنها ذهبت لنفس الذكرى فاحتوى وجهها بين كفيه هامساً:_

"لازلتِ تذكرين يا رؤيتي؟!"

ابتسمت تنظر إليه هامسة بعتاب:_

"وهل مازلت رؤيتك يا وائل"

أغمض عينيه يعانق أنفاسها بحب حتى انفصل عنها هامساً بعاطفة تسطع عميقة في عينيه:_

"لم أنساكِ أبداً يا رؤيتي إياكِ أن تشكي في ذلك حتى فترة انفصلنا لم أتوقف عن حبك يوماً"

ركنت رأسها إلى كتفه مبتسمة لكن حين ضمها إليه انتفضت هامسة بعتب :_

"وائل نحن في السيارة "

ابتسم بعبث وهو يعود إلى المقود ثم التفت إليها غامزاً :_

"السيارة نوافذها معتمة يا رؤيتي ،كما أني لم أكن سأفعل شئ إلا لو كنتِ تريدين لا أمانع"

لكزته في كتفه بخجل فابتسم وهو يدير السيارة قائلاً :_

"ألم تشتاقي للأرز باللبن من عند الشيخ وفيق"

"حقا يا وائل ستأخذني هناك "

ابتسم وهو يتجه الطريق السريع قائلاً:_

"نعم ونقضي ليلتنا أيضاً بأي فندق هناك "

□□□□

"يا اولاد ال....." هدر بها بغضب في تلك الصالة الواسعة التي محجوز بها منذ يومين دون طعام ولا نور ،فقط ما يدخل له هو الماء فقط

ترى من الحقير من أعدائه الذي تجرأ أن يختطفه من قعر بيته وهو نائم ؟!

سيذيقهم الويل فقط يعرفهم

انتبه على صوت بوابة حديدية يفتح وحركة كثيرة بالخارج وهاهو أحدهم يفتح باب الغرفة الآن

تراه البغل الذي يدخل له بالماء ؟!

لكن ما رآه الآن عدة نسخ منه ، اصطفوا سريعا على جانبيه ومن ورائه

مهلاً مهلاً هل ما يراه صحيحا ، أم لعله أصيب بالحول ؟!

هل هذا ياسر الجوهري!؟

نسخة أخرى من البغل تُسرع في وضع كرسي خشبي له جلس عليه ينظر إليه بصمت مريب أربكه

رفع كفه مُصدِراً صوت فرقعة بأصابعه فانسحبوا جميعا إلى الخارج ثم وضع إحدى ساقيه فوق الأخرى قائلا بسخرية :_

"مرحبا يا رفعت ، بالطبع لا أحتاج أن أعرفك بنفسي "

أومأ برأسه سريعاً وهو يقول بخوف:_

"نعم يا باشا بالطبع "

ضرب ياسر بكفيه على فخذيه وهو يقوم متجها إليه ،يستند بمرفقه على كرسيه قائلاً بغضب:_

"وإذا كنت تعرفني يا رفعت ،كيف طاوعت شيطانك على الاقتراب مني!؟"

"أنا يا باشا وهل أجرؤ؟!"

قالها بخوف فضغط على كتفه بقسوة هادراً بغضب:_

"تجرأت يا رفعت ،تجرأت وتتغابى الآن "

لم يرد فقط عينيه متسعتان بخوف وجسده يرتعد خوفا ،فاستقام واقفا يضع كفيه في جيبي سرواله قائلاً:_

"هل ترى هؤلاء الذين ترصصوا جوارك الآن؟!، أصغرهم بإشارة من يدي يجعلك في عداد الموتى !!"

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينقل نظره بينهم ثم انتفض على صوت الرجل هادراً بغضب:_

"خانك ذكاءك كثيراً يا رفعت ، إن كنت تظن أنك تستطيع مس شعرة من ابنتي "

"وهل أستطيع يا باشا؟!"

ابتسم بتهكم وهو يرفع أحد حاجبيه قائلا:_

"أم علك جُنِنت يا رفعت وكنت تريد تهديدي؟!"

"لا يا باشا وهل أجرؤ"

رمقه ياسر باحتقار وأردف :_

"حسنا يا رفعت يبدو أنك تحتاج للتهذيب وبالطبع أستطيع دفنك حيا هنا لكن ياسر الجوهري لا يفعلها "

كاد أن يبتسم بارتياح لكنه وجد الرجل يرفع هاتفه متصلا بأحدهم فاتحاً السماعة الخارجية فآتاهم صوت خشن قوي :_

"مساء الخير معالي الباشا ، كيف حالك "

"بخير يا سيادة اللواء كيف حالك؟!"

"بخير ما دمت بخير يا باشا ،مُرني"

رمقه بلامبالاة فوجده يتطلع إليه في وجل إلا أنه أردف قائلا ببرود:_

"كنت تحدثت مع سيادتك بالأمس عن زنبار زن على خراب عُشه ، أريدك أن تستضيفه عندك يومان"

"بل شهر يا باشا من أجلك"

"والسبب هل تريده!؟"

"بل جاهز يا باشا وعليه توقيعي"

"حسنا يا سيادة اللواء أشكرك "

أغلق المكالمة دون مبالاة بتوسلاته الكثيرة وهو يقول ببرود :_

"هل تدرك مع من كنت أتحدث ؟! ، سيادة اللواء ". " بالأمن الوطني"

"ماذا؟!"

قالها رفعت بهلع فابتسم قائلا بسخرية :_

"ظننت ماذا يا رفعت هل سأجعل رجالي يضربونك!؟، أم سأعلقك من السقف كالأفلام؟! "

أصدر صوتا متهكماً وواصل ناظراً له باحتقار:_

"ياسر الجوهري لا يحتاج لذلك يا رفعت ، هذه فقط قرصة أذن صغيرة حتى لا تتجرأ على مجرد مرور اسم ابنتي أو حتى سُميتها بذهنك"

"يا باشا أقبل يديك لا تفعل ،غلطة غير مقصودة ولن تتكرر ، بالأصل أنا نسيت اسم ابنتك بل لا أعرفه حتى"

لم يبالي به وهو يلتقط وجود رجال الأمن الوطني بالخارج فهو متفق مع الرجل قبل مجيئه بالأساس

تقدم خطوتين ثم التفت إليه مرة أخرى:_

" أنبهك يا رفعت ،هذه المرة قرصة أذن ، المرة القادمة لو فكرت فقط مجرد تفكير ستكون مؤبد وبقضية حقيقية من بلاويك وليست ملفقة بالطبع فأنت لا تحتاج "

بالطريق بعد أن ترك ذاك الكلب أرسل رساله لشهاب يخبره بها

"لقد انتهى الأمر برمته يا دكتور فاطمئن لا يتبقى سوى مصالحتك لرنا وبالطبع لن أساعدك بها فهي لا تريد العودة "

أرفق برسالته وجه ذو غمزة عابثة وهو يبتسم برضا لكن تلك الابتسامة انحسرت وحل محلها الوجوم وهو يقرأ رسالة وائل والتي مفادها أن التحليل إيجابي وأثبتت نسب الأطفال له ..

□□□□

منذ يومين وهو لا يخرج من شقته بل بالتحديد منذ أن أخبره حماه أن الكابوس انتهى

لا يقوى سوى على التفكير ، أتراه كان اختبارا من الله له على صدق نواياه بسترها وحفظ توبتها؟!

أم هو ابتلاء ليتبين مدى صبره ، بالحالتين هو لا يفعل شئ من يومها سوى الحمد والشكر.

وإعادة التفكير في حياتهم سويا، رغم عنه جزأ بداخله يشعر أنه خذلها بطريقةٍ ما ، قد يكون لا يقصد ، أو ربما الأمر كان أكبر منه لكنه بالأخير خذلها وما يؤلمه أكثر قسوته عليها آخر مرة

لقد اشتاقها بكل المعاني المادية والمعنوية ،فكيف لمن زهد النساء وفُطِر على أجملهم ألا يشتاق

كله يهفو لوصالها لكن الجاحدة الصغيرة لم ترسل حتى رسالة قصيرة تروي اشتياقه

ابتسم وهو يلتقط هاتفه حين وصلته رساله مفادها أنها فتحت هاتفها وعليه ككل ليلة تكون

«متصل الآن»

في الدردشة بينهم ويكاد يقسم أنها لا تفتح غيرها عله يرسل لها شئ

ابتسم بتوق وقد هزمه اشتياقه ،لا يدري من يكتب لها الآن أصابعه أم أوتار قلبه ؟!

"أبلغ عزيزًا في ثنايا القلب منزله

أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وإن طرفي موصول برؤيته

وإن تباعد عن سكناي سكناه

يا ليته يعلم أنى لست أذكره

وكيف أذكره إذ لست أنساه

يا من توهم أنى لست أذكره

والله يعلم أنى لست أنساه

إن غاب عنى فالروح مسكنه

من يسكن الروح كيف القلب ينساه..."

°المتنبي°

موصول بنار العشق

لقلب ذابت دقاته

بين مرسى النبض حياته

يشكو بعد المكان

والصبر لوعاته

لحبيب سكن الفؤاد

وأسلم للروح همساته

أما من لقاء قريب

يطيب عمق جراحه

أم يظل يهفو لمرأي

طيف تؤام القلب وعذاباته

بقلم الجميلة Sade Buttetfly

الفصل الواحد والثلاثون

مسحت دموعها وهي تعتدل جالسة على الفراش، تضم ركبتيها لصدرها بذراعيها ،تستند برأسها عليهم تفكر

ترى هل اختفاءه الفترة الماضية كان يعيد تفكيره في حياتهم ؟!

ترى أنه وافق على طلبها للطلاق وعلم أنها لا تناسبه ؟!

أم لعله صدق !!!

والشيطان فرصته كبيرة هاهنا وهو يستحوذ على فكرها بأن تعود لغيها القديم ،فلا مأوى لها غيره كي تنسى الدنيا

أليس ما حدث لها أكبر دليل على عدم قبول توبتها إذا فلتعود لكنف ذنبها

رعدة قوية مرت بجسدها نفورا ،قلبها يكره ذكريات الذنب وما كانت عليه

شيطانها يحثها أن تفعل ، أن تتركها من النفور وتجرب ستجد الخلاص حيث لذة الذنب

بما أن توبتها لم تقبل وعاقبها الله بما حدث إذا فلتستمر بذنبها وليحترق العالم بأسره بل وتحترق هي حتى لا يهم

ويبزغ النور من بين الظلام بحديث حفصة الذي صدح قويا بعقلها الآن !!!

" إياك يا رنا ، إياك أن تظنيه عقاب ، حاشاه أن يرد توبة عبد صدق في توبته، احتسبيه ابتلاء من الله يختبرك به ليتبين مدى صدقك فلا تسقطي "

انتفضت واقفة تذهب لتتوضأ وتصلي وعليه أدت ركعتين قضاء الحاجة وتجديد توبتها وقد عزمت ألا تضعف أبداً هي لم تتوب وتتعافى من أجل شهاب أو غيره لقد تابت إلى الله وعليه فليهن العالم ولا تعود لضلالها أبداً، يكفي أن الله سترها وظلت على السجادة تدعو الله باكية ومن ثم عادت إلى فراشها تفتح هاتفها تدخل الدردشة الخاصة به،

"متصل الآن!؟"

أتراه سيحدثها ، أم ككل يوم ستتمنى ولا يلبي ، لوت شفتيها بإحباط وهي تخرج من الدردشة تقلب به بلا هدف حتى فتحت فمها ببلاهة تقرأ الرسالة المرسلة منه الآن

عينيها تنتقل من المكتوب إلى اسمه وكأنها لا تصدق أنه يحدثها

"أبلغ عزيزًا في ثنايا القلب منزله

أنى وإن كنت لا ألقاه ألقاه

وإن طرفي موصول برؤيته

وإن تباعد عن سكناي سكناه

يا ليته يعلم أنى لست أذكره

وكيف أذكره إذ لست أنساه

يا من توهم أنى لست أذكره

والله يعلم أنى لست أنساه

إن غاب عنى فالروح مسكنه

من يسكن الروح كيف القلب ينساه..."

تلتهم الكلمات وكأنها تتشربها ،روحها ترتوي من جديد بعد ركود ...

"شهاب" همسة هفت بها الروح وأطلقها اللسان فترجمت الأصابع دون وعي كُلي

عضت على شفتها السفلى خجلا بعد أن أرسلتها وهي تُسرع في إغلاق الهاتف مرة أخرى ورغما عنها قلبها يرقص فرحاً .

*****

ألقى التحية على مساعدته والجالسين ثم أمرها قائلاً:_

"مريم من فضلك ،اذهبي إلى الدكتورة مادلين وأخبريها أني أنتظرها ومن ثم جهزي لي الحالة القادمة حتى أنتهي من حديثي مع الدكتورة "

أومأت برأسها وهي تقوم من مكانها متجهة للجهة الأخرى من المركز حيث يقبع مكتب الدكتورة

ترى في ماذا يريدها دكتور شهاب ، منذ زمن وقد كفت تلك اللزجة عن الدخول له بل حتى أن الجميع لاحظ معاملته الحدودية لها في الاجتماعات ..

هزت كتفيها بلامبالاة وهي تطرق الباب وتدخل بعد ما أتى لها صوتها تسمح لها بالدخول

جلس وراء مكتبه ينتظرها فهو قرر أن يطوي صفحة ماضي رنا نهائيا بيده

يجب أن تتخلص تلك الغبية من شعورها بالدونية والخجل وعدم رقيها له وكي يساعدها في ذلك يجب أن يتخلص من كل ما يتسبب في ذلك..

ابتسامة حنونة ارتسمت على ثغرة وهو يتذكر ردها القصير باسمه "شهاب"

على رسالته لكنها سرعان ما هربت مغلقة هاتفها

اعتدل في جلسته حين طُرِق الباب يسمح لها بالدخول ،

شامخة ،قوية ،وأنيقة دخلت وأغلقت الباب خلفها وتقدمت تجلس على الكرسي أمامه ،وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ثم التفتت إليه قائلة بغنجها الفطري:_

"كيف حالك شهاب ،منذ زمن لم نتحدث"

ابتسم قائلاً برزانة:_

"بخير حال يا دكتورة ، إذا يبدو أنه حان وقت الحديث"

أومأت برأسها قائلة :_

"أنا أسمعك تفضل "

قلب في الأوراق التي أمامه ثم مد لها ملف قائلاً بعملية :_

"تفضلي هذا ملفك وتقيمي لكِ "

رفعت أحد حاجبيها تسأله :_

"إذا؟؟"

شبك كفيه ببعضهم قائلاً:_

"لقد تحدثت مع دكتور ". " بشأنك وأشدت بكِ متغافلاً عن ذلتك بالطبع والتي آمل بنظرتي لكِ أنها لن تتكرر

كما أنه أفضل لكِ أن تأخذين الخبرة من أكثر من طبيب
وهو بالطبع أفضل مني لا خلاف على ذلك "

مطت شفتيها قائلة بتهكم:_

"إذا أنت تطردني بلباقة ،ثم ماذا يعني ذلك هذه تتحدث
وكأني أخطأت أنت قلت أنك تعلم كما أني لم أخطئ بها
أنا استنكرت رد فعلك أنت "

صمت لدقائق ثم تحدث بحزم :_

"لننهي حديثنا دون ذكر زوجتي من فضلك فأنا أقدرها
ولا أقبل الحديث عن شئ يمسها"

لوت شفتيها تهز رأسها بتهكم دون أن ترد فأردف:_

"أيا كان ما حدث يا دكتورة لو كان مع أي مريض فردة فعلي كانت ستكون أعنف صدقيني ، أنتِ طبيبة نفسية ،لقد أقسمتِ قسم أمانة عند تخرجك وأشهدتِ الله عليه لو الذي أمامك يعرف أنفاس مريضك كم ؟ يجب أن تكوني أمامه صفحة بيضاء وكأنكِ لم تسمعي اسمه حتى من قبل ، أسمعتِ ما قلت !! اسم مريضك حتى سر من أسرار مهنتك فهم أملهم يكون بنا "

لمعت الدموع في عينيها من قسوة حديثه الذي نكأ جدار ضميرها المهني في جرم ذنبها بحق مريضة من مرضاها لكنها لم تقصد أبداً ، ابتلعت ريقها آبية أن يظهر ضعفها وهي تستمع إليه يواصل حديثه :_

"أنتِ ستكونين طبيبة نفسية ماهرة يا مادلين أنا أشهد لكِ بذلك ،فأنا لست بالغر كي لا ألمح ذكائك ومهارتك الفترة الماضية ، ما أفعله الآن ليس لاستقرار حياتي فقط بل من أجلك أيضا"

"من أجلي!؟"

سألتها بحيرة مستنكرة ،فأومأ برأسه مبتسما بحنان وهو يقول:_

"نعم من أجلك يا دكتورة كي تتخلصي من رواسب افتنانك بي "

"أنا لم أُفتن فيك أنا أحببتك حقا ولا أخجل من قول ذلك"

أصدر فرقعة نافية بلسانه وهو يقول:_

"أبداً أنتِ لم تحبي شهاب البرعي يا دكتورة ، أنتِ أحببتِ حالته ،هناك فرق بين أن تحبي شخص وأن تحبي الحالة التي هو عليها وللأسف الكثيرون يقعون نفس الوقعة بل يقضون أغلب عمرهم يظنون أنهم يحبون شخص وهم لا يحبوه هم أحبوا الحالة التي هو عليها

أنتِ أحببتِ حالة الطبيب شهاب البرعي، الشاب النابغ الذي أكمل تعليمه في الخارج ، الذي يظهر على الشاشات ، صاحب مركز لتمسك بيدي للطب النفسي والذي يعد من أشهر المراكز الحديثة في البلد يعني إلى آخره من هذا "

استقامت واقفة وهي لم تقتنع كليا بحديثه إلا أنها ابتسمت قائلة باعتداد :_

"أشكرك يا دكتور الرسالة وصلت "

*****

"سيد ياسر هل تحب أن تقلقني عليك هكذا، حين أخبرني عماد تركت كل شئ وأتيت فورا "

قالها وائل وهو يجلس أمام فراش ياسر الجوهري بالمشفى فقد أخبره عماد أنه تعرض لأزمة بالسيارة ونقلوه فورا إلى هنا

ابتسم ياسر قائلاً بوهن :_

"عمر الشقي باقٍ يا وائل ،بارك الله لي فيك "

رمقه بعتب وهو يربت على كفه قائلاً:_

"وبارك لك في أبنائك ، مبارك سيد ياسر "

صمت ياسر لدقائق ناظرا للسقف ثم قال بهم:_

"أتدري ما شعوري يا وائل ؟! فور أن أخبرتني بإيجابية التقدير شعرت بالاختناق ورغبة عنيفة في البكاء على عمرا مضى ، ولى ابن لا أعلم عنه شئ ثُبِت نسبه لي من أحفادي !!"

مط وائل شفتيه بأسف قائلاً:_

"أدرك شعورك جيدا لكن لنحمد الله أنك علمت وتوصلنا له "

"هل تدرك يا وائل أنه لولا ذاك الجواب القديم لو قابلته بألف مكان لم أكن لأعرف أبداً ، حتى الوحمة ربما لأني من يوم الجواب أنام وأستيقظ بالتفكير في الأمر هذا الذي لفت نظري لها بأمر من الله !!"

دلك وائل جبهته وهو يسأله:_

"إذا ماذا سنفعل الآن يا سيد ياسر ، كيف سنخبر رنا بل كيف سنهمد له هو الأمر ونخبره، ليس سهل أن نذهب لأحدهم ونقول له هذا والدك وهذه أختك وأنت لست بلقيط "

ابتلع ريقه الجاف بصعوبة قائلاً:_

"لقيط وقع الكلمة يسقط على قلبي كالسياط يا وائل ،ابني أنا ابن ياسر الجوهري قضى عمره كله إلى الآن كلقيط لا أدري لو كانت والدته عائشة الآن هل كنت سأنتقم منها لفعلتها أم سيشفع لها عندي أنها على الأقل من الدار التي كان بها يبدو أنها آمنت له مكانا جيدا فلم يعاني كغيره "

شبك وائل كفيه قائلاً:_

"الموضوع ليس بالبسيط سيد ياسر أدرك ذلك ، هناك شخص قضى ست وعشرون عاما من عمره باسم غير الاسم ودون نسب ، شهادة وفاة لطفل باطلة، إثبات نسب وإثبات أنه على قيد الحياة، صحيح من الجهات القانونية بعلاقاتنا لن يأخذ الأمر وقت لكن يبقي أمر صعب بالأخص لرجل في مكانتك .."

هز ياسر رأسه قائلا بخفوت:_

"بالطبع أدرك ذلك لكن أول خطوة ستتخذها يا وائل فور أن نخبره ولا أعلم إلى الآن كيف هي مؤتمر صحفي نعلن الأمر به "

"لكن سيد ياسر ألن يؤثر ذلك على البورصة أو تكون نقطة يستغلها المنافسين"

سأله وائل بتفكير فأردف قائلا بحسم :_

"بن ياسر الجوهري لن يبقي دقيقة واحدة في الظلام فور أن يعرف فهو ابن شرعي لي من صلبي"

أومأ وائل برأسه في تفهم ثم سأله بحذر :_

"حسنا ورنا ماذا ستفعل معها !؟"

"رنا هذه قصة أخرى يا وائل لا أعلم حقا كيف سيكون الخبر عليها فالفتاة هشة وضعيفة "

"لكن شهاب سيحتوي الأمر أنا أدرك ذلك فهو كان صديق يحيى رحمه الله"

ابتسم ياسر قائلاً:_

"هذا ما يجعلني أطمئن قليلاً"

أومأ وائل ثم ضيق عينيه سائلا:_

"ألن تخبرني لم فعلت في رفعت عمران ما فعلت ؟!"

لوى ياسر شفتيه قائلاً بامتعاض:_

"لا تأتي لي بسيرته أبداً فهذا الكلب ظن أنه من الممكن أن يعبث مع ياسر الجوهري"

ابتسم وائل قائلاً:_

"ألن يثير البلبلة حين يخرج يا باشا؟!"

رفع حاجبيه قائلا باستهجان :_

"ما بالك يا وائل هل سنخاف من رفعت ،بالله أنه لا يساوي حذاء عامل في مؤسستي؟!"

ضحك وائل قائلاً:_

"حاشا لله يا باشا وإن فعل فنحن كافيلون بتأديبه ومع أني أظن أنه تأدب لأعوام قادمة "

ابتسم ياسر قائلاً:_

"حسنا أتذكر أكمل البدوي!؟، أنا أريد هذا الولد ،عقله سُم ويعجبني"

ضم وائل حاجبيه قائلاً:_

"لكن يا باشا معظم القضايا التي يعمل بها مشبوهة وغير نظيفة"

غمزه ياسر بعبث قائلاً:_

"نهذبه يا وائل ونوظف عقله في الطريق الصحيح فنحن نحتاج لمن هو مثله معنا "

****

" أعذرني يا دكتور هل تراني صغير كي تأتي ابنتي إلي بمثابة الغاضبة ومن ثم تأتي أنت بعد فترة تقول أتيت لأخذ زوجتي!؟"

قالها الجد بنبرة حادة بعض الشيء وهو يواجه شهاب الجالس أمامه

صمت شهاب دقائق ثم ابتسم قائلا :_

"هل تثق بي يا عمي!؟"

"لو لا أثق بك لما أعطيتها لك أبداً يابني صدق أو لا تصدق رنا أغلى عندي من نجلاء وحمزة ،مكانتها لا يضاهيها أحد أبداً بقلبي"

ابتسم شهاب برضا فهو يقدر هذا الرجل ودوره الذي قام به على أكمل وجه في حياة رنا كثيرا لذا تنحنح قائلاً:_

"رنا ليست زوجتي فحسب يا عمي ، رنا ابنتي وصغيرتي ولا أخجل أبداً من قول ذلك وكلام رجل لرجل مني فأقسم أن ما حدث هو سوء تفاهم لا أكثر لو

كنت أستطيع البوح به لأخبرتك بالطبع لكن أعذرني في هذا الأمر "

"يابني أنا أثق بأنك رجل بمعنى الكلمة لكن خوفي عليها لا حيل لي به لست حمل أن تدخل علي مرة أخرى باكية ، أنت لا تعلم أن دمعة واحدة منها تجلب لي سنوات من الندب أني السبب في كل ذلك "

قالها الجد مطرقا رأسه بأسف فربت على فخذيه بحنان قائلاً:_

"اطمئن يا عمي رنا تجلس في إحدى عيناي وتمدد ساقيها في العين الأخرى"

"والله يابني جملتك هذه من شخص مثلك كفيلة أن تريح قلبي إلى الممات"

قالتها زوجة جدهم وقد دخلت على حديثه لتقدم العصير ،فابتسم مطرقا برأسه في احترام مما جلب ابتسامة مرتاحة للجد وهو يقول:_

"على بركة الله يابني لكن قبلا عدني أن تضعها في عينيك مهما حدث منها فأنا لن أعيش لها"

أومأ برأسه بوقار قائلاً بوعد رجولي :_

"لك وعدي أمام الله ، لم أتزوجها لأغضبها بل لأني وجدت فيها سكني ، وأعطاك الله العمر والبركة في الدكتور حمزة الذي يعاديني الآن ولو كان موجود أنت تعلم ماذا كان سيفعل"

أنهى حديثه مبتسما ،فابتسمت نعمات قائلة بطيبة :_

"لا تغضب منه يا بني ،رنا ابنة حمزة وليس ابنة أخته وهو يخاف عليها كثيرا"

فرد شهاب كفيه قائلا ببساطة:_

"على العكس أنا أقدر له هذا جدا ،ولي جلسة معه إن شاء الله"

خبط الجد على فخذيه وهو يقف قائلاً:_

"على بركة الله هيا بنا يا أم حمزة ندعو رنا لتدخل لزوجها"

وقع أقدام قريبة دفعته للوقوف وهو ينتظر دخولها بلهفة

عينيه تلتهمها بتوق من رأسها لأخمص قدميها

رقيقة ،هشة وهي تدخل عليه وكأنها تلميذة يسقونها لأستاذها الذي سيعاقبها

مطرقة برأسها ،تقضم شفتيها الورديتين بقوة ،تشبك كفيها إلى بعضهم ،ترتدي عباءة استقبال جلبت الابتسامة لشفتيه فقد ذكرته بأيام خطبتهم

التفتت برأسها على صوت الباب يغلق ويبدو أن زوجة جدها هي من فعلت

ابتسم بعبث جعله يصغر أعواما وهو يقول:_

"هل ستظلين واقفة هكذا مطرقة برأسك ألن تقتربي"

زادت من قضم شفتيها بتوتر وخاصة وأنه قد أصبح أمامها ..

مسك ذقنها يرفع رأسها إليه مخلصا شفتيها من ضغط أسنانها هامسا بإيحاء عابث :_

"لم لا تتركي لي أنا تلك المهمة أفضل لكلينا"

احتقنت وجنتيها خجلا ومازالت مسبلة أهدابها فعاتبها بلطف قائلاً:_

" إياك أن تُحني رأسك ،تُسبلي أهدابك أبداً في وجودي فشموخك من شموخي يا صغيرة لا تشكي في ذلك أبداً هذه الهامة الرقيقة خُلقت لِتُرفع "

رفعت إليه عينيها الغارقتان بالدموع فابتسم قائلاً:_

"أذكر واحدة أرسلت لي بالأمس "شهاب" فلبيت ولبي قلبي ألا تلبين أنتِ الأخرى يا صغيرتي"

وأخيراً ابتسمت فتنهد يضمها إليه بقوة حبه بقوة اشتياقه حتى بقوة يأسه الفترة الماضية حتى استكانت إليه ،قبلها من رأسها وكأنها يدمغها بها مسيطرا على نفسه فهم في بيت أهلها ولا يصح إلا الصحيح ....

ابتعد عنها مرغماً وهو يقول :_

"بدلي ملابسك يا رنا كي نعود لبيتنا فقد استأذنت من جدك "

"لكن "

قالتها بحيرة فأمال رأسه معاتباً بعاطفة محتنقة تقطر من حروفه ولمعة عينيه:_

"لكن!؟"

ألم تشتاقين لي يا صغيرة!!"

احمرت وجنتيها وتلعثمت نافية بسرعة :_

"لا الأمر ليس هكذا "

"يعني أقصد حمزة يعني سيغضب مني"

رفع حاجبية بسخرية لكنه أخذ نفسه قائلاً بحزم:_

"اذهبي يا رنا هيا وبدلي ملابسك لتعودي مع زوجك "

طوال الطريق، جلست جواره في السيارة متظاهرة بالنوم وهو عليه لم يثقل عليها منتظرا وصولهم إلى شقتهم

وفور أن وصلوا وفتح الباب أدخلها وأغلق خلفه مستندا على الباب ينظر لظهرها يتنهد ارتياحاً لعودتها لمحيطه مرة أخرى ...

عينيها تدور في الشقة باشتياق لا ليس شعورها الاشتياق فقط بل الأمان تشعر أنها عادت لنطاقها الخاص ،نطاقها الذي كللته ضمته لها الآن من الخلف هامساً ببحة مشتاقة:_

"اشتقت إليكِ يا صغيرة "

أدارها إليه يتأمل ملامحها بتوق حتى حسم اشتياقه بارتوائه من أنفاسها يدور بها لا يدري أي منهم غيب

الآخر أهو الذي غيب عقلها أم هي التي غيبت روحه من لذة مذاقها....

وأخيراً سيطر على نفسه بعد فترة بصعوبة فيجب أن يتحدثوا أولاً..

احتوى كفيها بين كفيه قائلا بجدية :_

"لنتعاتب يا رنا وارفعي رأسك وأنتِ تتحدثين معي فما سنتحدث فيه الآن سيكون ركن من أركان حياتنا كلها "

أومأت برأسها برقة وهي ترفع عينيها المكللتين بالذنب إليه فابتسم رغما عنه .

يا الله كيف تزوجها بحق الله ؟! وبنظرتها تلك يشعر أنه كهلٍ في الستين أمام طفلته التي في العاشرة..

تنحنح قائلاً :_

"هل تدركين مدى خطئك يا رنا، أنا لا أنكر أني غضبت يومها وأي رجل مكاني يا رنا كان سيغضب وبدورك ساعدتي في تأجيج غضبي ببكائك وقولك أنها أنتِ دون أن أفهم"

"وماذا تريدني أن أفعل وأنا أدرك أنها صورتي القديمة والتي تذكرتها فور أن رأيتها لم أركز حتى في التعديل عليها بل كل ما كان ببالي تلك المحادثات"

طريقتها الغاضبة في الرد لم تعجبه فضغط على كفيها قائلا بحزم :_

"اهدئي"

أخذ أنفاسه وأردف برزانة :_

"وإن كانت صورتك يا رنا فهو ليس كلامك ، ثوري واغضبي لكن من أجل نفسك ،ثأراً أنها ليست أنتِ ، اعلمي يا رنا أن بكاءك في موضع اتهام يُضعف من موقفك "

هزت رأسها بلا معنى فأردف قائلا بتوبيخ :_

"ومجرد أن تركتك لاحقا بابنة أخي يا رنا أعود وأجدك تركتي البيت وأخذتي سيارتي وكأنكِ تثبتين لمن أمامك قولاً وفعلا أنكي مدانة أي تصرف غير مسؤول هذا يا رنا "

"أنت لا تعلم شئ "

قالتها ببوادر بكاء فهي لم تفعل ذلك إلا تحت وطأ خزيها من ذنبها، لكن ما لا تعلمه هي أنه يدرك كل شئ حتى إحساسها الآن....

حك ذقنه بسبابته قائلا ً:_

"لو سأشك في زوجتي يا رنا لم أكن لأتزوجها ، الأمر ليس بيت وأسرة، الأمر أني حين اختارتك أمنتك على نفسي وعرضي وبيتي يا رنا هل تدركين شعوري بعد كل هذا ؟!

هل تدركين شعوري وأنا أتلعثم أمام والدتي وهي تسألني عنكِ؟!

أتدركين شعوري أمام ابنة اخي وهي تعلم فعلتك ، أظهرتني وكأني رجل صغير أمامها "

"أنا آسفة "

قالتها بحزن فزفر قائلاً ببوادر غضب:_

"يا الله يا رنا أنا لا أريد أسفك ، أريد أن تنظري لكم المشاكل التي أوقعتنا بها بسبب تصرفك الغير مسؤول

أنتِ لست طفلة أخطأت بالروضة ، أنتِ زوجة يا رنا أخطأت بحق زوجها وبيتها بل في حق نفسها أيضاً

مظهري أمام أهلك يا رنا ،غضب حمزة ومشاجرته معي، غضب جدك مني، تعنيف والدك لي وكأني صغير"

"والدي؟!"

لمعت عينيها الجائعة لاهتمام أبيها ألمت قلبه فابتسم مداعباً وجنتها الناعمة بأنامله الشغوفة قائلا بدفء:_

"نعم والدك يا رنا أرسل لي وعنفني كأي رجل غير مسؤول أغضب زوجته"

صمتت لدقائق حزينة من أجله ثم سألته بحيرة :_

"كيف وصلت لغدي تلك المحادثات ولما غدي أم هي وقعت في يدها بدلا منك"

هز شهاب رأسه بيأس قائلاً :_

"هل تذكرتِ الآن يا رنا أن تسألي ،لقد غرقتِ في رثاء نفسك ونسيتي الكارثة ؟"

عضت شفتيها وهي تدرك عظيم ذنبها فآثرت الصمت مطرقة برأسها تسمعه يقول:_

"أيا كانت المشكلة يا رنا فقد تم حلها ولتعلمي أن والدك هو من حلها "

"كيف يعني أنا لا أفهم شهاب "

تنهد يقص عليها كل شئ باختصار فدمعت عينيها معترفة :_

"أنا آسفة يا شهاب حقا آسفة لكن أقسم أنه رغما عني ما فعلت "

مرر إبهامه بين رموشها يمسح تلك الدمعة العالقة هامساً بحنان :_

"لا أريد أسفك يا صغيرة ، بل أريدك أن تقدري أنكِ أصبحتِ مسؤولة فيجب أن تحسبي لتصرفاتك قبل أن تفعليها ، بالنسبة لأهلي فقد سويت الأمر يا رنا وبالنسبة لحمزة سأحلها معه هو الآخر وعليه سيغلق هذا الموضوع للأبد "

أومأت برأسها فابتسم قائلاً بدفء وقد أثر أن يكتفي بذلك الآن :_

"حسنا يا حبيبتي أهم شئ يا رنا أريده منكِ هو حلمك علي عند غضبي فأنا سرعان ما أهدأ لأتروى في الأمر ، إذا غضبت يوما ونحن نتشاجر كأي زوجين فقط لا تزيدي غضبي واصمتِ حتى أهدأ ونتناقش وأشهد الله أني لن أظلمك يا صغيرة "

حسنا إلى هنا ويكفي ،كيف ستحبه أكثر من ذلك بحق الله، هي حتى لم تلتفت لخجلها ولا لأي شئ وهي ترتمي عليه متعلقة برقبته تدفن رأسها في رقبته باكية مما فاجأه وبالأخص وهي تعتذر بحزن من بين شهقاتها ...

ابتسم يضمها إليه بحنان ،يعدل من وضعيتها بين ذراعيه ،يمسح دموعها بحنان وهو يقترب منها، أنفاسه تكللها بشوق هامساً بخشونة :_

"انتهينا من العتاب يا صغيرة ،دعينا الآن في الحب، فرجُلكِ مشتاق"

****

صباحاً

تمطأت براحة ترفرف بأهدابها فاصطبحت بعيناه المغازلة لها في صمت

عانق أنفاسها لثوانٍ أو ربما لدقائق لا تدري ثم همس بتحشرج عاشق:_

"لا حرمني الله من صباحٍ يأتي دون أن تعانق أنفاسك أنفاسي "

"أنا أحبك"

همستها بوله أرضاه ،خاصةً وهي تبدو أمامه الآن في وهج أنوثتها وتوقها فابتسم قائلاً:_

"وأنا أعشقك صغيرتي "

ضيق عينيه وأردف بغموض :_

" أشعر بتغير فيكِ وليتني عند حسن ظني لكن دعينا لا نسبق الأحداث"

ضمت حاجبيها سائلة بحيرة :_

"تغير أي تغير أنا لا أفهم !؟"

ابتسم بعبث رجولي لا يليق إلا به وهو يميل إلى أذنها هامسا عدة كلمات ،فشهقت بخجل وكأنها لا تصدق أن هذا شهاب لكن صوت ضحكاته الذي بدد صمت الغرفة جلب السعادة لقلبها فابتسمت

شدها إليه برفق هامسا بحب:_

"تعالي يا صغيرة فأنا لم أشبع شوقي لكِ بعد "

*****

"كيف يعني تركتموه يأخذها معه بسهولة هكذا ودون أن تخبروني أيضاً !؟"

قالها بغضب بعدما أخبروه ما حدث فابتسم والده قائلاً بسخرية :_

"لا وهل يصح ما كان ينقص إلا أن أهاتفك لأستأذنك يا دكتور حمزة "

"أنا لم أقل تستأذني يا أبي ،لكن بعدما تركها تأتِ غاضبة إلينا يأخذها بكل سهولة هكذا!؟"

"هي لم تأتِ غاضبة لو أتت غاضبة لما لحقها ليلتها إلا هنا وكل يوم وهي ترفض مقابلته إذا صدقنا القول فهي تتدلل ويبدو أن الرجل لا يمانع فلتُنقطنا بصمتك وتذهب لبيتك إذا تذكر أن لك بيت "

****

رمى مفاتيحه على الطاولة بغضب فور أن وصل،
أبصرها متكورة على نفسها على الأريكة تشاهد التلفاز
فاقترب منها قائلا ببوادر غضب:_

"هل كنتِ تعلمين أن رنا عادت لزوجها اليوم "

أومأت برأسها ولم ترد فعنفها قائلاً:_

"ولما لم تهاتفيني لتخبريني يا نهى"

"لم أكن أعلم أنه علي أن أخبرك يا حمزة إضافةً أنك لا
ترد على هاتفك منذ الصباح "

قالتها بغضب مكبوت وهي تهب واقفة لكن قبل أن يرد
عليها وهو يلحق بها سقطت بين ذراعيه فاقدة وعيها

أسندها بهلع وهو يعود بها إلى الأريكة يحاول إفاقتها بخبرة حتى فتحت عينيها بعد دقائق تأخذ أنفاسها بصعوبة ،سألها بلهفة :_

"نهى حبيبتي هل أنتِ بخير ،ماذا حدث هل تُهملين في أدويتك منذ فترة لم تفقدين وعيك "

فور أن استعادت وعيها رمقته بلوم ،تحاول تخلص نفسها من بين ذراعيه بوهن وحين لم تستطع انفجرت باكية

ضم حاجبيه ناظرا لها بذهول ،يضمها إليه بحنان محاولا تهدئتها وهو يقول بقلق:_

"نهى ما بكِ هل تشعرين بالألم ، هل تتنفسين جيدا !؟"

"خذني عند بابا يا حمزة أنا لم أعد أريد هنا "

حملها بين ذراعيه يتجه إلى غرفتهم غير مباليا بحديثها حتى يطمئن عليها أولاً

وضعها على الفراش ثم أتى بأدواته يقيس لها الضغط والسكر ويطمئن على ضربات قلبها ومن ثم جهز الحقنة الخاصة بها وحقنها بها

كل ذلك فعله بمهنية وسط بكائها الرقيق حتى انتهى وجاورها يضمها إليه مرة أخرى بحنان حتى هدأت بعض الشيء وسألها :_

"حبيبتي ما بكِ ما الذي أحزنك هكذا؟؟"

"ألا تدرك حقا يا حمزة "

همستها بلوم فابتسم قائلاً:_

"ربما غفلت أخبريني"

دفعته بحدة وهي تستدير تعطيه ظهرها وقد بدأت الحقنة تسري بجسدها قائلة بغضب:_

"لا أنا متعبة و أريد النوم الآن وصباحا سأذهب لأبي"

بعد منتصف الليل

جلست نصف جلسة على الفراش تنظر إليه بتشوش ،يجلس جوارها كما هو فقط بدل ملابسه وزاد على وجهه الإرهاق

التفت إليها فور أن أدرك استيقاظها وسألها باهتمام :_

"هل أنتِ بخير؟! ،هل تشعرين بأي ألم أو ضيق في التنفس؟؟"

"بخير "

همستها باقتضاب ثم سألته بجمود :_

"لِم تجلس هكذا ولم تنام ؟!"

"وهل سأنام دون أن أطمئن عليكِ يا نهى"

قالها بلوم فأشاحت بوجهها في ضيق مما جعله يسألها:_

"إذا أخبريني ما بكِ؟!"

"ألا تدري يا حمزة أنه منذ ما حدث مع رنا وأنت نزق غاضب على الدوام وأنا صامتة وأتحمل ، ترفض زياراتي لأبي بحجج واهية رغم أني لم أقصر مع رنا أبدا فهي أختي قبل كل شيء"

برر حمزة باعتذار :_

"تعلمين أن ظروفها الخاصة يا نهى تقلقني عليها "

أشارت بكفها محذرة :_

"لا تبرر لنفسك يا حمزة ، أنت حتى مناقشتي لك في موضوع الحمل والإنجاب لم تواصلها معي متعللاً بتعبك، تحرص على أدويتي لا أنكر لكن متابعتك الدورية لي في عيادتك والتي كان موعدها الأسبوع الماضي نسيتها ولم تأخذني "

حاول أن يتحدث فقاطعته مواصلة:_

"لا تبرر يا حمزة ولا تدخل رنا في الموضوع إياك أنت تعلم أنها أختي والأمر ليس بها ووالديك فوق رأسي تعلم هذا جيدا لكن يا دكتور يجب أن تتعلم كيف توازن بين أهلك وزوجتك وعملك وعليه أنا ذاهبة لأهلي في الصباح حتى تدرك مسؤوليتك جيدا "

****

"أصدقيني القول يا ابنتي هل زوجك يعاملك جيدا ؟!"

تنهدت قائلة بلوم :_

"ومنذ متى ويعاملني أنس سيئا يا بابا، أنس لا يطيق أن يمسني الهواء الطائر "

ضمها إليه مربتا عليها بحنان ثم قال:_

"إذا لم لا يأتي معك هنا!؟ "

أشارت لها والدتها بالصمت ثم رمقته بلوم قائلة:_

"لأنك كدت أن تسلبه زوجته فقط ، بل أنت سلبتها في وقت ما بالفعل ،بسيطة "

تأفف والدها بغيظ قائلاً:_

"هو لا يهمني في شئ أنا أب وأخاف على ابنتي"

خبطت أمها على فخذيها وهي تقف قائلة :_

"لا فائدة فيك ، تعالي يا روضة معي المطبخ كي نجهز الغداء"

بالمطبخ

تجلسا متجاورتين إحداهن تقشر الثوم والأخرى البطاطس تثرثران حتى سألتها والدتها باهتمام :_

"أخبريني يا روضة ما أخبار أهل زوجك معك !؟"

ابتسمت روضة قائلة:_

"غدي معظم الأيام عندنا فهي مكتبها قريب من شقتنا الجديدة، وحماي يهاتفني باستمرار ، أما حماتي لا تحدثني "

هزت والدتها رأسها ثم قالت:_

"إذا وأنس طمئنيني يا ابنتي هل يعاملك جيدا !؟"

"ألم تسمعي ما قلت لأبي يا أمي !!"

قالتها بلوم فأسرعت والدتها قائلة :_

"يا ابنتي لا أقصد شئ لكن قلقت اليوم فأنا متعودة أنه يوصلك إلى هنا كل مرة ويلقي علي السلام إلا أنه لم يفعل اليوم وأتيتِ وحدك"

تركت المقشرة من يدها وقالت:_

"لأنهم اتصلوا صباحا يا أمي وأخبروه أن والدته متعبة قليلاً فذهب إليها وأنا أتيت بسيارة أجرة "

"والدته متعبة وأنتِ ماذا تفعلين جواري يا قلب أمك "

قالتها والدتها بتوبيخ فنظرت لها بحيرة وهي تهز كتفيها قائلة :_

"وماذا أفعل يا أمي، لقد هاتفته منذ قليل وطمأنني أنه مجرد ارتفاع في الضغط وأصبحت بخير"

"تكونين جواره يا هبلاء يا من ستجعليني أموت ناقصة عمر أنتِ وأبيكِ، تقومين بالأصول وتزوريها معه "

"يا ماما أقول لكِ لا تُحدثني تقولين زوريها !؟" قالتها بلوم فاستدارت والدتها لها قائلة بحكمة :_

" نعم تزوريها أقلها حتى لا تعطي لأحدهم الفرصة ليقول له هاهي زوجتك التي متمسك بها لا تفهم بالأصول وتضع رأسها برأس أمك"

"أنس لا يفكر هكذا "

قالتها بحزن مما رقق قلبها وهي تقول بحنان:_

"حسنا يا ابنتي لكنه يستحق منكِ هذا ، أنس يستحق أن ترفعي رأسه بإصراره عليكِ أمام أهله ، أن تسعدي قلبه بخطوة كهذه فهي أمه رغم كل شئ يا ابنتي ادفع بالتي هي أحسن ..

* * * *

لم يصدق أذنيه وهو يسمع صوتها تضحك مع أخته بالخارج فخرج مسرعا وتسمر ينظر إليها بدهشة والفرحة تغمر قلبه

اقترب يرحب بها ثم التفت إلى غدي قائلاً:_

"صُبي الشاي لبابا يا غدي "

أومأت برأسها ،تغمزه بمشاكسة جعلته يبتسم وهي تتركهم وتذهب إلى المطبخ

التفتت إليها قائلاً بحيرة :_

"لما لم تقولي أنكِ آتيه كنت جئت وأخذتكِ"

ابتسمت بحب من لمعة عينيه السعيدة هامسة لنفسها أنها تكفيها عن العالم كله ثم قالت وهي ترفع الكيس الذي في يدها :_

"جئت من أجل زيارة والدتك يا أنس، وهذه هدية بسيطة شفاها الله وعفاها"

ابتسم هامسا بعبث:_

"هل لو قبلتك الآن سيحدث شئ !؟"

لكزته في كتفه بعتب وهي تتخطاه إلى غرفة والديه المفتوحة

ألقت السلام ودخلت فهلل لها حماها وهو يقبل رأسها قائلاً:_

"هلَ القمر علينا يا روضة اليوم "

"من ذوقك يا عمي "

قالتها بحب ثم اتجهت لتلك الصامتة على الفراش تقبلها من وجنتيها وهي تجلس جوارها ثم سألتها بحنان صادق:_

"كيف حالك خالتي ، شفاكِ الله وعفاكِ"

"بخير يا ابنتي ،سلمتِ"

قالتها باقتضاب وهي تربت على فخذها ،لكن رغما عنها هي لم تعد تستسيغها مثل السابق فهي من حرمتها من أن ترى أبناء بكرها وأيضاً السبب في بعده عنها الآن

*****

بشقتهم

خرج من الحمام يجفف رأسه فلم يجدها في الغرفة ، اقترب من المرآه يمشط شعره وهو يدندن فاليوم هو سعيد، رغم أن والدته لم تبدي ترحيبا بها لكن خطوتها هي فرقت معه كثيرا بل زادتها علوا في قلبه ونظره

ألقى المشط وخرج باحثا عنها فوجدها تجهز وجبة عشاء سريعة في المطبخ

ضمها إليه مستندا بذقنه على كتفها وهو يدندن بصوت حلو بعض الشيء وهو يحثها بساعده على التمايل معه

"يعني ايه لما كلامي كله يبقى في سيرتك، يعنى ايه لما ابقى عايش مش شايف غير صورتك ،لا وصوتي يا حبيبى مينطقش إلا اسمك "

ابتسمت بحب مقبلة وجنته برقة وهي تحمد الله في نفسها على فرحته الواضحة من فعلتها تدعو لوالدتها على نصيحتها حتى وإن كانت خطوتها تلك لم تروق لحماتها لا يهم المهم هو .

تعالت ضحكاتها وقد على صوت غناءه الدال على روقان مزاجه يديرها إليه مواصِلا وهو يحرك رأسه بمشاكسة يغازلها بعينيه :_

"عنيا بتحبك وقلبي بيحبك وحضني بيضمك ده يبقي ايه ،معايا وواحشني ، بعيد بتوحشني ، حبيبي طب قولي ده يبقي ايه "

أنهى فقرته الغنائية مبتسما ثم همس بامتنان صادق:_

"شكرا يا روضة

ضمت حاجبيها تسأله بحيرة وقد ظنت أنه يقصد زيارتها لوالدته :_

"علاما؟! ،لم أفعل سوى الواجب تستحق عمري كله يا أنس"

احتوى وجهها بين كفيه هامسا بدفء:_

"بل شكرا لأنكِ لم تتركيني يا روضة، شكرا لأنكِ في حياتي ، لأنكِ زوجتي أنا"

□□□□

"يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف"

همسها بعبث لصغيره الذي يناغي بفمه وهو على ذراعيه...

رمقها بطرف عينيه مرة أخرى ترتدي بلوزة قطنية بيضاء تشبه ملابسه الداخلية تصل لركبتيها ،سروال منامة عجيب مخطط بألوان الطيف تقريبا إحدى رجليه مثنيه للأسفل والأخرى تصل إلى ركبتها،

كعكتها العجيبة يغطيها وشاح مربوط ربطة امرأة ستينية تسير حافية بالصغيرة ذهاباً وإياباً ،يشعر وكأن أذنها ستخرج نار بعد دقائق

الغريب أنها تنتقم منه هو مما جعل يحضره الآن جملة الفيلم الشهيرة

"اغتصبتك يعني!!"

والويل كل الويل له فيبدو أنها خرجت مسموعة منه وهي تتوقف أمامه تنظر له بشر عاقدة المائة وإحدى عشر بل ربما ألف وإحدى عشر على جبينها

اقتربت منه ممتعضة تضع ابنته على ذراعه الآخر بحذر ثم استقامت ،تضع يدها في خصرها صارخة بغضب:_

"لا يا حسن يا ذا الظل الخفيف لم تغتصبني ونظرا لأنك لم تغتصبني هاهي تلك السرينة التي أنجبتها فلتُريني كيف ستجعلها تصمت "

نظر لتلك السرينة التي وضعتها على ذراعه وقد على صوتها أكثر بفزع ثم ابتسم قائلاً بمهادنة وبراءة مصطنعة:_

"حبيبتي لقد كنت أمزح معك بالطبع ،ثم أني جربت قبلك ولم تصمت معي "

"فلتشرب يا حسن أليست هذه عاليتك الصغيرة التي لا تتركها من يدك طالما نظيفة ورائقة لكن فور أن تفتح سرينتها وتغلب بها حينها ملك أين أنتِ يا ملك "

تركته متجهة إلى الغرفة فناداها قائلاً بتوسل :_

"ملك لا تمزحي أنتِ تعلمين جيدا أنها لن تصمت معي ثم كيف بالله عليكِ سأفعل وعُدي معي هو الآخر"

لم تعيره اهتماما قائلة بتشفي دون أن تلتفت له :_

"تصرف كما أتصرف يا أبا التوأم "

نظر إليهم ببؤس قائلا :_

"أيعجبكم هذا الآن لقد غضبت علينا جميعاً"

وضع عُدي بحذر على الأريكة وهو يضع جواره وسادة كبيرة ثم استقام واقفا يهز عاليته بين ذراعيه في محاولة لسد سرينتها المفتوحة منذ ساعات حتى استكانت إليه أخيرا ونامت فابتسم بحنان مقبلاً وجنتها هامساً:_

"ابنة أبيكِ يا فتاة "

نظر إلى باب الغرفة وهو يتجه لها ثم همس بتواطؤ لها وكأنها لم تكن تبكي بالأساس وكأنها لم تجعلهم يقفوا على قدمٍ واحدة :_

"هي التي لا تعرف كيف تتعامل معكِ صحيح !؟"

فور أن وصل لباب الغرفة توقف هامسا الشهادتين بعبث ثم خطا للداخل بحذر وجدها تجلس على الفراش بكامل هيأتها المتأنقة قبل دقائق أو بمعنى أصح هيئتها المريعة تُشغل شئ ما بالخيط وقد أصبحت توأم أم شيماء جارتهم ..

وضع عاليته على الفراش الآخر والذي نقلوه من بيت والدتها بعد عودتهم لشقتهم

لوت شفتيها قائلة بسخرية وهي منهمكة فيما تفعل:_

"هل تكرمت أخيراً ونامت حبيبة أبيها"

"حقودة من يومها"

همسها وهو يخرج من الغرفة كي يأتي بعُدي هو الآخر وفور أن حمله اشمأز بوجهه قائلاً:_

"ما هذه الرائحة النتنة يا فتى هل ترضعك قنابل ذرية!؟"

بعد دقائق كان يضعه على الفراش يبدل له الحفاض ولم يكد أن يرفع قدميه حتى أغرق وجهه بأكمله ...

"يا ابن ال....."

سبه بغيظ فضحكت شامتة وهي ترفعه إليها قائلة :_

"لا تسبه وماذا فيها أن قضى حاجته على وجهك يعني هل تريده أن يكتمها مثلا"

رمقها بغيظ قائلاً:_

"لا وهل يصح ليفعلها على الحمام العام بوجيه أبيه كي يهنأ هو وأمه "

□□□□

تنتظره بالنافذة ومجرد أن صف سيارته أسرعت إلى الباب لاستقباله

دقائق وفتح باب الشقة وأغلقه وراءه

ابتسم لرؤيتها ولمعت عيناه بشغف ذكوري وهو يمرر نظراته على ما ترتديه .

منامة حريرية من اللون الأسود دون أكمام وشورت قصير يصل إلى منتصف فخذها

وضع ما بيده جانبا وأغلق الباب

وكعادتهم بعد عودته يومياً ضمها إليه بقوة ، وانحنى آسِراً أنفاسها فأحاطت عنقه مغمضة عينيها تنهل من

عاطفته بتوق امرأة باتت عاشقة على يده وككل مرة غرق وتاه بها ولم يتركها إلا عند حاجتهم للتنفس

أسند جبهته على خاصتها ، يعانق عينيها بعينيه وهمس بعشق:_

"اشتقتُ إليكِ يا مدللتي"

طبعت قبلة رقيقة على وجنته هامسة :_

"وأنا أيضاً "

انسلت بعدها من بين ذراعيه تنحني تجمع ما جلبه معه وهي تسأل:_

"لما لم تجعلني أُعد الطعام وأصريت على جلبه من الخارج "

خلع حذائه جانبا وعلق سترته على كتفه وقال غامزاً إياها وهو متجهاً إلى غرفتهم :_

"اشتقت إليكِ"

ابتسمت بخجل وذهبت إلى المطبخ ترص الطعام الذي جلبه من الخارج على الطاولة

دقائق وكان يدخل عليها الماء يقطر من شعره ويبدو أنه أنهى حمامه للتو يضع المنشفة حول عنقه مرتديا سروال منامته

تعلقت عينيها بوسامته رغماً عنها ، مظهره المعاكس لوقاره الدائم

تنهدت بسعادة معترفة أنها تشعر بامتلاك العالم أجمع فقط لأن شهاب البرعي بكل هيبته تلك لها وحدها ،تحمد الله على ستره لها ومرورهم محنتهم

انتبهت على صوته الماكر هامساً بخشونة وعينيه تلمعان واشية بمدى ولهه بها:_

"هل أُعجِبكِ يا صغيرة ؟"

اتجهت إليه وتعلقت بعنقه وهي تقول بدلال:_

"نعم"

وأكملت مبتهجة :_

"أنا لا أخجل شهاب في قول أن شعوري بأني زوجتك لا يضاهيه أي شعور حلو بالعالم ، دلالك الدائم لي على عكس طبيعتك الوقورة والصارمة بعض الشيء ، منحني ما أريد دون أن أطلب ، فخرك بي ومسامحتك لي ، كل شئ"

لمعت عينيه بحب وهو يضمها إليه يسمعها تقول بنعومة:_

"تعلم لكن لا تضحك علي أحياناً وأنا أسير معك بالشارع أو آتي معك إلى المكتبة تتلبسني رغبة طفولية بإخراج لساني لكل تاء تأنيث تنظر إليك هاتفة بثقة

«هذا الرجل ملكي أنا»"

تأوه بحلاوة يضمها إليه أكثر دافنا وجهه بعنقها هامساً بحرارة :_

"تُسلبيني عقلي يا صغيرة "

ردت بدلال:_

"عقلك فقط؟"

"عقلي وقلبي روحي وأنفاسي "

وفجأة شهقت تتعلق بعنقه وهو يحملها بين ذراعيه خارجاً بها من المطبخ

هتفت بتذمر:_

"شهاب "

"روحه"

قالها بعينين لامعتين بالعشق وحرارة الشوق

"الطعام ألن تأكل ؟" سألته بحيرة

وضعها على الفراش برقة محتوياً إياها بعشق وهمس غامزاً:_

"لنُحلي أولاً يا مدللتي "

بعد فترة كبيرة نسبيا

قبل جبهتها وتركها نائمة ليستعد لمفاجأته

أدى فرضه ثم ارتدى ملابسه على عجل وتركها مطفئ الأنوار خارجاً من الشقة مُجريا عدة اتصالات

وبعد ساعة عاد إلى الشقة مرة أخرى بحذر خوفا من أن تكون استيقظت

تنهد براحة وهو يدرك من الجو الهادئ أنها مازالت نائمة، وضع الأكياس بيده جانبا آخذاً اثنين منهما متجهاً بهم إلى الغرفة على أطراف أصابعه

أخرج محتويات الكيسين ووضعهم بحذر على المقعد مرفقا إياهم بورقة ملونة بها جملة واحدة فقط

خرج مرة أخرى كي يُتمم بقية المهمة ودقات قلبه تتقافز من فرط صخبها

تناول بقية الأكياس وذهب بهم إلى غرفة المعيشة
حريصا على عدم إصدار صوت

أخرج الكعكة ووضعها بمنتصف الطاولة الصغيرة
ووضع بها الشموع دون أن يوقدها

أخرج شئ ملفوف بلفة أنيقة لامعة ووضعه جانبا بزاوية
ثم ذهب إلى المطبخ وأحضر كأسين من عصير الكيوي
كيفما تحب ووضعهم بأناقة حول الكعكة

استقام واقفا يحك شعره بيديه مفكراً أين سيضع هديتها

تحرك جالباً طاولة مستديرة وأخرج محتويات أخر كيس

ووضعها عليه

زفر براحة وقد أدى مهمته بوقت قياسي ، نظر إلى ساعته وتناول هاتفه طالبا رقمها

بعد دقيقة أتاه صوتها المبحوح أثر النوم فابتسم قائلاً:_

"استيقظي يا كسولة"

سألته بنعاس :_

"شهاب أين أنت ولم تركتني نائمة كل ذلك الوقت "

أتاها صوته المبتسم وهو يقول:_

"كُفي عن الثرثرة فقط استيقظت وستفهمين كل شئ ساعة واحدة وأجدك تخرجين من الغرفة أمامي "

أنهى حديثه وأغلق دون أن ينتظر ردها ..

بالغرفة

نظرت إلى الهاتف بدهشة ثم وضعته جانبا ونهضت من الفراش

أضاءت الأنوار وهي تفرك عينيها ودارت عينيها في الغرفة بكسل حتى فتحتهم على اتساعهم وهي ترى ما أمامها

تحركت ببطء تنظر إليهم

فستان حريري قصير من اللون الفيروزي بحمالتين رفيعتين وفتحة صدر مثلثه

أدارت الفستان بين يديها وهي تنظر إلى ظهره المكشوف بخجل

وضعته جانباً بِحرص وهي تتناول حذاء أنثوي رقيق بلون الفستان ومكلل بفصوص فضية لامعة خطفت أنفاسها من جماله

وقعت عينيها على ورقة ملونة جوارهم فأخذتها تقرأ ما بها وابتسامة عاشقة مرسومة على شفتيها

"تدللي دلوعتي"

أسرعت إلى المرحاض فقد أمهلها ساعة واحدة فقط وقد ضاع منها الكثير

بعد نصف ساعة

كانت تقف أمام المرآة تنظر إلى نفسها بخجل

وقد تزينت وارتدت الفستان وحذائه ، رفعت عينيها إلى شعرها الذي تركته مفروداً وهي تفكر بحيرة وغباء

"كيف سيجعلها تخرج شهاب هكذا وهي محجبة "

قاطع أفكارها رنين هاتفها برسالة ، فتحتها وابتسمت شفتيها وهي تقرأ رسالته بصوت مسموع

"ثلاث دقائق و أجدك أمامي"

ألقت على نفسها نظرة أخرى سريعة وخرجت بحماس

نقلت نظرها في أنحاء الشقة بحيرة وكادت أن تنادي عليه لكنها عدلت عن ذلك وهي تسمع موسيقى هادئة تأتي من غرفة المعيشة

وهناك كان هو بانتظارها في لهفة فقد دقت الثانية عشر الآن، دقيقه وخطفت أنفاسه ، لمعت عيناه بتغزل وكل حواسه تتفاعل مع حلاها البهي ، تدخل الغرفة مبتسمة قاضمة شفتيها في خجل

اقترب منها وتناول يديها مقبلا ظهرها ثم سحبها إلى الطاولة

التف حتى أصبح ظهرها ملاصق لصدره واحتضنها بقوة

مال إليها مقبلا وجنتها هامساً بحب:_

"كل عام وأنتِ معي صغيرتي "

التفت بين ذراعيه وعينيها لامعة بعشقٍ جارف هامسة اسمه بتأثر ،فحذرها بلطف

"هششششش إياكِ أن تبكي "

أومأت برأسها مبتسمة وهي تنظر إلى الكعكة مرة أخرى مبهورة الأنفاس لم تكن كعكة تقليدية بل كانت مستطيلة الشكل من الأسفل ، ومن الأعلى عدة كعكات صغيرة دائرية منتهية برسمة أنيقة فأعطت بالنهاية كعكة على شكل باقة من الزهور وجميعهم مكتوب عليهم كلمات الحب

«حبيبتي .... صغيرتي.... مدللتي....ابنة قلبي....أحبكِ يا صغيرة .... دلوعتي... جميلتي»

ضحكت بفرح وهي تقول:_

"يا إلهي شهاب الكعكة مذهلة "

ابتسم لاثماً وجنتها بدفء ثم أشار لها بسبابته جانبا

شهقت بفرح وهي تتجه إلى الطاولة الدائرية حيث كان عليها مكعب ملفوف من الشوكولاتة وكل صف به نوع

مختلف وينتهي ببالون هيليوم لامع عليه كلمة أحبكِ بالفرنسية

التقطت علبة قطيفة من فوقه وفتحتها وعينيها تلمع بسعادة وهي ترى سلسال صغير من الذهب الأبيض به قلب مصنوع من اسميهم معاً

تركت ما بيدها وتعلقت بعنقه تحتضنه بقوة فبادلها عناقها مبتسما وهو يدرك أنها تعبر عن فرحتها بالعناق دون كلمات.

دقائق وأبعدها وهو يتناول شئ ملفوف من جانب الكعكة يعطيه لها وهو يضحك رغما عنه فيقسم أنه سيكون أول رجل يخبر زوجته بحملها وليس العكس .

فهو بعدما شك بها سحب منها العينة وأرسلها للمعمل وهي نائمة كي يتأكد من شكوكه وأتت النتيجة إيجابية ..

قطبت بين حاجبيها بحيرة فلقد أعطاها هديته بالفعل ، فتحت اللفة سريعا وابتسمت بفرحة وهي ترى أنها أول نسخة من كتابة الجديد لكن دمعت عينيها حين فتحت أولى صفحاته وهي تقرأ الإهداء المختوم باسمها

تعالت شهقاتها فاقترب منها بقلق ماسحا دموعها وقال:_

"حبيبتي ما بكِ؟!"

وضعت الكتاب جانبا وتعلقت بعنقه هامسة :_

"تعلم هذه هديتي الحقيقة شهاب وكأنك أعطيتني قلبك "

اقترب منها حد اختلاط الأنفاس وهمس بعشق :_

"قلبي مِلككِ بالأساس يا صغيرة "

وبين أنفاسها يباح الحب بل العشق والسقوط حد التلاشي

سيطر على نفسه بصعوبة فهي لم تقلب الصفحة بعد لذا ربت عليها بحنان وهو يفتح أمامها الصفحة التالية المكتوب بها تحت رسمة صغيرة

"مبارك يا أجمل ماما "

الفصل الثاني والثلاثون والأخير

"مبارك يا اجمل ماما"

رفعت رنا رأسها إليه بحيرة مبتسمة وهي تقول:_

"أنا لا أفهم أي ماما !؟"

سحب الكتاب من كفها يضعه على الطاولة ثم ضمها إليه يثبت عينيه في عينيها الحائرتين ثم قال ضاحكا وقد احمرت أذنيه:_

"الأمر غريب لا أدري ربما سأكون أنا أول رجل يخبر امرأته بحملها وليس العكس ، أنتِ حامل بطفلنا يا حبيبتي"

ثبتت كفيها على صدره تنظر إليه ببلاهة وقد توسعت عينيها قائلة :_

"شهاب أنت لا تمزح ، أنا حامل كيف لا أفهم !؟ "

رفع أحد حاجبيه مشاكساً :_

"كيف؟!"

ابتسمت بخجل فتعالت ضحكاته الرجولية قائلاً :_

"ألم أخبرك يوم عودتنا يا رنا أني أشعر بتغير ما فيكِ ، وبخبرتي الطبية لم أغفل عن كونك من الممكن أن تكوني حامل لذا كنت حاذرا طوال الوقت حتى أتت الفرصة صباحاً وسحبت منكِ عينة أرسلتها للمعمل وبفضل الله النتيجة كانت إيجابية"

ضمت نفسها إليه بخوف غريزي شعره وكفها تمر على بطنها وكأنها لا تصدق

فجلس على الأريكة وأجلسها على ساقيه قائلاً:_

"ما بالك حبيبتي ألم تفرحي!؟"

هزت رأسها نفيا مسرعة وهي تقول:_

"لا الأمر ليس هكذا ، أنا فقط لا أصدق ..."

ضحكت بسعادة وأردفت :_

"يعني حائرة ربما الأمر غريب لأنك أنت من أخبرتني وليس العكس لا أعلم "

ابتسم غامزا وهو يقول بصوته الرخيم مداعباً :_

"نحن نختلف عن الآخرون يا جميلة "

□□□□

قلقت من نومها صباحا فلم تجده جوارها، تثاءبت وهي تنظر بساعة هاتفها فوجدتها السابعة ،تماما شهاب في يوم العطلة أو غيره سواء نام متأخراً أو لا يستيقظ فجرا ...

ربتت على بطنها في حنان وصوت الشيخ محمد رفعت البعيد نسبيا يأتي لها من الخارج

إحدى طقوسه الصباحية التي اكتشفتها بعد زواجهما ، جلست بكسل وقد فضلت الجلوس معه على مواصلة النوم فاتجهت إلى المرحاض كي تغتسل وتؤدي فرضها ثم تخرج له

بعد قليل

خلعت إسدال الصلاة وارتدت مئزرها ،ثم لفت شعرها بعد أن جففته وخرجت تبحث عنه

وجدته جالسا أمام التلفاز يتناول قهوته ويقرأ الجريدة

تقدمت منه ففتح ذراعيه مبتسما فور أن انتبه لها ، جلست علي ساقيه وقبلت وجنته ثم أسندت رأسها إلى كتفه هامسة:_

"صباح الخير"

ضمها إليه بحنان هامساً:_

"صباح الحب يا ماما "

ابتسمت ثم رفعت رأسها إليه قائلة بحذر :_

"هل تظن أني سأكون ماما جيدة حقاً!؟"

"بل ممتازة "

قالها بحسم ثم أردف قائلا بحب:_

"وهل من خطفت قلب الكبير ،بربك تظنيها ماذا ستفعل بالصغير"

صمتت لدقائق تضم نفسها إليه مستمتعة بحنانه ثم سألته:_

"لم أحببتني !؟، يعني لقد قابلت الجميلات غيري "

رفع رأسه إليها هامسا بحرارة وحب وهو يرجع خصلات شعرها إلى الوراء بكفه:_

"وهل يملك من يرى وجهك هذا إلا أن يقع في حبك ،ثم كيف أنظر لغيرك ...وعيناكِ أصبحت قبلة لنظري!!"

ابتسمت وهي تتمسح بوجهها في صدره بدلال ثم قالت:_

"أريد أن أسألك عن شئ لكني أخاف"

"لا تخافي أبداً حبيبتي طالما بداخلي نفس يخرج "

عضت باطن خدها ثم سألته بحذر:_

"يعني أقصد ألم يفرق معك أبداً أمر أني كنت عاقدة قراني قبلك وبالأخص أني وجدتك تغار من عمر كثيرا"

صمت بدقائق مسيطرا على غيرته ثم قال بنبرة وجدتها رجولية جذابة وخاطفة لا تليق إلا به:_

"عار على رجولتي أن أغار منه ...حق عليها أن أغار عليكِ يا رنا"

"شهاب أنا أحبك " همستها بنعومة تلقائية جلبت الابتسامة لشفتيه وهو يقول بثقة قبل أن يميل غارقاً فيها :_

"أعلم ففي شرع قلبي أنا ثم أنا ثم أنا ثم لا أحد"

ليلاً

جلس جوارها قائلاً:_

"لقد أخذت لنا ميعاد عند الدكتورة ". ." كي نطمئن حبيبتي ونتابع معها حتى تضعي بإذن الله على خير "

التفتت إليه قائلة بحيرة:_

"أي دكتورة شهاب ، أنا لن أطمئن على طفلي سوى مع حمزة "

حك ذقنه بكفه قائلاً بهدوء:_

"حبيبتي الدكتورة ". ." ممتازة لا تخافي وبالتأكيد لن أذهب بكِ إلا عند طبيبة ماهرة

"أنت لا تريديني أن أتابع مع حمزة يا شهاب "

قالتها ببوادر ضيق فشبك كفيه قائلاً:_

"الأمر ليس في حمزة يا رنا ، الأمر أني عامةً أرفض أن تتابعي مع طبيب وليس طبيبة "

"لكنه خالي"

قالتها بدهشة وهي تثني ساقيها أسفلها إلا أنه مط شفتيه قائلاً:_

"أنا لا أحسبها هكذا يا رنا "

"إذا كيف تحسبها يا شهاب "

خلل كفه بخصلاتها قائلاً وهو ينظر إليها :_

"من جهة الأمر حساس يا رنا وحمزة مهما بلغ تحضره وتوسع عقله إلا أنه سيكون صعب عليه ومن جهة أخرى أنا أغار يا مدللة وإن كان حمزة حتى كبير بالعمر ولن يؤثر الأمر عليه أيضا كنت سأرفض فأنا أغار ولن أتحمل أمر كهذا "

□□□□

انتفضت من نومها وعلي صوت الصغيرين فزعا على صراخه باسمها فزعقت به في خوف وهي تربت على الصغيرين كي تهدئهم :_

"ماذا حدث يا حسن تصرخ وكأن أصابك مس لقد أفزعت الصغيرين "

قفز جوارها على الفراش قائلاً بضيق:_

"هناك صرصور يطير في الخارج "

التفتت إليه تنظر له ببلاهة وهي لا تصدق ما سمعت فقالت بحذر:_

"ماذا!!!"

برقت عينيها بجنون وهي تقول بشر:_

" أعد ما قلت يا حسن وادعو الله أن أكون استمعت خطأ"

عبس قائلاً بضيق وهو يحمل الصغيرة الباكية:_

"أقول لكِ هناك صرصور بالخارج يطير ،اخرجي لتقتليه بسرعة قبل أن يهرب فهو يحوم حول التلفاز بالخارج "

هل لو قتلته هو الآن ودفنت جثته كي يكون عبرة لصرصوره هذا سيحدث شئ؟!

هدرت بغيظ :_

"أنت تمزح يا حسن ،تفزعني من النوم أنا والصغيرين لأنك تخاف من صرصور ،بحق الله لتوي نمت "

هز كتفيه بلامبالاة باردة أغضبتها وهو يقبل الصغيرة قائلاً:_

"أنا أخاف من الحشرات الصغيرة والطائرة هيا اخرجي اقتليه وتعالي لتُرضعي عاليتي فهي جائعة"

"الخادمة التي جلبتها لك والدتك ،يقتل الفئران ويخاف من صرصور"

همستها بغيظ وهي تخرج من الغرفة تبحث عن التنين الطائر الذي يخاف منه ...

بعد فترة طويلة نسبيا وجدها تأخرت فرمق الصغيرين وجدهم يغطون بالنوم في اطمئنان ،وضع الوسادات حولهم وخرج بحذر يبحث عنها هي والصرصور

فوجده مقتول جوار الحائط فاشمأز هامساً بغيظ :_

"ألم تكلف خاطرها وتلقيه بالقمامة "

جلب كيس بلاستيكي وأدوات التنظيف ونظف مكانه ثم عاد باحثا عنها...

عقد حاجبيه وهو يقف جوار رأسها ،نائمة على الأرض بعمق ، عاقدة ذراعيها أسفل رأسها وساقيها ترفعهم على

الأريكة ،تغط في نوم عميق ،فمها مفتوح قليلاً مما جلب له الضحك

جلس جوارها ولكزها في كتفها وفور أن فتحت عينيها ورأته لوت شفتيها قائلة ببؤس:_

"ماذا حدث يا حسن هل وجدت برص هذه المرة "

ابتسم قائلا بحنان :_

"لا لا تقلقي ، فقط نومتك غير مريحة حبيبتي"

اعتدلت تدلك رقبتها تجاوره وهي تسند رأسها على كتفه قائلة بنعاس:_

"ليتنا استمعنا إلى أمي يا حسن وبقينا معها "

أسند رأسه على رأسها النائم على كتفه سائلاً باهتمام:_

"هل تريدين حقا أن نظل معها ونترك هنا "

لمعت عينيها قائلة بتشجيع :_

"نعم يا حسن البيت هناك أوسع وأمي ستساعدنا في الاعتناء بالأطفال فحقا أنا هلكت يا حسن "

ضمها إليه قائلاً بطيبة :_

"ولا يهمك لنرتب الأمر وننتقل معها "

ابتسمت فرفع رأسها إليه دون تمهيد مرتشفا أنفاسها بنهم مغمغما باشتياق:_

"والآن دعيني أروي شوقي لكِ، قبل أن يصدح صوت العفاريت "

□□□□

"لا أفهم أين المشكلة يا خالد كبر مخك قليلاً"

قالها حسن وهو يجلس على سطح مكتب خالد يرتشف من كوب الشاي بيده

جاوره خالد قائلاً:_

"أقول لك اكتشفت أن هذه الفتاة ،تهاتف أرقام لا تعرفها هي وصاحباتها يقومون بتنزيلها على النت كنوع من أنواع الكوميديا "

"كيف عرفت بموضوع النت هذا يا خالد؟!"

تناول خالد قضمة من الساندويتش بيده قائلاً:_

"حين أخبرني الرجل باسمها ، تعرفت عليها على الفور ، وأخذت صفحتها على الفيس بوك من صفحة أخيها فهو عندي منذ أن كنت أعمل على فيلتهم"

"وبعد ؟!"

سأله حسن باهتمام فواصل :_

"دخلت على صفحتها من أجل أن أحدثها وأنهرها وهكذا يعني لكني صُدِمت وأنا أجدها مشهوره بالألاف يتابعونها وتفعل أشياء كثيرة من هذا القبيل ومقالب يعني وهكذا وتقوم بتنزيلها في فيديو على اليوتيوب والذي أيضا لها قناة عليه بخلاف هذا البرنامج المسمى بالتيك توك"

ضحك حسن قائلاً باستفزاز:_

"إذا صوتك وأنت تسبهم وهم يضحكون عليك نزل على السوشيال ميديا لقد أصبحت مشهور يا شقيق أعطني حساب هذه الفتاة"

"لم!؟"

سأله خالد بدهشة فضحك قائلاً بفخر مصطنع :_

"كي أعمل مشاركة الفيديو وأقول هذا الأبله الذين يسخرون منه صديقي و..... آه"

تأوه إثر ضربة خالد له على كتفه وهو يقول بغيظ :_

"يا غليظ دمك سُم مثلك "

هز حسن كتفيه قائلا ببرود :_

"أرى أنك تكبر الموضوع ،لم حتى تحاول أن تقول لعمك ماله هو بأخت زوجته الغير شقيقة "

قطب خالد حاجبيه قائلاً:_

"لن أستطيع مصارحة أبيها يا حسن لكن يجب أن يعلموا فهذا الطريق خطأ"

ابتسم حسن قائلاً بسخرية :_

"كبر مخك يا خالد أراهنك أن أهلها نفسهم يعلمون ألم تقل أنك جلبت حسابها من عند أخيها؟"

أومأ برأسه فواصل حسن:_

"إذا مدام أخيها يعرف بالتأكيد هم يعلموا ،لا تحشر نفسك في مواضيع لا تخصك أفضل "

هز خالد رأسه دون اقتناع وسأله :_

"ألن تأتي تجمع العائلة عندنا ، لقد عزمك جدي بنفسه يا حسن "

هز حسن رأسه نفيا وهو يقول:_

"لا أعذرني يا خالد أنا منشغل هذه الأيام بالنقل لبيت حماتي والتفكير في أمر السفر وهكذا.."

□□□□

"ما بالك يا ابنتي اشعر أن شئ يحزنك هل تشاجرت مع زوجك!؟"

سألتها والدتها وهما تجلسان سويا تشاهدان التلفاز فالتفتت إليها رؤى قائلة :_

"لا والله يا أمي ، الأمر ليس في وائل لكن يحزنني أن خالتي تكره زواجه مني إلى هذا الحد "

ربتت أمها على فخذها قائلة :_

"لا يهمك يا رؤى ، خالتك هكذا منذ زمن ولا نستطيع أن نغيرها هداها الله لو لم أشهد على حب زوجك لكِ لما وافقت على زواجكم أبداً "

قبل أن ترد عليها كان يدخل هو وأخيها من باب الشقة ومعهم فريدة التي هبت قافزة على ساقيها وهي تقول بابتهاج :_

"ماما لقد أتى لي خالو على بالمثلجات وأخبرني ألا أقول لكِ "

رفعت حاجبها تنظر إلى أخيها بشر فضحك قائلاً:_

"لا تنظري لي هكذا ابنتك مثلك تستميل قلب الحجر ولم أقوى على الرفض "

ابتسمت قائلة :_

"تعلم أنا سأخبر سارة أنك تشتري لابنكم المثلجات من ورائها وهي من ستنتقم منك "

"وعلاما كل هذا لا تأتي عندنا مرة أخرى أنتِ وابنتك الواشية هذه"

لكزه وائل في كتفه وهو يجلس قائلاً:_

"ستأتي هي وابنتها أينما تريد ولتشرب من البحر "

لوى علي شفتيه وهو يقول بتبرم:_

"حسنا لا تفرض علينا عضلاتك هذه"

"خالتي سارة وسولي "

قالتها فريدة مبتهجة وهي تقفز من على والدتها إلى زوجة خالها التي دخلت عليهم ملقية السلام وعلى ذراعها صغيرها الذي تلقاه علي منها يقبله وهو يجلس مرة أخرى

عاتبتها والدتها قائلة :_

"يا ابنتي لا تحمليه أنتِ في الخامس وهذا ضرر عليكِ"

جلست سارة جوار زوجها قائلة برقة :_

"والله يا ماما يبكي كثيرا ولا يهون علي أن أكسر بخاطره"

شاكسها زوجها هامسا :_

"ليتكِ تعامليني مثله هكذا ولا تكسري بخاطري"

كتمت ضحكتها وهي توكزه بكوعها في خصره كي يصمت فقاطعهم صوت وائل قائلا وهو يقف:_

"حسنا سنذهب نحن "

"بدري يا ابني "

قالتها خالته فابتسم قائلاً:_

"اعذريني يا خالتي ،لدي عمل صباحاً "

بالسيارة تذمرت فريدة قائلة :_

"أنا أريد شوكولاتة ومقرمشات"

التفتت إليها رؤى قائلة :_

"فريدة أنتِ ستخلدين للنوم فور أن نصل "

"لا أنا أريد "

"حسنا حسنا لا داعي للتذمر"

قالها وهو يلف بالسيارة للهايبر حتى يشتري لها ما تريد ....

بعد دقائق عاد إليهم مرة أخرى بكيس كبير به عدة أكياس ومخبوزات فقالت رؤى بدهشة :_

"الثلاجة ممتلئة أكل يا وائل، وهي طالما أمامها هذه الأشياء ستترك الطعام وتتجه إليها"

لم تبالي فريدة بحديث والدتها وهي تلتقط كيس مقرمشات كبير تفتحه وتشرع في أكله أما هو فأخذ علبتين من العصير فتح أحدهم وأعطاها لها قائلاً:_

"أنا لم أجلب لها وحدها يا رؤى لقد جلبت لكِ أنتِ أيضاً أم تظني أنكِ لست فتاتي مثلها"

ابتسمت وهي تأخذ منه علبة العصير فابتسم بغموض وهو يدير السيارة مرة أخرى

في شقتهم

سألها وهي تدخل الغرفة تدلك رقبتها بإنهاك :_

"هل نامت أخيراً "

أومأت برأسها وهي تجلس جواره ففاجأها وهو يضع رأسه على فخذها نائما وهو يقول بتعب مس قلبها :_

"أنا متعب يا رؤى ،متعب فوق ما تتخيلي ، أشعر أن جبال فوق أكتافي"

خللت كفها بخصلات شعره وهي تعتدل قائلة دون وعي:_

"ما بالك يا حبيبي!؟"

ابتسم دون أن يفتح عينيه قائلاً بسخرية :_

"حبيبك هل مازلت حبيبك حقا يا رؤى ، أنتِ حتى في أجمل لحظاتنا لم تعودي تقوليها"

قضمت شفتيها قائلة بحزن :_

"لا أقصد يا وائل بالتأكيد أنت حبيبي ،لكن ربما

لأنها ظلت مكتومة فترة طويلة وقت انفصالنا فلم أعد أتذكرها وربما قلبي يخاف أن يسقط فيها فيفيق على فزع سلبها منه "

فتح عينيه قائلاً بانزعاج:_

"سلبها منه لما تقولين ذلك يا رؤى"

ترددت كثيرا ثم قالت بضعف:_

"خالتي يا وائل لا ترضى أبداً عن علاقتنا "

هب جالسا وهو يقول ببوادر غضب:_

"تتحدثين وكأننا اثنان يتسكعان سويا وأمي لا ترضى هذا أنتِ زوجتي وأم ابنتي يا رؤى"

" لكن !!!"

قاطعها مشيرا بكفه واستغفر مردفا :_

"لا لكن ولا غيره يا رؤى ،لنضع النقاط الصحيحة ونتواجه أفضل ،نحن لم نتطلق يا رؤى لأن أمي تريد ذلك لم أكن لأتزوجك أفضل .

السبب في طلاقنا أنكِ أخطأتِ في أمامهم بسبب غيرتك المجنونة .

هل تدركين أن أمي ظلت شهور تأنبني أنكِ لم تنعتيني بعديم الرجولة إلا لأني ذلك فلو كنت رجل لم تتجرئي وتقوليها أبداً "

انهمرت دموعها وهي تقول بحزن :_

"حسنا يا وائل أنا المخطئة في كل شئ ، ماذا تريد الآن "

تنهد قائلاً بحدة :_

"لم تبكي الآن ، نحن نتحدث"

"أنت السبب لا يأتي من ورائك سوى الحزن والبكاء"

رفع حاجبيه ذهولا وكز على أسنانه بغيظ لكنه أثر الانسحاب وهو يرمي الوسادة ويقوم تاركا لها الغرفة بأكملها ترثي حالها كما تحب

بعدما هدأت قليلاً ،عضت على إبهامها بندم فهو كان متعب وهي بغبائها زودت عليه الأمر ، حسنا لتعترف أنه لا يستحق ذلك ،وائل منذ أن عادوا وهو يفعل ما بوسعه كي يسد الفجوة التي أحدثها طلاقهم لذا حسمت أمرها وهي تخرج تبحث عنه فوجدته نائما على الأرض بغرفة الضيوف يضع ساعده على عينيه

أغلقت الباب وجثت جواره على ركبتيها هامسة بحذر :_

"هل نمت!؟"

همهم دون رد فترددت قليلاً ثم همست :_

"وائل أنا آسفة لا تغضب مني "

تنهد يواجهها بعينيه بعد أن رفع ذراعه قائلاً:_

"لست غاضبا يا رؤى ،لكن كي تستقيم حياتنا سويا يجب
ألا نفتح الماضي مرة أخرى ،أنتِ أي مناوشة بسيطة
بيننا تجلبين القديم والجديد وأنا لا أحب هذا "

أومأت برأسها قائلة :_

"حسنا لا تغضب أقسم أني سأحاول "

أومأ برأسه ولم يرد فلوت شفتيها قائلة بضيق:_

"هل ستنام هنا ؟!"

لمعت عينيه بشقاوة قائلاً:_

"نعم وأنتِ الأخرى "

احمرت وجنتيها فأردف هامسا بعبث :_

"لم لا نجرب الغرفة هنا علها تكون مبروكة وتطمريني بكلمة حبيبي التي اشتاقت لها قدر اشتياقي لكِ "..

□□□□

منزل عائلة شهاب

تتجمعن بالمطبخ الكبير تعلوا أصواتهم بالضحك والثرثرة وهم يصنعن الطعام

علت زغرودة أخرى من غدي وهي تقول مبتهجة:_

"لا أصدق حقا إلى الآن أن شهاب سيكون أب يا الله أظن أني لن أفرح لنفسي حتى هكذا فأنا من يومها ولا أكف عن الرقص"

على أريكة جانبية أمام المطبخ ضمت الجدة رنا إليها وهي تقول بفرحة :_

"سمي الله على عمك يا غدي "

ضحكت وهي تغمزها قائلة :_

"يا جدتي تستثأرين برنا جوارك ،هل تخافي على طفل مدللك الصغير أم هو دلال خاص لها لأنها امرأته"

"اخرسي يا فتاة ولفي المحشو جيدا "

نهرتها الجدة بحزم مصطنع فضحكن جميعا ثم قالت ريم التي تقف على الموقد تعصج اللحم:_

"ألم يأتي خالد وتميم بعد !؟"

ردت هنا الصامتة في محاولة لجعل العلاقة بينهم طبيعية بعض الشيء على الأقل في التجمعات:_

"لقد وصلوا قبل دقائق قابلتهم يقفن مع خالو شهاب "

أومأت ريم قائلة بهدوء:_

"جيد فأنا أريد أن أبدل لتميم ملابسه "

على صوت رنا قائلة ببعض الخجل:_

"لم لا تتركوني أساعدكم !؟"

ابتسمت والدة عبدالرحمن والتي كانت منهمكة في تأوير الباذنجان:_

"سلمتِ حبيبتي ، إذا احتجنا لشيء لن نخجل في أن نطلبه منكِ"

ابتسمت وأومأت برأسها فضمتها حماتها إليها مرة أخرى بحنان تقبل وجنتها للمرة الخمسين تقريبا وهي تقول بطيبتها المعهودة :_

"زوجة الغالي بصحيح بنت أصول بارك الله فيكِ يا ابنتي"

سألت هنا وهي تغسل بعض الخضار:_

"ألن تأتي روضة يا غدي "

ابتسمت غدي قائلة بشقاوة:_

"سيأتوا بالطبع لكن روضة هانم على قدميها نقش الحنة هي وروميو باشا لذا سيصلوا على الغداء"

"أمك لا ينقصها توصية على زوجة أخيكِ يا غدي "

نبهتها أم عبدالرحمن زوجة عمها وهي تشاركها الحشو بعد أن انتهت من التأوير فابتسمت غدي قائلة :_

"لا والله يا خالتي أنا لا أقول شئ أمامها وهي أيضاً تقبلت الأمر الواقع مجبرة"

لوت والدة هنا شفتيها قائلة :_

"لكني أرى أن معها حق يا غدي لا تؤاخذيني فهي من حقها رؤية أحفادها وخاصة أن أنس ابنها الوحيد "

قبل أن ترد غدي كانت الجدة تزجر ابنتها قائلة :_

"مالك أنتِ، لا تتدخلي فيما لا يعنيك وركزي فيما تفعلي أفضل "

"السلام عليكم جميعا كيف حالكم يا فتيات البرعي"

قالها الجد الذي طل عليهم مبتسما فردوا جميعا عليه في بهجة فواصل قائلاً بمشاكسة لهم وهو ينظر لزوجته :_

" هل سنتناول الغداء فجرا أم ماذا يا أم محمد فأنا لا أثق بهؤلاء الصبايا "

ابتسمت الجدة قائلة بفخر:_

"لا فتيات البرعي لا أمهر منهم في صنع الطعام "

ضحكن جميعا فابتسم برضا ثم نظر إلى رنا قائلا بحنان :_

"وأنتِ يا كنتي الصغيرة كيف حالك "

ابتسمت رنا وهي تقف احتراماً له قائلة :_

"بخير يا بابا الحمدلله"

أخذها أسفل ذراعه يضمها إليه قائلا بحنان:_

"حسنا يا فتاة تعالي معي نثرثر سويا فلقد اشتقت إليكِ "

بالخارج في حديقة المنزل

يجلس كل من شهاب وخالد بالحديقة فسأله خالد :_

"هل لك علاقة بأخوات زوجتك ، أولاد السيد رأفت ؟"

هز شهاب رأسه نفيا قائلاً بحيرة :_

"لا العلاقة سطحية بعض الشيء لكن لما تسأل؟!"

قبل أن يرد عليه قاطعهم صوت عبدالرحمن وهو يجلس جوار شهاب قائلاً بمشاكسة:_

"جدي يستفرد بزوجتك"

ضحك خالد وضربه شهاب في قدمه قائلاً :_

"احترم نفسك"

ضحك عبدالرحمن قائلاً:_

"أقسم أني لا أمزح لقد رأيته يأخذ زوجتك أسفل ذراعه وحين حاولت مشاكسته لكزني بعصاه في قدمي

قائلا :_

"اذهب يا ولد من هنا واتركني مع كنتي الصغيرة "

ضحك شهاب رغما عنه على نبرته المقلدة للجد فابتسم عبدالرحمن قائلاً:_

"أنت لا تتخيل مدى فرحتي بطفلك القادم يا شهاب"

ابتسم خالد وأردف:_

"أنا أيضاً لا أصدق يا عبدالرحمن ،هل تدرك أنه سيكون رأسه برأسنا"

أومأ عبدالرحمن ضاحكا ثم التفت إلى شهاب قائلا:_

"هل سأظهر طفولي لو قلت لك أني أشعر بالغيرة أو ربما لا أصدق لا أعلم"

ابتسم شهاب وهو ينظر لهم بحب قائلاً بحنان :_

"بل أنا من اطمئن عليه ، لأنكم ستكونون إخوته "

وقت الغداء

تناول خالد الجلاش باللحم مغمغما باستمتاع:_

"يا الله يا غدي الجلاش رائع ، سلمت يداكِ"

"سلمك الله، بالهناء والشفاء " قالتها مبتسمة وهي تتناول طعامها فقال الجد بفخر:_

"جميلة آل البرعي كل شئ من يدها جميل !؟"

"وأنا يا جدي ، ألم يعجبك المحشي " تذمرت هنا فضحك قائلاً:_

"ألا تشاهدي يا فتاة أني لا أكل سوى منه سلمت يداكِ يا حبيبة جدك"

عاتبت الجدة روضة قائلة:_

"أين أنتِ يا فتاة ، ألا تقولي أبداً لي جد وجدة أريد أن أزورهم"

قبل أن ترد عليها روضة لوت ثريا والدة أنس شفتيها قائلة :_

"اتركيها فهي لا تحب الاختلاط"

تنحنح الجد قائلاً بدعم مبطن :_

"على العكس إن جلستها لا يُشبع منها وكثيرا ما كانت تجلس معي وستقضي ليلتين معنا أليس كذلك يا روضة الأنس؟!"

أومأت روضة برأسها مبتسمة وهي تقول برقة:_

"من عيوني يا جدي"

"عيونك هكذا دون أن تستأذنيني هل أذهب أنا أفضل فلا مكان لي"

قالها أنس بمشاكسة لطيفة محاولا أن يبدد الجو المشحون فضحكوا جميعا وهم يواصلون تناول الطعام ...

همس شهاب لرنا قائلاً:_

"حبيبتي هل تشعرين بالتعب فأنتِ لا تأكلي جيدا ؟!"

ابتسمت هامسة:_

"لا يا حبيبي أنا فقط لا نفس لي"

أومأ برأسه وهو يواصل طعامه فارتفع صوت تميم قائلا:_

"عمو شهاب "

"نعم يا صغيري"

ابتسم الصغير الذي التفت إليه الجميع وقال بحماس :_

"هل ستأتي لي بفتاة صغيرة ألعب معها هنا"

"ولم قلت فتاة ولم تقل ذكر يا ولد ؟"

سأله عبدالرحمن بمشاكسة فضحك الصغير وهو يهز كتفيه قائلا بشقاوة أغرقتهم في الضحك

"حتى ألعب معها وأنا صغير ثم أتزوجها حين نكبر "

□□□□

"هل ستظلين غاضبة هكذا يا دبدوبتي !؟"

قالها بمشاكسة وهو يجاورها في المطبخ فهي تتحاشاه منذ آخر شجار بينهم والذي أقنعها بصعوبة ألا تذهب لبيت والدها ...

لم ترد عليه واستدارت خارجة من المطبخ متجهة إلى غرفتهم

فور أن دخلت قطبت حاجبيها وهي تلتقط تلك اللفافة اللامعة الموضوعة على الفراش ،فتحتها بسرعة وابتسمت رغما عنها وهي تجد علبة قطيفة داخلها ميدالية ذهبية على شكل قلب مُفرغ من الجنب على شكل أسنان قفل وجواره محفور به اسم حمزة وجواره مفتاح موضعه هذا الفراغ ومحفور به اسمها في معنى.

«نهى مفتاح قلب حمزة..»

انتفضت بخفة وهي تشعر به يحاوطها من الخلف هامساً _:

"لتعلمي فقط أنكِ قلب حمزة وروحه"

رمقته بجانب عينيها بعتب قائلة:_

" نعم واضح !"

تنهد وهو يستدير جالسا على الفراش ثم أجلسها جواره قائلاً بهدوء:_

"نهى ليس معنى أننا تشاجرنا أنني لا أحبكِ ،حبي لكِ لا خلاف عليه "

أومأت برأسها قائلة بحزن :_

"أعلم يا حمزة لكن أيضاً الحب دون اهتمام يموت "

"هل لمجرد أني انشغلت عنكِ بأهلي يا نهى أصبحت لا أهتم !"

قالها مستنكرا من منطقها فسألته بعتاب:_

"هل تشك في حبي لأهلك يا حمزة !؟"

أسرع نافيا وهو يقول:_

"لا لم أقل هذا ، أنا واثق من حبك لهم يا نهى ، أنتِ مرتبطة بهم من قبلي حتى ومتأكد أنكِ تفدين رنا بحياتك ، أثق بهذا "

أومأت برأسها قائلة:_

"حسنا جيد أنك متأكد من هذا ، ما ضايقني يا حمزة هو أنك من قبل مشكلة رنا وأنت قضيت أياما تعود لي إلى البيت بعد منتصف الليل .

حين أراد والدي أن يجلب لي سيارة رفضت ومع ذلك لم تعد تأخذني في طريقك عند أمي وبعدها مشكلة رنا تقريبا أصبحت لا أراك .

أستيقظ وأنت في العمل وحين أكون مع رنا ببيت أهلك تنسى حتى أني زوجتك وتغضب علي أمامهم ومن ثم نأتي إلى هنا فجرا تنام الإنسان طاقة يا حمزة"

حاول أن يتحدث فقاطعته مواصلة بانفعال:_

"هذا غير متابعتك الدورية لي في العيادة ،لم تعد تأخذني هل تدرك أثر هذا علي ، أن مشكلة الإنجاب تخيفني من قبل الزواج يا حمزة ،دائما ما قالوا لي أن بسبب مشكلة القلب عندي أني لن أستطيع الإنجاب وبعدها حين وجدت أملاً ضئيلا أتت المشكلة الخاصة بالهرمونات وقضت على المتبقي من الأمل عندي حتى وإن طمأنتني أنت "

جذبها إليه حين بكت يضمها بحنان مربتا عليها ثم قال بهدوء:_

"حسنا أنا آسف فقط لا تبكي "

حين هدأت قليلاً واصل :_

"نهى أنا كنت أخذك كل شهر ليس لأن حالتك حرجة ،لا أقسم أن هناك مريضات نفس ظروفك وأتابع معهم كل ثلاثة أشهر، عدم أخذي لكِ ومتابعتك ليس إهمالا مني أقسم بالله هذا الأمر لا مزاح فيه لكن حالتك لا تقلق ولا تستدعي الذهاب لطبيب باستمرار وأنا لا أغفل عنكِ أبداً في الأدوية سواء في تخصصي أو تخصص غيري"

"حقا يا حمزة !؟"

قالتها بحزن فقبل وجنتيها قائلاً بحنان :_

"حقا يا قلب حمزة"

ضيق عينيه قائلا بعبث:_

"إذا هل هكذا صافي يا لبن !؟"

ابتسمت وهي تسأله محذرة بسبابتها:_

"هل ستنشغل عني مرة أخرى بعملك ؟"

خلل يديه بين خصلاتها قائلاً بجدية :_

"لا يا نهى أنا حتى أفكر في الأمر منذ فترة أحاول أن أتوصل لحل فأنا الآخر أريد أن أكون معكِ وقت أكثر "

تحولت جديته لعبث وهو يقترب منها مشاكسا :_

"أرى أني مقصر معكِ حبيبتي!؟"

"فيما !؟"

سألته بحيرة وهي تضحك من طريقته

فمرر عينيه على منامتها المحتشمة وهو يقول ببؤس:_

"بهذه المنامة المحتشمة بعد أن كنتِ أصبحتِ ترتدين ملابس مخلوعة تروق لي"

لم يمهلها الرد لدقائق وهو يروي اشتياقه منها ثم انفصل لاهثا بحب:_

"أنا أحبكِ يا ابنة ياسين ، أحبكِ أكثر مما تتصوري"..

□□□□

صف سيارته أمام المبنى الذي يوجد به مكتبها واستند برأسه على المقود يفكر ،ما الذي أتى به هنا؟!

هو كان ذاهبا ليأخذ علي من عند الحاجة خديجة فجأة وجد نفسه يدير السيارة إلى هنا

منذ متى كان متهورا هكذا ، منذ متى يترك قلبه يسيره ؟!

ابتسم بسخرية وهو يضرب جبهته بالمقود

هل قلبه فقط؟!!

قلبه روحة ، حتى عقله ،أصبح لا ينام دون أن يقضي ساعة محاولا أن يزيحها من رأسه

منذ أن تم تسوية أمر رفعت بزجه في الأمن الوطني للتأديب ومن ثم عاد وهم نبهوا عليها عن طريق شهاب أن لا تقترب ناحيته مرة أخرى إلا أن تلك العنيدة لا تسمع لأحد

لقد هادن رفعت كثيرا حتى أنه تولى له قضية أراضي جديدة دون أن يفكر كي يجعله يطمأن له ولا يشك في أنه وراء مساعدة شهاب أن يخبر ياسر الجوهري فهو الوحيد القادر على ردعه ، مهما حاول رفعت أن يكون

ذكي فهو لن يبلغ ربع ذكاءه أبدا ، الأمر الذي أدهشه حقا هو عرض ياسر الجوهري عليه العمل معه

لا ينكر أن الأمر يروقه كثيرا إلا أنه اشترط عليه أن يتركه فترة يفكر وينهي القضايا العالقة بمكتبه ومن ثم يرد عليه

حزم أمره ونزل من السيارة متجها إليها دون تفكير

"ادخل"

قالتها حين سمعت طرق هادئ على الباب وهي منهمكة في الأوراق في يدها

التهمتها عيناه بتوق من رأسها لأخمص قدميها ، جينز ضيق وحذاء رياضي ،قميص باللون الأسود يصل إلى قبل ركبتيها بقليل ،حجاب عصري أنيق المسمى ب "التربون" أظهر جمال عنقها الطويل...

حين لم تسمع صوت مساعدتها رفعت رأسها بحيرة وسرعان ما هبت واقفة قائلة بحدة :_

"أنت كيف دخلت إلى هنا؟"

هز كتفيه بلامبالاة متقدما إلى الداخل قائلا ببرود:_

"من الباب"

تقدم وجلس على الأريكة بعنجهية مستفزة مما جلب لها جلطة سداسية الأبعاد فوقفت أمامه قائلة من بين أسنانها:_

"من الأفضل لك أن تخرج بكرامتك !؟"

مسك الأوراق التي كانت تعمل عليها فانتزعتها من يده قائلة بحدة :_

"أنت ماذا تفعل!!"

"مازالتِ متهورة يا أستاذة ، لقد أوصيت الدكتور أن ينصحك بالتأني"

يا الله لم تقابل أحداً في حياتها استفزها كهذا البارد أبداً

هل لو أخذت تلك التحفة وضربته بها في رأسه سيحدث شئ تأففت قائلة بعدم صبر:_

"هل ستظل تنط لي هكذا كعفريت العلبة ، ألم ننتهي من رفعت عمران وشاكلته"

"آمل هذا حقا فأنا لا آآمن لكِ حتى بعد أن أكد لي الدكتور أنه نبه عليكِ أن تنسي اسمه "

جزت على أسنانها قائلة بغيظ مشيرة بسبابتها:_

"تعلم أنا لم أتركه عن اقتناع إلا بسببك أنت ،كي لا أصطدم بك مرة أخرى "

"أوه ضربة قاتلة لكبريائي"

"جيد لتأخذ كبريائك معك وتذهب "

قالتها بامتعاض فهب واقفا بقامته الطويلة يوازيها في وقفتها مما جعلها تتزحزح قليلا للخلف وهي ترمقه بحذر فابتسم بجاذبية قائلاً:_

"إذا أنتِ تريدين أن تعرفي ما الذي أتى بي هنا "

أومأت برأسها دون تركيز فاقترب خطوة هامسا دون وعي :_

"هل لو قلت لگِ أنها أتت هكذا دون ترتيب فجأة وجدت نفسي هنا أمام البناية تصدقين"

لوت شفتيها قائلة بسخرية وصوت عالي نسبيا :_

"لا يا شَيخ "

أومأ برأسه دون أن يتخلى عن بروده ثم قال بجدية :_

"حسنا أحببت أن أؤكد عليگِ أن تنسي رفعت نهائيا وإن أتى أحدهم يوكلك ضده لتأخذي القضية ،ارفضي دون تفكير فأقسم لكِ يا أستاذة أنتِ لستِ قدر قذارة رفعت أبداً وقد رأيتِ بنفسك النذير منها "

لم ترد فأطرق برأسه قليلا ثم رفعها هامساً بحرارة قبل أن يذهب بنبرة شديدة التأثير ربما قصدها وربما لم يقصد بعينيه اللامعتين :_

"أخيراً أردت أن أخبركِ إني أتيت لأني اشتقتُ إليكِ لأكثر مما أتخيل أنا "

□□□□

"حمزة عيب ما تفعل نحن بمنزل والدك "

قالتها بخجل وهي تدفعه فابتسم قائلا بوقاحة :_

"لقد أخبرتهم أني سأرتاح نصف ساعة إلى أن تُجهز أمي الطعام "

رفعت حاجبيها قائلة باستهجان :_

"نصف ساعة ، أنت أيقظتني منذ ساعة وربع يا حمزة ثم إن هل هكذا ترتاح بهذه التصرفات الشائنة"

غمزها بشقاوة قائلاً :_

"منتهى الراحة "

رفع حاجبه وأردف بجدية مصطنعة :_

"ثم أليس أنا طبيبك ،وأنتِ تريدين الإنجاب إذا وبخبرتي الطبية أقول لكِ العلاج الفعال في هذه التصرفات الشائنة كما تسميها"

رفعت رأسها للسقف قائلة بضجر:_

"لقد كرهت الطب يا حمزة بسببك ،كان يوم لا شمس له حين تخصصت بالنساء والتوليد "

هز كتفيه بلامبالاة وهو يقول ببرود :_

"حسنا هيا هيا "

"هيا ماذا؟!"

سألته بحيرة فابتسم باتساع قائلاً بشقاوة :_

"نقوم بتصرفات شائنة "

ضحكت رغما عنها وهي تلكزه في كتفه حتى تعالى صوت رنا التي يبدو أنها وصلت تدق باب غرفتهم قائلة بمشاكسة :_

"يا حمزة باشا ،يا طبيب الحمير، هيا لقد أتت رنا نوارة البيت "

ابتسم وهو يرد عليها من الداخل قائلاً:_

"حسنا أنا قادم كي نرى من هو طبيب الحمير هذا "

ثم تجهم وهو يهمس لنهى متسائلاً:_

"هل زوجها معها ؟!"

أومأت برأسها ضاحكة فلوى شفتيه متبرما بضيق:_

"أنا لا أطيقه يا نهى وبالأخص حين علمت أنها حامل ،هل تصدقين أنه هو ورنا قاموا بتصرفات شائنة يا نهى .."

شهقت تكتم فمه بكفها وهي تقول بخجل :_

"حمزة عيب عليك، أنت ماذا تقول؟"

رفع كفها هامسا بضيق:_

"لم أكن لأواصل أنا فقط ضائق وبالأخص أنها لن تتابع معي "

رمقته بلوم قائلة :_

"لا تنكر أنك لم تكن لتتحمل كما أن الأمر مخجل ،هذا إضافةً أنك تحبه وتحترمه وغيرتك عليها هي ما تجعلك تنكر هذا "

هز رأسه دون اقتناع وهو يشيح بوجهه فابتسمت من تصرفاته الطفولية وهي تتركه وتقوم لتبدل ملابسها كي تخرج لهم

بعد قليل

دخل عليهم الغرفة ملقيا السلام ومرحبا بشهاب ومن ثم جلس جوار رنا يربت على بطنها البارز بخفة قائلا بسخافة :_

"كيف حالك يا بطيخة ؟!"

"بخير يا حمزة "

قالتها بدلال وهي ترتكن برأسها على كتفه تربت عليه بخفة فهي تعلم أن حمزة يغار عليها كثيرا ولا تحب له هذا الشعور

رمق شهاب المندمج في الحديث مع والده وهمس لها قائلاً:_

"هل تعلمي أني لا أطيقه الآن ببطنك هذه؟!"

كتمت ضحكتها في كتفه بصعوبة فأردف هامسا بجدية :_

"لم لا تأتي وتقضي فترة حملك عندي بشقتي بدلا من تصرفات الطبيب الشائنة على رأي نهى "

ضمت حاجبيها هامسة بحيرة :_

"أي تصرفات شائنة يا حمزة أنا لا أفهم !؟"

"اخرسي لا شئ"

همسها بضيق فرمشت بعينيها دون فهم إلا أن نهى الضاحكة سحبته من كفه إلى الخارج حيث المطبخ تقف به أمام والدته التي وبخته قائلة:_

"والله عيبٌ عليك ما تفعل، تأدب واحترم نفسك يا حمزة وإلا سأخبر أبيك"

"والله ما عيب إلا على هذا الخبيث بالخارج والذي يبدو عليه الاحترام وهو أبعد ما يكون عنه ،الوقح لقد جعلها كالبطيخة "

وضعت نهى كفيها على وجهها وهي تغمغم ضاحكة :_

"لا فائدة ، لا فائدة "

وكزته أمه بالمعلقة الخشبية قائلة بصرامة :_

" هيا أخرج الطعام إلى السفرة كي نتناول الغداء فأنا انتهيت ....

علي الغداء

سحبها جدها من كفها يجلسها على الكرسي جواره قائلا بحنان :_

"تعالي هنا يا حبيبة جدك وتغذي جيدا كي تأتي لنا بشهاب الصغير"

"بل حمزة الصغير "

قالها حمزة ببرود فضحك شهاب الجالس قائلاً بتسامح:_

"ولا يهمك يا دكتور حمزة الصغير، لا فرق فالخال والد "

عقد حمزة حاجبيه يرمق والديه بحذر ثم مال إليه هامسا بطفولية :_

"لا تحاول كسب ودي فأنا لا أطيقك هذه الأيام "

ضحك شهاب وهو يتناول طعامه فقالت له نعمات وهي تضع المزيد من الطعام أمامه :_

"كل يا ابني واتركك من هذا الطفل الذي لا يكبر أبدا ..."

آخر اليوم

كان كل من حمزة وشهاب منهمكان في حديث ما وهو يتناولون بعض الحلويات أمام التلفاز فوكزت نهى رنا قائلة :_

"وكأنه لا يشاكسه طوال النهار"

ابتسمت رنا تلتهم البسبوسة بنهم قائلة :_

"حمزة يحب شهاب كثيرا لكنه غيور "

أومأت نهى برأسها ثم ابتسمت بحنان وهي تضم رنا إليها :_

"هل تشتهين البسبوسة بهذا القدر !؟"

ابتلعت رنا الحلوى والتفتت إليها مبتسمة وهي تقول:_

"بل كل الحلويات "

ربتت نهى على بطنها بحنان قائلة :_

"أتم الله عليكِ بالخير يا حبيبتي"

□□□□

"ريم"

لم يجدها بالمطبخ ولا بغرفة تميم ولا بغرفة المعيشة

اتجه لغرفة نومهم وفتح الباب الغرفة مرة أخرى عله يجدها بالشرفة مثلا....

فتح باب الغرفة وابتهج من منظرها المتغير جذريا ،تلك النجيلة الخضراء بالأرض ،الوسادات الملونة كجلسة عربية ،ماكينة القهوة وعدة أكواب جوارها ،هذا خلاف الزرع المعلق على الجدران وإغلاقها بالستائر من الخارج كعزلة صغيرة حميمية لضمان الخصوصية ...

التفت يبحث عنها فوجدها تقف مبتسمة ترتدي منامة رمادية رقيقة ،جوارها طاولة صغيرة ملونة عليها عدة أشياء لم ينتبه لها جيدا وعينيه عليها حتى تقدم منها قائلاً وعينيه تلمعان بحب :_

"هل أنتِ هكذا دوما تحولين كل شئ إلى جنه ؟؟"

ابتسمت تسأله :_

"هل أعجبتك حقا !؟"

مرر عينيه بالشرفة المبهجة مرة أخرى قائلاً:_

"جدا يا ريم مبهجة بشكل لا يوصف"

عاد إليها بعينيه مرة أخرى مغمغما بعبث ذات إيحاء:_

" أتوق لتجربتها في كل شئ ما رأيك أن نجربها في الحب أولاً"

تعالت ضحكاتها ثم لكزته في كتفه وهي تنظر للطاولة جوارهم قائلة :_

"ألم تأخذ بالك بعد!؟"

ضم حاجبيه بدهشة ينظر إلى موضع نظرها وسرعان ما ابتسم بفرح وهو يلتقط ذاك الشيء البلاستيكي ذات الخطان الملونان ملفوف بفيونكة وجواره سالوبيت قطني صغير لمولود وأربع بطاقات مكتوب عليهم

"عبدالرحمن ،ريم، تميم ، أنا"

سألها بفرحة :_

"لا تقوليها أنتِ حامل حقا يا ريم "

أومأت برأسها مبتسمة وقد دمعت عينيها لفرحته الظاهرة ثم قالت:_

"أشك منذ أيام فأجريت الاختبار المنزلي وتأكدت اليوم وأنت في المشفى بالتحليل "

ضمها إليه بقوة متمتماً بالحمد ثم أدرك شئ فقال بقلق:_

"إذا كيف فعلتي الشرفة هكذا يا ريم "

ربتت على كتفه قائلة بحنان :_

"لا تخف يا حبيبي ، أخي هو من فعلها "

أومأ برأسه في تفهم وهو يضم رأسها له بحنان قائلاً:_

"هل أخبرتك من قبل أني أحبكِ بشكل لا يصدق يا ريمية"

رفعت رأسها إليه تشب على أطراف أصابعها ،مداعبة أرنبة أنفه بخاصتها هامسة بدلال قبل أن تبادر هي ولأول مرة منذ وقت طويل في الغرق بين أنفاسه :_

"وإن أخبرتني ، أحبني أكثر كما أحبك وأكثر "

□□□□

التفتت إلي تلك القطة التي جلبها لها منذ أيام ،وقتها كانت نائمة وشعرت بشيء غريب على ذراعها كفرو ناعم يداعبها وفور أن فتحت عينيها وجدته مشرفا عليها وهو يبتسم وبين كفيه تلك الشقية تنظر إليها بدهشة بعينيها الملونتان

ابتسمت وهي تعتدل جالسة تضمها إليها بحنان قائلة بتأثر :_

"أهلاً يا جميلة ،ما هذه المفاجأة الحلوة "

أخذت القطة تتمسح بها وتتشممها وكأنها تتعرف عليها مما أثار ضحكاتها وأنس يشاكسها :_

"بأفعالك هذه سأندم على جلبي لكِ ،ابتعدي عنها وكوني محترمة يا وقحة "

ضحكها جلب ابتسامة حنونة لشفتيه وهو يسألها بحب:_

"هل أعجبتك؟!"

مررت كفها في فروها الأبيض قائلة بتأثر:_

"جدا يا أنس أكثر مما تتصور، سأسميها أنيسة نسبة لأنس"

رفع أنس حاجبيه قائلا بامتعاض:_

"أنيسة وتيمنا باسمي!!"

ارتفع صوت ضحكاتها وهي تتذكر شكله حينها مما جعل القطة تنظر لها بدهشة فابتسمت بحنان وهي تضع تلك الفيونكة الحمراء على رأسها ثم قالت بتواطئ:_

"هكذا أصبحتِ جميلة مثلي ،ترى هل سنعجبه !؟"

وضعت سبابتها على فمها وهي تسمع صوت الباب ثم همست لها وهي تحملها :_

"دون صوت هيا لنرى ردة فعله "

ألقى مفاتيحه على المرآة جوار الباب فور أن دخل وضم حاجبيه من النور الهادئ المنبعث من غرفة الطعام

تقدم إليها وتسمر مكانه مبتسما وهو يلتقط أولاً الطعام المعد على الطاولة على مفرش أحمر لامع

ثلاث شمعات على شكل قلب موضوعين حول الطعام كوبين من عصير التفاح وصوت الموسيقى المنبعث

لكن ما جعل عينيه تلمعان هو تنبهه لها حين قفزت القطة من يدها تتمسح في ساقيه

مرت عينيه عليها بتوق وانبهار ، ترتدي فستان حريري من اللون الأسود ،دون أكمام يضيق عند الصدر ثم ينزل باتساع ،به فتحة تصل إلى ركبتها وأصابعها الملونة تظهر من أسفله

لكن الانبهار لم يكن على هذا فقط ولا حتى على زينة وجهها المتقنة برقة بل على قصة شعرها الجديدة والتي تحتوي استدارة وجهها الصغير وبالكاد تصل لمنتصف رقبتها ...

اقترب منها حتى وصل إليها فرفع كفيها يقبلهم هامساً:_

"هل مت ودخلت الجنة يا روضتي ما هذا الجمال !؟"

لكزته في كتفه قائلة بتأثر:_

"أبعد الله عنك الشر يا أنس لا تقل هذا "

ارتشف أنفاسها برقة غارقا فيها ثم همس بتحشرج وعينيه تلتهمانها:_

"أنتِ جميلة بدرجة تؤلم القلب"

اغرورقت عيناها بالدموع رغما عنها، أنس الطيب سيظل عوض الله لها عن كل شئ بل هي أصبحت راضية ولا تريد شئ سواه أبدا

ابتسمت تسحبه من كفه إلى الطاولة وهي تقول:_

"لقد طبخت لك كل ما تحب هيا لتأكل بالتأكيد تشعر بالجوع "

التفتت إليها بعبث هامسا بإيحاء:_

"أنا أموت جوعا"

ابتسمت بخجل وهي تقرب منه كوب العصير فغمزها بشقاوة قائلاً:_

"إذا الليلة خمر والنساء يا روضتي"

رفعت أحد حاجبيها قائلة بشر مصطنع:_

"أي نساء يا سيد أنس "

ابتلع العصير بصعوبة وهو يضحك ثم همس بصدق :_

"لا يليق بكِ الغيرة يا روضة أبداً ،لتغار كل نساء العالم ، وأنتِ لا "

سحبت كفه تطبع قبلة ممتنة عليه وهي تقول:_

"أبقاك الله لي يا حبيبي"

ابتسم ثم قال وهو يتناول طعامه :_

"إذا أنتِ تُدللين أنيسة وكل يوم فيونكة مختلفة وأنفق يا أنس"

هزت كتفيها بدلال قائلة:_

"لنفعل ما نريد فأنس لن يتأخر علينا بشيء أبدا"

ليلاً

"لم تخبرني هل أعجبتك قصة شعري أم لا!؟

"أنت تعجب الباشا يا باشا"

ابتسمت فاقترب منها هامساً بوله :_

"يا الله أظن لا شفاء لي من حبك أبدا فسامحيني على الغرق وتعالي لنذوب سويا "

□□□□

""ذات يوم جئت لعندك وطرقت باب قلبك فقُبِلتُ بشريان حسنك وسلمت له قلبي طائعا أما للمليحة أن تحن وتفتح باب الوصل للهوى فنطرق باب الرحمن بالدعاء فطرقت باب أهلك متمنيا فأجابني ربي مُهنيا بقبولك وأزادني شرف وصلك سيدتي...."

أغلقت الكتاب الجديد خاصته وهي لا تكف عن قراءة تلك الكلمات التى كتبها لها بخطه المنمق أسفل خبر حملها ، إلى الآن ورغم بروز بطنها الواضح وقرب ولادتها وقد مرت عدة أشهر إلا أنها لا تصدق أنها تحمل طفل شهاب البرعي ببطنها ،يا الله لا تريد أي شئ في الدنيا بعد هذا ...

وضعت الكتاب وخرجت باحثة عنه فوجدته يقرأ....

أوف لقد ملت حقا

ألا يمل ذلك الرجل من تلك القراءة اللعينة

يبدوا أنها يوما عن الآخر تكتشف به شئ جديد وكأنها لتوها تتعرف عليه، تتشربه ، تعشقه لا بل تتنفسه

حكت يدها في رأسها وهي لا تدري ماذا تفعل

اقتربت بوجل من الشرفة ذات الزجاج المعتم بحيث من بالداخل يكشف الشارع أما من بالخارج فلا يرى سوى سواد الزجاج حيث يجلس ملتف بغطاء مناسب على تلك الركنة اللعينة المُطِلة على الشارع

مندمج بالقراءة وكأنه بعالم آخر غير هذا العالم !

نادت اسمه بغيظ :_

"شهاب "

"روحه "

همسها في ثانيتها دون أن يرفع رأسه من الكتاب فرفعت حاجبيها في دهشة .

إنها حتى لم تكد تنطق اسمه كيف سمعها وسط كل ذلك الاندماج مع الكتاب بين يديه

والإجابة أتتها منه وهو يرفع عينيه لها مبتسما وهو يقول مجيبا دهشتها :_

"لقد كنت أقرأ نعم لكن رغما عني شردت بكِ لذا لم أتعجب تلبية قلبك لنداء دقاتي "

لمعت عينيها بحب وابتسمت وهي تشعر أن قلبها يرفرف

داخل غلالة وردية نُسِجت خيوطها من حروف اسمه وفقط "شهاب" سعادة ، حبا ، عشقا ، بل ولهاً

دعاها يفتح لها ذراعيه بحنان :_

"تعالي"

فتقدمت منه بخطوة ثقيلة نسبيا كما يسمح ثقل حملها فوضع الكتب جانبا

ثم أجلسها بين أحضانه وهو يلف الغطاء عليهم سوياً حتى أحكمه جيدا

أسند رأسه على كتفها وهو يشدد من احتضانها وجنته تلامس خاصتها وظهرها يهنأ على صدره آمناً

ثم همس بحب:_

" نعمة أنتِ نعمة رزقني الله بها بعد طول حرمان يا راني"

سألته بحزن:_

"حقا ؟ هل أنت سعيد معي ؟"

"سعيد ؟"

قالها باستنكار ثم أردف بصدق:_

"شعوري ليس سعادة فقط شعوري أشبه بمن قضى عمره مواظبا على نظام قاسي للحرمان من السعادة ثم جاءت ساعة الفرج بين عينيكِ فشبع حد التخمة"

وجيب قلبها يحلق راقصا على إيقاع كلماته ..

حب؟ هل عرفت الحب يوما دون شهاب البرعي تقسم الآن أنه لا

عشق هذا الرجل كل ما دونه دون!

انتبهت على صوته متذمرا وهو يلثم وجنتها:_

"فيما شردتِ عني !؟"

"فيك"

همستها بوله فابتسم سائلا بتهديد مصطنع :_

"لا تقولي أنكِ تريدين النوم ككل ليلة أُمني نفسي بحبكِ فإذا بي أجدك غارقه بالنوم"

"حقا ؟!"

سألته بدهشة فأومأ هامساً :_

"نعم تنامين يا جاحدة بينما أبقى أنا ساهرا على ضوء وجنتيكِ "

استدارت تمنح لعينيها الشبع من حديث عينيه وهو يغازلها

شهاب البرعي رجل إذا همس لسانه كلمة حب فعينيه تسطُر أشعارا

انتبهت من غرقها على اقترابه منها، من رموشه التي كادت تلامس خاصتها وأنفسها التي غللتها

فسألته فجأة بغباء منقطع النظير من وجهة نظره لمقاطعتها له وهي تقول:_

"شهاب صحيح لما كل كتاباتك تقتصر على الكتب ؟"

ثم قطبت بين حاجبيها وواصلت تسأل:_

"لِم مثلا لم تكتُب رواية ؟"

"لكني فعلت"

قالها بثقة وعينيه تلمع بشغف رجل عاشق من جديد مبتسما

فسألته بفضول وحيرة :_

"متى وأين وكيف و...؟!"

قاطعها هامسا بحب وهو يقترب منها مرة أخرى :_

"ألا تعلمين ؟"

توترت من اقترابه وهمست بضعف :_

"لا "

اقترب حتى لم يعد يفصل بينهم سوى أنفاسهم فهمس قبل أن يأخذها:_

"أنتِ روايتي التي سطرتها دقات قلبي فهل تسمعيها ؟.."

□□□□

"مبارك يا شهاب ، أتى لك سالما هو ووالدته، آسف لتأخري في المباركة "

قالها وائل بتهذيب وهو يرحب بشهاب في فيلا ياسر الجوهري

احتضنه شهاب بحفاوة قائلاً:_

"مرحبا يا أخو الغالي لا يهمك ،بارك الله فيك ، اشتقنا لك يا رجل "

ربت وائل على كفه مبتسما وهو يجلس فارتفع صوت ياسر قائلاً:_

"أطلب لكم القهوة أم شئ آخر ؟!"

"القهوة "

قالها الاثنان فأمر الخادم بها ثم استدار إليهم قائلاً:_

"حسنا هل ندخل لك في الأمر مباشرةً يا شهاب؟!"

أومأ شهاب برأسه فتولى وائل الأمر يقص عليه أمر حسن باختصار ....

قطب شهاب حاجبيه قائلاً بذهول :_

"لا أصدق الأمر حقا ، إذا رنا لها أخ غير شقيق "

أومأ ياسر قائلا بشجن:_

"نعم شاب مثل الورد ،لقد أخبرتك حتى تمهد لها الأمر فهو لن يكون سهلاً"

أومأ برأسه في تفهم ومازال لا يصدق هول ما سمع إلى الآن فتحنح وائل قائلاً:_

"المذهل لم يأتي بعد يا شهاب ، المذهل أنك تعرفه شخصيا "

"لا تخبرني أنه أنت وأنا لا أعلم "

قالها شهاب بذهول ضاحك مما أضحك الاثنان وواصل وائل :_

"بل هو يقطن بإحدى المباني العائدة لعائلتك في المبنى "

"حسن القصاص"

قالها شهاب بذهول وقد اتسعت عينيه من الصدمة ،معقول!! هذا الشاب الذي شهد على معاناته منذ أن انضم لعائلاتهم يكون أخو زوجته الغير شقيق ؟؟

هل الدنيا ضيقة لهذه الدرجة !!!"

رفع رأسه ومازالت الدهشة مسيطرة عليه قائلاً:_

"لكن بما أنكم تأكدوا من الأمر منذ تاريخ ". /. . " لما لم تصرحوا بالأمر كل هذه الفترة ؟؟!"

ارتشف ياسر من القهوة قائلاً:_

"أنا رجل سوق يا شهاب ولي أعداء كُثُر ولن أخاطر بابني بعد أن وجدته كان يجب أن أؤمنه و أؤمن نفسي قبلا "

تناول وائل دفة الحوار وواصل:_

"كما أن أمر كهذا سيثير الكثير من الأقاويل كثيرا وخاصةً أنها ستكون قضية وإثبات نسب وأنه على قيد الحياة فكان يجب أن نتناقش في كافة الإجراءات القانونية ونؤمنه ونؤمن نفسنا جيدا وإلا الضربة ستكون قوية وخاصة أنه ذكر أي بعد العمر الطويل للباشا ،الوريث والذي سيحمل الإمبراطورية على عاتقه "

أومأ شهاب برأسه في تفهم ثم سألهم :_

"اذا ومتى ستخبرونه !؟"

تنحنح وائل قائلاً :_

"أنا اقترحت أن تأتي معنا يا شهاب بما أنه على علاقة بك وأيضاً تحسبا لأي صدمة "

فكر شهاب قليلا بعملية ثم قال:_

"بعد إذن عمي طبعا أنا أرى أن أمهد أنا له الأمر قبلا ومن ثم تحدث المقابلة لكن مرة واحدة هكذا سيكون صعب"

استحسن ياسر الفكرة فقال:_

"حسنا أنا موافق وأعتمد عليك يا ابني"...

□□□□

"يا مرحبا يا مرحبا شهاب البرعي هُنا هذا يوم منايا وسعدي"

قالها حسن وهو يرحب بشهاب في بيت حماته الذي انتقل إليه قريبا ..

ابتسم شهاب بتوتر قائلاً:_

"بنورك يا أبو علي اشتقت إليك يا رجل ، لم لا أراك مع خالد منذ فترة "

هز حسن كتفيه قائلا:_

"كما ترى لقد كنا ننقل إلى هنا وكنت منشغل بعدة أمور والله مرة أخرى نتقابل إن شاء الله"

ربت شهاب على ركبته قائلاً بحنان:_

"تتعوض إن شاء الله يا حسن وكيف حال الصغيرين ؟!"

لمعت عيناه بابتهاج قائلا بحب:_

"بخير حال الحمدلله هم عوض الله لي يا شهاب الحمدلله"

هز شهاب رأسه دون معنى وصمت قليلا ثم سأله بتردد:_

"أنت تعرف حماي صحيح ؟؟"

ضم حسن حاجبيه قائلاً:_

"لا من أين سأعرفه لما تسأل!؟"

هز شهاب كتفيه قائلا بلامبالاة مصطنعة :_

"يعني لا شئ مجرد دردشة ، لأنه رجل أعمال مشهور وهكذا فظننت أنك تعرفه"

هز حسن رأسه نفيا وهو يثني ساقه اليسرى أسفله وقال:_

"شخصيا لا أعرفه أنا حتى لا أعرف زوجتك يا شهاب فيوم زفافك قضيته مع خالد على باب القاعة، لكني بالطبع أسمع عن مؤسسات الجوهري في التلفاز "

صمت شهاب لدقائق ولأول مرة يشعر بالحيرة كيف سيخبره بحق الله !!!

سم بالله ثم بدأ مُثرثراً بطبيعية مصطنعة :_

"تعلم أنه كان له ولد يظنه مات واكتشف أنه حي على قيد الحياة"

"كيف يعني؟!" سأله حسن باهتمام فواصل شهاب :_

"لقد طلق زوجته وكانت حامل في ابنه ومن ثم وضعت وأخبرته بعد فترة أنه توفى"

تجاهل حسن نغزة غريبة بقلبه وقد سأله بفصول:_

"وكيف علم !؟"

ضم شهاب كفيه لبعضهم وكأنه يدعم نفسه قائلاً:_

"يعني أخبره أحدهم وصدفةً ما قابله وتعرف عليه "

ببوادر ضيق لا يعلم سببه سأله حسن :_

"وكيف يعني تعرف عليه وماذا فعل الشاب !؟"

ابتلع ريقة مبتهلا الله التوفيق ثم أردف بحذر:_

"يقول إن هناك وحمة شاهدها على الشاب هي من عرفته عليه لكن الأخير لم يفعل شئ فهو لا يعلم الأمر على كل حال"

عض حسن على باطن خده رغما عنه وقد بدأ يشعر بالاختناق ثم سأله بتحشرج وهو يدلك رقبته :_

"والآن هل تعرفوا أقصد يعني من هو هل تعرفت عليه أم ماذا "

ابتسم شهاب وقد دمعت عينيه رغما عنه حاسما أمره وهو يقول بهدوء :_

"نعم أنا أعرفه من قبله ،الشاب اسمه حسن القصاص ، أنت يا حسن، ابن ياسر الجوهري وأخو زوجتي "...

انتهى .....

_____$_____

وبختام رسالتي إذا كنت استمتعت بهمسات روحي فلا تنساني من الدعاء و خذ مني نصيحة

گ أخت گ صديقة گ أم گ ابنة أو حتى گ محض كاتبة !!

"ربوا أبنائكم على التقوى و السعي لرضا الله فهو لا يخذل وأن رضا الناس غاية لا تدرك .

ربوا أبنائكم على الدين فمن حسُن دينه حسُنت وأخلاقه وأن أكرمهم عند الله أحسنهم أخلاقاً

ربوا أبنائكم أن الصلاة خير من النوم وخير من الحب وخير من الدنيا وما فيها وأن الصلاة على أوقاتها، إذا صلحت صلاة ابنك اطمئن عليه فقد صلحت حياته بأكملها.

ربوا أبنائكم على الخوف من الله وليس منكم ،فلو خافوا منكم فعلوا الخطأ من وراء ظهوركم ولو خافوا الله لن يقربوا الخطأ ولو وضعوا وسط ملهى ليلي .

ربوا ابنائكم على الصدق وأن المنافق والكافر سواءً في النار"

تمت بحمد الله

٢٠٢٠/٤/٢٣

وإلى اللقاء في الجزء الثاني «وأشرقت الشمس بعينيها»

من سلسلة

والتقت القلوب